مَعَارِجُ القَبُول

بشرح سُلَّم الوُصُول إلى عِلم الأُصُول

في التوحيد

الطبعة الأولى

رجب ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م



دار ابن الجوزي

للنشر والتوزيع
المملكة العربية السعودية
الدمام - شارع ابن خلدون - ت: ٨٤٢٨١٤٦ - ٨٤٦٧٥٨٩ - ٨٤٦٧٥٩٣
ص.ب: ٢٩٨٢ - الرمز البريدي: ٣١٤٦١ - فاكس: ٨٤١٢١٠٠
الإحساء - الهفوف - شارع الجامعة - ت: ٥٨٨٣١٢٢
جدة: ت: ٦٥١٦٥٤٩
الرياض: ت: ٤٢٦٦٣٣٩

مَعَارِجُ القَبُولِ

بشرح سُلَّم الوُصُولِ إلى عِلْمِ الأُصُولِ

في التَّوحِيدِ

تأليف

الشيخ العلّامة حافظ بن أحمد الحكمي

رحمه الله

(١٣٤٢هـ - ١٣٧٧هـ)

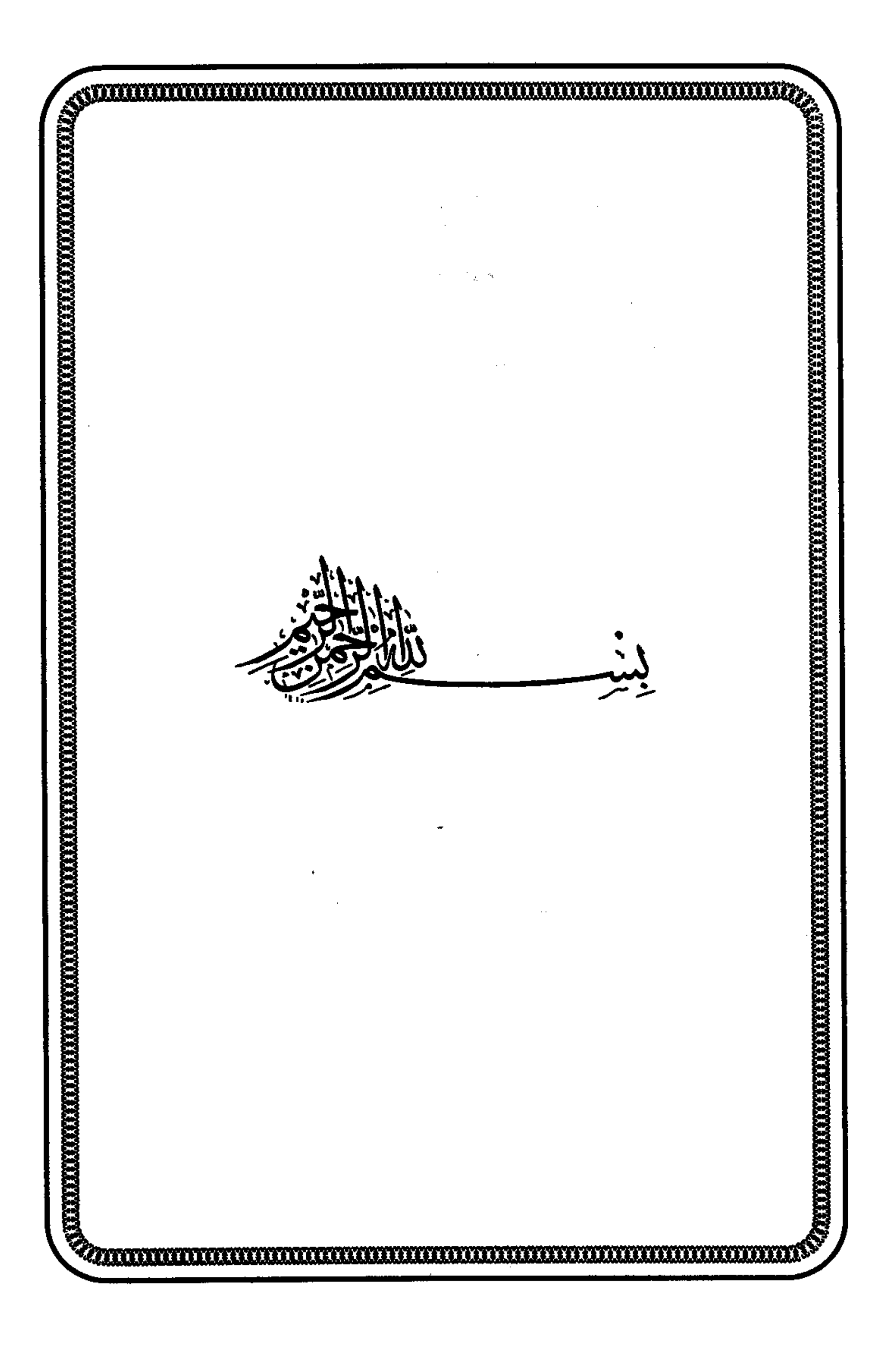
حققه وعلق عليه وضبط نصه

وخرج أحاديثه وآثاره

محمد صبحي بن حسن حلاق

الجزء الأول

دار ابن الجوزي


بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

بقلم فضيلة الدكتور عبد الوهاب بن لطف الديلمي.

عضو هيئة التدريس بجامعة صنعاء.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حق حمده، والصلاة والسلام الأتمّان على عبده ورسوله، وعلى آله وصحبه.

أما بعد:

فإن توحيد الخالق سبحانه، من أهم ما يجب العناية به، تأليفاً، ونشراً، وتعليماً، وبياناً، وهدايةً، فهو الأساس الذي دعت إليه جميع الرسل أممها، وهو الغاية العظمى التي خلَق الله العباد لها، وبدونه لا يقبل الله قُربةً ولا عملاً؛ وقد هيّأ الله سبحانه من اختارهم من خلقه لتدوين هذا العلم، وبيان حقيقته كما جاءت في الكتاب والسنة، وعاش عليها سلف هذه الأمةِ أقرب الناس معاصرة لنزول الوحي، وأصدقهم فهماً له وتطبيقاً لنصوصه.

وها هو كتاب «**معارج القبول**» للشيخ حافظ الحكمي أحد هذه الكتب الذي يخرج اليوم في ثوب جديد، بعد أن كان قد نال عناية من حيث الطبع والنشر، **غير أنه اليوم ينال عناية أخرى ـ جديرة بالتنويه بها ـ من الأخ الشيخ / محمد صبحي بن حسن حلاق/ الذي أفنى كثيراً من عمره في خدمة كثير من كتب السلف الصالح أمثال: الإمام الشوكاني، وابن الأمير الصنعاني، وغيرهما.**

وكان لجهده المشكور أثر واضح في نشر كتب ظلّت مغمورة، معرَّضة للتلف، وهو جهد يعتبر قُرْبة إلى الله عز وجل، نرجو الله عز وجل له المثوبة والأجر على ما صنع.

أمّا جهده الذي بذله في كتاب «**معارج القبول**» الذي بين أيدينا، فيُعرف من خلال ما أوضحه في خطته التي ألزم نفسه السير على منوالها، وكذا من خلال

الموازنة بين الأصل المطبوع خالياً عن التحقيق، وبين الجهد الذي صرفه المحقق في خدمة الكتاب، وهذا أمر لا يحتاج القارئ إلى تعريف به، **ولو لم يكن من جهده إلاّ أنه أراح القارئ من عناء البحث عن الأحاديث والآثار، وعرَّفه مواطنها، وبين حكم كثير منها من حيث الصحة والضعف، لكفاه جهداً يشكر عليه.**

ولا نقف عند هذا الحدّ من الثناء على المحقق لما بذله من جهد في خدمة هذا الكتاب، بل من الواجب الإشارة إلى ما يجب على الدارسين والمثقفين من الإقبال على دراسة أمثال هذا الكتاب، والتزوّد منها، والحياة في ظلالها، والمشاركة في العناية بها حتى تأخذ مكانها اللائق بها، وحتى لا يندرس هذا العلم، وتضمحل معالمه.

فهو علم لا يستغني عنه المسلمون في كل عصر، وما وجد الانحراف عند بعض الطوائف في أمر العقيدة، إلاّ بسبب الجهل لهذا العلم، والتأصيل له بمنهج الفلاسفة، وعلم الكلام، الذي غُلِّبَ فيه جانب العقل على النص، وأنّى للعقل البشري القاصر العاجز أن يهتدي إلى معرفة خالقه سبحانه، دون أن يسترشد بنصوص الكتاب والسنة، ويقف عند حدودهما.

نسأل الله عز وجل أن يهيء لهذه الأمة من يجدد لها معالم دينها، وأن يهدي الجميع إلى سبيل الرشاد، إنه ولي ذلك والقادر عليه، والحمد لله رب العالمين.

د. عبد الوهاب بن لطفي الديلمي

صنعاء في / ٢٠/ ذي الحجة الحرام ١٤١٧هـ

الموافق / ٢٧/ ٤/ ١٩٩٧م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المحقق

إن الحمدَ لله، نحمدُه، ونستعينُهُ ونستغفِرهُ، ونعوذُ بالله مِنْ شرورِ أنفسِنا، ومِنْ سيئاتِ أعمالِنا، مَنْ يهدِهِ اللَّهُ فلا مُضِلَّ لَهُ، ومَنْ يُضِلِلْهُ فلا هاديَ له، وأشهدُ أن لا إله إلا الله، وحدَهُ لا شريكَ لَه، وأشهَدُ أنَّ محمداً عبدهُ ورسولُه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾[1] [الأحزاب].

«أما بعد:

(١) أخرجه أبو داود (٢/ ٥٩١ رقم ٢١١٨) والترمذي (٣/ ١٣ رقم ١١٠٥) والنسائي (٦/ ٨٩) وابن ماجه (١/ ٦٠٩ رقم ١٨٩٢) وابن الجارود رقم (٦٧٩) والحاكم في «المستدرك» (٢/ ١٨٢ - ١٨٣) وأبو نعيم في «الحلية» (٧/ ١٧٨) والبيهقي (٧/ ١٤٦) والدارمي (٢/ ١٤٢) وأحمد (١/ ٣٩٢ - ٣٩٣)، (١/ ٤٣٢) والطيالسي (ص٤٥ رقم ٣٣٨) من حديث ابن مسعود، وزاد الطيالسي عن شعبة، قال، قلت: لأبي إسحاق: هذه خطبة النكاح وفي غيرها؟ قال: في كل حاجة.

قال الألباني في كتابه «خطبة الحاجة التي كان رسول الله ﷺ يعلمها أصحابه» ص١٢: «وردت هذه الخطبة المباركة عن ستة من الصحابة وهم: (عبد الله بن مسعود) و(أبو موسى الأشعري) و(عبد الله بن عباس) و(جابر بن عبد الله) و(نبيط بن شريط) و(عائشة) ﷺ. وعن تابعي واحد وهو الزهري، رحمه الله.

ثم تكلم عليها على هذا النسق. وقال في الخاتمة ص٣١: «وقد تبين لنا من مجموعة الأحاديث المتقدمة، أن هذه الخطبة تفتح بها جميع الخطب، سواء كانت خطبة نكاح أو خطبة جمعة أو غيرها، فليست خاصة بالنكاح كما يظن، وفي بعض طرق حديث ابن مسعود التصريح بذلك كما تقدم، وقد أيد ذلك عمل السلف الصالح فكانوا يفتتحون بهذه الخطبة ثم ذكر بعضاً منهم...» اهـ.

فإنَّ خيرَ الحديث كتابُ الله، وخير الهدي هَدْي محمد ﷺ، وشَرَّ الأمورِ محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكُلَّ بدعةٍ ضلالة وكل ضلالة في النار»[1].

وبعد:

فإن المطلع على كتاب «معارج القبول» دون أن يسبق له معرفة بمؤلفه يتبادر إلى ذهنه أنه من مؤلفات أحد الأئمة الأعلام كابن قيم الجوزية أو من هو في طبقته، لما اشتمل الكتاب على موضوعات التوحيد كافة وسائر الغيبيات، واستوفى في الموضوع الواحد جميع نصوصه من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ بما لا يدع زيادة لمستزيد.

كما أن الكتاب يمتاز بغزارة مادته وسهولة عبارته ووضوح فكرته، وسلامة منهجه، وأصالة مصادره، من كتاب وسنة وأقوال صحابة وتابعين خالياً من فلسفة المتكلمين وجدلهم. محاولاً فيه صاحبه تقريب مسائل العقيدة الصحيحة إلى أفهام أهل العلم على اختلاف منازعهم، وتباين طرقهم في فهم مباحث التوحيد، وقضاياه المتعددة.

ولم أكن مبالغاً إذا قلت: إن كتاب «معارج القبول» له قيمة علمية لم تتوفر لكثير من الكتب المعاصرة المؤلفة في التوحيد.

❁ ❁ ❁

أما الأرجوزة (سُلَّم الوصول إلى علم الأصول) فإنها في منتهى السلاسة والسهولة والوضوح، خالية من الحشو والاستطرادات الخارجة عن موضوعها، بعيدة عن الغموض والتعقيد، أنشأها على وزن (بحر الرجز).

❁ ❁ ❁

ولنستمع إلى المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ يشرح لنا قصة ذلك في تقديمه لهذا الشرح، حيث يقول:

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٢/٥٩٢ رقم ٤٣/٨٦٧) وأحمد (٣/ ٣١٠ ـ ٣١١) والدارمي رقم (٢١٠) والبيهقي في الأسماء والصفات رقم (١٣٧) والنسائي (٣/١٨٨) من حديث جابر. وهو حديث صحيح.

«وقد سألني من لا تسعني مخالفته من المحبِّين أن أنظم مختصراً يسهل حفظه على الطالبين، ويقرب مناله للراغبين، ويفصح عن عقيدة السلف الصالح ويُبين؛ فأجبته إلى ذلك مستعيناً بالله، راجياً الثواب من الله، قائلاً لا حول ولا قوة إلا بالله.

وضممت إلى ذلك مسائل نافعة تتعلق بهذه العصور من التنبيه على ما افتتن به العامة من عبادة الأشجار والأحجار والقبور، ومناقضتهم التوحيد بالشرك الذي هو أقبح المحظور، وصرف جل العبادة لغير الله من الدعاء والرجاء والخوف والمحبة والذبح والنذور، فيسَّر الله تعالى ذلك بمنّه وفضله، وأعانني وله الحمد والمنّة على إكماله، وسميته «سلم الوصول إلى مباحث علم الأصول».

فلما انتشر بأيدي الطلاب، وعظمت فيه رغبة الأحباب، سئل مني أن أعلق عليه تعليقاً، يحل مشكله، ويفصل مجمله، مقتصراً على ذكر الدليل ومدلوله من كلام الله تعالى وكلام رسوله، فاستخرت الله تعالى بعلمه واستقدرته بقدرته، فعنَّ لي أن أعزم على ذلك الأمر المسؤول، مستمداً من الله تعالى الإعانة على نيل السول، وسميته: «معارج القبول، بشرح سُلَّم الوصول إلى علم الأصول»[1].

وقد سار المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ في ترتيب مباحث كتاب (معارج القبول) على فصول وفق ترتيبها في أرجوزة (سلم الوصول)، ولتتضح الصورة كاملة لهذه المباحث بعناوينها وما تعالجه من موضوعات، نوردها مفصلة على النحو التالي:

* **مقدمة**: في تعريف العبد بما خُلق له، وبأول ما فرض الله تعالى عليه، وبما أخذ الله عليه به الميثاق في ظهر أبيه آدم، وبما هو صائر إليه.

١ ـ **فصل**: في كون التوحيد ينقسم إلى نوعين، وبيان النوع الأول وهو توحيد المعرفة والإثبات.

٢ ـ **فصل**: في بيان النوع الثاني من التوحيد، وهو توحيد الطلب والقصد، وأنه معنى لا إله إلا الله .

---

(١) معارج القبول: بحث «سبب نظم المتن وتأليف الشرح» ص٥٥.

٣ ـ **فصل**: في تعريف العبادة وذكر بعض أنواعها، وأن من صرف منها شيئاً لغير الله فقد أشرك.

٤ ـ **فصل**: في بيان ضد التوحيد وهو الشرك، وأنه ينقسم إلى قسمين: أصغر وأكبر، وبيان كل منهما.

٥ ـ **فصل**: في بيان أمور يفعلها العامة منها ما هو شرك، ومنها ما هو قريب منه، وبيان حكم الرقى والتمائم.

٦ ـ **فصل**: من الشرك فعل من يتبرَّك بشجرة أو حجر أو بقعة أو قبر أو نحوها، يتخذ ذلك المكان عيداً. وبيان أن الزيارة تنقسم إلى: سنيَّة، وبدعية، وشركية.

٧ ـ **فصل**: في بيان ما وقع فيه العامة اليوم مما يفعلونه عند القبور من الشرك الصريح والغلو المفرط في الأموات.

٨ ـ **فصل**: في بيان السحر وحد الساحر، وأن منه علم التنجيم. وذكر عقوبة من صدَّق كاهناً.

٩ ـ **فصل**: يجمع معنى حديث جبريل المشهور في تعليمنا الدين، وأنه ينقسم إلى ثلاث مراتب هي: الإسلام والإيمان والإحسان، وبيان أركان كل منها.

١٠ ـ **فصل**: في كون الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، وتفاضل أهله فيه، وأن فاسق أهل الملة لا يكفر بذنب دون الشرك إلا إذا استحله، وأنه تحت المشيئة، وأن التوبة مقبولة ما لم يغرغر.

١١ ـ **فصل**: في معرفة نبينا محمد ﷺ وتبليغه الرسالة، وإكمال الله لنا به الدين، وأنه خاتم النبيين، وأفضل الخلق أجمعين. وأن من ادَّعى النبوة بعده فهو كاذب يكفر من صدَّقه واتَّبعه.

١٢ ـ **فصل**: في من هو أفضل الأمة بعد رسول الله ﷺ، وذكر الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ بمحاسنهم والكف عن مساوئهم وما شجر بينهم.

* **خاتمة**: في وجوب التمسك بالكتاب والسنة، والرجوع عند الاختلاف إليهما، فما خالفهما فهو رد.

❁ ❁ ❁

واعلم أنَّ التوحيدَ من أشرف العلوم وأجلِّها، لأنَّهُ العلمُ باللَّهِ تعالى، وآياتِه وأسمائه، وصفاته، وحقوقِه على عبادِه، وكذلك العلمُ بالنبوَّاتِ، وكلُّ ما يتعلقُ بأمورِ الآخرة مِنْ بَعْثٍ وجنَّةٍ ونارٍ. . .

وهذه هي المقاصدُ الثلاثُ التي نزلتْ بها الكتبُ السماويةُ، وأجمعتِ الرسلُ على الدعوةِ إليها.

قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

وقال تعالى: ـ إشارةً إلى اتفاقِ الرسلِ والكتبِ السماويةِ على إثباتِ اليوم الآخرِ ـ: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الزمر: ٧١].

ولزيادةِ بيان أهميةِ التوحيدِ فقد قالَ شيخُ الإسلام ابنُ تيمية في «قاعدةٍ جليلةٍ في «التوسُّلِ والوسيلةِ» ص١٦، تحقيقُ: الشيخ عبدِ القادرِ الأرنؤوطِ.

«وهذا الأصلُ ـ وهو التوحيدُ ـ هو أصلُ الدينِ الذي لا يَقْبَلُ اللَّهُ من الأولينَ والآخرينَ ديناً غيْرَهُ، وبه أَرْسَلَ اللَّهُ الرُسُلَ وأنزلَ الكتبَ، كما قال تعالى: ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ [الزخرف: ٤٥]، وقال: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ﴾ [النحل: ٣٦].

وقد ذكرَ اللَّهُ عزَّ وجلَّ عن كلِّ من الرسل أنَّه افتتحَ دعوتَه بأنْ قالَ لقومِهِ: ﴿ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٥٩]» اهـ.

وقال الإمام الشوكاني في «إرشادِ الثقاتِ إلى اتفاقِ الشرائعِ على التوحيدِ والمعاد والنبواتِ» بتحقيقِنا (ص٦ ـ ٧):

«وأما مقاصدُ القرآنِ الكريمِ التي يُكَرِّرُها، ويوردُ الأدلةَ الحسيَّةَ والعقليةَ عليها ويشير إليها في جميع سورهِ وفي غالب قِصَصِهِ وأمثالِهِ فهي ثلاثةُ مقاصدَ، يعرِفُ ذلكَ مَنْ له كمالُ فَهمٍ وحُسْنُ تدبُّرٍ وجَوْدَةُ تصوُّرٍ وفَضْلُ تفكُّرٍ:

(المقصدُ الأولُ): إثباتُ التوحيدِ.

(المقصدُ الثاني): إثباتُ المعادِ.

(المقصدُ الثالثُ): إثباتُ النبوّات. . .

ولا ريبَ أنَّ مَنْ آمنَ باللَّهِ، وبما جاءتْ به رسُلُهُ، ونطقتْ به كتبهُ، فإنَّ إيمانه بهذه الثلاثةِ المقاصدِ هو أهمُّ ما يجبُ الإيمانُ به، وأقدمُ ما يتحتَّم عليه اعتقادُهُ، لأنَّ الكُتبَ قد نطقتْ بها، والرسلَ قدِ اتَّفَقَتْ عليها، يقطعُ كلَّ ريبٍ وينفي كلَّ شُبْهَةٍ، ويُذْهِبُ كلَّ شكٍّ» اهـ.

ومِنْ فضلِ اللَّهِ عليَّ أنني درستُ التوحيدَ على علماءَ أفاضِلَ في بلادِ الشام في مُقْتَبَلِ العمرِ، وخَلُصْتُ إلى الاعتقادِ الجازمِ أنَّ المنهجَ الصحيحَ في فهمِ التوحيدِ هو منهجُ أهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ الذي سارَ عليهِ السَّلفُ الصالحُ، وأوْصَوْا بهِ مَنْ بعدَهم، والذي تميَّزَ بالوضوحِ، والبعدِ عن صورِ التأويلِ والتشبيهِ، والتعطيلِ والتشويهِ، وهذا المنهجُ هو المنهجُ الصحيحُ لمن أرادَ النجاةَ والفلاحَ في الدنيا والآخرةِ.

فلذا كتبتُ **«سلسلةُ أحكامِ القرآنِ» وهي**:

١ ـ أحكامٌ متعلقةٌ بالتوحيدِ. وأسميتُه: **«إعلامُ الأنامِ بعقيدةِ الإسلامِ»**.

٢ ـ أحكامٌ متعلقةٌ بتهذيبِ النفسِ. وأسميتُه: **«إيضاحُ الأسسِ في تزكيةِ الأنفسِ»**.

٣ ـ أحكامٌ متعلقةٌ بأقوالِ وأفعالِ المكلفينَ. وهي المقصودةُ بـ «الفقهِ»، وأسميتُه: **«إرشادُ الأمةِ إلى فقهِ الكتابِ والسُّنَّةِ»**.

والغَرَضُ من هذه السلسلةِ بناءُ المسلمِ صاحبِ العقيدةِ السليمةِ، والنفسِ المزكَّاةِ، والعبادةِ الصحيحةِ المعتمدةِ على الكتابِ والسنةِ على فهمِ السلفِ الصالحِ.

وعندما طلبَ منِّي الأخُ الكريمُ صاحبُ «دار ابنِ الجوزي»: **سعدُ بنُ فوازٍ الصميلُ** حفظَه الله ورعاه خدمةَ كتابِ «معارجُ القَبُولِ»: للعلامة: حافِظ الحكمي، وجد ذلك في نفسي قبولاً طيباً، ورغبةً مُلِحَّةً، لما اشتملَ عليه الكتابُ من موضوعاتِ التوحيدِ كافةً، واستوفى في الموضوعِ الواحدِ جميعَ نصوصِه من كتابِ اللَّهِ وسنةِ رسولِهِ، وأقوالِ الصحابةِ والتابعينَ، بما لا يدعُ زيادةً لمستزيدٍ.

وفي الختامِ أسألُ اللَّهَ العليَّ القديْرَ أنْ يجعلَ أعمالَنا كلَّها صالحةً. . . ولوجهِهِ خالصةً. . . وألاَّ يجعلَ فيها شركاً لأحد. . .

كتبه المعتز بالله

محمد صبحي بن حسن حلاق

أبو مصعب

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

نُبذةٌ عن مؤلّف الكتاب
الشيخ العلامة
حافِظِ بنِ أحمدَ الحَكَميّ
(١٣٤٢ - ١٣٧٧هـ)

بقلم ابنه
الدكتور أحمد بن حافظ الحكمي
الأستاذ المساعد بكلية اللغة العربية ـ الرياض
(جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية)

الشيخُ العلامةُ حافظُ بنُ أحمدَ بنِ عليّ الحكميّ أحدُ علماء المملكةِ العربيةِ السعوديةِ السلفيين، وهو عَلَمٌ من أعلامِ مِنطقةِ الجَنوبِ (تهامة) الذين عاشوا حياتهم في الشطر الأول من النصف الثاني من هذا القرن (الرابع عشر الهجري).

والحكَميُّ: نسبةٌ إلى (**الحكَم بنِ سعدِ العشيرةِ**) بطْنٌ من (مذحج) من (كهلانَ ابنِ سبأَ بنِ يشجُبَ بنِ يَعرُبَ بنِ قَحطانَ).

مولده ونشأته:

ولد الشيخُ حافظٌ لأربعٍ وعشرين ليلةً خلت من شهر رمضانَ المباركِ من سنة ١٣٤٢هـ (١٩٢٤م) بقرية (**السلام**) التابعةِ لمدينة (**المضايا**) ـ الواقعةِ في الجَنوب الشرقيِّ من مدينة (**جازانَ**) حاضرةِ المِنطقة على الساحل، قريبةٌ منها ـ حيث تقيم قبيلتُه التي إليها يَنتسبُ.

ثم انتقل مع والده أحمدَ إلى قرية (**الجاضع**) التابعةِ لمدينة (**سامطةَ**) في نفس المنطقة وهو ما يزال صغيراً؛ لأن أكثرَ مصالِح والدِه ـ من أراض زراعيةٍ ومواشٍ ونحوِهما ـ كانت هناك، وإن بقِيتْ أسرتُه الصغيرةُ تنتقل بين قريتي (السلام) و (الجاضع) لظروفها المعيشية.

ونشأ حافظٌ في كنف والديه نشأةً صالحةً طيبةً، تربّى فيها على العفاف والطهارةِ وحُسنِ الخلق، وكان قبل بلوغِه يقوم برعْي غنمِ والديه التي كانت أهمَّ ثروةٍ لديهم آنذاك جرياً على عادة المجتمعِ في ذلك الوقتِ، إلا أن حافظاً لم يكن كغيره من فتيان مجتمعِه؛ فقد كان آيةً في الذكاء وسُرعةِ الحفظِ والفهمِ، فلقد ختم القرآن وحفِظ الكثيرَ منه وعمرُه لم يتجاوز الثانيةَ عشرةَ بعد، وكذلك تعلم الخطَّ وأحسن الكتابة منذ الصِغَر.

طلبه العلم:

عندما بلغ حافظٌ من العمر سبعَ سنواتٍ أدخله والدُه مع **شقيقه الأكبرِ محمدٍ**[1] مدرسةً لتعليم القرآنِ الكريمِ بقرية (الجاضع)، فقرأ على مدرّسه بها جُزأي (عم، وتبارك)، ثم واصل قراءتَه مع أخيه حتى أتم قراءةَ القرآنِ قراءةً مُجوَّدةً خلالَ أشهرٍ معدودة، ثم أكمل حفظَه حفظاً تاماً بُعيد ذلك.

اشتغل بعدئذ بتحسين الخطِّ فأولاه أكبرَ جهودِه حتى أتقنه، وكان ينسخ من مصحف مكتوبٍ بخط ممتاز، إلى جانب اشتغالِه مع أخيه بقراءة بعض كتبِ الفقهِ والفرائضِ والحديثِ والتفسير والتوحيدِ مطالعةً وحفظاً بمنزل والدِه، إذ لم يكن بالقرية عالمٌ يوثق بعلمه فيُتتلمذ على يديه.

وفي مطلع سنة ١٣٥٨هـ قدِم من (نجد) **الشيخُ الداعيةُ المصلحُ عبدُ الله بنُ محمدِ بنِ حَمَدٍ القَرعاويُّ**[2] إلى منطقة (تِهامةَ) في جَنوب المملكةِ، بعد أن سمع

---

(١) هو الآن من خيرة علماء المنطقة الجنوبية في المملكة العربية السعودية وذوي الفضل فيها، له نشاط ملموس في الدعوة والإرشاد وإلقاء المحاضرات الإسلامية الرصينة، تولى إدارة معهد سامطة العلمي أكثر من عشرين عاماً بعد رحيل أخيه الشيخ حافظ الذي كان أول مدير لهذا المعهد. أسأل الله أن يطيل في عمره وأن ينفع به وأن يمتعه بالصحة ويجعل التوفيق حليفه دائماً.

(٢) ولد الشيخ عبد الله القرعاوي ـ وهو جدي لأمي ـ في مدينة عنيزة بمنطقة القصيم من نجد سنة ١٣١٥هـ وتوفي في مدينة الرياض سنة ١٣٨٩هـ ـ رحمه الله تعالى ـ، وقد كان له الفضل الكبير في النهضة العلمية والأدبية في المنطقة الجنوبية من المملكة (تِهامة وعسير)، وكانت لدعوته السلفية الإصلاحية هناك نتائج إيجابية وآثار إصلاحية عظيمة على تلك المنطقة وأبنائها من جميع النواحي الدينية والاجتماعية والثقافية ـ انظر بحثاً عنه وعن=

عما كان فيها من الجهل والبِدَع ـ شأنُ كلِّ منطقةٍ يقِلُّ فيها الدعاةُ والمصلحون أو ينعدمون ـ ونذر نفسَه مخلصاً على أن يقومَ بالدعوة إلى الدين القويم، وتصحيحِ العقيدةِ الإسلاميةِ في النفوس، وإلى إصلاح المجتمعِ وإزاحةِ ما كان عالقاً في أذهان الجهالِ من اعتقادات فاسدةٍ وخُرافاتٍ مُضِلّة.

وفي سنة ١٣٥٩هـ قدِم شقيقُ حافظٍ عمِّي (محمدُ بنُ أحمدَ) برسالة منه ومن أخيه حافظٍ يطلُبان فيها من الشيخ القرعاويِّ كتباً في التوحيد، ويعتذران عن عدم القدرةِ على المجيء إليه لانشغالهما بخدمة والديهما والعنايةِ بشئونهما، كما يطلُبان منه ـ إن كان في استطاعته ـ أن يتوجهَ إليهما بقريتِهما ليسمَعا منه بعضَ ما يُلقي من دروس، وفعلاً لبَّى الشيخُ طلبَهما وذهب إلى قريتهما، وهناك التقى بحافظٍ وعرَفه عن كَثب، وتوسّم فيه النجابةَ والذكاءَ، وقد صدقت فيه فراستُه.

ومكثَ الشيخُ عدةَ أيامٍ في (الجاضع) ألقى فيها بعضَ دروسِه العلميةِ التي حضرَها مجموعةٌ من شيوخِ القريةِ وشبابِها، ومن بينهم حافظٌ الذي كان أصغرَهم سناً، لكنه كان أسرعَهم فهماً وأكثرَهم حفظاً واستيعاباً لِما يُلقي الشيخُ من معلومات.

يقول عنه الشيخُ عبدُ الله القَرعاويّ: **«وهكذا جلستُ عدةَ أيامٍ في الجاضع، وحافظٌ يأخذ الدروسَ، وإن فاته شيءٌ نقله من زملائه، فهو على اسمه (حافظ) يحفظ بقلبه وخطِّه، والطلبةُ الكبارُ كانوا يراجعونه في كل ما يُشكل عليهم في المعنى والكتابة، لأني كنت أُملي عليهم إملاءً ثم أشرحه لهم»**[1].

وعندما أراد الشيخُ العودةَ إلى مدينة (سامطةَ) التي جعلها مقراً له ومركزاً لدعوته، طلب من والدَيْ حافظٍ أن يُرسلاه معه ليطلُب العلمَ على يديه في (سامطة) على أن يجعلَ لهما من يرعى غنمَهما بدلاً عنه، ولكنهما رفضا طلب الشيخِ أولَ الأمر وأصرّا على أن يبقى ابنُهما الصغيرُ في خدمتهما لحاجتهما الكبيرةِ إليه.

= دعوته وآثارها كتبته في: مجلة (العرب) التي تصدر في الرياض: (مجلد ٨/ج ٧و ٨، ص٥٢٣ ـ ٥٣٠).

(١) نقلت هذا من رسالة صغيرة كتبها جدي الشيخ عبد الله القرعاوي بخطه وذكر فيها شيئاً موجز عن حياته، احتفظ بها لدي.

وتشاء إرادة الله أن لا تطول حياةُ والدتِه بعد ذلك، إذ توفيت في شهر رجبٍ سنةَ ١٣٦٠هـ، فيسمح والدُه له ولأخيه محمدٍ بأن يذهبا إلى الشيخ للدراسة لمدة يومين أو ثلاثة في الأسبوع ثم يعودا إليه، فكان حافظٌ لذلك يذهب إلى الشيخ في (سامطة) فيُملي عليه الدروسَ، ثم يعود إلى قريته، وكان مُلْهماً يفهم ويعي كلَّ ما يقرأ أو يسمع من معلومات. ولم يعمِّر والدُه بعد ذلك إذ انتقل إلى جوار ربِّه وهو عائدٌ من حجِّ سنةِ ١٣٦٠هـ ـ رحمه الله ـ فتفرغ حافظٌ للدراسة والتحصيلِ، وذهب إلى شيخه ولازمه ملازمةً دائمةً يقرأ عليه ويستفيد منه.

وكان حافظٌ في كلِ دراساتِه على شيخِه مبرِّزاً ونابغةً، فأثمر في العلم بسرعة فائقةٍ، وأجاد قولَ الشعرِ والنثرِ معاً، وألف مؤلفاتٍ عديدةٍ في كثير من العلوم والفنونِ الإسلامية ـ سنقف على أسمائها ـ، ولقد كان كما قال عنه شيخُه: **«لم يكن له نظيرٌ في التحصيل والتأليفِ والتعليمِ والإدارةِ في وقت قصير»**[1].

علمه:

مكث حافظٌ يطلب العلمَ على يد شيخِه الجليلِ **عبدِ اللَّهِ القرعاويِّ**، ويعمل على تحصيله، ويقتني الكتبَ القيمةَ والنادرةَ من أمهات المصادرِ الدينيةِ واللغويةِ والتاريخيةِ وغيرِها ويستوعبُها قراءةً وفهماً.

وعندما بلغ التاسعةَ عشْرةَ من عمره ـ ومع صِغَر سنه ـ طلب منه شيخُه أن يؤلف كتاباً في توحيد الله، يشتمل على عقيدة السلفِ الصالحِ، ويكون نظماً ليسهل حفظُه على الطلاب، يعد بمثابة اختبارٍ له يدل على القدْر الذي استفاده من قراءاته وتحصيله العلميِّ؛ فصنَّف منظومتَه (**سلم الوصول إلى علم الأصول ـ في التوحيد**)[2] التي انتهى من تسويدها في سنة ١٣٦٢هـ وقد أجاد فيها، ولاقت استحسانَ شيخِه والعلماء المعاصرين له.

ثم تابع تصنيفَ الكتبِ بعد ذلك؛ فألَّف في التوحيد، وفي مصطلح الحديثِ، وفي الفقه وأصوله، وفي الفرائض، وفي السيرة النبوية، وفي الوصايا

---

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

والآدابِ العلمية، وغيرِ ذلك نظماً ونثراً، وقد طُبعت جميعُها طبعَتها الأولى على نفقة المغفورِ له جلالةِ الملِك سعودِ بنِ عبدِ العزيز.

ويتضح لنا من آثاره العلميةِ أن أبرزَ مقروءاتِه ذات الأثرِ في منهجه العلميِّ ومؤلفاتِه هي تلك الكتبُ التي ألَّفها علماءُ السلفِ الصالحِ من أهل السنة في العلوم الإسلاميةِ من تفسير وحديثٍ وفقهٍ وأصولِه، أما في مجال العقيدةِ فقد بدا شديدَ التأثر بشيخ الإسلام ابن تيميةَ وتلميذِه ابنِ القيمِ، كثيرَ الاستفادة من مؤلفاتهما والأخذِ عنها، هذا إلى جانب استيعابِه لكثير من مصادر التاريخِ والأدبِ واللغةِ والنحوِ والبيانِ المؤلفةِ في مختلف العصورِ الإسلامية.

ولقد كان ـ رحمه الله ـ عميقَ الفهمِ سريعَ الحفظِ لما يقرأ، وقد مر بنا قولُ لشيخِه يُشيد فيه بتلميذِه حافظٍ، الذي كان يحفظ بقلبه وخطِّه ـ على حد تعبيرِ الشيخ ـ وكان زملاؤُه الكِبارُ يراجعونه في كل ما يُشكل عليهم منذُ مراحلِ تعليمِه الأولى.

أدبُه:

يُعدُّ الشيخُ حافظٌ من أجلِّ علماء مِنطقةِ تِهامةَ وأقدرِهم على قول الشعر، فقد كان يعشق الشعرَ منذ صِغَره ويحفظه ويقوله سليقةً دون تكلّفٍ، فلا غرابةَ إذا رأيناه يُخرِجِ أكثرَ مؤلفاتِه نظماً.

ولقد كان أكثرُ ما يقول الشعرَ ـ في غيرِ ما كتبه من منظومات علمية ـ إما نصيحةً أو مساجلةً لصديق أو وصفاً أو خاطرةً، إلا أنه لم يدوِّن جُلَّ ما قال إن لم يكن كلَّه، وما بأيدينا منه الآن نزرٌ يسيرٌ جداً حفِظه عنه بعضُ تلاميذِه.

ومن أهم قصائدِ شعرِه تلك **القصيدةُ الميميةُ** التي أنشأها في الوصايا والآدابِ العلمية، وهي طويلة جداً، نختار منها هذه الأبيات التي يصف فيها العلمَ ومنزلَته:

العلمُ أغلى وأحلى ما له استمعتْ ... أذنٌ، وأعربَ عنه ناطقٌ بفمِ

العلمُ غايتُه القصوى ورتبتُه الـ ... ـعلياءُ فاسعَوا إليه يا أولي الهمم

العلمُ أشرفُ مطلوبٍ وطالبُه ... لله أكرمُ من يمشي على قدم

العلمُ نورٌ مبينٌ يستضيء به ... أهلُ السعادةِ والجهّال في الظُّلَم

العلمُ أعلى حياةٍ للعباد، كما ... أهلُ الجهالةِ أمواتٌ بجَهلِهِم

ثم يقول مرغِّباً في العلم، وحاضّاً طالبَه على الحِرص عليه، والسعي قدرَ المستطاع لنيل أكبرِ قسطٍ منه، وعدم الرضا بغيره عوضاً عنه، فمن حصل عليه فقد ظفِر.

ويوصي طلبةَ العلم بمساعدةِ غيرِهم في تحصيله وتقريبِ مباحثه، ويشير عليهم قبل ذلك كلِه بأن يُخلصوا نياتهم - في طلبه - لوجه اللّهِ الكريم:

يا طالبَ العلمِ لا تَبغي به بدَلا ... فقد ظفِرتَ وربِّ اللوحِ والقلمِ
وقدِّس العلمَ واعرِفْ قدرَ حُرمتِه ... في القول والفعل، والآدابَ فالتزمِ
واجهَدْ بعزمٍ قويٍّ لا انثناء له ... لو يعلم المرءُ قدرَ العلمِ لم يَنمِ
والنُصحَ فابذُلْه للطلاب محتسباً ... في السر والجهرِ، والأستاذَ فاحترمِ
ومرحباً قل لمن يأتيك يطلُبه ... وفيهمُ احفَظ وصايا المصطفى بهمِ
والنيّةَ اجعلْ لوجه اللّهِ خالصةً ... إن البناءَ بدون الأصلِ لم يقُمِ

وهناك أيضاً قصيدتُه الهمزيةُ التي قالها في تشجيع الإسلامِ وأهلِه والدعوةِ إلى التمسك بأساسه وأصلِه، وهي لا تزال مخطوطةً لم تُنشر من قبلُ، وتقع في أكثرَ من مِائتي بيتٍ، من بحر الكاملِ على رويِّ الهمزة.

استعرَض فيها ماضيَ المسلمين وحاضرَهم وما ينبغي أن يكونوا عليه في مستقبلهم، كلُّ ذلك بأسلوب قويٍّ رصين وتعبيرٍ جزلٍ، بالإضافة إلى ما تفجَّر في جوانبِ أبياتِها من شعور فيّاضٍ ومعانٍ سامية وأهداف نبيلة وروح عالية؛ تحدَّث في أولها عن الرسول الكريمِ محمدِ بنِ عبدِ اللّهِ صلواتُ اللّهِ وسلامُه عليه وقيامِه بالدعوة إلى الله، فقال:

ويُعِزُّ ربي رُسْلَه والمؤمنيـ ... ـن جميعَهم بالنصر والإنجاءِ
حتى استتمَّ بناءَهم بمحمد ... أكرِمْ به للرسل خَتْمَ بناءِ
فهو الرسولُ إلى الخلائق كلِّهم ... ممن تُقِلُّ بسيطةُ الغبراء
ما لامرئ أبداً خروجٌ عن شريـ ... ـعته ونهجِ طريقِه البيضاء
لم يقبِضِ المولى تعالى روحَه ... حتى أشاد الدينَ بالإعلاء

وأتمَّ نعمَته وأكمل دينَه ولخلقه أدَّاه أيَّ أداءِ
ومضى وأمتُه بأقومِ منهجٍ وعلى مَحَجَّة هذِه البيضاءِ

ثم تحدث عن الخلفاء الراشدين ومناهِجِهم في الحكم، وانتقل بعدهم يصف واقعَ المسلمين في العصور التي تلت عصرَ الخلفاءِ الراشدين، وعندما وصل إلى القرن السابعِ الهجريِّ عصرِ شيخِ الإسلامِ (ابن تيميةَ) وجدناه يقول:

وأتى بقرن سابعٍ من هجرةٍ عَلَمٌ به يُؤتمُّ في الظلماء
أعني بذاك الحَبْرَ أحمدَ مَن إلى عبد الحليمِ نُمي بلا استثناء
كم هاجم البدعَ الضلالَ وأهلَها بدلائل الوحْيَينِ خيرِ ضياءِ
وقواعدَ التحريفِ هدَّ أصولَها أعظِمْ به هدْماً لشرٍّ بناءِ
وله جهادٌ ليس يُعهد مثلُه إلا بعهد السادةِ الخلفاءِ

وبعد أن ذكر ما قام به ابنُ تيميةَ من قمع للفتن وإبادةٍ للطغيان، تابع المسيرةَ إلى العصور الإسلاميةِ التالية، مصوِّراً طبيعةَ الحياةِ التي كان يعيشها المسلمون في تلك الأزمنة، مشيراً إلى بعض المصلحين الذين سعَوا لتصحيح الأوضاعِ في بلادهم كالشيخ محمد بنِ عبدِ الوهَّاب في القرن الثاني عشرَ الهجريِّ وغيرِه.

ثم ذهب يوجِّه الخطابَ إلى العلماء وطلابِ العلمِ في عصره، مستنهضاً هِمَمَهم للدعوة إلى الله والإخلاصِ في العمل، والقيامِ بالواجب الملقى على عواتقهم نحوَ إخوانِهم المسلمين في كل مكان، قائلاً:

هل تسمعون معاشرَ العلما، ألا تُصغون نحوَ مقالتي ونِدائي؟!
يا طالِبي علمِ الشريعةِ فانهضوا وادعُوا عبادَ الله باستهداء
أنحُوا بهم نحوَ الصراطِ المستقيـ ـمِ ورفضِ كلِّ طريقةٍ عوجاء
كيف انتصارُ المسلمين وجُلُّهم عن دينهم في غفلة عمياء؟!

وقد أطال في ذلك، وبهذا نكتفي.

ولعل في هذه المقتطفات من هاتين القصيدتين كفايةً كنماذجَ حيةٍ من شعر الشيخِ حافظِ الحكمي ـ رحمه الله ـ والتي تدل على تدفق شاعريتِه، وجودةِ شعرِه الإسلاميِّ وسُموِّ غاياتِه.

أعماله:

عندما لمس الشيخُ عبدُ الله القَرعاويّ تفوُّقَ تلميذِه حافظٍ ونبوغَه العلميَّ أقامَه مدرِّساً لزملائه والمستجِدين من التلاميذ، فألقى عليهم دروساً نافعةً استفادوا منها فائدةً كبرى.

ثم عيَّنه شيخُه في سنة ١٣٦٣هـ مديراً لمدرسة (سامطة) السلفية ـ أوَّلِ وأكبرِ مدرسةٍ افتتحها الشيخُ في المنطقة لطلاب العلم ـ، وأسند إليه أمرَ الإشرافِ على مدارس القرى المجاورة.

واتسعت بعد ذلك مدارسُ الشيخ في منطقتي (تهامةَ وعسير) فما من مدينة أو قرية إلا وأسس بها مدرسةً أو أكثرَ تدرس العلومَ الإسلاميةَ[1]، وجعل بها من تلاميذه من يقوم بالتدريس فيها ويتولى شؤونَ إدارتِها.

ولما كان الشيخُ يقوم في فترات متعددةٍ بجَوْلاتٍ على مئات المدارسِ التي كان قد أسسها في المنطقة، جعل تلميذَه الأولَ الشيخَ حافظاً الحكميَّ مساعداً له، يتولى الإشرافَ على سير التعليمِ وأمورِ الإدارةِ أثناء تَجوالِ الشيخ على مدارسه، فنهض حافظٌ بالعبء المُلقى على عاتقه وأدّى الأمانةَ خيرَ الأداء.

ثم تنقل الشيخُ حافظ ـ للقيام بواجبه مع شيخه ـ في عدة أماكنَ، منها قريةُ (السلامة العليا) ومدينةُ (بيش: أم الخشب) في الجزء الشماليِّ من منطقة (جازان) وغيرهما، عاد بعدها إلى مدينة (سامطة) مرة أخرى يدير مدارسَها ويساعد شيخَه في تَحمل المسئولية والإشرافِ على سير التعليمِ ومواصلةِ تدعيم مَهامِّ الدعوةِ والإصلاح.

وهكذا مضى الشيخُ حافظٌ يؤدي واجباتِه في سبيل النهوضِ بأبناء مِنطقتِه، وليرفعَ من مستواهم الثقافيِّ، وليُفيدَهم من علمه قدْرَ ما يستطيع، فقد كان يجتمع إليه طلبةُ العلمِ من كل مكانٍ للتتلمذ على يديه فيستفيدون منه فائدةً عُظمى، ومن

---

(١) انظر شيئاً عن هذه المدارس وافتتاح بعضها في: (مجلة المنهل التي تصدر في جدة: مجلد ٨، عدد ٥ جمادى الأولى سنة ١٣٦٧هـ ـ في المقابلة التي أجريت مع الشيخ عبد الله القَرعاويّ ـ: ص١٨٥ ـ ١٩٦).
وعدّاً لأوائل هذه المدارس وأهمها في مقالي الذي كتبته عن الشيخ عبد الله القَرعاويّ في: (مجلة العرب التي تصدر في الرياض: المجلد ٨/ ص٥٢٦).

طلبتِه الآن علماءُ أفاضلُ يتولَّون مناصبَ القضاءِ والتدريسِ والوعظِ والإرشادِ في جميع أنحاء المنطقةِ الجَنوبيةِ وغيرها.

وفي سنة ١٣٧٣هـ افتتحت وزارةُ المعارفِ السعوديةُ مدرسةً ثانويةً بـ (جازان) عاصمةِ المنطقةِ، فعُيِّن الشيخُ حافظٌ أوَّلَ مديرٍ لها في ذلك العام.

ثم افتُتح معهدٌ علميٌّ تابعٌ للإدارة العامة للكليات والمعاهدِ العلميةِ آنذاك (جامعة الإمامِ محمدِ بنِ سعودِ الإسلاميةُ حالياً) بمدينة (سامطة) في عام ١٣٧٤هـ فعُين الشيخُ حافظٌ مديراً له؛ فقام بعمله هذا خيرَ قيام، وكان يُلقي فيه بعضَ المحاضراتِ ويُملي على تلاميذه الكثير من المعلومات الشرعيةِ واللغويةِ المفيدة، ويضع لهم المذكراتِ الدراسيةَ للفنون التي لم تُقرَّر لها كتبٌ علميةٌ وفق المناهج المحددة، وكان يُمليها أحياناً بنفسه، وقد يمليها عن طريق المدرِّسين بالمعهد أحياناً أخرى.

صفاته:

كان الشيخُ حافظُ الحَكَمي ـ رحمه الله ـ مثالاً يُحتذى لكل طالبِ علم يريد التحصيلَ والعلمَ النافعَ، ومثالاً لكل عالمٍ جليلٍ متواضعٍ يحب لتلاميذه وزملائِه كلَّ خيرٍ وصلاح.

ويكفي أن أُوردَ هنا ما قاله عنه شقيقُه الأكبرُ (عمِّي) **الشيخُ محمدُ بنُ أحمدَ الحكمي** ـ حفظه الله ـ في رسالة كتبها إليَّ إجابةً لطلبي:

«كان رحمه الله على جانب كبير من الورع والكرمِ والعفةِ والتقوى، قويَّ الإيمان، شديدَ التمسك، صدّاعاً بالحق، يأمرُ بالمعروف ويأتيه، وينهى عن المنكر ويبتعد عنه، لا تأخُذه في الله لومةُ لائم.

كانت مجالسُه دائماً عامرةً بالدرس والمذاكرة وتحصيلِ العلم، تَغَصّ بطلابه في البيت والمسجدِ والمدرسة، لا يُملّ حديثُه، ولا يَسأم جليسُه.

كان جلَّ أوقاتِه ملازماً لتلاوة القرآنِ الكريـم، ومطالعةِ الكتبِ العلمية، بالإضافة إلى التدريس والتأليفِ والمُذاكرة.

وكان خفيفَ النفس يحب الرياضةَ والدُّعابةَ والمُزاحَ مع زملائه وطلابِه

وزوّاره، مما يجذِب قلوبَ الناسِ إليه، ويحبب إليهم مجالستَه والاستفادةَ منه»[1].

وفاته:

لم يزل الشيخُ حافظٌ مديراً لمعهد سامطةَ العلميِّ حتى حجَّ في سنة ١٣٧٧هـ، وبعد انتهائه من أداء مناسكِ الحجِّ لبَّى نداء ربِه في يوم السبتِ الثامنَ عشرَ من شهر ذي الحِجةِ سنة ١٣٧٧هـ (١٩٥٨م) بمكةَ المكرمةِ على إثر مرَضٍ ألمَّ به، وهو في رَيعان شبابِهِ، إذ كان عمرُه آنذاك خمساً وثلاثين سنةً ونحوَ ثلاثةِ أشهر، ودُفن بمكةَ المكرمة، رحمه الله تعالى رحمةً واسعةً.

وقد كان وقعُ خبرِ وفاتِه على شيخه وعلى أهله وزملائِه وأصدقائِه وتلاميذِه شديداً، والمصيبةُ به فادحةً، وقد رثاه بعضُ تلاميذِه رثاء حاراً يعكُس مدى الفاجعةِ التي أصابتهم بموته، من ذلك قصيدةٌ للشيخ الدكتور زاهرِ بنِ عواضٍ الألمعيِّ يقول في أولها:

لقد دوّى على (المخلاف) صوتٌ	نعى النحريرَ عالَمها الهُماما
تفجَّعت الجنوبُ وساكنوها	على بذرٍ بها يمحو الظلاما
وذاعت في الدُنا صيحاتُ خطبٍ	فهزَّت من فجائعها الأناما
فكفكفت الدموعَ على فقيد	على الإسلام شمَّر واستقاما
وأحيا في الربوع بيوتَ علم	وواسى مُقْعداً ورعى يتاما
أ(حافظُ) كنت للعلياء قُطباً	وللإسلام طَوداً لا يُسامى
وبحراً في العلوم بعيدَ غَورٍ	كثيرَ النفعِ قوَّاماً إماما
وما مُتُّم فمنهجُكم مَنارٌ	يضيء دروبَنا وبها أقاما[2]

---

(١) وأما عن صفاته الخَلْقِيَّة، فقد وصفه الشيخ زيد المدخلي ـ حفظه الله ـ في كتابه: «الشيخ حافظ الحكمي...» ص٣٩ قائلاً: «كان رحمه الله ربعة أسمر اللون مستدير الوجه مفلج الأسنان، خفيف اللحية والعارضين، أقرن الحاجبين يعجبه لباس الخشن من الثياب في غالب الأوقات....»اهـ.

أبو ياسر خالد بن قاسم الرَدادي في تحقيقه لكتاب «دليل أرباب الفلاح لتحقيق فن الاصطلاح» ص٢٣ التعليقة (١).

(٢) القصيدة في ديوان (الألمعيات) للدكتور زاهر الألمعي: (ص١٢٦ ـ ١٢٧).

وممن رثاه أيضاً تلميذه الأستاذُ إبراهيمُ بنُ حسنٍ الشعبيُّ بقصيدة، نقتطف منها قولَه:

تـوفِّـي (حـافـظٌ) ركـنُ الـبـلادِ	وخـلّـف حـسـرةً لـي فـي الـفـؤاد
وقـد ضـاقـت عـلـيَّ الأرضُ ذرعـاً	بـمـا رَحُـبـت ولـم تـسَـعِ الـبـوادي
وسـاءَ الـحـالُ مـنـي حـيـن وافـى	بـنـا نـعـيُ الـفـتـى الـبـطـلِ الـعـمـادِ
لـقـد كـنـت الـمـقـدمَ فـي الـمـزايـا	مـن الـخـيـرات يـا قـطـبَ الـنـوادي
وكـنـت الـقـائـدَ الـمـدعـوَّ فـيـنـا	فـمـن نـخـتـارُ بـعـدك لـلـقـيـاد؟
صـلاحٌ لـلـمـشـاكـل كـنـت قِـدْمـاً	ومـصـبـاحَ الـبـحـوثِ بـكـل وادي
وفـي كـل الـعـلـوم مـددتَ بـاعـاً	وهِـمـتُـك الـعـلـيَّـةُ فـي ازديـاد

وقد خلَّف الشيخُ ـ رحمه الله ـ بعد رحيلِه مكتبةً علميةً كبيرةً عامرةً بكل علمٍ وفن، أوصى بأن تكون وقفاً على طلاب العلمِ ورُوَّاد المعرفة، فضُمَّت إلى معهد سامطةَ العلميّ لينتفِع بها المدرِّسون والطلاب، ولتبقى تحت إشرافِ إدارةِ المعهد.

كما خلَّف من تأليفه آثاراً علميةً نافعةً في كثير من الفنون الإسلامية، لا يستغني عنها كلُ طالبِ علم، وسنشير إليها.

وله من الأبناء أربعةٌ هم: أحمدُ ـ كاتبُ هذه الأسطر ـ، وعبد الله، ومحمد، وعبدُ الرحمن، وفَّقهم الله جميعاً وسدَّد خطاهم، وأخذ بأيديهم لما فيه خيرُهم وصلاحُهم[1].

مؤلفاته:

لوالدي **الشيخِ حافظِ بنِ أحمدَ الحكمي** ـ رحمه الله تعالى ـ **مؤلفاتٌ عديدةٌ في**: التوحيد، ومصطلح الحديث، والفقهِ وأصولِه، والفرائضِ، والتاريخِ والسيرةِ النبوية، والنصائحِ والوصايا والآدابِ العلمية.

---

(١) وانظر مزيداً من البيان عن حالته الاجتماعية في كتاب «الشيخ حافظ الحكمي حياته وجهوده...» ص٣٩ للشيخ زيد المدخلي ـ حفظه الله ـ.
أبو ياسر خالد بن قاسم الرَدادي في تحقيقه لكتاب «دليل أرباب الفلاح» ص٢٥ رقم التعليقة (١).

من هذه المؤلفات ما هو منظومٌ، ومنها ما هو منثورٌ، وهي كما يلي:

أ ـ في التوحيد:

١ ـ (سُلَّم الوصول، إلى علم الأصول، في توحيد اللّهِ واتباعِ الرسول ﷺ) أرجوزةٌ في أصول الدين، مطلعُها:

أبـدأ بـاسـم الـلّـهِ مـسـتـعـيـنـا راضٍ بـه مـدَبِّـراً مُـعـيـنـا

انتهى من تسويدها في سنة ١٣٦٢هـ، وهي أوّلُ ما أُلِّف. طُبعت طبعتها الأولى بمكةَ المكرمة سنة ١٣٧٣هـ (في ١٦ص).

٢ ـ (معارجِ القَبول، بشرح سلّم الوصولِ إلى علم الأصول ـ في التوحيد) وهو شرحٌ مُطوّلٌ لأرجوزة (سلم الوصول) ـ المتقدمِ ذكرُها ـ، انتهى من تسويده في سنة ١٣٦٦هـ، ويقع في مجلدين كبيرين تزيد صفحاتُهما في طبعته الأولى عن ألف ومائة صفحة[1].

---

(١) (*) طبع كتاب «معارج القبول» طبعته الأولى بالمطبعة السلفية بالقاهرة نحو سنة ١٣٧٧هـ، في مجلدين ضخمين بلغت صفحاتهما/١١٨٣ صفحه، ج١/ ٥٤٤ صفحة، ج٢/ ٦٣٩ صفحة.

(*) ثم أصدرته مصوراً عن هذه الطبعة الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد في المملكة العربية السعودية.

(*) ثم طبع الطبعة الثالثة بعناية ولد المؤلف الدكتور أحمد بن حافظ الحكمي حفظه الله.

(*) كما طبع الكتاب طبعات مسروقة فيها تحريف وأخطاء مطبعية.

(*) ثم طبع في ثلاثة مجلدات بتحقيق/ عمر بن محمود أبو عمر/ عام ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م.

(*) قلت: وقد اطلعت على جميع طبعات الكتاب، فدفعني لخدمته عوامل أهمها:

١ ـ الرغبة الصادقة ـ في نفسي ـ لنشر كتب العقيدة السلفية بين صفوف المسلمين، لعلمي الأكيد أن العقيدة أولاً.

٢ ـ تلبية لرغبة الأخ:/سعد بن فواز الصميل/ في نشر هذا السِّفر الطيب.

٣ ـ وجود نقص لآيات كاملة في الموضوع الواحد في بعض الطبعات عما في طبعة نجل المؤلف التي اعتمد فيها على مخطوطة بخط والده رحمه الله.

٤ ـ وجود نقص لكلمات أو حروف وأحياناً جمل في بعض الآيات القرآنية.

٥ ـ وجود زيادة حروف على بعض الآيات ليست منها.

٦ ـ وجود خطأ في عزو الآيات إلى سور غير سورها في مواطن كثيرة. =

وهذا الكتابُ أهمُ آثارِ الشيخِ وأشهرُها وأغناها عن التعريف، يتمتع الآن بقيمة علميةٍ كبيرةٍ بين طلابِ العلمِ وأساتذةِ الجامعاتِ الإسلامية، وقد دأبت الرئاسةُ العامةُ لإدارات البحوثِ العلميةِ والإفتاءِ في المملكة العربية السعودية زمناً طويلاً على توزيعه مجاناً على خريجي الكلياتِ وعلى المدرسين والقضاةِ، لما فيه من فوائدَ جمّةٍ، وما يحويه من معلومات قيمةٍ في موضوعه، ولُحسن عَرضِه وتبويبِه واستيفائِه لكثير من نصوص الكتابِ والسنةِ وأقوالِ السلفِ الصالحِ بما لا يدع زيادةً لمستزيد.

٣ ـ **(أعلامُ السنةِ المنشورة، لاعتقاد الطائفةِ الناجيةِ المنصورةِ)** كتابٌ مؤلَّفٌ على طريقة السؤالِ والجواب، انتهى من تسويده في غُرّة شهرِ شعبانَ سنة ١٣٦٥هـ، وطُبع طبعَته الأولى بمكةَ المكرمة د. ت (في ٦٧ص)[١].

٤ ـ **(الجوهرة الفريدة، في تحقيق العقيدة)** منظومة داليَّة، مطلعُها:

الـحـمـدُ لله لا يُـحـصـى لـه عـددُ ... ولا يـحـيـط بـه الأقـلامُ والـمـددُ

طبعت طبعتَها الأولى بمكةَ المكرمة سنة ١٣٧٣هـ (في ١٩ص).

ب ـ في المصطلح:

٥ ـ **(دليلُ أربابِ الفلاح لتحقيق فن الاصطلاح)** كتابٌ جليلٌ حافلٌ في

= ٧ ـ وجود أخطاء كثيرة في ضبط الآيات القرآنية بالشكل.

٨ ـ إغفال تراجم الأعلام الذين يحتاج لمعرفتهم القارئ.

٩ ـ إهمال التعريف بالفرق والطوائف الضالة المنحرفة عن منهج السلف الصالح ليُحذر منها.

١٠ ـ القصور في عزو الآثار، والأقوال إلى مصادرها.

وغير ذلك مما سوف يراه القارئ بنفسه في طبعتنا هذه.

اللهم اجعل أعمالنا كلها صالحة... ولوجهك خالصة...

ولا تجعل فيها شركاً لأحد.

محمد صبحي بن حسن حلاق أبو مصعب

(١) (*) ثم طبع الكتاب بتحقيق: مصطفى أبو النصر شلبي، ط٢/١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

(*) ثم طبع الكتاب بتحقيق: أحمد علي علوش مدخلي، ط٣/ ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م/.

مصطلح الحديث، طبع طبعته الأولى بمكة المكرمة سنة ١٣٧٤هـ (في ١٧٤ص)[1].

٦ ـ (اللؤلؤ المكنون، في أحوال الأسانيد والمتون) منظومة، مطلعها:

الحمدُ كلُ الحمدِ للرحمن ذي الفضل والنعمةِ والإحسان

انتهى من نظمها في سنة ١٣٦٦هـ، وطبعت طبعتها الأولى بمكة المكرمة د. ت (في ١٨ص).

ج ـ في الفقه:

٧ ـ (السبلُ السويّة، لفقه السننِ المروية) منظومةٌ طويلةٌ في الفقه وفقَ أبوابِه المعروفة، مطلعها:

أبدأ باسم خالق مُحمدِ لا مُحسْبِلاً مكتفياً مُحَوقِلا

طبعت طبعتها الأولى بمكة المكرمة د. ت (في ١٣٤ص)[2].

د ـ في أصول الفقه:

٨ ـ (وسيلة الحصول، إلى مهمات الأصول) منظومةٌ في أصول الفقه، مطلعها:

الحمدُ للعدل الحكيمِ الباري المستعانِ الواحدِ القهار

انتهى من كتابتها في سنة ١٣٧٣هـ، وتقع في ٦٤٠ بيتاً. طبعت طبعتها الأولى بمكة المكرمة د. ت (في ٣٥ص).

٩ ـ متن (لامية المنسوخ) منظومة لاميةِ الرَّويِّ في النسخ وما يدخله من الكتب الفقهية، مطلعها:

الحمدُ لله في الدارين متصلُ هو السلامُ فلا نقصٌ ولا عللُ

---

(١) ثم طبع مؤخراً بتحقيق أبي ياسر خالد بن قاسم الردّادي عام/ ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م/ أبو مصعب: محمد صبحي بن حسن حلاق.

(٢) وقد تصدى لشرحها العلامة زيد المدخلي ـ حفظه الله ـ شرحاً وافياً وسَماه بـ «الأفنان الندية بشرح السبل السوية»، وقد طبع ـ ولله الحمد ـ في ستة مجلدات.
[أبو ياسر خالد بن قاسم الردّادي في تحقيقه لكتاب (دليل أرباب الفلاح) ص٢٧ رقم التعليقة (١)].

طبعت طبعتها الأولى بمكة المكرمة د. ت (في ١٠ص).

هـ - في الفرائض:

١٠ - **(النورُ الفائض، من شمس الوحي، في علم الفرائض)** رسالةٌ منثورةٌ في علم الفرائض، انتهى من كتابتها في ١٥ - ٨ - ١٣٦٥هـ، وطبعت طبعتها الأولى بمكة المكرمة سنة ١٣٧٣هـ (في ٤٦ص).

و - في التاريخ والسيرةِ النبوية:

١١ - **(نيلُ السول، من تاريخ الأممِ وسيرةِ الرسولِ ﷺ)** منظومة تاريخية، تزيد أبياتها عن (٩٥٠ بيتاً)، مطلعُها:

الحمد لله المهيمنِ الأحدْ   باري البرايا الواحدِ الفردِ الصمدِ

طبعت طبعتها الأولى بمكة المكرمة د. ت (في ٥٢ص).

ز - في النصائح والوصايا والآداب العلمية:

١٢ - **نصيحةُ الإخوانِ المشهورة بـ (القاتية)**، وعنوانُها: **(هذا سؤالٌ بشأن القاتِ والدخانِ والشّمةِ)**، وهي قصيدة تائية، مطلعها:

حمداً لمن أسبغ النّعما وألهمنا   حمداً عليها بألطافِ خفياتِ

وقد طبع معها ردٌ عليها لأحد أهل اليمن، ثم جوابُ الشيخِ عليه، وفي الجواب الأخير فوائدٌ جليلةٌ. طبعت طبعتها الأولى بمكة المكرمة سنة ١٣٧٤هـ (في ١٥ص).

١٣ - **(المنظومة الميمية، في الوصايا والآداب العلمية)** قصيدةٌ ميميةٌ رائعة في الحث على العلم وطلبه والتمسك بما جاء في كتاب الله وسنةِ رسولِه ﷺ، مطلعها:

الحمدُ لله ربِّ العالمين على   آلائه وهو أهلُ الحمدِ والنعمِ

طُبعت طبعتها الأولى بمكة المكرمة د. ت (في ١٤ص).

وقد طبعت جميعُ هذه الكتبِ من مؤلفات الوالدِ الشيخ حافظِ الحكمي - رحمه الله - طبعَتها الأولى - ما أرِّخ منها وما لم يُؤرِّخ - في سنتي ١٣٧٣ - ١٣٧٤هـ

على نفقة جلالة المغفورِ له الملكِ سعودِ بنِ عبدِ العزيزِ بمطابع البلادِ السعودية بمكةَ المكرمة، عدا كتابِ (معارج القبول) الذي طبع طبعتَه الأولى د. ت (نحو سنة ١٣٧٧هـ) في المطبعة السلفية بمصر.

وللوالد الشيخِ ـ من بعدُ ـ بعضُ الرسائلِ والمنظوماتِ المخطوطةِ التي لم تطبع بعد، سنعمل على طبعها ونشرِها في وقت قريبٍ إن شاء الله، حتى يُنتفعَ بها كما انتُفع بغيرها من مؤلفاته المطبوعةِ، أهمُّها:

١ ـ (مفتاحُ دار السلام، بتحقيق شهادتي الإسلام).

٢ ـ (شرح الورقات، في أصول الفقه ـ لأبي المعالي الجُويني).

٣ ـ همزية الإصلاح، في تشجيع الإسلام وأهلِه، والتمسك كلَّ التمسك بأساسه وأصله).

٤ ـ (مجموعةُ خطب للجمع والمناسبات الدينية)[1].

وكلُ مؤلفاتِه ـ رحمه الله ـ تعطيك الدليلَ الواضحَ على مكانته العلمية، وعلى تعمقه في كثير من جوانب المعرفة، وهي كتبٌ قيمةٌ يكفي للدلالة على جودتها وقيمتِها أن بعضَها عُرض على فضيلة العلامةِ الشيخ محمدِ بنِ إبراهيمَ آل الشيخ ـ مفتي الديار السعودية آنذاك، رحمه الله ـ فاستحسنها واستجادها وأشار على الحكومة بطبعها وتوزيعِها حتى يستفيدَ منها الخاصةُ والعامةُ على السواء، لما فيها من فوائدَ جمَّةٍ، ونصائحَ عامةٍ نافعةٍ لجميع المسلمين في دينهم ودنياهم، ولأنها تحضّهم على التمسك بكتاب اللّهِ وسنة رسولِه الأمين ﷺ، وعلى اتباع السلفِ الصالحِ والأئمةِ المبرزين من علماء المسلمين.

رحم اللّهُ الشيخَ حافظاً الحكميَّ رحمةً واسعةً، وأسكنه فسيحَ جناتِه، وجزاه عما قدَّم خيرَ الجزاءِ، وغفر له ولوالديه ولشيخه ولجميع المسلمين.

أحمد بن حافظ الحكمي

---

(١) وقد ذكر الشيخ زيد المدخلي ـ حفظه الله ـ جميع مصنفات المؤلف ـ رحمه الله ـ المخطوطة في كتابه «الشيخ حافظ الحكمي...» ص٤٩ فانظره.
[أبو ياسر خالد بن قاسم الردادي في تحقيقه لكتاب «دليل أرباب الفلاح» ص٢٩ رقم التعليقة (١)].

بسم الله الرحمن الرحيم

أبدأ باسم الله مستعينا ... راض به مدبرا معينا
والحمد لله كما هدانا ... إلى سبيل الحق واجتبانا
أحمده سبحانه وأشكره ... ومن مساوي عملي أستغفره
وأستعينه على نيل الرضا ... وأستمد لطفه فيما قضى
وبعد إني باليقين أشهد ... شهادة الإخلاص أن لا يعبد
بالحق مألوه سوى الرحمن ... من جل عن عيب وعن نقصان
وأن خير خلقه محمدا ... من جاءنا بالبينات والهدى
رسوله إلى جميع الخلق ... بالنور والهدى ودين الحق
صلى عليه ربنا ومجدا ... والآل والصحب دواما سرمدا
وبعد هذا النظم في الأصول ... لمن أراد منهج الرسول
سألني إياه من لا بد لي ... من امتثال أمره الممتثل
فقلت مع عجزي ومع إشفاقي ... معتمدا على القدير الباقي

مقدمة

اعلم بأن الله جل وعلا ... لم يترك الخلق سدى وهملا
بل خلق الخلق ليعبدوه ... وبالإلهية يفردوه
أخرج فيما قد مضى من ظهر ... آدم ذريته كالذر
وأخذ العهد عليهم أنه ... لا رب معبود بحق غيره

فصل في كون التوحيد ينقسم إلى نوعين وبيان النوع الأول ...

أول واجب على العبيد ... معرفة الرحمن بالتوحيد
إذ هو من كل الأوامر أعظم ... وهو نوعان أيا من يفهم
إثبات ذات الرب جل وعلا ... أسمائه الحسنى صفاته العلى
وأنه الرب الجليل الأكبر ... الخالق البارئ والمصور
باري البرايا منشئ الخلائق ... مبدعهم بلا مثال سابق
الأول المبدي بلا ابتداء ... والآخر الباقي بلا انتهاء
الأحد الفرد القدير الأزلي ... الصمد البر المهيمن العلي
علو قهر وعلو الشان ... جل عن الأضداد والأعوان
كذا له العلو والفوقية ... على عباده بلا كيفية
ومع ذا مطلع إليهم ... بعلمه مهيمن عليهم
وذكره للقرب والمعية ... لم ينف للعلو والفوقية
فإنه العلي في دنوه ... وهو القريب جل في علوه
حي وقيوم فلا ينام ... وجل أن يشبهه الأنام
لا تبلغ الأوهام كنه ذاته ... ولا تكيف الحجا صفاته
باق فلا يفنى ولا يبيد ... ولا يكون غير ما يريد

صورة للصفحة الأولى من أصل منظومة (سلم الوصول) بخط الناظم - رحمه الله -

بايع عنه سيد الأكوان ... بكفه في بيعة الرضوان

الرابع ابن عم خير الرسل ... أعني الإمام الحق ذا القدر العلي

مبيد كل خارجي مارق ... وكل خب رافضي فاسق

من كان للمختار في مكان ... هارون من موسى بلا نكران

فالستة المكملون العشرة ... وسائر الصحب الكرام البررة

وأهل بيت المصطفى الأطهار ... وتابعوه السادة الأخيار

فكلهم في محكم القرآن ... أثنى عليهم خالق الأكوان

في الفتح والحديد والقتال ... وغيرها بأكمل الخصال

كذاك في التوراة والإنجيل ... صفاتهم معلومة التفصيل

وذكرهم في سنة المختار ... قد سار سير الشمس في الأقطار

ثم السكوت واجب عما جرى ... بينهمو من فعل ما قد قدرا

فكلهم مجتهد مثاب ... وخطؤهم يغفره الوهاب

خاتمة

في التمسك بالكتاب والسنة والرجوع عند الاختلاف إليهما فما خالفهما فهو رد

شرط قبول السعي أن يجتمعا ... فيه إصابة وإخلاص معا

لله رب العرش لا سواه ... موافق الشرع الذي ارتضاه

وكل ما خالف للوحيين ... فإنه رد بغير مين

وكل ما فيه اختلاف نصبا ... فرده إليهما قد وجبا

فالدين إنما أتى بالنقل ... ليس بالأوهام وحدس العقل

ثم إلى هنا قد انتهيت ... وتم ما بجمعه عنيت

سميته بسلم الوصول ... إلى سما مباحث الأصول

والحمد لله على انتهائي ... كما حمدت الله في ابتدائي

أسأله مغفرة الذنوب ... جميعها والستر للعيوب

ثم الصلاة والسلام أبدا ... تغشى الرسول المصطفى محمدا

ثم جميع صحبه والآل ... السادة الأئمة الأبدال

تدوم سرمدا بلا نفاد ... ما جرت الأقلام بالمداد

ثم الدعا وصية القراء ... جميعهم من غير ما استثناء

أبياتها يسر بعد الجمل ... تاريخها الغفران فافهم وادع لي

٢٧٠ ... ١٣٦٢

صورة للصفحة الأخيرة من أصل منظومة (سُلَّم الوصول) بخط الناظم - رحمه الله -

صورة للصفحة الأولى من مسوّدة كتاب (معارج القبول) بخط المؤلّف - رحمه الله -

صورة للصفحة الأخيرة من مسوّدة كتاب (معارج القبول) بخط المؤلف - رحمه الله -

خطتي في تحقيق
«معارج القبول» وتخريجه

١ ـ وضعت مقدمة للكتاب.

٢ ـ أثبتُّ نبذة عن حياة المؤلف بقلم ابنه الدكتور / أحمد بن حافظ الحكمي.

٣ ـ نقلت صورة الصفحة الأولى والأخيرة من أصل منظومة (سلم الوصول) بخط الناظم ـ رحمه الله ـ.

وكذلك أثبتُّ صورة للصفحة الأولى والأخيرة من مسوَّدة كتاب «معارج القبول» بخط المؤلف رحمه الله.

٤ ـ عزوت الآيات إلى سورها.

٥ ـ قمت بعزو الأحاديث إلى مظانِّها المختلفة، وذكرت رقم الجزء والصفحة والحديث للكتب التي ذكرتها في الحاشية. فالرقمان اللذان يفصل بينهما خط مائل، الأول منهما للجزء، والثاني للصفحة من الطبعة التي اعتمدنا، والرقم الثالث للحديث. وفي حال عدم ذكر الرقم الثالث أذكر اسم الكتاب أو المؤلف على حسب الشهرة.

٦ ـ إذا عزوت الحديث إلى البيهقي مطلقاً، أعني أنه أخرجه في السنن الكبرى، وأما في غيرها فأبينه.

وإذا عزوت الحديث إلى الترمذي أو النسائي أو أبي داود أو ابن ماجَهْ أو الدارقطني أو الدارمي. أعني أنهم أخرجوه في سننهم، وأما في غيرها فأبينه.

٧ ـ وضعت الأحاديث النبوية بين علامتي تنصيص هكذا «» مع ضبطها بالشكل.

٨ ـ حكمت على الأحاديث ـ بحسب قواعد هذا الفن ـ صحة أو ضعفاً.

٩ ـ وضعت الآثار بين قوسين هكذا () مع ضبطها بالشكل.

١٠ ـ استخرجت الآثار من مظانها المختلفة وحكمت عليها صحة أو ضعفاً بقدر الإمكان.

١١ ـ عزو الأقوال إلى مصادرها ما أمكن إلى ذلك سبيلاً.

١٢ ـ إرجاع المعاني التفسيرية إلى التفاسير.

١٣ ـ شرحت الكلمات الغريبة، والعبارات الغامضة.

١٤ ـ جعلت عناوين الفصول الرئيسة في الكتاب بخط كبير واضح.

١٥ ـ أثبتُّ نص المنظومة ـ في بداية الكتاب ـ كاملة مضبوطة بالشكل.

وأبقيت تعليقات ابنه عليها كما هي وذلك لتمام الفائدة.

١٦ ـ ضبطت أبيات المنظومة ـ أثناء ورودها متخللة الشرح ـ.

١٧ ـ ضبطت الكلمات الضرورية التي تشكل على القارئ في كتاب «معارج القبول» كله، ولله الحمد والمنة.

١٨ ـ ترجمة لبعض الأعلام في هذا الكتاب.

١٩ ـ عرّفت ببعض الفرق والطوائف في هذا الكتاب.

٢٠ ـ وضعت لكل جزء الفهارس التالية:

أ ـ فهرس الأعلام المترجم لهم.

ب ـ فهرس الفرق والطوائف المعرّف بهم.

جـ ـ فهرس الموضوعات.

٢١ ـ سوف أضع للكتاب فهارس علمية إن شاء الله.

وفي الختام أقول:

«اللَّهُمَّ لكَ الحمدُ، أنتَ قيِّمُ السماواتِ والأرضِ، ومن فيهنَّ، ولك الحمدُ، لكَ مُلكُ السماواتِ والأرضِ ومن فيهنَّ، ولكَ الحمدُ أنتَ نورُ السماواتِ والأرضِ ومن فيهنَّ، ولك الحمدُ، أنتَ مَلِكُ السماواتِ والأرضِ ومن فيهنَّ، ولكَ الحمدُ أنْتَ الحقُّ ووعدُكَ الحقُّ، ولقاؤكَ حقٌّ، وقولُكَ حقٌّ، والجنَّةُ حقٌّ، والنارُ حقٌّ، والنبيونَ حقٌّ، ومحمدٌ ﷺ حقٌّ، والساعةُ حقٌّ.

اللَّهمَّ لكَ أسلمتُ وبكَ آمنتُ، وعليك توكلتُ، وإليكَ أنبتُ، وبكَ خاصمتُ، وإليكَ حاكمتُ فاغفرْ لي ما قدَّمتُ وما أخَّرْتُ، وما أسررتُ وما أعلنتُ، أنتَ المقدِّم وأنتَ المؤخِّرُ، لا إله إلا أنت». آمين.

وكتبه: أبو مصعب: محمد صبحي بن حسن حلاق.

اليمن / صنعاء/ مساء الأحد:

٢٤/ذي الحجة/ ١٤١٦هـ

١٢/ مايو (أيار)/ ١٩٩٦م

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

فاتحة الكتاب

الحمد لله الذي لم يتخذْ ولداً ولم يكن له شريكٌ في الملك ولم يكن له وليٌّ من الذل، وما كان معه مِن إله، **الذي لا إله إلا هو** ولا خالقَ غيرُه ولا ربَّ سواه، المستحقُ لجميع أنواع العبادةِ، ولذا قضى أنْ لا نعبُدَ إلا إياه: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [الحج: ٦٢].

عالمُ الغيبِ والشهادةِ الذي استوى في علمه ما أسرّ العبدُ وما أظهر، الذي علمَ ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون، وما يعزُب عن ربك مثقالُ ذرةٍ في السمواتِ ولا في الأرض ولا أصغرُ من ذلك ولا أكبرُ: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ [سبأ: ٢]. كيف لا وهو الذي خلق وقدّر: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤].

رحمنُ الدنيا والآخرة ورحيمُهما الذي كتب على نفسه الرحمةَ وهو أرحمُ الراحمين، الذي غلبت رحمتُه غضبَه كما كتب ذلك عنده على العرش في الكتاب المبين، الذي وسعت رحمتُه كلَّ شيءٍ، وبها يتراحم الخلائقُ بينهم كما ثبت ذلك عن سيد المرسلين: ﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الروم: ٥٠].

الملكُ الحقُ الذي بيده ملكوتُ كلِ شيء ولا شريكَ له في ملكه ولا مُعين.

المتصرفُ في خلقه بما يشاء من الأمر والنهي والإعزازِ والإذلالِ والإحياءِ والإماتةِ والهدايةِ والإضلالِ: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤]. لا رادَّ لقضائه ولا مضادَّ لأمره ولا معقِّبَ لحكمه: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ﴾ [الأنعام: ٦٢]. ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [المائدة: ١٨].

القدوسُ السلامُ الذي اتصف بصفات الكمالِ، وتقدَّس عن كل نقصٍ ومُحال، وتعالى عن الأشباه والأمثال، حرامٌ على العقول أن تصِفَه وعلى الأوهام أنْ تُكَيِّفه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

المؤمنُ الذي آمن أولياءَه من خزي الدنيا ووقاهم في الآخرة عذابَ الهاوية، وآتاهم في الدنيا حسنةً وسيُحِلُّهم دارَ المُقامةِ في جنة عالية.

المهيمنُ الذي شهد على الخلق بأعمالهم، وهو القائمُ على كل نفس بما كسبت لا تخفى عليه منهم خافيةٌ، إنه بعباده لخبير بصير.

العزيزُ الذي لا مُغالبَ له ولا مَرامَ لجنابه.

الجبَّارُ الذي له مطلقُ الجبَروتِ والعظمة، وهو الذي يجبُر كلَّ كسيرٍ مما به.

المتكبرُ الذي لا ينبغي الكبرياءُ إلا له ولا يليق إلا بجنابه، العظمةُ إزارُه والكبرياءُ رداؤُه، فمن نازَعه صفةً منها أحلَّ به الغضبَ والمقتَ والتدميرَ(١).

الخالقُ البارئُ المصوِّرُ لما شاء إذا شاء في أي صورةٍ شاء من أنواع التصوير: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٢ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ۝٣﴾ [التغابن]. ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ [لقمان: ٢٨].

---

(١) يشير المؤلف رحمه الله إلى الحديث الذي أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٢٣ رقم ١٣٦/ ٢٦٢٠)، والبخاري في «الأدب المفرد» رقم (٥٥٢) عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة قالا: قال رسول الله ﷺ: «العِزُّ إِزَارُهُ، والكِبْرِياءُ رِدَاؤُه، فمن يُنازِعُني عَذَّبْتُهُ».
وأخرجه أحمد في «المسند» (٢/ ٤١٤)، (٢/ ٢٤٨، ٣٧٦، ٤٢٧، ٤٤٢) عن أبي هريرة عن النبي ﷺ فيما يحكي عن ربه عز وجل قال: «**الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري، من نازعني واحداً منهما قذفته في النار**».
(*) وأخرجه الطيالسي في «مسنده» رقم (٢٣٨٧).
وابن أبي شيبة في «المصنف» (٩/ ٨٩).
والحميدي في «المسند» رقم (١١٤٩).
وأبو داود (٤/ ٣٥٠ رقم ٤٠٩٠) وابن ماجه (٢/ ١٣٩٧ رقم ٤١٧٤)، والبغوي في «شرح السنة» (١٣/ ١٦٩ رقم ٣٥٩٢).
وهو حديث صحيح، والله أعلم.

الغفَّارُ الذي لو أتاه العبدُ بقُراب الأرضِ خطايا ثم لقِيَه لا يشرك به شيئاً لأتاه بقرابها مغفرة. **القهَّار** الذي قصم بسلطان قَهْرِه كلَ مخلوقٍ وقَهَره.

الوهَّابُ الذي كلُ موهوبٍ وصل إلى خلقه فمن فيض بحارِ جودِه وفضلِه ونعمائِه الزاخرة.

الرزَّاقُ الذي لا تنفَدُ خزائنُه ولم يَغِضْ ما في يمينه، أرأيتم ما أنفق منذ خلق السمواتِ والأرضَ ماذا نقص من فضله الغزير، يرزُق كلَ ذي قوتٍ قوتَه ثم يدبِّر ذلك القوتَ في الأعضاء بحكمته تدبيراً مُتقَناً مُحكماً، يرزق من هذه الدنيا مَن يشاء من كافر ومسلم أموالاً وأولاداً وأهلاً وخدَماً، ولا يرزق الآخرةَ إلا أهلَ توحيدِه وطاعتِه، قضى ذلك قضاءً حتماً مُبرماً، وأشرفُ الأرزاقِ في هذه الدارِ ما رزقه عبدَه على أيدي رسلِه من أسباب النجاةِ من الإيمان والعلمِ والعملِ والحكمةِ وتبيينِ الهدى المستنير.

الفتَّاحُ الذي يفتح على من يشاء بما يشاء من فضله العميم، يفتح على هذا مالاً وعلى هذا مُلكاً وعلى هذا عِلماً وحِكمة، ذلك فضلُ اللّهِ يؤتيه من يشاء واللّهُ ذو الفضل العظيم: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [فاطر: ٢].

العليمُ الذي أحاط علمُه بجميع المعلوماتِ من ماض وآتٍ وظاهرٍ وكامنٍ ومتحركٍ وساكنٍ وجليلٍ وحقير، عَلِم بسابق علمِه عددَ أنفاسِ خلقِه وحركاتِهم وسكناتِهم وأعمالَهم وأرزاقَهم وآجالَهم، ومَن هو منهم من أهل الجنةِ ومن هو منهم من أهلِ النارِ في العذاب المُهين: ﴿۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩].

ما من جبل إلا ويعلم ما في وَعْره، ولا بحرٍ إلا ويدري ما في قعره: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [فاطر: ١١].

القابضُ الباسط، فيقبِض عمن يشاء رزقَه فيَقْدِره عليه، ويبسُطه على من يشاء فيوسع عليه، وكذا له القبضُ والبسْطُ في أعمال عبادِه وقلوبِهم، كلُ ذلك إليه، إذ

هو المتفردُ بالإحياء والإماتةِ والهدايةِ والإضلال والإيجادِ والإعدامِ وأنواعِ التصرفِ والتدبيرِ.

الخافضُ الرافعُ، الضارُّ النافعُ، المُعطي المانع، فلا رافعَ لمن خفض، ولا خافضَ لمن رفعه، ولا نافعَ لمن ضرّ، ولا ضارَّ لمن نفعه، ولا مانعَ لما أعطى، ولا مُعطيَ لمن هو له مانع، فلو اجتمع أهلُ السمواتِ السبعِ والأرضينَ السبعِ وما فيهن وما بينهما على خفْض من هو رافعُه أو ضرِّ مَن هو نافعُه أو إعطاء مَن هو مانعُه لم يك ذلك في استطاعتهم بواقع: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأنعام: ١٧].

المُعِزّ المُذِل الذي أعز أولياءَه المؤمنين في الدنيا والآخرة، وأيَّدهم بنصره المُبينِ وبراهينِه القويمةِ المتظاهرةِ، وأذل أعداءَه في الدارين وضَرب عليهم الذِلةَ والصَّغارَ وجعل عليهم الدائرةَ، فما لِمَن والاه وأعزه من مُذِل، وما لِمن عاداه وأذله من ولي ولا نصير.

السميعُ البصيرُ، لا كسمع ولا بَصَر أحدٍ من الورى، القائلُ لموسى وهارونَ: ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦]. فمن نفى عن الله ما وصف به نفسَه أو شبَّه صفاتِه بصفات خلقِه فقد افترى على الله كذِباً وقد خاب من افترى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣].

الحكَمُ العدْلُ في قضائه وقدَره وشرعه وأحكامِه قولاً وفعلاً: ﴿إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [هود: ٥٦].

فلا يحيفُ في حكمه ولا يجور: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦]. الذي حرَّم الظلم على نفسه وجعله بين عباده محرَّماً ووعد الظالمين الوعيدَ الأكيدَ، وفي الحديث: «**إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يُفلِته**»[1]، ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٨/ ٣٥٤ رقم ٤٦٨٦) ومسلم (٤/ ١٩٩٧ رقم ٦١/ ٢٥٨٣)، عن أبي بُرْدَة عن أبي موسى الأشعري.

(*) لَيُملي للظالم: أي يؤخر عقوبته، ويتركه ويمهله.

وهو الذي يضع الموازين القِسطَ ليوم القيامة فلا تُظلم نفس شيئاً بل يُحصي عليهم الخَردلةَ والذرَّةَ والفتيلَ والقِطمير.

اللطيفُ بعباده معافاةً وإعانةً وعفواً ورحمةً وفضلاً وإحساناً، ومن معاني لطفِه إدراكُ أسرارِ الأمورِ حيث أحاط بها خِبرةً وتفصيلاً وإجمالاً وسرّاً وإعلاناً.

الخبيرُ بأحوال مخلوقاتِه وأقوالِهم وأفعالِهم، ماذا عمِلوا، وكيف عملوا، وأين عمِلوا، ومتى عملوا، حقيقةً وكيفيةً ومكاناً وزماناً: ﴿إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ﴾ [لقمان: ١٦].

الحليمُ فلا يعاجل أهلَ معصيتِه بالعقاب، بل يعافيهم ويُمهلهم ليتوبوا فيتوبَ عليهم إنه هو التوابُ العظيمُ، الذي اتصف بكل معنىً يوجب التعظيمَ، وهل تنبغي العظمةُ إلا لرب الأربابِ؟ خضعت لعظمته وجَبروتِه جميعُ العظماء، وذلَّ لعزته وكِبريائه كلُ كبير.

الغفورُ الشكورُ الذي يغفِر الكثيرَ من الزلل، ويقبل اليسيرَ من صالح العمل، فيضاعفُه أضعافاً كثيرةً ويُثيب عليه الثوابَ الجَلَلَ، وكلُ هذا لأهل التوحيدِ، أما الشركُ فلا يغفره ولا يقبل معه من العمل من قليل ولا كثير.

العليُّ الذي ثبت له كلُ معاني العلوِّ، علوِّ الشأن وعلوِّ القهرِ وعلوِّ الذات، الذي استوى على عرشه وعلا على خلقه بائناً من جميع المخلوقات، كما أخبر بذلك عن نفسه في كتابه وأخبر عنه رسولُه ﷺ في أصح الروايات(١)، وأجمع على ذلك أهلُ الحلِّ والعقدِ بلا نزاعٍ بينهم ولا نكير.

الكبيرُ الذي كلُ شيء دونه، والأرضُ جميعاً قبضتُه يوم القيامةِ، والسمواتُ مطوياتٌ بيمينه كما أخبر بذلك عن نفسه نصّاً بيِّناً مُحكماً.

الحفيظُ على كل شيء، فلا يعزُب عنه مثقالُ ذرةٍ في الأرض ولا في

---

(١) ستأتي قريباً من حديث أبي سعيد الخدري، ومعاوية بن الحكم، وأبي الدرداء، وعبد الله بن عمرو، وعمران بن حصين، وأبي هريرة، وابن عمر، وابن عباس، والنواس بن سمعان وغيرهم.

السماء، الذي وسِع كرسيُّه السمواتِ والأرضَ ولا يؤوده حفظُهما، حفِظَ أولياءَه في الدنيا والآخرة ونجَّاهم من كل أمرٍ خطير.

المُغيث لجميع مخلوقاتِه فما استغاثه ملهوفٌ إلا نجّاه.

الحسيبُ الوكيلُ الذي ما التجأ إليه مُخلِصٌ إلا كفاه، ولا اعتصم به مؤمنٌ إلا حفِظه ووقاه: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣]، فنعم المولى ونعم النصير.

الجليلُ الذي جلَّ عن كل نقصٍ واتصفَ بكل كمالٍ وجلال.

الجميلُ الذي له مُطلقُ الجمالِ في الذات والصفاتِ والأسماءِ والأفعالِ.

الكريمُ الذي لو أن أولَ الخلقِ وآخِرَهم وإنسَهم وجِنَّهم قاموا في صعيد واحدٍ فسألوه فأعطى كلَّ واحدٍ منهم مسألَته ما نقص ذلك مما عنده: **«إلا كما ينقُص المِخْيَطُ إذا أُدْخِلَ البحرَ»**(١) كما روى عنه نبيُّه المصطفى المِفضالُ، ومِن كرمه أن يُقابِلَ الإساءةَ بالإحسان والذنبَ بالغُفران، ويقبَلَ التوبةَ ويعفو عن التقصير.

الرقيبُ على عباده بأعمالِهم، **العليمُ** بأقوالهم وأفعالِهم.

الكفيلُ بأرزاقِهم وآجالِهم وإنشائِهم ومآلِهم، **المجيبُ** لدعائِهم وسُؤالِهم وإليه المصير.

الواسعُ الذي وسِع كلَّ شيء علماً، ووسع خلقَه برزقه ونعمتِه وعفوِه ورحمتِه كرماً وحلماً: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠]، ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣].

الحكيمُ في خلقه وتدبيره إحكاماً وإتقاناً، والحكيمُ في شرعه وقدْرِه عدلاً وإحساناً، وله الحكمةُ البالغةُ والحجةُ الدامغة، ومَن أكبرُ من الله شهادةً وأوضحُ دليلاً وأقومُ برهاناً؛ فهو العدْلُ وحُكمُه عدلٌ وشرْعُه عدلٌ وقضاؤُه عدْلٌ، فله الملكُ وله الحمدُ وهو على كل شيء قديرٌ.

---

(١) وهو جزء من حديث أبي ذر الغفاري الصحيح. أخرجه مسلم (٤/١٩٩٤ ـ ١٩٩٥ رقم ٢٥٧٧).

الودودُ الذي يُحب أولياءَه ويُحبونه كما أخبر عن نفسه في محكم الآيات.

المجيبُ لدعوة الداعي إذا دعاه في أي مكانٍ كان وفي أي وقتٍ من الأوقات، فلا يشغَلُه سمعٌ عن سمع، ولا تختلف عليه المطالبُ ولا تشتبه عليه الأصواتُ، فيكشف الغمَّ ويُذهب الهمَّ، ويُفرّج الكربَ ويستُر العيبَ، وهو السِّتّيرُ.

المَجيدُ الذي هو أهلُ الثناء كما مجّد نفسَه، وهو المُمجَّد على اختلاف الألسُنِ وتبايُنِ اللغاتِ بأنواع التمجيد.

الباعثُ الذي بدأ الخلقَ ثم يعيده، وهو أهونُ عليه، إنه هو الفعّالُ لما يريد.

الشهيدُ الذي هو أكبرُ كلِ شيء شهادةً وكفى بالله شهيداً: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: ٥٣]. **هو الحقُّ** و: ﴿قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ٧٣].

القويُ المتينُ الذي لم يَقُم لقوته شيءٌ وهو الشديدُ المِحال.

الوليُ للمؤمنين فلا غالبَ لمن تولاه، وإذا أراد بقوم سوءاً فلا مردَّ له وما لهم من دونه من والٍ.

الحميدُ الذي ثبت له جميعُ أنواعِ المحامدِ، وهل يثبُت الحمد إلا لذي العزةِ والجلال؛ فله الحمدُ كما يقول وخيراً مما نقول، لا نُحصي ثناءً عليه هو كما أثنى على نفسه، وكيف يُحصي العبدُ الضعيفُ ثناءً على العلي الكبير.

المُحصي الذي أحصى كلَّ شيء عدداً وهو القائل: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَـٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس: ١٢].

المُبدئ المعيدُ، الذي قال وهو أصدق القائلين: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَـٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]، ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧].

وأنّى يُعجزه إعادتُه وقد خلقه من قبلُ ولم يك شيئاً، كلٌ يعلم ذلك ويُقِرُّ به بلا نكيرٍ.

المُحيي المُميتُ، الذي انفرد بالإحياء والإماتةِ، فلو اجتمع الخلقُ على إماتة نفسٍ هو مُحييها أو إحياء نفسٍ هو مُميتُها لم يك ذلك ممكناً، وهل يقدِر المخلوقُ الضعيفُ على دفع إرادةِ الخالقِ العلاّم؟.

الحيُّ الدائمُ الباقي الذي لا يموت وكلُّ ما سواه زائلٌ كما قال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝٢٦ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ۝٢٧﴾ [الرحمن].

القيُّومُ الذي قام بنفسه ولا قِوامَ لخلقه إلا به، ومن آياته أن تقومَ السماءُ والأرضُ بأمره فلا يحتاج إلى شيءٍ وكلُّ شيءٍ إليه فقيرٌ.

الواحدُ الأحدُ الذي لا شريكَ له في إلهيته ورُبوبيّتِه وأسمائِه وصفاتِه وملكوتِه وجَبروتِه وعظمتِه وكِبريائِه وجلالِه، لا ضِدَّ له ولا ندَّ ولا شبيهَ ولا كُفؤَ ولا عديلَ.

الصمدُ الذي يَصمُد إليه جميعُ الخلائقِ في حوائجهم ومسائِلهم، فهو المقصودُ إليه في الرغائب المستغاثُ به عند المصائب، فإليه منتهى الطلباتِ، ومنه يُسأل قضاءُ الحاجات، وهو الذي لا تعتريه الآفاتُ، وهو حسبُنا ونعم الوكيلُ.

فهو **السيدُ** الذي قد كمُلَ في سُؤدُده، **والعظيمُ** الذي قد كمُل في عظمته، **والحليمُ** الذي قد كمُل في حِلمه، **والعليمُ** الذي قد كمُل في علمه.

والحكيمُ الذي قد كمُل في حكمته، وهو الذي قد كمُل في صفات الكمالِ، ولا تنبغي هذه الصفاتُ لغير الملكِ الجليلِ.

القادرُ المُقتدر الذي: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [يـس: ٨٢]، ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ [فاطر: ٤٤].

المقدِّمُ المؤخِّرُ بقدرته الشاملةِ ومشيئتِه النافذةِ على وَفق ما قدّره وسبَق به علمُه وتمَّت به كلمتُه بلا تبديلٍ ولا تغييرٍ.

الأوّلُ فليس قبله شيءٌ، **والآخِرُ** فليس بعدَهُ شيءٌ، **والظاهرُ** فليس فوقه شيءٌ، **والباطنُ** فليس دونه شيءٌ، هكذا فسَّره البشير النذير.

الوالي فلا منازِعَ له ولا مُضادَّ، **المتعالي** عن الشركاء والوزراء والنُظَراء والأنداد.

البَرُّ وصفاً وفِعلاً، ومِن برّه المنُّ على أوليائه بإنجائهم من عذابه كما وعدهم على ألسنة رسلِه، إنه لا يُخلف الميعاد.

التوابُ الذي يرزق من يشاء التوبةَ فيتوبُ عليه، وينجّيه من عذاب السعير.

المنتقمُ الذي لم يَقم لغضبه شيءٌ، وهو الشديدُ العقابِ والبطشِ والانتقامِ.

العفُوُّ بمنّه وكرمِه عن الذنوب والآثام، **الرؤوفُ** بالمؤمنين، ومِن رأفته بهم أن نزَّل على عبده آياتٍ مبيِّناتٍ ليخرِجهم من ظلمات الكفرِ إلى نور الإسلام، ومن رأفته بهم أن اشترى منهم أنفسَهم وأموالَهم بأن لهم الجنةَ مع كون الجميع مُلكَه، ولم ينزعْ عنهم التوبةَ قبل الحِمام، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥۖ نُورُهُمۡ يَسۡعَىٰ بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [التحريم: ٨].

مالكُ المُلكِ، يؤتي الملكَ من يشاء وينزِع الملك ممن يشاء، ويُعز من يشاء ويُذل من يشاء.

ذي الجلال والإكرامِ والعِزةِ والبقاء، والملكوتِ والجَبروت، والعظمةِ والكبرياء.

المُقسط الذي أرسل رسلَه بالبينات وأنزل معهم الكتاب والميزانَ ليقوم الناسُ بالقسط وما للظالمين من نصير.

الجامعُ لِشَتات الأمورِ، وهو جامعُ الناسِ ليوم لا ريبَ فيه إن الله لا يُخلف الميعاد.

الغنيُّ المغني فلا يَحتاج إلى شيء ولا تزيد في مُلكِه طاعةُ الطائعين، ولا تنقُصه معصيةُ العاصين من العباد، وكلُّ خلقِه مفتقرون إليه لا غنىً بهم عن بابه طرفةَ عينٍ، وهو الكفيلُ بهم رعايةً وكفايةً، وهو الكريمُ الجوادُ، وبجوده عمَّ جميعَ الأنامِ من طائعٍ وعاصٍ وقويٍ وضعيفٍ وشَكورٍ وكَفور ومأمورٍ وأمير.

نورُ السمواتِ والأرض ومَن فيهن كما وصف نفسَه بذلك في كتابه ووصفه به محمدٌ عبدُه ورسولُه وحبيبُه ومصطفاه، وقال ﷺ مستعيذاً به: «**أعوذُ بنور وجهِك الذي أشرقت له الظلماتُ وصَلح عليه أمرُ الدنيا والآخرة أن يحِلَّ بي غضبُك أو ينزِل بي سخطُك، لك العُتبى حتى ترضَى، ولا حولَ ولا قوةَ إلا بالله**»[1].

(١) وهو حديث ضعيف.

فبصفات ربِّنا تعالى نؤمن، ولكتابه وسنةِ رسولِه نُحكِمُ، وبحكمهما نرضى ونُسلِّم، وإن أبى الملحدُ إلا جُحودَ ذلك وتأويلَه على ما يوافق هواه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ۗ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [فصلت: ٤٠].

الهادي الذي بيده الهدايةُ والإضلالُ، فلا هاديَ لمن أضلَّ ولا مُضلَّ لمن هدى: ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾ [الكهف: ١٧]، ﴿مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الأنعام: ٣٩]، ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ﴾ [البقرة: ١٢٠]، ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ﴾ [الحج: ٨].

البديعُ الذي أبدع السمواتِ والأرضَ وما بينهما بلطيف صنعِه وبديعِ حكمته بلا مُعين ولا مِثال.

الباقي الذي كلُ شيء هالكٌ إلا وجهَه، فلا ابتداءَ لأوَّليَّته، ولا لآخريَّته زوال.

الوارثُ الذي يرِث الأرضَ ومن عليها وهو خيرُ الوراثين. **وإليه المرجِعُ والمآلُ**، فبإيجاده كلُ موجودٍ وُجد، وإليه كلُ الأمورِ تصير.

الرشيدُ في كل أقوالِه وأفعالِه، فبالرشاد يأمرُ عبادَه وإليه يهديهم.

الصبورُ الذي لا أحدَ أصبرُ منه على أذى سمعه، ينسُبون له الولدَ ويجحَدون أن يُعيدهم ويُحييَهم، وكلُ ذلك بسمعه وبصرِه وعلمِه لا يخفى عليه منهم شيءٌ ثم هو يرزقُهم ويعافيهم، ذلك بأنهم لم يبلُغوا نفعَه فينفعُونه ولا ضُرَّه فيضُرُّونه، وإنما يعود نفعُ طاعتِهم إليهم، ووبالُ عصيانِهم عليهم، واستغنى اللّهُ واللّهُ غنيٌّ حميدٌ: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [التغابن: ٧].

= أخرجه ابن إسحاق بدون سند (٢/ ٧١ ـ سيرة ابن هشام).
وأخرجه الطبراني كما في «مجمع الزوائد» (٦/ ٣٥) وقال الهيثمي: «وفيه ابن إسحاق وهو مدلس ثقة، وبقية رجاله ثقات».
وحكم المحدث الألباني على الحديث بالضعف في تخريجه لفقه السيرة للغزالي ص١٢٦.

أحمَدُه تعالى على جزيل إنعامِه وإفضالِه، وأشكُره على جليل إحسانِه ونوالِه، وله الحمدُ على أسمائه الحسنى وصفاتِ كمالِه ونُعوتِ جلالِه، وله الحمدُ على عدله قدراً وشرعاً، وله الحمدُ في الأولى والآخرةِ وهو الحكيم الخبير.

وأشهد أن لا إله إلا اللَّهُ وحدَه لا شريكَ له، الملكُ الحقُّ العليُّ الكبير، تعالى في إلهيته وربوبيتِه عن الشريك والوزير، وتقدّس في أحَديَّته وصَمديَّته عن الصاحبة والولدِ والوالدِ والوليِّ والنصير، وتنزَّه في صفات كمالِه ونعوتِ جلالِه عن الكُفؤ والنظير، وعزَّ في سلطان قَهرِه وكمالِ قدرتِه عن المنازِعِ والمُغالِبِ والمُعينِ والمُشير، وجلَّ في بقائه وديموميّته وغِناه وقيّوميّتِه عن المُطعم والمُجير.

وأشهد أن سيدَنا ونبيَّنا محمداً عبدُه ورسولُه البشيرُ النذير، المرسَلُ إلى الناس كافةً بالملَّة الحنيفيةِ والهُدى المنير.

بعثه اللَّهُ عز وجل رحمةً للعالمين، وأنزل عليه كتابَه المهيمن والنورَ المُبين، والهدى المستبين والمنهَج المستنير، والشركُ مضطرِمةٌ نارُه، طائرٌ شرارُه، مرتفعٌ غبارُه، لا مُغيِّرَ له ولا نكيرَ؛ فقام بتبليغ الرسالةِ حقَّ القيام، وجاهد في الله حقَّ جهادِه إعلاءً لكلمة اللَّهِ الملكِ العلاَّم، حتى جاء الحقُّ وزهق الباطلُ، وأدبر ليلُ الكفرِ والضلالةِ وانفجر فجرُ الإيمانِ والإسلام، ونُشرت أعلامُ التوحيد وعلا بنيانُه وأشرقت أنوارُه، ونُكّست رايةُ الشركِ وانكسرت شوكتُه وخَمدتْ نارُه ورُميَ بناؤُه بالدَّمدَمة والتكسيرِ والتدمير.

صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبِه شموسِ الهدايةِ وأوعيةِ العلم وأنصارِ الدين القويم، وتابعيهم: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

وعلى من اقتفى أثرَهم واتبع سيرَهم وسلك صراطَهم المستقيم، وجعلنا من المقتدين بهم المتمسّكين بالكتاب والسنةِ نقف معهما وبسيرهما نسير.

[لا نجاح للعباد إلا بمعرفة الله وتوحيده]

أما بعد؛ فاعلموا رحمكم اللَّهُ أنه لا صلاحَ للعباد ولا فلاحَ ولا نجاحَ ولا حياةَ طيبةً ولا سعادةَ في الدارين ولا نجاةَ من خزي الدنيا وعذابِ الآخرةِ إلا

بمعرفة أولِ مفروضٍ عليهم والعملِ به، وهو الأمرُ الذي خلقهم اللَّهُ عز وجل له وأخذَ عليهم الميثاقَ به وأرسلَ به رسلَه إليهم وأنزل به كتبَه عليهم، ولأجله خُلقت الدنيا والآخرةُ والجنةُ والنارُ، وبه حقَّت الحاقةُ ووقعت الواقعة، وفي شأنِه تُنصب الموازينُ وتتطايرُ الصحفُ، وفيه تكون الشقاوةُ والسعادةُ، وعلى حسب ذلك تُقسَم الأنوارُ، ومن لم يجعل اللَّهُ له نوراً فما له من نور.

وذلك الأمرُ هو[1] معرفةُ اللَّهِ عز وجل بإلهيته وربوبيتِه وأسمائِه وصفاتِه وتوحيدِه بذلك، و[2]معرفةُ ما يناقضه أو بعضِه من الشرك والتعطيلِ والتشبيهِ والتشبهِ واجتنابِ ذلك، والإيمانُ بملائكتِه وكتبِه ورسلِه واليومِ الآخِرِ وبالقدرِ خيرِه وشرِه.

[2]وتوحيدُ الطريقِ إلى الله عز وجل بمتابعة كتابِه ورسولِه والعملِ على وَفق ما شرعه الله عز وجل ورسولُه ﷺ، ومعرفةُ ما يناقضها من البدَع المُضِلَّة، ويَميل بالعبد عنها فيجانبُها كلَّ المجانبَةِ ويعوذ بالله منها؛ فإن اللَّهَ تعالى أنزل كتابَه تبياناً لكل شيء، وتفصيلَ كلِّ شيء وقال: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]، وقال: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٣].

وأرسل رسولَه بذلك الكتابِ مبلِّغاً ومبيِّناً ليقرَأَه على الناس على مُكث ويبيّنه لهم أتمَّ البيانِ ويحكُمَ فيما هم فيه يختلفون، ويهديَهم به إلى صراط مستقيم، فقال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل: ٨٩].

وقال تعالى: ﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف: ١١١]، وقال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤].

وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [النحل: ٦٤].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ [المائدة].

ولا شفاءَ للقلوب والأرواحِ ولا حياةَ لها إلا بطاعة اللّهِ تعالى ورسولِه ﷺ، والاستجابةِ لله تعالى ولرسوله ﷺ، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَأَنتُمۡ تَسۡمَعُونَ ٢٠ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ٢١ ۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلۡبُكۡمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ ٢٢ وَلَوۡ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمۡ خَيۡرٗا لَّأَسۡمَعَهُمۡۖ وَلَوۡ أَسۡمَعَهُمۡ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعۡرِضُونَ ٢٣ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ﴾ [الأنفال: ٢٠ ـ ٢٤]. الآيات.

وقال تعالى: ﴿۞ إِنَّمَا يَسۡتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسۡمَعُونَۘ وَٱلۡمَوۡتَىٰ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيۡهِ يُرۡجَعُونَ﴾ [الأنعام: ٣٦].

ولم يُنجِ اللّهُ تعالى من عذابه ولم يَكتُب رحمَته إلا لمن اتبع كتابَه ورسولَه كما قال تعالى: ﴿عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنۡ أَشَآءُۖ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ ١٥٦ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٥٧﴾ [الأعراف].

وقد كان الرسولُ يُبعث في قومه خاصةً وبُعث محمدٌ ﷺ إلى الناس كافة كما قال تعالى: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [سبأ: ٢٨].

ولم يتوفَّه اللّهُ تعالى حتى أكمل له الدين وبلّغ البلاغَ المبين، وبيّن للناس ما نُزّل إليهم أوضحَ التبيين، وترك أمتَه على المَحجّة البيضاء، ليلُها كنهارها، لا يزيغ عنها بعده إلا هالكٌ، وما من طائرٍ يطير بجناحيه إلا وقد ذكر لهم منه علماً.

وهدى اللّهُ به الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه واللّهُ يهدي من يشاء إلى صراطٍ مستقيم، كما قال تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ

وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: ٢١٣].

قال ابن عباس[١] رضي الله عنهما: (كان بين نوحٍ وآدمَ عشرَةُ قُرونٍ كلُّهم على شريعة من الحق فاختلفوا فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين)، وكذلك هي في قراءة عبدِ الله[٢] وأُبيِّ بنِ كعبٍ[٣]، وهذا التفسيرُ مرويٌّ عن قَتادةَ[٤] ومُجاهدٍ[٥] أيضاً.

---

(١) أخرجه ابن جرير الطبري في «جامع البيان» (٤/ ٢٧٥ رقم ٤٠٤٨ ـ شاكر).
والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٤٤٢) وقال: حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي، وهو كما قالا، ولكنه موقوف على ابن عباس. ولا يقبل مثل هذا إلا من كتاب أو سنة. وعلى هذا فله حكم الرفع، لأنه ليس للعقل فيه مجال.

(٢) أخرجه ابن جرير الطبري في «جامع البيان» (٤/ ٢٧٩ رقم ٤٠٥٧) و(٤/ ٢٨٥ رقم ٤٠٦٣) عن السدي.

(٣) أخرجه ابن جرير الطبري في «جامع البيان» (٤/ ٢٧٧ ـ ٢٧٨ رقم ٤٠٥٣).

(٤) أخرجه ابن جرير الطبري في «جامع البيان» (٤/ ٢٧٦ رقم ٤٠٤٩) عنه.

(٥) أخرجه ابن جرير الطبري في «جامع البيان» (٤/ ٢٧٧ رقم ٤٠٥٢).
قال ابن جرير (٤/ ٢٧٩ ـ ٢٨٠): «يجوز أن يكون ذلك الوقت الذي كانوا فيه أمة واحدة من عهد آدم إلى عهد نوح عليهما السلام، كما روى عكرمة عن ابن عباس، وكما قال قتادة.
وجائزٌ أن يكون: كان ذلك حين عرَض على آدم خلقه؛ وجائز أن يكون: كان ذلك في وقت غير ذلك ـ ولا دلالة من كتاب الله ولا خبر يثبت به الحجة، على أن هذه الأوقات كان ذلك. فغيرُ جائز أن نقول فيه إلا ما قال الله عز وجل: من أن الناس كانوا أمة واحدة، فبعث الله فيهم لما اختلفوا، الأنبياء والرسل.
ولا يضرُّنا الجهل بوقت ذلك، كما لا ينْفَعُنا العلمُ به، إذا لم يكن العلم به لله طاعة. غير أنه أي ذلك كان، فإنَّ دليلَ القرآن واضح على أن الذين أخبر الله عنهم أنهم كانوا أمة واحدة، إنما كانوا أمة واحدة على الإيمان ودين الحق، دون الكفر بالله والشرك به. وذلك أن الله عز وجل قال في السورة التي يذكر فيها «يونس»: ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلاَّ أُمَّةً واحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلاَ كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [يونس: ١٩].
فتوَّعد جل ذكره على الاختلاف لا على الاجتماع، ولا على كونهم أمة واحدة. ولو كان اجتماعهم قبل الاختلاف كان على الكفر، ثم كان الاختلاف بعد ذلك، لم يكن إلا بانتقال بعضهم إلى الإيمان. ولو كان ذلك كذلك، لكان الوعد أولى بحكمته جل ثناؤه في ذلك الحال من الوعيد، لأنها حال إنابة بعضهم إلى طاعة، ومحالٌ أن يتوعد في حال التوبة والإنابة، ويترك ذلك في حال اجتماع الجميع على الكفر والشرك» اهـ.

وقوله: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ﴾ [البقرة: ٢١٣]، أي من بعد ما قامت الحُججُ عليهم، وما حملهم على ذلك إلا البغيُ من بعضهم على بعض.

وقوله تعالى: ﴿فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢١٣]، قال النبي ﷺ: **«نحن الآخِرون السّابقون يومَ القيامةِ، فنحن أولُ الناسِ دخولاً الجنة، بَيْد أنهم أُوتوا الكتابَ من قبلنا وأُوتيناه مِن بعدِهم، فهدانا الله لِما اختلفوا فيه من الحق بإذنه؛ فهذا اليومُ الذي اختلفوا فيه وهدانا الله له، فالناسُ لنا فيه تَبعٌ فغداً لليهود وبعدَ غدٍ للنصارى»**. رواه عبدُ الرزاق[1]، وهو في الصحيح[2] من طُرُق بألفاظ.

---

(١) في تفسيره (١/ ٨٢ ـ ٨٣) من طرق:
الأولى: عن سليمان الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة.
وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٤/ ٢٨٣ رقم ٤٠٦٠) وأحمد (١٣/ ١٣٢ رقم ٧٣٩٥ ـ شاكر).
الثانية: عن همام بن منبه عن أبي هريرة.
وأخرجه أحمد في «المسند» (١٦/ ٢٧ ـ ٢٨ رقم ٨١٠٠ ـ شاكر) وهمام بن منبه في صحيفته (ص٤ رقم١).
الثالثة: عن ابن طاوس عن أبيه عن أبي هريرة.
وأخرجه أحمد (١٤/ ١٢٥ رقم ٧٦٩٣) عن ابن طاوس عن أبيه، عن همام بن منبه كلاهما عن أبي هريرة.
والخلاصة أن الحديث صحيح.

(٢) أخرج البخاري (٢/ ٣٥٤ رقم ٨٧٦) ومسلم (٢/ ٥٨٥ رقم ١٩/ ٨٥٥) من طريق أبي الزناد، عن الأعرج عن أبي هريرة.
وأخرج البخاري (٢/ ٣٨٢ رقم ٨٩٦) و(٦/ ٥١٥ رقم ٣٤٨٦) من طريق ابن طاوس عن أبيه عن أبي هريرة.
وأخرج مسلم (٢/ ٥٨٥ رقم (٠٠٠)/ ٨٥٥) من طريق أبي الزناد عن الأعرج، وابن طاوس عن أبيه، كلاهما عن أبي هريرة.
وأخرج مسلم (٢/ ٥٨٥ ـ ٥٨٦ رقم ٢٠/ ٨٥٥) من طريق الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة.
وأخرج البخاري (١١/ ٥١٧ رقم ٦٦٢٤) ومسلم (٢/ ٥٨٦ رقم ٢١/ ٨٥٥) من طريق همام بن منبه، عن أبي هريرة.
(*) وأخرج البخاري الجزء الأول من الحديث: (٦/ ١١٦ رقم ٢٩٥٦) و(١/ ٣٤٥ رقم ٢٣٨) و(١٢/ ٢١٥ رقم ٦٨٨٧) و(١٣/ ٤٦٤ رقم ٧٤٩٥) و(١١/ ٥١٧ رقم ٦٦٢٤) و(١٢/ ٤٢٣ رقم ٧٠٣٦) من طريق همام بن منبه عن أبي هريرة.

وعن عبدِ الرحمنِ بنِ زيدِ بنِ أسلمَ عن أبيه[1] في قوله تعالى: ﴿فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢١٣]، فاختلفوا في يوم الجمعةِ فاتخذوا اليهودُ يومَ السبتِ والنصارى يومَ الأحد، فهدى اللَّهُ أمةَ محمدٍ ليوم الجمعة، واختلفوا في القِبلة فاستقبلت النصارى الشرقَ واليهودُ بيتَ المقدس، وهدى الله تعالى أمةَ محمدٍ للقبلة.

واختلفوا في الصلاة، فمنهم من يركع ولا يسجُد ومنهم من يسجُد ولا يركع، ومنهم من يصلي وهو يتكلم، ومنهم مَن يصلي وهو يمشي، فهدى الله تعالى أمةَ محمدٍ للحق من ذلك.

واختلفوا في إبراهيمَ عليه الصلاة والسلام، فقالت اليهودُ كان يهودياً، وقالت النصارى كان نصرانياً، وجعله الله حنيفاً مسلماً، فهدى اللَّهُ أمةَ محمدٍ إلى الحق من ذلك.

واختلفوا في عيسى عليه الصلاة والسلام، فكذبت اليهودُ وقالوا لأمه بهتاناً عظيماً، وجعلَته النصارى إلهاً وولداً، وجعله الله تعالى روحَه وكلمتَه، فهدى اللَّهُ أمةَ محمد ﷺ إلى الحق من ذلك.

وقال الربيعُ بنُ أنسٍ[2] في قوله عز وجل: ﴿فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢١٣]: أي عند الاختلافِ أنهم كانوا على ما جاءت به الرسلُ قبلَ الاختلافِ، أقاموا على الإخلاص لله عز وجل وحده وعبادتِه لا شريكَ له، وإقامِ الصلاة وإيتاء الزكاة، فأقاموا على الأمر الأولِ الذي كان قبلَ الاختلافِ، وكانوا شهداءَ على الناس يومَ القيامة، شهداءَ على قومِ نوح وقوم هودٍ وقومِ صالحٍ وقوم شعيبٍ وآلِ فرعونَ، وأن رسُلَهم قد بلَّغوهم وأنهم كذبوا رسُلَهم، وفي قراءة أبيِّ بنِ كعبٍ[3]: وليكونوا شهداءَ على الناس يوم القيامة، ﴿وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: ٢١٣].

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٤/ ٢٨٤ رقم ٤٠٦١ ـ شاكر).
(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٤/ ٢٨٥ رقم ٤٠٦٢ ـ شاكر).
(٣) انظر «جامع البيان» (٤/ ٢٨٥) وتفسير ابن كثير (١/ ٢٥٨).

وكان أبو العاليةِ رحمه الله تعالى يقول[1]: في هذه الآية المخرجُ من الشبهات والضلالاتِ والفتنِ.

وفي الصحيحين[2] عن عائشةَ ﵂ أن رسولَ الله ﷺ كان إذا قام يصلي من الليل قال: **«اللهم ربَّ جبريلَ وميكائيلَ وإسرافيلَ، فاطرَ السمواتِ والأرضِ عالمَ الغيبِ والشهادةِ أنت تحكم بين عبادِك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدِني لما اختُلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم»**.

وفي الدعاء المأثور[3]: **«اللهم أرِنا الحقَّ حقاً وارزُقنا اتباعَه، وأرِنا الباطلَ باطلاً وارزُقنا اجتنابَه، ولا تجعلْه ملتبِساً علينا فنضِلَّ، واجعلنا للمتقين إماماً»**.

اختلافُ الفِرَقِ الإسلامية

واعلم أنه كما أخبرنا اللَّهُ تعالى عن الأمم السابقةِ أنهم اختلفوا اختلافاً شديداً وافترقوا افتراقاً بعيداً، وفي ذلك أعظمُ واعظٍ وأكبرُ زاجرٍ عن الاختلاف والتفرقِ،

---

(١) انظر «جامع البيان» (٤/ ٢٨٥) وتفسير ابن كثير (١/ ٢٥٨).

(٢) لم يخرجه البخاري بل أخرجه مسلم رقم (٧٧٠) وأبو داود رقم (٧٦٧) والترمذي رقم (٣٤٢٠) والنسائي (٣/ ٢١٢ ـ ٢١٣) وابن ماجه رقم (١٣٥٧) وأحمد (٦/ ١٥٦) وأبو عوانة (٢/ ٣٠٤ ـ ٣٠٥، ٣٠٥) والبغوي رقم (٩٥٢) من طرق...

(٣) ذكره ابن كثير في تفسيره (١/ ٢٥٨) بدون سند ولا راوٍ ولا مخرِّج.

(*) وذكر الغزالي في الإحياء (٢/ ٣٦٩) الدعاء التالي:

«اللهم أرني الحق حقاً فأتبعه، وأرني المنكر منكراً وارزقني اجتنابه، وأعذني من أن يشتبه عليَّ فأتبع هواي بغير هدى منك، واجعل هواي تبعاً لطاعتك، وخذ رضا نفسك من نفسي في عافية، واهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم».

قال العراقي: لم أقف لأوله على أصل. وروى المستغفري في الدعوات من حديث أبي هريرة كان النبي ﷺ يدعو فيقول: **«اللهم إنك سألتنا من أنفسنا ما لا نملكه إلا بك فأعطنا منها ما يرضيك عنا»**، وفيه: ولهان بن خبير ضعفه الأزدي.

ولمسلم ـ رقم ٧٧٠ ـ من حديث عائشة فيما كان يفتتح به صلاته من الليل: **«اهدني لما اختلف فيه»** إلى آخر الحديث وقد تقدم.

قال ابن السبكي: (٦/ ٣٢٥) لم أجد له إسناداً.

[تخريج أحاديث إحياء علوم الدين، للعراقي وابن السبكي والزبيدي. استخراج أبي عبد الله محمود بن محمد الحداد (٣/ ١٤١٨ رقم ٢١٧١)].

ولم يقتصر سبحانه في تذكيرنا بذلك عليه بل زجَرنا عن الاختلاف زجْراً شديداً، وتوعّد على ذلك وعيداً أكيداً، فقال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران: ١٠٥ ـ ١٠٦]. قال ابنُ عباس[١] رضي الله عنهما: تبيضُّ وجوهُ أهلِ السنة والائتلافِ، وتسوَدُّ وجوهُ أهلِ البدعِ والاختلاف.

ثم فصّل تعالى مآلَ الفريقين، وأين تُوصِل أهلَها كلٌّ من الطريقين، فقال تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٠٧﴾﴾ [آل عمران].

وحذَّرنا عن ذلك نبيُّنا محمدٌ ﷺ الذي هو أولى بنا من أنفسنا فقال ﷺ: **«ألا وإن مَن كان قبلكم من أهل الكتابِ افترقوا على ثنتين وسبعينَ مِلةً، وإن هذه الملةَ ستفترق على ثلاث وسبعين، ثنتان وسبعون في النار وواحدةٌ في الجنة وهم الجماعة»**[٢].

---

(١) أخرجه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (١/ ٧٩ رقم ٧٤) موقوفاً.
وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٢/ ٦٣) إلى ابن أبي حاتم، وأبو نصر في «الإبانة» والخطيب في «تاريخه» واللالكائي في «السنة».
وذكر السيوطي كذلك أن هذا الأثر الموقوف ورد مرفوعاً عن ابن عمر، وأبي سعيد الخدري.
وقد ذكر ابن كثير أثر ابن عباس في تفسيره (٢/ ١٠٥ ـ ١٠٦) بدون سند وكذلك البغوي (٢/ ٨٧).

(٢) وهو حديث حسن.
أخرجه أحمد (٤/ ١٠٢) وأبو داود رقم (٤٥٩٧) والدارمي (٢/ ٢٤١) والحاكم (١/ ١٢٨) والآجري في «الشريعة» (ص١٨) وابن بطة في «الإبانة» (١/ ٣٧١ رقم ٢٦٨ك١) والمرزوي في «السنة» رقم (٥٠، ٥١) وابن أبي عاصم في «السنة» رقم (١) و(٢) و(٦٥) واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» رقم (١٥٠).
قال الحاكم وقد ساقه عقب حديث أبي هريرة المتقدم: هذه أسانيد تقام بها الحجة في تصحيح هذا الحديث. ووافقه الذهبي.
وقال ابن حجر في «تخريج أحاديث الكشاف» (ص٦٣): إسناده حسن.
وقال الألباني في «ظلال الجنة»: حديث صحيح بما قبله وما بعده.
وانظر شواهد هذا الحديث في «الصحيحة» رقم (٢٠٤).

وفي بعض الرواياتِ: «هم مَن كان على مثل ما أنا عليه اليومَ وأصحابي»[1].

وقد حصل مصداقُ ما أخبر به الرسولُ ﷺ وهو الصادقُ المصدوقُ، من الافتراق وتفاقُمِ الأمرِ وعِظَمِ الشِقاق، فاشتد الاختلافُ ونَجمت البدعُ والنفاق؛ فافترقوا في أسماء اللّهِ تعالَى وصفاتِه إلى نُفاةٍ مُعطِّلة وغُلاةٍ ممثِّلة، وفي باب الإيمان والوعدِ والوعيدِ إلى مُرْجِئة ووعيديةٍ من خوارجَ ومعتزلة، وفي باب أفعالِ اللّهِ وأقدارِه إلى جبرية غُلاةٍ وقدَريةٍ نُفاةٍ، وفي أصحاب رسولِ الله ﷺ وأهل بيتِه إلى رافضة غُلاةٍ وناصبةٍ جُفاة، إلى غير ذلك من فِرَق الضلالِ وطوائِف البدعِ والانتحال، وكلُ طائفةٍ من هذه الطوائفِ قد تحزّبت فِرَقاً وتشعّبت طُرقاً، وكلُ فرقةٍ تكفِّر صاحبتِها وتزعُم أنها هي الفِرقةُ الناجيةُ المنصورة.

---

(١) هذا اللفظ رواه جماعة من الصحابة: منهم عبد الله بن عمرو، وسعد بن أبي وقاص، ومعاوية بن أبي سفيان، وأنس بن مالك، وعوف بن مالك، وأبو هريرة، وعلي وغيرهم.

١ ـ عبد الله بن عمرو.

أخرجه الترمذي رقم (٢٦٤١) من طريق أبي داود الحضري عن سفيان به، وقال الترمذي: هذا حديث مفسر غريب لا نعرفه مثل هذا إلا من هذا الوجه.

وأخرجه المروزي في «السنة» رقم (٥٩) من طريق عبد الرحمن بن محمد المحاربي عن الأفريقي به.

وأخرجه اللالكائي رقم (١٤٧) من طريق قبيصة قال: حدثنا سفيان به.

كما أخرجه ابن وضاح (ص٨٥) من طريق إسماعيل بن عياش عن الأفريقي به.

وكذا أخرجه الآجري في «الشريعة» (ص١٥).

والحديث ضعيف لسببين:

الأول: أن مداره على الأفريقي وهو ضعيف الحفظ.

والثاني: أن المحاربي مدلس ولم يصرح فيه بالتحديث بل عنعنه.

وقال الحاكم في «المستدرك» (١/١٢٨): وقد روى هذا الحديث عن عبد الله بن عمرو بن العاص بإسنادين تفرد به عبد الرحمن بن زياد الأفريقي، والآخر: كثير بن عبد الله المزني ولا تقوم بهما الحجة.

هذا وقد حسَّن الألباني الحديث في «صحيح الجامع» رقم (٥٢١٩).

قلت: وللحديث طرق يتقوى بها.

وانظر تخريج أحاديث الصحابة الباقين في كتابنا: «إعلام الأنام بعقيدة الإسلام».

وخلاصة القول أن الحديث حسن لغيره.

الفرقةُ الناجيةُ

وقد أخبر الصادقُ المصدوقُ ﷺ أن الفرقةَ الناجيةَ هم من كان على مثل ما كان عليه هو وأصحابُه، وليس أحدٌ من هؤلاء كذلك، بل إنهم قد ضلُّوا من قبلُ وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل.

وذلك لأنه لا يُعرَف ما كان عليه النبيُّ ﷺ وأصحابُه إلا من طريق سُننِه المرويةِ وآثارِه المُصطفوية التي هي الشريعةُ الغراءُ والمَحجّةُ البيضاء، وهؤلاء من أبعد الناسِ عنها وأنفرِهم منها، وإنما تصلُح هذه الصفة لَحملَتها وحُفّاظِها ونُقّادِها المنقادين لها المتمسكين بها، الذابّين عنها، يقِفون عندها ويسيرون بسيرها، لا ينحرفون عنها يميناً ولا شمالاً، ولا يقدّمون عليها لأحد مَقالاً، ولا يبالون مَن خالفهم ولا من خذلهم، ولا يضُرّهم ذلك حتى يأتيَ أمرُ اللّهِ تبارك وتعالى.

أعني بذلك أئمةَ الحديثِ وجَهابذةَ السنةِ وجيشَ دولتِها، المرابطين على ثغورها، الحافظين حدودها، الحامين حَوزتَها، وفقهم اللّهُ عز وجل للاستضاءة بنورها والاهتداء بهديها القويمِ، وهداهم لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه واللّهُ يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، فآمنوا بما أخبر الله به في كتابه وأخبر به عبدُه ورسولُه محمدٌ ﷺ في سُنته، وتلقَّوه بالقَبول والتسليم إثباتاً بلا تكييفٍ ولا تمثيلٍ وتنزيهاً بلا تحريفٍ ولا تعطيل، فهم الوسطُ في فِرَق هذه الأمةِ كما أن هذه الأمةَ هي الوسطُ في الأمم.

فهم وسطٌ في باب صفاتِ الله تعالى بين أهل التعطيلِ الجَهْمية وأهلِ التمثيلِ المشبّهة، وهم وسطٌ في باب أفعالِ الله تعالى بين الجَبْرية والقدَرية، وفي باب وَعيدِ الله بين المُرجِئة والوعيدية من القدَرية وغيرهم، وفي باب الإيمانِ والدين بين الحَروريةِ والمعتزلة وبين المُرجئة والجَهْمية، وفي أصحاب رسول الله ﷺ بين الرافضة والخوارج.

فهم والله (أهلُ السنة والجماعة)، وهم الطائفةُ المنصورةُ إلى قيام الساعة، الذين لم تزل قلوبُهم على الحق متفقةً مؤتلفةً، وأقوالهم وأعمالُهم وعقائِدُهم على الوحي لا مفترقةً ولا مختلفةً.

فانتدبوا لنُصرة الدين دعوةً وجهاداً، وقاوموا أعداءَه جماعاتٍ وفُرادى، ولم

يخشَوا في الله لومةَ لائم، ولم يبالوا بعداوة مَن عادى، فقهروا البدعَ المُضِلةَ وشرّدوا بأهلها واجتثُّوا شجرةَ الإلحاد بمعاول السُنةِ من أصلها، فبهتوهم بالبراهينِ القطعيةِ في المحافل العديدة، وصنّفوا في رد شُبَهِهِم ودفعِ باطلِهم وإدحاضِ حُججهم الكتبَ المفيدة، فمنهم المتقصّي للرد على الطوائف بأسرها، ومنهم المخلِّصُ لعقائد السلفِ الصالحِ من غيرها.

ولم تنجُمْ بدعةٌ من المضلين الملحدين، إلا ويقيض اللّهُ لها جيشاً من عبادِه المخلصين، فحفِظ اللّهُ بهم دينه على العباد، وأخرجهم بهم من ظلمات الزيغِ والضلالةِ إلى نور الهدى والرشاد، وذلك مصداقُ وعدِ اللّهِ عز وجل بحفظِه الذِكْرَ الذي أنزله، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، وإعلاءً لكلمته وتأييداً لحزبه إذ يقول: ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [الصافات: ١٧٣].

سببُ نظمِ المتن وتأليفِ الشرح

وقد سألني من لا تسعني مخالفتُه من المحبين[١]، أن أنظِم مختصراً يسهُل حفظُه على الطالبين، ويَقْرب منالُه للراغبين، ويُفصحُ عن عقيدة السلفِ الصالحِ ويُبين؛ فأجبتُه إلى ذلك مستعيناً بالله، راجياً الثوابَ من الله، قائلاً لا حولَ ولا قوة إلا بالله.

وضممتُ إلى ذلك مسائلَ نافعةً تتعلق بهذه العصورِ من التنبيه على ما افتُتن به العامةُ من عبادة الأشجارِ والأحجارِ والقبور، ومناقضتِهم التوحيدَ بالشرك الذي هو أقبحُ المحظور، وصَرْفِ جُلِّ العبادةِ لغيرِ الله من الدعاء والرجاء والخوفِ والمحبةِ والذبحِ والنُذور، فيسَّر الله تعالى ذلك بمنه وإفضالِه، وأعانني وله الحمدُ والمنّة على إكماله، وسميتُه (**سُلَّمُ الوصول، إلى مباحث علمِ الأصول**).

فلما انتشر بأيدي الطلاب، وعظُمت فيه رغبةُ الأحباب، سُئل مني أن أعلق عليه تعليقاً لطيفاً، يَحُل مُشكِلَه ويفصِّل مُجملَه، مقتصراً على ذكر الدليلِ ومدلولِه، من كلام اللّهِ تعالى وكلامِ رسولِه، فاستخرتُ اللّهَ تعالى بعلمه، واستقدرتُه بقدرته، فعنَّ لي أن أعزِمَ على ذلك الأمرِ المسؤولِ مستمداً من الله تعالى الإعانةَ على نيل

---

(١) وهو شيخه «القرعاوي».

السُّول، وسمَّيتُه (معارج القبول، بشرح سلم الوصول، إلى علم الأصول).

واللَّهَ أسأل أن يُعينَ على إكمالِه بمنه وفضلِه، وأن ينفعني وطلابَ العلمِ به وبأصلِه، وأن يهديَنا الصراطَ المستقيمَ، ويجعلَنا من أنصار التوحيدِ وأهلِه، إنه سميعٌ قريبٌ مجيب، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.



نصُّ منظومة

سُلَّمُ الوُصُول، إلى عِلم الأصُول
في توحيد الله واتِّباع الرَّسُول ﷺ[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

أَبْدَأُ بِاسْمِ اللَّهِ مُسْتَعِينَا ... رَاضٍ بِهِ مُدَبِّراً مُعِينَا

والْحَمْدُ لِلَّهِ كَمَا هَدَانَا ... إِلَى سَبِيلِ الْحَقِّ واجْتَبَانَا

أَحْمَدُهُ سُبْحَانَهُ وَأَشْكُرُهْ ... وَمِنْ مَسَاوِي عَمَلِي أَسْتَغْفِرُهْ

وأَسْتَعِينُهُ عَلَى نَيْلِ الرِّضَا ... وأَسْتَمِدُّ لُطْفَهُ فِيمَا قَضَى

وبعدُ: إني بالْيَقِينِ أَشْهَدُ ... شَهَادَةَ الإخْلاصِ أَنْ لا يُعْبَدُ

بِالحقِّ مألُوهٌ[2] سِوَى الرَّحْمَنِ ... مَنْ جَلَّ عَنْ عَيْبٍ وَعَنْ نُقْصَانِ

وأَنَّ خَيْرَ خَلْقِهِ محمَّدا ... مَنْ جاءَنَا بالْبَيِّنَاتِ والْهُدَى

رسولُه إلى جَمِيعِ الْخَلْقِ ... بالنُّورِ والْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ

صلَّى عَلَيْهِ رَبُّنَا وَمَجَّدا ... والآلِ[3] وَالصَّحْبِ دَوَاماً سَرْمَدَا

---

(١) طبعت منظومة (سلم الوصول) عدة طبعات، لم تخل من التصحيف والأخطاء المطبعية، وعندي من هذه المنظومة نسخة (مبيضة) كتبها الوالد (الناظم) ـ رحمه الله تعالى ـ بخطه، كنت أريد الاعتماد عليها في سرد نص المنظومة هنا، ولكن عند المقارنة بين أبياتها في هذه النسخة وبين أبياتها الواردة في شرحها (معارج القبول) ـ الطبعة الأولى ـ وجدت اختلافات يسيرة في عدة كلمات استحسن الناظم ـ رحمه الله ـ تعديلها، وإن لم يكن لها أدنى تغيير في المعنى، وقد رأيت أن أجعل من الرواية الواردة في (المعارج) أساساً لنقل المنظومة في هذا الموضع مراعاة للشرح المترتب عليها غالباً، مع العناية بالإشارة في الهامش إلى ما يقابلها في النسخة الخطية المذكورة عند وجود الاختلاف.

(٢) في النسخة الخطية: مألوهاً.

(٣) والآل معطوفاً على الضمير في «عليه» والقاعدة النحوية تقول: «لا يُعطف على الضمير المجرور إلا بإعادة الجار» وعدّ بعضهم العطف بدونه لحناً. ولعل الناظم رحمه الله أخذ برأي من يجيز ذلك من أئمة النحو، أو أن ضرورة الشعر اقتضت ذلك. (أبو مصعب).

وَبَعْدُ: هَذَا النَّظْمُ فِي الأُصولِ لِمَنْ أَرَادَ مَنْهَجَ الرَّسُولِ
سَأَلَنِي إِيَّاهُ مَنْ لا بُدَّ لِي مِنِ امْتِثَالِ سُؤْلِهِ[1] الْمُمتَثَلِ
فَقُلْتُ مَعْ عَجْزِي وَمع إِشْفَاقِي مُعْتَمِداً عَلى الْقَدِيرِ الْبَاقِي:

❁ ❁ ❁

مقدمةٌ

تُعرِّف العبدَ بما خُلِق له، وبأول ما فَرض الله تعالى عليه وبما أخذ الله عليه به الميثاقَ في ظهر أبيه آدمَ، وبما هو صائرٌ إليه

إعْلَمْ بأَنَّ اللهَ جَل وَعَلاَ لَمْ يَتْرُكِ الْخَلْقَ سُدَى وَهَمَلاَ
بَلْ خَلَقَ الْخَلْقَ لِيَعْبُدُوهُ وَبالإِلهِيَّةِ يُفْرِدُوهُ
أَخْرَجَ فيمَا قَدْ مَضَى مِن ظَهْرِ آدمَ ذُرِّيَّتَهُ كَالذَّرِّ
وَأَخَذَ الْعَهْدَ عَلَيْهِمْ أَنَّهُ لاَ رَبَّ معْبُودٌ بحقٍّ غَيرَهُ
وَبَعْدَ هَذَا رُسْلَهُ قَدْ أَرْسَلاَ لَهُمْ وَبالْحَقِّ الْكِتَابَ أَنْزَلاَ
لِكَيْ بِذَا الْعَهْدِ يُذَكِّرُوهم وَيُنذِرُوهُمْ وَيُبَشِّرُوهُمْ[2]
كَيْ لاَ يَكُونَ حُجةٌ لِلنَّاسِ بَلْ لِلَّهِ أَعْلَى حُجَّةٍ عَزَّ وَجَلْ
فَمَنْ يُصَدِّقْهُمْ بِلاَ شِقَاقِ فَقَدْ وَفَى بذَلِكَ الْمِيثَاقِ
وَذَاكَ نَاجٍ مِن عَذَابِ النَّارِ وَذَلِكَ الْوارِثُ عُقْبَى الدَّارِ
وَمَنْ بِهِمْ وَبالكِتَابِ كَذَّبَا وَلاَزَمَ الإِعْرَاضَ عَنْهُ والإِبَا
فَذَاكَ نَاقِضٌ كِلاَ الْعَهْدَيْنِ مُسْتَوْجِبٌ لِلخِزْيِ في الدَّارَيْنِ

---

(١) في النسخة الخطية: أمره. وواضح أنه يقصد بذلك شيخه الداعية المصلح الشيخ عبد الله بن محمد القرعاوي ـ رحمه الله تعالى ـ الذي كان قد طلب منه في نحو سنة ١٣٦٢هـ أيام طلبه للعلم على يديه أن ينظم متناً مختصراً في العقيدة يسهل على الطلاب حفظه واستيعابه، ويكون أيضاً بمثابة اختبار لتحصيله العلمي في هذا الفن، فكانت هذه المنظومة المباركة: (انظر ما قدمته في ترجمته من هذه الطبعة).

(٢) في النسخة الخطية: وينذروهم ويحذروهم.

[ال] ـ فصلُ ـ [الأول]
في كون التوحيد ينقسم إلى نوعين
وبيان النوع الأول
وهو توحيدُ المعرفةِ والإثبات

أَوَّلُ وَاجِبٍ عَلَى الْعَبِيدِ ... مَعْرِفَةُ الرَّحْمَنِ بِالتَّوْحِيدِ
إِذْ هُوَ مِنْ كُلِّ الأَوَامِرِ أَعْظَمُ ... وَهُوَ نَوْعَانِ أَيَا مَنْ يَفْهَمُ
إِثْبَاتُ ذَاتِ الرَّبِّ جَلَّ وَعَلاَ ... أَسْمَائِهِ الْحُسْنَى صِفَاتِهِ الْعُلَى
وَأَنَّهُ الرَّبُّ الْجَلِيلُ الأَكْبَرُ ... الْخَالِقُ الْبَارِئُ وَالْمُصَوِّرُ
بَارِي الْبَرَايَا مُنْشِئُ الْخَلاَئِقِ ... مُبْدِعُهُمْ بِلاَ مِثَالٍ سَابِقِ
الأَوَّلُ الْمُبْدِي بِلاَ ابْتِدَاء ... والآخِرُ الْبَاقِي بِلاَ انْتِهَاء
الأَحَدُ الْفَرْدُ الْقَدِيرُ الأَزَلِي ... الصَّمَدُ الْبَرُّ الْمُهَيْمِنُ الْعَلِي
عُلُوُّ قَهْرٍ وَعُلُوُّ الشَّانِ ... جَلَّ عَنِ الأَضْدَادِ وَالأَعْوَانِ
كَذَا لَهُ الْعُلُوُّ وَالْفَوْقِيَّهْ ... عَلَى عِبَادِهِ بِلاَ كَيْفِيَّهْ
وَمَعَ ذَا مُطَّلِعٌ إِلَيْهِمُ ... بِعِلْمِهِ مهَيْمِنٌ عَلَيْهِمُ
وَذِكْرُهُ لِلْقُرْبِ وَالْمَعِيَّةْ ... لَمْ يَنْفِ لِلْعُلُوِّ وَالْفَوْقِيَّةْ
فَإِنَّهُ الْعَلِيُّ فِي دُنُوِّهِ ... وَهُوَ الْقَرِيبُ جَلَّ فِي عُلُوِّهِ
حَيٌّ وَقَيُّومٌ فَلاَ يَنَامُ ... وَجَلَّ أَنْ يُشْبِهَهُ الأَنَامُ
لاَ تَبْلُغُ الأَوْهَامُ كُنْهَ ذَاتِهِ ... وَلاَ يُكَيِّفُ الْحِجَا صِفَاتِهِ
بَاقٍ فَلاَ يَفْنَى وَلاَ يَبِيدُ ... وَلاَ يَكُون غَيْرُ مَا يُرِيدُ
مُنْفَرِدٌ بِالْخَلْقِ وَالإِرَادَهْ ... وَحَاكِمٌ ـ جَلَّ ـ بِمَا أَرَادَهْ
فَمَنْ يَشَأْ وَفَّقَهُ بِفَضْلِهِ ... وَمن يَشَأْ أَضَلَّه بِعَدْلِهِ
فَمِنْهُمُ الشَّقِيُّ وَالسَّعِيدُ ... وذَا مُقَرَّبٌ وَذَا طَرِيدُ
لِحِكْمَة بَالِغَةٍ قَضَاهَا ... يَسْتَوْجب الْحَمْدَ على اقتِضاهَا
وَهُوَ الَّذِي يَرَى دَبِيبَ الذَّرِّ ... في الظُّلُمَاتِ فَوْقَ صُمِّ الصَّخْرِ
وَسَامِعٌ لِلْجَهْرِ وَالإِخْفَاتِ ... بِسَمْعِهِ الْوَاسع للأَصْوَاتِ

وَعِلْمُهُ بِمَا بَدَا وَمَا خَفِي — أَحَاطَ عِلماً بِالْجَلِيِّ وَالْخَفِي[1]

وَهُوَ الْغَنِيُّ بِذَاتِهِ سُبْحَانَهُ — جَلَّ ثَنَاؤُهُ تَعَالَى شَانُهُ

وَكُلُّ شَيْءٍ رِزْقُهُ عَلَيْهِ — وَكُلُّنَا مُفْتَقِرٌ إِلَيْهِ

كَلَّمَ مُوسَى عَبْدَهُ تَكْلِيمَا — وَلَمْ يَزَلْ بِخَلْقِهِ عَلِيمَا

كَلاَمُهُ جَلَّ عَنِ الإِحْصَاءِ — وَالْحَصْرِ وَالنَّفَادِ وَالْفَنَاءِ

لَوْ صَارَ أَقْلاَماً جَمِيعُ الشَّجَرِ — وَالْبَحْرُ تُلْقَى فِيهِ سَبْعَةُ أَبْحُرِ

وِالْخَلْقُ تَكْتُبُهُ بِكُلِّ آنِ — فَنَتْ وَلَيْسَ الْقَوْلُ مِنْهُ فَانِ

وَالْقَوْلُ فِي كِتَابِهِ الْمُفَصَّلْ — بِأَنَّهُ كَلاَمُهُ الْمُنَزَّلْ

عَلَى الرَّسُولِ الْمُصْطَفَى خَيْرِ الوَرَى — لَيْسَ بِمَخْلُوق وَلا بِمُفْتَرَى

يُحْفَظُ بِالْقَلْبِ وَبِاللِّسَانِ — يُتْلَى كَمَا يُسْمَعُ بِالآذَانِ

كَذَا بِالأَبْصَارِ إِلَيْهِ يُنْظَرُ — وَبِالأَيَادِي خَطُّهُ يُسَطَّرُ

وَكُلُّ ذِي مَخْلُوقَةٌ حَقِيقَهْ — دُونَ كَلاَمِ بَارِئِ الْخَلِيقَهْ

جَلَّتْ صِفَاتُ رَبِّنَا الرَّحْمنِ — عَن وَصْفِهَا بِالْخَلْقِ وَالْحِدْثَانِ

فَالصوْتُ والأَلْحَانُ صَوْتُ الْقَارِي — لكِنَّمَا الْمَتْلُوُّ قَوْلُ الْبَارِي

ما قَالَهُ لاَ يَقْبَلُ التَّبْدِيلاَ[2] — كَلاَّ وَلاَ أَصْدَقَ مِنْهُ قِيلاَ

وَقَدْ رَوَى الثِّقَاتُ عَن خَيْرِ المَلاَ — بِأَنَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَعَلاَ

فِي ثُلُثِ اللَّيْلِ الأَخِيرِ يَنْزِلُ — يَقُولُ هَلْ مِن تَائِبٍ فَيُقْبَلُ

هَلْ مِنْ مُسِيءٍ طَالِبٍ لِلْمَغْفِرَةْ — يَجِدْ كَرِيمَاً قَابِلاً لِلْمَعْذِرَةْ

يَمُنُّ بِالْخَيْرَاتِ وَالْفَضَائِلْ — وَيَسْتُرُ الْعَيْبَ ويعطي السَّائِلْ

وأَنَّهُ يَجِيءُ يَومَ الْفَصْلِ — كَمَا يَشَاءُ لِلْقَضَاءِ الْعَدْلِ

وَأَنَّهُ يُرَى بِلا إِنْكَارِ — فِي جَنَّةِ الْفِرْدَوْسِ بِالأَبْصَارِ

كُلٌّ يَرَاهُ رُؤْيَةَ الْعِيَانِ — كَمَا أَتَى فِي مُحْكَمِ الْقُرآنِ

وَفِي حَدِيثِ سَيِّدِ الأَنَامِ — مِنْ غَيْرِ مَا شَكٍّ وَلاَ إِبْهَامِ

رُؤْيَةَ حَقٍ لَيْسَ يَمْتَرُونَهَا — كَالشَّمْسِ صَحْواً لاَ سَحَابَ دُونَهَا

---

(١) ورد هذا البيت في النسخة الخطية متوسطاً بين البيتين السابقين قبله.

(٢) في النسخة الخطية: ما إن لما قد قاله تبديلاً.

وَخُصَّ بِالرُّؤْيَةِ أَوْلِيَاؤُهْ فَضِيلَةً وَحُجِبُوا أَعداؤُهْ
وَكُلُّ مَا لَهُ مِنَ الصِّفَاتِ أَثْبَتَهَا فِي مُحْكَمِ الآيَاتِ
أَوْ صَحَّ فِيمَا قَالَهُ الرَّسُولُ فَحَقُّهُ التَّسْلِيمُ وَالْقَبُولُ
نُمِرُّهَا صَرِيحَةً كَمَا أَتَتْ مَعَ اعْتِقَادِنَا لِمَا لَهُ اقْتَضَتْ
مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلاَ تَعْطِيلِ وَغَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلاَ تَمْثِيلِ
بَلْ قَوْلُنَا قَوْلُ أَئِمَةِ الهُدَى طُوبَى لِمَنْ بِهَدْيِهِمْ قَدِ اهْتَدَى
وَسَمِّ ذَا النَّوْعَ مِنَ التَّوْحِيدِ تَوْحِيدَ إِثْبَاتٍ بِلا تَرْدِيدِ
قَدْ أَفْصَحَ الوَحْيُ المُبِينُ عَنْهُ فَالْتَمِسِ الْهُدَى الْمُنِيرَ مِنْهُ
لاَ تَتَّبِعْ أَقْوالَ كُلِّ مَارِدِ غَاوٍ مُضِلٍّ مَارِقٍ مُعَانِدِ
فَلَيْسَ بَعْدَ رَدِّ ذَا التِّبْيَانِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنَ الإِيمَانِ

❁ ❁ ❁

[ال] فصلُ [الثاني]
في بيان النوعِ الثاني من التوحيد
وهو توحيدُ الطلبِ والقصدِ،
وأنه هو معنى لا إله إلا الله

هَذَا وَثَانِي نَوْعَيِ التَّوْحِيدِ إِفْرَادُ رَبِّ الْعَرْشِ عَنْ نَدِيدِ
أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ إِلهاً وَاحِدا مُعْتَرِفاً بِحَقِّهِ لاَ جَاحِدا
وَهُوَ الَّذِي بِهِ الإِلَهُ أَرْسَلا رُسْلَهُ يَدْعُونَ إِلَيْهِ أَوَّلا
وَأَنْزَلَ الْكِتَابَ والتِّبْيَانا مِنْ أَجْلِهِ وَفَرَقَ الْفُرْقَانَا
وَكَلَّفَ اللَّهُ الرَّسُولَ الْمُجْتَبَى قِتَالَ مَنْ عَنْهُ تَوَلَّى وَأَبَى
حَتَّى يَكُونَ الدِّينُ خَالِصاً لَهُ سِرّاً وَجَهْراً دِقَّهُ وَجِلَّهُ
وَهَكَذَا أُمَّتُهُ قَدْ كُلِّفُوا بِذَا[1] وَفِي نَصِّ الْكِتَابِ وُصِفُوا
وَقَدْ حَوَتْهُ لَفْظَةُ الشَّهادَهْ فَهِيَ سَبِيلُ الْفَوْزِ وَالسَّعادَهْ

---

(١) في النسخة الخطية: به.

مَـنْ قَـالَـهَـا مُـعْـتَـقِـداً مَـعْـنَـاهَـا وَكَـانَ عَـامِـلاً بِـمُـقْـتَـضَـاهَـا

فِي الْـقَـوْلِ وَالْـفِـعْـلِ وَمَـاتَ مُـؤْمِـنـا يُـبْـعَـثُ يَـوْمَ الْـحَـشْـرِ نَـاجٍ آمِـنـا

فَـإِنَّ مَـعْـنَـاهَـا الَّـذِي عَـلَـيْـهِ دَلَّـتْ يَـقِـيـنـاً وَهَـدَتْ إِلَـيْـهِ

أَنْ لَـيْـسَ بِـالْـحَـقِّ إِلَـهٌ[1] يُـعْـبَـدُ إِلاَّ الإِلَـهُ الـواحِـدُ الْـمُـتَـفَـرِّدُ

بِـالْـخَـلْـقِ وَالـرِّزْقِ وَبِـالـتَّـدْبِـيـرِ جَـلَّ عَـنِ الـشَّـرِيـكِ وَالـنَّـظِـيـرِ

وَبِـشُـرُوطٍ سَـبْـعَـةٍ قَـدْ قُـيِّـدَتْ وَفِي نُـصُـوصِ الـوَحْـيِ حَـقًّـا وَرَدَتْ

فَـإِنَّـهُ لَـمْ يَـنْـتَـفِـعْ قَـائِـلُـهَـا بِـالـنُّـطْـقِ إِلاَّ حَـيْـثُ يَـسْـتَـكْـمِـلُـهَـا

الْـعِـلْـمُ وَالْـيَـقِـيـنُ وَالْـقَـبُـولُ وَالانْـقِـيَـادُ فَـادْرِ مَـا أَقُـولُ

وَالـصِّـدْقُ وَالإِخْـلَاصُ وَالْـمَـحَـبَّـه وَفَّـقَـكَ الـلَّـهُ لِـمَـا أَحَـبَّـهْ

❋ ❋ ❋

[ال] فصلُ [الثالث]
في تعريف العبادة،
وذِكْرِ بعضِ أنواعِها
وأن مَن صرف منها شيئاً لغير الله فقد أشرك

ثُـمَّ الْـعِـبَـادَةُ هِـيَ اسْـمٌ جَـامِـعٌ لِـكُـلِّ مَـا يَـرْضَـى الإِلَـهُ الـسَّـامِـعُ

وَفِـي الْـحَـدِيـثِ مُـخُّـهَـا الـدُّعَـاءُ خَـوْفٌ تَـوَكُّـلٌ كَـذَا الـرَّجَـاءُ

وَرَغْـبَـةٌ وَرَهْـبَـةٌ خُـشُـوعُ وَخَـشْـيَـةٌ إِنَـابَـةٌ خُـضُـوعُ

وَالاسْـتِـعَـاذَةُ وَالاسْـتِـعَـانَـهْ كَـذَا اسْـتِـغَـاثَـةٌ بِـهِ سُـبْـحَـانَـهْ

وَالـذَّبْـحُ وَالـنَّـذْرُ وَغَـيْـرُ ذَلِـكْ فَـافْـهَـمْ هُـدِيـتَ أَوْضَـحَ الْـمَـسَـالِـكْ

وَصَـرْفُ بَـعْـضِـهَـا لِـغَـيْـرِ الـلَّـهِ شِـرْكٌ وَذَاكَ أَقْـبَـحُ الْـمَـنَـاهِـي

❋ ❋ ❋

(١) في النسخة الخطية: إلهاً.

[ال] ـ فصلُ ـ [الرابع]
في بيانِ ضدِّ التوحيدِ وهو الشركُ
وأنه ينقسم إلى قسمين: أصغرَ وأكبرَ،
وبيانِ كلٍ منهما

وَالشِّرْكُ نَوْعَانِ: فَشِرْكٌ أَكْبَرُ ... بِهِ خُلُودُ النَّارِ إِذْ لاَ يُغْفَرُ
وَهُوَ اتِّخَاذُ الْعَبْدِ غَيْرَ اللَّهِ ... نِدًّا بِهِ مُسَوِّياً مضَاهِي
يَقْصِدُهُ عِنْدَ نُزُولِ الضُّرِّ ... لِجَلْبِ خَيْرٍ أَوْ لِدَفْعِ الشر
أَوْ عِنْدَ أَيِّ غَرَضٍ لاَ يَقْدِرُ ... عَلَيْهِ إِلاَّ الْمَالِكُ الْمُقْتَدِرُ
مَعْ جَعْلِهِ لِذَلِكَ الْمَدْعُوِّ ... أَوِ الْمُعَظَّمِ أَوِ الْمَرْجُوِّ
فِي الْغَيْبِ سُلْطَاناً بِه يَطَّلِعُ ... عَلَى ضَمِيرِ مَنْ إِلَيْهِ يَفْزَعُ
وَالثَّانِ شِرْكٌ أَصْغَرٌ وَهُوَ الرِّيَا ... فَسَّرَهُ بِهِ خِتَامُ الأَنْبِيَا
وَمِنْهُ إِقْسَامٌ بِغَيْرِ الْبَارِي ... كَمَا أَتَى فِي مُحكَمِ الأَخْبَارِ

❁ ❁ ❁

[ال] ـ فصلُ ـ [الخامس]
في بيان أمورٍ يفعلها العامة
منها ما هو شركٌ
ومنها ما هو قريبٌ منه.
وبيانُ حكم الرُّقَى والتَّمائم

وَمَنْ يَثِقْ بِوَدْعَةٍ أَوْ نَابِ ... أَوْ حَلْقَةٍ أَوْ أَعْيُنِ الذِّئَابِ
أَوْ خيطٍ أَوْ عُضْوٍ مِنَ النُّسُورِ ... أَوْ وَتَرٍ[1] أَوْ تُرْبَةِ الْقُبورِ
لأَيِّ أَمْرٍ كَائِنٍ تَعَلَّقَهْ ... وَكَلَهُ اللَّهُ إِلَى مَا عَلَّقَهْ
ثم الرُّقَى مِنْ حُمَةٍ أَوْ عَيْنِ ... فإِنْ تكنْ من خَالِص الوَحْيَيْنِ
فَذَاكَ مِنْ هَدْيِ النَّبِي وَشِرْعَتِهْ ... وذَاكَ لاَ اخْتِلاَفَ في سُنِّيَّتِهْ

---

(١) في النسخة الخطية: أو خيطاً أو عضواً... أو وتراً...

أَمَّا الرُّقَى الْمَجْهُولَةُ الْمَعَانِي فَذَاكَ وَسْوَاسٌ مِنَ الشَّيْطَانِ
وَفِيهِ قَدْ جَاءَ الْحَدِيثُ أَنَّهُ شِرْكٌ بِلاَ مِرْيَةٍ فَاحْذَرَنَّهُ
إِذْ كُلُّ مَنْ يَقُولُهُ[1] لاَ يَدْرِي لَعَلَّهُ يَكُونُ[2] مَحْضَ الْكُفْرِ
أَوْ هُوَ مِن سحرِ الْيهودِ مُقْتَبَسْ عَلَى الْعَوامِ لَبَّسُوهُ فَالْتَبَسْ
فَحَذَراً ثُمَّ حَذَارِ مِنْهُ لاَ تَعْرِفِ الْحَقَّ وَتَنْأَى عَنْهُ[3]
وَفِي التَّمَائِمِ الْمُعَلَّقَاتِ إن تَكُ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتِ
فَالاخْتِلافُ وَاقِعٌ بَيْنَ السَّلَفْ فَبَعْضُهُم أَجَازَهَا وَالْبَعْضُ كَفْ
وَإِنْ تَكُنْ مِمَّا سِوَى الْوَحْيَيْنِ فَإِنَّهَا شِرْكٌ بِغَيْرِ مَيْنِ
بَلْ إِنَّهَا قَسِيمَةُ الأَزْلاَمِ فِي الْبُعدِ عَن سِيمَا أُولِي الإِسْلاَمِ

❁ ❁ ❁

[ال] ـ فصلُ ـ [السادس]

من الشرك فعلُ مَن يتبرك بشجرة أو حجر أو بُقعة أو قبرٍ أو نحوِها يتخذ ذلك المكان عيداً. وبيانُ أن الزيارةَ تنقسم إلى سنية وبِدْعية وشِركية

هَذَا وَمِنْ أَعْمَالِ أَهْلِ الشِّرْكِ مِنْ غَيْرِ مَا تَرَدُّدٍ أَوْ شَكِّ
مَا يَقْصِدُ الجُهَّالُ مِن تَعْظِيمِ مَا لَمْ يَأْذَنِ الله بِأَنْ يُعَظَّمَا
كَمَنْ يَلُذْ بِبقْعَةٍ أَوْ حَجَرِ أَوْ قَبْرِ مَيتٍ أَوْ بِبَعْضِ الشَّجَرِ
مُتَّخِذاً لِذَلِكَ الْمَكَانِ عِيداً كَفِعْلِ عَابِدِي الأَوْثَانِ
ثُمَّ الزِّيَارَةُ عَلَى أَقْسَامِ ثَلاثَةٍ يَا أُمَّةَ الإِسْلاَمِ
فَإِنْ نَوى الزَّائِرُ فِيمَا أَضْمَرَهْ فِي نَفْسِهِ تَذْكِرَةً بِالآخِرَهْ

(١) في النسخة الخطية: إذ كل ناطق به.
(٢) في النسخة الخطية: لعله أن يك.
(٣) هذا البيت غير وارد في (معارج القبول)، وهو موجود في النسخة الخطية المكتوبة بخط الناظم في هذا الموضع.

ثُمَّ الدُّعَا لَهُ[1] ولِلأَمْواتِ ... بِالْعَفْوِ وَالصفْحِ عَنِ الزَّلاَّتِ
وَلَمْ يَكُنْ شَدَّ الرِّحَالَ نَحْوَهَا ... وَلَمْ يَقُلْ هُجْراً كَقَوْلِ السُّفَهَا[2]
فَتِلْكَ سُنَّةٌ أَتَتْ صَرِيحَهْ ... في السُّنَنِ الْمُثْبَتَةِ الصَّحِيحَهْ
أَوْ قَصَدَ الدُّعَاءَ وَالتَّوَسُّلاَ ... بِهِمْ إلى الرَّحْمنِ جَلَّ وَعَلاَ
فَبِدْعَةٌ مُحْدَثَةٌ ضَلاَلَهْ ... بَعِيدَةٌ عَنْ هَدْيِ ذِي الرِّسَالَهْ[3]
وَإِنْ دَعا الْمَقْبُورَ نَفْسَهُ فَقَدْ ... أَشْرَكَ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ وجَحَدْ
لَنْ يَقْبَلَ اللَّهُ تَعالى مِنْهُ ... صَرْفاً ولاَ عَدْلاً فَيَعْفُو عَنْهُ
إذْ كُلُّ ذَنْبٍ مُوشِكُ الغُفْرانِ ... إلاَّ اتِّخاذَ النِّدِّ لِلرحْمَنِ

❁ ❁ ❁

[ال] ـ فصلُ ـ [السابع]
في بيان ما وقع فيه العامةُ اليوم مما يفعلون عند القبورِ وما يرتكبونه من الشِرْكِ الصريحِ والغُلوِّ المفرط في الأموات

وَمَنْ عَلَى الْقَبْرِ سِرَاجاً أَوْقَدَا ... أَوِ ابْتَنى عَلَى الضَّرِيحِ مَسْجِدا
فَإِنَّهُ مُجَدِّدٌ جِهَارَا ... لِسُنَنِ الْيَهُودِ والنَّصارَى
كَمْ حَذَّرَ الْمُخْتَارُ عَنْ ذَا وَلَعَنْ ... فَاعِلَهُ كَمَا رَوَى أَهْلُ السُّنَنْ
بَلْ قَدْ نَهَى عَنِ ارْتِفَاعِ الْقَبْرِ ... وَأَنْ يُزَادَ فِيهِ فَوْقَ الشِّبْرِ
وَكُلُّ قَبْرٍ مُشْرِفٍ فَقَدْ أَمَرْ ... بِأَنْ يُسَوَّى هَكَذَا صَحَّ الْخَبَرْ
وحَذَّرَ الأُمَّةَ عَنْ إِطْرائِهِ ... فَغَرَّهُمْ إِبْلِيسُ بِاسْتِجْرَائِهِ
فَخَالَفُوهُ جَهْرَةً وَارْتَكَبُوا ... مَا قَدْ نَهَى عَنْهُ وَلَمْ يَجْتَنِبُوا

---

(١) في النسخة الخطية: ثم دعا له.

(٢) في النسخة الخطية: كبعض السفها. وهذا البيت معلق بخط الناظم في النسخة التي كتبها بخطه بين البيتين السابقين قبله بعد أن سقط سهواً.

(٣) هذا البيت والذي قبله سقطا من الطبعة الأولى لـ (معارج القبول)، مع أنهما قد شرحا فيه، وموضع نصهما يجب أن يكون في (ج١، ص٤٧٩) قبل الشروع في شرحهما.

فَـانْـظُـرْ إِلَـيْـهِـمْ قَـدْ غَـلَـوْا وَزَادُوا
وَرَفَـعُـوا بِـنَـاءَهَـا وَشَـادُوا

بِـالـشِّـيـدِ[1] والآجُرِّ والأَحْـجَـارِ
لاَ سِـيَّـمَـا فِـي هَـذِهِ الأَعْـصَـارِ

وَلِـلْـقَـنَـادِيـلِ عَـلَـيْـهَـا أَوْقَـدُوا
وَكَـمْ لِـوَاءٍ فَـوْقَـهَـا قَـدْ عَـقَـدُوا

وَنَـصَـبُـوا[2] الأَعْـلامَ وَالـرَّايَـاتِ
وَافْـتَـتَـنُـوا بِـالأَعْـظُـمِ الـرُّفَـاتِ

بَـلْ نَـحَرُوا فِي سُوحِـهَـا الـنَّـحَائِرْ
فِـعْلَ أُولِي الـتَّـسْـيِـيبِ وَالْـبَـحَائِرْ

وَالْـتَـمَـسُوا الْـحَاجَاتِ مِنْ مَوْتَاهُمْ
وَاتَّـخَـذُوا إِلَـهَـهُـمْ هَـوَاهُـمْ

قَـدْ صَـادَهُـمْ إِبْـلِـيسُ فِي فِـخَـاخِـهِ
بَـلْ بَـعْـضُـهُـمْ قَـدْ صَـارَ مِنْ أَفْـرَاخِـهِ

يَـدْعُـو إِلَـى عِـبَـادَةِ الأَوْثَـانِ
بِـالـمَـالِ وَالـنَّـفْـسِ وَبِـالـلِّـسَـانِ

فَـلَـيْـتَ شِـعْـرِي مَـنْ أَبَـاحَ ذَلِـكْ
وَأَوْرَطَ الأُمَّـةَ فِـي الـمَـهَـالِـكْ

فَـيَـا شَـدِيـدَ الـطَّـوْلِ وَالإِنْـعَـامِ
إِلَـيْـكَ نَـشْـكُـو مِـحْـنَـةَ الإِسْـلامِ[3]

❁ ❁ ❁

[ال] ـ فصلُ ـ [الثامن]
في بيانِ حقيقةِ السحرِ وحدِّ الساحرِ
وأن منه عِلْمَ التنجيم.
وذكرِ عقوبةِ من صدق كاهناً

وَالـسِّـحْـرُ حَـقٌّ وَلَـهُ تَـأْثِـيـرُ
لَـكِـنْ بِـمَـا قَـدَّرَهُ الْـقَـدِيـرُ

أَعْـنِـي بِـذَا الـتَّـقْـدِيـرِ مَا قَـدْ قَـدَّرَهْ
فِي الْكَوْنِ لاَ فِي الشِّرْعَةِ الْمُطَهَّرَهْ

وَاحْـكُـمْ عَـلَـى الـسَّـاحِـرِ بِـالـتَّـكْـفِـيرِ
وَحَـدُّهُ الْـقَـتْـلُ بِـلاَ نَـكِـيـرِ

كَـمَـا أَتَـى فِي الـسُّـنَّـةِ الْـمُـصَـرَّحَـهْ
مِـمَّـا رَوَاهُ[4] الـتِّـرْمِـذِيُّ وَصَـحَّـحَـهْ

عَـنْ جُـنْـدُبٍ وَهَـكَـذَا فِـي أَثَـرِ[5]
أَمْـرٌ بِـقَـتْـلِـهِـمْ رُوِيَ عَـنْ عُـمَـرِ

---

(١) في النسخة الخطية: بالجص.

(٢) في النخسة الخطية: ونشروا.

(٣) هذا البيت والذي قبله لم يردا في (معارج القبول)، ولم يدخلا في الشرح، وهما في النسخة الخطية بقلم الناظم، ولعلهما مما أضافه بعد كتابة الشرح.

(٤) في النسخة الخطية: فيما رواه.

(٥) في النسخة الخطية: عن جندب الخير، كذا في أثر.

وَصَحَّ عَنْ حَفْصَةَ عِنْدَ مَالِكِ ... مَا فِيهِ أَقْوَى مُرْشِدٍ لِلسَّالِكِ
هَذَا وَمِنْ أَنْوَاعِهِ وَشُعَبِهْ ... عِلْمُ النُّجُومِ فَادْرِ هَذَا وَانْتَبِهْ
وَحَلُّهُ بِالْوَحْيِ نَصّاً يُشْرَعُ ... أَمَا بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَيُمْنَعُ[1]
وَمَنْ يُصَدِّقْ كَاهِناً فَقَدْ كَفَرْ ... بِمَا أَتَى بِهِ الرَّسُولُ[2] الْمُعْتَبَرْ

❁ ❁ ❁

[ال] ـ فصلُ ـ [التاسع]
يجمع معنى حديثِ جبريلَ المشهورِ في تعليمنا الدينَ أنه ينقسم إلى ثلاث مراتبَ: الإسلامُ والإيمانُ والإحسانُ وبيانُ أركانِ كلٍ منها

اعْلَمْ بِأَنَّ الدِّينَ قَوْلٌ وَعَمَلْ ... فَاحْفَظْهُ وَافْهَمْ مَا عَلَيْهِ ذَا اشْتَمَلْ[3]
كَفَاكَ مَا قَدْ قَالَهُ الرَّسُولُ ... إِذْ جَاءَهُ يَسْأَلُهُ جِبْرِيلُ
عَلَى مَرَاتِبَ ثَلَاثٍ فَصَّلَهْ ... جَاءَتْ عَلَى جَمِيعِهِ مُشْتَمِلَهْ:
الإِسْلَامِ وَالإِيمَانِ وَالإِحْسَانِ ... وَالْكُلُّ مَبْنِيٌّ عَلَى أَرْكَانِ
فَقَدْ أَتَى: الإِسْلَامُ مَبْنِيٌّ[4] عَلَى ... خَمْسٍ، فَحَقِّقْ وَادْرِ مَا قَدْ نُقِلَا
أَوَّلُهَا الرُّكْنُ الأَسَاسُ الأَعْظَمُ ... وَهُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ الأَقْوَمُ
رُكْنُ الشَّهَادَتَيْنِ فَاثْبُتْ وَاعْتَصِمْ ... بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى الَّتِي لَا تَنْفَصِمْ
وَثَانِياً[5] إِقَامَةُ الصَّلَاةِ ... وَثَالِثاً[6] تَأْدِيَةُ الزَّكَاةِ

---

(١) هذا البيت غير وارد في النسخة الخطية، وهو في (معارج القبول) في هذا الموضع.
(٢) في النسخة الخطية: النبي.
(٣) كذا في معارج القبول (ط١: ٢/١٧) ونصه في النسخة الخطية هكذا:
والدين نية وقول وعمل ... فاحفظ ودع عنك المراء والجدل
(٤) في معارج القبول (ط١: ٢/٤٠): مبنياً، وما أثبتناه عن النسخة الخطية.
(٥) في النسخة الخطية: وبعدها.
(٦) في النسخة الخطية: وثالث.

وَالرَّابِعُ الصِّيَامُ فَاسْمَعْ وَاتَّبِعْ ... وَالْخَامِسُ الحَجُّ عَلَى مَن يَسْتَطِعْ

فَتِلْكَ خَمْسَةٌ. وَلِلإِيمَانِ ... سِتَّةُ أَرْكَانٍ بِلاَ نُكْرَانِ

إِيمَانُنَا بِاللهِ ذِي الْجَلاَلِ ... وَمَا لَهُ مِن صِفَةِ الْكَمَالِ

وَبِالْمَلاَئِكَةِ[1] الْكِرَامِ الْبَرَرَهْ ... وَكُتْبِهِ الْمُنَزَّلَةِ الْمُطَهَّرَهْ

وَرُسْلِهِ الْهُدَاةِ لِلأَنَامِ ... مِن غَيْرِ تَفْرِيقٍ وَلاَ إِيهَامِ

أَوَّلُهُمْ نُوحٌ بِلاَ شَكٍّ كَمَا ... أَنَّ مُحَمَّداً لَهُمْ قَدْ خَتَمَا

وَخَمْسَةٌ مِنْهُمْ أُولُوا الْعَزْمِ الأُلَى ... فِي سُورَةِ الأَحْزَابِ وَالشُّورَى تَلا

وَبِالْمَعَادِ أَيْقَنْ[2] بِلاَ تَرَدُّدِ ... وَلاَ ادِّعَا عِلْمٍ بِوَقْتِ الْمَوْعِدِ

لَكِنَّنَا نُؤْمِنُ مِنْ غَيْرِ امْتِرَا ... بِكُلِّ مَا قَدْ صَحَّ عَنْ خَيْرِ الْوَرَى

مِنْ ذِكْرِ آيَاتٍ تَكُونُ قَبْلَهَا ... وَهْيَ عَلاَمَاتٌ وَأَشْرَاطٌ لَهَا

وَيَدْخُلُ الإِيمَانُ بِالْمَوْتِ وَمَا ... مِنْ بَعْدِهِ عَلَى الْعِبَادِ حُتِمَا

وَأَنَّ كُلاًّ[3] مُقْعَدٌ مَسْؤُولُ ... مَا الرَّبُّ مَا الدِّينُ وَمَا الرَّسُولُ؟

وَعِنْدَ ذَا يُثَبِّتُ الْمُهَيْمِنُ ... بِثَابِتِ الْقَوْلِ الَّذِينَ آمَنُوا

وَيُوقِنُ الْمُرْتَابُ عِنْدَ ذَلِكْ ... بِأَنَّ[4] مَا مَوْرِدُهُ الْمَهَالِكْ

وَبِاللِّقَا وَالْبَعْثِ وَالنُّشُورِ ... وَبِقِيَامِنَا مِنَ الْقُبُورِ

غُرْلاً حُفَاةً كَجَرَادٍ مُنْتَشِرْ ... يَقُولُ ذُو الْكُفْرَانِ: ذَا يَوْمٌ عَسِرْ

وَيُجْمَعُ الْخَلْقُ لِيَوْمِ الْفَصْلِ ... جَمِيعُهُمْ عُلْوِيُّهُمْ وَالسُّفْلِي

فِي مَوْقِفٍ يَجِلُّ فِيهِ الْخَطْبُ ... وَيَعْظُمُ الْهَوْلُ بِهِ وَالْكَرْبُ

وَأُحْضِرُوا لِلْعَرْضِ وَالْحِسَابِ[5] ... وَانْقَطَعَتْ عَلاَئِقُ الأَنْسَابِ

وَارْتَكَمَتْ سَحَائِبُ الأَهْوَالِ ... وَانْعَجَمَ الْبَلِيغُ فِي الْمَقَالِ

وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْقَيُّومِ ... وَاقْتُصَّ مِنْ ذِي الظُّلْمِ لِلْمَظْلُومِ

وَسَاوَتِ الْمُلُوكُ لِلأَجْنَادِ ... وَجِيءَ بِالْكِتَابِ وَالأَشْهَادِ

---

(١) في النسخة الخطية: وبالملائك. قلت: وهو الأولى. (أبو مصعب).

(٢) تقرأ «يقن» بحذف الهمزة تحاشياً من الزحف في البيت. (أبو مصعب).

(٣) في معارج القبول (ط١: ٢/١٣٢): وأن كل، والصواب ما أثبتناه عن النسخة الخطية.

(٤) لعله: بأنه مورده. (أبو مصعب).

(٥) في النسخة الخطية: واحضروا إذا ذاك للحساب.

وَشَهِدَت الأَعْضَاءُ وَالْجَوَارِحُ — وَبَدَتِ السَّوْءآتُ وَالفَضَائِحُ
وَابْتُلِيَتْ هُنَالِكَ السَّرائِرُ — وَانكَشَفَ الْمَخْفِيُّ في الضَّمَائِرْ
وَنُشِرتْ صَحَائِفُ الأَعْمَالِ — تُؤخَذُ باليَمِينِ وَالشِّمَالِ
طُوبَى[1] لِمَنْ يَأخُذُ[2] باليَمِينِ — كِتَابَهُ بُشرَى بِحورٍ عِينِ
وَالوَيلُ لِلآخِذِ بالشِّمَالِ — وَرَاءَ ظَهرٍ لِلجَحِيم صَالِي
وَالوَزْنُ بالقِسْطِ فَلاَ ظُلْمَ وَلاَ — يُؤخَذُ عَبْدٌ بِسِوَى مَا عَمِلاَ
فَبَيْنَ نَاجٍ رَاجِحٍ مِيزَانُهُ — وَمُقْرِفٍ أَوْبَقَهُ عُدْوَانُهُ
وَيُنْصَبُ الْجِسْرُ بِلاَ امتِرَاءِ — كَمَا أَتَى في مُحْكَمِ الأَنْبَاءِ
يَجُوزُهُ النَّاسُ عَلَى أَحْوَالِ — بِقَدْرِ كَسْبِهِمْ مِنَ الأَعْمَالِ
فَبَيْنَ مُجْتَازٍ إِلَى الْجِنَانِ — وَمُسْرِفٍ يُكَبُّ فِي النِّيرَانِ
وَالنَّارُ وَالجَنَّةُ حَقٌّ وَهُمَا — مَوْجُودَتَانِ لا فَنَاءَ لَهُمَا
وَحَوْضُ خَيرِ الْخَلْقِ حَقٌّ وَبِهِ — يشْرَبُ في الأُخرَى جَمِيعُ حِزْبِهِ
كَذَا لَهُ لِوَاءُ حَمْدٍ يُنْشَرُ — وَتَحْتَهُ الرُّسلُ جَمِيعاً تُحْشَرُ
كَذَا لَهُ الشَّفَاعَةُ العُظْمَى كَمَا — قَدْ خَصَّهُ اللَّهُ بِهَا تَكَرُّمَا
مِن بَعْدِ إذنِ اللَّهِ لاَ كَمَا يَرَى — كُلُّ قُبُورِيٍّ عَلَى اللَّهِ افْتَرَى
يَشْفَعُ أَوّلاً إِلَى الرَّحْمَنِ في — فَصْلِ القَضَاء بَيْنَ أَهْلِ الْمَوْقِفِ
مِنْ بَعْدِ أَنْ يَطْلُبَها النَّاسُ إلى — كُلِّ أُولِي الْعَزْمِ الهُدَاةِ الفُضَلا
وَثَانِياً يَشْفَعُ فِي اسْتِفْتَاحِ — دَارِ النَّعِيمِ لأُولِي الْفَلاَحِ
هَذَا وَهَاتَانِ الشَّفَاعَتَانِ — قَدْ خُصَّتَا بِهِ بِلاَ نُكْرَانِ
وَثَالِثاً يَشْفَعُ في أَقْوامِ — مَاتُوا عَلَى دِينِ الهُدَى الإسْلاَمِ
وَأَوْبَقَتْهُمْ كَثْرَةُ الآثَامِ — فَأُدْخِلُوا النَّارَ بِذَا الإِجْرَامِ
أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا إلى الْجِنَانِ — بِفَضْلِ رَبِّ الْعَرْشِ ذِي الإِحْسَانِ
وَبَعْدَهُ يَشْفَعُ كُلُّ مُرْسَلٍ — وَكُلُّ عَبْدٍ ذِي صَلاَحٍ وَوَلِي

---

(١) في النسخة الخطية: بشرى.

(٢) في معارج القبول (ط١: ٢/ ٦٤): يؤخذ ـ وهو خطأ، وصوابه (يأخذ) وقد صحح أثناء الشرح، كما هو في النسخة الخطية.

وَيُخْرِجُ اللَّهُ مِنَ النِّيرانِ جَمِيعَ مَنْ مَاتَ عَلَى الإِيمَانِ
فِي نَهْرِ الْحَيَاةِ يُطْرَحُونَا فَحْمَاً فَيَحْيَوْنَ وَيَنْبُتُونَا
كَأَنَّمَا يَنْبُتُ فِي هَيْئَاتِهِ حَبُّ حَمِيلِ السَّيْلِ فِي حَافَاتِهِ
وَالسَّادِسُ الإِيمَانُ بِالأَقْدَارِ فَأَيْقِنَنْ بِهَا وَلا تُمَارِ[1]
فَكُلُّ شَيْءٍ بِقَضَاءٍ وَقَدَرْ وَالْكُلُّ فِي أُمِّ الْكِتَابِ مُسْتَطَرْ
لاَ نَوْءَ لاَ عَدْوَى وَلاَ طَيْرَ وَلا عَمَّا قَضَى اللَّهُ تَعَالَى حِوَلاَ
لا غَوْلَ لاَ هَامَةَ لاَ وَلاَ صَفَرْ كَمَا بِذَا أَخْبَرَ[2] سَيِّدُ الْبَشَرْ
وَثَالِثٌ مَرْتَبَةُ الإِحْسَانِ وَتِلْكَ أَعْلاَهَا لَدَى الرَّحْمَنِ
وَهُوَ[3] رُسُوخُ الْقَلْبِ فِي الْعِرْفَانِ حَتَّى يَكُونَ[4] الْغَيْبُ كَالْعِيَانِ

❁ ❁ ❁

[ال] ـ فصلُ ـ [العاشر]

في كون الإيمانِ يزيد بالطاعة وينقُص بالمعصية
وأن فاسقَ أهلِ الملة لا يُكفَّر بذنب دون الشركِ
إلا إذا استحلَّه وأنه تحت المشيئة،
وأن التوبةَ مقبولةٌ ما لم يُغَرغِرْ

إِيمَانُنَا يَزِيدُ بِالطَّاعَاتِ وَنَقْصُهُ يَكُونُ بِالزَّلاَّتِ[5]
وَأَهْلُهُ فِيهِ عَلَى تَفَاضُلِ هَلْ أَنْتَ كَالأَمْلاَكِ أَوْ كَالرُّسُلِ
وَالْفَاسِقُ الْمِلِّيُّ ذو الْعِصْيَانِ لَمْ يُنْفَ عَنْهُ مطلَقُ الإِيمَانِ
لَكِنْ بِقَدْرِ الْفِسْقِ وَالْمَعَاصِي إِيمَانه مَا زَالَ فِي انْتِقَاصِ
وَلاَ نَقُولُ إِنَّهُ فِي النَّارِ مخَلَّدٌ، بَلْ أَمْرُهُ لِلْبَارِي
تَحْتَ مَشِيئَةِ الإِلَهِ النَّافِذَهْ إِنْ شَا عَفَا عَنْهُ وَإِنْ شَا آخَذَهْ

---

(١) في النسخة الأصلية: ولا تماري.
(٢) في معارج القبول (ط١: ٢/ ٣٨٢): خبَّر.
(٣) في معارج القبول (ط١: ٢/٣٩٩): وهي، أثبتنا ما في النسخة الخطية.
(٤) في النسخة الخطية: حتى يصير.
(٥) في النسخة الأصلية: وتارة ينقص بالزلاَّت.

بِقَدْرِ ذَنْبِهِ، وإِلَى[1] الجِنَانِ يُخْرَجُ إِنْ مَاتَ عَلَى الإِيمَانِ
وَالعَرْضُ تَيْسِيرُ الحِسَابِ في النَّبَا وَمَنْ يُنَاقَشِ الحِسَابَ عُذِّبَا
وَلاَ نُكَفِّرْ بِالمَعَاصِي مُؤْمِنَا إلاَّ مَعَ اسْتِحْلاَلِهِ لِمَا جَنَى
وَتُقْبَلُ التَّوْبَةُ قَبْلَ الغَرْغَرَةْ كَمَا أَتَى في الشِّرْعَةِ المُطَهَّرَةْ
أَمَّا مَتَى تُغْلَقُ عَنْ طَالِبِهَا؟ فَبِطُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا[2]

❁ ❁ ❁

[ال] ـ فصلُ ـ [الحادي عشر]
في معرفة نبيِّنا محمدٍ ﷺ
وتبليغِه الرسالةَ وإكمالِ الله لنا به الدينَ،
وأنه خاتمُ النبيين، وسيدُ ولدِ آدمَ أجمعين،
وأن من ادعى النبوةَ بعده فهو كاذبٌ

نَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ مِن هَاشِمِ إِلى الذَّبِيحِ دُونَ شَكٍّ يَنْتَمِي
أَرْسَلَهُ اللَّهُ إِلَيْنَا مُرْشِداً وَرَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ وَهُدَى[3]
مَوْلِدُهُ بِمَكَّةَ المُطَهَّرةْ هِجْرَتُهُ لِطَيْبَةَ المُنَوَّرَةْ
بَعْدَ ارْبَعِينَ[4] بَدَأَ الوَحْيُ بِهِ ثُمَّ دَعَا إِلى سَبِيلِ رَبِّهِ
عَشرَ سِنِينَ أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّاً تَعَالَى شَأْنُهُ وَوَحِّدُوا
وكَانَ قَبْلَ ذَاكَ في غَارِ حِرَا يَخْلُو بِذِكْرِ رَبِّهِ عَنِ الوَرَى
وَبَعْدَ خَمْسِينَ مِنَ الأَعْوَامِ مَضَتْ لِعُمْرِ سَيِّدِ الأَنَامِ
أَسْرَى بِهِ اللَّهُ إِلَيْهِ في الظُّلَمْ وفَرَضَ الخَمْسَ عَلَيْهِ وحَتَمْ
وَبَعْدَ أَعْوَامٍ ثَلاَثَةٍ مَضَتْ مِنْ بَعْدِ مِعْرَاجِ النَّبِيِّ وانقَضَتْ
أُوذِنَ بِالهِجْرَةِ نَحْوَ يَثْرِبَا مَعْ كلِّ مُسْلِمٍ لَهُ قَدْ صَحِبَا

---

(١) في معارج القبول (ط١: ٢/٤٢١) الواو من (وإلى) ساقطة أثناء البيت، وهي مثبتة في الشرح وكذلك في النسخة الخطية.
(٢) هذا البيت غير وارد في (معارج القبول)، أثبته كما جاء في النسخة الأصلية.
(٣) هذا البيت أيضاً غير وارد في (معارج القبول)، وهو مثبت في النسخة الخطية.
(٤) بوصل همزة أربعين. (أبو مصعب).

وَبَعْدَهَا كُلِّفَ بِالْقِتَالِ ... لِشِيعَةِ الْكُفْرَانِ والضَّلالِ
حتى أَتَوا لِلدِّينِ منقَادِينَا ... وَدَخَلُوا في السِّلمِ مُذْعِنِينا
وَبَعَدَ أنْ قَدْ بَلَّغَ الرِّسَالَهْ ... واسْتَنقَذَ الْخَلْقَ مِنَ الْجَهَالَهْ
وَأَكْمَلَ اللَّهُ بِهِ[1] الإسْلاَمَا ... وقَام دِينُ الْحَقِّ واسْتَقَامَا
قَبَضَهُ اللَّهُ الْعَلِيُّ الأَعْلَى ... سبْحَانَهُ إِلَى الرَّفِيقِ الأَعْلَى
نَشْهَدُ بِالحَقِّ بِلاَ ارْتِيَابِ ... بِأَنَّهُ الْمُرْسَلُ بِالْكِتَابِ
وأَنَّهُ بَلَّغَ مَا قَدْ أرْسِلاَ ... بِهِ وَكُلُّ مَا إِلَيْهِ أُنْزِلاَ
وكُلُّ مَنْ مِن بَعْدِهِ قَدِ ادَّعَى ... نُبُوَّةً فَكَاذِبٌ فِيمَا ادَّعَى
فَهْوَ خِتَامُ الرُّسْلِ بِاتِّفَاقِ ... وأَفْضَلُ الْخَلْقِ عَلَى الإِطْلَاقِ

❁ ❁ ❁

[ال] - فصلُ - [الثاني عشر]
فيمن هو أفضلُ الأمةِ بعد الرسولِ ﷺ
وذكرُ الصحابَةِ بمحاسنهم،
والكفُّ عن مساوئهم وما شَجَر بينهم

وَبَعْدَهُ الْخَلِيفَةُ الشَّفِيقُ ... نِعْمَ نَقِيبُ الأُمَّةِ الصِّدِّيقُ
ذَاكَ رَفِيقُ الْمُصْطَفَى في الْغَار ... شَيْخُ الْمُهَاجِرِينَ والأَنْصَارِ
وَهْوَ الَّذِي بِنَفْسِهِ تَوَلَّى ... جِهَادَ[2] مَن عَنِ الْهُدَى تَوَلَّى
ثَانِيهِ فِي الْفَضلِ بِلاَ ارْتِيَاب ... الصَّادِعُ النَّاطِقُ بِالصَّوابِ
أَعْنِي بِهِ الشَّهْمَ أَبَا حَفْص عُمَرْ ... مَنْ ظَاهَرَ الدِّينَ الْقَوِيمَ ونَصَرْ
الصَّارِمَ الْمُنْكِي عَلَى الْكُفَّارِ ... ومُوسِعَ الْفُتُوحِ في الأَمْصَارِ[3]
ثَالِثُهُمْ عُثْمَانُ ذُو النُّورَيْنِ ... ذو الْحِلْمِ والْحَيَا بِغَيْرِ مَيْنِ
بَحْرُ الْعُلُومِ جَامِعُ الْقُرآنِ ... مِنْهُ اسْتَحَتْ مَلاَئِكُ الرَّحْمٰنِ

---

(١) في معارج القبول (ط١: ٢/٤٨٦): له، وما هنا عن النسخة الخطية.
(٢) في النسخة الخطية: قتال.
(٣) في النسخة الخطية: وفاتح البلاد والأمصار.

بَايَعَ عَنْهُ سَيِّدُ الأَكْوَانِ ... بِكَفِّهِ فِي بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ
والرَّابِعُ ابْنُ عَمِّ خَيْرِ الرُّسُلِ ... أَعْنِي الإِمَامَ الْحَقَّ ذَا الْقَدْرِ الْعَلِي
مُبِيدُ كُلِّ خَارِجِيٍّ مَارِقِ ... وَكُلِّ خِبٍّ رَافِضِيٍّ فَاسِقِ
مَنْ كَانَ لِلرَّسُولِ[1] فِي مَكَانِ ... هَارُونَ مِنْ مُوسَى بِلا نُكْرَانِ
لاَ فِي[2] نُبُوَّة، فَقَدْ قَدَّمْتُ مَا ... يَكْفِي لِمَنْ مِنْ سُوءِ ظَنٍّ سَلِمَا
فَالسِّتَّةُ الْمُكَمِّلُونَ الْعَشَرة ... وَسَائِرُ الصَّحْبِ الْكِرَامِ الْبَرَرة
وَأَهْلُ بَيْتِ الْمُصْطَفَى الأَطْهَار ... وَتَابِعُوهُ السَّادَةُ الأَخْيَارُ
فَكُلُّهُمْ فِي مُحْكَمِ الْقُرآنِ ... أَثْنَى عَلَيْهِم خَالِقُ الأَكْوَانِ
فِي الْفَتْحِ وَالْحَدِيدِ والْقِتَالِ ... وَغَيْرِهَا بِأَكْمَلِ الْخِصَالِ
كَذَاكَ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ ... صِفَاتُهُمْ مَعْلُومَةُ التَّفْصِيلِ
وَذِكْرُهُمْ فِي سُنَّةِ الْمُخْتَارِ ... قَدْ سَارَ سَيْرَ الشَّمْسِ فِي الأَقْطَارِ
ثُمَّ السُّكُوتُ وَاجِبٌ عَما جَرَى ... بَيْنَهُمُ مِنْ فِعْلِ مَا قَدْ قُدِّرَا
فَكُلُّهُمْ مُجْتَهِدٌ مُثَابُ ... وَخِطْؤُهُمْ[3] يَغْفِرُهُ الْوَهَّابُ

❁ ❁ ❁

خاتمةٌ
في وجوب التمسكِ بالكتاب والسنةِ
والرجوع عند الاختلافِ إليهما،
فما خالفهما فهو ردٌّ

شَرْطُ قَبُولِ السَّعْيِ أَنْ يَجْتَمِعَا ... فِيهِ إِصَابَةٌ وَإِخْلاَصٌ مَعَا
لِلَّهِ[4] رَبِّ الْعَرْشِ لاَ سِوَاهُ ... مُوَافِقَ الشَّرْعِ الَّذِي ارْتَضَاهُ

---

(١) في النسخة الخطية: من صار للمختار.
(٢) في معارج القبول (ط١: ٢/٥٦٦) ـ السطر الثاني ـ: ولا في، الواو في أول البيت هناك كتبت خطأ فتحذف.
(٣) بكسر الخاء وسكون الطاء. (أبو مصعب).
(٤) في معارج القبول (ط١: ٢/٦٠٢): الله، تحذف الألف، وهي مصححة في الشرح.

وكُـلُّ مَـا خَـالَـفَ لِـلْـوَحْـيَـيْـنِ فَـإِنَّـهُ رَدٌّ بِـغَـيْـرِ مَـيْـنِ
وكُلُّ مَـا فِـيهِ الْـخِـلَافُ[1] نُـصِـبَـا فَـرَدُّهُ إِلَـيْـهِـمَـا قَـدْ وَجَـبَـا
فـالـدِّيـنُ إِنَّـمَـا أَتَـى بِـالـنَّـقْـلِ لَـيْـسَ بـالأَوْهَـامِ وَحَـدْسِ الْـعَـقْـلِ

❋ ❋ ❋

ثُـمَّ إِلَـى هُـنَـا قَـدْ انْـتَـهَـيْـتُ وَتَـمَّ مَـا بِـجَـمْـعِـهِ عُـنِـيـتُ
سَـمَّـيْـتُـهُ بِـسُـلَّـمِ الْـوُصُـولِ إِلَـى سَـمَـا مَـبَـاحِـثِ الأُصُـولِ
وَالْـحَـمْـدُ لِـلـهِ عَـلَـى انـتِـهَـائـي كَـمَـا حَـمِـدْتُ الـلَّـهَ فـي ابْـتِـدَائـي
أَسْـأَلُـهُ مَـغْـفِـرَةَ الـذُّنُـوبِ جَـمِـيـعِـهَـا والـسِّـتْـرَ لِـلْـعُـيُـوبِ
ثُـم الـصَّـلاةُ والـسَّـلامُ أَبَـدَا تَغْشَى الرَّسُولَ الْمُصطَفَى مُحَمَّدَا
ثُـمَّ جَـمِـيـعُ صَـحْـبِـهِ وَالآلِ الـسَّـادَةِ الأَئِـمَّـةِ الأَبْـدَالِ
تَـدُومُ سَـرْمَـدًا بِـلَا نَـفَـادِ مَـا جَـرَتِ الأَقْـلَامُ بِـالْـمِـدَادِ
ثُـمَّ الـدُّعَـا وَصِـيَّـةُ الْـقُـرَّاءِ جَـمِـيـعِـهِـمْ مِنْ غَـيْـرِ مَـا اسْـتِـثْـنَـاءِ
أَبـيَـاتُـهَـا (يُـسْـر) بِـعَـدِّ الْـجُـمَّـلِ[2] تَأْرِيخُهَا (الْغفرَانُ) فافْهَمْ[3] وَادْعُ لي
٢٧٠ ١٣٦٢هـ

❋ ❋ ❋

---

(١) في النسخة الخطية: وكل ما فيه اختلاف.

(٢) أي عدة أبيات المنظومة تساوي مجموع رمز كلمة (يسر) وفق رموز الحروف الأبجدية المعروفة؛ فالياء بـ ١٠، والسين بـ ٦٠، والراء بـ ٢٠٠ = مجموعهما ٢٧٠ بيتاً، وواضح أن عدد الأبيات في مجموعهما ٢٩٠ بيتاً لا ٢٧٠ بيتاً.
والناظر في خاتمة الكتاب (معارج القبول ـ ط١: ٢/ ٦٣٢) يجد أن المؤلف قد نظم الشطر الأول من هذا البيت بأسلوب آخر أكثر وضوحاً، حيث يجعله هكذا:
(أبياتها المقصود «يسر» فاعقل)، ويعني بالمقصود: الأبيات التي عرض فيها الأحكام والمسائل، فإذا نحن حذفنا أبيات المقدمة الأولى والأبيات الأخيرة من الخاتمة وهي ٢٠ بيتاً، سنجد أن عددها ٢٧٠ بيتاً.

(٣) أي مجموع رموز كلمة (الغفران)؛ فالألف بـ ١، واللام بـ ٣٠، والغين بـ ١٠٠٠، والفاء بـ ٨٠، والراء بـ ٢٠٠، والألف الثانية بـ ١، والنون بـ ٥٠ = مجموعها ١٣٦٢هـ، وهو تاريخ نظمها والانتهاء من تسويدها.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

شرحُ مقدمةِ المنظومة

(أبـدأ بـاسـم الله مـسـتـعـيـنـا راضٍ بـه مُـدبِّـراً مُـعـيـنـا)

(أبدأ) في جميع حرَكاتي وسكَناتي وأقوالي وأعمالي وفي شأني كلِّه، ومنه هذا التصنيفُ.

(باسم الله) متبركاً و **(مستعيناً)** به أو إياه يتعدَّى بالباء وبدونه أي طالباً منه العونَ على فعلِ طاعتِه وتركِ معصيته، كما قال تعالى في فاتِحة الكتابِ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥].

وقال النبيُّ ﷺ لابن عمِّه عبدِ اللَّهِ بنِ عباسٍ رضي الله عنهما: **«إذا سألت فاسألِ اللَّهَ، وإذا استعنتَ فاستعن بالله»**[(١)]. وهو خطابٌ شاملٌ لجميع الأمة، وفي ضمن ذلك الأمرِ

---

(١) حديث ابن عباس له عدة طرق، وهذه الطرق في ألفاظها بعض الاختلاف.

(*) ١ ـ أخرجه أحمد (١/ ٢٩٣) والترمذي (٤/ ٦٦٧ رقم ٢٥١٦).

وأبو يعلى في «المسند» (٤/ ٤٣٠ رقم ٢٢٩/ ٢٥٥٦) وابن السني في «عمل اليوم والليلة» رقم (٤٢٥) والبيهقي في «شعب الإيمان» (١/ ٢١٦ رقم ١٩٥). **وإسناده حسن**. من طريق حنش الصنعاني عن ابن عباس.

(*) وأخرجه الطبراني في «الدعاء» (٢/ ٨٠٤ رقم ٤٢) من طريق عبد الله بن صالح وهو صدوق يغلط كثيراً.

(*) وأخرجه أحمد (١/ ٣٠٧) والبيهقي في «الأسماء والصفات» (ص٧٥ـ٧٦) واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٤/ ٦١٣ رقم ١٠٩٤) و(٤/ ٦١٤ رقم ١٠٩٥). **بإسناد حسن**.

٢ ـ أخرج الطبراني في «الكبير» (١١/ ٢٣ رقم ١١٥٦٠) بإسناد ضعيف.

٣ ـ أخرج العقيلي (٣/ ٣٩٧ ـ ٣٩٨) والطبراني في «الكبير» (١١/ ١٢٣ رقم ١١٢٤٣) وفي «الدعاء» (٢/ ٨٠٣ رقم ٤١) والحاكم (٣/ ٥٤٢) والبيهقي في «الآداب» رقم (٩٣٣) والقضاعي في «مسند الشهاب» (١/ ٤٣٤ رقم ٧٤٥) والبيهقي في «شعب الإيمان» (٧/ ٢٠٣ رقم ١٠٠٠١). وفي إسناده عيسى بن محمد القرشي، قال عنه أبو حاتم: «ليس بالقوي». وقال الذهبي: «عيسى ليس بمعتمد»، من طريق ابن أبي مليكة عن ابن عباس.

٤ ـ أخرج عبد بن حميد (رقم: ٦٣٦ ـ المنتخب) **وإسناده ضعيف**. =

الواقِع في جواب الشرطِ نهيٌ لنا عن الاستعانة بغير اللّهِ عز وجل لأنه لا خالقَ للعباد وأفعالِهم غيرُه تعالى، فإذا كان المخلوقُ لا يقدِر على فعل نفسِه إلا بما أقدره الله تعالى عليه فكيف يجوز أن تُطلَبَ الإعانةُ منه على فعل غيرِه، والعاقلُ يفهم ذلك بادِئَ بَدْء.

خلاصةُ القولِ في تفسير البسملة

والكلامُ على تفسير البسملةِ مُستوفىً في كتب المفسرين[1]، ولنذْكُرْ خُلاصةَ

= من طريق عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس.

(*) وله طريق أخرى أخرجها العقيلي في «الضعفاء» (٣/ ٥٣) والآجري في «الشريعة» (ص١٩٨)، والطبراني في «الكبير» (١١/ ١٧٨ رقم ١١٤١٦) مختصراً. بسند ضعيف.

٥ ـ أخرج أبو نعيم في «الحلية» (١/ ٣١٤) وإسناده ضعيف.

٦ ـ أخرج الحاكم (٣/ ٥٤١) **وإسناده ضعيف جداً**.

٧ ـ أخرج أحمد (١/ ٣٠٧) بلفظ الطريق رقم (١). من طريقين:

(الأول): من طريق الحجاج بن الفُرَافِصَة عن ابن عباس. **وهو منقطع**.

و(الثاني): من طريق همام بن يحيى البصري عن ابن عباس. **وهو منقطع**.

قلت: وفي الباب من حديث علي بن أبي طالب، وسهل بن سعد، وأبي سعيد الخدري وعبد الله بن جعفر.

(*) أما حديث علي بن أبي طالب، فقد أخرجه القاضي التنوخي في «الفرج بعد الشدة» (١/ ١١٢) **وإسناده ضعيف جداً**.

(*) وأما حديث سهل بن سعد، فقد أخرجه القاضي التنوخي في «الفرج بعد الشدة» (١/ ١١٥) وإسناده ضعيف.

(*) وأما حديث أبي سعيد الخدري، فقد أخرجه أبو يعلى في «المسند» (٢/ ٣٥٠ رقم ١٢٥/ ١٠٩٩) وفي معجم الشيوخ رقم (٩٦) وابن عدي في الكامل (٧/ ٢٦٨٣) والآجري في الشريعة» ص١٩٩ واللالكائي (٤/ ٦١٤ رقم ١٠٩٦) والخطيب في «تاريخ بغداد» (١٤/ ١٢٥) وإسناده ضعيف جداً.

(*) وأما حديث عبد الله بن جعفر، فقد أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (١/ ١٣٧ رقم ٣١٥) وقال الألباني: **حديث صحيح**، وإسناده واه جداً. علي بن أبي علي الهاشمي: متروك كما قال أبو حاتم والنسائي، وقال الحاكم: يروي عن ابن المنكدر أحاديث موضوعة يرويها عن الثقات وإنما حكمت على الحديث بالصحة للطرق الآتية... ثم ذكرها.

وأخرجه الطبراني كما في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٨٩، ١٩٠) وقال الهيثمي: وفيه علي بن أبي علي القرشي وهو ضعيف» اهـ.

وخلاصة القول أن الحديث صحيح لطرقه وشواهده.

(١) انظر «معاني القرآن الكريم» للإمام أبي جعفر النحاس (١/ ٥٠ ـ ٥٦). وتفسير البغوي =

ذلك فنقول: الباءُ أداةٌ تخفِضُ ما بعدها، ومعناها في البسملة الاستعانةُ، وتطويلُها في القرآن تعظيماً لكتاب اللّهِ عز وجل، وإسقاطُ الألفِ من الاسم طلباً للخِفَّة لكثرة استعمالِها، وقيل لما أسقطوا الألفَ ردوا طولَها على الباء ليدُلَّ على السقوط، ولذلك لما كُتبت الألفُ في: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ [العلق: ١]، رُدت الباءُ إلى هيئتها.

والاسمُ هو المسمّى وعينُه وذاتُه فإنك تقول: يا الله يا رحمنُ يا رحيمُ، فتدعوه بأسمائه التي سمى بها نفسَه كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وقال تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء: ١١٠]. ولو كانت أسماءُ اللّهِ غيرَه لكان الداعي بها مشركاً إذ دعا مع الله غيرَه، ولكانت مخلوقةً إذ كلُ ما سوى الله مخلوقٌ، وهذا هو الذي حاوله الملحدون في أسماء اللّهِ تعالى وصفاتِه، تعالى الله عمَّا يقولون علواً كبيراً.

وسيأتي بسطُ القولِ في ذلك إن شاء الله تعالى في الكلام على الأسماء.

(الله) علمٌ على ذاتِه تبارك وتعالى، وكلُ الأسماء الحسنى تضاف إليه كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [طه: ٨]. ألا ترى أنك تقول: الرحمنُ من أسماء اللّهِ تعالى والرحيمُ من أسماء اللّهِ ونحو ذلك، ولا تقول: اللّهُ من أسماء الرحمن[(١)]، وقال النبيُ ﷺ: «**إن لله تسعةً وتسعين اسماً مائةً إلا واحداً مَن أحصاها دخل الجنة**»[(٢)].

واختلفوا في كونه مشتقاً أو لا، ذهب الخليلُ وسيبويهِ وجماعةٌ من أئمة اللغةِ والشافعيُ والخطابيُ وإمامُ الحرمين ومَن وافقهم إلى عدم اشتقاقه لأن الألفَ واللامَ فيه لازمةٌ، فتقول: يا اللّهُ ولا تقول يا الرحمن، فلولا أنه من أصل الكلمةِ لما جاز إدخالُ حرفِ النداء على الألف واللام.

وقال آخرون إنه مشتقٌ، واختلفوا في اشتقاقه إلى أقوال أقواها أنه مشتقٌ من

= «معالم التنزيل» (١/ ٤٩ ـ ٥٢) و«جامع البيان» (١/ ٥٠ ـ ٥٩).

(١) انظر ما قاله صاحب شرح الطحاوية في ذلك (ص١٣١). تخريج الألباني.

(٢) أخرجه البخاري (١١/ ٢١٤ رقم ٦٤١٠) ومسلم (٤/ ٢٠٦٣ رقم ٦/ ٢٦٧٧) من حديث أبي هريرة.

أَلَه يأْلَهُ إلاهةً، فأصلُ الاسمِ الإلهُ. فحُذفت الهمزةُ وأُدغمت اللامُ الأولى في الثانية وجوباً فقيل الله، ومن أقوى الأدلةِ عليه قولُه تعالى: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ٣]، مع قولِه عز وجل: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِي ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ [الزخرف: ٨٤]. ومعناه ذو الألوهيةِ التي لا تنبغي إلا له، ومعنى أَلَه يأْلَه إلاهةً: عبدَ يعبُد عبادةً، فالله المألوه أي المعبود.

ولهذا الاسمِ خصائصُ لا يُحصيها إلا الله عز وجل. وقيل إنه هو الاسمُ الأعظم[1].

﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: ٣]. اسمان مشتقان من الرحمة على وجه المبالغة، ورحمنٌ أشدُّ مبالغةً من رحيم، فالرحمنُ يدل على الرحمة العامة كما قال تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]. والرحيم يدل على الرحمة الخاصةِ بالمؤمنين كما قال تعالى: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٣]. ذكره ابنُ جريرٍ[2] بسنده عن العزْرميّ بمعناه.

وفي الدعاء المأثور[3]: «رحمٰنَ الدنيا والآخرةِ ورحيمَهما»، والظاهرُ المفهومُ

---

(١) لقد ورد الاسم الأعظم في أحاديث صحيحة وستأتي هذه الروايات.

(٢) في «جامع البيان» (١/ ١٢٧ رقم ١٤٦ ـ شاكر).

حدثني السري بن يحيى التميمي، قال: حدثنا عثمان بن زفر، قال سمعت العَزْرَمي يقول: «الرحمن الرحيم» قال: الرحمن بجميع الخلق، الرحيم قال: بالمؤمنين.

(*) السري بن يحيى التميمي الكوفي: شيخ الطبري، لم نجد له ترجمة إلا في الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٢/ ١/ ٢٨٥) وقال: «لم يقض لنا السماع منه، وكتب إلينا بشيء من حديثه، وكان صدوقاً».

(*) والعَزْرَمي، المرويُّ عنه هذا الكلام هنا: ضعيف جداً، قال الإمام أحمد في «المسند» رقم (٦٩٣٨): «لا يساوي حديثه شيئاً»، وهو محمد بن عبيد الله بن أبي سليمان العَزْرَمي. وأما عمه: عبد الملك بن أبي سليمان العزرمي فإنه تابعي ثقة، ولكنه قديم مات سنة(١٤٥هـ). فلم يدركه «عثمان بن زفر» المتوفى سنة (٢١٨هـ).

(٣) وهو جزء من حديث أخرجه المروزي في «مسند أبي بكر الصديق» رقم (٤٠) والحاكم في «المستدرك» (١/ ٥١٥ ـ ٥١٦) والبزار (٤/ ٥٢ رقم ٣١٧٧ ـ كشف) ودلائل النبوة للبيهقي (٦/ ١٧١ ـ ١٧٢) وابن عدي في «الكامل» (٢/ ٦٢١). كلهم من حديث عائشة.

قال الحاكم: هذا حديث صحيح غير أنهما لم يحتجا بالحكم بن عبد الله الأيلي.

ورده الذهبي بقوله: قلت: الحكم ليس بثقة. =

من نصوص الكتابِ والسنةِ أن اسمَه الرحمنَ يدل على الصفة الثانية الذاتيةِ من حيث اتصافُه تعالى بالرحمة، واسمه الرحيمُ يدل على الصفة الفعليةِ من حيث إيصالُه الرحمةُ إلى المرحوم، فلهذا قال تعالى: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٣]، ﴿إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٧].

ولم يأت قطُ إنه بهم رحمن، ووصف نبيَّه محمداً ﷺ بأنه رؤوف رحيم فقال تعالى: ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]، ولم يصِف قطُ أحداً من خلقه أنه رحمن فتأملْ ذلك، والله أعلم.

(راض) خبرٌ لمبتدأ محذوف تقديرُه وأنا راضٍ **(به)** أي بالله عز وجل **(مدبِّراً)** حالٌ من الضمير المجرورِ أي بتدبيره لي في جميع شؤوني، فإن أزِمَّةَ الأمورِ بيده

= وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/١٨٦): والبزار، وفيه الحكم بن عبد الله الأيلي وهو متروك.

قلت: «الحكم بن عبد الله الأيلي» قال يحيى بن معين: «ليس بثقة» وضعفه العقيلي، وقال ابن حبان: «قال الإمام أحمد: أحاديث الحكم بن عبد الله كلها موضوعة». التاريخ الكبير (٢/ ٣٤٥) و«المجروحين» (١/ ٢٤٨) و«الميزان» (١/ ٥٧٢).

قلت: والخلاصة أن الحديث موضوع، والله أعلم.

(*) وأخرجه الطبراني في «الصغير» (١/ ٢٠٢) من حديث أنس.

وأورده الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ١٨٩) وقال: «رواه الطبراني في «الصغير» ورجاله ثقات».

قلت: دون لفظ «ورحيمهما».

وأورده المنذري في «الترغيب والترهيب» (٢/ ٥٩٨ رقم ٢٧١٦) وقال: رواه الطبراني في «الصغير» بإسناد جيد.

قلت: والخلاصة أن الحديث حسن، والله أعلم.

وأخرجه الطبراني في «الكبير» (٢٠/ ١٥٤ ـ ١٥٥ رقم ٣٢٣) من حديث معاذ.

وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ١٨٧ ـ ١٨٩) وقال: وفيه نصر بن مرزوق ولم أعرفه وبقية رجاله ثقات، إلا أن سعيد بن المسيب لم يسمع من معاذ.

قلت: نصر بن مرزوق قال عنه ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٤/ ١/ ٤٧٢) «كتبنا عنه وهو صدوق».

أما علة الحديث فهي الانقطاع بين سعيد بن المسيب ومعاذ.

وأخرجه الطبراني (٢٠/ ١٥٩ ـ ١٦٠) رقم (٣٣٢) من طريق آخر عن معاذ.

وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ١٨٩) وقال: وفيه من لم أعرفهم.

قلت: وخلاصة القول أن الحديث ضعيف بطريقيه والله أعلم.

وهو الذي يعلم ما لا نعلم ويقدِر ما لا نقدِر، وهو الذي يدبر الأمرَ من السماء إلى الأرض: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا﴾ [الطلاق: ١٢].

و (معيناً) لي على جميع أموري الدينيةِ والدنيوية، فإني لا أقدِر إلا على ما أقدَرني عليه، ولا عِلمَ لي إلا ما علَّمنيه، فلا أعبُد إلا إياه ولا أستعين إلا به ولا أتوكل إلا عليه، ولا حولَ ولا قوةَ إلا بالله، ولا منْجا ولا ملجأ منه إلا إليه.

القولُ في حمد اللّهِ وشُكرِه والاستِعانةِ به

(والحمدُ للّهِ كما هدانا إلى سبيلِ الحقِ واجتبانا)

أي (و) أُثني بحمده فأقول (**الحمد لله**) كما أثنى به على نفسه في كتابه فقال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢]. وأمرَ بذلك عبادَه فقال تعالى مخاطباً لنبيّه خطاباً يدخُل فيه جميعُ أمتِه: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [النمل: ٥٩]. فله الحمدُ كالذي يقول وخيراً مما نقول، سبحانه لا نُحصي ثناءً عليه هو كما أثنى على نفسه، فله الحمدُ على أسمائه الحسنى وصفاتِه العُلى، وله الحمدُ على نِعَمه الظاهرةِ والباطنةِ، وله الحمدُ في الأولى والآخرة.

وعن الأسود بنِ سريع[1] ﷺ قال: قلتُ يا رسولَ الله، ألا أُنشدك محامدَ

---

(١) **وهو حديث حسن.**

أخرجه أحمد مختصراً ومطولاً (٣/ ٤٣٥) و(٤/ ٢٤) والنسائي في «الكبرى» كما في «تحفة الأشراف» (١/ ٧٠ رقم ١٤٧) من طريق الحسن ـ البصري ـ عن الأسود بن سَرِيع.

قال ابن أبي حاتم في «المراسيل» (ص٣٩ ـ ٤٠): «الحسن لم يسمع من الأسود بن سريع لأن الأسود بن سريع خرج من البصرة أيام علي ﷺ. وكان الحسن بالمدينة. قلت له: قال المبارك ـ يعني ابن فضالة ـ في حديث الحسن عن الأسود بن سريع قال: أتيت النبي ﷺ فقلت: إني حمدت ربي بمحامد: «أخبرني» الأسود؟ فلم يعتمد على المبارك في ذلك» اهـ.

وقال ابن المديني في «العلل» (ص٦٧) كما قال ابن أبي حاتم.

قلت: ولكن الأشهر من هذا الحديث أنه من رواية عبد الرحمن بن أبي بكرة عن الأسود وقد قال ابن منده أيضاً: إنه لا يصح سماعه منه، وفيه قصة دخول عمر بن الخطاب عليه أثناء إنشاده وأن النبي ﷺ استنصته وقال عن عمر ﷺ: «هذا رجل لا يحب الباطل».

وللحديث طرق أخرى تقويه عند أحمد والطبراني فهو بها حسن إن شاء الله.

حمِدْتُ بها ربي تبارك وتعالى؟ فقال ﷺ: **«أما إن ربَّك يُحب الحمدَ»** رواه أحمدُ والنَّسائي.

وعن الحكَم بن عُمَير ﷺ وكانت له صحبةٌ قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«إذا قلتَ الحمدُ لله فقد شكرتَ اللَّهَ فزادك»** رواه ابن جرير[1].

وعن جابر بن عبدِ الله[2] ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«أفضلُ الذكرِ لا إله إلا الله، وأفضلُ الدعاءِ الحمدُ لله»**، رواه التِرمذيُّ والنَّسائيُّ وابنُ ماجَهْ، وقال التِرمِذيُّ: حسنٌ غريبٌ.

وعن أنس بنِ مالكٍ ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«ما أنعم اللَّهُ على عبد نعمةً فقال الحمدُ لله إلا كان الذي أعطى** - يعني من هدايته للحمد - **أفضلَ مما أخَذ»** رواه ابنُ ماجه[3]، ....

(١) في «جامع البيان» (١/ ١٣٦ رقم ١٥٢) - شاكر.
وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (١/ ١١) ونسبه للطبري، والحاكم في «تاريخ نيسابور»، والديلمي «بسند ضعيف».
قال أحمد شاكر: وإسناده ضعيف حقاً، بل هو إسناد لا تقوم له قائمة.
ثم ذكر أن/ عيسى بن إبراهيم القرشي الهاشمي/ هو بلاء هذا الحديث لأن البخاري قال عنه في «الضعفاء الصغير» رقم (٢٦٩): «منكر الحديث». وشيخه/ موسى بن أبي حبيب/ مثله: ضعيف تالف. وقال الذهبي في «الميزان» (٤/ ٢٠٢ رقم ٨٨٥٦) ضعفه أبو حاتم، وخبرُه ساقط.
والخلاصة: فهو حديث ضعيف جداً.

(٢) أخرجه ابن حبان في صحيحه رقم (٨٤٦) والترمذي رقم (٣٣٨٣) والنسائي في «عمل اليوم والليلة» رقم (٨٣١) والحاكم (١/ ٥٠٣). من طريق يحيى بن حبيب بن عربي، عن موسى بن إبراهيم الأنصاري، عن طلحة بن خِراش عن جابر.
قال الترمذي: **هذا حديث حسن غريب**، لا يعرف إلا من حديث موسى بن إبراهيم. وهو صدوق يخطئ كما في «التقريب» رقم (٦٩٤٢)، فمثله يكون حديثه حسناً. وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.
وأخرجه ابن ماجه رقم (٣٨٠٠) والبيهقي في الأسماء والصفات رقم (١٩٣). والبغوي في «شرح السنة» رقم (١٢٦٩) وابن أبي الدنيا في «الشكر» رقم (١٠٢) والخرائطي في «فضيلة الشكر» رقم (٧) والحاكم (١/ ٤٩٨) من طرق عن موسى بن إبراهيم الأنصاري به.
وصححه الحاكم ووافقه الذهبي وهو كما قالا.

(٣) في «السنن» (٢/ ١٢٥٠ رقم ٣٨٠٥). وقال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (٣/ ١٩٢ =

وللقرطبي[1] عنه عن النبي ﷺ قال: «**لو أن الدنيا بحذافيرها في يد رجلٍ ثم قال الحمدُ لله لكان الحمدُ لله أفضلَ من ذلك**».

قال القرطبي[2] وغيرُه: أي لكان إلهامُه الحمدُ لله أكثرَ نعمةً عليه من نِعم الدنيا. لأن ثوابَ الحمدِ لا يفنى ونعيمُ الدنيا لا يبقى. قال الله تعالى: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [الكهف: ٤٦].

وقال علي[3] رضي الله عنه: الحمدُ لله كلمةٌ أحبها الله تعالى لنفسه ورضِيَها لنفسه وأحب أن تقال.

وقال ابن عباس[4] رضي الله عنهما: الحمدُ لله كلمةُ الشكر، وإذا قال العبدُ الحمدُ لله قال شكرني عبدي.

وقال رضي الله عنه[5]: الحمدُ لله كلمةُ كلِّ شاكرٍ. وقال رضي الله عنه[6]: الحمدُ لله هو الشكرُ لله، هو الاستخذاءُ له والإقرارُ له بنعمته وهدايتِه وابتدائِه وغيرُ ذلك.

= رقم ١٣٣١/ ٣٨٠٥): «هذا إسناد حسن، شَبيب بن بِشْر مختلف فيه» اهـ.
وقال الحافظ في «التقريب» رقم (٢٧٣٨) عن شبيب هذا: «صدوق يخطئ».
فالحديث حسن إن شاء الله. وقد حسن الألباني الحديث في صحيح ابن ماجه.

(١) أورده الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» (ص٢٨٠) بدون سند كعادته.
وقد عزاه القرطبي في تفسيره (١/ ١٣١) للحكيم الترمذي ـ وما ذكر المؤلف رحمه الله إنما هو سبق قلم والله أعلم ـ **وحكم المحدث الألباني عليه بالوضع في «الضعيفة» رقم (٨٧٥)**.

(٢) في تفسيره «الجامع لأحكام القرآن» (١/ ١٣١).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١/ ١٥) رقم (١٣) و(١/ ١١٧ رقم ٣٤٧). **بسند ضعيف، لضعف الحجاج بن أرطأة**.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١/ ١٣ رقم ٨) **بسند ضعيف جداً**، لأن في سنده علي بن زيد بن جدعان متفق على ضعفه.
وذكره السيوطي في «الدر» (١/ ١١) ونسبه إلى ابن أبي حاتم وابن جرير وابن المنذر. ولم أقف عليه عند ابن جرير.

(٥) ذكره ابن كثير في تفسيره (١/ ٤٨) عن ابن عباس بدون سند.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١/ ١٤ رقم ٩) وابن جرير في تفسيره (١/ ١٣٥ رقم ١٥١). **بسند فيه ضعف وانقطاع**.
أما الضعف فهو ضعف بشر بن عُمارة الخثعمي الكوفي. =

وقال الضحاك[1]: الحمدُ لله رداءُ الرحمن، وقال كعبُ الأحبار[2]: الحمدُ لله ثناءُ الله.

وفي معنى الحمدُ لله وفضلِها آثارٌ غيرُ ما ذكرنا لا تُحصى. ولما كان من أكبرِ نعم اللّهِ علينا، وأجلِّ مِننِه الواصلةِ إلينا، هدايتُه إيانا إلى صراطِه المستقيم، الذي هو دينُ الإسلامِ الذي أرسل به رسلَه وأنزل به كُتبَه ولا يَقبل من أحد غيرَه، ناسَبَ الثناءُ عليه بها فقلت (**كما هدانا**) أي على ما هدانا إرشاداً ودِلالةً بكتبه ورُسلِه، وتوفيقاً وتسديداً بمشيئته وقدَرِه (**إلى سبيل الحق**) وهو دينُ الإسلام والإيمانِ (**واجتبانا**) له.

وبذلك قال تعالى ممتناً علينا وله الحمدُ والمنة: ﴿وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ [البقرة: ١٩٨].

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ [الحج: ٧٧ ـ ٧٨].

ولما كان الحمدُ الخَبريُّ أبلغَ من الإنشائي لدلالته على الثبوت والاستمرارِ قدمتُه عليه أولاً ثم عطفتُ عليه الإنشائيَّ جمعاً بينهما فقلت:

= وأما الانقطاع فهو عدم سماع الضحاك من ابن عباس.

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١/ ١٤ رقم ١١) **وهو ضعيف**.
وفي سنده بزيغ بن عبد الله اللحام ومولاه يحيى بن عبد الرحمن كلاهما متكلم فيهما.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١/ ١٤ رقم ١٠) وابن جرير في تفسيره (١/ ١٣٧) رقم (١٥٣).
قال أحمد شاكر: «هذا «إسناد صحيح. وسواء صح أم ضعف. فلا قيمة له، إذ منتهاه إلى كعب الأحبار. وما كان كلام كعب حجة قط، في التفسير وغيره» اهـ.
قلت: رد كلام كعب الأحبار بالكلية بدون بيان أو توضيح تسرُّع، مع العلم أن له شواهد من الأحاديث المرفوعة.
وخبر كعب هذا أورده السيوطي في «الدر المنثور» (١/ ١٠) وعزاه إلى ابن جرير وابن أبي حاتم.

(أحـــمــده سـبـحــانــه وأشــكــرُه ومـن مَـسـاوي عـمـلِـي أسـتـغـفـرُهْ)

(أحمده) أي أُنشِئُ له حمداً آخرَ متجدداً على توالي نعمِه وتواتُرِ فضلِه، فله الحمدُ كما ينبغي لجلال وجهِه وعظيمِ سلطانِه (سبحانه) أي تنزيهاً له عما لا يليق بنعوت جلالِه وصفاتِ كمالِه، وهذه العبارة تتضمن معنى قولِه ﷺ في الحديث المتفقِ عليه[1]: «كَلِمتانِ حبيبتانِ إلى الرحمن، خفيفتان على اللِّسانِ، ثقيلَتَانِ في الميزان: سُبحانَ اللّهِ وبحمدِهِ سُبحانَ اللّهِ العظيم».

(وأشكره) على ما أنعم وألْهمَ امتثالاً لقوله عز وجل: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢].

واختلف العلماءُ في معنى الحمدِ والشكرِ هل هما مترادفتان أو لا، فذهب إلى ترادُفهما ابنُ جريرٍ الطبريُّ[2] صاحبُ التفسيرِ وجعفرُ الصادقُ وغيرُهما، وذهب جماعةٌ من المتأخرين إلى التفرقة بينهما.

وقال شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميةَ رحمه الله تعالى: الحمدُ يتضمن المدحَ والثناءَ على المحمود بذكر محاسنِه، سواءٌ كان الإحسانُ إلى الحامد أو لم يكن، والشكرُ لا يكون إلا على إحسان المشكورِ إلى الشاكر.

فمن هذا الوجهِ الحمدُ أعمُّ من الشكر لأنه يكون على المحاسن والإحسان، فإن اللّهَ تعالى يُحمد على ما له من الأسماء الحسنى والمَثَلِ الأعلى، وما خلقه في الآخرة والأولى، ولهذا قال تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ﴾ [الإسراء: ١١١].

وقال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ [الأنعام: ١].

وقال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ﴾ [سبأ: ١].

وقال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ﴾ [فاطر: ١].

---

(١) البخاري في رقم (٦٤٠٦) و(٦٦٨٢) و(٧٥٦٣) ومسلم رقم (٢٦٩٤).
(٢) في «جامع البيان» (١/١٣٨ ـ ١٣٩).

وأما الشكرُ فإنه لا يكون إلا على الإنعام، فهو أخصُّ من الحمد من هذا الوجه، لكنه يكون بالقلب واليدِ واللسانِ كما قيل:

أفادتكمُ النَّعماءُ مني ثلاثةً ... يدي ولساني والضميرَ المحجبا

ولهذا قال تعالى: ﴿ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣]. والحمدُ يكون بالقلب واللسانِ، فمن هذا الوجهِ الشكرُ أعمُّ من جهة أنواعِه، والحمدُ أعمُّ من جهةِ أسبابه.

وفي الحديث: «**الحمدُ لله رأسُ الشكر**»[1]، فمن لم يحمَد اللَّهَ لم يشكُره. وفي الصحيح[2] عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن الله ليرضَى عن العبد أن يأكلَ الأَكلَةَ فيحمَدَه عليها، ويشرَبَ الشَربَةَ فيحمَدَه عليها**». والله أعلم. انتهى كلامه رحمه الله تعالى.

(**ومن مساوي**) جمع مَساءة. (**عملي**) مضافٌ إليه من إضافة الصفةِ إلى الموصوف.

(**أستغفره**) السين للطلب أي أطلب منه مغفرةَ تلك المساوئِ ما تقدم منها وما تأخر إنه هو أهلُ التقوى وأهلُ المغفرة.

(وأستعينُه على نيل الرضا ... وأستمدّ لُطفَه فيما قضى)

(**وأستعينه**) أطلب منه العونَ (**على نيل الرضا**) أي على فعل الأعمالِ الصالحةِ التي بسببها يُنال رضاه أن يَرزُقَنيها ويُنيلَني رضاه بفضله ورحمتِه.

---

(١) **وهو حديث ضعيف.**
روي من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص، ومن حديث عبد الله بن عباس.
(*) فأما حديث عبد الله بن عمرو بن العاص، فقد أخرجه عبد الرزاق في «المصنف (١٠/ ٤٢٤) وفي تفسيره ـ كما في تخريج أحاديث الكشاف للزيلعي (١/ ٢٥ رقم ٣).
وذكره الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» (ص١٩٦)، وأخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٤/ ٩٦ رقم ٤٣٩٥) والثعلبي في تفسيره ـ كما في تخريج أحاديث الكشاف للزيلعي رقم (٣).
والخطابي في غريب الحديث (١/ ٣٤٥ ـ ٣٤٦). والديلمي ـ كما في الفردوس رقم (٢٧٨٤).
ورجاله ثقات لكنه منقطع بين قتادة وابن عمرو. انظر: الضعيفة (١٣٧٢).
(*) وأما حديث ابن عباس فقد أخرجه البغوي في «شرح السنة» (٥/ ٤٩) وفي التفسير (٥/ ١٣٩) والطبراني في «الكبير» (١٢/ ١٩) وفي «الصغير» (١/ ١٠٣) وصححه الحاكم (١/ ٥٠٢).
وقد ضعف الألباني الحديث في «الضعيفة» (٢/ ٩٣ ـ ٩٤).
(٢) في صحيح مسلم (٤/ ٢٠٩٥ رقم ٢٧٣٤) من حديث أنس.

(وأستمد) أي أطلب منه الإمدادَ بأن يرزُقَني **(لُطفَه)** بي **(فيما قضى)** وقدَّر من المصائب، وأن يجعلني راضياً بذلك مؤمناً به مستيقناً أنه من عند اللّهِ وأن وقوعَه خيرٌ عندي من كونه لم يقَع، وأن يهديَ قلبي كما قال تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التغابن: ١١].

وكما قال ﷺ: «**وأسألك الرضا بعد القضاءِ**»[(١)] الحديث. فإن ذلك أعلى درجاتِ الإيمان بالقدر، وهو الرضا بالمصيبة.

القولُ في كلمة الشهادة

(وبعد إني باليقين أشهدُ	شهادةَ الإخلاصِ أنْ لا يُعبدُ)
(بالحق مألوهٌ سوى الرحمنِ	مَن جلَّ عن عيبٍ وعن نقصانِ)

(وبعد) هو ظرفٌ زمانيٌّ يؤتى به للتنبيه على ما بعدَه وفَضْلِه عما قبلَه، ويُبنى على الضم لقطعه عن الإضافة ويُغني عن إعادة المضافِ إليه.

(إني باليقين) القاطعِ الجازمِ بدون شكٍ ولا ترددٍ **(أشهد شهادةَ)** مصدرٌ مؤكدٌ **(الإخلاصِ)** مضافٌ إلى شهادة من إضافة الصفةِ إلى الموصوف **(أنْ)** مخففةٌ من الثقيلة واسمُها ضميرُ الشأن مُسْتَكِنٌّ والتقديرُ أنه، والخبرُ **(لا يُعبد)** بضم الياء وفتح الباءِ بالبناء للمفعول **(بالحق)** يتعلق بيُعبد **(مألوهٌ)** نائبُ الفاعل ليعبد ومعناه معبودٌ **(سوى)** أداةُ استثناء بمعنى إلا **(الرحمنِ)** أي لا معبودَ بحق إلا اللّهُ عز وجل، والتقييدُ بحق يخرُج به الآلهةُ المعبودةُ بباطل فإنها قد عُبدت، والمنفيُّ هو استحقاقُ العبادةِ عن غيرِ اللّهِ عز وجل لا وقوعُها، وهذه هي شهادةُ أن لا إله إلا الله، ولما لم يُمكنْ في النظم الإتيانُ بلفظها نظمتُها بمعناها، وسيأتي إن شاء اللّهُ تعالى بسطُ القولِ في تفسيرها.

(مَن جلَّ) في صفات كمالِه ونعوتِ جلالِه **(عن عيب وعن نقصان)** وهما لفظان مترادفان. فكلُ عيبٍ يسمى نقصاناً وكلُ نقصانٍ يسمى عيباً، واللّهُ سبحانه

---

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٨/ ٣١٩ رقم ٨٢٥) وفي «الأوسط» (٦/ ١٦٥ رقم ٦٠٩١) وفي «الدعاء» رقم (١٤٢٣)، من حديث فضالة بن عبيد.
وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ١٧٧) وقال: ورجالهما ثقات.

وتعالى منزهٌ عن ذلك كلِه، بل له الجلالُ المطلقُ والكمالُ المطلقُ في ذاته وأسمائِه وصفاتِه وأفعالِه.

(وأن خيرَ خلقِه محمدا … مَن جاءنا بالبينات والهدى)
(رسولُه إلى جميع الخلقِ … بالنور والهدى ودينِ الحق)

(و) أشهد **(أن خيرَ)** أفضلَ **(خلقِه)** هاءُ الضميرِ يعود على الرحمن **(محمداً)** بدلٌ من خير أو عطفُ بيانٍ، ومعناه الكثيرُ المحامدِ فهو أبلغُ من محمود.

(من جاءنا بالبينات والهدى) من عندِ اللّهِ عز وجل، هذه الجملةُ صلةُ مَن، وهو محلُه النصبُ نعتٌ لمحمد ﷺ والخبرُ **(رسولُه)** الرسولُ بمعنى المرسَل وهو من أُوحيَ إليه وأُمر بالتبليغ، فإن أوحيَ إليه ولم يؤمر بالتبليغ فهو نبيٌّ فقط، فكلُ رسولٍ نبيٌّ ولا عكسٌ.

(إلى جميع الخلق) كافةً، قال الله عز وجل: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سبأ: ٢٨]. وقال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

وفي الصحيح[1] من حديث الخصائصِ: **«وكان الرسولُ يُبعث في قومه خاصةً وبُعثت إلى الناس عامة»**.

وفيه أيضاً[2]: **«والذي نفسُ محمدٍ بيدِهِ، لا يسمعُ بي أحدٌ من هذه الأمةِ يهوديٌّ ولا نصرانيٌّ ثم يموتُ ولم يؤمنْ بالذي أُرسلتُ به إلا كان من أصحابِ النار»**.

(بالنور) المبين وهو القرآنُ الذي قال اللّهُ عز وجل فيه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١٧٤]. وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ

---

(١) البخاري رقم (٣٣٥) و(٤٣٨) و(٣١٢٢) ومسلم رقم (٥٢١) من حديث جابر.

(٢) أي في الصحيح.
أخرجه مسلم (١/ ١٣٤ رقم ٢٤٠/ ١٥٣).

مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ۝٥٢ صِرَٰطِ ٱللَّهِ﴾ [الشورى: ٥٢ ـ ٥٣]. الآية. وقال تعالى: ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلۡنَاۚ﴾ [التغابن: ٨]، وغيرُ ذلك من الآيات.

(والهدى) الإرشادُ والدلالةُ إلى الصراط المستقيم، **(ودين الحق)** الإسلامُ الذي لا يقبل اللَّهُ تعالى من أحد غيرَه، قال الله عز وجل: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ﴾ [الصف: ٩]. وكلٌ من القرآن والرسولِ والإسلام يسمى نوراً وهدىً وصراطاً مستقيماً، وكلُ الثلاثةِ متلازمةٌ، تقول: أرسلَ اللَّهُ عز وجل رسولَه وأنزل عليه كتابَه بدين الإسلام، وتقول دينُ الإسلامِ هو الذي أرسل اللَّهُ به رسولَه وأنزل به كتابَه، وكلٌ منها نورٌ مبين، وهدىً مستبين، وصراطٌ مستقيم.

القولُ في الصلاة، والتعريف بالآل والأصحاب

(صلى عليه ربُنا ومجّدا ... والآلِ[١] والصحبِ دواماً سرمدا)

(صلى عليه ربنا) قال أبو العالية[٢]: الصلاةُ من الله عز وجل ثناؤه على عبده في الملإِ الأعلى، ذكره عنه البخاريُّ.

ومنه قولُه تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ﴾ [الأحزاب: ٤٣].

وفي الصحيح[٣] من الحديث القُدسيِّ: **«وإذا ذكرني في نفسه ذكرتُه في نفسي، وإذا ذكرني في ملأٍ ذكرتُه في ملأٍ خيرٍ منهم»**.

(ومجّدا) بألف الإطلاقِ، أي شرّفه وزاده تشريفاً وتمجيداً **(والآل)** أي آلِه ﷺ وهم أتباعُه وأنصارُه إلى يوم القيامة[٤] كما قيل:

---

(١) انظر ما كتبناه في تعليقنا على هذا البيت رقم (١/ ٥٧ رقم التعليقة ٣).

(٢) ذكره البخاري في صحيحه معلقاً (٨/ ٥٣٢ رقم الباب ١٠). ووصله القاضي إسماعيل بن إسحاق الجهضمي في فضل الصلاة على النبي ﷺ (٩٥) بإسناد حسن كما قال الشيخ الألباني.

(٣) أخرجه البخاري رقم (٧٤٠٥) و(٧٥٠٥) و(٧٥٣٧) ومسلم (٤/ ٢٠٦٨ رقم ٢٦٨٦) من حديث أبي هريرة.

(٤) **واعلم أن للعلماء في حقيقة أهل البيت خمسة أقوال:**

=

....

= (القول الأول):
إنهم الذين حرمت عليهم الصدقة، وبذلك فسرهم زيد بن أرقم الصحابي في صحيح مسلم رقم (٢٤٠٨).
(القول الثاني):
إن آله ﷺ أزواجه وذريته خاصة، حكاه ابن عبد البر عن قوم، واستدلوا بالحديث الذي أخرجه البخاري (٦/٤٠٧ رقم ٣٣٦٩) ومسلم (٤/١٢٧ - نووي).
عن أبي حُميد الساعديُّ ﷺ.
(القول الثالث):
إن آله صلى الله عليه وسلم أتباعه إلى يوم القيامة، حكاه ابن عبد البر عن بعض أهل العلم.
قال الأمير الصنعاني: وهو مذهب نشوان بن سعيد الحميري (ت: ٥٧٣هـ).
(القول الرابع):
إن آله ﷺ هم الأتقياء من أمته، حكاه القاضي حسين، والراغب، وغيرهما. ويستدل له بحديث: (آل محمد كل تقي).
قلت: وهو حديث موضوع. أخرجه العقيلي في الضعفاء (٤/٢٨٦ - ٢٨٧) والبيهقي في «السنن الكبرى» (٢/١٥٢) وابن الجوزي في «العلل المتناهية» (١/٢٦٦ - ٢٦٧ رقم ٤٢٩) كلهم من طريق نافع أبو هرمز.
قال البيهقي: «وهذا لا يحل الاحتجاج بمثله (نافع السلمي أبو هرمز) بصري كذبه يحيى ابن معين. وضعفه أحمد بن حنبل وغيرهما من الحفاظ. وبالله التوفيق» اهـ.
وقال ابن الجوزي: «هذا الحديث لا يصح عن رسول الله ﷺ ونافع يغلب على حديثه الوهم، قال يحيى بن معين: لا يكتب حديثه، وضعفه هو وأحمد بن حنبل، وقال يحيى بن مرة: كذاب. وقال الدارقطني: متروك» اهـ.
(القول الخامس):
إن آله ﷺ هم الذين جللهم بالكساء، ومن تناسل منهم من أولادهم إلى يوم القيامة.
واستدلو بالحديث الذي أخرجه مسلم في صحيحه (٤/١٨٨٣ رقم ٦١/٢٤٢٤).
عن عائشة ﵂، قالت: خرج النبي ﷺ غداةً، وعليه مِرْطٌ مُرَحَّل، من شعر أسود، فجاء الحسن بن علي فأدخله، ثم جاء الحسين فدخل معهُ، ثم جاءت فاطمة فأدخلها، ثم جاء عليٌّ فأدخله، ثم قال:
﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ [الأحزاب: ٣٣].
- مرط: المرط كساء، جمعه مروط.
- مُرَحَّل: هو الموشَّى المنقوش عليه صور رحال الإبل.
والخلاصة: إن أقوى الأقوال وأقربها بالاستدلال القول الأول والخامس، والله أعلم.

آلُ النبيِّ همو أتباعُ مِلَّته   على الشريعة من عُجم ومن عرب
لو لم يكن آلَه إلا قرابتُه   صلى المصلّي على الطاغي أبي لهبِ

ويدخُل الصحابةُ من باب أولى، ويدخُل فيه أهلُ بيتِه من قرابته وأزواجِه وذريتِه من بابٍ أولى وأولى.

(والصاحب) جمعُ صحابي وهو من رأى أو لقِيَ النبيَّ ﷺ مؤمناً به ولو لحظةً ومات على ذلك ولو تخللتْ ردةٌ في الأصح[1]، وهم أفضلُ القرونِ في هذه الأمةِ[2]، وسيأتي في آخر المتنِ الكلامُ على فضل بعضِهم على بعض إن شاء الله تعالى.

---

(١) قال الحافظ ابن حجر في «الإصابة» (١/ ٧ ـ ٨): «وأصح ما وقفت عليه من ذلك أنَّ الصحابي: من لقي النبيَّ ﷺ مؤمناً به ومات على الإسلام. فيدخل فيمن لقيه من طالت مجالسته له أو قصُرت، ومن روى عنه أو لم يروِ، ومن غزا معه أو لم يغزُ، ومن رآه رؤية ولم يجالسه، ومن لم يره لعارض كالعمى.
ويدخل في التعريف:
- كل مكلف من الجن والإنس.
- وكل من لقيه مؤمناً ثم ارتد، ثم عاد إلى الإسلام، ومات مسلماً سواء اجتمع به ﷺ مرة أخرى أم لا، وهذا هو الصحيح المعتمد كالأشعث بن قيس، فإنه ارتد ثم عاد إلى الإسلام في خلافة أبي بكر الصديق ﷺ، ومات مسلماً. فقد اتفق أهل الحديث على عدّه من الصحابة.
ويخرج من التعريف:
- من لقيه كافراً، ولو أسلم بعد ذلك، إذا لم يجتمع به مرة أخرى.
- من لقيه مؤمناً بغيره، كمن لقيه من مؤمني أهل الكتاب قبل البعثة.
- من لقيه مؤمناً به، ثم ارتد ومات على ردته والعياذ بالله.
ثم قال: وهذا التعريف مبني على الأصح المختار عند المحققين كالبخاري وشيخه أحمد بن حنبل ومن تبعهما»، اهـ بتصرف.

(٢) يشير المؤلف رحمه الله إلى الحديث الذي أخرجه البخاري (٥/ ٢٥٩ رقم ٢٦٥٢) ومسلم (٤/ ١٩٦٢ رقم ٢٥٣٣) والترمذي (٥/ ٦٩٥ رقم ٣٨٥٩) وقال: حديث حسن صحيح.
من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ، عن النبي ﷺ قال: **«خيرُ الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيءُ أقوامٌ تسبقُ شهادةُ أحدهم يمينه، ويمينه شهادته»**.
وفي الباب عن أبي هريرة، وعائشة، وعمران بن حصين ﷺ.
(*) أما حديث أبي هريرة فقد أخرجه مسلم (٤/ ١٩٦٣ رقم ٢٥٣٤).
(*) وأما حديث عائشة فقد أخرجه مسلم (٤/ ١٩٦٥ رقم ٢٥٣٦).
(*) وأما حديث عمران بن حصين فقد أخرجه البخاري رقم (٢٦٥١، ٣٦٥٠، ٦٤٢٨، ٦٦٩٥) ومسلم (رقم ٢١٤/ ٢٥٣٥).

التعريفُ بموضوعِ الكتابِ

(وبعدُ: هذا النظمُ في الأصول لمن أراد منهجَ الرسول)
(سألني إياه من لا بُدّ لي من امتثال سُؤلِه المُمتثَلِ)

(وبعد) تقدم الكلامُ عليه قريباً، أي وبعد الشهادتين والصلاةِ والسلامِ على محمد صلى الله عليه وسلم وآلِه وصحبِه **(هذا النظمُ)** الألف واللامُ للعهد الحضوريّ، موضوعُه **(في الأصول)** والمُراد بها هنا أصولُ الدين من الإيمان بالله عز وجل وأسمائِه وصفاتِه وملائكتِه وكتبِه ورسلِه واليومِ الآخرِ وبالقدر خيرِه وشرِه، وأركانُ الإسلامِ الشهادتين والصلاةُ والزكاةُ والصومُ والحجُ وما يتعلق بكل منها، والكلامُ على رسالة نبينا محمدٍ ﷺ وما يتعلق بها، والكلامُ في مسألة الخلافةِ والاعتصامِ بالكتاب والسنة وما تحتوي عليه كلُ مسألةٍ من ذلك، وسترى إن شاء الله تعالى تبيانَها مفصلاً **(لمن أراد)** من المؤمنين.

(منهجَ الرسول) سبيلَه ومسلكَه وهو ما عليه أهلُ السنةِ والجماعة. **(سألني الخ)** البيت بيّنٌ واضحٌ.

(فقلت مع عجزي ومع إشفاقي معتمداً على القدير الباقي)

(فقلت) جوابُ سألني **(مع عجزي)** عدم قُدرتي على ذلك **(ومع إشفاقي)** خوفي من الغلط في هذا البابِ الذي المسألةُ منه أكبرُ من الدنيا وما فيها، وذلك لقِصَر باعي وقِلة اطلاعي، والذي قوّى عزْمي على ذلك هو كوني **(معتمداً)** أي متوكلاً **(على القدير)** الذي لا يعجزه شيءٌ في السموات ولا في الأرض **(الباقي)** الذي كلُ شيءٍ هالكٌ إلا وجهَه، له الحكمُ وإليه تُرجعون: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣]، ﴿وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨]. ولا حولَ ولا قوةَ إلا بالله العليِّ العظيم.

❁ ❁ ❁

مُقدِّمة

تُعرِّف العَبْدَ بما خلِقَ له،
وبأوَّل ما فرضَ الله تعالى عليه
وَبما أخذَ الله عليه به الميثاقَ في ظهرِ أبيه آدمَ،
وَبما هوَ صائرٌ إليه

(اعـلـم بـأن الـلَّـهَ جـل وعـلا　　لـم يـتـرك الـخـلـقَ سُـدىً وهَـمـلا)
(بـل خـلـق الـخـلـقَ لـيـعـبـدوه　　وبـالإلـهـيـة يُـفـرِدوه)

(اعلم) كلمةٌ يؤتى بها للاهتمام وللحث على تدبر ما بعدها، والخطابُ بها في هذا الموضعِ لكل المكلفين.

(بأن الله جل) شأنُه وتنزّه عن كل نقص (وعلا) بكل معاني العلوّ (لم يترك الخلق سدى و) لا (هملا)، أي لا يأمرهم ولا ينهاهم في الدنيا ولا يبعثهم فيجازيهم في الآخرة، لأنه تعالى ما خلقهم إلا بالحق لا عبثاً ولا باطلاً، بل لحكمة بالغةٍ يستحق عليها الحمدَ، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾﴾ [آل عمران: ١٩٠ ـ ١٩١].

﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا﴾ أي الخلقَ ﴿بَاطِلًا﴾ لا بل بالحق ليجزيَ الذين أساءوا بما عملوا ويجزيَ الذين أحسنوا بالحسنى. ثم نزّهوه عن العبث وخلْقِ الباطلِ فقالوا: ﴿سُبْحَانَكَ﴾ أي عن أن تخلُقَ شيئاً باطلاً تباركت وتعاليتَ. وقال تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ۚ تَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ﴿٤﴾﴾ [النحل: ٣ ـ ٤].

يخبر تعالى عن خلقه العالَم العُلويَّ وهو السمواتُ بما حوت، والعالَمُ السُفليَّ وهو الأرضُ بما حوت، وإن ذلك مخلوقٌ بالحق لا للعبث، ثم نزه تعالى نفسَه عن شرك من عُبد معه غيرُه وهو المستقلُ بالخلق وحده لا شريك له، فلهذا يستحق أن يُعبدَ وحده لا شريك له ثم نبه تعالى على خلق جنسِ الإنسان من نطفة أي مَهينةٍ ضعيفة، فلما استقل ودرَجَ إذا هو يخاصم ربَّه تعالى ويكذبه ويحارب رسلَه، وهو إنما خُلق ليكون عبداً لا ضداً، وهذا كقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ ۖ قَالَ مَنْ

يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ ۝٧٨ قُلۡ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلۡقٍ عَلِيمٌ ۝٧٩﴾ [يس: ٧٧ ـ ٧٩].

وقال تعالى: ﴿أَفَحَسِبۡتُمۡ أَنَّمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ عَبَثٗا وَأَنَّكُمۡ إِلَيۡنَا لَا تُرۡجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥]. أي أفظننتم أنكم مخلوقون عبثاً بلا قصدٍ ولا إرادةٍ منا ولا حكمةٍ لنا، وقيل للعبث أي لتلعبوا وتعبثوا كما خُلقت البهائمُ لا ثوابَ لها ولا عقابَ: ﴿وَأَنَّكُمۡ إِلَيۡنَا لَا تُرۡجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥]. أي لا تعودون في الدار الآخرة، لا، ليس الأمرُ كذلك، إنما خلقناكم للعبادة وإقامةِ أوامرِ اللّهِ عز وجل ثم نبعثكم ليوم لا ريبَ فيه فنجازي كلَّ عاملٍ بعمله إن خيراً فخيرٌ وإن شراً فشرٌ، وهذا يقولُه تعالى لأهل النارِ توبيخاً وتقريعاً وتبكيتاً بعد ما رأوا الحقائقَ عينَ اليقين.

ثم قال تعالى منزهاً نفسَه عما حسِبوه: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۖ﴾ [المؤمنون: ١١٦]، أي تقدس أن يخلُقَ شيئاً عبثاً فإنه الملكُ الحقُّ المنزه عن ذلك ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡكَرِيمِ﴾ [المؤمنون: ١١٦]، وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا بَٰطِلٗاۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [ص: ٢٧].

يخبر تعالى أنه ما خلق الخلقَ عبثاً وإنما خلقهم ليعبُدوه ويوحِّدوه ثم يجمعهم ليوم الجمعِ فيُثيب المطيعَ ويعذبُ الكافرَ، وليس الأمرُ كما يظنه الذين كفروا الذين لا يرَون بعثاً ولا معاداً، وإنما يعتقدون هذه الدارَ فقط: ﴿فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [ص: ٢٧]، أي ويلٌ لهم يومَ مَعادِهم ونشورِهم من النار المعدّة لهم.

ثم بيَّن تعالى أنه عز وجل مِن عدلِه وحكمتِه لا يساوي بين المؤمنين والكافرين فقال تعالى: ﴿أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلۡمُفۡسِدِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلۡمُتَّقِينَ كَٱلۡفُجَّارِ﴾ [ص: ٢٨]، أي لا نفعل ذلك ولا يستوون عند الله، وإذا كان الأمرُ كذلك فلا بد من دار أخرى يثاب فيها هذا المتقي ويعاقبُ هذا الفاجر.

قال ابنُ كثير[١] رحمه الله تعالى: وهذا الإرشادُ يدل على العقولَ السليمةِ

---

(١) في تفسيره (٤/٣٦).

والفِطَرِ المستقيمةَ على أنه لا بد من مَعاد وجزاءٍ، فإنا نرى الظالِمَ الباغيَ يزداد مالُه وولدُه ونعيمُه ويموت كذلك، ونرى المطيعَ المظلومَ يموت بكمده، فلا بد في حكمة الحكيمِ العليمِ العادلِ الذي لا يظلِمُ مثقالَ ذرةٍ من إنصاف هذا المظلومِ من هذا الظالم، وإذْ لم يقع هذا في هذه الدار، فتعين أن هناك داراً أخرى لهذا الجزاءِ والمواساة.

وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّىۗ﴾ [الروم: ٨].

يقول تعالى منبهاً على التفكر في مخلوقاته الدالةِ على وجوده وانفرادِه بخلقها وأنه لا إله غيرُه ولا ربَّ سواه فقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْۗ﴾ [الروم: ٨]، يعني به النظرَ والتدبرَ والتأملَ لخلق اللّهِ عز وجل الأشياءَ من العالم العلويِّ والسُفليِّ وما بينهما من المخلوقات المتنوعةِ والأجناس المختلفةِ فيعلموا أنها ما خلقت سدىً ولا باطلاً بل بالحق، وأنها مؤجلةٌ إلى أجل مسمًّى وهو يومُ القيامة، ولهذا قال تعالى: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآيِٕ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ﴾ [الروم: ٨].

وقال تعالى: ﴿خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّۚ﴾ [العنكبوت: ٤٤]، أي للحق وإظهارِ الحقِ لا على وجه العبثِ واللعبِ ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ أي في خلقها: ﴿لَأٓيَةً﴾ أي لدلالةً ﴿لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ على أنه تعالى المتفرّدُ بالقُدَر والخلق والتدبير والإلهية.

وقال تعالى: ﴿خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّۚ﴾ [العنكبوت: ٤٤] أي بالعدل ﴿وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الجاثية: ٢٢].

وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّۗ﴾ [الحجر: ٨٥] أي لا على وجه العبث واللعب ﴿وَأَجَلٍ مُّسَمًّىۚ﴾ أي وإلى مدة معينةٍ مضروبةٍ، يعني يوم القيامةِ وهو الأجلُ الذي تنتهي إليه السمواتُ وهو الإشارة إلى فنائهما.

وقال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ [القيامة: ٣٦]. قال السدي[١]:

---

(١) ذكره ابن كثير في تفسيره (٤/ ٤٨٢).

يعني لا يُبعث. وقال مجاهدٌ[1] والشافعيُّ[2] وعبدُ الرحمنِ بنُ زيدِ بنِ أسلمَ[3]: يعني لا يُؤمر ولا يُنهى.

قال ابنُ كثير[4] رحمه الله تعالى: والظاهرُ أن الآيةَ تعم الحالين، أي ليس يُترك في هذه الدنيا مهملاً لا يُؤمر ولا يُنهى، ولا يُترك في قبره سُدىً لا يُبعث، بل هو مأمورٌ منهيٌّ في الدنيا محشورٌ إلى الله في الدار الآخرة.

(بل خلق) الله تعالى **(الخلق ليعبدوه)** عز وجل بما شرعه على ألسنة رسلِه وأنزل به كتبَه، **(و)** مع عبادتهم إياه لا يُشركون بعبادته أحداً كائناً مَن كان، بل **(بالإلهية يُفْردوه)** دون ما سواه، فمن عبد اللَّهَ تعالى ألفَ سنةٍ ثم أشرك به لحظةً من اللحظات ومات على ذلك حبِطَ جميعُ عملِه وصار هباءً منثوراً حيث أشرك مع الله في عبادتِه مَن هو مثلُه مخلوقٌ لعبادة الله عز وجل، قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

قال عليُّ بنُ أبي طالبٍ[5] رضي الله عنه: أي إلا لآمُرَهم أن يعبُدونِ وأدعُوهم إلى عبادتي، يؤيده قوله عز وجل: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١].

وقال عليُّ بنُ أبي طلحةَ عن ابن عباس رضي الله عنهما: إلا ليعبُدون: إلا ليُقِرّوا بعبادتي طوعاً أو كرهاً[6] وهذا اختيارُ ابنِ جريرٍ[7].

وقال ابنُ جُريجٍ[8] ومجاهدٌ[9]: إلا ليعرفونِ. وقال الربيعُ بنُ أنسٍ[10]: أي إلا للعبادة طوعاً أو كَرهاً.

وقال السدي[11]: مِن العبادة ما ينفع ومنها ما لا ينفع: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [لقمان: ٢٥].

---

(١) أخرجه الطبري في «جامع البيان» (١٤/ج٢٩/ ٢٠٠ ـ ٢٠١).
(٢) ذكره ابن كثير في تفسيره (٤/ ٤٨٢).
(٣) أخرجه الطبري في «جامع البيان» (١٤/ج٢٩/ ٢٠١).
(٤) في تفسيره (٤/ ٤٨٢).
(٥) ذكره البغوي في تفسيره (٧/ ٣٨٠).
(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٣/ ج٢٧/ ١٢) وفيه انقطاع بين علي بن أبي طلحة وابن عباس.
(٧) في «جامع البيان» (١٣/ج٢٧/ ١٢).
(٨)(٩)(١٠)(١١) ذكرهم ابن كثير في تفسيره (٤/ ٢٥٥).

فهذا منهم عبادةٌ ولا ينفعهم مع الشرك. وقال الضحاك[1]: المرادُ بذلك المؤمنون اهـ. من تفسير ابن كثير.

وقال الكلبيُّ[2] والضحاكُ[3] وسفيانُ[4]: هذا خاصٌ لأهل طاعتِه من الفريقين، يدل عليه قراءةُ ابن عباس[5]: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ﴾ - من المؤمنين - ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]. ثم قال في آية أخرى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

وقال بعضهم: وما خلقتُ السعداءَ من الجن والإنسِ إلا لعبادتي، والأشقياءَ منهم إلا لمعصيتي.

وهذا معنى قولِ زيدِ بن أسلمَ[6] قال: هم على ما جُبِلوا عليه من الشقاوة والسعادة. وقيل معناه إلا ليخضَعوا إليَّ ويتذلّلوا، ومعنى العبادةِ في اللغة التذلُّل والانقيادُ، فكلُ مخلوقٍ من الجن والإنسِ خاضعٌ لقضاء اللّهِ ومتذلل لمشيئته، ولا يملِك أحدٌ لنفسه خروجاً عما خُلق عليه قدْرَ ذرّةٍ من نفع ولا ضُر.

وقيل: إلا ليعبدون: إلا ليوحدون. فأما المؤمنُ فيوحّده في الشدة والرخاء، وأما الكافرُ فيوحِّده في الشدة والبلاء دون النعمةِ والرخاءِ، بيانُه قولُه عز وجل: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [العنكبوت: ٦٥]. الآية اهـ. من تفسير البغويّ[7] رحمه الله تعالى.

قلت: وهذه الأقوالُ في هذه الآيةِ وإن كانت متقاربةً والآيةُ تسع جميعَها، أرجحُها الأولُ وهو قولُ أمير المؤمنين عليِّ بن أبي طالب ﷺ: إلا لآمرَهم وأدعُوَهم لعبادتي، يؤيده قولُه تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١]، وقولُه تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا

---

(١) ذكره ابن كثير في تفسيره (٤/ ٢٥٥).

(٢)(٣) ذكره الشوكاني في فتح القدير (٥/ ٩٢) ثم أضاف: «واختيار الفراء وابن قتيبة».

(٤) ذكره البغوي في تفسيره (٧/ ٣٨٠).

(٥) ذكره البغوي في تفسيره (٧/ ٣٨٠).

(٦) أخرجه الطبري في «جامع البيان» (١٣/ج٢٧/ ١١).

(٧) (٧/ ٣٨٠ - ٣٨١)

﴿لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة: ٥] الآية وغيرُها من الآيات.

ويؤيد ذلك أن اللَّهَ تبارك وتعالى إنما شاء العبادةَ من جميع عبادِه وأرادها منهم وقضاها عليهم في الشرع لا في الكون، فمن أطاع أمرَه وأتى بما أراده وشاءه منه فله رضاه والجنةُ، ومن خالف في ذلك فله سَخَطُه والنارُ.

ولو شاء الله تعالى من جميعهم العبادةَ وأرادها في الكون لم يكن لهم بدٌّ من ذلك ولم يكن لأحد إلى معصية اللَّهِ تعالى من سبيل، ولا يخرُج عن قضائِه تعالى وقدَره شيءٌ من المخلوقات مثقالَ ذرة، فإنه لا رادَّ لقضائه، ولا مُعقِّبَ لحكمه، ولا مُضَادَّ لأمره، ولا ناقضَ لما أبرمه، ولا دافعَ لما قدّره، ولذلك قال المفسرون هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣]. فقال ابن عباس[١] وقَتادةُ[١] والحسنُ[١]: وأمرَ ربُك.

وقال الربيعُ بنُ أنسٍ[٢] وأوجب ربُك. وقال مجاهد[١]: وأوصى ربُك.

وقرأ أبيُّ بنُ كعبٍ[١] وابنُ مسعودٍ[١] والضحاكُ بنُ مُزاحم[١]: ووصى ربك ألا تعبدوا إلا إياه، ولو أنه تبارك وتعالى قضى في الكون أن لَا يُعبد إلا إياه لم يشرِكْ به أحدٌ من خلقه، وإنما قضى ذلك شرعاً ليبلُوَكم أيُكم أحسنُ عملاً، ليجزيَ الذين أساءوا بما عملوا ويجزيَ الذين أحسنوا بالحسنى.

وهذه المشيئةُ منه للعبادة مِن عباده شرعاً عامةٌ لمؤمنهم وكافرِهم، وأما مشيئتُه للعبادة الكونية القدَريةِ فخاصةٌ للمؤمنين، فلهذا اتفقتْ فيهم المشيئتان فوافقوا المشيئةَ الشرعيةَ لِما سبق لهم في المشيئة القدريةِ الكونية.

وأما الكافر فلم يوافق المشيئةَ الشرعيةَ لِما سبق عليه في المشيئة القدَرية مِن الشقاوة. فتبين بهذا أن المشيئةَ الكونيةَ القدَريةَ لا خروجَ لأحدٍ منها، ولا محيدَ له عنها، سواءٌ سبقت له بالشقاوة أو السعادة.

وأما المشيئةُ الشرعيةُ فمن كان سَبَقَ له في القدَرية أنه يوافقها كان كذلك، أو يخالفها كان كذلك.

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ج١٥/ ٦٢).

(٢) ذكره البغوي في تفسيره (٥/ ٨٥).

[تعريف العبادة]

وأما معنى العبادة فقال شيخُ الإسلامِ ابنُ تيمية[1] رحمه الله تعالى: (العبادةُ هي اسمٌ جامعٌ لكل ما يُحبه اللّهُ تعالى ويرضاه من الأقوال والأعمالِ الباطنةِ والظاهرةِ.

فالصلاةُ، والزكاةُ، والصيامُ، والحجُ، وصِدقُ الحديثِ، وأداءُ الأمانةِ، وبِرُّ الوالدين، وصلةُ الأرحامِ، والوفاءُ بالعهود، والأمرُ بالمعروف، والنهي عن المنكر، والجهادُ للكفار والمنافقين، والإحسانُ إلى الجار واليتيمِ والمسكينِ وابنِ السبيلِ، والمملوكِ من الآدميين، والبهائمِ، والدعاءُ، والذكرُ، والقراءةُ، وأمثالُ ذلك من العبادة - يعني الظاهرة -.

وكذلك حبُّ اللّهِ ورسولِه، وخشيتُه، والإنابةُ إليه، وإخلاصُ الدِينِ له، والصبرُ لِحكمهِ، والشكرُ لِنِعمهِ، والرضا بقضائِه، والتوكلُ عليه، والرجاءُ لرحمته، والخوفُ لعذابه، وأمثالُ ذلك من العبادةِ لله - يعني الباطنةَ -، وجماعُ العبادةِ كمالُ الحبِ مع كمالِ الذل).

وسيأتي إن شاء اللّهُ تعالى زيادةُ بحثِها في بابها من المتن.

(أخرج فيما قد مضى من ظهرِ آدمَ ذرّيّته كالذّرّ)

(وأخذ العهدَ عليهمْ أنه لا ربَّ معبودٌ بحقٍّ غيرُه)

(أخرج) أي اللّهُ تبارك وتعالى **(فيما)** أي الزمنِ الذي **(قد مضى)** وذلك بعد خلقِه آدمَ عليه الصلاة والسلام **(من ظهر آدم)** أبي البشرِ عليه السلام **(ذريتَه)** كلَّ مَن يوجد منهم إلى يوم القيامة **(كالذر)** أي كهيئته، **(وأخذ)** عز وجل **(العهد عليهم)** وتفسيرُ العهد **(أنه)** الضميرُ للشأن أو الحالِ، هو ربُّهم **(لا رب معبود)** مستحقٌّ للعبادة، ولذا قُيِّد **(بحق غيرُه)** وإلا فكم قد اتخذ أعداؤه من أرباب وعبدوها بالباطل بدون حقٍ بل بالظلم العظيم، قال اللّهُ تبارك وتعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا

---

(1) في «مجموع الفتاوى» (١٠/١٤٩ - ١٥٠).

﴿بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ۝١٧٣ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ۝١٧٤﴾ [الأعراف].

وعن أنس بنِ مالكٍ ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**يقال للرجل من أهل النارِ يوم القيامة: أرأيتَ لو كان لك ما على الأرض من شيء أكنتَ مفتدِياً به؟ قال فيقول: نعم، فيقول: قد أردتُ منك أهونَ من ذلك، قد أخذتُ عليك في ظهر آدمَ أن لا تُشرك بي شيئاً فأبيتَ إلا أن تشرِكَ بي**» أخرجاه في الصحيحين[1].

وعن ابن عباس ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**إن الله تعالى أخذَ الميثاقَ من ظهر آدمَ عليه السلامُ بنعمانَ يومَ عرفةَ، فأخرج من صُلبه كلَّ ذُريةٍ ذَرأها فنثرها بين يديه ثم كلّمهم قُبُلاً**»، قال تعالى: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً﴾ - إلى قوله - ﴿ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٢ - ١٧٣].

رواه أحمدُ والنسائيُّ والحاكم وقال صحيحُ الإسنادِ ولم يُخرّجاه[2]، وقد رُوي من طرق كثيرةٍ موقوفاً.

---

(١) البخاري (٦/ ٣٦٣ رقم ٣٣٣٤) ومسلم (٤/ ٢١٦١ رقم ٢٨٠٥).

(٢) أحمد في «المسند» (١/ ٢٧٢)، والنسائي في «التفسير» (٢١١)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٥٤٤).

قلت: وأخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (١/ ٨٩ رقم ٢٠٢)، وابن جرير في «جامع البيان» (١٣/ ٢٢٢ رقم ١٥٣٣٨)، وابن منده في الرد على الجهمية رقم (٢٩)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (ص٣٢٦ - ٣٢٧) كلهم من طريق الحسين بن محمد المروزي، ثنا جرير بن حازم عن كُلثوم بن جبر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبي ﷺ به.

قال الحاكم: صحيح الإسناد. ووافقه الذهبي. قلت: كلثوم بن جبر من رجال مسلم.

وأما ابن كثير فتعقبه في «التفسير» (٢/ ٢٧٢) بقوله: «هكذا قال، وقد رواه عبد الوارث عن كلثوم بن جبر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فوقفه.

وكذا رواه إسماعيل بن عُلَيّة ووكيع عن ربيعة بن كلثوم بن جبر عن أبيه به، وكذا رواه عطاء بن السائب، وحبيب بن أبي ثابت وعلي بن بذيمة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس.

وكذا رواه العوفي وعلي بن أبي طلحة عن ابن عباس. فهذا أكثر وأثبت والله أعلم».

وقال الألباني في «الصحيحة» (٤/ ١٥٩): «قلت: هو كما قال رحمه الله تعالى، ولكن ذلك لا يعني أن الحديث لا يصح مرفوعاً، وذلك لأن الموقوف في حكم المرفوع، لسببين:

=

وعن عمرَ بنِ الخطابِ رضي الله عنه أنه سُئل عن هذه الآيةِ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ﴾ [الأعراف: ١٧٢]. الآية.

فقال عمرُ بنُ الخطاب رضي الله عنه: سمعتُ رسول الله ﷺ سُئل عنها فقال: **«إن الله خلقَ آدمَ عليه السلام ثم مسح ظهرَه بيمينه فاستخرج منه ذريةً، قال: خلقتُ هؤلاء للجنة وبعمل أهلِ الجنةِ يعملون، ثم مسح ظهرَه فاستخرج منه ذريةً، قال: خلقتُ هؤلاءِ للنار وبعمل أهلِ النارِ يعملون»**. فقال رجلٌ: يا رسولَ الله ففيم العملُ؟ قال رسولُ الله ﷺ: **«إذا خلق اللّهُ العبدَ للجنة استعمله بأعمال أهلِ الجنةِ حتى يموتَ على عمل من أعمال أهلِ الجنة فيدخُلَ به الجنةَ، وإذا خلق العبدَ للنار استعمله بأعمال أهل النارِ حتى يموت على عمل من أعمال أهلِ النارِ فيدخُلَ به النارَ»**. رواه أحمدُ وأبو داود والنسائيُّ والترمذيُّ وابنُ أبي حاتمٍ وابنُ جريرٍ وابنُ حبان في

= **الأول:** أنه في تفسير القرآن، وما كان كذلك فهو في حكم المرفوع، ولذلك اشترط الحاكم في كتابه «المستدرك» أن يخرج فيه التفاسير عن الصحابة كما ذكر ذلك فيه (١/ ٥٥).

الآخر: أن له شواهد مرفوعة عن النبي ﷺ عن جمع من الصحابة، وهم عمر بن الخطاب، وعبد الله بن عمرو، وأبو هريرة، وأبو أمامة، وهشام بن حكيم أو عبد الرحمن بن قتادة السلمي على خلاف عنهما. ومعاوية بن أبي سفيان، وأبو الدرداء، وأبو موسى، وهي وإن كان غالبها لا تخلو أسانيدها من مقال، فإن بعضها يقوي بعضاً.

بل قال الشيخ صالح المقبلي في «الأبحاث المسددة» (ص١٠٢): «ولا يبعد دعوى التواتر المعنوي في الأحاديث والروايات في ذلك».

ولا سيما وقد تلقاها أو تلقى ما اتفقت عليه من إخراج الذرية من ظهر آدم وإشهادهم على أنفسهم بالقبول؛ السلف الصالح من الصحابة والتابعين دون اختلاف بينهم، منهم: عبد الله بن عمرو، وعبد الله بن مسعود، وأبي بن كعب، وسلمان الفارسي، ومحمد بن كعب، والضحاك بن مزاحم، والحسن البصري، وقتادة، وفاطمة بنت الحسين، وأبو جعفر الباقر، وغيرهم.

وقد أخرج هذه الآثار الموقوفة، وتلك الأحاديث المرفوعة الحافظ السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ١٤١ ـ ١٤٥)، وأخرج بعضها الشوكاني في «فتح القدير» (٢/ ٢٥١ ـ ٢٥٢) ومن قبله الحافظ ابن كثير في تفسيره (٢/ ٢٧٢ ـ ٢٧٥) اهـ.

وخلاصة القول أن حديث ابن عباس صحيح، والله أعلم.

صحيحه، وقال الترمذيُّ: هذا حديثٌ حسنٌ[1].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«لما خلق اللّهُ آدمَ مسح ظهرَه فسقط من ظهره كلُ نسمةٍ هو خالقُها من ذريته إلى يوم القيامة، وجعل بين عيني كلِ إنسانٍ منهم وَبيصاً من نور، ثم عرضهم على آدمَ فقال: أيْ ربِّ، من هؤلاء؟ قال: هؤلاء ذريتُك. فرأى رجلاً منهم فأعجبه وَبيصُ ما بين عينيه فقال: أي ربِّ، مَن هذا؟ قال: هذا رجلٌ من آخِرِ الأممِ من ذريتك يقال له داودُ. قال: ربِّ وكم جعلْتَ عمرَه؟ قال: ستين سنةً. قال: أي ربِّ، زده من عمري أربعين سنةً.**

فلما انقضى عمرُ آدمَ جاءه ملك الموت فقال: أو لم يبقَ من عمري أربعون سنةً؟ قال: أوَلم تعطِها لابنك داودَ؟ قال: فجحد آدمُ، فجحدت ذريتُه، ونَسيَ آدمُ،

---

(١) رواه أحمد (١/ ٤٤ ـ ٤٥) وأبو داود (٤٧٠٣) والنسائي في «التفسير» رقم (٢١٠).
والترمذي (٥/ ٢٢٦ رقم ٣٠٧٥) وقال: هذا حديث حسن، ومسلم بن يسار لم يسمع من عمر.
وابن ابن حاتم كما في «الدر المنثور» (٣/ ١٤٢). وابن جرير رقم (١٥٣٥٧).
وابن حبان (١٨٠٤ ـ موارد).
قلت: وأخرجه مالك (٢/ ٨٩٨ ـ ٨٩٩) والآجري في «الشريعة» (ص١٧٠) واللالكائي رقم (٩٩٠) والبغوي في «شرح السنة» رقم (٧٧) وابن منده في «الرد على الجهمية» (ص٥٦) رقم (٢/ ٢٨) والبيهقي في «الأسماء والصفات» (ص٣٢٥)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٣٢٤ ـ ٣٢٥، ٥٤٤) وابن أبي عاصم في «السنة» رقم (١٩٦، ٢٠١) والبخاري في تاريخه (٤/ ٢/ ٩٦ ـ ٩٧) من طرق عن زيد بن أبي أنيسة عن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب العدوي عن مسلم بن يسار الجهني ـ به.
قال أبو عمر بن عبد البر في «التمهيد» (٦/ ٣): «هذا الحديث منقطع بهذا الإسناد، لأن مسلم بن يسار هذا لم يلق عمر بن الخطاب، وبينهما في هذا الحديث نعيم بن ربيعة، وهو أيضاً مع هذا الإسناد لا تقوم به حجة، ومسلم بن يسار هذا مجهول».
ثم قال: (٦/ ٥ ـ ٦): «وزيادة من زاد في هذا الحديث: «نعيم بن ربيعة» ليست حجة، لأن الذي لم يذكره أحفظ، وإنما تقبل الزيادة من الحافظ المتقن. وجملة القول في هذا الحديث، أنه حديث ليس إسناده بالقائم، لأن مسلم بن يسار، ونعيم بن ربيعة جميعاً، غير معروفين بحمل العلم، ولكن معنى هذا الحديث، قد صح عن النبي ﷺ من وجوه كثيرة ثابتة يطول ذكرها» اهـ.
والخلاصة فحديث عمر صحيح لغيره، والله أعلم.

فنسِيَتْ ذريتُه». رواه الترمذيُّ[1] وقال: هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

وقد رُوي من غير وجه عن أبي هريرةَ ﷺ عن النبي ﷺ، ورواه الحاكمُ[2] وقال صحيحٌ على شرطِ مسلمٍ ولم يخرِّجاه. ورواه ابنُ أبي حاتمٍ في تفسيره[3] نحوَ ما تقدم إلى أن قال: **«ثم عرضهم على آدمَ فقال: يا آدمُ هؤلاء ذريتُك، وإذا فيهم الأجذمُ والأبرصُ والأعمى وأنواعُ الأسقام، فقال آدمُ: يا ربِّ لم فعلتَ هذا بذُرّيتي؟ قال: كي تشكُرَ نعمتي. وقال آدمُ: يا ربِّ من هؤلاء الذين أراهم أظهرَ الناسِ نوراً؟ قال: هؤلاء هم الأنبياءُ يا آدمُ من ذريتك»**. ثم ذكر قصةَ داودَ كنحوِ ما تقدم.

وعن هشامِ بنِ حكيمٍ[4] ﷺ أن رجلاً سأل النبيَّ ﷺ فقال: يا رسولَ الله،

---

(١) في «السنن» (٥/ ٤٥٣ ـ ٤٥٤ رقم ٣٣٦٨) وقال: **هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه.**
قلت: وأخرجه الحاكم (١/ ٦٤) و(٤/ ٢٦٣) وصححه، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (ص٣٢٤ ـ ٣٢٥)، وابن أبي عاصم في «السنة» رقم (٢٠٦) وابن سعد في «الطبقات» (١/ ٢٧ ـ ٢٨) من طرق عن أبي هريرة.

(٢) في «المستدرك» (٢/ ٣٢٥) من حديث أبي هريرة وقال الحاكم: **صحيح على شرط مسلم** ووافقه الذهبي. **وهو كما قالا.**
والخلاصة فحديث أبي هريرة صحيح لغيره.

(٣) عزاه إليه ابن كثير في تفسيره (٢/ ٢٧٤) من حديث عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه أنه حدث عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة.
قلت: سنده ضعيف.
فعبد الرحمن بن زيد بن أسلم العدوي: ضعيف قاله ابن حجر في «التقريب» رقم (٣٨٦٥).
وأخرجه أبو الشيخ في «العظمة» رقم (١٠١٥/ ٤١) وذكره ابن منده في «التوحيد» (١/ ٢١١ رقم ٧٩) تعليقاً قال: روى عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه... وساقه مختصراً.
وأورده السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ١٤٢) مطولاً. وعزاه لابن أبي حاتم، وابن منده، وأبي الشيخ في «العظمة» وابن عساكر.
والخلاصة إن سند الحديث ضعيف لكنه صحيح من طرق أخرى، والله أعلم.

(٤) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٢٢/ ١٦٩ رقم ٤٣٥) وفي «مسند الشاميين» (٣/ ٩١ رقم ١٨٥٤) والبزار (٣/ ٢٠ رقم ٢١٤٠ ـ كشف الأستار) وابن جرير الطبري في «جامع البيان» رقم (١٥٣٧٩).
قال البزار: لا نعلم روى هشام إلا هذا الحديث وآخر. =

أتبدأ الأعمال أم قد قُضي القضاء؟ قال: فقال رسولُ الله ﷺ: **«إن اللّهَ قد أخذ ذرية آدمَ من ظهورهم، ثم أشهدهم على أنفسهم، ثم أفاض بهم في كفيه، ثم قال: هؤلاء في الجنة وهؤلاء في النار؛ فأهلُ الجنةِ مُيسَّرون لعمل أهلِ الجنة، وأهلُ النار ميسَّرون لعمل أهل النار»**. رواه ابنُ جريرٍ[1] وابنُ مرْدَويه[2] من طرق عنه.

وعن أبي أُمَامةَ ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«لما خلق اللّهُ الخلقَ وقضى القَضيةَ أخذَ أهلَ اليمين بيمينه وأهلَ الشمالِ بشماله فقال: يا أصحابَ اليمين، فقالوا: لبيك وسعديك، قال: ألستُ بربكم؟ قالوا: بلى. قال: يا أصحابَ الشمال، قالوا: لبيك وسعدَيك، قال: ألستُ بربكم؟ قالوا: بلى.**

ثم خلط بينهم، فقال له: يا ربِّ لم خلطْتَ بينهم، قال: لهم أعمالٌ من دون ذلك هم لها عاملون أن يقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين، ثم ردهم في صُلب آدمَ». رواه ابنُ مرْدَوِيه[3]، وفيه جعفرُ بنُ الزبيرِ وهو ضعيفٌ[4].

= من طريق راشد بن سعد، عن عبد الرحمن بن قتادة، عن أبيه، عن هشام، به.
وأخرجه الطبراني في «الكبير» (٢٢/ ١٦٨ رقم ٤٣٤) وفي «مسند الشاميين» (٣/ ٩١ رقم ١٨٥٥) وابن جرير في «جامع البيان» رقم (١٥٣٨٠) والآجري في «الشريعة» (ص١٧٢) والبيهقي في «الأسماء والصفات» (ص٣٢٦).
من طريق راشد بن سعد، عن عبد الرحمن بن قتادة، عن هشام، به.
وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٨٦) وقال: «رواه البزار والطبراني وفيه بقية بن الوليد وهو ضعيف، ويحسن حديثه بكثرة الشواهد، وإسناد الطبراني حسن».
قلت: وقد فصل المرحوم أحمد شاكر في تعليقه على تفسير ابن جرير (١٣/ ٢٤٤ ـ ٢٤٩) على أسانيد هذا الحديث فراجعه.
وللحديث شواهد من حديث عبد الرحمن بن قتادة وغيره.
والخلاصة أن الحديث حسن، والله أعلم.

(١) تقدم تخريجه في التعليقة المتقدمة.
(٢) عزاه إليه ابن كثير في تفسيره (٢/ ٢٧٤).
(٣) عزاه إليه ابن كثير في تفسيره (٢/ ٢٧٤).
وأورده السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ١٤٣): وعزاه إلى عبد بن حميد، والحكيم الترمذي في «نوادر الأصول»، وأبو الشيخ في «العظمة»، وابن مردويه.
(٤) قاله ابن كثير في تفسيره (٢/ ٢٧٤).
وقال عنه ابن حجر في «التقريب» رقم (٩٣٩): «متروك الحديث، وكان صالحاً في نفسه».

وعن ابن عباسٍ ﷺ قال: أخرج اللَّهُ ذريةَ آدمَ من ظهره كهيئة الذَّرِّ وهو في آذيّ من الماء. رواه ابنُ جرير[1].

وله[2] عنه ﷺ قال: إن اللَّهَ تعالى مسح صُلبَ آدمَ فاستخرج منه كلَّ نسَمةٍ هو خالُقها إلى يوم القيامة، فأخذ عليهم الميثاقَ أن يعبدوه ولا يُشرِكوا به شيئاً وتكفَّل لهم بالرزق، ثم أعادهم في صلبه، فلن تقومَ الساعةُ حتى يولدَ من أعطى الميثاقَ يومئذ؛ فمن أدرك منهم الميثاقَ الآخرَ فوفى به نفعه الميثاقُ الأولُ، ومن أدرك الميثاقَ الآخرَ فلم يُقرّ به لم ينفعه الميثاقُ الأولُ، ومن مات صغيراً قبل أن يدرك الميثاقَ الآخرَ مات على الميثاق الأولِ على الفطرة.

وله[3] عن عبد اللَّهِ بنِ عمرَ ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«وإذ أخذ ربُك من بني آدمَ من ظهورهم ذريتَهم، قال: أخذ من ظهره كما يؤخذ بالمُشْط من الرأس، فقال لهم وأشهدهم على أنفسهم: ألستُ بربكم؟ قالوا: بلى، قالت الملائكةُ: شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين»**. وصحح ابنُ كثيرٍ وقْفَه[4].

---

(١) في «جامع البيان» (١٣/ ٢٢٩ رقم ١٥٣٥١).
قلت: وأخرجه ابن منده في «الرد على الجهمية» رقم (٣١).
وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ١٤١) وعزاه إلى عبد بن حميد، وابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن منده في كتاب «الرد على الجهمية»، وأبو الشيخ.
(*) آذيّ الماء: الآذيّ: بالمد والتشديد، الموج الشديد، ويجمع أواذي.
[النهاية: (١/ ٣٤)].

(٢) في «جامع البيان» (١٣/ ٢٣٠ رقم ١٥٣٥٢). من رواية جويبر وهو ضعيف جداً.
وأورده السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ١٤٣).
وأورده ابن كثير في تفسيره (٣/ ٦٠٧).

(٣) في «جامع البيان» (١٣/ ٢٣٢ رقم ١٥٣٥٤). قال أحمد شاكر: رواه أبو جعفر من طرق ثلاث، أولاهما مرفوعة، والأخريان موقوفتان على عبد الله بن عمرو. وهذا الخبر، خرجه السيوطي مرفوعاً في «الدر المنثور» (١/ ١٤٢) وزاد نسبته لابن منده في كتاب «الرد على الجهمية» (ص٣٦ ـ ٦٤).
وذكره ابن كثير في تفسيره (٢/ ٢٧٣) وضعف رفعه، وبيَّن أن وقفه أصح.
وقال الطبري (١٣/ ٢٥٠): «. . . ولا أعلمه صحيحاً، لأن الثقات الذين يعتمد على حفظهم وإتقانهم، حدثوا بهذا الحديث عن الثوري، فوقفوه على عبد الله بن عمرو، ولم يرفعوه. . .» اهـ.

(٤) في تفسيره (٢/ ٢٧٣) كما تقدم.

وعن أبي بن كعب رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ [الأعراف: ١٧٢]. الآيات، قال: فجمعهم له يومئذ جميعاً ما هو كائنٌ منه إلى يوم القيامة فجعلهم في صُوَرِهم، ثم استنطقهم فتكلموا وأخذ عليهم العهدَ والميثاقَ وأشهدهم على أنفسهم ألستُ بربكم؟ قالوا بلى. الآية.

قال فإني أُشهِد عليكم السمواتِ السبعَ والأرضينَ السبعَ وأُشهِد عليكم أباكم آدمَ أن تقولوا يوم القيامة لم نعلمْ بهذا، اعلموا أنه لا إلَه غيري ولا ربَّ غيري ولا تُشركوا بي شيئاً، وإني سأرسِل إليكم رُسُلاً ليذكّروكم عهْدي وميثاقي وأُنزل عليكم كتبي.

قالوا: نشهد أنك ربُّنا وإلهُنا لا ربَّ لنا غيرُكَ ولا إله لنا غيرُكَ، فأقروا له يومئذ بالطاعة، ورفع أباهم آدمَ فنظر إليهم فرأى فيهم الغنيَّ والفقيرَ وحسَنَ الصورةِ ودون ذلك، فقال: يا ربِّ لو سوَّيتَ بين عبادِك، قال: إني أحببتُ أن أُشكَرَ.

ورأى فيهم الأنبياءَ مثلَ السُرُجِ عليهم النورُ، وخُصُّوا بميثاقٍ آخَرَ من الرسالة والنبوة، فهو الذي يقول تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ﴾ [الأحزاب: ٧]. الآية. وهو الذي يقول: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ﴾ [الروم: ٣٠] الآية. ومن ذلك قال: ﴿هَـٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ﴾ [النجم: ٥٦]. ومن ذلك قال: ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ﴾ [الأعراف: ١٠٢]. الآية. رواه عبدُ الله بنُ أحمدَ في مُسند أبيه[١] وابنُ أبي حاتمٍ[٢] وابنُ جريرٍ[٣] وابنُ مِردويه[٤].

---

(١) (٥/ ١٣٥). وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٢٥) وقال: «رواه عبد الله بن أحمد، عن شيخه محمد بن يعقوب الربالي، وهو مستور، وبقية رجاله رجال الصحيح» اهـ.

(٢)(٤) عزاه إليهما ابن كثير في تفسيره (٢/ ٢٧٤).

(٣) في «جامع البيان» (١٣/ ٢٣٨ رقم ١٥٣٦٣) بإسناد صحيح.

قلت: وأخرجه الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٣٢٣ ـ ٣٢٤) والآجري في «الشريعة» (ص٢٠٧)، وابن منده في «الرد على الجهمية» (ص٥٩ رقم ٥/ ٣٠) واللالكائي (٣/ ٦١٨ رقم ٩٩١) وابن بطة (١/ ٣١٤ رقم ١٣٣٧ ـ القدر).

قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي وهو كما قالا.

والخلاصة أن الحديث صحيح، والله أعلم.

وفي البغوي[1] قال مقاتلٌ وغيرُه من أهل التفسير: إن اللّهَ تعالى مسحَ صفحة ظهرِ آدمَ اليمنى فأخرج منه ذريةً بيضاءَ كهيئةِ الذَّرِّ يتحركون، ثم مسح صفحةَ ظهرِه اليسرى فأخرج منه ذريةً سوداءَ كهيئةِ الذَّرِّ فقال: يا آدمُ هؤلاءِ ذريتُك، ثم قال لهم: ألستُ بربكم؟ قالوا: بلى، فقال للبِيض: هؤلاء في الجنة برحمتي ولا أبالي وهم أصحاب اليمين، وقال للسُّود: هؤلاء في النار ولا أبالي وهم أصحابُ الشمال، ثم أعادهم جميعاً في صلبه.

فأهلُ القبورِ محبوسون حتى يخرُجَ أهلُ الميثاقِ كلُهم من أصلابِ الرجالِ وأرحام النساء، قال الله تعالى فيمن نقض العهدَ الأولَ: ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ﴾ [الأعراف: ١٠٢]. وقال بعضُ أهلِ التفسير[2]: إن أهلَ السعادةِ أقرُّوا طَوعاً وقالوا بلى، وأهلَ الشقاوة قالوا تَقِيَّةً وكُرهاً. وذلك معنى قولِه تعالى: ﴿وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ [آل عمران: ٨٣].

واختلفوا في موضع الميثاقِ، قال ابن عباس[3] رضي الله عنهما: ببطن نَعمانَ وادٍ إلى جنب عرفةَ.

ورُوي عنه[4] أيضاً أنه بدَهناءَ من أرض الهندِ وهو الموضعُ الذي هبطَ آدمُ

---

(١) في «معالم التنزيل» (٣/ ٢٩٨).

(٢) في «معالم التنزيل» (٣/ ٢٩٨).

(٣) أخرجه النسائي في «التفسير» رقم (٢١١) بإسناد حسن.

قلت: وأخرجه أحمد (١/ ٢٧٢)، وابن أبي عاصم في «السنة» رقم (٢٠٢) والطبري رقم (١٥٣٤٠) والحاكم في «المستدرك» (١/ ٢٧) و(٢/ ٥٤٤) وصححه وأقره الذهبي.

كلهم من طريق جرير بن حازم عن كلثوم عن ابن جبير عن ابن عباس مرفوعاً.

وأخرجه الطبري وغيره من طرق موقوفاً على ابن عباس ـ به، ولذا قال الحافظ ابن كثير في تفسيره (٢/ ٢٧٢): «وقد رواه عبد الوارث عن كلثوم بن جبر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فوقفه، وكذا رواه إسماعيل بن علية ووكيع بن أبي ثابت وعلي بن بذيمة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس، وكذا رواه العوفي وعلي بن أبي طلحة عن ابن عباس، فهذا أكثر وأثبت والله أعلم» اهـ.

وهو كما قال إلا أن المرفوع صحيح أيضاً لشواهده.

وانظر «الصحيحة» للمحدث الألباني رقم (١٦٢٣).

(٤) أخرجه الطبري في «جامع البيان» (١٣/ ٢٢٤ رقم ١٥٣٤٢) وانظر تعليق الشيخ أحمد شاكر.

عليه السلام عليه، وقال الكلْبيُّ[1]: بين مكةَ والطائف، وقال السدي[1]: أخرج آدمَ عليه السلام من الجنة فلم يُهبطه من السماء ثم مسح ظهرَه فأخرج ذريتَه.

ورُوِي[1] أن الله تعالى أخرجهم جميعاً وصوّرهم وجعل لهم عقولاً يعلمون بها وألسُناً ينطِقون بها ثم كلمهم قُبُلاً يعني عِياناً وقال: ألستُ بربكم؟.

وقال الزَّجاج[2]: وجائزٌ أن يكون اللّهُ تعالى جعل لأمثالِ الذرّ فهماً تعقِل به، كما قال تعالى: ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ﴾ [النمل: ١٨].

قال البغوي[3]: فإن قيل فإن معنى قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢]، وإنما أخرجهم من ظهر آدمَ؟ قيل إن الله تعالى أخرج ذريةَ آدمَ بعضَهم من ظهور بعضٍ على نحو ما يتوالد الأبناءُ من الآباء في الترتيب، فاستغنى عن ذكر ظهرِ آدمَ لما علم أنهم كلَّهم بنوه وأُخرِجوا من ظهره.

قولُه تعالى: ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ [الأعراف: ١٧٢]، أي أشهد بعضَهم على بعض.

قوله: ﴿شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا۟﴾، قرأ أبو عمْرٍو[4]: أن يقولوا، أو يقولوا، بالياء

---

(١) ذكره البغوي في تفسيره (٣/٢٩٩).

(٢) في كتابه: «معاني القرآن وإعرابه» (٢/ ٣٩٠).

(٣) في «معالم التنزيل» (٣/٢٩٩).
قال الحافظ ابن عبد البر في «التمهيد» (١٦/ ١٢)، بعد أن ساق روايات أخذ الذرية والإشهاد: «قد أكثر الناس من تخريج الآثار في هذا الباب وأكثر المتكلمون فيه، وأهل السنة مجتمعون على الإيمان بهذه الآثار واعتقادها وترك المجادلة فيها. وبالله العصمة والتوفيق».
وانظر ما قاله الألباني في «الصحيحة» (٤/ ١٥٨ ـ ١٦٣) و«درء تعارض العقل والنقل» لشيخ الإسلام ابن تيمية (٨/ ٣٥٩) وما بعدها.. وتفسير القرطبي (٧/ ٣١٣) وما بعدها.

(٤) هو زبّان بن العلاء بن عمار بن المازني، التميمي، البصري وقيل: اسمه (يحيى) كان إمام البصرة ومقرءها.
قال الإمام ابن الجزري:
(كان أبو عمرو بن العلاء أعلم الناس بالقرآن والعربية، مع الصدق والثقة والأمانة والدين).
انظر ترجمته في: معرفة القراء الكبار (١/ ١٠٠)، النشر (١/ ١٣٤)، غاية النهاية (١/ ٢٨٨ ـ ٢٨٩)، الأعلام (٣/ ٤١).

فيهما، وقرأ الآخرون بالتاء فيهما[١]. واختلفوا في قوله: ﴿شَهِدْنَآ﴾، قال السُّدي[٢]: هو خبرٌ من الله عز وجل عن نفسه وملائكتِه أنهم شهِدوا على إقرار بني آدمَ.

وقال بعضُهم[٣]: هو خبرٌ عن قول بني آدمَ أشهد اللَّهُ بعضَهم على بعض، فقالوا: بلى شهِدْنا.

وقال الكلْبيّ[٤]: ذلك من قولِ الملائكةِ، وفيه حذفٌ تقديرُه: لما قالت الذريةُ بلى، قال الله عز وجل للملائكة: اشهَدوا.

قوله: ﴿أَن تَقُولُواْ﴾. يعني وأشهدَهم على أنفسهم أن تقولوا، أي لِئلا يقولوا أو كراهيةَ أن يقولوا.

ومن قرأ بالتاء فتقديرُ الكلام أُخاطبُكم ألستُ بربكم لئلا تقولوا يومَ القيامةِ إنا كنا عن هذا غافلين، أي عن هذا الميثاقِ والإقرار؛ فإن قيل: كيف تَلزَم الحجةُ واحداً لا يذكر الميثاقَ؟ قيل: قد أوضح اللَّهُ تعالى الدلائلَ على وحدانية وصدقِ رسلِه فيما أخبروا، فمن أنكره كان معانداً ناقضاً للعهد ولزِمته الحجة، وبنسيانهم وعدمِ حفظِهم لا يسقُط الاحتجاجُ بعد إخبارِ المُخبر صاحبِ المعجزة.

قوله: ﴿أَوْ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْۖ﴾ [الأعراف: ١٧٣]. يقول: إنما أخذ الميثاقَ عليكم لئلا تقولوا أيها المشركون إنما أشرك آباؤنا من قبل ونقَضوا العهد، وكنا ذريةً من بعدهم أي كنا أتباعاً لهم فاقتدينا بهم، فتجعلوا هذا عذراً لأنفسكم وتقولوا: ﴿أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٣]، أفتُعذِّبنا بجناية آبائِنا المُبطلين؟ فلا يمكنهم أن يحتجوا بمثل هذا الكلامِ بعد تذكيرِ اللَّهِ تعالى بأخذ الميثاقِ على التوحيد.

﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ﴾ [الأعراف: ١٧٤]. أي نبين الآياتِ ليتدبرَها العِباد: ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٤] من الكفر إلى التوحيد اهـ. البغوي[٥].

---

(١) انظر «الموضح في وجوه القراءات وعللها» لابن أبي مريم (٢/ ٥٦٤ ـ ٥٦٥).
(٢) ذكره الطبري في «جامع البيان» (١٣/ ٢٤٩ ـ شاكر).
(٣) ذكره الطبري في «جامع البيان» (١٣/ ٢٥٠ ـ شاكر).
(٤) ذكره البغوي في تفسيره (١/ ٣٠٠).
(٥) في «معالم التنزيل» (٣/ ٣٠٠).

وقال ابنُ كثير[1] رحمه الله تعالى: وذهب طائفةٌ من السلف والخلفِ أن المرادَ بهذا الإشهادِ إنما هو فطْرُهم على التوحيد، كما في حديث أبي هريرةَ ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«كل مولودٍ يولد على الفِطرة»**.

وفي رواية: **«على هذه المِلّة، فأبواه يُهَوّدانه وينصّرانه ويُمجّسانه، كما تولد البهيمةُ بهيمةً جمعاءَ هل تُحِسّون فيها من جَدْعاء»**. أخرجاه[2].

وفي صحيح مسلم[3] عن عِياضِ بنِ حمارٍ ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«يقول الله تعالى: إني خلقتُ عبادي حُنفاءَ فجاءتْهم الشياطينُ فاجتالتْهم عن دينهم وحَرّمت عليهم ما أحللت لهم»**.

وعن الأسود بنِ سريعٍ من بني سعدٍ[4] قال: غزوتُ مع رسول الله ﷺ أربعَ غزَواتٍ، قال: فتناول القومُ الذريةَ بعدما قتلوا المقاتِلةَ، فبلغ ذلك رسولَ الله ﷺ فاشتد عليه ثم قال: **«ما بالُ أقوامٍ يتناولون الذرية»**؟ فقال رجل: يا رسولَ الله

---

(١) في تفسيره (٢/ ٢٧٥).

(٢) البخاري (٣/ ٢١٩ رقم ١٣٥٩) و(٣/ ٢٤٦ رقم ١٣٨٥).
ومسلم (٤/ ٢٠٤٧ رقم ٢٦٥٨).
أما رواية: **«ما من مولود يولد إلا هو على الملة»** عند مسلم دون البخاري.

(٣) (٤/ ٢١٩٧ رقم ٢٨٦٥).
قلت: وأخرجه أحمد (٤/ ١٢٦).

(٤) أخرجه أحمد (٣/ ٤٣٥) و(٤/ ٢٤) والبيهقي في «السنن الكبرى» (٩/ ٧٧) وأبو يعلى في «المسند» (٢/ ٢٤٠ رقم ١/ ٩٤٢) والطبراني في «الكبير» (١/ ٢٨٣ - ٢٨٤ رقم ٨٢٧، ٨٢٨، ٨٢٩) والحاكم (٢/ ١٢٣) مختصراً.
قال البيهقي: وكذلك رواه هشيم عن يونس بن عبيد وذكر فيه سماع الحسن من الأسود بن سريع.
قلت: وهو قول الجمهور.
وقال الحاكم: **هذا حديث صحيح على شرط الشيخين** وأقره الذهبي.
وقال ابن حجر في «تهذيب التهذيب» (١/ ٣٩٠): «وقال ابن المديني: لم يسمع من الأسود بن سريع، لأن الأسود خرج من البصرة أيام علي. وكذا قال ابن منده» اهـ.
وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥/ ٣١٦): «رواه أحمد بأسانيد والطبراني في «الكبير» و«الأوسط» كذلك، وبعض أسانيد أحمد رجاله رجال الصحيح».
قلت: ويشهد لهذا الحديث حديث أبي هريرة المتقدم فهو به صحيح، والله أعلم.

أليسوا أبناءَ المشركين؟ فقال: «**إن خيارَكم أبناءُ المشركين، ألا إنها ليست نسَمةٌ تولد إلا وُلِدتْ على الفِطرة فما تزال عليها حتى يُبينَ عنها لسانُها فأبواها يُهوّدانها ويُنصّرانها**».

قال الحسن[1]: ولقد قال الله تعالى في كتابه: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢]. قالوا ولهذا قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ﴾ [الأعراف: ١٧٢]. ولم يقل من آدمَ: ﴿مِن ظُهُورِهِمْ﴾ ولم يقل من ظهره ﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ أي جعل نسلَهم جيلاً بعد جيلٍ وقرناً بعد قرنٍ كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ١٦٥]، وقال: ﴿وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ﴾ [النمل: ٦٢]. وقال تعالى: ﴿كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ﴾ [الأنعام: ١٣٣].

ثم قال تعالى: ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ [الأعراف: ١٧٢]، أي وجدهم شاهدين بذلك قائلين له حالاً، قال: والشهادةُ تكون بالقول كقوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا﴾ [الأنعام: ١٣٠]. الآية. وتارةً تكون حالاً كقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا۟ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ﴾ [التوبة: ١٧]، أي حالهم شاهدٌ عليهم بذلك لا أنهم قائلون ذلك، وكذا قولُه تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ﴾ [العاديات: ٧].

كما أن السؤالَ تارةً يكون بالمقال، وتارة يكون بالحال كقوله تعالى: ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾ [إبراهيم: ٣٤]. قالوا: ومما يدل على أن المرادَ بهذا أن جعل هذا الإشهادَ حجةً عليهم في الإشراك، فلو كان قد وقع هذا كما قال مَن قال لكان كلُ أحدٍ يذكرُه ليكون حجةً عليه.

فإن قيل إخبارُ الرسولِ ﷺ به كافٍ في وجوده؛ فالجوابُ أن المكذبين من المشركين يكذبون بجميع ما جاءتهم به الرسلُ من هذا وغيرِه، وهذا جعلَ حجةً مستقلةً عليهم فدل على أنه الفطرةُ التي فُطروا عليها من الإقرار بالتوحيد، ولهذا قال تعالى: ﴿أَن تَقُولُوا۟﴾ [الأعراف: ١٧٢]، أي لئلا تقولوا يوم القيامة: ﴿إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٢]، أي عن التوحيد: ﴿أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا﴾ [الأعراف: ١٧٣]. الآية. اهـ.

---

(١) ذكره ابن كثير في تفسيره (٢/ ٢٧٥).

أنواع المواثيق

قلت: ليس بين التفسيرين منافاةٌ ولا مضادةٌ ولا معارضة؛ فإن هذه المواثيقَ كلّها ثابتةٌ بالكتاب والسنة:

الأولُ: الميثاقُ الذي أخذه الله تعالى عليهم حين أخرجهم من ظهر أبيهم آدمَ عليه السلام وأشهدهم على أنفسهم: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ [الأعراف: ١٧٢]. الآيات. وهو الذي قاله جمهورُ المفسرين رحمهم الله في هذه الآياتِ، وهو نصُّ الأحاديثِ الثابتةِ في الصحيحين وغيرهما.

الميثاق الثاني: ميثاقُ الفطرة، وهو أنه تبارك وتعالى فطرهم شاهدين بما أخذه عليهم في الميثاق الأولِ كما قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾ [الروم: ٣٠]. الآية.

وهو الثابتُ في حديث أبي هريرةَ، وعياض بنِ حمارٍ، والأسودِ بن سريعٍ[(١)] ﷺ، وغيرِها من الأحاديث في الصحيحين وغيرِهما.

الميثاقُ الثالث: هو ما جاءت به الرُسلُ وأُنزلت به الكتبُ تجديداً للميثاق الأولِ وتذكيراً به: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٦٥].

فمن أدرك هذا الميثاقَ وهو باقٍ على فطرته التي هي شاهدةٌ بما ثبت في الميثاقِ الأولِ فإنه يقبل ذلك من أول مرةٍ ولا يتوقف؛ لأنه جاء موافقاً لما في فطرته وما جبله اللّهُ عليه، فيزداد بذلك يقينُه ويقوَى إيمانُه فلا يتلعثم ولا يتردد.

ومن أدركه وقد تغيرت فطرتُه عما جبله اللّهُ عليه من الإقرار بما ثبت في الميثاقِ الأولِ، بأن كان قد اجتالتْه الشياطينُ عن دينه وهوَّده أبواه أو نصَّراه أو مَجَّساه، فهذا إن تداركه اللّهُ تعالى برحمته فرجع إلى فِطرته وصدّق بما جاءت به الرسلُ ونزلت به الكتبُ نفعه الميثاقُ الأولُ والثاني، وإن كذَّب بهذا الميثاقِ كان مكذباً بالأول فلم ينفعْه إقرارُه به يوم أخذه الله عليه حيث قال: ﴿بَلَىٰ﴾ جواباً لقولِه تعالى: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ وقامت عليه حجةُ اللّهِ وغلبت عليه الشِقوةُ وحق عليه العذابُ: ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ [الحج: ١٨].

---

(١) تقدم قريباً وهو حديث صحيح.

ومن لم يدرك هذا الميثاقَ بأن مات صغيراً قبل التكليفِ مات على الميثاق الأولِ على الفطرة، فإن كان من أولاد المسلمين فهم مع آبائهم، وإن كان من أولاد المشركين فاللَّهُ أعلمُ بما كان عاملاً لو أدركه، كما في الصحيحين[1] عن ابن عباس ﷺ قال: سئل رسولُ الله ﷺ عن أولاد المشركين فقال ﷺ: **«اللَّهُ تعالى إذْ خلقهم أعلمُ بما كانوا عاملين»**.

وفيه[2] عن أبي هريرة ﷺ قال: سئل رسولُ الله ﷺ عن ذراري المشركين فقال ﷺ: **«اللَّهُ أعلمُ بما كانوا عاملين»**.

(وبعد هذا رُسْلَه قد أرسلا	**لهم وبالحق الكتابَ أنزلا)**
(لكي بذا العهدِ يُذكّروهم	**ويُنذروهم ويبشّروهم)**
(كي لا يكونَ حجةٌ للناس بل	**لله أعلى حجةٍ عز وجل)**
(فمن يُصدِّقْهم بلا شِقاقِ	**فقد وفى بذلك الميثاقِ)**
(وذاك ناجٍ من عذاب النارِ	**وذلك الوارثُ عُقبى الدار)**
(ومن بهم وبالكتاب كذبا	**ولازَمَ الإعراضَ عنه والإبا)**
(فذاك ناقضٌ كِلا العهدينِ	**مستوجبٌ للخزيِ في الدارينِ)**

(وبعد هذا) أي الميثاقِ الذي أخذه عليهم في ظهر أبيهم ثم فطرَهم وجبلَهم على الإقرار به وخلقهم شاهدين به **(رُسْلَه)** بإسكان السينِ للوزن مفعولُ أرسل مقدمٌ **(قد أرسلا)** بألف الإطلاق **(لهم)** أي إليهم **(وبالحق)** متعلقٌ بأنزل أي بدين الحقِ **(الكتابَ)** جنسٌ يشمل جميعَ الكتبِ المنزلة على جميع الرسلِ **(أنزلا)** بألف الإطلاقِ.

والأمرُ الذي أرسل اللَّهُ تعالى به الرسلَ إلى عباده وأنزل عليهم به الكتبَ هو **(لكي بذا العهدِ)** الميثاقِ الأولِ **(يذكروهم)** تجديداً له وإقامةً لحجة الله البالغةِ عليهم **(وينذروهم)** عقابَ الله إن عصَوه ونقضوا عهدَه و **(يبشروهم)** بمغفرته ورضوانِه إن هم وفَوا بعهده ولم ينقُضوا ميثاقَه وأطاعوه وصدقوا رسلَه.

---

(١) البخاري (٣/ ٢٤٥ رقم ١٣٨٣) و(١١/ ٤٩٣ رقم ٦٥٩٧)، ومسلم (٤/ ٢٠٤٩ رقم ٢٦٦٠).

(٢) البخاري (٣/ ٢٤٥ رقم ١٣٨٤) و(١١/ ٤٩٣ رقم ٦٥٩٨).
ومسلم (٤/ ٢٠٤٩ رقم ٢٦٥٩).

والحكمةُ في ذلك لـ (كي لا يكون حجةٌ) على الله عز وجل (للناس، بل لله) على جميع عبادِه (أعلى حجة) أبلغُها وأدمغُها (عز) سلطانُه (وجل) شأنُه عن أن يكون لأحد عليه حجةٌ، كما قال تعالى لنبيه محمدٍ ﷺ وهو خاتمُ الرسل والمصدِّقُ لما جاءوا به، وكتابُه مصدِّقٌ لما بين يديه مما معهم من الكتب ومهيمنٌ عليه:

﴿۞ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾﴾ [النساء].

وقال تعالى لنبيه ﷺ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٩﴾ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾ وَٱلَّذِينَ سَعَوْا۟ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥١﴾﴾ [الحج].

وقال تعالى له ﷺ: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾﴾ [الأحزاب]. الآيات. وقال تعالى له: ﴿إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٣].

وقال تعالى: ﴿۞ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ [سبأ: ٤٦]. الآيات. وقال تعالى: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ﴾ [البقرة: ٢٤ ـ ٢٥]. الآية.

وغيرُ ذلك من الآيات التي يخبر اللَّهُ تعالى فيها أنه ما أرسل من رسول إلا داعياً إلى عبادةِ اللَّهِ عز وجل لا شريكَ له والكفرِ بما سواه من الأنداد، ومبشراً لمن صدَّقه وأطاعه بالجنة ونذيراً لمن كذبه وعصاه بالنار.

ثم أخبر تعالى أن المرادَ بذلك: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥]. وقال تعالى: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ﴾ [الأنعام: ١٤٩].

وتقديرُ البحثِ في الرسالة واتفاقِ الرسلِ في دعوتهم يأتي في بابه إن شاء الله عز وجل.

(**فمن يصدقهم**) يعني الرسلَ (**بلا شقاق**) تكذيبٍ ولا مخالفة؛ (**فقد وفى**) لربه عز وجل (**بذلك الميثاقِ**) العهدِ الأولِ، وهؤلاء هم القليلُ من الثقلين ولكنْ هم جندُ الله الغالبون المنصورون في الدنيا، وحِزبُه المفلحون الفائزون في الآخرة.

وجوابُ الشرط (**فذاك ناجٍ من عذاب النار**) إذ لم يرتكب أسبابَ دخولِها من معصية اللَّهِ وتكذيبِ رسلِه كما ارتكب ذلك مَن خُلق لها.

(**وذلك الوارثُ عقبى الدار**) وهي الجنةُ لفعله أسبابَها التي أمره اللَّهُ عز وجل بها من الوفاء بعهد اللَّهِ وميثاقِه وتصديقِ رسلِه وكتبِه والعملِ بجميع طاعتِه تبارك وتعالى.

(**ومن بهم**) أي بالرسل (**وبالكتاب**) أي الكتبِ التي أنزل الله عليهم ليبلّغوها إلى عبادِه ويبيِّنوها ليعمَلوا بما فيها (**كذباً**)، (**ولازم الإعراضَ عنه**) عما أرسل اللَّهُ به رسلَه (**والإبا**) أي الامتناعَ، وهم الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [غافر: ٧٠]. الآيات. وقال تعالى فيهم: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [طه: ١٢٤]. الآيات وغيرُها.

وهؤلاء أكثرُ الثقلين كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ [الإسراء: ٨٩]. وقال تعالى: ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ ۖ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ﴾ [الأعراف: ١٠٢]. وقال تعالى: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الأنعام: ١١٦]، وغيرُ ذلك من الآيات.

وجوابُ الشرطِ (**فذاك**) أي المكذبُ بالكتاب وبما أرسل اللَّهُ تعالى به رسلَه، الآبي منه المُعرِض عنه المُصِرّ على ذلك حتى مات عليه هو (**ناقض كلا العهدين**) الميثاقَ الذي أخذه الله عليه وفطره على الإقرار به وما جاءت به الرسلُ من تجديد الميثاقِ الأولِ وإقامةِ الحجة.

(**مستوجبٌ**) بفعله ذلك (**للخزي في الدارين**) أي في الدنيا والآخرة كما قال تعالى: ﴿وَأَتْبَعْنَٰهُمْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ﴾ [القصص: ٤٢].

وقد وفى بذكر الفريقين الموفين بالعهد والناقضين له وما لكل منهم وما عليه في الدنيا والآخرة قولُ اللَّهِ عز وجل: ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمُ﴾ [الرعد: ١٨]، أي فيما دعاهم إليه على ألسنة رسلِه وهم الفريق الأول ﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾ الجنة ﴿وَٱلَّذِينَ لَمْ

يَسْتَجِيبُواْ لَهُۥ﴾ وهم الفريق الثاني ﴿لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْاْ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ [الرعد: ١٨].

وتأويل ذلك ما ورد في الصحيحين[١] من طرق عن أنس بنِ مالكٍ ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**يقول الله تعالى لأهونِ أهلِ النار عذاباً يوم القيامة: لو أن لك ما في الأرض من شيء أكنتَ تفتدي به؟ فيقول: نعم. فيقول: أردتُ منك أهونَ من هذا وأنت في صُلب آدمَ، أن لا تشرِكَ بي شيئاً، فأبيت إلا أن تُشرِكَ بي**». وقد تقدم ذكرُه قريباً.

﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ﴾ [الرعد: ١٩]، يعني الفريق الأولَ: ﴿كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ﴾ [الرعد: ١٩]. يعني الفريقَ الثانيَ، لا والله ليسوا سواءً ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝١٩ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ﴾ [الرعد: ١٩ ـ ٢٠]. يتناول كلَّ العهودِ والمواثيقِ التي أمر الله عز وجل بالوفاء بها مع الحق ومع الخلق، وتناولُها للميثاق المذكورِ من باب أولى.

﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾ [الرعد: ٢١]. من صلة الأرحام ومن الإيمان بالله ورسلِه وعدمِ التفريقِ بين أحدٍ منهم ﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ۝٢١ وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ﴾ [الرعد: ٢١ ـ ٢٢] على قدَر اللّهِ وعلى ملازمة طاعتِه وعن معصيته ﴿ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٢]. فكأنه قيل: ما هي؟ فقال تعالى: ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ۝٢٣ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ۝٢٤﴾ [الرعد].

ثم ذكر الفريقَ الثانيَ بصفاتهم السيئةِ وبيّن جزاءَهم عليها والعياذُ بالله تعالى، فقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ۝٢٥﴾ [الرعد].

فسبحان اللّهِ وبحمده، ما أبلغ حكمتَه وأعدلَ حُكمَه، ولا إله إلا اللّهُ واللّهُ أكبر ولا حول ولا قوةَ إلا بالله العليِّ العظيم.

❁ ❁ ❁

---

(١) تقدم تخريجه.

[ال] فصلُ [الأول]

في انقسام التَّوحيد إلى نوعين

وَبَيان النّوع الأولِ، وهو توحيدُ المعرفةِ والإثباتُ



(أول واجبٍ على العبيد ... معرفةُ الرحمنِ بالتوحيد)
(إذْ هو من كل الأوامرِ أعظمُ ... وهُو نوعانِ أيا من يفهمُ)
(إثباتُ ذات الربِّ جل وعلا ... أسمائِه الحسنى صفاته العُلى)

(أولُ واجب) فرضه اللَّهُ عز وجل (على العبيد) هو (معرفةُ الرحمن) أي معرفتُهم إياه (بالتوحيد) الذي خلقهم له وأخذ عليهم الميثاقَ به، ثم فطرهم شاهدين مُقِرِّين به، ثم أرسل به رسلَه إليهم وأنزل به كتبَه عليهم.

(إذْ) حرفُ تعليلٍ لأولية وجوبِ معرفةِ العبادِ ربَّهم تبارك وتعالى بالتوحيد (هو من كل الأوامر) جمعُ أمرٍ، وهو خطابُ اللَّهِ عز وجل المتعلقُ بالمكلفين بصيغة تستدعي الفعلَ (أعظم) كما أن ضِدَّه من الشرك والتعطيلِ والتمثيلِ هو أعظمُ المناهي، ولهذا لا يدخُل العبدُ في الإسلام إلا به، ولا يخرُج منه إلا بضده، ولم يُزَحزح عن النار ويدخُل الجنة إلا به، ولا يخلَّد في النار ويُحْرَم الجنةَ إلا بضده، ولم تدعُ الرسلُ إلى شيء قبله ولم تَنْهَ عن شيء قبل ضِدِّه.

(وهو) أي التوحيد (نوعان):

الأولُ: التوحيدُ العلميُّ الخَبريُّ الاعتقاديُّ المتضمِّنُ إثباتَ صفاتِ الكمالِ لله عز وجل وتنزيهَه فيها عن التشبيه والتمثيلِ وتنزيهَه عن صفات النقصِ، وهو توحيدُ الربوبيةِ والأسماءِ والصفاتِ.

والثاني: التوحيدُ الطلبيُّ القَصْديُّ الإراديُّ، وهو عبادةُ اللَّهِ تعالى وحده لا شريكَ له وتجريدُ محبتِه، والإخلاصُ له وخوفُه ورجاؤُه والتوكلُ عليه بالرضا به رباً وإلهاً وولياً، وأن لا يَجْعلَ له عدلاً في شيء من الأشياء، وهو توحيدُ الإلهية.

والقرآنُ كلُّه من أوله إلى آخره في تقرير هذين التوحيدين؛ لأنه إما خبرٌ عن الله عز وجل وما يجب أن يوصفَ به وما يجب أن ينزَّه عنه، وهو التوحيدُ العلميُّ الخبريُّ الاعتقادي.

وإما دعوةٌ إلى عبادته وحده لا شريك له، وخلعُ ما يُعبد من دونه، فهو التوحيد الطلبيُّ الإراديُّ.

وإما أمرٌ ونهيٌ وإلزامٌ بطاعته، فذلك من حقوق التوحيدِ ومُكْمِلاتِه، وإما خبرٌ عن إكرامه لأهل التوحيدِ وما فعل بهم في الدنيا من النصر والتأييدِ وما يكرمهم به في الآخرة، وهو جزاءُ توحيدِه.

وإما خبرٌ عن أهل الشركِ وما فعل بهم في الدنيا من النَّكال وما يَفعل بهم في العُقبى من العذاب، فهو جزاءُ مَن خرَج عن حكم توحيدِه.

فالقرآن كلُّه في التوحيد وحقوقِه وجزائِه وفي شأن الشركِ وأهله وجزائِهم.

اقرأ في الجمع بين التوحيدين: ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ۝٢ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ۝٣ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ۝٤ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ۝٦ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ۝٧ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۝٨﴾ [طـه]. وآيةَ الكرسيِّ، وقل هو الله أحد، وغيرَها من القرآن.

واقرأ في الأمر والنهي: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧].

واقرأ في إكرام أهل التوحيدِ في الدنيا والآخرة: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ۝٥١﴾ [غافر: ٥١].

واقرأ في إخزاء أهلِ الشركِ في الدنيا والآخرة: ﴿وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ۝٣٩ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٤٠ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ۝٤١ وَأَتْبَعْنَٰهُمْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ ۝٤٢﴾ [القصص].

[الكلام على التوحيد العلمي الخبري الاعتقادي]

والكلامُ في هذا الفصل على النوع الأول، وهو التوحيد العلميُّ الخبريُّ الاعتقاديُّ، وهو (إثباتُ) بالرفع بدلُ بعض من قولنا «نوعان» أي الأولُ منهما

(إثباتُ ذاتِ الربِّ جل وعلا) فإن هذه العوالَم العُلوياتِ والسُفلياتِ لا بد لها من موجِد أوجدها ويتصرفُ فيها ويدبّرها. ومحالٌ أن توجدَ بدون موجد، ومحالٌ أن توجِدَ أنفسَها.

قال الله تبارك وتعالى في مقام إثباتِ الربوبيةِ وتوحيدِ الألوهية: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [الطور].

قال ابن عباس[1] ﷺ: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ﴾ [الطور: ٣٥]، أي من غير ربٍّ، ومعناه أخُلِقوا من غير شيءٍ خلقهم فوُجدوا بلا خالقٍ، وذلك مما لا يجوز أن يكون؛ لأن تعلّق الخلقِ بالخالق من ضرورة الاسمِ فلا بد له من خالق، فإن أنكروا الخالقَ لم يجُز أن يوجدوا بلا خالق.

﴿أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾ [الطور: ٣٥] لأنفسهم وذلك في البطلان أشدُّ؛ لأن ما لا وجودَ له كيف يخلق، فإذا بطَل الوجهان قامت الحجةُ عليهم بأن لهم خالقاً فليؤمنوا به.

﴿أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ﴾ [الطور: ٣٦]. وهذا في البطلان أشدُّ وأشدُّ، فإن المسبوقَ بالعدم يستحيل أن يوجَدَ بنفسه فضلاً عن أن يكون موجِداً لغيره، وهذا إنكارٌ عليهم في شركهم بالله عز وجل وهم يعلمون أنه الخالقُ لا شريك له.

﴿بَل لَّا يُوقِنُونَ﴾ [الطور: ٣٦]، أي ولكنّ عدمَ إيقانِهم هو الذي يحمِلهم على ذلك.

وعن جُبير بن مُطعم ﷺ قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقرأ في المغرب بالطور، فلما بلغ هذه الآية: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [الطور]. كاد قلبي أن يطير. أخرجاه في الصحيحين[2].

وكثيراً ما يُرشد اللَّهُ تبارك وتعالى عبادَه إلى الاستدلال على معرفته بآياته الظاهرةِ

---

(١) ذكره البغوي في «معالم التنزيل» (٧/ ٣٩٢).

(٢) البخاري (٢/ ٢٤٧ رقم ٧٦٥) وأطرافه رقم (٣٠٥٠) و(٤٠٢٣) و(٤٨٥٤) ومسلم (١/ ٣٣٨ رقم ٤٦٣).

من المخلوقات العُلوية والسُفلية، كما قال تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ﴾ [الذاريات: ٢٠]، أي فيها من الآيات الدالةِ على عظمةِ خالِقها وقُدرتِه الباهرة، مما قد ذرأ فيها من صنوف النباتِ والحيواناتِ والمِهاد والجبالِ والقفارِ والأنهارِ والبحار، واختلافِ ألسنةِ الناسِ وألوانِهم وما جُبلوا عليه من الإرادات والقُوى، وما بينهم من التفاوت في العقولِ والفهومِ والحركاتِ والسعادةِ والشقاوةِ، وما في تركيبهم من الحِكَم في وضع كل عضوٍ من أعضائهم في المحل الذي هو مُحتاجٌ إليه فيه، ولهذا قال عز وجل: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١].

قال قتادة[(١)]: من تفكر في خلق نفسِه عَلِم أنه إنما لُيِّنت مفاصلُه للعبادة، وكذا ما في ابتداء الإنسانِ من الآيات العظيمةِ إذْ كانت نطفةً ثم علقةً ثم مضغةً ثم عظاماً إلى أن نُفخ فيه الروحُ.

وقال تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ (٤٧) وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ (٤٨) وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٤٩)﴾ [الذاريات].

يقول تعالى منبهاً على خلق العالمِ العُلويِّ والسُّفليِّ: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا﴾ أي جعلناها سقفاً محفوظاً رفيعاً ﴿بِأَيْدٍ﴾ أي بقوة، قاله ابن عباس ومجاهدٌ وقَتادةُ والثَّوريُّ وغيرُ واحد[(٢)]. ﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ قال ابن عباس[(٣)] ﷺ: لقادرون.

وعنه[(٣)] أيضاً: لموسعون الرزقَ على خلْقنا.

وقيل[(٣)]: ذَوُو سَعةٍ. وقال ابن كثير[(٤)]: أي قد وسّعنا أرجاءَها ورفعناها بغير عَمدٍ حتى استقلت كما هي.

﴿وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا﴾ أي جعلناها فِراشاً للمخلوقات ﴿فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ﴾ الباسطون نحن. قال ابن عباس[(٥)]: نِعْمَ ما وطّأت لعبادي. ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾

---

(١) ذكره ابن كثير في تفسيره (٤/ ٢٥١).
(٢) أخرجه الطبري في «جامع البيان» (١٣/ج٢٧/ ٧).
(٣) ذكره البغوي في «معالم التنزيل» (٧/ ٣٧٩).
(٤) في تفسيره (٤/ ٢٥٤).
(٥) ذكره البغوي في «معالم التنزيل» (٧/ ٣٧٩).

[الذاريات: ٤٩]: صنفين ونوعين مختلفين كالسماء والأرض، والشمس والقمرِ، والليلِ والنهار، والبرِّ والبحرِ، والسهلِ والجبلِ، والشتاءِ والصيفِ، والجنِّ والإنس، والذكرِ والأنثى، والنورِ والظلمةِ، والإيمانِ والكُفرِ، والسعادةِ والشقاوةِ، والجنةِ والنارِ، والحقِّ والباطلِ، والحُلو والمُرِّ، والدنيا والآخرةِ، والموتِ والحياةِ، والجامدِ والنامي، والمتحرِّك والساكِن، والحرِّ والبردِ وغيرِ ذلك.

﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الذاريات: ٤٩]. أي لتعلموا أن الخالقَ واحدٌ فردٌ لا شريكَ له. اهـ ابنُ كثير[1] والبغوي[2].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٦٤].

قال أبو الضحى[3]: لما نزلت: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣]، قال المشركون: إن كان هكذا فليأتِنا بآية، فأنزل الله عز وجل: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [البقرة: ١٦٤]. تلك في ارتفاعها ولَطافتِها واتساعِها وكواكبِها السيارةِ والثوابتِ ودورانِ فلكِها، وهذه الأرضُ في كثافتِها وانخفاضِها وجبالِها وبحارِها وقِفارِها ووِهادِها وعُمرانِها وما فيها من المنافع.

﴿وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ [البقرة: ١٦٤] هذا يجيء ثم يذهب ويخلُفه الآخرُ، ويعقبُه ولا يتأخر عنه لحظةً كما قال تعالى: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: ٤٠]. وتارةً يطولُ هذا ويقصرُ هذا، وتارةً يأخذ هذا من هذا ثم يتعاوضان، كما قال تعالى: ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي

---

(١) في تفسيره (٤/ ٢٥٤).
(٢) في تفسيره (٧/ ٣٧٩).
(٣) أخرجه ابن كثير في تفسيره (١/ ٢٠٨) من رواية وكيع بن الجراح، عن سفيان عن أبيه عن أبي الضُحى به.
وأبو الضُحى، هو: مسلم بن صُبيح الهمداني. ثقة فاضل من الرابعة. كما في «التقريب» رقم (٦٦٣٢).
فالحديث معضل. وسنده إليه صحيح.

ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ﴾ [الحج: ٦١، الحديد: ٦، فاطر: ١٣]. أي يزيد من هذا في هذا ومن هذا في هذا: ﴿وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ﴾ [البقرة: ١٦٤]. أي في تسخير البحرِ بحمل السفنِ من جانب إلى جانب لمعايش الناسِ والانتفاع بما عند أهلِ ذلك الإقليمِ ونقل هذا إلى هؤلاء ﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [البقرة: ١٦٤] كما قال تعالى: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾﴾ إلى قوله: ﴿وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يس: ٣٣ ـ ٣٦]، ﴿وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ﴾ [البقرة: ١٦٤]. على اختلاف أشكالِها وأنواعها وألوانِها ومنافِعها وصِغَرِها وكِبَرِها، وهو يعلم ذلك كلّه ويرزقه لا يخفى عليه شيءٌ من ذلك، كما قال تعالى: ﴿۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [هود: ٦].

﴿وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ﴾ [البقرة: ١٦٤] فتارةً تأتي بالرحمة، وتارةً تأتي بالعذاب وهي الريحُ، وتارة تأتي مبشّرات بين يدي السحاب، وتارةً تسوقُها، وتارةً تجمعه، وتارة تُفرِّقه، وتارة تُصرِّفه، ثم تارة تأتي من الشمال وهي الشامية، وتارة تأتي من ناحية اليمن، وتارة صَباً وهي الشرقيةُ، وتارة دَبورٌ وهي غربية. وغير ذلك والله أعلم.

﴿وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة: ١٦٤] أي سائرٌ بين السماء والأرضِ مسخَّرٌ إلى ما يشاء اللّهُ من الأراضي والأماكن كما يصرِّفه تعالى: ﴿لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٦٤]. أي في هذه الأشياء دلالاتٌ بيِّنةٌ على وَحدانية اللّهِ تعالى ﴿لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٦٤][1]. فيعلمون أن لهذه الأشياء خالقاً وصانعاً غنياً بذاتِه وكلُّ ما سواه فقيرٌ إليه، قائمٌ بذاته وكلُّ ما سواه لا يقوم إلا به، قديرٌ لذاته وكلُ ما سواه عاجزٌ لا قُدرةَ له إلا بما أقدره، متصفٌ بجميع صفاتِ الكمالِ، وكلُ ما سواه فلازمُهُ النقصُ، وليس الكمالُ المطلقُ إلا له وهو اللّهُ تبارك وتعالى.

وقال تبارك وتعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ

---

(١) تفسير الآية (١٦٤) من سورة البقرة مأخوذ من تفسير ابن كثير (١/ ٢٠٧ ـ ٢٠٨).

وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْيِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [الروم].

يقول تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ﴾ [الروم: ٢٠]. الدالةِ على عظمته وكمالِ قدرتِه أنه خلق آدمَ من تراب ﴿ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ﴾ [الروم: ٢٠]. فأصلكم من تراب ثم من ماء مهين، ثم تَصَوَّر فكان علقةً ثم مضغةً ثم صار عِظاماً شكلُه شكلُ إنسانٍ، ثم كسا اللّهُ تعالى تلك العظامَ لحماً ثم نفخ فيه الروحَ فإذا هو سميعٌ بصير.

ثم أُخرج من بطن أمِّه صغيراً ضعيفَ القُوى والحركة، ثم كلما طال عمُره تكاملتْ قُواه وحركاتُه حتى آل به الحالُ إلى أن صار يبني المدائنَ والحصونَ ويسافر في أقطار الأقاليم ويركبُ متنَ البُحورِ، ويدور أقطارَ الأرض ويكتسب ويجمع الأموالَ، وله فكرةٌ وغَورٌ ودَهاءٌ ومكرٌ ورأيٌ وعِلمٌ، واتساعٌ في أمور الدنيا والآخرةِ كلٌّ بحسَبه، فسُبحان مَن أقْدَرهم وسيَّرهم وسخَّرهم وصرَّفهم في فنون المعايشِ والمكاسبِ، وفاوت بينهم في العلوم والفِكَرِ والحُسنِ والقُبح والغِنى والفقرِ والسعادةِ والشقاوة.

وعن أبي موسى ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**إن اللّهَ تعالى خلقَ آدمَ من قبضةٍ قبضها من جميع الأرضِ فجاء بنو آدمَ على قدْرِ الأرضِ، جاء منهم الأبيضُ والأحمرُ والأسودُ وبين ذلك، والخبيثُ والطيِّبُ والسهلُ والحزْنُ وغيرُ ذلك**». رواه أحمدُ[1] وأبو داودَ والترمِذي، وقال حسن صحيح.

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٤٠٠) وأبو داود (٤٦٩٣) والترمذي (٢٩٥٥).
وقال: هذا حديث حسن صحيح.
قلت: وأخرجه البيهقي في «السنن الكبرى» (٩/ ٣) وابن بطة في «الإبانة» (١/ ٣١٠ رقم ١٣٣٠ ـ القدر).
والخلاصة فهو حديث صحيح.

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا﴾، أي خلق لكم من جنسكم إناثاً تكون لكم أزواجاً ﴿لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا﴾ [الروم: ٢١] كما قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ [الأعراف: ١٨٩]. يعني بذلك حواءَ خلقها اللَّهُ تعالى من آدمَ من ضِلْعه الأقصرِ الأيسرِ، ولو أنه تعالى جعل بني آدمَ كلَّهم ذكوراً وجعل إناثَهم من جنس آخرَ من غيرهم إما جانٍّ أو حيوانٍ لما حصل هذا الائتلافُ بينهم وبين الأزواجِ، بل كانت تحصل نفرةٌ لو كانت الأزواجُ من غير الجنس، ثم من تمام رحمتِه ببني آدمَ أن جعلِ الأزواج من جنسهم ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً﴾ [الروم: ٢١] وهي المحبةُ ﴿وَرَحْمَةً﴾ وهي الرأفةُ، فإن الرجلَ يُمسِك المرأةَ إما لمحبة لها أو لرحمة بها بأن يكون لها منه ولدٌ، أو محتاجةٌ إليه في الإنفاق أو للألفة بينهما وغير ذلك.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم: ٢١]. في عظمة اللَّهِ وقدرته.

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [الروم: ٢٢]. الدالةِ على قدرته العظيمةِ ﴿خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الروم: ٢٢]، أي خلقُ السمواتِ في ارتفاعِها واتساعِها وشفوفِ أجرامِها وزهارةِ كواكبِها ونجومِها الثوابتِ والسياراتِ، وخلقُ الأرضِ في انخفاضِها وكثافتِها وما فيها من جبال وأوديةٍ وبحارٍ وقِفار وحيوانٍ وأشجار.

﴿وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ﴾ [الروم: ٢٢] يعني اللغاتِ، فهؤلاء بلغة العربِ، وهؤلاء تَتَرٌ لهم لغة أخرى، وهؤلاء كُرجٌ، وهؤلاء رومٌ، وهؤلاء إفرنجٌ، وهؤلاء بَربرٌ، وهؤلاء حبشةٌ، وهؤلاء هنودٌ، وهؤلاء فرسٌ، وهؤلاء صَقالبةٌ، وهؤلاء خُزرٌ، وهؤلاء أرمنٌ، وهؤلاء أكرادٌ، إلى غير ذلك مما لا يعلمه إلا اللَّهُ عز وجل من اختلاف لغات بني آدم.

﴿وَأَلْوَٰنِكُمْ﴾ [الروم: ٢٢]. أي واختلافُ ألوانِكم أبيضَ وأسودَ وأحمرَ، وأنتم أولادُ رجلٍ واحدٍ وامرأةٍ واحدةٍ، وغيرُ ذلك من اختلاف الصفاتِ والحِلَى، فجميعُ أهل الأرضِ بل أهلِ الدنيا منذ خلق اللَّهُ آدمَ إلى قيامِ الساعةِ كلٌّ له عينانِ وحاجبانِ وأنفٌ وجبينٌ وفمٌ وخدَّان، وليس يُشبه واحدٌ منهم الآخرَ، بل لا بد أن يُفارقه بشيء من السمْت أو الهيئة أو الكلامِ ظاهراً كان أو خفياً يظهر عند التأملِ.

كلُ وجهٍ منهم أسلوبٌ بذاته وهيئةٌ لا تُشبه أخرى، ولو توافق جماعةٌ في

صفة من جمالٍ أو قبح لا بد مِن فارق بين كلِ واحدٍ منهم وبين الآخر ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ﴾.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُم مِّن فَضْلِهِ﴾ [الروم: ٢٣] أي ومن الآيات ما جعل اللّهُ من صفة النومِ في الليل فإن فيه تحصُل الراحةُ وسكونُ الحركةِ وذهابُ الكَلالِ والتعبِ، وجعل لكم الانتشارَ والسعيَ في الأسباب والأسفارِ في النهار وهذا ضدُّ النوم ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ [الروم: ٢٣] سماعَ تدبرٍ واعتبار.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ﴾ [الروم: ٢٤] الدالةِ على عظمته أنه: ﴿يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [الروم: ٢٤] أي تارةً تخافون مما يحدث بعده من أمطار مُزعجة وصواعقَ مُتلفةٍ، وتارةً ترجون وَميضَه وما يأتي بعده من المطر المحتاج إليه، ولهذا قال تعالى: ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [الروم: ٢٤] أي بعد أن كانت هامدةً لا نباتَ فيها ولا شيء ﴿فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ [الحج: ٥]. وفي ذلك عبرةٌ ودِلالةٌ واضحةٌ على المَعاد وقيامِ الساعةِ، ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَن تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ﴾ [الروم: ٢٤ ـ ٢٥] كقوله تعالى: ﴿وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَن تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [الحج: ٦٥]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَن تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ﴾ [فاطر: ٤١].

وكان عمرُ بنُ الخطاب ﷺ إذا اجتهد في اليمين قال: والذي قامت السمواتُ والأرضُ بأمره، أي هي قائمةٌ ثابتةٌ بأمره لها وتسخيرِه إياها. ثم إذا كان يومُ القيامةِ بُدِّلت الأرضُ غيرَ الأرضِ والسمواتُ، وخرجت الأمواتُ من قبورها أحياءً بأمره تعالى ودعائِه إياهم، ولهذا قال تعالى: ﴿ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ [الروم: ٢٥] أي من الأرض كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٥٢]، وقال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ۝ فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ ۝﴾ [النازعات]. وقال تعالى: ﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ [يس: ٥٣][1].

---

(١) بلفظه من تفسير ابن كثير (٣/٤٣٩ ـ ٤٤٠).

والآياتُ في هذا الباب العظيم من الاستدلال بالمخلوقات على وجود خالِقها وقدرتِه وعظمتِه أكثرُ من أن تُحصى وأجلُّ من أن تُستقصى، وفيما ذكرنا كفايةٌ وغِنى يُغني عن خَرْط المناطِقةِ ومقدّماتهم ونتائجهم وتناقضِهم فيها.

واللّهُ تبارك وتعالى أعلى وأكبرُ وأجلُّ وأعظمُ من أن يُحتاجَ في معرفةِ وجودِه إلى شواهدَ واستدلالاتٍ، فذاتُ المخلوق نفسِه شاهدةٌ بوجود خالقِه حيث أوجده ولم يك من قبلُ شيئاً.

فلِمَ يذهب يستدلُّ بغيره وفي نفسه الآيةُ الكبرى والبرهانُ الأعظمُ، وشأنُ اللّهِ تعالى أكبرُ من ذلك، ولم يجحدْ وجودَه تعالى مَن جحده من أعدائه إلا على سبيل المكابرة، ولهذا قال تعالى في كفرهم بآياته: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٤]، فكيف بوجود الخالِق تبارك وتعالى؟ ولهذا لما قال أعداءُ اللّهِ لرسله على سبيل المكابرةِ لما جاءوهم بالبينات فردوا أيديَهم في أفواههم وقالوا: ﴿إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ۝ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ٩ ـ ١٠]. وهذا يحتمل شيئين:

أحدُهما: أفي وجوده تعالى شكٌّ، فإن الفِطَرَ شاهدةٌ بوجوده ومجبولةٌ على الإقرار به، فإن الاعترافَ به ضروريٌّ في الفِطَر السليمةِ، ولكن قد يعرض لغيرها شكٌّ واضطرابٌ وأكثرُ ذلك على سبيل المكابرةِ والاستهزاء، فيجب إقامةُ الحجةِ عليهم للإعذار إليهم، ولهذا قالت لهم رسلُهم تُرشِدهم إلى طريق معرفتِه فقالوا: ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ الذي خلقهما وابتدعهما على غير مثالٍ سبق، فإن شواهدَ الحدوثِ والخلقِ والتسخيرِ ظاهرةٌ عليهما فلا بد لهما من خالق وهو اللّهُ الذي لا إله إلا هو خالقُ كلِ شيءٍ وإلهُه ومليكُه.

والمعنى الثاني: في قولهم: ﴿أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ﴾ أي أفي إلهيته وتفرُّدِه بوجوب العبادةِ له شكٌّ وهو الخالقُ لجميع الموجوداتِ ولا يستحق العبادةَ إلا هو وحده لا شريكَ له، فإن غالبَ الأممِ كانت مُقِرَّةً بالخالق ولكن تعبُد غيرَه من الوسائط التي يظنونها تنفعُهم أو تقرِّبهم، والجوابُ لهذا الاستفهامِ على كلا المعنيين: لا، أي لا شكَّ فيه.

ذكرُ مناظرةٍ أخرى بين رُسل اللّهِ وأعدائِه

قال الله تبارك وتعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

قال المفسرون[١] وغيرُهم من علماء النسَب والأخبار: هذا المُحاجّ هو ملكُ بابلَ واسمُه نمرودُ بنُ كَنْعانَ، ذكروا أنه استمر في ملكه أربَعِمائةِ سنةٍ، وكان قد طغى وبغَى وتجبَّرَ وعتا وآثَرَ الحياةَ الدنيا.

ولما دعاه الخليلُ إبراهيمُ عليه الصلاة والسلام إلى عبادة اللّهِ وحدَه لا شريك له حملَه الجهلُ والضلالُ وطولُ الآمالِ على إنكار الخالقِ جل وعلا عِناداً ومُكابرةً، فحاجَّ إبراهيمَ الخليلَ في ذلك وادَّعى لنفسه الربوبية، فلما قال الخليلُ عليه الصلاة والسلام: ﴿رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ﴾.

قال قتادةُ[٢] والسُدّي[٣] ومحمدُ ابنُ إسحاقَ[٣]: يعني أنه إذا أتى بالرجلين، قد تحتم قتلُهما فإذا أمر بقتل أحدِهما وعفا عن الآخر فكأنه قد أحيا هذا وأمات هذا الآخَرَ، وهذا ليس بمعارَضةٍ للخليل عليه الصلاة والسلام بل هو كلامٌ خارجي عن مقام المناظرةِ ليس بمنعٍ ولا بمعارضة بل هو تشغيبٌ محضٌ وهو انقطاعٌ في الحقيقة، فإن الخليلَ عليه الصلاة والسلام استدل على وجود الخالقِ جل وعلا بحدوث هذه المشاهَداتِ من إحياء الحيواناتِ وإماتتِها على وجود فاعلٍ ذلك الذي لا بد من استنادها إليه في وجودها ضرورةً لعدم قيامِها بأنفسها، ولا بد من فاعل لهذه الحوادثِ المشاهَدةِ من خلقها وتسخيرها وتسييرِ هذه الكواكبِ والرياحِ والسحابِ والمطرِ وخلقِ هذه الحيواناتِ التي توجد مشاهدةً ثم إماتتِها، ولهذا قال إبراهيمُ عليه الصلاة والسلام: ﴿رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

---

(١) كابن كثير في تفسيره (١/ ٣٢٠)، والبغوي في تفسيره (١/ ٣١٥).
(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٥/ ٤٣٣ رقم ٥٨٧٣).
(٣) ذكره ابن كثير في تفسيره (١/ ٣٢١).

فقولُ هذا الجاهلِ أنا أُحيي وأُميت إن عنى أنه الفاعل لهذه المشاهَداتِ فقد كابر وعاند، وإن عنى ما ذكره قَتادةُ والسُديُّ ومحمدُ بنُ إسحاقَ فلم يقل شيئاً يتعلق بكلام الخليل إذ لم يمنع مستلزماً ولا عارَضَ الدليلَ.

ولما كان انقطاعُ مناظرةِ هذا المُحاجِّ قد تخفى على كثير من الناس ممن حضره وغيرِهم ذكر دليلاً آخرَ بين وجودِ الخالقِ وبُطلانِ ما ادعاه النمرودُ وانقطاعِه جهرةً: ﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ﴾ [البقرة: ٢٥٨]. أي هذه الشمسُ مسخرةٌ كلَ يومٍ تطلُع من المشرق كما سخرها خالقها ومُسيّرها وقاهُرها، وهو الله الذي لا إلٰه إلا هو خالقُ كلِ شيءٍ، فإن كنت كما زعمتَ أنك تُحيي وتُميت فأتِ بهذه الشمسِ من المغرب، فإن الذي يُحيي ويُميت هو الذي يفعل ما يشاء ولا يمانَع ولا يُغالَب، بل قد قهر كلَّ شيءٍ ودان له كلُ شيءٍ، فإن كنتَ كما تزعُم فافعل هذا، فإن لم تفعلْه فلست كما زعمت، وأنت تعلم وكلُ أحدٍ أنك لا تقدِر على شيء من هذا، بل أنت أعجزُ وأقلُّ وأذلُّ من أن تخلقَ بَعوضةً أو تتصرفَ فيها.

فبيَّنَ ضلالَه وجهلَه وكذِبه فيما ادعاه وبطلانَ ما سلكه وتبجّح به عند جهَلةِ قومِه، ولم يبق له كلامٌ يجيب الخليلَ عليه الصلاة والسلام به بل انقطع وسكت، ولهذا قال تعالى: ﴿فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

ذكرُ مناظرةٍ أخرى من ذلك أيضاً

قال الله تبارك وتعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الشعراء].

يذكر تعالى ما كان بين موسى وفرعونَ من المقاولة والمحاجّةِ والمناظرة، وما أقامَه الكليمُ على فرعون اللئيمِ من الحجة العقليةِ المعنويةِ ثم الحسيّة.

وذلك أن فرعون قبّحه اللّهُ أظهرَ جحدَ الخالق تبارك وتعالى، وزعم أنه الإلٰهُ ﴿فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾﴾ [النازعات]، وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا

عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي﴾ [القصص: ٣٨]. وهو في هذه المقالة معانِدٌ يعلم أنه عبدٌ مربوبٌ وأن اللَّهَ هو الخالقُ البارئ المصوِّرُ الإلهُ الحقُّ كما قال تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ [النمل: ١٤].

ولهذا قال لموسى عليه السلام على سبيل الإنكارِ لرسالتِه وإظهارِ أنه ما ثَمَّ ربٌ أرسله: ﴿وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ٢٣] لأنهما قالا له: ﴿إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٦]، فكأنه يقول لهما: ومَن ربُ العالمين الذي تزعُمان أنه أرسلكما وابتعثكما، فأجابه موسى قائلاً: ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ [الشعراء: ٢٤]، أي خالقُ جميعِ ذلك ومالكُه والمتصرِّفُ فيه وإلهُه لا شريكَ له، هو اللَّهُ الذي خلق الأشياءَ كلَّها:

العالَمَ العلويَّ وما فيه من الكواكب النيِّراتِ الثوابتِ والسياراتِ، والعالَمَ السُفليَّ وما فيه من بحار وأنهارٍ وقِفار وجبالٍ وأشجار وحيواناتٍ ونباتٍ وثمار، وما بين ذلك من الهواء والطيرِ والسحابِ المسخرِ والرياحِ والمطرِ وما يحتوي عليه الجوُّ، وغيرُ ذلك من المخلوقات التي يعلم كلُ موقنٍ أنها لم تحدُث بأنفسها ولا بد لها من موجد ومُحدث وخالقٍ وهو اللَّهُ الذي لا إله إلا هو ربُّ العالمين.

الجميعُ مُذلَّلون مسخَّرون وعبيدٌ له خاضعون ذليلون: ﴿إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾ [الشعراء: ٢٤]، أي إن كانت لكم قلوبٌ موقنةٌ وأبصارٌ نافذةٌ.

﴿قَالَ﴾ أي فرعونُ ﴿لِمَنْ حَوْلَهُ﴾ [الشعراء: ٢٥] من أمرائه ومَرازِبته(١) وكُبرائِه ورؤساءِ دولتِه على سبيلِ التهكم والتنقصِ والاستهزاءِ والتكذيبِ لموسى عليه الصلاة والسلام فيما قاله: ﴿أَلَا تَسْتَمِعُونَ﴾ [الشعراء: ٢٥] أي ألا تعجبون مِن هذا في زعمه أن لكم إلهاً غيري، فقال لهم موسى: ﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الشعراء: ٢٦] أي هو الذي خلقكم والذين من قبلكم من الآباء والأجدادِ والقرونِ السالفةِ في الآباء، فإن كلَ واحدٍ يعلم أنه لم يخلُق نفسَه ولا أبوه ولا أمه، ولم يحدُثْ من غير مُحدِث، وإنما أوجده وخلقه ربُ العالمين، وهذان المقامان هما المذكوران في قوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٣].

---

(١) أي جنوده وأتباعه.

ومع هذا كلِه لم يستفق فرعونُ من رَقْدَته ولا نزَع عن ضلالتِه بل استمر على طغيانه وعِنادِه وكفرانِه ﴿قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾﴾ [الشعراء]، أي ليس له عقلٌ في دعواه أن ثَمَّ رباً غيري.

﴿قَالَ﴾ أي موسى لأولئك الذين أوعز إليهم فرعونُ ما أوعز من الشُبَه، فأجاب موسى عليه السلام بقوله: ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الشعراء: ٢٨]، أي هو الذي جعل المشرق مشرقاً تطلُع منه الكواكبُ والمغربَ مغرباً تغرُب فيه الكواكبُ، ثوابتها وسياراتُها مع هذا النظام الذي سخرها فيه وقدَّرها، وهو اللّهُ لا إله إلا هو خالقُ الظلامِ والضياءِ وربُ الأرضِ والسماء، ربُ الأولين والآخرين، خالقُ الشمسِ والقمرِ والكواكبِ السائرةِ والثوابتِ الحائرة، خالقُ الليل بظلامه والنهارِ بضيائِه، والكلُ تحت قهرِه وتسخيرِه وتسييرِه سائرون وكلٌ في فلك يسبحون، يتعاقبون في سائر الأوقاتِ ويدورون، فهو تعالى الخالقُ المالكُ المتصرّف في خلقِه بما يشاء.

فإن كان هذا الذي يزعُم أنه ربُكم وإلهُكم صادقاً فليعكس الأمرَ وليجعلِ المشرق مغرِباً والمغربَ مشرِقاً، والثابتَ سائراً والسائرَ ثابتاً كما قال تعالى عن الذي حاجَّ إبراهيمَ في ربه في الآية السابقة.

ولما قامت الحججُ على فرعونَ وذهبت شُبَهُه وغُلِبَ وانقطعت حجتُه ولم يبقَ له قولٌ سوى العِنادِ، عدل إلى استعمال جاهِه وقوتِه، وسلطانِه وسطوتِه، واعتقد أن ذلك نافعٌ له ونافذٌ في موسى عليه الصلاة والسلام، فقال وظن أنه ليس وراء هذا المقام مَقالٌ: ﴿قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الشعراء] إلى آخر ما قصَّ الله عز وجل عنه حتى قصمه الله تعالى، قاصمُ الجبابرة، وأخذه أخْذَ عزيزٍ مقتدر.

ومناظرةُ الرسلِ لأعداء اللّهِ في هذا البابِ يطول ذكرُها، ومقاماتُ نبيِّنا محمدٍ ﷺ مع هذه الأمةِ أشهرُ من أن تُذكرَ، فمن شاءها فليقرأ المصحف من فاتِحته إلى خاتمته، إلا أن أمتَه لم يكن فيهم من يجحد الخالقَ، بل هم مقرُّون به وبربوبيتِه، غير أنهم لم يَقْدِروه حقَّ قدرِه، بل عبدوا معه غيرَه، ولهذا قال تعالى في شأنِهم: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [لقمان: ٢٥، الزمر: ٣٨]، ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ

ٱللَّهُ﴾ [العنكبوت: ٦٣]. ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [الزخرف: ٨٧]، إلى غير ذلك من الآيات كما سيأتي بسطُه إن شاء الله تعالى.

ذكرُ ما نُقل عن الأئمة وعن غيرهم في هذا الباب

عن الإمام مالكٍ رحمه الله تعالى أن الرشيدَ سأله عن ذلك فاستدل له باختلاف اللغاتِ والأصواتِ والنغماتِ.

وعن أبي حنيفةَ رحمه الله تعالى أن بعضَ الزنادِقة سألوه عن وجود الباري تعالى فقال لهم: دعُوني فإني مُفكّرٌ في أمر قد أُخبرتُ عنه، ذكروا لي أن سفينةً في البحر مُوقرةً فيها أنواعٌ من المتاجر وليس بها أحدٌ يحرُسها ولا يسوقُها، وهي مع ذلك تذهب وتجيء وتسير بنفسها وتخترق الأمواجَ العظامَ حتى تخلُصَ منها وتسيرَ حيث شاءت بنفسها من غير أن يسوقَها أحدٌ؛ فقالوا: هذا شيءٌ لا يقولُه عاقل.

فقال: ويَحكُم، هذه الموجوداتُ بما فيها من العالم العُلويِّ والسُفليِّ وما اشتملت عليه من الأشياء المحكمةِ ليس لها صانعٌ! فبُهت القومُ ورجعوا إلى الحق وأسلموا على يديه.

وعن الشافعي رحمه الله تعالى أنه سئل عن وجود الخالقِ عز وجل، فقال: هذا ورقُ التوتِ: طعمُه واحدٌ تأكله الدودُ فيخرج منها الإبريسَمُ، وتأكله النحلُ فيخرج منه العسلُ، وتأكله الشاءُ والبقرُ والأنعامُ فتُلقِيه بعراً وروثاً، وتأكله الظباءُ فيخرج منه المسكُ، وهو شيء واحد.

وعن الإمام أحمدَ بنِ حنبلَ رحمه الله أنه سُئل عن ذلك فقال: ههنا حصنٌ حصينٌ أملسُ ليس له بابٌ ولا منفذٌ ظاهرٌ، كالفضةِ البيضاء، وباطِنه كالذهب الإبريز، فبينا هو كذلك إذ انصدع جدارُه فخرج منه حيوانٌ سميعٌ بصيرٌ ذو شكل حسنٍ وصوتٍ مليح اهـ.

يعني بذلك البيضةَ إذ خرج منها الديك.

وسُئل أبو نواسٍ[1] عن ذلك فأنشد:

---

(١) هو أبو علي: الحسن بن هانئ بن عبد الأول بن الصباح الحَكمي. =

تأملْ في رياض الأرضِ وانظرْ — إلى ما صنع المليكْ
عيونٌ من لُجينٍ شاخصاتٌ — بأحداقٍ هي الذهبُ السبيكْ
على قُضُب الزَبَرْجَدِ شاهداتٌ — بأن اللّهَ ليس له شريكْ

وقال ابنُ المعتزّ[1]، ويُروى لأبي العتاهيةِ[2] رحمهما الله تعالى:

فيا عجباً كيف يُعصى الإلهُ — أم كيف يجحَدُه الجاحدُ؟!
ولِلّهِ في كلِّ تَحريكةٍ — وفي كل تسكينةٍ شاهدُ
وفي كل شيءٍ له آيةٌ — تَدِلُّ على أنه واحدُ

وسُئل بعضُ الأعرابِ عن هذا وما الدليل على وجودِ الربِّ تعالى، فقال: يا سبحانَ الله، إن البعرَ ليدُلُّ على البعير، وإن أثر الأقدام ليدل على المسير، فسماء ذاتُ أبراجٍ، وأرضٌ ذاتُ فجاجٍ، وبحارٌ ذاتُ أمواجٍ، ألا يدل ذلك على وجود اللطيف الخَبير؟

ومِن خُطبِ قُس بنُ ساعدةَ الأياديُّ[3] وكان على ملة إبراهيمَ رحمه الله

= ولد بالبصرة سنة (١٤٥هـ) وقيل: سنة (١٣٦هـ) ومات ببغداد سنة (١٩٥هـ) وقيل غير ذلك.
وقال البغدادي في «خزانة الأدب»: (١/٣٤٦): «وأبو نواس ليس ممن يستشهد بكلامه ـ في اللغة والصرف والنحو ـ» اهـ.
[انظر: خزانة الأدب (١/٣٤٧ ـ ٣٤٨)].
* لم أجد هذه الأبيات في ديوان أبي نواس المطبوع في دار الكتب العلمية بشرح وضبط الأستاذ علي فاعور.

(١) هو عبد الله بن المعتز أشعر بني العباس، خليفة يوم وليلة، قُتل بعدهما خنقاً.
صنف بعض الكتب، وامتاز شعره بسهولة اللفظ، توفي سنة (٢٩٦هـ).
[شعراء ودواوين (ص١٨٣ ـ ١٨٤) لعبد الوهاب الصابوني. والنجوم الزاهرة (٣/١٦٣)].

(٢) هو إسماعيل بن القاسم العنزي الكوفي الشاعر المشهور بأبي العتاهية، ولد بعين التمر ـ بليدة بالحجاز، قرب المدينة ـ وأكثر الناس ينسبونه إلى القول بمذهب الفلاسفة، وكان يقول بالوعيد وتحريم المكاسب، ويتشيع على مذهب الزيدية. وتوفي سنة (٢١١هـ).
[شذرات الذهب (٢/٢٥ ـ ٢٦)].
* وأما الأبيات فهي في ديوانه المطبوع في دار الكتب العلمية (ص٦٢).

(٣) قس بن ساعدة الإيادي بكسر الهمزة، وإياد: حيٌّ من معدّ بن عدنان.
قال الذهبي: قس بن ساعدة أورده ابن شاهين، وعبدان، في الصحابة. =

تعالى: أيها الناسُ، اجتمِعوا فاسمعوا، وإذا سمعتم فَعُوا، وإذا وعَيتم فانتفعوا، وقولوا وإذا قلتُم فاصدُقوا، مَن عاش ماتَ، ومن ماتَ فاتَ، وكلُ ما هو آتٍ آتٍ، مطرٌ ونباتٌ، وأحياءٌ وأمواتٌ. ليلٌ داجٍ، وسماءٌ ذاتُ أبراجٍ، ونجومٌ تزهر، وبحارٌ تَزخَر، وضوءٌ وظلام، وليلٌ وأيام، وبرٌّ وآثام.

إن في السماء خبرَاً، وإن في الأرض عِبَراً، يَحار فيهن البصرُ. مِهادٌ موضوعٌ، وسقفٌ مرفوعٌ، ونجومٌ تغور وبحارٌ لا تفور، ومَنايا دَوانٍ، ودهرٌ خوّان، كحدّ النسطاس ووزنِ القسطاس.

أقسم قُسٌ قَسماً، لا كاذباً فيه ولا آثماً. لئن كان في هذا الأمرِ رِضىً ليكونن سَخَطٌ. ثم قال: أيها الناسُ، إن لله ديناً هو أحبُّ إليه من دينكم هذا الذي أنتم عليه، وهذا زمانُه وأوانُه.

ثم قال: ما لي أرى الناسَ يذهبون فلا يرجِعون، أرَضوا بالمقام فأقاموا، أم تُركوا فناموا.

وفي بعض ألفاظِها قال: شرقٌ وغربٌ، ويُتمٌ وحزب، وسِلْمٌ وحربٌ، ويابسٌ ورَطبٌ، وأُجاجٌ وعذْبٌ، وشموسٌ وأقمارٌ، ورياحٌ وأمطارٌ، وليلٌ ونهارٌ، وإناثٌ وذكورٌ، وبَرارٍ وبُحور، وحبٌّ ونبات، وآباء وأُمهات، وجَمعٌ وأشتات، وآياتٌ في إثرها آيات، ونورٌ وظلام، ويسرٌ وإعدام، وربٌ وأصنام.

لقد ضل الأنامُ، نشوُ مولود، ووأدُ مفقود، وتربيةُ محصود، وفقيرٌ وغنيّ، ومُحسنٌ ومُسيء، تباً لأرباب الغفلة، لَيُصلِحَنّ العاملُ عَمَله، ولَيفقِدن الآملُ أملَه، كلا بل هو إلهٌ واحدٌ، ليس بمولود ولا والد، أعاد وأبدى، وأمات وأحيا، وخلق الذكرَ والأنثى، ربُ الآخِرة والأولى.

أما بعد؛ فيا معشرَ إيادَ، أين ثمودُ وعادٌ، وأين الآباءُ والأجداد، وأين العليلُ والعُوّادُ، كلٌ لهُ معادٌ.

= وكذلك قال ابن حجر في الإصابة: ذكره أبو علي ابن السكن، وابن شاهين، وعبدان المروزيّ وأبو موسى في الصحابة، وصرح ابن السكن بأنه مات قبل البعثة.
[انظر «خزانة الأدب» (٢/ ٨٩ ـ ٩١) والإصابة رقم (١٠٤٤). وأسد الغابة رقم (٦٥٧) والاستيعاب رقم (٣٥٣) والوافي بالوفيات (١١/ ٣٥) والطبقات الكبرى لابن سعد (٥/ ٥٥٩ ـ ٥٦١)].

يُقسم قُسُّ بربِ العباد، وساطِحِ المِهاد، لتُحشرُنّ على الانفراد، في يوم التنادِ، وإذا نُفخ في الصور، ونُقر في الناقور، ووعظ الواعظُ، فانتبذ القانطُ وأبصر اللاحظُ، فويلٌ لمن صدَف عن الحق الأشهر، والنورِ الأزهر، والعَرْض الأكبر، في يوم الفصْل، وميزانِ العدْل، إذا حكم القدير، وشهِد النذير، وبعُدَ النصير، وظهر التقصيرُ، فريقٌ في الجنة وفريقٌ في السعير.

أسماءُ اللّهِ الحُسْنى

وأسماءُ اللّهِ الحسنى هي التي أثبتَها تعالى لنفسه وأثبتها له عبدُه ورسولُه محمدٌ ﷺ وآمن بها جميع المؤمنين، قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠]. وقال تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَـٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ﴾ [الإسراء: ١١٠]. وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [طه: ٨].

وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَـٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَـٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَـٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر].

وعن أبي هريرةَ رضي الله تعالى عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«إن لله تسعةً وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنةَ، وهو وِترٌ يحب الوِتْرَ»**. أخرجاه في الصحيحين[1].

ورواه التِرمِذي[2] وزاد: **«هو اللّهُ الذي لا إله إلا هو الرحمنُ، الرحيمُ،**

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤١٠) ومسلم (٢٦٧٧).

(٢) في «السنن» رقم (٣٥٠٧).

قلت: وأخرجه ابن حبان (٣/ ٨٨ رقم ٨٠٨) والبغوي (٥/ ٣٢ ـ ٣٣ رقم ١٢٥٧) والحاكم (١/ ١٦) والطبراني في «الدعاء» رقم (١١١) والبيهقي في «شعب الإيمان» (١/ ١١٤ ـ ١١٥ رقم ١٠٢) وفي «السنن الكبرى» (١٠/ ٢٧) وفي «الأسماء والصفات» (ص٥). وفي «الاعتقاد» (ص١٨ ـ ١٩). =

الملكُ، القدوسُ، السلام، المؤمن، المهيمن، العزيز، الجبار، المتكبرُ، الخالق، البارئ، المصور، الغفار، القهار، الوهاب، الرزاق، الفتاح، العليمُ، القابضُ، الباسط، الخافض، الرافع، المُعِزُّ، المُذِلُّ، السميع، البصير، الحكَم، العدْلُ، اللطيف، الخبير، الحليم، العظيم، الغفور، الشكور، العلي، الكبير، الحفيظ، المُقيت، الحَسيب، الجليل، الكريم، الرقيبُ، المُجيبُ، الواسعُ، الحكيمُ، الودودُ، المجيد، الباعثُ، الشهيد، الحقُّ، الوكيل، القوي، المتينُ، الوليُّ، الحميد، المُحصي، المُبدئ، المُعيد، المُحيي، المُميت، الحيُ، القيومُ، الواجدُ، الماجدُ، الواحدُ، الأحدُ، الفردُ، الصمد، القادر، المقتدر، المقدم، المؤخر، الأولُ، الآخرُ، الظاهرُ، الباطنُ، الوالي، المتعالي، البَرُّ، التواب، المُنتقمُ، العفُوّ، الرءوفُ، مالك الملكِ، ذو الجلال والإكرام، المُقْسط، الجامعُ، الغني، المُغني، المغطي ،المانعُ، الضارُّ، النافعُ، النورُ، الهادي، البديعُ، الباقي، الوارثُ، الرشيدُ، الصبور». ثم قال الترمذي: هذا حديث غريب.

وقد روي من غير وجه عن أبي هريرةَ ولا نعلم في كثير من الروايات ذكرَ الأسماء إلا في هذا الحديث اهـ.

= كلهم من طريق صفوان بن صالح، عن الوليد بن مسلم به.

وقال الحاكم: «هذا حديث قد خرجاه في الصحيحين بأسانيد صحيحة دون ذكر الأسامي فيه. والعلة فيه عندهما أن الوليد بن مسلم تفرد بسياقته بطوله وذكر الأسامي فيه ولم يذكرها غيره. وليس هذا بعلة فإني لا أعلم اختلافاً بين أئمة الحديث أن الوليد بن مسلم أوثق وأحفظ وأعلم وأجل من أبي اليمان، وبشر بن شعيب، وعلي بن عياش، وأقرانهم من أصحاب شعيب» اهـ.

وقال ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (٢٢/ ٤٨٢): «إن التسعة والتسعين اسماً لم يرد في تعيينها حديث صحيح عن النبي ﷺ، وأشهر ما عند الناس فيها حديث الترمذي الذي رواه الوليد بن مسلم عن شعيب عن أبي حمزة، وحفاظ أهل الحديث يقولون: هذه الزيادة مما جمعه الوليد بن مسلم عن شيوخه من أهل الحديث، وفيها حديث ثانٍ أضعف من هذا، رواه ابن ماجه. وقد روي في عددها غير هذين النوعين من جمع بعض السلف» اهـ.

وقال ابن حجر في «فتح الباري» (١١/ ٢١٧): «وقد استضعف الحديث أيضاً جماعة، فقال الداودي: لم يثبت أن النبي ﷺ عين الأسماء المذكورة.

وقال ابن العربي: يحتمل أن تكون الأسماء تكملة الحديث المرفوع، ويحتمل أن تكون من جمع بعض الرواة، وهو الأظهر عندي...» اهـ.

وراوه الدارميُّ[1]: وزاد: كلُّها في القرآن.

وأخرج ابنُ أبي الدنيا[2] والطَبرانيُّ[3] كلاهما في الدعاء وأبو الشيخ[4] والحاكم[5] وابن مردويهِ[6] وأبو نُعيم[7] والبيهقيُّ[8] عن أبي هريرةَ: «إن لله تسعةَ

---

(1) في الرد على بشر المريسي (ص١٢ ـ ١٣).
وخلاصة القول أن الحديث صحيح بدون سرد الأسماء. أما بها فهو ضعيف، والله أعلم.

(2) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/١٤٨).

(3) في «الدعاء» رقم (١١٢).

(4) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/١٤٨).

(5) في «المستدرك» (١/١٧) وقال الحاكم: هذا حديث محفوظ من حديث أيوب وهشام عن ابن سيرين عن أبي هريرة مختصراً دون ذكر الأسامي الزائدة فيها وكلها في القرآن.

(6) عزاه إليه الشوكاني في «تحفة الذاكرين» (٨٧ ـ ٨٨) لابن مردويه في «تفسيره» من طريق خالد بن مخلَد.

(7) في جزء فيه طرق حديث: «إنَّ الله تسعة وتسعين اسماً» رقم (٥٢).

(8) في «الاعتقاد» (ص١٩).
وخلاصة القول أن علّة الحديث عبد العزيز بن الحصين وقد تفرد بهذه الرواية.
فالحديث ضعيف، والله أعلم.
* قال ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (٦/ ٣٧٩ ـ ٣٨٠): «روى الأسماء الحسنى في «جامعه» ـ أي الترمذي ـ من حديث الوليد بن مسلم، عن شعيب عن أبي الزناد، عن الأعرج عن أبي هريرة.
ورواها ابن ماجه في «سننه» من طريق مخلد بن زياد القطواني، عن هشام بن حسان، عن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة.
وقد اتفق أهل المعرفة بالحديث على أن هاتين الروايتين ليستا من كلام النبي ﷺ، وإنما كل منهما من كلام بعض السلف.
فالوليد ذكرها عن بعض شيوخه الشاميين كما جاء مفسراً في بعض طرق حديثه.
ولهذا اختلفت أعيانهما، فروى عنه في إحدى الروايات من الأسماء بدل ما يذكر في الرواية الأخرى، لأن الذين جمعوها قد كانوا يذكرون هذا تارة وهذا تارة؛ واعتقدوا ـ هم وغيرهم ـ أن الأسماء الحسنى التي من أحصاها دخل الجنة ليست شيئاً معيناً، بل من أحصى تسعة وتسعين اسماً من أسماء الله دخل الجنة، أو أنها وإن كانت معينة فالاسمان اللذان يتفق معناهما يقوم أحدهما مقام صاحبه، كالأحد والواحد، فإن في رواية هشام بن عمار عن الوليد بن مسلم عنه، رواهما عثمان بن سعيد «الأحد» بدل «الواحد» و «المعطي» بدل «المغني» وهما متقاربان.
وعد الوليد هذه الأسماء بعد أن روى الحديث عن خليد بن دعلج عن قتادة عن ابن سيرين عن أبي هريرة.
=

وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة، أسأل اللَّهَ الرحمنَ، الرحيمَ، الإلَه، الربَّ، الملك، القدوس، السلام، المؤمن، المهيمن، العزيز، الجبار، المتكبر، الخالقَ، البارئ، المصوّر، الحليم، العليم، السميع، البصير، الحي، القيومَ، الواسعَ، اللطيفَ، الخبير، الحنّانَ، المنّان، البديعَ، الغفور، الودود، الشكور، المجيدَ، المبدئَ، المُعيد، النورَ، البارئ ـ وفي لفظ القائم ـ الأولَ، الآخرَ، الظاهرَ، الباطن، العفوّ، الغفار، الوهابَ، الفرد ـ وفي لفظ القادر ـ الأحدَ، الصمد، الوكيلَ، الكافي، الباقي، المغيث، الدائم، المُتعالِ، ذا الجلال والإكرام، المولى، النصيرَ، الحقَّ، المتين، الوارثَ، المُنيرَ، الباعثَ، القديرَ ـ وفي لفظ المجيب ـ المحيي، المميت، الحميدَ ـ وفي لفظ الجميل ـ الصادقَ، الحفيظَ، المحيطَ، الكبيرَ، القريب، الرقيبَ، الفتاحَ، التواب، القديم، الوتر، الفاطرَ، الرزاق، العلاّم، العلي، العظيم، الغنيَّ، الملكَ، المقتدرَ، الأكرمَ الرؤوف، المدبرَ، المالكَ، القاهرَ، الهاديَ، الشاكرَ، الكريمَ، الرفيعَ، الشهيدَ، الواحدَ، ذا الطول، ذا المعارج، ذا الفضلِ، الخلاّق، الكفيلَ، الجليلَ.

وأخرج أبو نُعيم[1] عن محمد بنِ جعفرٍ رحمه الله تعالى قال: سألت أبي جعفرَ محمد بن الصادق عن الأسماء التسعةِ والتسعين التي من أحصاها دخل الجنة فقال: هي في القرآن؛ ففي الفاتحة خمسةُ أسماء: يا اللَّهُ، يا رب، يا رحمنُ، يا رحيمُ، يا ملك.

= ثم قال هشام: وحدثنا الوليد، حدثنا سعيد بن عبد العزيز مثل ذلك، وقال: كلها في القرآن: «هو الله الذي لا إله إلا هو»... مثل ما ساقها الترمذي، لكن الترمذي رواها عن طريق صفوان بن صالح، عن الوليد، عن شعيب، وقد رواها ابن أبي عاصم، وبين ما ذكره هو والترمذي خلاف في بعض المواضع، وهذا كله مما يبين لك أنها من الموصول المدرج في الحديث عن النبي ﷺ في بعض الطرق، وليست من كلامه» اهـ.

* وقال ابن كثير في تفسيره (٢/ ٢٨٠): «والذي عوّل عليه جماعةٌ من الحفّاظ أنّ سرد الأسماء في هذا الحديث مدرجٌ فيه، وإنما ذلك كما رواه الوليد بن مسلم وعبد الملك بن محمد الصنعاني، عن زهير بن محمد أنه بلغه عن غير واحد من أهل العلم أنهم قالوا ذلك، أي أنهم جمعوها من القرآن، كما روي عن جعفر بن محمد وسفيان بن عيينة وأبي زيد اللغوي، والله أعلم» اهـ.

(١) في جزء في طرق حديث: «إن لله تسعة وتسعين اسماً». رقم (٩١) والحافظ في جزئه رقم (٤٠). وعزاه لأبي نعيم في «الفتح» (١١/ ٢١٧). وهو حديث ضعيف.

وفي البقرة ثلاثةٌ وثلاثون اسماً: يا محيطُ، يا قديرُ، يا عليم، يا حكيم، يا عليُّ، يا عظيم، يا توابُ، يا بَصيرُ، يا وليُّ، يا واسعُ، يا كافي، يا رؤوفُ، يا بديعُ، يا شاكر، يا واحد، يا سميعُ، يا قابضُ، يا باسطُ، يا حيُّ، يا قيومُ، يا غنيُّ، يا حميدُ، يا غفور، يا حليم، يا إلهُ، يا قريبُ، يا مجيبُ، يا عزيزُ، يا نصيرُ، يا قويُّ، يا شديدُ، يا سريعُ، يا خبير.

وفي آل عمرانَ: يا وهابُ، يا قائمُ، يا صادقُ، يا باعثُ، يا مُنعم، يا مُتفضّلُ.

وفي النساء: يا حسيبُ، يا رقيبُ، يا شهيدُ، يا مُقيت، يا وكيل، يا علي، يا كبير.

وفي الأنعام: يا فاطرُ، يا قاهرُ، يا لطيفُ، يا بُرهان. وفي الأعراف: يا مُحيي، يا مُميت.

وفي الأنفال: يا نِعم المولى، ويا نِعم النصيرُ. وفي هود: يا حفيظُ، يا مَجيدُ، يا ودود، يا فعّالُ لما تُريد.

وفي الرعد: يا كبيرُ، يا متعالي. وفي إبراهيمَ: يا منانُ، يا وارثُ.

وفي الحِجْر: يا خلّاق. وفي مريم: يا فردُ. وفي طه: يا غفّار. وفي قد أفلح: يا كريمُ. وفي النور: يا حقُّ، يا مبينُ. وفي الفرقان: يا هادِ. وفي سبأ: يا فتاحُ. وفي الزُمر: يا عالمُ.

وفي غافر: يا قابلَ التوب، يا ذا الطَّوْل، يا رفيع. وفي الذاريات: يا رزّاقُ، يا ذا القوة، يا متينُ. وفي الطور: يا برّ. وفي اقتربت: يا مقتدرُ، يا مليكُ.

وفي الرحمن: يا ذا الجلالِ والإكرام، يا ربَّ المشرِقين، يا ربَّ المغربين، يا باقي، يا مُعين. وفي الحديد: يا أولُ، يا آخِرُ، يا ظاهرُ، يا باطن. وفي الحشر: يا ملِك، يا قدوس، يا سلامُ، يا مؤمنُ، يا مهيمنُ، يا عزيزُ، يا جبار، يا مُتكبرُ، يا خالقُ، يا بارئ، يا مصوِّر.

وفي البروج: يا مُبدئُ، يا مُعيد. وفي الفجر: يا وترُ. وفي الإخلاص: يا أحدُ، يا صمدُ، انتهى.

وقد حرَّرها الحافظُ ابنُ حجرٍ رحمه الله في (تلخيص الحبير)[1] تسعةً وتسعين اسماً من الكتاب العزيزِ منطبقةً على لفظ الحديثِ ورتبها هكذا: اللَّهُ، الربُ، الإلهُ، الواحد، الرحمن، الرحيمُ، الملكُ، القدوسُ، السلامُ، المؤمن، المهيمن، العزيزُ، الجبارُ، المتكبر، الخالق، البارئ، المصور، الأول، الآخِرُ، الظاهرُ، الباطنُ، الحي، القيوم، العلي، العظيم، التوابُ، الحليم، الواسع، الحكيمُ، الشاكرُ، العليم، الغني، الكريم، العفُوّ، القدير، اللطيف، الخبيرِ، السميع، البصير، المولى، النصيرُ، القريبُ، المُجيب، الرقيبُ، الحسيب، القوي، الشهيد، الحميد، المَجيد، المحيط، الحفيظ، الحق، المُبينُ، الغفار، القهارُ، الخلاقُ، الفتاح، الودودُ الغفور، الرؤوفُ، الشكور، الكبيرُ، المتعالِ، المُقيت، المستعانُ، الوهابُ، الخفيُّ، الوارث، الولي، القائمُ، القادرُ، الغالبُ، القاهرُ، البرّ، الحافظُ، الأحدُ، الصمد، المَليك، المقتدر، الوكيلُ، الهادي، الكفيلُ، الكافي، الأكرمُ، الأعلى، الرزاقُ، ذو القوة، المتين، غافرُ، الذنب، وقابل التوب، شديدُ العقاب، ذو الطَوْل، رفيعُ الدرجاتِ، سريعُ الحسابِ، فاطرُ السمواتِ والأرض، بديعُ السمواتِ والأرضِ، نورُ السمواتِ والأرضِ، مالك الملكِ، ذو الجلال والإكرام. اهـ.

وقد عدَّها جماعةٌ غيرُ مَن ذكرنا كسفيانَ بنِ عُيينةَ[2] ....

---

(١) (٤/ ١٧٤).

(٢) قال الحافظ في «الفتح» (١١/ ٢١٧ ـ ٢١٨): وروينا في «فوائد تمام» من طريق أبي الطاهر بن السرح عن حبان بن نافع عن سفيان بن عيينة، الحديث.

يعني حديث: «**إن لله تسعة وتسعين اسماً**» فوعدنا سفيان أن يخرجها لنا من القرآن فأبطأ، فأتينا أبا زيد فأخرجها لنا فعرضناها على سفيان فنظر فيها أربع مرات وقال: نعم هي هذه، وهذا سياق ما ذكره جعفر وأبو زيد، قالا: ففي الفاتحة خمسة: «الله، رب، الرحمن، الرحيم، مالك».

وفي البقرة: «محيط، قدير، عليم، حكيم، علي، عظيم، تواب، بصير، ولي، واسع، كاف، رؤوف، بديع، شاكر، واحد، سميع، قابض، باسط، حي، قيوم، غني، حميد، غفور، حليم».

وزاد جعفر: «إله، قريب، مجيب، عزيز، نصير، قوي، شديد، سريع، خبير». قالا:

وفي آل عمران: «وهاب، قائم»، زاد جعفر الصادق: «باعث، منعم، متفضل». =

= وفي النساء: «رقيب، حسيب، شهيد، مقيت، وكيل»، زاد جعفر: «علي، كبير»، وزاد سفيان: «عفو».

وفي الأنعام: «فاطر، قاهر»، زاد جعفر: «مميت، غفور، برهان»، وزاد سفيان: «لطيف، خبير، قادر».

وفي الأعراف: «محيي، مميت».

وفي الأنفال: «نعم المولى، ونعم النصير».

وفي هود: «حفيظ، مجيد، ودود، فعال لما يريد».

زاد سفيان: «قريب، مجيب».

وفي الرعد: «كبير، متعال».

وفي إبراهيم: «منان»، زاد جعفر: «صادق وارث».

وفي الحجر: «خلاق».

وفي مريم: «صادق، وارث»، زاد جعفر: «فرد».

وفي طه عند جعفر وحده: «غفار».

وفي المؤمنين: «كريم».

وفي النور: «حق مبين»، زاد سفيان: «نور».

وفي الفرقان: «هاد».

وفي سبأ: «فتاح».

وفي الزمر: «عالم» عند جعفر وحده.

وفي المؤمن: «غافر قابل ذو الطول»، زاد سفيان: «شديد»، زاد جعفر: «رفيع».

وفي الذاريات: «رزاق، ذو القوة المتين» بالتاء.

وفي الطور: «بر».

وفي اقتربت: «مقتدر»، زاد جعفر: «مليك».

وفي الرحمن: «ذو الجلال والإكرام».

زاد جعفر: «رب المشرقين ورب المغربين باقي معين».

وفي الحديد: «أول، آخر، ظاهر، باطن».

وفي الحشر: «قدوس، سلام، مؤمن، مهيمن، عزيز، جبار، متكبر، خالق، بارئ، مصور»، زاد جعفر: «ملك».

وفي البروج: «مبدئ، معيد».

وفي الفجر: «وتر» عند جعفر وحده.

وفي الإخلاص: «أحد، صمد».

هذا آخر ما رويناه عن جعفر وأبي زيد، وتقرير سفيان في تتبع الأسماء من القرآن، وفيها اختلاف شديد، وتكرار، وعدة أسماء لم ترد بلفظ الاسم وهي: =

وابنِ حزم[1] والقُرطبيّ[2] وغيرِهم، وعدَّها ابنُ العربيِّ المالكيُّ في (أحكام القرآن)[3] مرتباً لها على السور، لكنه أخطأ في بعض ما عدَّه كما سنشير إليه قريباً إن شاء الله تعالى.

[أسماء الله ليست منحصرة بحديث أبي هريرة]

واعلم أن أسماءَ اللَّهِ عز وجل ليست بمنحصرة في التسعة والتسعين المذكورةِ في حديث أبي هريرةَ ولا فيما استخرجه العلماءُ من القرآن، بل ولا فيما علمتْه

= «صادق، منعم، متفضل، منان، مبدئ، معيد، باعث، قابض، باسط، برهان، معين، مميت، باقي».

(١) في «المحلى» (٨/ ٣١). وقال: «... وجاءت أحاديث في إحصاء التسعة والتسعين اسماً مضطربة لا يصح منها شيء أصلاً، فإنما تؤخذ من نص القرآن، ومما صح عن النبي ﷺ، وقد بلغ إحصاؤنا منها إلى ما نذكر، وهي:
«الله، الرحمن، الرحيم، العليم، الحكيم، الكريم، العظيم، الحليم، القيوم، الأكرم، السلام، التواب، الرب، الوهاب، الإله، القريب، السميع، المجيب، الواسع، العزيز، الشاكر، القاهر، الآخر، الظاهر، الكبير، الخبير، القدير، البصير، الغفور، الشكور، الغفار، القهار، الجبار، المتكبر، المصور، البر، المقتدر، الباري، العلي، الغني، الولي، القوي، الحي، الحميد، المجيد، الودود، الصمد، الأحد، الواحد، الأول، الأعلى، المتعال، الخالق، الخلاق، الرزاق، الحق، اللطيف، رؤوف، عفو، الفتاح، المتين، المبين، المؤمن، المهيمن، الباطن، القدوس، الملك، مليك، الأكبر، الأعز، السيد، سبوح، وتر، محسان، جميل، رفيق، المسعر، القابض، الباسط، الشافي، المعطي، المقدم، المؤخر، الدهر» اهـ.
قلت: ذكر ابن حزم أربعة وثمانين اسماً، ولم يقتصر فيه على ما في القرآن بل ذكر ما اتفق له العثور عليه منه، وهو سبعة وستون اسماً متوالية، كما هي مذكورة في كتابه آخرها (الملك)، وما بعد ذلك التقطه من الأحاديث.

(٢) في شرح الأسماء الحسنى له كما في (تلخيص الحبير) (٤/ ١٧٣) وقال: «العجب من ابن حزم ذكر من الأسماء الحسنى نيفاً وثمانون فقط، والله يقول: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]. ثم ساق ما ذكره ابن حزم، وقال القرطبي: وفاته: الصادق، المستعان، المحيط، الحافظ، الفعال، الكافي، النور، الفاطر، البديع، الفالق، الرافع، المخرج».
قلت: وقد عاودت تتبعها من الكتاب العزيز إلى أن حررتها منه تسعة وتسعين اسماً، ولا أعلم من سبقني إلى تحرير ذلك» اهـ.

(٣) (٢/ ٨٠٨ ـ ٨١٥).

الرسلُ والملائكةُ وجميعُ المخلوقين، لحديث ابن مسعودٍ[1] عند أحمدَ وغيرِه عن رسولِ الله ﷺ أنه قال: **«ما أصاب أحداً قطُّ همٌّ ولا حَزن فقال: اللهم إني عبدُك وابنُ عبدِك وابنُ أمتِك، ناصيتي بيدك، ماضٍ فيَّ حكمُك، عدلٌ فيَّ قضاؤُك، أسألك بكل اسم هو لك سمَّيتَ به نفسَك، أو أنزلتَه في كتابك، أو علَّمتَه أحداً من خلقك، أو استأثرتَ به في علم الغيب عندَك، أن تجعل القرآنَ العظيمَ ربيعَ قلبي ونورَ صدْري وجلاءَ حَزَني وذهابَ همي، إلا أذهب اللهُ حزَنَه وهمَّه وأبدله مكانه فرَحاً»**.

---

(١) **وهو حديث صحيح.**

أخرجه أحمد (١/٣٩١، ٤٥٢) والطبراني في «الكبير» رقم (١٠٣٥٢) وأبو يعلى في «المسند» (٩/١٩٨ رقم ٥٢٩٧/٣٣١) والحاكم (١/٥٠٩) وابن حبان رقم (٩٧٢ ـ الإحسان).

قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم إن سلم من إرسال عبد الرحمن بن عبد الله عن أبيه، فإنه مختلف في سماعه من أبيه.

وتعقبه الذهبي بقوله: «قلت: وأبو سلمة لا يدرى من هو، ولا رواية له في الكتب الستة».

قلت: * هو سالم من الإرسال، فقد ثبت سماعه بشهادة غير واحد من الأئمة مثل سفيان الثوري، وابن معين، والبخاري، وأبي حاتم.

انظر: «التاريخ الكبير» للبخاري (٥/٢٩٩) و «العلل» لابن المديني.

* وأبو سلمة الجهني، ترجمه البخاري في «الكنى» ولم يورد فيه لا جرحاً ولا تعديلاً.

وقال الحافظ في «تعجيل المنفعة» (ص٤٩٠): «وقد ذكره ابن حبان في الثقات، وأخرج حديثه في صحيحه...».

وقال في «لسان الميزان» (٧/٥٦): «... وقد ذكره ابن حبان في الثقات، وأخرج حديثه في صحيحه، وأحمد في مسنده، والحاكم في مستدركه...

والحق أنه مجهول الحال، وابن حبان يذكر أمثاله في «الثقات» ويحتج به في الصحيح إذا كان ما رواه ليس بمنكر» اهـ.

والخلاصة أن هذا المذهب لم يبتدعه ابن حبان ولم ينفرد به ابن حبان. انظر: مقدمة ابن الصلاح (ص٥٤).

* ولحديث ابن مسعود شاهد من حديث أبي موسى عند ابن السني رقم (٣٤١) ورجاله ثقات ما عدا عبد الله بن زبيد بن الحارث اليامي، راويه عن أبي موسى.

فقد ترجمه ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٥/٦٢) ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً.

فهو حسن في الشواهد.

وخلاصة القول أن الحديث صحيح، والله أعلم.

فقيل: يا رسولَ الله، أفلا نتعلمها؟ فقال: «**بلى ينبغي لكل من سمِعها أن يتعلّمها**».

[من أسماء الله ما لا يطلق عليه إلا مقترناً بمقابله]

واعلم أن من أسماء الله عز وجل ما لا يُطلق عليه إلا مقترناً بُمقابِله، فإذا أُطلق وحده أوهم نقصاً تعالى اللّهُ عن ذلك، فمنها المُعطي المانعُ، والضارُّ النافعُ، والقابضُ الباسطُ، والمُعزُّ المُذِلُّ، والخافضُ الرافعُ، فلا يطلق على الله عز وجل المانعُ الضارُّ القابضُ المُذلُّ الخافضُ كلاً على انفراده، بل لا بد من ازدواجها بمقابلاتها، إذ لم تُطلق في الوحْي إلا كذلك، ومن ذلك المنتقمُ لم يأت القرآن إلا مضافاً إلى «ذو» كقوله تعالى: ﴿عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾ [آل عمران: ٤]، أو مقيَّداً بالمجرمين كقوله تعالى: ﴿إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ [السجدة: ٢٢].

واعلم أنه قد ورد في القرآن أفعالٌ أطلقها اللّهُ عز وجل على نفسه على سبيل الجزاءِ العدْلِ والمقابلة، وهي فيما سيقت فيه مدحٌ وكمالٌ، لكن لا يجوز أنْ يُشتقَّ له تعالى منهما أسماءٌ، ولا تُطلق عليه في غير ما سيقت فيه من الآيات.

كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٢]، وقوله: ﴿وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٥٤]، وقوله تعالى: ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التوبة: ٦٧]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ [البقرة: ١٤ ـ ١٥] ونحو ذلك، فلا يجوز أن يُطلق على الله تعالى مخادِعٌ ماكرٌ ناسٍ مستهزِئ ونحوُ ذلك مما يتعالى الله عنه، ولا يُقال: اللّهُ يستهزئ ويخادِع ويمكُر وينسى على سبيل الإطلاق، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

وقال ابن القيم[1] رحمه الله تعالى: «إن الله تعالى لم يصف نفسَه بالكيد والمكْرِ والخِداعِ والاستهزاء مطلقاً، ولا ذلك داخلٌ في أسمائه الحسنى، ومن ظن الجهّال المصنّفين في شرح الأسماءِ الحسنى أن من أسمائه تعالى الماكرَ المخادعَ المستهزئ الكائدَ فقد فاه بأمرٍ عظيمٍ تقشعرّ منه الجلودُ وتكاد الأسماعُ تُصمّ عند

---

(١) انظر ما قاله ابن القيم أيضاً في «بدائع الفوائد» (١/ ١٥٩ ـ ١٧٠).

سماعِه، وغرَّ هذا الجاهلَ أنه سبحانه وتعالى أطلق على نفسه هذه الأفعالَ فاشتق له منها أسماءً، وأسماؤه تعالى كلُها حسنى فأدخلَها في الأسماء الحسنى وقرنها بالرحيم الودودِ الحكيمِ الكريم، وهذا جهلٌ عظيم، فإن هذه الأفعالَ ليست ممدوحةً مطلقاً بل تُمدح في موضع وتُذم في موضع، فلا يجوز إطلاقُ أفعالِها على الله تعالى مطلقاً، فلا يقال إنه تعالى يمكُر ويخادِع ويستهزِئ ويكيد، فكذلك بطريق الأولى لا يُشتق له منها أسماءُ يُسمَّى بها، بل إذا كان لم يأتِ في أسمائه الحسنى المريدُ والمتكلمُ ولا الفاعلُ ولا الصانعُ، لأن مُسمياتِها تنقسم إلى ممدوح ومذمومٍ وإنما يوصف بالأنواع المحمودةِ منها كالحليم والحكيمِ والعزيزِ والفعّالِ لِما يريد، فكيف يكون منها الماكرُ والمُخادعُ والمُستهزِئ؟

ثم يلزم هذا الغالطَ أن يجعل من أسمائه الحسنى الداعيَ والآتيَ والجائيَ والذاهبَ والقادمَ والرائدَ والناسيَ والقاسمَ والساخطَ والغضبانَ واللاعنَ إلى أضعاف أضعافِ ذلك من التي أطلق تعالى على نفسه أفعالَها في القرآن، وهذا لا يقوله مسلمٌ ولا عاقلٌ.

والمقصودُ أن اللّهَ سبحانه وتعالى لم يصفْ نفسَه بالكيد والمكرِ والخِداع إلا على وجه الجزاءِ لمن فعل ذلك بغير حق، وقد عُلم أن المجازاةَ على ذلك حسنةٌ من المخلوق فكيف من الخالق سبحانه وتعالى.

قلت: ومن هنا يتبين لك ما ذكرنا من النظر في بعض ما عدّه ابن العربي[1]، فإن الفاعلَ والزارعَ إذا أُطلقا بدون متعلَّقٍ ولا سياقٍ يدل على وصف الكمالِ فيهما فلا يُفيدان مدحاً، أما في سياقها من الآيات التي ذُكرت فيها فهي صفاتُ كمالٍ ومدحٍ وتَوحُّد، كما قال تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]. وقال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [الواقعة] الآيات، بخلاف ما إذا عُدّت مجردةً عن متعلّقاتها وما سيقتْ فيه وله.

(١) (٨٠٦/٢ ـ ٨٠٧).

ـ سورة اقترب، فيها: ثلاثة أسماء...، ... الفاعل.

ـ سورة الواقعة، فيها ثلاثة أسماء: ...، ... الزارع، ...

وأكبر مصيبة أنْ عدَّ[1] في الأسماء الحسنى رابعَ ثلاثةٍ وسادسَ خمسةٍ مصرحاً قبل ذلك بقوله: وفي سورة المجادلةِ اسمان فذكرهما.

وهذا خطأٌ فاحشٌ؛ فإن الآية لا تدل على ذلك ولا تقتضيه بوجه لا منطوقاً ولا مفهوماً، فإن الله عز وجل قال: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾ [المجادلة: ٧]. الآية.

وأين في هذا السياق رابعُ ثلاثةٍ سادسُ خمسة؟ وكان حقُه اللائقُ بِمراده أن يقول: رابعُ كلِ ثلاثةٍ في نجواهم وسادسُ كلِ خمسةٍ كذلك، فإنه تعالى يعلم أفعالَهم ويسمع أقوالَهم كما هو مفهومٌ من صدر الآيةِ، ولكن لا يليق بهذا المعنى إلا سياقُ الآية، والله تعالى أعلم.

واعلم أن دِلالةَ أسماء الله تعالى حقٌ على حقيقتها مطابقةً[2] وتضمناً[3] والتزاماً[4]، فدِلالةُ اسمِه تعالى «الرحمن» على ذاته عز وجل مطابَقةً، وعلى صفة الرحمة تضمُناً، وعلى الحياة وغيرِها التزاماً، وهكذا سائرُ أسمائِه تبارك وتعالى.

وليست أسماءُ اللّهِ تعالى غيرَه كما يقوله المُلْحِدون في أسمائِه، تعالى اللّهُ عمّا يقولون علوّاً كبيراً، فإن اللّهَ عز وجل هو الإلهُ وما سواه عبيدٌ، وهو الربُّ وما سواه مربوبٌ، وهو الخالقُ وما سواه مخلوقٌ، وهو الأولُ فليس قبله شيءٌ، وما سواه مُحدثٌ كائنٌ بعد أن لم يكن، وهو الآخرُ الباقي فليس بعدَه شيءٌ وما سواه فانٍ، فلو كانت أسماءُ اللّهِ تعالى غيرَه كما زعموا لكانت مخلوقةً مربوبةً محدَثةً فانيةً، إذ كلُ ما سواه كذلك، تعالى اللّهُ عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

---

(١) أي ابن العربي في «أحكام القرآن» (٢/٨٠٧):
سورة المجادلة فيها اسمان: رابع ثلاثة، سادس خمسة.

(٢) المطابقة: دلالة اللفظ على تمام ما وُضع له من حيث هو تمامه.

(٣) التضمّن: دلالة اللفظ على جزء ما وُضع له من حيث هو جزؤه.

(٤) الالتزام: دلالة اللفظ على لازم خارج عن المعنى الموضوع له اللفظ من حيث هو لازمه.
[انظر: التقرير والتحبير شرح التحرير: لابن الهمام (١/١٠٠)]. وانظر: القواعد المثلى لفضيلة الشيخ محمد العثيمين، القاعدة الرابعة ص١١.

[أسماء الله غير مخلوقة]

وقال عثمانُ بنُ سعيدٍ الدارمِيّ - نَقِمةُ اللَّهِ على بِشر المُريسيّ وذويه -: بابُ الإيمان بأسماء اللَّهِ تعالى وأنها غيرُ مخلوقة[1].

قال: «ثم اعترَض المعترِضُ - يعني ابنَ الثلجيّ[2] - على أسماء اللَّهِ تعالى المقدسةِ، فذهب في تأويلها مذهبَ إمامِه المريسيِّ فادعى أن أسماءَ اللَّهِ غيرُ اللَّهِ وأنها مستعارةٌ مخلوقةٌ، كما أنه قد يكون شخصٌ بلا اسمٍ فتسميتُه لا تزيد في الشخص ولا تُنقص، يعني - الخبيثُ - أن الله تعالى كان مجهولاً كشخص مجهولٍ لا يُهتدى لاسمه ولا يُدرى ما هو حتى خلق الخلق فابتدعوا له أسماءً من مخلوق كلامِهم فأعاروه إياها من غير أن يُعرَف له اسمٌ قبل الخلق».

قال: «ومن ادعى التأويلَ في أسماء اللَّهِ فقد نسب اللَّهَ تعالى إلى العجز والوهنِ والضرورةِ والحاجةِ إلى الخلق؛ لأن المستعيرَ محتاجٌ مضطرٌ والمعيرُ أبداً أعلى منه وأغنى، ففي هذه الدعوى استجهالُ الخالقِ إذْ كان بزعمه هَمَلاً لا يُدْرى ما اسمُه، والله المتعالي عن هذا الوصفِ المنزهُ عنه؛ لأن أسماءَ الله تعالى هي تحقيقُ صفاتِه سواءٌ عليك قلتَ: عبدتُ اللَّهَ أو عبدتُ الرحمنَ أو الرحيمَ أو الملِكَ العزيزَ الحكيم، وسواءٌ على الرجل قال كفرتُ بالله، أو قال: كفرتُ بالرحمن الرحيم، أو بالخالقِ العزيزِ الحكيم، وسواءٌ عليك قلت: عبدُ الله أو عبدُ الرحمن أو عبدُ العزيز أو عبدُ المجيد.

وسواءٌ عليك قلتَ: يا اللَّهُ أو يا رحمنُ أو يا رحيمُ أو يا مالكُ يا عزيزُ يا جبار، بأي اسمٍ دعوتَه من هذه الأسماء أو أضفتَه إليه فإنما تدعو اللَّهَ نفسَه، مَن شك فيه فقد كفر.

---

(١) في كتابه «الرد على بشر المريسي» (ص٧ - ١١).

(٢) هو محمد بن شجاع بن الثلجي الفقيه البغدادي الحنفي، أبو عبد الله صاحب التصانيف.
قال ابن عدي: كان يضع الحديث في التشبيه ينسبها إلى أصحاب الحديث يسابهم بذلك.
وقال الذهبي: جاء من غير وَجْهٍ أنه كان ينال من أحمد وأصحابه، ويقول: إيش قام به أحمد! وهو من أصحاب بشر المريسي.
وقال زكريا الساجي: محمد بن شجاع كذاب احتال في إبطال الحديث نصرةً للرأي.
[«الميزان» (٣/ ٥٧٧ - ٥٧٩ رقم ٧٦٦٤) و «تهذيب التهذيب» (٣/ ٥٨٨ - ٥٨٩)].

وسواءٌ عليك قلت: ربيَ اللّهُ أو ربيَ الرحمنُ كما قال تعالى: ﴿وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ١١٢]، وقال تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الصف: ١]، وقال: ﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الأحزاب: ٤٢]. كذلك قال في الاسم: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١]. كما قال تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ﴾ [الجمعة: ١، التغابن: ١]. ولو كان الاسمُ مخلوقاً مستعاراً غيرَ الله لم يأمر اللّهُ تعالى أن يسبِّحَ مخلوقٌ غيرَه.

وقال تعالى: ﴿لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الحشر: ٢٤].

ثم ذكر الآلهةَ التي تُعبد من دون اللّهِ عز وجل بأسمائها المخلوقةِ المستعارةِ فقال تعالى: ﴿إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم﴾ [النجم: ٢٣]. وكذلك قال هودٌ لقومه حين قالوا: ﴿أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾ [الأعراف: ٧٠]، فقال لهم نبيُّهم: ﴿أَتُجَٰدِلُونَنِى فِىٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم﴾ [الأعراف: ٧١].

يعني أن أسماءَ اللّهِ تعالى لم تزل كما لم يزَل عز وجل، وأنها بخلاف هذه الأسماءِ المخلوقةِ التي أعاروها الأصنامَ والآلهةَ التي عبدوها من دونه، فإن لم تكن أسماءُ اللّهِ بخلافها فأيُّ توبيخٍ لأسماء هذه الآلهةِ المخلوقةِ إذْ كانت أسماؤُها وأسماءُ اللّهِ تعالى مخلوقةً مستعارةً عندكم بمعنى واحدٍ، وكلُّها من تسمية العبادِ وتسميةِ آبائِهم بزعمهم؟.

ففي دعوى هذا المعارضِ أن الخلقَ عرَّفوا اللّهَ إلى عباده بأسماء ابتدعوها لا أن اللّهَ عرَّفهم بها نفسَه، فأيُّ تأويلٍ أوحشُ في أسماء اللّهِ تعالى من أن يتأولَ رجل أنه كان كشخص مجهولٍ، أو بيتٍ أو شجرةٍ أو بهيمةٍ لم يسبِقْ لشيء منها اسمٌ، ولم يُعرف ما هو حتى عرّفه الخلقُ بعضُهم بعضاً.

ولا تُقاس أسماءُ الله تعالى بأسماء الخلقِ لأن أسماءَ الخلقِ مخلوقةٌ مستعارةٌ وليست أسماؤُهم نفسَ صفاتِهم بل مخالفةٌ لصفاتِهم، وأسماءُ اللّهِ تعالى صفاتُه ليس شيءٌ منها مخالفاً لصفاتِه ولا شيءٌ من صفاتِه مخالفاً لأسمائِه.

فمن ادعى أن صفة من صفات اللّهِ مخلوقةٌ أو مستعارةٌ فقد كفر وفجَر؛

لأنك إذا قلت «اللّهُ» فهو «اللّهُ»، وإذا قلت «الرحمنُ» فهو «الرحمنُ» وهو «اللّهُ»، فإذا قلت «الرحيمُ» فهو كذلك، وإذا قلت حكيمٌ عليمٌ حميدٌ مَجيدٌ جبار متكبر قاهر قادرٌ فهو كذلك، وهو اللّهُ سواءٌ لا يخالف اسمٌ له صفتَه ولا صفتُه اسماً، وقد يسمى الرجلُ حكيماً وهو جاهل، وحكماً وهو ظالمٌ، وعزيزاً وهو حقيرٌ، وكريماً وهو لئيمٌ، وصالحاً وهو طالحٌ، وسعيداً وهو شقيٌّ، ومحموداً وهو مذمومٌ، وحبيباً وهو بغيضٌ، وأسداً وحماراً وكلباً وجِدْياً وكليباً وهِرًّا وحَنظلةً وعلقمةً وليس كذلك.

واللّهُ تعالى وتقدّس اسمُه كلُ أسمائِه سواءٌ لم يزل كذلك ولا يزال، لم تُحدَث له صفةٌ ولا اسمٌ لم يكن كذلك، كان خالقاً قبل المخلوقين، ورازقاً قبل المرزوقين، وعالماً قبل المعلومين، وسميعاً قبل أن يَسمعَ أصواتَ المخلوقين، وبصيراً قبل أن يرى أعيانَهم مخلوقةً.

قال الله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]، وقال: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ﴾ [السجدة: ٤]، وقال في موضع: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ [الفرقان: ٥٩]. لأنهما بمعنى واحدٍ، ولو كان كما ادعى المعارض - يعني ابنَ الثلجيِّ وإمامَه المُريسي - لكان الخالق والمخلوقُ استويا جميعاً على العرش إذ كانت أسماؤه مخلوقةً عندهم إذ كان اللّهُ في دعواهم في حد المجهولِ أكثرَ منه في حد المعروفِ، لأن لحدوث الخلقِ حداً ووقتاً وليس لأزلية اللّهِ تعالى حدٌ ولا وقتٌ.

لم يزل ولا يزال، وكذلك أسماؤه لم تزَل ولا تزال.

ثم احتج المعارضُ لترويج مذهبه هذا بأقبحِ قياسٍ؛ فقال: أرأيتَ لو كتبتَ اسماً في رَقعة ثم احترقت الرقعةُ أليس إنما تُحرق الرقعةُ ولا يُضرّ الاسمُ شيئاً؟

فيقال لهذا التائهِ الذي لا يدري ما يخرُج من رأسه: إن الرقعةَ وكتابةَ الاسم ليس كنفس الاسمِ، إذا احترقت الرقعةُ احترق الخطُّ وبقي اسمُ اللّهِ له وعلى لسانِ الكاتبِ لم يزل قبل أن يُكتب لم تَنقُص النارُ من الاسم ولا ممن له الاسمُ شيئاً، وكذلك لو كانت أسماءُ المخلوقين لم تَنقُص النارُ من أسمائهم ولا من أجسامهم شيئاً، وكذلك لو كتبتَ «اللّهُ» بهجائه في رَقعة ثم أحرقْتَ الرقعةَ لاحترقت الرقعةُ

وكان اللّٰهُ سبحانه بكماله على عرشه، وكذلك لو صُوِّر رجلٌ في رقعة ثم أُلقيت في النار لاحترقت الرقعةُ ولم يُضَرَّ المصوَّرُ شيئاً.

وكذلك القرآنُ لو احترقت المصاحفُ كلُّها لم ينقُص من القرآن نفسِه حرفٌ واحدٌ، وكذلك لو احترق القراءُ كلُّهم أو قُتلوا أو ماتوا لبقيَ القرآنُ بكماله كما كان لم ينقصْ منه حرفٌ واحدٌ، لأنه منه بدأ وإليه يعود عند فناء الخلقِ بكماله غيرَ منقوص.

وقد كان للمريسي في أسماء الله مذهبٌ كمذهبه في القرآن، كان القرآنُ عنده مخلوقاً من قول البشرِ لم يتكلم اللّٰهُ بحرف منه في دعواه، وكذلك أسماءُ اللّٰهِ تعالى عنده من ابتداع البشرِ من غير أن يقول تعالى: ﴿إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [القصص: ٣٠] بزعمه قطُّ. وزعم أني متى اعترفتُ بأن اللّٰهَ تعالى تكلم بـ: ﴿إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ لزمني أن أقولَ تكلّم بالقرآن.

ولو اعترفنا بذلك لانكسر علينا مذهبُنا في القرآن، وقد كسره اللّٰهُ عليهم على رغم أنوفِهم فقال: ﴿إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [القصص: ٣٠].

ولا يستحق مخلوقٌ أن يتكلم بهذا، فإن فعل ذلك كان كافراً كفرعونَ الذي قال: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤].

فهذا الذي ادعَوا في أسماء اللّٰهِ عز وجل أصلٌ كبيرٌ من أصول الجهميةِ التي بنوا عليها محنتهم وأسّسوا بها ضلالَتهم غالطوا بها الأغمارَ والسفهاءَ، وهم يرَون أنهم يغالطون بها الفقهاءَ، ولئن كان السفهاءُ وقعوا في غلط مذاهبِهم فإن الفقهاءَ منهم لَعلى يقين.

أرأيتم قولَكم إن أسماءَ اللّٰهِ مخلوقةٌ، فمن خلَقها، وكيف خلَقها؟ أجعلها أجساماً وصوراً تشغل أعيانُها أمكنةً دونه من الأرض والسماءِ أم موضعاً دونه في الهواء؟.

فإن قلتم لها أجسامٌ دونه فهذا ما تنقِمه عقول العقلاء، وإن قلتم خلقها في ألسنة العبادِ فدعَوه بها وأعاروها إياه فهو مما ادعينا عليكم أن اللّٰهَ تعالى كان بزعمكم مجهولاً لا اسمَ له حتى أحدث الخلقَ فأحدثوا له أسماءً من مخلوق كلامِهم، فهذا هو الإلحادُ في أسماء اللّٰهِ والتكذيبُ بها، قال الله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ

﴿لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ [الفاتحة].
كما يُضيفه إلى رب العالمين، ولو كان كما ادعيتم لقيل الحمدُ لله رب العالمين، المسمَّى الرحمنَ الرحيم، مالكَ يوم الدين.

وكما قال: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ۝٢ نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ﴾ [آل عمران: ٢ ـ ٣]، كما قال: ﴿تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ١، غافر: ٢، الجاثية: ٢، الأحقاف: ٢]. كذلك قال: ﴿تَنزِيلٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [فصلت: ٢]، ﴿تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ﴾ [فصلت: ٤٢]، ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلۡقُرۡءَانَ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ [النمل: ٦]. كلُّها بمعنى واحدٍ وكلُّها هي الله، واللَّهُ هو أحدُ أسمائِه ـ إلى أن قال[١] ـ وكما قال اللَّهُ تعالى في كتابه: ﴿أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [القصص: ٣٠]، كذلك قال على لسان نبيِّه ﷺ: «أنا الرحمنُ»، ثم روى بسنده حديث عبدِ الرحمنِ بنِ عَوفٍ[٢] رضي الله عنه

---

(١) الدارمي في رده على بشر المريسي (ص١٢ ـ ١٣).

(٢) وهو حديث صحيح.

* أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» (١١/ ١٧١ رقم ٢٠٢٣٤) من طريق معمر، عن الزُّهري، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، عن ردَّاد الليثي عنه.

ومن طريق عبد الرزاق أخرجه أحمد (١/ ١٩٤) وأبو داود رقم (١٦٩٥) وابن حبان في «الثقات» (٤/ ٢٤١)، والحاكم (٤/ ١٥٧) والبيهقي في «السنن الكبرى» (٧/ ٢٦)، وفي «الأسماء والصفات» (ص٣٧٠) والمزي في «تهذيب الكمال» (٩/ ١٧٤ ـ ١٧٥).

* وأخرجه أحمد (١/ ١٩٤) والبخاري في «الأدب المفرد» رقم (٥٣) والحاكم (٤/ ١٥٨) من طرق عن الزُّهري، به.

* وأخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٨/ ٥٣٥، ٥٣٦ رقم ٥٤٣٩) ومن طريقه أخرجه أبو داود رقم (١٦٩٤) والبغوي في «شرح السنة» (١٣/ ٢٢ رقم ٣٤٣٢) والحميدي (١/ ٣٥ ـ ٣٦ رقم ٦٥) ومن طريق الحميدي أخرجه الحاكم (٤/ ١٥٧ ـ ١٥٨) والترمذي رقم (١٩٠٧) وأبو يعلى (٢/ ١٥٣ ـ ١٥٤ رقم ٨٤٠) والبيهقي (٧/ ٢٦).

من طريق سفيان، عن الزهري، عن أبي سلمة: أن أبا الرداد الليثي اشتكى فعاده عبد الرحمن بن عوف، فقال: خيرهم وأوصلهم أبو محمد، فقال عبد الرحمن... ونسب ابن أبي شيبة، وأبو يعلى، والترمذي، والبيهقي (سفيان) فقالوا: «ابن عيينة».

* وأخرجه أحمد (١/ ١٩٤) والحاكم (٤/ ١٥٨) من طريق سفيان (نسبه الحاكم فقال: «سفيان بن حسين» عن الزهري، بالإسناد المتقدم.

قال أبو عيسى: حديث سفيان عن الزُّهري حديث صحيح، وروى معمرٌ هذا الحديث عن الزهري، عن أبي سلمة، عن رداد الليثي، عن عبد الرحمن بن عوف. =

قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**قال الله تعالى: أنا الرحمنُ، وهي الرَّحِمُ شققتُ لها من اسمي، فمن وصلها وصلتُه ومن قطعها بَتَتُّه**». فيقول الله تعالى: «**أنا شققتُ لها من اسمي**».

وادَّعَت الجهميةُ[1] مكذبين لله ولرسوله أنهم أعاروه الاسمَ الذي شقها منه،

= قال محمد ـ يعني البخاري ـ وحديث معمر خطأ. كذا قال الترمذي.

قلت: هذا إسناد رجاله ثقات، واتصاله متوقف على سماع أبي سلمة من أبيه. فقد قال ابن أبي حاتم في «المراسيل» (ص٢٥٥) رقم (٩٤٧): «قال يحيى بن معين: أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف لم يسمع من أبيه شيئاً».

وقال العلائي في «جامع التحصيل» (ص٢٦٠) رقم (٣٧٨): «قال يحيى بن معين، والبخاري، لم يسمع ـ أبو سلمة ـ من أبيه شيئاً. زاد ابن معين: ولا من طلحة بن عبيد الله...».

* وأخرجه أحمد (١/ ١٩١، ١٩٤) وأبو يعلى (٢/ ١٥٥ رقم ٨٤١) والحاكم (٤/ ١٥٧) من طريق يزيد بن هارون، أنبأنا هشام الدستوائي، عن يحيى بن أبي كثير، عن إبراهيم بن عبد الله بن قارظ أن أباه أخبره: أنه دخل على عبد الرحمن بن عوف وهو مريض فقال عبد الرحمن...

وقال الحافظ في «تهذيب التهذيب» (٣/ ٢٣٤ رقم ٥١١): «رواه أبو يعلى بسند صحيح من طريق عبد الله بن قارظ، عن عبد الرحمن بن عوف، من غير ذكر أبي الرداد».

وانظر ما علقه العلامة أحمد شاكر على هذا الإسناد في «المسند» رقم (١٦٥٩).

* **ولحديث عبد الرحمن بن عوف هذا شاهد من حديث أبي هريرة** عند أحمد (٢/ ٤٩٨) والحاكم (٤/ ١٥٧) من طريق محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة، وصححه الحاكم على شرط مسلم، ووافقه الذهبي.

* **ويشهد له أيضاً حديث عائشة** عند البخاري رقم (٥٩٨٩) ومسلم رقم (٢٥٥٥) وأحمد (٦/ ٦٢) وأبو يعلى في «المسند» (٧/ ٤٢٣ رقم ٩٠/ ٤٤٤٦).

* **وكذلك يشهد له حديث عامر بن ربيعة** عند أبي يعلى (١٣/ ١٥٦ رقم ٦/ ٧١٩٨) والبزار (٢/ ٣٧٥ رقم ١٨٨٢ ـ كشف) وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ١٥٠) وقال: «رواه الطبراني، وأبو يعلى بنحوه، والبزار... وفيه عاصم بن عبيد الله ضعفه الجمهور، وقال العجلي: لا بأس به».

(١) **الجهمية إحدى الفرق الكلامية التي تنتسب إلى الإسلام، وهي ذات مفاهيم وآراء عقدية، لها آراء خاطئة في مفهوم الإيمان، وفي صفات الله تعالى وأسمائه. وترجع في نسبتها إلى مؤسسها «الجهم بن صفوان» الترمذي.**

ومن أهم آراء الجهمية ما يلي:

١ ـ مذهبهم في التوحيد، هو إنكار جميع الأسماء والصفات لله عز وجل، ويجعلون أسماء الله من باب المجاز. =

ومن أين علم الخلقُ أسماءَ الخالقِ قبل تعليمه إياهم، فإنه لم يعلم آدمَ ولا الملائكةَ أسماءَ المخلوقين حتى علمهم اللّهُ تعالى مِن عنده، وكان بدءُ علمها منه فقال تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [البقرة].

وقال رسولُ الله ﷺ: **«إن لله تسعةً وتسعين اسماً من أحصاها وحفِظها دخل الجنة»**[1] وساق الأسماءَ الحسنى كما قدمنا.

ثم قال: **«فهذه كلُها أسماءُ اللّهِ تعالى لم تزَل له كما لم يزل، بأيها دعوتَ فإنما تدعو اللّهَ نفسَه. قال: ولن يدخل الإيمانُ قلبَ رجلٍ حتى يعلم أن اللّهَ تعالى لم يَزل إلهاً واحداً بجميع أسمائِه وجميعِ صفاتِه لم يُحدثْ له منها شيءٌ كما لم تزل وحدانيتُه»**. انتهى كلامُه رحمه الله تعالى.

[تفصيل المراد بقوله ﷺ «من أحصاها»]

واختلف العلماءُ في معنى قولِه ﷺ: **«من أحصاها»**[2]. فقال البخاريُّ وغيرُه

= ٢ ـ القول بالجبر والإرجاء.
٣ ـ نفي أن يكون الله متكلماً بكلام يليق بجلاله وإثبات أن القرآن مخلوق.
٤ ـ الإيمان هو المعرفة بالله.
٥ ـ نفي أن يكون الله تعالى في جهة العلو.
٦ ـ أن الله قريب بذاته، وأن الله مع كل واحد بذاته عز وجل، وهذا هو المذهب الذي بنى عليه أهل الاتحاد والحلول أفكارهم.
انظر مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري (١/ ٢٧٩).
وقد ذهب كثير من علماء السلف إلى تكفير الجهمية وإخراجهم من أهل القبلة.
انظر: «فرق معاصرة تنسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها» إعداد: غالب بن علي عواجي. (٢/ ٧٩٣ ـ ٨٢٠) الباب الحادي عشر: الجهمية.

(١) وهو حديث صحيح تقدم تخريجه قريباً.

(٢) أخرج هذه اللفظة البخاري (١١/ ٢١٤ رقم ٦٤١٠) ومسلم (٤/ ٢٠٦٢ رقم ٢٦٧٧) من حديث أبي هريرة وقد تقدم.

من المحققين: معناه حفِظها، وأن إحدى الروايتين مفسِّرةٌ للأخرى.

وقال الخطابي: يحتمل وجوهاً: أحدُها أن يعُدَّها حتى يستوفِيَها، بمعنى أن لا يقتصِرَ على بعضها، فيدعو اللَّهَ بها كلِها ويُثني عليه بجميعها فيستوجب الموعودَ عليها من الثواب.

وثانيها: المُرادُ بالإحصاء الإطاقةُ، والمعنى من أطاق القيامَ بحق هذه الأسماء والعملَ بمقتضاها وهو أن يعتبرَ معانيها فيُلزِمَ نفسَه بمواجبها، فإذا قال «الرزاق» وثِقَ بالرزق، وكذا سائرُ الأسماء.

ثالثُها: المرادُ بها الإحاطةُ بجميع معانيها، وقيل أحصاها عمِل بها فإذا قال: «الحكيم»، سلم لجميعِ أوامرِه وأقدارِه وأنها جميعَها على مقتضى الحكمة، وإذا قال: «القُدوس»، استحضر كونَه مقدساً منزهاً عن جميع النقائص، واختاره أبو الوفاء بنُ عقيل.

وقال ابنُ بطال: طريقُ العملِ بها أن ما كان يُسوَّغ الاقتداءُ به كالرحيم والكريم فيُمرّن العبدُ نفسَه على أن يصِحّ له الاتصافُ بها، يعني فيما يقوم به، وما كان يختص به نفسَه كالجبار والعظيم فعلى العبد الإقرارُ بها والخضوعُ لها وعدمُ التحلّي بصفة منها، وما كان فيه معنى الوعدِ يقف فيه عند الطمعِ والرغبة، وما كان فيه معنى الوعيدِ يقف منه عند الخشيةِ والرهبة اهـ[1].

والظاهرُ أن معنى حِفْظِها وإحصائِها هو معرفتُها والقيامُ بعبوديتها، كما أن القرآنَ لا ينفع حفظُ ألفاظِهِ مَن لا يعمل به، بل جاء في المُرّاق من الدين أنهم يقرأون القرآنَ لا يجاوز حناجِرَهم.

وقال ابن القيم[2] رحمه الله تعالى بعد كلام طويلٍ على أولية اللَّهِ تعالى وما في ذلك الشهودِ منَ الغنى التامِّ قال: وليس هذا مختصاً بأوليته تعالى فقط، بل جميعُ ما يبدو للقلوب من صفات الربِّ سبحانه يستغني العبدُ بها بقدر حظّه وقَسْمِه من معرفتها وقيامِه بعبوديتها، فمن شهد مشهَدَ علوِّ اللَّهِ تعالى على خلقِه وفوقيّتِه

---

(١) بلفظه من «فتح الباري شرح صحيح البخاري» (١١/ ٢٢٥ ـ ٢٢٦).

(٢) في «طريق الهجرتين وباب السعادتين» (ص٤٣ ـ ٤٦).

لعباده واستوائِه على عرشه كما أخبر بها أعرفُ الخلقِ وأعلمُهم به الصادقُ المصدوقُ وتعبّد بمقتضى هذه الصفةِ، بحيث يصير لقلبه صَمَدٌ يعرج إليه مناجياً له مُطْرقاً واقفاً بين يديه وقوفَ العبدِ الذليلِ بين يدي الملكِ العزيز، فيشعر بأن كَلِمَه وعملَه صاعدٌ إليه معروضٌ عليه مع أوفى خاصتِه وأوليائِه فيستحي أن يصعَدَ إليه من كَلِمِه ما يخزيه ويفضحه هناك، ويشهد نزولَ الأمرِ والمراسيمِ الإلهيةِ إلى أقطار العوالمِ كلَّ وقتٍ بأنواع التدبيرِ والتصرفِ من الإماتة والإحياءِ والتوليةِ والعزْلِ والخفْضِ والرفعِ والعطاء والمنع وكشفِ البلاءِ وإرسالِه وتقلُّبِ الدولِ ومُداولةِ الأيامِ بين الناس إلى غير ذلك من التصرفات في المملكة التي لا يتصرف فيها سواه، فمراسيمُه نافذةٌ فيها كما يشاء: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [السجدة: ٥]، فمن أعطى هذا المشهدَ حقَّه معرفةً وعبوديةً استغنى به.

وكذلك من شهد مشهدَ العلمِ المحيطِ الذي لا يعزُب عنه مثقال ذرةٍ في الأرض ولا في السموات ولا في قرار البحارِ ولا تحت أطباقِ الجبالِ بل أحاط بذلك علمُه علماً تفصيلياً، ثم تعبَّد بمقتضى هذا الشهودِ من حراسةِ خواطرِه وإراداتِه وجميعِ أحوالِه وعزَماتِه وجوارحِه، علمَ أن حركاتِه الظاهرة والباطنة وخواطرِه وإراداتِه وجميعَ أحوالِه ظاهرةٌ مكشوفةٌ لديه علانيةً، باديةٌ لا يخفى عليه منها شيء.

وكذلك إذا أشعر قلبه صفةَ سمعِه سبحانه لأصوات عبادِه على اختلافها وجهرِها وخفائِها، وسواءٌ عنده من أسرّ القولَ ومن جهرَ به لا يشغلُه جهرُ من جهرَ عن سمعه صوتَ من أسرّ، ولا يشغله سمعٌ عن سمع، ولا تغلطه الأصوات على كثرتِها واختلافِها واجتماعِها، بل هي عنده كلُها كصوتٍ واحدٍ، كما أن خلقَ الخلق جميعِهم وبعْثِهم عنده بمنزلة نفسٍ واحدة.

وكذلك إذا شهد معنى اسمِه البصير جل جلاله الذي يرى دبيبَ النملةِ السوداء على الصخرة الصماء في حِنْدِس[1] الظلماء، ويرى تفاصيلَ خلْقِ الذرةِ

---

(١) الحِنْدِسُ: الظُّلْمةُ. وفي الصحاح: الليل الشديد الظلمة.
«لسان العرب» (٣/٣٥٦).

الصغيرةِ ومُخِّها وعروقِها ولحمِها وحركتِها، ويرى مدَّ البعوضةِ جناحها في ظلمةِ الليل، وأعطى هذا المشهدَ حقَّه من العبودية بحرَس حركاتِه وسكناتِه، وتيقن أنها بمرأى منه سبحانه ومشاهدةٍ لا يغيب عنه منها شيءٌ.

وكذلك إذا شهد مشهدَ القيّوميةِ الجامعَ لصفاتِ الأفعالِ وأنه قائمٌ على كل شيءٍ وقائمٌ على كل نفسٍ بما كسبت، وأنه تعالى هو القائمُ بنفسه المُقيمُ لغيره، القائمُ عليه بتدبيره وربوبيّته وقهرِه وإيصالِ جزاء المحسنِ وجزاء المسيءِ إليه، وأنه بكمال قيّوميته لا ينام ولا ينبغي له أن ينامَ، يخفِضُ القِسْطَ ويرفعه، يُرفَع إليه عملُ الليلِ قبل عمل النهارِ وعملُ النهارِ قبل عملِ الليلِ، لا تأخذه سنةٌ ولا نومٌ ولا يضِلّ ولا ينسى.

وهذا المشهدُ من أرفع مشاهدِ العارفينَ وهو مشهدُ الرُبوبية، وأعلى منه مشهدُ الإلهيةِ الذي هو مشهدُ الرسلِ وأتباعِهم الحنفاء، وهو شهادةُ أن لا إله إلا اللَّهُ وأن إلهيةَ ما سواه باطلٌ ومُحالٌ، كما أن ربوبيةَ ما سواه كذلك، فلا أحدَ سواه يستحق أن يُؤَلّهَ ويُعْبَدَ ويُصلَّى له ويُسجدَ ويستحقَّ نهايةَ الحبِّ مع نهايةَ الذلِّ لكمال أسمائِه وصفاتِه وأفعالِه، فهو المطاعُ وحده على الحقيقة والمألوهُ وحده وله الحُكمُ، فكلُّ عبوديةٍ لغيره باطلةٌ وعَناءٌ وضَلالٌ، وكلُ محبةٍ لغيره عذابٌ لصاحبها، وكلُ غِنىً بغيره فقرٌ وفاقة، وكلُ عزٍ بغيره ذُلٌ وصَغارٌ، وكلُ تكثُّرٍ بغيره قلةٌ وذِلةٌ.

فكما استحال أن يكون للخلق ربٌّ غيرُه، فكذلك استحال أن يكون لهم إلهٌ غيرُه، فهو الذي انتهت إليه الرغبَاتُ وتوجهت نحوَه الطلباتُ، ويستحيل أن يكون معه إلهٌ آخرُ، فإن الإلَه على الحقيقة هو الغنيُّ الصمَدُ الكاملُ في أسمائِه وصفاتِه الذي حاجةُ كلِ أحدٍ إليه ولا حاجةَ به إلى أحد، وقيامُ كلِ شيءٍ به وليس قيامُه بغيره ـ إلى أن قال ـ فمشهدُ الألوهيةِ هو مشهدُ الحنفاء، وهو مشهدٌ جامعٌ للأسماء والصفاتِ وحظُ العبادِ منه بحسب حظِهم من معرفة الأسماء والصفات، ولذلك كان الاسمُ الدالُّ على هذا المعنى هو اسمَ اللّهِ جل جلاله، فإن هذا الاسمَ هو الجامعُ، ولهذا تُضاف الأسماء الحسنى كلُها إليه فيقال: الرحمنُ الرحيمُ الغفارُ القهارُ من أسماء الله، ولا يُقال: اللّهُ من أسماء الرحمن، قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

فهذا المشهدُ تجتمع فيه المشاهدُ كلُها، وكلُ مشهدٍ سواه فإنما هو مشهدٌ لصفة من صفاتِه، فمن اتسع قلبُه لمشهد الإلهيةِ وقام بحقه من التعبد الذي هو كمالُ الحبِّ مع كمال الذلِّ والتعظيمِ والقيامِ بوظائف العبوديةِ فقد تم له غِناه بالإله الحقِّ وصار من أغنى العِباد، ولسان مثلِ هذا يقول:

غنيتُ بلا مالٍ عن الناسِ كلِهمْ ... وإن الغِنى العالي عن الشيء لا بِه

اهـ.

[تفسير قوله تعالى:
﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾]

وقوله تعالى: ﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

قال ابنُ عباس[(١)] وابنُ جُريج ومجاهدٌ[(٢)]: هم المشركون عدَلوا بأسماء اللّهِ تعالى عما هي عليه فسَمَّوا بها أوثانَهم فزادوا ونقصوا، فاشتقوا اللاتَ من الله، والعُزّى من العزيز، ومَناة من المنّان. وقيل: هي تسميتُهم الأصنامَ آلهةً.

ورُوي عن ابن عباس[(٣)] ﷺ: يُلحدون في أسمائِه أي يكذبون.

وقال قتادةُ[(٤)]: يلحِدون يشركون في أسمائه.

---

(١) أخرجه ابن جرير الطبري في «جامع البيان» (١٣/ ٢٨٢ رقم ١٥٤٥٣).
عن ابن عباس: «وذروا الذين يلحدون في أسمائه» قال: إلحاد الملحدين، أن دعوا «اللات» في أسماء الله.

(٢) أخرج ابن جرير الطبري في «جامع البيان» (١٣/ ٢٨٣ رقم ١٥٤٥٤).
عن مجاهد: «وذروا الذين يلحدون في أسمائه»، قال: اشتقوا «العزى» من «العزيز»، واشتقوا «اللات» من «الله».
وقد ذكر ابن كثير قول ابن عباس وابن جريج ومجاهد في تفسيره (٢/ ٢٨٠).

(٣) أخرج ابن جرير الطبري في «جامع البيان» (١٣/ ٢٨٣ رقم ١٥٤٥٥).
عن ابن عباس قوله: «وذروا الذين يلحدون في أسمائه» قال: «الإلحاد»، التكذيب.

(٤) أخرج ابن جرير الطبري في «جامع البيان» (١٣/ ٢٨٣ رقم ١٥٤٥٦).
عن قتادة: «يلحدون» قال: يشركون.
وقد ذكر ابن كثير قول ابن عباس وقتادة في تفسيره (٢/ ٢٨٠).

وقال عليُّ بنُ أبي طلحةَ عن ابن عباس[1]: الإلحادُ التكذيبُ.

وأصلُ الإلحادِ في كلام العربِ العدولُ عن القصد والميلُ والجَوْرُ والانحرافُ، ومنه اللحدُ في القبر لانحرافه إلى جهة القِبلة عن سِمَة الحفْر اهـ.

وهذه الأقوالُ متقاربةٌ، والإلحادُ يعُمُّها، وهو ثلاثةُ أقسام:

الأول: إلحادُ المشركين وهو ما ذكره ابنُ عباسٍ وابنُ جريجٍ ومجاهدٌ من عدولهم بأسماء اللّهِ تعالى عما هي عليه وتسميتُهم أوثانَهم بها مضاهاةً لله عز وجل ومُشاقةً له وللرسول ﷺ.

الثاني: إلحادُ المُشبّهة الذين يكيفون صفاتِ اللّهِ عز وجل ويشبهونها بصفات خلقِه مضادةً له تعالى ورداً لقوله عز وجل: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠]. وهو مقابلٌ لإلحاد المشركين، فأولئك جعلوا المخلوقَ بمنزلة الخالق وسوَّوْه به، وهؤلاء جعلوا الخالقَ بمنزلة الأجسامِ المخلوقةِ وشبّهوه بها، تعالى وتقدس عن إفكهم.

الثالث: إلحادُ النُفاةِ وهم قسمان:

قسمٌ أثبتوا ألفاظَ أسمائِه تعالى دون ما تضمّنته من صفات الكمالِ فقالوا: رحمنٌ رحيمٌ بلا رحمة، عليمٌ بلا علم، حكيمٌ بلا حكمة، قديرٌ بلا قدرة، سميعٌ بلا سمع، بصيرٌ بلا بصر. واطّردوا بقية الأسماء الحسنى هكذا وعطلوها عن معانيها وما تقتضيه وتتضمنه من صفات الكمالِ لله تعالى، وهم في الحقيقة كمن بعدهم، وإنما أثبتوا الألفاظَ دون المعاني تستراً وهو لا ينفعهم.

وقسمٌ لم يتستَّروا بما تستَّر به إخوانُهم، بل صرَّحوا بنفي الأسماء وما تدل عليه من المعاني واستراحوا من تكلُّف أولئك، وصفوا الله تعالى بالعدم المحْضِ الذي لا اسمَ له ولا صفة وهم في الحقيقة جاحدون لوجود ذاتِه تعالى مكذّبون بالكتاب وبما أرسل اللّهُ به رُسلَه.

وكلُ هذه الأربعةِ الأقسامِ كلُ فريقٍ منهم يكفر مُقابلَه، وهم كما قالوا كلُهم كفارٌ بشهادةِ اللّهِ وملائكتِه وكتبِه ورسلِه والناسِ أجمعين من أهل الإيمانِ والإثباتِ الواقفين مع كلام اللّهِ تعالى وسنةِ رسولِه ﷺ وآلِه وصحبِه أجمعين.

---

(١) ذكره ابن كثير في تفسيره (٢/ ٢٨٠). بسند منقطع.

(صفاتِه العلى) أي وإثباتُ صفاتِه العُلى التي وصف بها نفسَه تعالى ووصفه بها نبيُه ﷺ من صفاتِ الكمالِ ونُعوتِ الجلالِ، من صفاتِ الذاتِ وصفاتِ الأفعال، مما تضمنتْه أسماؤُه بالاشتقاق كالعلم والقدرةِ والسمعِ والبصرِ والحِكمةِ والرحمة والعزة والعلوّ وغيرِها، ومما أخبر به عن نفسِه وأخبر بها عنه رسولُه ﷺ، ولم يَشتقَّ منه اسماً كحبه المؤمنين والمتقين والمحسنين، ورضائِه عن عباده المؤمنين ورضاه لهم الإسلامَ ديناً، وكراهتِه انبعاثَ المنافقين وسَخَطِه على الكافرين وغضبِه عليهم، وإثباتِ وجهِه ذي الجلالِ والإكرام ويدَيه المبسوطتين بالإنفاق، وغيرِ ذلك مما هو ثابتٌ في الكتاب والسنة والفِطَرِ السليمة.

وسيأتي الكلامُ على ما ذكر من ذلك في المتْن في محله، وما لم يذكر في المتن ففي خاتمة البابِ إن شاء الله تبارك وتعالى.

[إثبات ربوبية الله تعالى]

(وأنه الربُ الجليلُ الأكبرُ   الخالقُ البارئُ والمصوِّر)

(باري البرايا مُنشئ الخلائقِ   مُبدِعُهم بلا مثالٍ سابقِ)

(وأنه الربُ) أي وإثبات ربوبيتِه بأنه ربُ كل شيء ومليكُه، ربُ الأولين والآخرين، ربُ المشرقين وربُ المغربين، ربُ السمواتِ والأرضين وما بينهما ربُ العالمين، ربُ الآخِرةِ والأولى، مالكُ الملكِ فلا شريكَ له في ملكه يؤتي الملكَ من يشاء وينزع الملكَ ممن يشاء، ويُعزّ من يشاء ويُذل من يشاء ويهدي من يشاء ويُضل من يشاء ويُسعد من يشاء ويُشقي من يشاء، ويُخفض من يشاء ويرفع من يشاء، ويُعطي من يشاء ويمنَع من يشاء، ويصِل من يشاء ويقطع من يشاء، ويبسُط الرزقَ لمن يشاء ويقدِرُه على من يشاء، يخلق ما يشاء، يهب لمن يشاء إناثاً ويهب لمن يشاء الذكورَ، أو يزوِّجُهم ذكراناً وإناثاً ويجعلُ من يشاء عقيماً إنه عليمٌ قدير.

يولج الليل في النهار ويولج النهارِ في الليل، ويُخرج الحيَّ من الميت ويخرج الميتَ من الحي، ويُحيي الأرضَ بعد موتِها، وسخر الشمسَ والقمرَ كلٌ يجري لأجلٍ مسمى، يدبر الأمرَ من السماء إلى الأرض ثم يعرُج إليه في يوم كان مقداره ألفَ سنةٍ مما تعدّون.

خلق فسوّى وقدّر فهدى، وأضحك وأبكى، وأمات وأحيا، وخلق الزوجين

الذكرَ والأنثى من نطفةٍ إذا تُمنى، وأغنى وأقْنَى وأوجد وأفنى، يُبدي ويُعيد ويفعل ما يريد، رفع سَمْكَ السماءِ فسوَّاها وأغطشَ ليلَها وأخرج ضُحاها، وبسطَ الأرضَ ودحاها فِراشاً لعباده ومِهاداً، ونصَب الجبالَ عليها أوتاداً، سخر الفُلكَ تجري في البحر بأمره، ويُمسك السماءَ أن تقعَ على الأرضِ إلا بإذنِه.

فالقُ الإصباحِ وجعل الليلَ سكناً والشمسَ والقمرَ حُسباناً، لا الشمسُ ينبغي لها أن تُدركَ القمرَ ولا الليلُ سابقُ النهارِ وكلٌ في فلكٍ يسبحون، الذي أحسن كلَّ شيءٍ خلقه وبدأ خلْقَ الإنسانِ من طين ثم جعل نسلَه من سُلالةٍ من ماء مَهين، ثم سوّاه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمعَ والأبصارَ والأفئدةَ قليلاً لعلكم تشكرون.

خالقُ الكونِ وما فيه، وجامعُ الناسِ ليوم لا ريب فيه. مرَج البحرينِ هذا عذبٌ فراتٌ وهذا ملحٌ أُجاجٌ وجعل بينهما برزخاً وحِجْراً محجوراً، وأسبغَ على عباده نِعَمَه الظاهرةَ والباطنةَ، وجعل الليلَ والنهارِ خِلْفةً لمن أراد أن يذَّكَرَ أو أراد شُكوراً، علّم وألْهمَ، ودبّر فأحكمَ، وقضى فأبرم.

لا رادَّ لقضائِه ولا مُضادَّ لأمره، ولا مُعقِّبَ لحكمِه ولا شريكَ له في ملكه، ولا إله غيرُه ولا ربَّ سواه، ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، ولا حولَ ولا قوةَ إلا بالله العليِّ العظيم.

(**الجليلُ**) أي المتصفُ بجميع نعوتِ الجلالِ وصفاتِ الكمالِ، المنزّهُ عن النقائص والمُحال، المتعالي على الأشباه والأمثال، له الأسماءُ الحسنى والصفاتُ العُلى والمثَلُ الأعلى، وله الحمدُ في الآخرة والأولى.

(**الأكبرُ**) الذي السمواتُ والأرضُ وما فيهن وما بينهما في كفّه كخردلة في كف آحاد عبادِه، له العظمةُ والكِبرياءُ وهو أكبرُ كلِّ شيءٍ شهادةً، لا مُنازِعَ له في عظمته وكبريائِه، ولا تنبغي العظمةُ والكبرياءُ إلا له، ومن نازَعه في صفة منهما أذاقه عذابَه وأحلّ عليه غضبَه، ومن يحلِلْ عليه غضبُه فقد هوَى.

(**الخالق**) أي المقدِّرُ والمُقلِّبُ للشيء بالتدبير إلى غيره كما قال تعالى: ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ﴾ [الزمر: ٦].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ

ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ [الحج: ٥] الآية.

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾﴾ [المؤمنون].

وقال تعالى: ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا﴾ [مريم: ٦٧]، وقال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ [الأنعام: ١]، وقال تعالى: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الرعد: ١٦، الزمر: ٦٢]، وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦].

فالله تبارك وتعالى الخالقُ وكلُّ ما سواه مخلوقٌ له، مربوبٌ له، لا خالقَ غيرُه، فجميعُ السمواتِ والأرضِ ومن فيهن وما بينهما وحركاتُ أهلها وسكناتُهم وأرزاقُهم وآجالُهم وأقوالُهم وأعمالهم كلُّها مخلوقاتٌ له مُحدَثةٌ كائنةٌ بعد أن لم تكن، وهو خالقُ ذلك كلِه ومُوجدُه ومُبدِئُه ومُعيدُه، فمنه مبدأُها وإليه مُنتهاها: ﴿أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾ [الشورى: ٥٣].

(البارئ) أي المنشئُ للأعيان من العدم إلى الوجود، والبَرْءُ هو الفَرْيُ، وهو التنفيذُ وإبرازُ ما قدّره وقرّره إلى الوجود، وليس كلُّ مَن قدّر شيئاً ورتبه يقدِر على تنفيذه وإيجادِه سوى اللّهِ عز وجل، كما قيل:

ولأنت تفري ما خلقتَ وبعضُ القومِ يخلق ثم لا يفري

أي أنت تنفذ ما خلقتَ أي قدرت، بخلاف غيرِك فإنه لا يستطيع كلَّ ما يريد، فالخلقُ التقديرُ، والفريُ التنفيذُ.

(المصوّر) الممثلُ للمخلوقات بالعلامات التي يتميز بعضُها عن بعض، أي الذي ينفذ ما يريد إيجادَه على الصفة التي يريدها، يقال: هذه صورةُ الأمرِ أو مِثالُه، فأولاً يكون خلقاً ثم بَرْءاً ثم تصويراً، وهذه الثلاثةُ الأسماءُ التي في سورة الحشر في خاتمتها: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ﴾ [الحشر: ٢٤].

قال ابنُ كثير[1] رحمه الله تعالى: أي الذي إذا أراد شيئاً قال له كن فيكون على الصفة التي يريد والصورةِ التي يختار، كقوله تعالى: ﴿فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾ [الانفطار: ٨].

(باري البرايا) جميعِ الموجوداتِ **(منشئ الخلائق)** أي جميعِ المخلوقاتِ **(مبدعهم)** أي خالِقهم ومُنشئُهم ومُحدِثهم، يفسر ذلك **(بلا مثال سابق)** أي بلا نظيرِ سالفٍ، ومنه سُمّيت البِدْعةُ بدعةً لأنها على غير مثالٍ سبق في الشرع، وقال الله تعالى: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾ [البقرة: ١١٧، الأنعام: ١٠١]. أي مُحدِثها وموجدُها على غير مثالٍ سبق.

وهذا مفسِّرٌ للبيت الذي قبله وقد تقدم الكلامُ عليه ولله الحمدُ والمنة.

(الأولُ المبدي بلا ابتداءِ والآخِرُ الباقي بلا انتهاءِ)

(الأولُ) فليس قبله شيءٌ **(المبدي)** الذي يُبدئ الخلقَ ثم يعيده **(بلا ابتداء)** لأوليّته تعالى **(والآخِرُ)** فليس بعده شيءٌ **(الباقي)** وكلُّ ما سواه فانٍ **(بلا انتهاء)** لآخريته تعالى، قال الله عز وجل: ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣]. وقال تعالى: ﴿قُلۡ هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥۚ قُلِ ٱللَّهُ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ﴾ [يونس: ٣٤].

وقال تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ كَيۡفَ يُبۡدِئُ ٱللَّهُ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴿١٩﴾ قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ بَدَأَ ٱلۡخَلۡقَۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأٓخِرَةَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٢٠﴾﴾ [العنكبوت].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥۚ لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ [القصص: ٨٨]، وقال تعالى: ﴿كُلُّ مَنۡ عَلَيۡهَا فَانٖ ﴿٢٦﴾ وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمن]. وقال تعالى: ﴿يَوۡمَ هُم بَٰرِزُونَۖ لَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنۡهُمۡ شَيۡءٞۚ لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦].

وقال رسولُ الله ﷺ: **«اللهم ربَّ السمواتِ السبعِ وربَّ العرشِ العظيم، ربَّنا وربَّ كلِّ شيءٍ، فالقَ الحبِّ والنوى، مُنزلَ التوراةِ والإنجيلِ والقرآنِ، أعوذُ بك من**

---

(١) في تفسيره (٤/٣٦٨).

شر كلِّ دابةٍ أنت آخذٌ بناصيتِها، أنت الأولُ فليس قبلك شيءٌ، وأنت الآخِرُ فليس بعدك شيءٌ، وأنت الظاهِرُ فليس فوقك شيءٌ، وأنت الباطنُ فليس دونك شيءٌ، اقض عني الدَّينَ وأغنني من الفقر». رواه مسلمٌ[1] من حديث أبي هريرةَ ﷺ عن النبي ﷺ.

وفي الصحيحين[2] عن عِمرانَ بنِ حُصينٍ رضي الله عنهما قال: دخلتُ على النبي ﷺ وعقَلتُ ناقتي بالباب، فأتاه ناسٌ من بني تميمٍ فقال: «اقبَلوا البُشرى يا بني تميم»، قالوا: قد بشَّرتنا فأعطِنا، مرتين.

ثم دخل عليه ناسٌ من أهل اليمن فقال: «اقبلوا البُشرى يا أهلَ اليمن إذ لم يقبَلْها بنو تميم»، قالوا: قبِلْنا يا رسول الله، قالوا: جئناك نسألك عن أول هذا الأمر، قال: «كان اللّهُ ولم يكن شيءٌ غيرَه، وكان عرشُه على الماء، وكتب في الذكر كلَّ شيءٍ، وخلق السمواتِ والأرضَ». الحديث.

وقال عمرُ ﷺ: قام فينا النبيُّ ﷺ مقاماً فأخبرنا عن بدء الخلقِ حتى دخل أهلُ الجنةِ منازلَهم وأهلُ النارِ منازلَهم، حفِظ ذلك مَن حفِظَه ونسِيَه مَن نسِيَه. رواه البخاري[3].

وفي حديث ابن عمرَ[4] ﷺ: «أنه تعالى يطوي السمواتِ بيده ثم يقول: أنا الملكُ أنا الملِكُ، أنا الجبارُ المتكبرُ، أين ملوكُ الأرضِ؟ أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟».

وفي حديث الصُّور: «أنه عز وجل إذا قبض أرواحَ جميعِ خلقِه فلم يبق سواه وحدَه لا شريك له، حينئذ يقول: لمن الملكُ اليوم، ثلاث مرات». ثم يجيب نفسَه

---

(١) في صحيحه (٤/٢٠٨٤ رقم ٢٧١٣).

(٢) البخاري (٦/٢٨٦ رقم ٣١٩٠) و (٦/٢٨٦ رقم ٣١٩١) و(٨/٨٣ رقم ٤٣٦٥) و (٨/٩٨ رقم ٤٣٨٦)، (١٣/٤٠٣ رقم ٧٤١٨).
ولم يخرجه مسلم في صحيحه كما ذكر المصنف.
قلت: وأخرجه ابن خزيمة في «كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل».

(٣) في صحيحه معلقاً (٦/٢٨٦ ـ ٢٨٧ رقم ٣١٩٢).
ووصله الحافظ في «تغليق التعليق» (٣/٤٨٨).

(٤) أخرجه البخاري (١٣/٣٩٣ رقم ٧٤١٢) ومسلم (٤/٢١٤٨ رقم ٢٧٨٨).

قائلاً: «**لله الواحدِ القهار**»[1]، أي الذي هو وحده قد قهر كلَّ شيء وغلبَه.

ولابن أبي حاتم[2] عن ابن عباس ﷺ قال: «ينادي مُنادٍ بين يدي الساعة: يا أيها الناسُ أتتكُم الساعَةُ، فيسمعه الأحياءُ والأمواتُ. قال: وينزل اللّه عز وجل إلى السماء الدنيا ويقول: **لمن الملكُ اليوم؟ للّهِ الواحد القهار**».

قال ابنُ القيم[3] رحمه الله تعالى في أثناء كلامِه على هذه الأسماءِ الأربعةِ وهي الأولُ والآخِرُ والظاهرُ والباطن: «هي أركانُ العلمِ والمعرفة، فحقيقٌ بالعبد أن يبلُغَ في معرفتها إلى حيثُ ينتهي به قُواه وفهمُه.

واعلم أن لك أنت أولاً وآخِراً وظاهراً وباطناً بل كلُّ شيءٍ فله أولٌ وآخرٌ وظاهرٌ وباطنٌ، حتى الخطْرةُ واللحظةُ والنفسُ وأدنى من ذلك وأكثرُ، فأوليةُ اللّهِ عز وجل سابقةٌ على أولية كلِّ ما سواه، وآخِريّتُه ثابتةٌ بعد آخِريَةِ كلِّ ما سواه، فأوليتُه سبقُه لكل شيء، وآخريتُه بقاؤُه بعد كلِّ شيء، وظاهريتُه سبحانه فوقيتُه وعلُوُه على كل شيء، ومعنى الظهور يقتضي العُلوَّ، وظاهرُ الشيء هو ما علا منه وأحاط بباطنه، وبطونُه سبحانه إحاطتُه بكل شيء بحيث يكون أقربَ إليه من نفسه، وهذا قربٌ غيرُ قربِ المُحبِّ من حبيبه، هذا لونٌ وهذا لون، فمدارُ هذه الأسماءِ الأربعةِ على الإحاطة، وهي إحاطتان: زمانيةٌ ومكانية.

فإحاطةُ أوليتِه وآخريتِه بالقَبل والبَعد، فكلُّ سابقٍ انتهى إلى أوليتِه، وكلُّ آخِرٍ انتهى إلى آخريته، فأحاطت أوليتُه وآخريتُه بالأوائل والأواخِرِ، وأحاطت ظاهريتُه

---

(١) وهو جزء من حديث طويل من رواية أبي هريرة. وسيأتي بتمامه في أحاديث الصور.

(٢) قال ابن كثير في تفسيره (٤/ ٨١): «وقد قال ابن أبي حاتم: حدثنا محمد بن غالب الدقاق، حدثنا عبيد بن عبيدة، حدثنا معتمر، عن أبيه، حدثنا أبو النضر، عن ابن عباس ﷺ قال: فذكره... رجاله ثقات سوى (عبيد بن عبيدة).
قال الحافظ في «اللسان» (٤/ ١٢٠ ـ ١٢١ رقم ٢٥٦): «عبيد بن عبيدة التمار بصري، يروي عن المعتمر بن سليمان... يغرب كذا قال ابن حبان في «الثقات» (٨/ ٤٣١).
وقال الدارقطني في «العلل»: (١١/ ٢٩٦ س٢٢٩٣)... عبيد بن عبيدة ثقة بصري.
وقال: عبيد يحدث عن معتمر بغرائب لم يأتِ بها غيره...».
قلت: وقد تصحف (أبو نضرة العبدي) إلى أبي النضر. فتنبَّه.

(٣) في كتابه: «طريق الهجرتين» (ص٢٤).

وباطنيتُه بكل ظاهرٍ وباطن، فما من ظاهر إلا واللّهُ فوقه وما من باطن إلا واللّهُ دونه، وما من أول إلا واللّهُ قبله وما من آخر إلاّ والله بعده.

فالأولُ قِدَمُه، والآخِرُ دوامُه وبقاؤه، والظاهرُ علوُّه وعظمتُه، والباطنُ قربُه ودنُوُّه، فسبَقَ كلَّ شيءٍ بأوليته وبقيَ بعد كلِّ شيءٍ بآخريته، وعلا على كل شيءٍ بظهوره، ودنا من كل شيءٍ ببُطونه، فلا تُواري منه سماءٌ سماءً ولا أرضٌ أرضاً، ولا يحجُبُ عنه ظاهرٌ باطناً، بل الباطنُ له ظاهرٌ والغيبُ عنده شهادةٌ، والبعيدُ منه قريبٌ والسرُّ عنده علانية، فهذه الأسماءُ الأربعةُ تشتمل على أركان التوحيدِ، فهو الأولُ في آخريته والآخرُ في أوليته، والظاهرُ في بطونِه والباطنُ في ظهوره، لم يزل أولاً وآخِراً وظاهراً وباطناً».

ثم ساق الكلامَ على التعبد بهذه الأسماءِ فشفَى وكفَى رحمه الله تعالى، ولكن قد أحاط بذلك المعنى تفسيرُ رسولِ الله ﷺ في حديث أبي هريرةَ المتقدمِ قريباً بأوجز عبارةٍ وأخصرِها، فسبحان مَن خصَّه بجوامع الكلم ﷺ.

(الأحدُ الفردُ القديرُ الأزليّ	الصمدُ البَرُّ المهيمنُ العليّ)
(عُلوّ قهرٍ وعلوّ الشانِ	جلّ عن الأضدادِ والأعوانِ)
(كذا له العلوُّ والفوقيّة	على عباده بلا كيفيّة)

[الأحد الفرد في إلهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته]

(الأحدُ الفردُ) الذي لا ضِدَّ له، ولا نِدَّ له ولا شريكَ له في إلهيته وربوبيتِه، ولا متصرِّفَ معه في ذرة من ملكوته، ولا شبيهَ له ولا نظير له في شيء من أسمائه وصفاتِه.

فهو أحدٌ في إلهيته ولا معبودَ بحق سواه، ولا يستحق العبادةَ إلا هو، ولذا قضى ألا نعبدَ إلا إياه، وهو أحدٌ في ربوبيته فلا شريكَ له في ملكه ولا مُضادَّ ولا مُنازِعَ ولا مُغالبَ.

أحدٌ في ذاتِه وأسمائِه وصفاتِه فلا شبيهَ له ولا مثيلَ، ليس كمثله شيءٌ وهو السميع البصير. يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يُحيطون به علماً.

فكما أنه الأحدُ الفردُ في ذاته وإلهيتِه وربوبيتِه وأسمائِه وصفاتِه، فهو المتفردُ

في ملكوته بأنواع التصرفاتِ من الإيجاد والإعدامِ والإحياء والإماتةِ والخلقِ والرزقِ والإعزازِ والإذلالِ والهدايةِ والإضلالِ والإسعادِ والإشقاءِ والخفْضِ والرفعِ والعطاءِ والمنْعِ والوصْلِ والقطْعِ والضُرِّ والنفع.

فلو اجتمع أهلُ السمواتِ السبعِ والأرضينَ السبعِ ومَن فيهن وما بينهما على إماتةِ مَنْ هو مُحْييهِ أو إعزازِ من هو مُذِلُّه أو هدايةِ من هو مُضِلُّه أو إسعادِ مَن هو مُشْقيه، أو خفْض من هو رافعُه أو وصلِ من هو قاطعُه، أو إعطاءِ من هو مانعُه أو ضرِّ من هو نافعُه، أو عكسِ ذلك، لم يكن ذلك بممكن في استطاعتهم، وأنّى لهم ذلك والكلُّ خلقُه ومُلكُه وعبيدُه وفي قبضته وتحت تصرّفِه وقهرِه، ماضٍ فيهم حكمُه، عدلٌ فيهم قضاؤُه نافذةٌ فيهم مشيئتُه لا امتناعَ لهم عما قضاه ولا خروجَ لهم من قبضته، ولا تَحرّكُ ذرةٌ في السمواتِ والأرضِ ولا تسْكُن إلا بإذنِه، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن.

فسُحقاً لأصحاب السعير كيف جحدوا بآياته وأشركوا في إلهيته وربوبيتِه مَن هو مخلوقٌ مربوب مثلُهم لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً، واتخذوهم من دونه أرباباً وأنداداً، سوَّوْهم به وعدَلوهم به واعتقدوا أنهم متصرفون معه في ملكوته وعبدوهم مِن دونه، وهم يرَون ويعلمون أنهم مُحدَثون بعد أن لم يكونوا، مَسْبوقون بالعدم عاجزون عن القيام بأنفسهم، فقراءُ إلى مَن يقوم بهم.

وألحدوا في أسماء اللّهِ وصفاتِه وآياتِه على اختلافِهم في صناعةِ الإلحادِ، فبين مُشبِّهٍ له تعالى بالعدم وهم نُفاةُ أسمائِه وصفاتِه بل هم نُفاةُ وجودِ ذاتِه، وبين مُشبهٍ له بالمخلوقات ممثّلٍ صفاتِه تعالى بصفات الحادثاتِ المحدثاتِ حاكمين عليه بعقولهم واصفين له بما لم يصِف به نفسَه.

وآخرون جحدوا إرادتَه ومشيئتَه النافذة وقدرتَه الشاملةَ وأفعالَه وحكمتَه وحمْدَه، وجعلوا أنفسَهم هم الفاعلين لما شاءوا، الخالقين لما أرادوا من دون مشيئةٍ لله ولا إرادةٍ، وجحدوا أن يكون اللّهُ خلقَهم وما يعملون.

وآخرون جعلوا قضاءَه وقدَره حجةً لهم على ترك أوامره ونواهيه، وأنهم لا قُدرةَ لهم ولا اختيار، وأنه كلفهم بفعل ما لا يطاق فعلُه وتركِ ما لا يُطاق تركُه،

وجعلوا معاصيَه طاعاتٍ إذ وافقت مشيئتَه الكونيةَ وقدَرَه الكونيَّ فخاصموه بمشيئته وأقداره وعطّلوا أوامرَه ونواهيَه ونسبوه إلى الظلم تعالى، وأن تعذيبه مَن لم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسولُ الله ولم يقم الصلاةَ ولم يؤتِ الزكاةَ ولم يصُم ولم يحُجَّ ولم يعمل الطاعاتِ ولم يترك المعاصيَ كتعذيب الذكر لم يصِرْ أنثى والأنثى لم تصِرْ ذكراً، وأن أمرَهم بالصلاة وغيرِها كأمر الآدميِّ بالطيران والأعمى بنقط المصاحفِ، أولئك خُصَماءُ الله يوم القيامة، تعالى الله عما يقول الظالمون والجاحدون، علواً كبيراً.

ورضي الله عن المؤمنين إذ عرَفوه حقَّ معرفتِه وقدّروه حقَّ قدرِه ووحّدوه بإلهيته وربوبيتِه وأسمائِه وصفاتِه، وأثبتوا له ما أثبته لنفسِه، ونفَوا عنه التمثيلَ، وآمنوا بقضائِه وقدرِه وتلقَّوْه بالرِّضا والتسليم، وأن ذلك موجبُ ربوبيتِه ومقتضى إلهيتِه واللائقُ بحكمتِه وحمْدِه، وتلقوا أمرَه بالسمعِ والطاعةِ والامتثالِ والانقيادِ، ووقفوا عند نواهيه وحدودِه فلم يعتدوها، ونزّلوا كلّاً من القدر والشرعِ منزلته ولم ينصِبوا الخصامَ بينهما.

فالقضاءُ والقدرُ يؤمَنُ به ولا يُحتج به، والأمرُ والنهيُ يُطاع ويُمتثل، فالإيمانُ بالقدر من كمالِ التوحيدِ وشهادةِ أن لا إله إلا الله، والقيامُ بالأمرِ والنّهيِ موجبُ شهادةِ أن محمداً رسولُ الله، فمن لا يؤمن بالقضاء والقدرِ وينقادُ للأمرِ والنّهي فهو مكذبٌ بالشهادتين ولو نطَق بهما بلسانه.

وهذا البحثُ سيأتي تفصيلُه عن قريب إن شاء الله في موضعه، وإنما ساقنا إليه هاهنا الكلامُ على كمالِ أحديةِ اللّهِ عز وجل في إلهيتِه وربوبيتِه وأسمائِه وصفاتِه وأفعالِه وقدَرِه وشرعِه، وأنه لا مُعارضَ لمشيئته ولا معقّبَ لحكمه، وأن المخلوقَ لا تصرُّفَ له في نفسه فضلاً عن غيره ولا قدرةَ له على ما لم يُقْدِرْه الله تعالى عليه، فكيف يسوّي به ويعدِل به ويُشرك معه في إلهيتِه أو ينسُبُ إليه التصرفَ في شيء من ملكوته.

وكم يقيم الحجةَ تبارك وتعالى على من أشرك معه إلهاً غيرَه بأحديَّته في الربوبية والأسماءِ والصفاتِ وإقرارِ المشركِ بها، وأن آلهتَه التي أشرك لا تتصف بشيء منها، ويُلزِمه إفرادَه بالألوهية الملازمةِ للربوبية كما قال تعالى: ﴿رَبُّ

﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا﴾ [مريم: ٦٥].

وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ ثُمَّ رَزَقَكُمۡ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡۖ هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفۡعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيۡءٖۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [الروم: ٤٠]، وقال تعالى: ﴿قُلۡ هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥۚ قُلِ ٱللَّهُ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ﴿٣٤﴾ قُلۡ هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهۡدِي لِلۡحَقِّۗ أَفَمَن يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهۡدَىٰۖ فَمَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [يونس].
إلى غير ذلك من الآيات.

(القدير) الذي له مُطلقُ القُدرةِ وكمالُها وتمامُها، الذي ما كان ليُعجِزَه من شيء في الأرض ولا في السماء، الذي ما خلق الخلقَ ولا بعثهم في كمال قدرتِه إلا كنفسٍ واحدة، الذي إنما أمرُه إذا أراد شيئاً أن يقولَ له كن فيكون، الذي يبدأ الخلقَ ثم يعيده وهو أهونُ عليه، الذي يمسك السمواتِ والأرضَ أن تزولا ولئن زالتا إنْ أمسكهما من أحد من بعده، ويُمسك السماءَ أن تقعَ على الأرضِ إلا بإذنه، الذي وسِع كرسيُّه السمواتِ والأرضَ ولا يؤودُه حِفظُهما، أي لا يُكرثه ولا يُثقله، الفعالُ لما يشاء إذا شاء كيف شاء في أي وقتٍ شاء، قال الله تعالى: ﴿إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأۡتِ بِـَٔاخَرِينَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرٗا﴾ [النساء: ١٣٣].

وقال تعالى بعد الكلام على البدء والإعادةِ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ﴾ [الحج: ٦٢] الآية.

وقال تعالى بعد الكلام على هذا المعنى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [الحج: ٦]، وقال تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَكَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعۡجِزَهُۥ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمٗا قَدِيرٗا﴾ [فاطر: ٤٤]. وقال تعالى: ﴿مَّا خَلۡقُكُمۡ وَلَا بَعۡثُكُمۡ إِلَّا كَنَفۡسٖ وَٰحِدَةٍۗ﴾ [لقمان: ٢٨].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]، وقال تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَلَمۡ يَعۡيَ بِخَلۡقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحۡـِۧيَ ٱلۡمَوۡتَىٰۚ بَلَىٰٓۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [الأحقاف: ٣٣]، وقال تعالى: ﴿أَفَعَيِينَا بِٱلۡخَلۡقِ ٱلۡأَوَّلِۚ بَلۡ هُمۡ فِي لَبۡسٖ مِّنۡ خَلۡقٖ جَدِيدٖ﴾ [ق: ١٥]. وقال: ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ [ق: ٣٨].

وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا﴾ [الطلاق: ١٢]. وقال تعالى: ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يس].

وقال تعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الملك: ١]. وقال تعالى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٤١﴾﴾ [المعارج]. وقال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١٨].

وقال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فصلت: ٣٩]. وقال تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ ۖ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾﴾ [العنكبوت].

والآياتُ في هذا البابِ كثيرةٌ يطولُ ذكرُها، بل كلُّ آياتِ اللّهِ الظاهرةِ والمعنويةِ، وجميعُ مخلوقاتِه العلويةِ والسُّفليةِ تدل على كمال قدرتِه الشاملةِ التي لا يخرج عنها مثقال ذرة، كما أنه لا يعزُب عن علمه مثقالُ ذرةٍ، وعبارةُ العبدِ تقصُر عن ذلك المعنى العظيمِ، وكفى العبدَ دليلاً أن ينظُرَ في خلق نفسِه كيف قدّره أحكمُ الحاكمين وخلقه في أحسن تقويم، وشق له السمعَ فسمِع والبصرَ فأبصر واللسانَ فنطقَ والفؤادَ فعقَل إلى غير ذلك.

فكيف إذا سرح قلبُه في عجائب الملكوتِ، ونظر بعين بصيرتِه إلى مُبدعاتِ الحيِّ الذي لا يموت، ورأى الآياتِ الباهرةَ والبراهينَ الظاهرةَ على كمال قدرةِ ذي العزةِ والجبروت: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٥].

وفي حديث الاستخارة المتفق عليه[1]: **«اللهم إني أستخيرُك بعلمك وأستقدِرُك بقدرتِك، وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدر ولا أقدِر، وتعلم ولا أعلمْ»**. الحديث.

(الأزليّ) بذاته وأسمائِه وصفاتِه الذي لا ابتداءَ لأوليته ولا انتهاءَ لآخريته، وليس شيءٌ من أسمائه وصفاتِه متجدّداً حادثاً لم يكن قبل ذلك، كذلك له كمالُ الربوبيةِ ولا مربوبٌ، واسمُ الخالقِ ولا مخلوقٌ، هو العليمُ قبل إيجادِه المعلوماتِ والسميعُ قبل إيجادِه المسموعاتِ، والبصيرُ قبل إيجادِه المُبصراتِ، وكذلك سائرُ أسمائِه وصفاتِه أزليةٌ بأزلية ذاتِه، باقيةٌ ببقاء ذاتِه، لم يزل متصفاً بها في أوليته، وكذلك لم يزل متصفاً بها في سَرْمديته.

ليس بعد خلقِ الخلقِ استفادَ اسمَ الخالِق، ولا بإحداثه البريةَ استفادَ اسمَ الباري، بل هو سبحانه الخالقُ قبل خلْقِ المخلوقين، والرزّاقُ قبل وجودِ المرزوقين، وهو المُحيي المُميتُ قبل خلقِه الموتَ والحياةَ، وكذلك وصف نفسَه تبارك وتعالى فقال: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ [فاطر: ٤٤]، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٩٦، ١٠٠، ١٥٢، الفتح: ١٤، الفرقان: ٧٠، والأحزاب: ٥، ٥٠، ٥٩، ٧٣]، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٥٨، ١٦٥، الفتح: ٧، ١٩]، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [النساء: ١٣٤]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٤]. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾ [النساء: ٣٤]. إلى غير ذلك. قال ابنُ عباس: أي لم يزل كذلك. اهـ.

ولا يجوز أن يُعتقد أن الله تعالى وُصف بصفة لم يكن متصفاً بها لأن صفاتِه

---

(١) * أخرجه البخاري رقم (١١٦٢) ورقم (٦٣٨٢) ورقم (٧٣٩٠).
قلت: ولم يخرجه مسلم.
* قال النووي في «الأذكار» (ص٢١٣):
قال العلماءُ: تُستحب الاستخارةُ بالصلاة والدُعاء المذكور، وتكون الصلاة ركعتين من النافلة، والظاهر أنها تحصل بركعتين من السنن الرواتب، وبتحيَّة المسجد وغيرها من النوافل، ويقرأ في الأولى بعد الفاتحة: «قل يا أيها الكافرون»، وفي الثانية: «قل هو الله أحد». ولو تعذرت عليه الصلاة استخار بالدعاء.
ويُستحبُ افتتاح الدعاء المذكور وختمه بالحمد والصلاة والتسليم على رسوله صلّى الله عليه وسلّم.
ثم إن الاستخارة مستحبة في جميع الأمور كما صرّح به نصُّ هذا الحديث الصحيح.
وإذا استخار، مضى لما ينشرح له صدره. والله أعلم». اهـ.

سبحانه كلُّها صفاتُ كمالٍ وفقدانُها صفةُ نقصٍ، ولا يجوز كونُه قد حصل له الكمالُ بعد أن كان متصفاً بضده، وتقدم في الأزلية حديثُ عِمرانَ بنِ حُصينٍ[1] رضي الله عنهما في بدء الخلق: «**كان الله ولم يكن شيءٌ غيرَه وكان عرشُه على الماء**».

[الصمد الذي يصمد إليه الخلائق في حوائجهم]

(**الصمد**) قال عِكرِمةُ عن ابنِ عباس[2]: (يعني الذي يصمُد إليه الخلائقُ في حوائجهم ومسائِلِهم).

وقال عليُّ بن أبي طلحةَ عن ابن عباس[3]: (هو السيدُ الذي قد كمُل في سُؤْدُدِه، والشريفُ الذي قد كمُل في شرَفه، والعظيمُ الذي قد كمُل في عظمته، والحليمُ الذي قد كمُل في حِلمه، والعليمُ الذي قد كمُل في علمه، والحكيمُ الذي قد كمُل في حكمته، وهو الذي قد كمل في أنواع الشرف والسُؤْددِ وهو الله سبحانه، هذه صفتُه لا تنبغي إلا له)، ليس له كفؤٌ وليس كمثله شيءٌ، سبحان اللّهِ الواحدِ القهار.

وعن أبي وائل[4]: («الصمد» الذي قد انتهى سُؤْدُدُه). ورواه ابن مسعود رضي الله عنه.

وعن زيد بنِ أسلمَ[5]: الصمدُ السيدُ. وقال الحسنُ وقَتادةُ[4]: هو الباقي بعد خلقِه.

وقال الحسن[4] أيضاً: الصمدُ الحيُّ القيومُ الذي لا زوالَ له. وقال عِكرِمَةُ[6]: الصمدُ الذي لم يخرُجْ منه شيءٌ ولم يَطْعَم.

---

(١) تقدم تخريجه قريباً وهو حديث صحيح.
(٢) ذكره ابن كثير في تفسيره (٤/ ٦٠٩).
(٣) أخرجه ابن جرير الطبري في «جامع البيان» (٣٠/ ٣٤٦) بسند منقطع، لأن علي بن أبي طلحة لم يسمع من ابن عباس.
وذكره أيضاً ابن كثير في تفسيره (٤/ ٦٠٩).
(٤) أخرجه ابن جرير الطبري في «جامع البيان» (٣٠/ ٣٤٦).
وذكره ابن كثير في تفسيره (٤/ ٦١٠). وذكره البخاري تعليقاً «الفتح» (٨/ ٧٣٩ باب رقم ٢). ووصله ابن حجر في «الفتح» فقال: وقد وصله الفريابي من طريق الأعمش عنه. وجاء أيضاً من طريق عاصم عن أبي وائل فوصله بذكر ابن مسعود فيه.
(٥) ذكره ابن كثير في تفسيره (٤/ ٦١٠).
(٦) أخرجه ابن جرير الطبري في «جامع البيان» (٣٠/ ٣٤٥).

وقال ابن مسعودٍ[1] وابن عباسٍ[2] وسعيدُ بنُ المسيَّبِ[3] ومجاهدٌ[4] وعبدُ الله بنُ بريدَةَ[5] وعكرمةُ[5] أيضاً وسعيدُ بنُ جبيرٍ[5] وعطاءُ بنُ أبي رباحٍ[6] وعَطيةُ العَوْفي[7] والضحاكُ[8] والسُدّي[9]: الصمدُ الذي لا جوفَ له.

وقال الشعبي[10]: هو الذي لا يأكل الطعامَ ولا يشرب الشرابَ. وقال عبد الله بنُ بريدةَ[11] أيضاً: الصمدُ نورٌ يتلألأ.

قال ابنُ كثير[12] رحمه الله تعالى: «رُوي ذلك كلُّه وحكاه ابنُ أبي حاتمٍ والبيهقيُّ والطبراني، وكذا أبو جعفرِ بنِ جريرٍ ساق أكثرَ ذلك بأسانيده».

وقال الطبرانيُّ في كتاب السنةِ[13] له بعد إيرادِه كثيراً من هذه الأقوالِ في تفسير الصمد: «وكلُّ هذه صحيحةٌ، وهي صفاتُ ربِّنا عز وجل، وهو الذي يُصمَد إليه في الحوائج، وهو الذي قد انتهى سُؤدُدُه، وهو الصمدُ الذي لا جوفَ له ولا يأكلُ ولا يشرب وهو الباقي بعد خلقِه. وقال البيهقي نحوَ ذلك».

وقال الترمذيُّ[14] رحمه الله تعالى: حدثنا أحمدُ بنُ مَنيعٍ أخبرنا أبو سعدٍ هو

---

(١) ذكره ابن كثير في تفسيره (٤/ ٦١٠).
(٢) أخرجه ابن جرير الطبري في «جامع البيان» (٣٠/ ٣٤٤) وعطية ضعيف.
(٣) أخرجه ابن جرير الطبري في «جامع البيان» (٣٠/ ٣٤٥).
(٤) أخرجه ابن جرير الطبري في «جامع البيان» (٣٠/ ٣٤٤) من طرق خمس.
(٥) أخرجه ابن جرير الطبري في «جامع البيان» (٣٠/ ٣٤٥).
(٦)(٧) ذكره ابن كثير في تفسيره (٤/ ٦١٠).
(٨) أخرجه ابن جرير الطبري في «جامع البيان» (٣٠/ ٣٤٥).
(٩) ذكره ابن كثير في تفسيره (٤/ ٦١٠).
(١٠) أخرجه ابن جرير الطبري في «جامع البيان» (٣٠/ ٣٤٥).
(١١) ذكره ابن كثير في تفسيره (٤/ ٦١٠).
(١٢) في تفسيره (٤/ ٦١٠).
(١٣) ذكر ذلك ابن كثير في تفسيره (٤/ ٦١٠).
(١٤) **وهو حديث صحيح لغيره.**
أخرجه الترمذي (٥/ ٤٥١ ـ ٤٥٢ رقم ٣٣٦٤) وأحمد في «المسند» (٥/ ١٣٣ ـ ١٣٤) والبخاري في «التاريخ الكبير» (١/ ٢٤٥) وابن أبي عاصم في «السنة» (١/ ٢٩٧ ـ ٢٩٨ رقم ٦٦٣) وابن جرير في «جامع البيان» (٣٠/ ٣٤٢) وابن أبي حاتم في تفسيره كما في «مجموع الفتاوى» (١٧/ ٢١٥) والبيهقي في «الأسماء والصفات» (ص٤٩ ـ ٥٠)، وأبو الشيخ في=

الصنعانيُّ عن أبي جعفرٍ الرازيِّ عن الربيع بنِ أنسٍ عن أبي العاليةِ عن أُبيِّ بنِ كعْبٍ أن المشركين قالوا لرسول الله ﷺ: انسُبْ لنا ربَّك، فأنزل الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾ [الإخلاص]. والصمدُ الذي لم يلِد ولم يولد؛ لأنه ليس شيءٌ يولد إلا سيموتُ، وليس شيءٌ يموتُ إلا سيورَث، وإن اللّهَ تعالى لا يموت ولا يورث. ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ٤]، قال: لم يكن له شبيهٌ ولا عِدْلٌ وليس كمثلِه شيءٌ.

حدثنا عبدُ بنُ حميدٍ أخبرنا عبيدُ اللّهِ بنُ موسى عن أبي جعفرٍ الرازيِّ عن

= «العظمة» (١/ ٣٧٢ ـ ٣٧٤ رقم ٨٨/٨) والدارمي في «الرد على الجهمية» (ص١٠) وابن عدي في «الكامل» (٦/ ٢٢٣١) والعقيلي في «الضعفاء» (٤/ ١٤١) والخطيب في «تاريخ بغداد» كلهم من طريق أبي سعيد محمد بن ميسر الصاغاني، عن أبي جعفر الرازي به.
قال الألباني في «ظلال الجنة» (١/ ٢٩٨): «إسناده ضعيف»، لسوء حفظ أبي جعفر الرازي.
وأبو سعد الخراساني هو محمد بن ميسر الجعفي الصاغاني البلخي الضرير، ضعفه غير واحد ولكنه قد توبع.
ثم قال: تابعه محمد بن سابق ثنا أبو جعفر الرازي بتمامه.
أخرجه الحاكم (٢/ ٥٤٠) وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي.
قلت: وأخرجه البيهقي في «الاعتقاد» (ص١٥) وفي شعب الإيمان (١/ ١١٣ ـ ١١٤ رقم ١٠١).
وقد عرفت أنه ليس كذلك، لضعف الرازي، على أن الترمذي قد أعله بعلة أخرى، وهي الإرسال.
فإنه رواه ـ (٥/ ٤٥٢ رقم ٣٣٦٥) ـ من طريق عبيد الله بن موسى عن أبي جعفر الرازي... فذكره دون قوله: «عن أبي بن كعب» يعني أنه أرسله.
وقال الترمذي: «وهذا أصح من حديث أبي سعد».
قلت: وأعله البخاري أيضاً بالإرسال، وقال في أبي سعد: فيه اضطراب. (التاريخ الكبير: ١/ ٢٤٥).
(*) وللحديث شاهد من حديث جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ: «قل هو الله أحد» في كل يوم خمسين مرة نودي يوم القيامة من قبره قم فادخل الجنّة».
أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٦/ ٨٩ رقم ٣٤٢٢ ـ مجمع البحرين)، وأبو يعلى في «المسند» (٤/ ٣٨ رقم ٢٧٨/ ٢٠٤٤) إلا أنه قال: إن أعرابياً أتى النبي ﷺ فقال: انسب الله! فقال: «أنسب الله»، فأنزل الله:
﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١].
وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٤٦) وقال: وفيه مجالد بن سعيد. قال ابن عدي: له عن الشعبي، عن جابر، وبقية رجاله رجال الصحيح.
والخلاصة باجتماع هذه الطرق يصح الحديث لغيره إن شاء الله.

الربيع عن أبي العاليةِ[1] أن النبيّ ﷺ ذكر آلهتَهم فقالوا: انسُب لنا ربَّك، قال: فأتاه جبريلُ عليه السلام بهذه السورةِ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١]. فذكر نحوه ولم يذكر فيه أُبيَّ بنَ كعْب، وهذا أصحُّ من حديث أبي سعيدٍ.اهـ.

قلت: وهذه السورةُ العظيمةُ التي قال فيها النبيُّ ﷺ: **«إنها تعدل ثُلثَ القرآنِ»**[2]، مشتملةٌ على توحيد الإلهيةِ والربوبيةِ والأسماءِ والصفاتِ، جامعةٌ بين الإثباتِ لصفات الكمالِ وبين التنزيهِ له تعالى عن الأشباه والأمثالِ، متضمنةٌ الردَّ على جميع طوائفِ الكفرِ من الدهرية والوثنيةِ والملاحدةِ من المشبّهة والمُعطّلَة وأهلِ الحلولِ والاتحادِ، ومن نسبَ له الصاحبةَ والولدَ وغيرِهم، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً. والله أعلم.

(البَرّ) وصْفاً وفعلاً، قال ابن عباس[3]: اللطيفُ. وقال الضحاك[4]: الصادقُ فيما وعَد.

[المهيمن على عباده بأعمالهم]

(المهيمن) قال ابنُ عباس ومجاهدٌ وقَتادةُ والسُّديُّ ومقاتلٌ: هو الشهيدُ على عباده بأعمالهم[5]، يقال: هَيمَن يُهيمِنُ، فهو مُهيمِنٌ إذا كان رقيباً على الشيء كما قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [البروج: ٩]. وقولِه: ﴿ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ﴾ [يونس: ٤٦]. وقال: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الرعد: ٣٣].

وقال الحسن: الأمينُ. وقال الخليلُ: هو الرقيبُ الحافظُ. وقال ابن زيد: المصدِّق. وقال سعيدُ بنُ المسيِّب والضحاكُ: القاضي. وقال ابنُ كَيسان: هو اسمٌ من أسماء اللّهِ تعالى في الكتب، واللّهُ أعلمُ بتأويله[4] اهـ.

[العلي علوّ قهر وعلوّ شأن]

(العلي) فكلُّ معاني العلوِّ ثابتةٌ له، **(علوّ قهرٍ)** فلا مُغالبَ له ولا منازعَ، بل

---

(١) تقدم تخريجه ضمن النقطة المتقدمة.
(٢) أخرجه البخاري (٩/ ٥٨ رقم ٥٠١٣) و(١١/ ٥٢٥ رقم ٦٦٤٣) (١٣/ ٣٤٧ رقم ٧٣٧٤) من حديث أبي سعيد الخدري.
(٣) ذكره البغوي في «معالم التنزيل» (٧/ ٣٩١).
(٤) ذكره البغوي في «معالم التنزيل» (٧/ ٣٩١).
(٥) ذكر ذلك عنهم البغوي في «معالم التنزيل» (٨/ ٨٧).

كلُّ شيءٍ تحت سلطانِ قهرِه: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٞۖ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ﴾ [ص: ٦٥]. ﴿لَّوۡ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدٗا لَّٱصۡطَفَىٰ مِمَّا يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ سُبۡحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ﴾ [الزمر: ٤].

وقد جمعَ اللّهُ تعالى بين علوِّ الذاتِ والقهرِ في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ﴾ [الأنعام: ١٨]. أي وهو الذي قهر كلَّ شيءٍ وخضعَ لجلاله كلُّ شيء، وذل لعظمته وكبريائِه كلُّ شيء، وعلا بذاته على عرشه فوق كلِّ شيء.

(وعلوّ الشان) فتعالى عن جميع النقائِص والعيوبِ المنافيةِ لإلاهيته وربوبيتِه وأسمائِه الحسنى وصفاتِه العُلى.

تعالى في أحديّته عن الشريك والظهيرِ والوليِّ والنصير، وتعالى في عظمته وكبريائِه وجبروتِه عن الشفيع عنده بدون إذنِه والمجيرِ، وتعالى في صمديته عن الصاحبة والولدِ والوالدِ والكُفء والنظير، وتعالى في كمال حياتِه وقيّوميتِه وقُدرتِه عن الموت والسِّنةِ والنومِ والتعبِ والإعياء، وتعالى في كمالِ علمِه عن الغفلة والنسيانِ وعن عُزوب مثقالِ ذرةٍ عن علمه في الأرض أو في السماء.

وتعالى في كمال حكمتِه وحمدِه عن الخلق عبثاً، وعن ترك الخلق سُدىً بلا أمر ولا نهي ولا بعْثٍ ولا جَزاءٍ، وتعالى في كمال عدْله عن أن يظلِمَ أحداً مثقالَ ذرةٍ أو أن يهضِمَه شيئاً من حسناتِه، وتعالى في كمال غناه عن أن يُطعَم أو يُرزَقَ أو أن يفتقِر إلى غيره في شيء، وتعالى في صفات كمالِه ونُعوتِ جلالِه عن التعطيل والتمثيل.

قال الله تعالى: ﴿وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُۚ﴾ [آل عمران: ٦٢]. وقال تعالى: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: ١٩]. وقال تعالى: ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُم مَّا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ لَهُمۡ شِرۡكٞ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِۖ﴾ [الأحقاف: ٤]. وقال: ﴿لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٢]. وقال تعالى: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا لَهُمۡ فِيهِمَا مِن شِرۡكٖ وَمَا لَهُۥ مِنۡهُم مِّن ظَهِيرٖ﴾ [سبأ: ٢٢].

وقال تعالى: ﴿وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلۡمُلۡكِ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلِيّٞ مِّنَ ٱلذُّلِّۖ﴾ [الإسراء: ١١١]. وقال تعالى: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ۝٣ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ۝٤﴾ [الإخلاص]. وقال تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ

جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾ [الجن: ٣]. وقال تعالى: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]. وقال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨]. وقال تعالى: ﴿مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ﴾ [يونس: ٣].

وقال تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. وقال تعالى: ﴿وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾ [المؤمنون: ٨٨]. وقال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨]. وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ [ق: ٣٨]. وقال تعالى: ﴿أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ ۚ بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [ق: ١٥]. وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأحقاف: ٣٣]. وقال تعالى: ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٧٤، ٨٥، ١٤٠، ١٤٩. آل عمران: ٩٩].

وقال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ﴾ [المؤمنون: ١٧]. وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم: ٦٤]. وقال تعالى عن موسى لما قال له فرعون: ﴿فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾﴾ [طـه]. وقال تعالى: ﴿عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ﴾ [سبأ: ٣]. وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [ص: ٢٧].

وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [الدخان]. وقال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥]. وقال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ [القيامة: ٣٦]. وقال تعالى: ﴿وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا﴾ [النساء: ٤٠]. وقال تعالى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾ [طه: ١١٢]. وقال تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾ [الأنعام: ١٤]. وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ [الذاريات].

وقال تعالى: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥]. وقال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠]. وقال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]. والآياتُ في هذا الباب كثيرةٌ جداً.

وهذان المعنيان من العلوّ لم يخالف فيهما أحدٌ ممن يدّعي الإسلامَ وينتسبُ إليه، وإنما ضل من ضل منهم وأخطأ في التنزيه الذي هو مقصودُه حيث لم يسلُك الطريقَ الموصلةَ إليه، وأحسن الظنَّ بنفسه وعقلِه ومتبوعِه، وأساءه بالكتاب والسنة، وكثيرٌ منهم اغتر بقول كان مقصودُ قائِله الزيغَ والفسادَ والكفرانَ، فحسِب ـ لإحسان الظنِّ به ـ أن مقصودَه التحقيقُ والإيمانُ والعِرفانُ، واتبعوا السُبلَ المُضِلّةَ فتفرقت بهم عن صراط الرحمنِ.

فمنهم من نزّهه تعالى عن فوقيته على عرشه بائناً من خلقه ووقع في أعظمَ من ذلك حيث اعتقد أنه في كل مكان، ولم ينزهه حتى عن الأماكن الخسيسة، ومنهم من نزَّهه عن العُلوّ والفوقيةِ وجعله هو الوجودَ بأسره، ومنهم من نزّهه عن وجود ذاتِه ووصفه بالعدم المحْضِ، ومنهم من نزهه عن أفعاله ومشيئتِه فِراراً من وصفه بالظلم، ووقع في تعطيله عن قدرته ونسبتِه إلى العجز وغلا بعضُهم في ذلك حتى أنكرَ علمَه السابقَ ووصفه بضده، ومنهم من غلا في مسألة القدَر وإثباتِه وخاصم به الأمرَ والنهيَ فراراً مما وقع فيه الأولون ووقع في أعظم مِن ذلك: تعطيلِ الشريعةِ ونسبتِه تعالى إلى الظلم وإلى تكليف عبادِه ما لا يُطاق، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

ففروا من الهدى إلى الضلالة، ومن الرُّشد إلى الغَيّ، ومن الإسلام إلى الكفر، ومن السنة إلى البدْعة، ومن النور إلى الظلمات، وضل سعيُهم في الحياة

الدنيا وهم يحسبون أنهم يُحسنون صنعاً، وهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه فجعلوا إمامَهم وقُدوتَهم الكتابَ والسنة وساروا معهما حيث سارا ووقفوا حيث وقفا، فأثبتوا لله ما أثبته لنفسه وأثبته له رسولُه ﷺ من الأسماء الحسنى والصفاتِ العُلا، وآمنوا بالقدر خيرِه وشرِّه وتلقَّوه بالرضا والتسليم، وانقادوا للشريعة فقابلوا أوامرَها ونواهيَها بالامتثال والتعظيم، فما أثبت الله لنفسِه أثبتوه وما نفاه عن نفسه نفوه.

فإذا سمعوا آياتِ الصفاتِ وأحاديثَها قالوا آمنا به كلٌّ من عند ربنا، وإن أحسنوا قالوا الحمدُ لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتديَ لولا أن هدانا الله، وإن إساءوا قالوا ربنا ظلمْنا أنفسَنا وإن لم تغفر لنا وترحَمْنا لنكونن من الخاسرين، وإذا أصابتهم مصيبةٌ قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون.

(كذا) ثابتٌ **(له العلوُ والفوقيَّة)** بالكتاب والسنة وإجماعِ الملائكةِ والأنبياءِ والمرسلين وأتباعِهم على الحقيقة من أهل السنةِ والجماعة.

(على عباده) فوقهم مستوياً على عرشه عالياً على خلقه بائناً منهم، يعلم أعمالَهم ويسمع أقوالَهم ويرى حركاتِهم وسكناتِهم لا تخفى عليه منهم خافيةٌ، والأدلةُ في ذلك من الكتابِ والسنةِ أكثرُ من أن تحصى وأجلُّ من أن تُستقصَى، والفِطَرُ السليمةُ والقلوبُ المستقيمةُ مجبولةٌ على الإقرار بذلك لا تُنكره.

ولْنُشِرْ إلى بعض ذلك إشارةً تدل على ما وراءها وبالله التوفيق.

فمن ذلك أسماؤه الحسنى الدالةُ على ثبوت جميع معانيَ العلوِّ له تبارك وتعالى كاسمه الأعلى واسمِه العَليِّ واسمِه المتعالي واسمِه الظاهر واسمِه القاهرِ وغيرِها.

قال تعالى: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١].

ولما نزلت قال النبيُّ ﷺ: **«اجعلوها في سجودكم»**(١). وقال تعالى: ﴿وَسِعَ

---

(١) وهو حديث ضعيف.
أخرجه أبو داود (١/ ٥٤٢ رقم ٨٦٩) وابن ماجه (١/ ٢٨٧ رقم ٨٨٧) والحاكم (١/ ٢٢٥) والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (١/ ٢٣٥) والبيهقي (٢/ ٨٦) والدارمي (١/ ٢٩٩) وأحمد (٤/ ١٥٥) والطيالسي (ص١٣٥ رقم ١٠٠٠) من طرق عن موسى بن أيوب=

﴿كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾ [النساء: ٣٤]. وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [الحج: ٦٢].

وقال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [سبأ: ٢٣]. وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ﴾ [الشورى: ٥١]. وقال تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ﴾ [الرعد: ٩]. وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ﴾ [الحديد: ٣].

وقال النبي ﷺ في دعائه: «**وأنتَ الظاهرُ فليس فوقك شيءٌ**»[1].

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٨]. وهذه الأسماءُ تدل على ثبوت جميعَ معاني العلوِّ له تبارك وتعالى ذاتاً وقهراً وشأناً.

[استواؤه على العرش]

ومن ذلك التصريحُ بالاستواء على عرشِه كما قال تعالى في سورة الأعراف: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]. وقال تعالى في سورة يونس: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ﴾ [يونس: ٣]. وقال تعالى في سورة الرعد: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ﴾ [الرعد: ٢]. وقال تعالى في سورة طه: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥].

= الغافقي، قال: سمعت عمي، إياس بن عامر يقول: سمعت عقبة بن عامر الجهني يقول: فذكره...

قال الحاكم: «وقد اتفقا على الاحتجاج برواته غير إياس بن عامر وهو مستقيم الإسناد» اهـ.

ورده الذهبي بقوله: «قلت: إياس بالمعروف».

وذكره ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (١/١/٢٨١) ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً.

وقد ضعف الألباني الحديث في الإرواء (٢/ ٤٠ ـ ٤١ رقم ٣٣٤).

(١) تقدم تخريجه.

وقال تعالى في سورة الفرقان: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ [الفرقان: ٥٩]. وقال تعالى في سورة ألم تنزيل السجدة: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ [السجدة: ٤ ـ ٥]. الآية. وقال تعالى في سورة الحديد: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: ٤].

وفي حديث أنس في فضل الجمعةِ وتسميتِه في الآخرة يومَ المزيد الحديث بطوله وفي آخره قال: «**وهو اليومُ الذي استوى فيه ربُّك على العرش**». وقد رواه الشافعيُّ في مسنده[١]، وعبدُ اللهِ بنُ أحمدَ في كتاب السنةِ[٢]، وابنُ خزيمةَ[٣]

---

(١) في مسند الشافعي (١/١٢٦ ـ ١٢٧ رقم ٣٧٤) ترتيب المسند بسند ضعيف.

(٢) (١/٢٥٠ ـ ٢٥١ رقم ٤٦٠) وإسناده ضعيف.

(٣) لم أعثر عليه عند ابن خزيمة؟!.

قلت: وأخرجه الطبراني في «الأوسط» (٢/٣١٤ ـ ٣١٥ رقم ٢٠٨٤).

وأورده الهيثمي في «مجمع البحرين» (٢/١٩٧ ـ ١٩٨ رقم ٩٤٤) وقال: «لم يروه عن نافع إلا ابنه، تفرد به أبو بكر». وأورده أيضاً في «مجمع الزوائد» (٢/١٦٣ ـ ١٦٤) وقال: ورجاله ثقات.

وأورده المنذري في «الترغيب والترهيب» رقم (١٠٢٧) وقال: «رواه الطبراني في «الأوسط» بإسناد جيد».

وأخرجه الآجري في «التصديق بالنظر إلى الله» رقم (٤٥) بسند ضعيف.

والنحاس في «رؤية الله» رقم (٨): بسند ضعيف.

وأخرجه الدارقطني في «رؤية الله» رقم (٦٩، ٧٠، ٧١، ٧٢، ٧٣) وابن أبي شيبة في «المصنف» (٢/١٥٠، ١٥١) والخطيب في «تاريخ بغداد» (٣/٤٢٤، ٤٢٥) وابن عدي في «الكامل» (٤/١٣٧٣) والعقيلي في «الضعفاء» (١/٢٩٢ ـ ٢٩٣) من طرق.

وأخرجه أبو يعلى في مسنده (٧/٢٢٨ ـ ٢٢٩ رقم ٤٢٢٨/١٤٧٣).

وأورده الهيثمي في «المجمع» (١٠/٤٢١) وقال: «رواه البزار ـ رقم (٣٥١٩) والطبراني في «الأوسط» رقم (٢٠٨٤) بنحوه، وأبو يعلى باختصار رقم (٤٠٨٩/١٣٣٤)، ورجال أبي يعلى رجال الصحيح، وأحد إسنادي الطبراني رجاله رجال الصحيح، غير عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان وقد وثقه غير واحد، وضعفه غيرهم، وإسناد البزار فيه خلاف» اهـ. =

وغيرُهم، وقد جمع أبو بكرِ بنُ أبي داودَ طرقَه في جزء، وسيأتي إن شاء اللّهُ تعالى بطوله وألفاظِه في إثبات رؤيةِ المؤمنين ربَّهم تبارك وتعالى.

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«إذا جمع الله تعالى الخلائقَ حاسبَهم فيَميزُ أهل الجنةِ وأهل النارِ وهو تعالى في جنته على عرشه»**. قال محمدُ بنُ عثمانَ الحافظُ(١): هذا حديثٌ صحيحٌ(٢).

وعن قتادةَ بنِ النعمانِ رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: **«لما فرَغ اللّهُ من خلقه استوى على عرشه»**. رواه الخلّالُ في كتاب السنة(٣) بإسناد صحيح على شرط البخاريُّ.

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن اليهودَ أتَوا النبيَّ ﷺ فسألوه عن خلق السمواتِ والأرضِ، فذكر حديثاً طويلاً، قالوا: ثم ماذا يا محمد؟ قال: **«ثم استوى على العرش»**، قالوا: أصبتَ يا محمد، لو أتممْتَ، ثم استراح، فغضِب غضباً شديداً، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ [ق: ٣٨]. رواه ابنُ مِنْده(٤) والحاكمُ(٥) وصححه، وفي إسناده البقالُ ضعفه ابنُ مَعين.

= وأورده الحافظ في «المطالب العالية» رقم (٥٨٠) وعزاه إلى أبي يعلى وجوّد إسناده. كما صحح البوصيري إسناد أبي يعلى.

وصحح الألباني الحديث في «صحيح الترغيب والترهيب» (١/ ٢٩١ رقم ٦٩٤).

انظر فتاوى شيخ الإسلام (٦/ ٤١٠ ـ ٤١٦).

والخلاصة أن للحديث طرقاً كثيرة، وألفاظاً مختلفة. رواه جمع من الأئمة وصححه جماعة من العلماء.

(١) هو محمد بن عثمان بن محمد أبي شيبة العبسي أبو جعفر الكوفي. مات ببغداد عن نيِّف وثمانين سنة. انظر: [الأعلام (٦/ ٢٦٠) والميزان (٣/ ٦٤٢ ترجمة ٧٩٣٤)].

(٢) ذكره ابن القيم في «اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية» (ص٥٥).

(٣) عزاه إلى الخلال ابن القيم في «اجتماع الجيوش» (ص٥٤) وقال: **«إسناده صحيح على شرط البخاري»**.

وعزاه إلى الخلال الذهبي في «العلو للعلي الغفار في صحيح الأخبار وسقيمها» (ص٥٢) وقال: **«رواته ثقات»**.

(٤) لم أعثر عليه عند ابن منده في «الإيمان» ولا في «التوحيد» ولا في «الرد على الجهمية» والله أعلم.

(٥) في «المستدرك» (٢/ ٥٤٣) وقال الحاكم: **هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه**.

ورده الذهبي بقوله: «وأنّى ذلك والبقال قد ضعفه ابن معين والناس».

وقال الحافظ في «التقريب» (١/ ٣٠٥ رقم ٢٥٢): «سعيد بن مرزبان العبسي مولاهم، أبو=

وعن أبي رَزِينٍ العُقيليِّ قال: قلتُ يا رسولَ الله أين كان ربُّنا قبل أن يخلقَ السمواتِ والأرضَ؟ قال: **«كان في عَماءٍ ما فوقه هواءٌ وما تحته هواءٌ، ثم خلق العرشَ فاستوى عليه»**. رواه أبو داودَ[1] وابنُ ماجه[2]، وقال الذهبيُّ[3]: إسنادُه حسنٌ.

ورواه الترمذيُّ[4] وحسنه، لكنّ لفظَه: **«وخلق عرشَه على الماء»**. قال يزيدُ بنُ هارونَ[5]: العَماءُ: أي ليس معه شيءٌ.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن مُرّة عن ناس من أصحاب النبيّ ﷺ في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ [البقرة: ٢٩]، قال: **«إن الله تعالى كان عرشُه**

= سعيد البقال، الكوفي، الأعور، ضعيف مدلس...» اهـ.
قلت: ويشهد لحديث ابن عباس هذا ما أخرجه ابن جرير الطبري في «جامع البيان» (١٣/ج٢٦/١٧٨ ـ ١٧٩) عن أبي بكر ﷺ نحوه **وإسناده ضعيف**، بسبب ابن حُميد، قال الحافظ في «التقريب» (٢/١٥٦ رقم ١٥٩): «محمد بن حُميد بن حَيّان الرازي، حافظ ضعيف، وكان ابن معين حسن الرأي فيه» اهـ.

(١) أبو داود الطيالسي في مسنده رقم (١٠٩٣).
(٢) في سننه رقم: (١٨٢).
(٣) في «العلو» (ص١٩).
قلت: وأخرجه الترمذي رقم (٣١٠٩) وابن حبان في «صحيحه» (رقم: ٣٩ ـ موارد) وعبد الله بن أحمد في «السنة» (١/ ٢٤٥ ـ ٢٤٦ رقم ٤٥٠) وابن أبي عاصم في «السنة» رقم (٦١٢) وأبو الشيخ في «العظمة» (١/٣٦٣ ـ ٣٦٤ رقم ٣/٨٣) وأحمد في «المسند» (٤/ ١١، ١٢) والبيهقي في «الأسماء والصفات» رقم (٨٠١) و(٨٦٤) وابن زمنين في «أصول السنة» (ص٣٨٢ رقم ٣١).
وأورده الذهبي في «العلو» وحسن إسناده، وقال الألباني في «مختصر العلو» (ص١٨٦): «في تصحيحه نظر، فإن مداره على وكيع بن (حُدُس)، ويقال (عُدُس) وهو مجهول لم يرو عنه غير يعلى بن عطاء، ولذلك قال المؤلف ـ الذهبي ـ في «الميزان»: «لا يعرف» اهـ.
وقال في «ظلال الجنة» (١/ ٢٧١): «**إسنادهُ ضعيف**، وكيع بن عُدُس ويقال: حُدُس وهو مجهول لم يرد عنه غير يعلى بن عطاء ولم يوثقه غير ابن حبان».
والخلاصة فالحديث ضعيف، والله أعلم.
(٤) في «السنن» رقم (٣١٠٩). وهو حديث ضعيف تقدم تخريجه والكلام عليه في «التعليقة» المتقدمة.
(٥) ذكره الترمذي في «السنن» عقب الحديث رقم (٣١٠٩).
وانظر: «النهاية» (٣/ ٣٠٤) لابن الأثير، وتحفة الأحوذي للمباركفوري (٨/ ٥٢٩ ـ ٥٣١).

على الماء ولم يخلُق شيئاً قبل الماءِ، فلما أراد أن يخلُق الخلْقَ أخرج من الماء دُخاناً فارتفع فوق الماءِ فسما عليه فسمّاه سماءً، ثم أيبسَ الماءَ فجعله أرضاً ثم فتقها فجعلها سبعَ أرضين». الحديث. إلى أن قال: «**فلما فرغ اللّهُ عز وجل من خلق ما أحبَّ استوى على العرش**». رواه السُدي[1] وابنُ جريرِ الطبريُّ في تفسيره[2] والبيهقيُّ في الأسماء والصفات[3].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبيَّ ﷺ أخذ بيده فقال: «**يا أبا هُريرةَ، إن الله تعالى خلقَ السمواتِ والأرضينَ وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش يوم السابع**». الحديث بطوله رواه النَّسائيُّ في تفسير سورة السجدةِ من سُننه الكُبرى[4].

وفيه أخضرُ بنُ عَجْلانَ قال الذهبيُّ[5]: وثقه ابنُ معينٍ، وقال أبو حاتم:

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره رقم (٣٠٧) والسدي: هو إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة السدي، أبو محمد صدوق يهم. «التقريب» (١/ ٧٢).

(٢) في تفسيره (١/ ٤٣٥ ـ ٤٣٦ شاكر).

(٣) في «الأسماء والصفات» رقم (٨٠٧).

قلت: وأخرجه ابن خزيمة في «التوحيد» رقم (٣/ ٥٩٥) والذهبي في «العلو» (ص٦٧).

والحديث إسناده ضعيف. لضعف أبي صالح ـ هو باذام ـ بالذال المعجمة، ويقال آخره نون، مولى أم هانئ، ضعيف مدلس روى له الأربعة. «التقريب» (١/ ٩٣)

(٤) رقم (٤١٢). وانظر «تحفة الأشراف» رقم (١٤١٩٣). ورجاله كلهم ثقات غير «الأخضر بن عجلان».

(٥) في «العلو» (ص٧٥).

قال الألباني في «مختصر العلو» (ص١١٢): «٥٧ ـ قلت: تليين الأزدي إياه؛ لا تأثير له، لأن الأزدي نفسه متكلم فيه كما هو معلوم، لا سيما وقد وثقه ابن معين كما ترى، وكذا الإمام البخاري والنسائي وابن حبان وابن شاهين كما في «التهذيب» ـ (١/ ١٦٩ رقم ٣٥٩) ـ فهو متفق على توثيقه لولا قول أبي حاتم: يكتب حديثه.

لكن هذا القول إن اعتبرناه صريحاً في التجريح فمثله لا يقبل لأنه جرح غير مفسر، لا سيما وقد خالف قول الأئمة الذين وثقوه، على أنه من الممكن التوفيق بينه وبين التوثيق بحمله على أنه وسط عند أبي حاتم، فمثله حسن الحديث قطعاً على أقل الدرجات، وكأنه أشار إلى ذلك الحافظ بقوله فيه في «التقريب» ـ (١/ ٥٠ رقم ٣٢٩) ـ: صدوق.

وبقية رجال الإسناد ثقات كلهم، فالحديث جيد الإسناد على أنه لم يتفرد بذكر خلق التربة يوم السبت، وغيرها في بقية الأيام السبعة. فقد أخرج مسلم ـ رقم (٢٧٨٩) ـ وغيره ـ كأحمد (٢/ ٣٢٧) وأبي يعلى (١٠/ ٥١٣، ٥١٤) وابن أبي حاتم في تفسيره (١/ ١٠٣ رقم=

يُكتب حديثُه، وليّنه الأزديُّ، وحديثُه في السنن الأربعةِ، وهذا الحديثُ غريبٌ من أفراده.

[تصريح القرآن بفوقية الله تعالى]

ومن ذلك التصريحُ بالفوقية لله تعالى قال الله عز وجل: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٨]، وقال: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ۩﴾ [النحل: ٥٠].

ولما حكمَ سعدُ بنُ معاذٍ رضي الله عنه في بني قُريظةَ بأن تُقتلَ مقاتِلتُهم وتُسبى ذُرِّيتُهم وتُغنم أموالُهم قال له النبيُّ ﷺ: **«لقد حكمْتَ فيهم بحكم الملِكِ من فوق سبعةِ أرْقِعة»**[1].

وفي لفظ: **«من فوق سبعِ سمواتٍ»**[2]، ....

= ٣٠٥) وابن منده في «التوحيد» رقم (٥٨) - من طريق أخرى عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً، وقد خرجته في «الصحيحة» رقم (١٨٣٣) وقد توهم بعضهم أنه مخالف للآية المذكورة في أول الحديث، وهي في أول سورة «السجدة»، وليس كذلك كما كنت بيّنته فيما علقته على «المشكاة» (٥٧٣٥)، وخلاصة ذلك أن الأيام السبعة في الحديث هي غير الأيام الستة في القرآن، وأن الحديث يتحدث عن شيء من التفصيل الذي أجراه الله على الأرض، فهو يزيد على القرآن، ولا يخالفه، وكان هذا الجمع قبل أن أقف على حديث الأخضر، فإذا هو صريح فيما كنت ذهبت إليه من الجمع. فالحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات» اهـ.

وخلاصة القول أن حديث أبي هريرة الذي أخرجه النسائي حسن، والله أعلم.

(١) (*) الأرقعة: قال الزمخشري في «الفائق في غريب الحديث» (٢/ ٧٧): «وهي السماوات، لأن كل واحدة منها رقيع التي تحتها» اهـ.
وانظر «لسان العرب» مادة (رقع).

(٢) (*) أورده الذهبي في «العلو» (ص٣٢)، **وقال: هذا مرسل.**
قلت: وورد عنده (محمد بن مالك) بدل (معبد بن كعب) وهو خطأ. انظر: ترجمة معبد في «التهذيب» (١٠/ ٢٠٢) رقم (٤١٢).
(*) وأورده الذهبي من طريق آخر عن سعد بن أبي وقاص، **وقال: هذا حديث صحيح.**
أخرجه النسائي - كما من تحفة الأشراف (٣/ ٢٩٣) - من طريق عامر عبد الملك بن عمر العقدي، عن محمد بن صالح التمار وهو صدوق.
(*) وأخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» (ص٤٢٠) من حديث سعد بن أبي وقاص وفي سنده (محمد بن صالح التمار)، قال الحافظ في «التقريب» (٢/ ١٧٠): «صدوق يخطئ». =

وأصله في الصحيحين[1] وهذا سياقُ ابنِ إسحاقَ.

وفي صحيح البخاريِّ[2] عن أنس بنِ مالكٍ ﷺ قال: كانت زينبُ ﷺ تفتخر على أزواج النبيِّ ﷺ وتقول: زوَّجَكُن أهاليكُنّ وزوَّجني اللَّهُ من فوق سبعِ سمواتٍ.

وفي سننِ أبي داودَ[3] من حديث جبيرِ بنِ مُطعمٍ ﷺ قال: جاء أعرابيٌّ إلى

= وترجم له الذهبي في «الميزان» (٣/ ٥٨١) وذكر خلاف العلماء فيه، فقال: وثقه أحمد، وأبو داود، وقال أبو حاتم: ليس بالقوي.
قلت: فسنده حسن.

(*) وورد الحديث عند ابن إسحاق في «السيرة (٣/ ٢٩٣ ـ ن: مكتبة الجمهورية) مرسلاً عن علقمة بن وقاص.

(١) البخاري (٧/ ٤١١ رقم ٤١٢١) ومسلم (٣/ ١٣٨٩ رقم ١٧٦٩) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه. وليس فيه موضع الشاهد.

(٢) في صحيحه (١٣/ ٤٠٣ ـ ٤٠٤ رقم ٧٤٢٠).

(٣) في «السنن» (٥/ ٩٤ رقم ٤٧٢٦).

قلت: وأخرجه ابن خزيمة في «التوحيد» (١/ ٢٣٩ ـ ٢٤٠ رقم ١٤٧/٤٠) والدارمي في «الرد على الجهمية» (ص٢٤) وابن أبي عاصم في «السنة» رقم (٥٧٥) و(٥٧٦) وابن أبي حاتم في «تفسيره» رقم (٢٢٤) واللالكائي رقم (٦٥٦) والبغوي في «شرح السنة» (١/ ١٧٥) وأبو الشيخ في «العظمة» (٢/ ٥٥٤ ـ ٥٥٥) والذهبي في «العلو» (ص٣٧ ـ ٣٩) والدارمي في «الرد على المريسي» (ص١٠٥) من طرق.

قال الألباني في «ظلال الجنة» (١/ ٢٥٢ ـ ٢٥٣): «إسناده ضعيف، ورجاله ثقات، لكن ابن إسحاق مدلس ومثله لا يحتج به إلا إذا صرح بالتحديث، وهذا لم يفعله في ما وقفت عليه من الطرق إليه، ولذلك استغربه الحافظ ابن كثير في تفسيره آية الكرسي من «تفسيره» (١/ ٣١٧) حيث قال: «وأغرب من هذا حديث جابر بن مطعم في صفة العرش كما رواه أبو داود في كتابه «السنة» من سننه، والله أعلم» اهـ.

وقال الألباني في «الرد على الجهمية» (ص٢٤): «ولا يصح في أطيط العرش حديث».

وقال الذهبي في «العلو» (ص٣٩): «هذا حديث غريب جداً فرد، وابن إسحاق حجة في المغازي إذا أسند، وله مناكير وعجائب، فالله أعلم أقال النبي ﷺ هذا أم لا، وأما الله عز وجل فليس كمثله شيء جل جلاله، وتقدست أسماؤه، ولا إله غيره... وقولنا في هذه الأحاديث: إننا نؤمن بما صح منها، وبما اتفق السلف على إمراره وإقراره، فأما ما في إسناده مقال، واختلف العلماء في قبوله وتأويله، فإنا لا نتعرض له بتقرير، بل نرويه في الجملة ونبين حاله. وهذا الحديث إنما سقناه لما فيه مما تواتر من علو الله تعالى فوق عرشه، مما يوافق آيات الكتاب» اهـ.

وخلاصة القول أن الحديث ضعيف، والله أعلم.

النبي ﷺ فقال: يا رسولَ الله جُهِدَت الأنفسُ وضاعت العِيالُ ونُهكت الأموالُ وهَلكَتِ الأنعامُ، فاستسقِ اللَّهَ لنا فإنا نستشفع بك على الله ونستشفع بالله عليك.

قال رسول الله ﷺ: **«ويحك أتدري ما تقول»**؟ وسبح رسولُ الله فما زال يُسبّح حتى عرف ذلك في وجوه أصحابه. ثم قال: **«ويحك إنه لا يُستشفع بالله على أحد من خلقه، شأنُ اللهِ أعظمُ من ذلك. ويحك أتدري ما الله، إن عرشَه على سمواتِه لهكذا»**. وقال بأصْبَعه مثلَ القُبة عليه: **«وإنه لَيئِطّ به أطيطَ الرحل بالراكب»**.

قال ابن بشار في حديثه: **«إن الله فوق عرشِه وعرشه فوق سمواته»** وساق الحديث.

وله(1) عن العباس بنِ عبدِ المُطلب ﷺ قال: كنت في البطحاء في عِصابة فيهم رسولُ الله ﷺ، فمرتْ بهم سحابةٌ فنظر إليها فقال: **«ما تُسمّون هذه؟»**،

---

(1) أي لأبي داود في سننه (٥/ ٩٣ رقم ٤٧٢٣).
قلت: وأخرجه الترمذي (٥/ ٤٢٤ ـ ٤٢٥ رقم ٣٣٢٠) وقال: حديث حسن غريب.
وأخرجه ابن ماجه (١/ ٦٩ رقم ١٩٣) وأحمد (١/ ٢٠٧) والحاكم (٢/ ٤١٢) والدارمي في «الرد على المريسي» (ص٩٠ ـ ٩١) وفي «الرد على الجهمية» (ص٢٤) وابن أبي عاصم في «السنة» (١/ ٢٥٣) والآجري في «الشريعة» (ص٢٩٢) وابن منده في «التوحيد» رقم (٢١) واللالكائي في «شرح السنة» رقم (٦٥٠، ٦٥١) وابن خزيمة في «التوحيد» (١/ ٢٣٤ ـ ٢٣٥ رقم ١٠/ ١٤٤) وأبو الشيخ في «العظمة» (٢/ ٥٦٦ ـ ٥٦٩) و (٣/ ١٠٥٠) والبيهقي في: «الأسماء والصفات» رقم (٨٤٧) و (٨٨٢) والذهبي في «العلو» (ص٥٠).
قال الحاكم: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.
قلت: وفي هذا بعد شديد.
وقال الألباني في «ظلال الجنة» (١/ ٢٥٤): «إسناده ضعيف، عبد الله بن عميرة قال الذهبي: فيه جهالة. قال البخاري: لا يعرف له سماع من الأحنف بن قيس».
قلت: وقال الحافظ في «التقريب» (١/ ٤٣٨): مقبول.
وانظر: «لسان الميزان» (٢/ ٤٦٩).
وقال الذهبي في «العلو» (ص٥٠): «تفرد به سماك عن عبد الله، وعبد الله فيه جهالة؛ ويحيى بن العلاء متروك الحديث.
وقد رواه إبراهيم بن طهمان عن سماك، وإبراهيم ثقة» اهـ.
وخلاصة القول أن الحديث ضعيف، والله أعلم.

قالوا: السحابَ. قال: «والمزنَ». قالوا: والمزنَ، قال: «والعنَان»، قالوا: والعَنان.

قال أبو داودَ: ولم أُتقن العنانَ جيداً، قال: «هل تدرون ما بُعدُ ما بين السماء والأرض؟» قالوا: لا ندري، قال: «إن بُعدَ ما بينهما إما واحدةٌ أو اثنتان أو ثلاثٌ وسبعون سنةً، ثم السماءُ فوقها كذلك - حتى عد سبع سموات - ثم فوق السماءِ السابعةِ بحرٌ بين أسفله وأعلاه مثلُ ما بين سماء إلى سماء، ثم فوق ذلك ثمانيةُ أوعالٍ بين أظلافِهم ورُكبهم مثلُ ما بين سماء إلى سماء، ثم على ظهورهم العرشُ بين أسفلِه وأعلاه مثلُ ما بين سماءٍ إلى سماء، ثم اللّهُ تبارك وتعالى فوق ذلك».

زاد أحمد: «وليس يخفى عليه شيءٌ من أعمال بني آدمَ».

وفي سنن ابن ماجَة[1] من حديث جابرِ بنِ عبدِ الله ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «بينا أهلُ الجنة في نعيمهم إذْ سطع لهم نورٌ، فرفعوا رؤوسَهم فإذا الربُّ قد أشرف عليهم من فوقهم فقال: السلامُ عليكم يا أهلَ الجنة، قال: وذلك قول الله عز وجل: ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ [يس: ٥٨]. قال: فينظُر إليهم وينظُرون إليه فلا يلتفتون إلى شيء من النعيم ما داموا ينظُرون إليه حتى يحتجبَ عنهم ويبقى نورُه وبركتُه عليهم في ديارهم». وفي إسناده الرُقاشيُّ ضعيف، ومعناه ثابتٌ في الكتاب والسنة.

---

(١) (١/ ٦٥ رقم ١٨٤).

قال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (١/ ٦٥ رقم ٦٩): «هذا إسناد ضعيف لضعف الفضل بن عيسى بن أبان الرقاشي».

قلت: وأخرجه اللالكائي (٣/ ٥٣٤ رقم ٨٣٦) والدارقطني في «الرؤية» رقم (٦١) والآجري في «الشريعة» (ص٢٦٧) وابن عدي في «الكامل» (٦/ ٢٠٣٩) والعقيلي في «الضعفاء الكبير» (٢/ ٢٧٤ - ٢٧٥) وأبو نعيم في «صفة الجنة» رقم (٩١) وابن الجوزي في «الموضوعات» (٣/ ٢٦١ - ٢٦٢).

قلت: والفضل الرقاشي أنكر حديثه ابن معين وأبو حاتم، وضعفه أحمد والنسائي والساجي وغيرهم. (تهذيب التهذيب: ٨/ ٢٥٥).

وفي إسناده أيضاً: أبو عاصم العباداني واسمه «عبد الله بن عبيد الله» قال الذهبي: «واهٍ». (الميزان: ٢/ ٤٥٨).

وخلاصة القول أن الحديث ضعيف جداً.

وفي حديث الشفاعةِ الطويلِ عن أنس بنِ مالكٍ[1] ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**فأدخُلُ على ربي تبارك وتعالى وهو على عرشه**». وذكر الحديثَ.

وفي بعض ألفاظ البخاريّ في صحيحه[2]: «**فأستأذِن على ربي في داره فيُؤذَن لي عليه**». قال عبدُ الحقّ في الجمع بين الصحيحين: هكذا قال: «**في داره**» في المواضع الثلاثةِ، يريد مواضعَ الشفاعاتِ الثلاث التي يسجُد فيها ثم يرفع رأسَه.

وعن عمرَ بنِ عبدِ الملِك قال: خطَبنا عليٌّ ﷺ فقال: إن رسولَ الله ﷺ حدثني عن ربه عز وجل فقال: «**وعزتي وجلالي وارتفاعي فوق عرشي ما من أهلِ قريةٍ ولا بيتٍ ولا رجلٍ ببادية كانوا على ما كرِهتُ من معصيتي فتحوَّلوا عنها إلى ما أحببتُ من طاعتي إلاَّ تحوَّلتُ لهم عما يكرهون من عذابي إلى ما يُحبُّون من رحمتي**». رواه ابنُ أبي شيبةَ في كتاب العرش[3] والعسّال في المعرفة[4]، وضعفه الذهبيُّ[5].

وعن جابر بن سُليم قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**إن رجلاً ممن كان قبلكم لبِس بُردين فتبختر، فنظر اللّهُ إليه من فوقِ عرشِه فَمَقتَه، فأمر الأرضَ فأخذته**

---

(١) أخرجه المقدسي في «إثبات صفة العلو» رقم (٢٧) والذهبي في «العلو» (ص٣٢).
وقال الذهبي: «زائدة ضعيف، والمتن بنحوه في الصحيح للبخاري من حديث قتادة عن أنس عن النبي ﷺ قال: «**فأستأذن على ربي في داره فيؤذن لي عليه**».
وأخرجه أبو أحمد العسال في كتاب «المعرفة» بإسناد قوي عن ثابت عن أنس، وفيه: «**فآتي باب الجنة فيفتح لي، فآتي ربي تبارك وتعالى وهو على كرسيه، أو سريره فأخر له ساجداً**» وذكر الحديث. اهـ.
قلت: حديث قتادة عن أنس أخرجه البخاري (١٣/ ٤٢٢ رقم ٧٤٤٠) و (١٣/ ٣٩٢ رقم ٧٤١٠).

(٢) (١٣/ ٤٢٢ رقم ٧٤٤٠).
قلت: وأخرجه أحمد (٣/ ٢٤٤) وابن خزيمة في «التوحيد» (ص٢٤٨).

(٣) رقم (١٩).

(٤) عزاه إليه الذهبي في «العلو» (ص٥٣). وفيه: الهيثم بن الأشعث. قال الذهبي: مجهول وإسناده ضعيف.

(٥) في «العلو» (ص٥٣).

فهو يتجلجل فيها». رواه الدارمي[1]، وله شاهدٌ في البخاري[2] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وفي حديث عمران بن حصين في بدء الخلق: «**كان اللّهُ عز وجل على العرش وكان قبل كلِّ شيء، وكتب في اللوح المحفوظِ كلَّ شيءٍ يكون**». حديثٌ صحيحٌ أصلُه في البخاري[3].

وعن عبد اللّهِ بنِ مسعود رضي الله عنه قال: «**إن العبدَ لَيَهُمّ بالأمرِ من التجارة أو الإمارةِ حتى يُيسَّرَ له، نظر اللّهُ له من فوق سبع سمواتٍ فيقول للملائكة: اصرِفوه عنه فإن يسرتُه له أدخلتُه النارَ**». رواه البغويّ[4] وسكت الذهبيُّ عنه.

وعنه رضي الله عنه قال: «**العرشُ فوق الماءِ واللّهُ فوق العرشِ لا يخفى عليه شيءٌ من أعمالكم**». قال الذهبيُّ[5]: رواه عبدُ الله بنُ أحمدَ في السنة وأبو بكر بنُ

---

(١) في «الرد على المريسي» (ص٤٩) وصححه.
قلت: وأخرجه المقدسي في «إثبات صفة العلو» رقم (٢٢) وأبو داود (٤/ ٣٤٤ رقم ٤٠٨٤) وروى بعضه الترمذي (٥/ ٧٢ رقم ٢٧٢٢) وليس عندهم الشطر الذي فيه الشاهد.
وللحديث طرق ذكرها أحمد بن حنبل في «المسند» (٥/ ٦٣ ـ ٦٤) وليس فيه الشاهد.
وأورده الذهبي في «العلو» (ص٣٦) وقال: إسناد لين.
قلت فيه: عبد السلام بن عجلان قال عنه ابن حبان: يخطئ ويخالف. «لسان الميزان» (٤/ ١٦).

(٢) في صحيحه (١٠/ ٢٥٨ رقم ٥٧٨٩).

(٣) في صحيحه رقم (٦٩٨٢ ـ البغا).

(٤) عزاه إليه الذهبي في «العلو» (ص٤٨). وسكت عنه الذهبي.
قلت: وأخرجه اللالكائي رقم (١٢١٩) والدارمي في «الرد على الجهمية» (ص٢٦) بنحوه.
وقال ابن القيم في «الجيوش الإسلامية» (ص١٠٠): إسناد صحيح.

(٥) في «العلو» (ص٦٣ ـ ٦٤).
أخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» (ص٤٠١)، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (٣/ ٤٣٨ ـ ٤٣٩ رقم ٦٥٩) وابن خزيمة في «التوحيد» (١/ ٢٤٢ ـ ٢٤٣ رقم ٦/ ١٤٩) والدارمي في «الرد على الجهمية» (ص٢٦ ـ ٢٧) وفي «الرد على المريسي» (ص٧٣، ٩٠، ١٠٥) وأبو الشيخ في «العظمة» (٢/ ٦٨٨ ـ ٦٨٩ رقم ١٧/ ٢٧٩) والطبراني في «الكبير» (٩/ ٢٢٨ رقم ٨٩٨٧) وابن عبد البر في «التمهيد» (٧/ ١٣٩) والبخاري في «خلق أفعال العباد» رقم (٨٣).
وأورده ابن القيم في «الصواعق المرسلة» (٤/ ١٤١٧) من طرق، وهو موقوف على ابن مسعود بسند حسن.

المنذرِ وأبو أحمدَ العسّالُ وأبو القاسمِ الطبرانيُّ وأبو الشيخِ وأبو القاسمِ اللالكائيُّ وأبو عمْرو الطلْمنكِيُّ وأبو بكرِ البيهقيُّ وأبو عُمَر بنُ عبدِ البَرِّ في تواليفهم، وإسنادُه صحيح.

وأخرج ابنُ أبي شيبةَ[1] أن حسانَ بنِ ثابتٍ رضي الله عنه أنشد النبيَّ ﷺ:

شـهِـدْتُ بـإذنِ الـلّـهِ أن مـحـمـداً	رسولُ الذي فوق السمواتِ مِن علُ
وأن أخـا الأحـقـافِ إذْ قـام فـيـهـمو	يـقـول بـذات الـلّـهِ فـيـهـم ويـعـدِل
وأن أبا يحيى ويحيى، كـلاهـمـا	لـه عـمـلٌ مـن ربـه مُـتـقـبَّـل

[تصريح القرآن والسنة بأن الله تعالى في السماء]

ومن ذلك التصريحُ بأنه تعالى في السماء قال الله تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمۡ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗاۖ فَسَتَعۡلَمُونَ كَيۡفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾﴾ [الملك].

وفي الصحيحين[2] عن أبي سعيدِ الخُدري رضي الله عنه قال: بَعث عليٌّ بن أبي طالب رضي الله عنه إلى رسول الله ﷺ من اليمن بذُهَيبَّة في أديم مقروضٍ لم تُحصّلْ من ترابها، قال: فقسمها بين أربعةِ نفرٍ: بين عُيينة بنِ بدرٍ، وأقرعَ بنِ حابسٍ، وزيدِ الخيل، والرابعُ إما علقمةُ وإما عامرُ بنُ الطُّفَيل، فقال رجلٌ من أصحابه: كنا نحن أحقَّ بهذا من هؤلاء، قال فبلغ ذلك النبيَّ ﷺ فقال: «**ألا تأمَنوني وأنا أمينُ مَن في السماء، يأتيني خبرُ السماءِ صباحاً ومساءً**».

قال: فقام رجلٌ غائرُ العينين مُشرِفُ الوجنتين ناشرُ الجبهةِ كثُّ اللحيةِ محلوقُ الرأسِ مشمِّرُ الإزار فقال: يا رسولَ اللّهِ اتقِ الله؛ فقال ﷺ: «**ويلك، أوَ لستُ أحقَّ أهلِ الأرضِ أن يتقيَ الله؟**»، قال: فلما ولّى الرجلُ قال خالدُ بنُ

---

(١) في «المصنف» (٨/ ٥٠٧ ـ ٥٠٨).
قلت: وأخرجه ابن قدامة في «إثبات صفة العلو» رقم (٢٣) والذهبي في «العلو» (ص٤٠) وقال: «وهذا مرسل».
وأورده الهيثمي في «المجمع» (١/ ٢٤) وقال: «رواه أبو يعلى وهو مرسل» اهـ.

(٢) البخاري (٦/ ٣٧٦ رقم ٣٣٤٤) ومسلم (٢/ ٧٤١ رقم ١٠٦٤).

الوليد: يا رسولَ الله ألا أضرِبُ عُنقَه؟ قال: **«لا، لعله أن يكون يُصلي»**، فقال خالد: وكم من مُصلٍ يقول بلسانِه ما ليس في قلبه، قال رسول الله ﷺ: **«إني لم أومر أن أُنقبَ قلوبَ الناس ولا أشُقَّ بطونَهم»**، قال: ثم نظر إليه وهو مُقَفٍّ فقال: **«إنه يخرُج من ضِئْضِئِ هذا قومٌ يتلون كتابَ اللّهِ رَطْباً لا يجاوز حناجرَهم، يمرُقون من الدين كما يمرُق السهمُ من الرميَّة»**. وأظنه قال: **«لئن أدركتُهم لأقتُلنَّهم قتلَ ثمودَ»**.

وعن معاويةَ بنِ الحكمِ في حديثٍ طويلٍ قال: وكانت لي جاريةٌ ترعى غنماً لي قِبَل أُحدٍ والجوَّانيةِ[1]، فاطلعتُ ذاتَ يوم فإذا الذئبُ قد ذهب بشاة من غنمها، وأنا رجلٌ من بني آدمَ آسَفُ كما يأسَفون، لكني صككتُها صَكَّةً، فأتيتُ رسولَ الله ﷺ فعظُم ذلك عليَّ، قلتُ: يا رسولَ الله أفلا أعتِقُها؟ قال: **«ائتِني بها»**، فأتيتُه بها فقال لها: **«أين الله»**؟ قالت: في السماء، قال: **«من أنا»**؟ قالت: أنت رسولُ اللّهِ ﷺ، قال: **«أعتِقْها فإنها مؤمنةٌ»**. أخرجه مسلمٌ[2] وأبو داودَ[3] والنسائيُّ[4] وغيرُ واحدٍ من الأئمة في تصانيفهم[5].

وعن أبي الدرداءِ رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: **«من اشتكى منكم شيئاً أو اشتكاه أخٌ له فليقل: ربَّنا اللّهَ الذي في السماء، تقدس اسمُك، أمرُك في السماء والأرض، كما رحمتُك في السماء فاجعل رحمتَك في الأرض، اغفِر لنا حُوبَنا وخطايانا، أنت ربُّ الطيبين، أنزلْ رحمةً من رحمتك وشفاءً من شفائك على هذا الوجع، فيبرأ»**. رواه أبو داودَ[6].

---

(١) الجوَّانية: موضع بقرب أحد، في شمال المدينة النبوية.

(٢) في صحيحه (١/ ٣٨١ ـ ٣٨٢ رقم ٣٣/ ٥٣٧).

(٣) في «السنن» (١/ ٥٧٠ ـ ٥٧٣ رقم ٩٣٠).

(٤) في «السنن» (٣/ ١٤ ـ ١٨ رقم ١٢١٨).

(٥) كأحمد في «المسند» (٥/ ٤٤٧، ٤٤٨ ـ ٤٤٩) والطيالسي في «المسند» (ص١٥٠ رقم ١١٠٥) واللالكائي (٣/ ٣٩١ ـ ٣٩٢ رقم ٦٥٢) وابن أبي عاصم في «كتاب السنة» (١/ ٢١٥ رقم ٤٨٩) والبيهقي في «الأسماء والصفات» (ص٤٢١ ـ ٤٢٢) وابن خزيمة في «كتاب التوحيد» (ص١٢١ ـ ١٢٢).

(٦) في «السنن» (٤/ ٢١٨ رقم ٣٨٩٢).

قلت: وأخرجه النسائي في «عمل اليوم والليلة» رقم (١٠٣٨) والحاكم (١/ ٣٤٤) وابن حبان في «المجروحين» (١/ ٣٠٨) وابن عدي في «الكامل» (٣/ ١٠٥٤) والدارمي في «الرد=

وعن عبد اللّهِ بنِ عمروٍ ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**الراحمون يرحَمُهم الرحمن، ارحموا مَن في الأرض يرحمْكم من في السماء. الرحِمُ شَجنة من الرحمن، فمن وصلها وصله اللّهُ، ومن قطعها قطعه الله**». رواه الترمذي[1] وقال: هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

= على المريسي (ص١٠٤)، والذهبي في «الميزان» (٢/ ٩٨).

قال الحاكم: قد احتج الشيخان بجميع رواته غير زيادة بن محمد وهو شيخ من أهل مصر قليل الحديث.

وقال ابن حبان: وزياد بن محمد هذا منكر الحديث جداً يروي المناكير عن المشاهير. فاستحق الترك.

وقال الذهبي عقب الحديث: فهذه ألفاظ منكرة لم يأت بها غير زيادة.

* وأخرجه النسائي في «عمل اليوم والليلة» رقم (١٠٣٥) من رواية طلق بن حبيب العنزي عن أبيه مرفوعاً.

قلت: وإسناده جيد إلى طلق، وحبيب العنزي والد الطلق مجهول الحال.

* وأخرجه النسائي في «عمل اليوم والليلة» رقم (١٠٣٦) من رواية طلق بن حبيب العنزي عن رجل من أهل الشام، عن أبيه مرفوعاً. وإسناده جيد إلى طلق ورجح الحافظ في «الإصابة» (١/ ٣١٠) هذه الطريق.

وخلاصة القول أن الحديث ضعيف، والله أعلم.

(١) في «السنن» (٤/ ٣٢٣ رقم ١٩٢٤) وقال: حسن صحيح.

قلت: وأخرجه أبو داود رقم (٤٩٤١) وأحمد (٢/ ١٦٠) والحميدي رقم (٥٩١) والدارمي في «الرد على المريسي» (ص١٠٤) والحاكم (٤/ ١٥٩) والبخاري في «الكنى» (ص٦٤) والخطيب في «تاريخ بغداد» (٣/ ١٦٠) وابن قدامة في «العلو» رقم (١) والبيهقي في «الأسماء والصفات» (ص٤٢٣).

كلهم من طريق سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن أبي قابوس مولى لعبد الله بن عمرو بن العاص، عن عبد الله بن عمرو.

وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

وفي سنده أبو قابوس. قال عنه الحافظ في «التقريب» رقم (٨٣٠٩) مقبول وللحديث شواهد.

منها: حديث جرير بن عبد الله.

أخرجه الطبراني في «الكبير» (٢/ ٣٥٥ رقم ٢٤٩٧). قال الذهبي في «العلو» (ص٢٠): رواته ثقات.

ومنها حديث عبد الله بن مسعود. أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٠/ ١٨٣ رقم ١٠٢٧٧) وفي «الصغير» (١/ ١٠١) والحاكم (٤/ ٢٤٨) وصححه ووافقه الذهبي.

وانظر الصحيحة رقم (٩٢٥). **والخلاصة: فالحديث صحيح.**

وله عن عِمرانَ بنِ حُصينٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لأبي: **«يا حُصينُ كم تعبُد اليوم إلهاً؟»**، قال أبي: سبعةً، ستةً في الأرض وواحداً في السماء.

قال ﷺ: **«فأيهم تُعِدّ لرغبتك ورهبتِك؟»**، قال: الذي في السماء. قال: **«يا حُصين أما أنك لو أسلمْتَ علمتُك كلمتين تنفعانِك»**، قال: فلما أسلمَ حُصينٌ قال: يا رسولَ اللّهِ علّمْني الكلمتين اللتين وعَدتني؛ فقال ﷺ: **«قل: اللهم ألهِمْني رُشدي، وأعِذْني من شر نفسي»**. قال الترمذي[1]: هذا حديثٌ حسنٌ غريب، وقد رُوي هذا الحديثُ عن عمرانَ بنِ حُصينٍ من غير هذا الوجه.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«والذي نفسي بيده ما من رجل يدعو امرأتَه إلى فراشها فتأبى عليه إلا كان الذي في السماء ساخطاً عليها حتى يرضى عنها»**. رواه مسلم في صحيحه[2].

---

(١) في «السنن» (٥/٥١٩ ـ ٥٢٠ رقم ٣٤٨٣).
قلت: وأخرجه الدارمي في «الرد على المريسي» (ص٢٤) والطبراني في «الكبير» (١٨/ ١٧٤ رقم ٣٩٦) والبيهقي في «الأسماء والصفات» (ص٤٢٤).
كلهم من طريق أبي معاوية عن شبيب بن شيبة عن الحسن البصري، عن عمران بن حصين.
قلت: شبيب بن شيبة ضعيف بل قال الدارقطني: متروك. والحسن البصري لم يسمع من عمران بن حصين كما قال ابن المديني. وكذلك الحسن مدلس وقد عنعن.
* وأخرجه ابن خزيمة في «التوحيد» (١/ ٢٧٧ ـ ٢٧٨ رقم ١٩/ ١٧٧) والذهبي في «العلو» (ص٢٣ ـ ٢٤).
كليهما من طريق عمران بن خالد بن طليق بن محمد بن عمران بن حصين قال: حدثني أبي عن أبيه عن جده **وإسناده ضعيف**.
قلت: عمران بن خالد بن طُليق... قال أحمد: متروك الحديث، وقال أبو حاتم: ضعيف. وقال ابن حبان: لا يجوز الاحتجاج به. [الميزان (٣/ ٢٣٦) واللسان (٤/ ٣٤٥)].
أما خالد بن طليق... قال الدارقطني: ليس بالقوي، وذكر ابن أبي حاتم، ولم يذكره بشيء، وقال الساجي: صدوق يهم. وعده ابن حبان في الثقات.
[الميزان (١/ ٦٣٣) ولسان الميزان (٢/ ٣٧٩)].
وأما طليق بن محمد... قال الدارقطني: لا يحتج به. وقال الذهبي: طليق بن محمد عن عمران بن حصين منقطع.
وخلاصة القول أن حديث عمران بن حصين ضعيف، والله أعلم.
(٢) (٢/ ١٠٦٠ رقم ١٤٣٦).

وعن ابن عمرَ رضي الله عنهما قال: كنا جلوساً ذاتَ يومٍ بفِناء رسولِ اللّهِ ﷺ إذ مرت امرأةٌ من بناته، فقال أبو سفيان: ما مثلُ محمدٍ في بني هاشمٍ إلا كمثل الريحانةِ في وسط الزِّبْل. فسمعتْ فأبلغَتْه رسولَ الله ﷺ، فخرج فصعِدَ على منبره وقال: **«ما بالُ أقوامٍ تُبلّغني عن أقوام، إن اللّهَ خلقَ سمواتٍ سبعاً فاختار العُليا فسكنها، وأسكن سمواتِه مَن شاء من خلقه، ثم اختار خلقَه فاختار بني آدمَ فاختار العربَ فاختار مُضَرَ فاختار قريشاً فاختار بني هاشم فاختارني، فلم أزَلْ خياراً من خيار، فمن أحبَّ قريشاً فبحُبّي أحبهم، ومن أبغَض العربَ فببغضي أبغضهم»**. قال الذهبي[1]: هو حديثٌ منكَرٌ رواه جماعةٌ في كتب السنة وأخرجه ابنُ خُزيمةَ في كتاب التوحيد.

وعن أبي هريرةَ رضي الله عنه أن رسولَ الله ﷺ قال: **«الميتُ تحضُره الملائكة؛ فإذا**

---

(١) في «العلو» (ص٢٣).

قلت: وأخرجه الطبراني في «الكبير» (١٢/ ٤٥٥ رقم ١٣٦٥٠) والعقيلي في «الضعفاء» (٤/ ٣٨٨) وابن عدي (٢/ ٥٥٥) و(٦/ ٢٢٠٧) وأبو نعيم في «دلائل النبوة» (١/ ٦٧) والحاكم (٤/ ٧٣ ـ ٧٤) وابن قدامة في «العلو» (ص١١٧ ـ ١١٨).

من طريقين عن محمد بن ذكوان عن عمرو بن دينار عن ابن عمر مرفوعاً.

قلت: وهذا إسناده ضعيف جداً.

محمد بن ذكوان: قال النسائي: ليس بثقة. وضعفه الدارقطني، وغيره (الميزان: ٣/ ٥٤٢) و«الضعفاء والمتروكين» للدارقطني (ص٣٤٨).

وأورد الحديث ابن أبي حاتم في «العلل» (٢/ ٣٦٧ ـ ٣٦٨) وقال عن أبيه: «إنه حديث منكر».

كما أورده الهيثمي في «المجمع» (٨/ ٢١٥) وقال: فيه حماد بن واقد وهو ضعيف يعتبر به، وبقية رجاله وثقوا.

قلت: لقد فات الهيثمي رحمه الله العلة الثانية وهي ضعف محمد بن ذكوان، لأن الطرق التي فيها حماد بن واقد كانت رواية حماد عن محمد بن ذكوان أيضاً.

وأخرجه الحاكم (٤/ ٨٦ ـ ٨٧) من طريق أخرى عن عمرو بن دينار عن سالم بن عبد الله عن ابن عمر مرفوعاً مختصراً.

وقال الألباني في «الضعيفة» (١/ ٥١٣): وفي سنده أبو سفيان زياد بن سهيل الحارثي، ولم أجد له ترجمة.

والخلاصة: فالحديث منكر، والله أعلم.

كان الرجلُ الصالحُ قالوا: اخرُجي أيتها النفسُ المطمئنةُ كانت في الجسد الطيّبِ، اخرُجي حميدةً وأبشري برَوحٍ ورَيحانٍ وربٍّ غيرِ غضبانَ. فيقولون ذلك حتى يُعرَجَ بها إلى السماء التي فيها اللهُ عز وجل». وذكر باقي الحديث.

رواه أحمدُ[1] والنَّسائيُّ[2] وابنُ ماجه[3] وابنُ جريرٍ واللفظُ له[4]، وفي الباب أحاديثُ تأتي إن شاءَ اللهُ تعالى في ذكر الموتِ وفتنةِ القبر.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسولَ الله ﷺ قال: «لما أُسريَ بي مررتُ برائحة طيبة، فقلت: يا جبريلُ ما هذه الرائحةُ الطيبة؟ قال: هذه رائحةُ ماشطةَ ابنةِ فرعونَ وأولادُها كانت تمشُطُها فوقع المُشطُ من يدها، فقالت: بسم الله تعالى، فقالت ابنتُه: أبي؟ قالت: لا، ولكن ربي وربُّ أبيكِ اللّهُ. فقالت: أُخبرُ بذلك أبي؟ قالت: نعم؛ فأخبرته فدعا بها فقال: من ربُّك، هل لك ربٌّ غيري؟ قالت: ربي وربُّك الله الذي في السماء. فأمر ببقرة من نُحاس فأُحميت ثم دعا بها وبولدها فألقاهما فيها». وساق الحديث بطوله. رواه الدارمي[5] وأبو يعلى المَوْصليُّ[6]، وقال الذهبي[7]: هذا حديثٌ حسنُ الإسناد.

---

(١) في «المسند» (٨/ ٤١٤ رقم ٨٧٥٤ ـ شاكر). وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح.

(٢) في «السنن الكبرى» كما في «تحفة الأشراف» (١٠/ ٧٨).

(٣) في «السنن» (٢/ ١٤٢٦ رقم ٤٢٦٨).

(٤) في «جامع البيان» (١٢/ ٤٢٤ ـ ٤٢٥ رقم ١٤٦١٥).

قلت: وأخرجه ابن خزيمة في «التوحيد» (١/ ٢٧٣ رقم ١١/ ١٧٥).

وأورده الذهبي في «العلو» (ص٢٢) وعزاه لأحمد والحاكم وقال: على شرط البخاري ومسلم.

وقال الألباني في «مختصر العلو» (ص٨٥) بعدما ذكر قول الذهبي: وهو كما قال.

وأورده السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٨٣) وزاد نسبته إلى ابن حبان، والبيهقي في البعث.

وخلاصة القول أن الحديث صحيح، والله أعلم.

(٥) في «الرد على الجهمية» (ص٢٥): وقال الألباني: رجاله ثقات إلا أن عطاء بن السائب كان اختلط، وقد روى عنه حماد في الاختلاط.

قلت: بل قبل الاختلاط عند جمع من الأئمة.

(٦) لم أجده في مسند أبي يعلى الموصلي.

(٧) في «العلو» (ص٤٥ ـ ٤٦).

وعن أبي هريرةَ ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«لما أُلقيَ إبراهيمُ عليه السلام في النار قال: اللهم إنك واحدٌ في السماء وأنا واحدٌ في الأرض أعبُدك»**. رواه الدارمي في النقض[1]، وقال الذهبي[2]: حسنُ الإسناد.

وعن أبي هريرةَ ﷺ عن النبي ﷺ: **«إذا أحب اللّهُ العبدَ نادى جبريلَ إن اللّهَ يحب فلاناً فأحِبَّه فيُحبّه جبريلُ، فينادي جبرائيلُ في أهل السماءِ إن الله يحب فلاناً فأحِبّوه، فيُحِبه أهلُ السماء، ثم يوضع له القَبولُ في الأرض»**. رواه البخاريُّ[3].

وعن النوّاس بن سَمعانَ ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«إذا أراد اللّهُ أن يوحِيَ بالأمر تكلم بالوحي أخذت السمواتُ منه رجْفةً أو قال رِعدةً شديدةً خوفاً من الله عز وجل، فإذا سمع ذلك أهلُ السموات صُعِقوا وخروا لله سجداً، فيكون أولُ من يرفع رأسه جبريلَ عليه السلام فيكلمه اللّهُ تعالى مِن وحيه بما أراد، ثم يمر جبريلُ على الملائكة كلما مر بسماء سأله ملائِكتُها: ماذا قال ربُنا يا جبريلُ؟ فيقول: قال الحقَّ وهو العليُّ الكبير، فيقولون كلُّهم مثلَ ما قال جبريلُ، فينتهي**

= **قلت:** وأخرجه أحمد في «المسند» (١/ ٣٠٩ ـ ٣١٠) ومن طريق أحمد هذه، أخرجه الطبراني في «الكبير» (١١/ ٤٥١ رقم ١٢٢٨٠) و (١١/ ٤٥٠ ـ ٤٥١ رقم ١٢٢٧٩) وابن حبان في «الإحسان» (٧/ رقم ٢٩٠٣، ٢٩٠٤) والبزار (١/ ٣٧ ـ ٣٨ رقم ٥٤ ـ كشف) والحاكم (٢/ ٤٩٦) والبيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ٣٨٥).

وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي، وهو كما قالا.

وأورده السيوطي في «الدر المنثور» (٤/ ١٥٠) وقال: «وأخرج أحمد، والنسائي والبزار، والطبراني، وابن مردويه، والبيهقي في الدلائل بسند صحيح عن ابن عباس...» وذكر الحديث.

(١) وفي «الرد على الجهمية» (ص٢٥).
وأخرجه البزار (٣/ ١٠٣ رقم ٢٣٤٩ ـ كشف) والخطيب في «تاريخ بغداد» (١٠/ ٣٤٦) وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ١٩).
وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ٢٠١) وقال: «رواه البزار، وفيه عاصم بن عمر بن حفص، وثقه ابن حبان. وقال: يخطئ ويخالف، وضعفه الجمهور» اهـ.
قلت: وفيه أبو جعفر الرازي وهو سيء الحفظ.

(٢) في «العلو» (ص٢١).

(٣) في صحيحه (١٣/ ٤٦١ رقم ٧٤٨٥).
قلت: وأخرجه مسلم (٤/ ٢٠٣٠ رقم ١٥٧/ ٢٦٣٧).

جبريلُ بالوحي إلى حيث أمره اللّهُ عز وجل». رواه ابنُ جريرٍ[1] وابنُ خزيمةَ[2] والطبرانيُّ[3] وابنُ حاتمٍ واللفظُ له[4].

ومن ذلك التصريحُ باختصاص بعض الأشياءِ بأنها عنده، قال الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٦]. وقال تبارك وتعالى: ﴿وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ [الأنبياء: ١٩]. وقال تبارك وتعالى: ﴿فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ﴾ [فصلت: ٣٨].

وقال تبارك وتعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩]. وقال تبارك وتعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ﴾ [التحريم: ١١]. الآية.

وفي الصحيحين[5] عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: **«إن الله لما قضى الخلقَ كتب عنده فوق عرشِه إن رحمتي سبقتْ غضبي»**.

---

(١) في «جامع البيان» (١٢/ج٢٢/٩١).

(٢) في «التوحيد» (١/٣٤٨ ـ ٣٤٩ رقم ١/٢٠٦).

(٣) كما في «المجمع» (٧/ ٩٤ ـ ٩٥) وقال الهيثمي: «رواه الطبراني عن شيخه يحيى بن عثمان بن صالح، وقد وثق، وتكلم فيه من لم يسم بغير قادح معين، وبقية رجاله ثقات».

(٤) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٦/٦٩٨).

قلت: وأخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (١/ ٢٢٧) ومحمد بن نصر المروزي في «تعظيم الصلاة» (١/ ٢٣٦) والآجري في «الشريعة» (ص٢٩٤) وأبو الشيخ في «العظمة» (٢/ ٥٠١) والبغوي في تفسيره (٦/٣٩٨) والبيهقي في «الأسماء والصفات» (١/ ٥١١ رقم ٤٣٥).

قال الألباني في «ظلال الجنة» (١/ ٢٢٧): «إسناده ضعيف، نعيم بن حماد سيء الحفظ، خرج له البخاري مقروناً بغيره واتهمه الأزدي. وقال الحافظ في «التقريب»: «صدوق يخطئ كثيراً» والوليد بن مسلم ثقة، لكنه كان يدلس تدليس التسوية. وسائر رجاله ثقات. . .

وقال أبو زرعة الدمشقي: عرضت على دحيم حديثاً حدثناه نعيم بن حماد عن الوليد بن مسلم. . . (قلت: فذكر هذا الحديث)، فقال دحيم: لا أصل له» اهـ.

وخلاصة القول أن الحديث ضعيف، والله أعلم.

(٥) البخاري (١٣/ ٣٨٤ رقم ٧٤٠٤) ومسلم (٤/ ٢١٠٧ رقم ٢٧٥١).

ولمسلم[1] عنه في حديث طويل: «وما اجتمع قومٌ في بيت من بيوت اللّهِ يتلون كتابَ اللّهِ ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينةُ، وغشِيتهم الرحمةُ، وحفّتهم الملائكةُ، وذكرهم الله فيمن عنده».

وفيهما[2] عنه ﷺ قال: قال النبيُّ ﷺ: «يقول الله تعالى: أنا عند ظنِّ عبدي بي، فأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرتُه في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرتُه في ملأ خيرٍ منهم، وإن تقرّب إليّ شِبراً تقربت إليه ذِراعاً، وإن تقرّب إليّ ذراعاً تقربت منه باعاً، وإن أتاني يمشي أتيتُه هَرْولةً».

وفي صحيح مسلم[3] عن جابر بنِ سَمُرةَ ﷺ قال: خرج علينا رسولُ الله ﷺ، وذكرَ الحديثَ إلى أن قال: ثم خرج علينا فقال: «ألا تصِفُّون كما تصِفُّ الملائكةُ عند ربِّها»؟ فقلنا: يا رسولَ الله وكيف تصفّ الملائكةُ عند ربها؟ قال: «يتِمّون الصفوفَ الأُوَلَ ويتراصّون في الصف».

ولهما[4] عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «احتج آدمُ وموسى عند ربِّهما عز وجل، فحجَّ آدمُ موسى». وذكر الحديث وسيأتي إن شاء الله بتمامه.

ومن ذلك الرفعُ والصعودُ والعروجُ إليه وهو أنواع:

منها: رفعُه عيسى عليه السلام، قال الله تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ۝١٥٧ بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ۝١٥٨﴾ [النساء]. وقال تبارك وتعالى: ﴿يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [آل عمران: ٥٥].

وسيأتي إن شاء الله تعال ذكرُ الأحاديثِ الواردةِ في نزوله إلى الأرض حَكماً عدْلاً في آخر هذه الأمةِ بشريعةِ نبيِّهم محمدٍ ﷺ في أشراط الساعة.

ومنها: صعودُ الأعمالِ إليه كما قال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠].

---

(١) في صحيحه (٤/ ٢٠٧٤ رقم ٢٦٩٩).
(٢) البخاري (١٣/ ٣٨٤ رقم ٧٤٠٥) ومسلم (٤/ ٢٠٦٧ رقم ٢٦٧٥).
(٣) في صحيحه (١/ ٣٢٢ رقم ٤٣٠).
(٤) البخاري: (١١/ ٥٠٥ رقم ٦٦١٤) ومسلم (٤/ ٢٠٤٢ رقم ١٣/ ٢٦٥٢).

وفي صحيح البُخاريِّ[1] عن أبي هريرةَ ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«من تصدَّق بعَدْل تمرةٍ من كسبٍ طيب ـ ولا يصعد إلى الله إلا الطيبُ ـ فإن الله تعالى يتقبَلها بيمينه، ثم يربّيها لصاحبها كما يربي أحدُكم فُلُوَّه حتى تكون مثلَ الجبل»**.

ورواه مسلم[2] أيضاً والنَّسائي[3] والتِرمِذيُّ[4] وابنُ ماجه[5] وابنُ خُزيمةَ في صحيحه[6].

وعن النُعمان بنِ بشيرٍ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«الذين يذكرُون من جلال اللَّهِ عز وجل من تسبيحه وتكبيرِه وتحميدِه وتهليلِه يتعاطَفن حول العرشِ لهن دويٌّ كدويِّ النحلِ يذكرْنَ بصاحبهن، ألا يُحب أحدُكم أن لا يزالَ له عند الله شيءٌ يُذكر به»**. رواه أحمدُ[7] وابنُ ماجه[8].

وعن ابن عمرَ ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«اتقوا دعوةَ المظلومِ فإنها تصعَد إلى الله عز وجل كأنها شرارةٌ»**. قال الذهبي[9]: غريبٌ وإسناده جيد.

---

(1) في صحيحه (٣/٢٧٨ رقم ١٤١٠).

(2) في صحيحه (٢/٧٠٢ رقم ١٠١٤).

(3) في «السنن» (٥/٥٧).

(4) في «السنن» (٣/٤٩ ـ ٥٠ رقم ٦٦١).

(5) في «السنن» (١/٥٩٠ رقم ١٨٤٢).

(6) في صحيحه (٤/٩٢ ـ ٩٣ رقم ٢٤٠٢).

(7) في «المسند» (٤/٢٦٨).

(8) في «السنن» (٢/١٢٥٢ رقم ٣٨٠٩).

وقال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (٣/١٩٣ رقم ١٣٣٣/٣٨٠٩): «هذا إسناد صحيح رجاله ثقات، وأخو عوف اسمه عبيد الله بن عتبة.

رواه ابن أبي الدنيا، والحاكم (١/٥٠٣) وقال: «صحيح على شرط مسلم ـ ووافقه الذهبي ـ.

ورواه مسدد في مسنده عن يحيى بن سعيد القطان بإسناده ومتنه.

ورواه أبو بكر بن أبي شيبة في مسنده عن أبي نمير موسى بإسناده ومتنه» اهـ.

وخلاصة القول أن الحديث صحيح، والله أعلم.

(9) في «العلو» (ص٢٧).

قلت: وأخرجه الحاكم (١/٢٩) وقال: «قد احتج مسلم بعاصم بن كليب والباقون من رواة هذا الحديث متفق على الاحتجاج بهم ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي.

قلت: والحديث على شرط مسلم.

وفي الصحيحين[1] من حديث معاذِ بنِ جبلٍ ﷺ مرفوعاً: **«اتقِ دعوةَ المظلومِ فإنه ليس بينها وبين الله حجاب»**.

وعن أبي موسى الأشعريّ[2] ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«إن الله لا ينام، ولا ينبغي له أن ينامَ، يخفِضُ القِسْطَ ويرفعُه، يُرفعُ إليه عملُ الليلِ قبلَ النهارِ وعملُ النهارِ قبل الليل، حجابُه النورُ لو كشفه لأحرقتْ سُبحاتُ وجهِه ما انتهى إليه بصرُه من خلقه»**. وفي ذلك أحاديثُ لا تحصى في الصحيحين وغيرِهما.

ومنها: صعودُ الأرواح إلى الله عز وجل، أعني أرواحَ المؤمنين، قال الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠].

وروى الإمامُ أحمدُ[3] من حديث البراءِ بنِ عازبٍ الطويلِ في قبض الروحِ، وفيه قال: **«إن العبدَ المؤمنَ إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبالٍ من الآخرة نزل إليه ملائكةٌ من السماء بيضُ الوجوه، كأن وجوهَهم الشمسُ، معهم كفنٌ من أكفان الجنةِ وحَنوطٌ من حَنوط الجنة، حتى يجلِسوا منه مدَّ البصر، ثم يجيء ملكُ الموتِ حتى يجلِسَ عند رأسه فيقول: أيتها النفسُ الطيبةُ اخرُجي إلى مغفرة من الله ورِضوان، قال: فتخرُج فتسيل كما تسيل القَطرةُ مِنْ فيِّ السقاء فيأخذها، فإذا أخذها لم يدَعوها في يده طرفة عينٍ حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفنِ وفي ذلك الحنوطِ، ويخرج منها كأطيبِ نفحةِ مسكٍ على وجه الأرض، قال: فيصعدون بها فلا يمرون على ملأ من الملائكة إلا قالوا ما هذه الروحُ الطيبةُ، فيقولون فلانُ بنُ فلانٍ بأحسن أسمائِه التي كانوا يسمونه في الدنيا حتى ينتهوا إلى سماء الدنيا**

---

(١) البخاري في صحيحه (٨/ ٦٤ رقم ٤٣٤٧) ومسلم (١/ ٥٠ رقم ١٩).

(٢) أخرجه مسلم (١/ ١٦١ ـ ١٦٢ رقم ١٧٩).

(٣) في «المسند» (٤/ ٢٨٧ ـ ٢٨٨، ٢٨٨).
قلت: وأخرجه الحاكم في «المستدرك» (١/ ٣٧ ـ ٣٨) وصححه ووافقه الذهبي.
وأبو داود (٥/ ١١٤ ـ ١١٦ رقم ٤٧٥٣) والطيالسي في مسنده رقم (٧٥٣).
وأورده الهيثمي في «المجمع» (٣/ ٤٩ ـ ٥٠) وقال الهيثمي: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح اهـ.
وخلاصة القول أن الحديث صحيح، والله أعلم.

فيستفتحون له فيُشيِّعه مِنْ كل سماءٍ مُقرَّبوها إلى السماء التي تليها، حتى ينتهوا بها إلى السماء السابعةِ، فيقول الله تعالى: «اكتُبوا كتابَ عبدي في عليِّين وأعيدوه إلى الأرض، فإني منها خلقتُهم وفيها أُعيدهم ومنها أُخرجهم تارةً أخرى». وذكر الحديثَ، وسيأتي إن شاء الله بطوله.

وقد تقدم حديثُ أبي هريرةَ في ذلك، وفيه أحاديث جمّةٌ سنذكر منها ما يسره اللّهُ تعالى في بابه إن شاء الله.

ومنها: عروجُ الملائكةِ والروحِ إليه، قال الله تبارك وتعالى: ﴿مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ۝٣ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٣ ـ ٤].

وفي الصحيحين[١] عن أبي هريرةَ ﷺ أن رسولَ الله ﷺ قال: «يتعاقبون فيكم ملائكةٌ بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاةِ العصرِ وصلاةِ الفجر، ثم يعرُج الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو أعلم بهم فيقول: كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهم يصلّون وأتيناهم وهم يصلّون».

وعنه ﷺ عن النبي ﷺ قال: «إن لله تبارك وتعالى ملائكةً يطوفون في الطُّرق يلتمسون أهلَ الذكر، فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله تعالى تنادَوا هلُمّوا إلى حاجتكم، قال: فيَحفّونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا، قال: فيسألهم ربُهم عز وجل وهو أعلمُ منهم: ما يقول عبادي؟ قال: يقولون: يسبِّحونك ويكبّرونك ويحمَدونك ويمجّدونك، قال: فيقول تعالى: هل رأوْني؟ قال: فيقولون: لا واللّهِ ما رأوك.

قال: فيقول: وكيف لو رأَوني؟ قال: يقولون: لو رأَوك كانوا لك أشدَّ عبادةً وأشدَّ لك تمجيداً وأكثرَ لك تسبيحاً، قال: يقول: فما يسألوني؟ قال: يقولون: يسألونك الجنةَ، قال: يقول: وهل رأَوها؟ قال: يقولون: لا واللّهِ يا ربِّ ما رأَوها، قال: يقول: فكيف لو أنهم رأَوها؟ قال: يقولون: لو أنهم رأوْها كانوا أشدَّ عليها حرصاً وأشدَّ لها طلباً وأعظمَ فيها رغبة.

قال: فمِمَّ يتعوّذون؟ قال: يقولون: من النار، قال: يقول: وهل رأَوْها؟ قال: يقولون: لا والله ما رأَوها، قال: يقول: كيف لو رأَوها، قال: يقولون: لو

(١) البخاري (٢/٣٣ رقم ٥٥٥) ومسلم (١/٤٣٩ رقم ٦٣٢).

رأوها كانوا أشدَّ منها فراراً وأشدَّ لها مخافةً، قال: فيقول: فأُشهدكم أني قد غفَرْت لهم، قال: يقول ملكٌ من الملائكةِ: فيهم فلانٌ ليس منهم، إنما جاء لحاجة، قال: هم الجلساءُ لا يشقى بهم جليسُهم».

متفق عليه[1] وهذا لفظ البخاريّ.

وعنه ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «كان ملكُ الموتِ يأتي الناسَ عِياناً، فأتى موسى عليه الصلاة والسلام فلطَمه فذهب بعينه، فعرج إلى ربه عز وجل فقال: يا ربِّ بعثْتَني إلى موسى فلطمني فذهب بعيني، ولولا كرامتُه عليك لشققْتُ عليه.

قال: ارجِعْ إلى عبدي فقل له فليضَعْ يدَه على ثور فله بكل شعرةٍ وارتْ كفُّه سنةٌ يعيشها، فأتاه فبلّغه ما أمره، فقال: ثم ماذا بعد ذلك؟ قال: الموتُ، قال: الآن، فشمّه شمّةً قبض فيها روحَه، ورد اللّهُ على ملك الموتِ بصرَه».

وفي لفظ: «فلطم عينَه ففقَأها فرجعَ فقال: أرسلْتَني إلى عبد لا يريد الموتَ، فرد اللّهُ عليه عينَه وقال: ارجِع إلى عبدي فقل له إن كنت تريد الحياةَ فضع يدك على متْنِ ثورٍ.

وفيه: «قال: يا ربِّ فالآنَ، وقال: رب أدْنِني من الأرض المقدسة رمْيةً بحجر، قال رسولُ الله ﷺ: «لو كنتُ ثَمَّ لأريتُكم قبرَه إلى جانب الطريقِ عند الكثيبِ الأحمر». متفق عليه[2].

ومن ذلك مِعراجُ نبيِّنا محمدٍ ﷺ إلى سِدْرة المُنتهى وإلى حيث شاء الله عز وجل، كما ثبتت به الأحاديثُ الصحيحةُ المشهورةُ في الصحيحين[3] وغيرِهما.

---

(١) البخاري (١١/٢٠٨ ـ ٢٠٩ رقم ٦٤٠٨) ومسلم (٤/٢٠٦٩ ـ ٢٠٧٠ رقم ٢٦٨٩).

(٢) البخاري (٣/٢٠٦ ـ ٢٠٧ رقم ١٣٣٩) و (٦/٤٤٠ ـ ٤٤١ رقم ٣٤٠٧) ومسلم (٤/ ١٨٤٢ رقم ٢٣٧٢).

(٣) منها: حديث مالك بن صعصعة.
فقد أخرجه البخاري (٧/٢٠١ رقم ٣٨٨٧) ومسلم (١/١٤٩ رقم ١٦٤) والنسائي (١/ ٢١٧ ـ ٢٢١ رقم ٤٤٨).
ومنها: حديث أنس بن مالك ﷺ.
فقد أخرجه البخاري (١٣/٤٧٨ رقم ٧٥١٧) ومسلم (١/١٤٥ رقم ١٦٢) والنسائي (١/ ٢٢١ رقم ٤٤٩).

قال البخاريُّ[1] رحمه الله تعالى: بابُ المعراج. حدثنا هُدبةُ بنُ خالدٍ حدثنا همامُ بنُ يحيى حدثنا قَتادةُ عن أنس بنِ مالكٍ ﷺ عن مالك بنِ صَعْصعةَ ﷺ أن نبيَّ الله ﷺ حدثهم عن ليلة أُسريَ به قال: «**بينما أنا نائمٌ في الحَطيم - وربما قال في الحِجْر مضطجعاً - إذ أتاني آتٍ فقدَّ، قال: وسمعتُه يقول: فشُقَّ ما بين هذه إلى هذه**.

فقلت للجارود وهو إلى جنبي: قال: مِن ثُغرة نحْرِه إلى شِعْرته وسمعتُه يقول: **من قَصِّه إلى شِعرته فاستخرجِ قلبي، ثم أُتيت بطَسْت من ذهب مملوءةٍ إيماناً فغَسل قلبي ثم حُشيَ ثم أُعيد. ثم أُتيت بدابة دون البغلِ وفوق الحمارِ أبيضَ**، فقال له الجارود: هو البُراقُ يا أبا حمزةَ؟

فقال أنس: نعم يضع خَطوه عند أقصى طرفِه.

فحُملتُ عليه فانطلق بي جبريلُ حتى أتى السماءَ الدنيا فاستفتح فقيل: مَن هذا؟ قال: جبريلُ. قيلَ: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: وقد أُرسِل إليه؟ قال: نعم. قيل: مرحباً به فنِعم المجيءُ جاء. ففتح فلما خلَصْتُ فإذا فيها آدمُ فقال: هذا أبوك آدمُ فسلِّم عليه، فسلمتُ عليه فردَّ السلامَ ثم قال: مرحباً بالابن الصالحِ والنبيِّ الصالح.

ثم صعِد حتى أتى السماءَ الثانيةَ فاستفتح، قيل: مَن هذا؟ قال: جبريلُ. قيل: ومَن معك؟ قال: محمدٌ ﷺ. قيل: وقد أُرسِل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحباً به فنعم المجيءُ جاء، ففتح فلما خلصتُ إذا بيحيى وعيسى وهما ابنا الخالة، قال: هذا يحيى وعيسى فسلِّم عليهما، فسلمتُ فردّا ثم قالا: مرحباً بالأخِ الصالحِ والنبيِّ الصالحِ.

= ومنها: حديث أبي ذر ﷺ.
فقد أخرجه البخاري (١/ ٤٥٨ رقم ٣٤٩) ومسلم (١/ ١٤٨ رقم ١٦٣).
ومنها: حديث ابن مسعود ﷺ.
فقد أخرجه مسلم (١/ ١٥٧ رقم ١٧٣) والنسائي (١/ ٢٢٣ - ٢٢٤ رقم ٤٥١) والترمذي (٥/ ٣٩٣ - ٣٩٤ رقم ٣٢٧٦). وقال: حديث حسن صحيح.

(١) في صحيحه (٧/ ٢٠١ رقم ٣٨٨٧) وقد تقدم تخريجه في التعليقة السابقة.

ثم صعِدتُ إلى السماء الثالثةِ فاستفتح، قيل: من هذا؟ قال: جبريلُ، قيل: ومن معك؟ قال: محمد ﷺ، قيل: وقد أُرسِل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحباً به فنعم المجيءُ جاء، ففتح فلما خلصتُ إذا يوسفُ، قال: هذا يوسفُ فسلم عليه، فسلمتُ عليه فرد، ثم قال: مرحباً بالأخ الصالحِ والنبيِّ الصالح.

ثم صعِد بي حتى أتى السماءَ الرابعةَ فاستفتح. قيل مَن هذا؟ قال: جبريلُ. قيل: ومن معك؟ قال: محمدٌ ﷺ. قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم. قيل: مرحباً به فنعم المجيءُ جاء. ففتح فلما خلصتُ إذا إدريسُ. قال: هذا إدريسُ فسلم عليه. فسلمتُ عليه فرد. ثم قال: مرحباً بالأخ الصالحِ والنبيِّ الصالحِ.

ثم صعد بي حتى أتى السماءَ الخامسةَ فاستفتح. قيل: من هذا؟ قال: جبريلُ. قيل: ومن معك ؟ قال: محمد ﷺ. قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم. قيل: مرحباً به فنعم المجيءُ جاء. فلما خلصتُ فإذا هارون. فقال: هذا هارون فسلّم عليه. فسلمتُ عليه فرد. ثم قال: مرحباً بالأخ الصالحِ والنبيِّ الصالحِ.

ثم صعِد بي حتى أتى السماءَ السادسةَ فاستفتح قيل: مَن هذا؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد ﷺ. قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم. قيل: مرحباً به فنعم المجيءُ جاء. فلما خلصتُ فإذا موسى. قال: هذا موسى فسلّم عليه. فسلمتُ عليه فرد. ثم قال: مرحباً بالأخ الصالح والنبيِّ الصالح. فلما تجاوزتُ بكى. قيل له: ما يُبكيك. قال: أبكي لأن غلاماً بُعث بعدي يدخُل الجنةَ من أمته أكثرُ مما يدخُلها من أمتي.

ثم صعِد بي إلى السماء السابعةِ فاستفتح جبريلُ. قيل: مَن هذا؟ قال: جبريل. قيل ومن معك؟ قال: محمد. قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم. قال: مرحباً به فنعم المجيءُ جاء. فلما خلصتُ فإذا إبراهيمُ. قال: هذا أبوك فسلم عليه. قال: فسلمتُ عليه فرد السلام. قال: مرحباً بالابن الصالحِ والنبيِّ الصالحِ.

ثم رُفعِتُ إلى سِدرة المنتهى فإذا نبقُها مثلُ قِلال هَجَر، وإذا أوراقُها مثلُ آذانِ الفِيَلةِ. قال: هذه سِدرةُ المنتهى، وإذا أربعةُ أنهارٍ: نهرانِ ظاهران ونهران باطنان. فقلت: ما هذا يا جبريلُ؟ قال: أما الباطنان فنهران في الجنة، وأما الظاهران فالنيلُ والفراتُ.

ثم رُفع لي البيتُ المعمورُ، ثم أُتيت بإناء من خمر وإناءٍ من لبن وإناءٍ من عسل، فأخذتُ اللبنَ فقال: هي الفِطرةُ أنت عليها وأمتُك.

ثم فُرضت عليَّ الصلوات خمسين صلاةً كلَّ يوم، فرجعتُ فمررت على موسى فقال: بِمَ أُمرت؟ قال: أُمرتُ بخمسين صلاةً كلَّ يوم، قال: إن أمتَك لا تستطيع خمسين صلاةً كلَّ يوم، وإني واللّهِ قد جرَّبتُ الناسَ قبلك وعالجتُ بني إسرائيلَ أشدَّ المعالجة، فارجعِ إلى ربك فاسأله التخفيفَ لأمتك، فرجعتُ فوضع عني عشراً، فرجعت إلى موسى فقال مثله، فرجعت فوضع عني عشراً، فرجعتُ إلى موسى فقال مثلَه، فرجعت فوضع عني عشراً، فرجعتُ إلى موسى فقال مثله، فرجعتُ فأُمرت بعشر صلواتٍ كلَّ يوم، فرجعتُ فقال مثله، فرجعتُ فأُمرت بخمس صلواتٍ كلَّ يوم، فرجعت إلى موسى فقال: بِمَ أمرت؟ قلت: أُمرت بخمس صلواتٍ كل يوم، قال: إن أمتك لا تستطيع خمسَ صلواتٍ كلَّ يوم، وإني قد جرَّبتُ الناسَ قبلك وعالجتُ بني إسرائيلَ أشدَّ المعالجة فارجِع إلى ربك فاسأله التخفيفَ لأمتك.

قال: سألتُ ربي حتى استحيَيتُ ولكني أرضى وأسلِّم. قال: فلما جاوزتُ ناداني منادٍ: أمضيتُ فريضتي وخففتُ عن عبادي.

ومن ذلك التصريحُ بنزوله تبارك وتعالى كما في الصحيحين[1] عن أبي هريرةَ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ينزلُ ربُّنا كلَّ ليلةٍ إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلثُ الليلِ الآخِرُ فيقول: مَن يدعوني فأستجيبُ له، من يسألني فأُعطِيه، من يستغفرني فأغفرُ له».

وقد ثبت في ذلك أحاديثُ كثيرةٌ عن نحو ثلاثين صحابياً[2]، وقد ثبت أيضاً

(١) البخاري رقم (١١٤٥) و (٦٣٢١) و (٧٤٩٤). ومسلم رقم (٧٥٨).

(٢) منها: حديث أبي سعيد الخدري.
فقد أخرجه مسلم رقم (٧٥٨/١٧٢).
ومنها: حديث جبير بن مطعم.
فقد أخرجه الدارمي (٣٤٧/١) وأحمد (٨١/٤) والآجري في «الشريعة» (ص٣١٢) وابن خزيمة في «التوحيد» (ص١٣٣)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (ص٤٥١) وسنده صحيح.
=

= ومنها: حديث رفاعة بن عرابة الجهني.
فقد أخرجه أحمد (١٦/٤) والدارمي (٣٤٧/١) وابن ماجه رقم (١٣٦٧) وابن خزيمة في «التوحيد» (ص١٣٢)، والآجري في «الشريعة» (ص٣١٠) **وسنده صحيح.**
ومنها: حديث علي بن أبي طالب ﷺ.
فقد أخرج الدارمي (٣٤٨/١) وأحمد (١٢٠/١) **وسنده جيد.**
ومنها: حديث ابن مسعود ﷺ.
فقد أخرجه أحمد (٣٨٨/١، ٤٠٣، ٤٤٦) والآجري في «الشريعة» (ص٣١٢)، وابن خزيمة في «التوحيد» (ص١٣٤) **وسنده صحيح.**
ومنها: حديث أبي بكر الصديق ﷺ.
فقد أخرجه اللالكائي (٤٨٦/٣ رقم ٧٥٠) وابن أبي عاصم في «السنة» رقم (٥٠٩).
قال الألباني: **حديث صحيح، وإسناد ضعيف... وإنما صححت الحديث لأنه روي عن جمع من الصحابة بلغ عددهم عندي الثمانية.**
ومنها: حديث جابر ﷺ.
فقد أخرجه اللالكائي (٤٨٦/٣ ـ ٤٨٧ رقم ٧٥١) **بسند ضعيف.**
ومنها: حديث أبي الدرداء ﷺ.
فقد أخرجه اللالكائي (٤٨٩/٣ ـ ٤٩٠ رقم ٧٥٦) **بسند ضعيف.**
ومنها: حديث عمرو بن عبسة ﷺ.
فقد أخرجه اللالكائي (٤٩٣/٣ رقم ٧٦١) **بسند ضعيف.**
وأخرجه الترمذي رقم (٣٥٧٩) وابن ماجه رقم (١٣٦٤) وأحمد (٣٨٥/٤)، وقال الترمذي **حديث حسن صحيح غريب.**
ومنها: حديث عقبة بن عامر الجهني ﷺ.
فقد أخرجه اللالكائي (٤٩٤/٣ رقم ٧٦٢) **ورجاله ثقات.**
ومنها: حديث ابن عباس ﷺ.
فقد أخره اللالكائي (٤٩٨/٣ رقم ٧٦٦) وابن أبي عاصم في «السنة» رقم (٥١٣) وقال الألباني: **إسناده صحيح.**

(١) ورد ذلك عن أبي ثعلبة الخشني، وأبي موسى الأشعري، وعائشة.
* أما حديث أبي ثعلبة الخشني:
فقد أخرجه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (٤٩٣/٣ رقم ٧٦٠) وابن أبي عاصم في «السنة» رقم (٥١١). وقال الألباني: «**حديث صحيح**، ورجاله ثقات غير الأحوص بن حكيم فإنه ضعيف الحفظ كما في «التقريب»، فمثله يستشهد به فيقوى بالطريق التي بعده وبشواهده المتقدمة وغيرها مما سبقت الإشارة إليه» اهـ. =
يعني في كتاب «السنة» المذكور آنفاً.

وعشيةَ عَرَفَة[1]، وعند فَناءِ الخلق[2]: «**حين ينزل إلى السماء الدنيا فينادي: لمن الملكُ اليومَ، لله الواحدِ القهار**».

وكذا نزولُه تعالى لفصل القضاءِ بين عبادِه كما يشاء وعلى ما يليق بجلاله وعظمتِه، وسيأتي إن شاء الله تعالى بسطُ ذلك كلِه في آخر هذا الفصلِ من المتن.

ومن ذلك تنزُّلُ الملائكة، ونزولُ الأمر من عندِه، وتنزيلُ الكتابِ منه تبارك وتعالى، قال الله عز وجل: ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ﴾ [النحل: ٢].

وقال حكايةً عنهم: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ۖ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ ۚ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم: ٦٤]. وقال تعالى: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ [السجدة: ٥]. الآية. وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾ [الطلاق: ١٢].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ

= **وخلاصة القول أن الحديث صحيح لغيره.**

* وأما حديث أبي موسى الأشعري:

فقد أخرجه اللالكائي (٣/ ٤٩٥ ـ ٤٩٦ رقم ٧٦٣) وابن أبي عاصم في «السنة» رقم (٥١٠).

وقال الألباني في «ظلال الجنة»: (حديث صحيح وإسناده ضعيف لجهالة عبد الرحمن بن عزرب، وضعف ابن لهيعة. والحديث أخرجه ابن ماجه (١٣٩٠) من طريقين آخرين عن ابن لهيعة به، إلا أن أحدهما لم يقل في إسناده: «عن أبيه») اهـ.

* وأما حديث عائشة:

فقد أخرجه اللالكائي (٣/ ٤٩٦ ـ ٤٩٧ رقم ٧٦٤) وابن ماجه رقم (١٣٨٩) وأحمد (٦/ ٢٣٨) والترمذي رقم (٧٣٩) وقال: حديث عائشة لا نعرفه إلا من هذه الوجوه ـ من حديث الحجاج ـ وسمعت محمداً ـ أي البخاري ـ يضعف هذا الحديث.

وقال: يحيى بن أبي كثير لم يسمع من عروة، والحجاج بن أرطأة لم يسمع من يحيى بن أبي كثير».

وخلاصة القول أن حديث عائشة ضعيف.

(١) أخرج اللالكائي (٣/ ٤٩٩ رقم ٧٦٧) بسند ضعيف عن أم سلمة قالت: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله عز وجل ينزل إلى السماء الدنيا فيباهي بأهل عرفة ملائكته، فيقول: انظروا إلى عبادي أتوني شعثاً غبراً، يا أهل عرفة قد غفرت لكم**».

(٢) تقدم تخريج هذا الحديث.

رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦].

وقال تعالى: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ﴾ [آل عمران: ٣]، ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ﴾ [إبراهيم: ١]، ﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ﴾ [الأنبياء: ٥٠]، ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [السجدة: ٢]، ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [الزمر: ١]، ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ [الزمر: ٢]، ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ [غافر: ٢]، ﴿تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [فصلت: ٢]، ﴿تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢]، ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾ [الإسراء: ١٠٦]، ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾﴾ [الشعراء]. وغيرُ ذلك من الآيات.

وفي الصحيح[1] عن ابن عباس ﵄: «**بلغ أبا ذر مبعثُ النبيِّ ﷺ فقال لأخيه: اعلمْ لي عِلمَ هذا الرجلِ الذي يزعُم أنه يأتيه الخبرُ من السماء**».

وقد تقدم في حديث الذُهيبةِ[2] قولُه ﷺ: «**يأتيني خبرُ السماء صباحاً ومساءً**».

وفي الصحيح[3] قال المغيرة ﵁: «أخبرنا نبيُنا محمدٌ ﷺ عن رسالةِ ربنا تبارك وتعالى أنه مَن قُتل منا صار إلى الجنة».

وفيه[4]: قالت عائشةُ ﵂: من حدَّثك أن النبي ﷺ كتم شيئاً من الوحي فلا تصدِّقه، إن الله تعالى يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧].

وفيه[5] من حديث ابن مسعودٍ ﵁: قال رجل: يا رسولَ الله أيُّ الذنبِ أعظمُ؟ ـ وذكر الحديثَ إلى أن قال ـ فأنزل الله تصديقَها: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ

---

(١) في صحيح مسلم (٤/١٩٢٣ رقم ٢٤٧٣).
(٢) تقدم تخريجه.
(٣) في صحيح البخاري (١٣/٥٠٣ رقم ٧٥٣٠).
(٤) البخاري (١٣/٥٠٣ رقم ٧٥٣١) ومسلم (١/١٩٥ ـ ١٩٦ رقم ١٧٧).
(٥) البخاري (١٣/٥٠٣ رقم ٧٥٣٢) ومسلم (١/٩٠ ـ ٩١ رقم ٨٦).

﴿ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ [الفرقان: ٦٨]. الآيات. وغيرُ ذلك من نصوص الكتابِ والسنة.

ومن ذلك رفعُ الأيدي إليه والأبصار كما في حديث القنوت[١] وأحاديثِ الاستسقاء[٢]، وحديثُ دعائِه ﷺ على النفر الذين طرحوا على ظهره الشريفِ سَلا الجَزورِ وهو ساجدٌ[٣] وحديثُ استغاثِته ربَّه ببدر ومناشدتِه إياه حتى سقط رداؤُه[٤]، وكذا في أُحد[٥] ....

---

(١) أخرج البيهقي في «السنن الكبرى» (٢/٢١١) عن ثابت، عن أنس بن مالك، ـ في قصة القراء وقتلهم ـ قال: فقال لي أنس: لقد رأيتُ رسول الله ﷺ كلما صلى الغداة رفع يديه يدعو عليهم، يعني على الذين قتلوهم.
قال النووي في «المجموع» (٣/٤٧٩): إسناده صحيح أو حسن.
قال البيهقي (٢/٢١١ ـ ٢١٢) رحمه الله تعالى: «ولأن عدداً من الصحابة ﷺ رفعوا أيديهم في القنوت. . .
ثم روي عن أبي رافع قال: صليت خلف عمر بن الخطاب ﷺ فقنت بعد الركوع ورفع يديه وجهر بالدعاء. قال البيهقي: **هذا عن عمر صحيح.**
وروي عن علي بن أبي طالب ﷺ **بإسناد فيه ضعف.**
وروي عن ابن مسعود وأبي هريرة ﷺ في قنوت الوتر.
* وأما مسح الوجه باليدين بعد الفراغ من الدعاء، فقد قال البيهقي: **«لست أحفظه عن أحد من السلف في دعاء القنوت، وإن كان يروى عن بعضهم في الدعاء خارج الصلاة.**
وقد روي فيه عن النبي ﷺ حديث فيه ضعف، وهو مستعمل عند بعضهم خارج الصلاة. وأما في الصلاة فهو عمل لم يثبت بخبر صحيح ولا أثر ثابت ولا قياس، فالأولى أن لا يفعله، ويقتصر على ما فعله السلف ﷺ من رفع اليدين دون مسحهما بالوجه في الصلاة، وبالله التوفيق» اهـ.

(٢) منها حديث أنس الذي أخرجه البخاري (٢/٥٠١ رقم ١٠١٣) ومسلم (٢/٦١٢ ـ ٦١٣ رقم ٨٩٧) أن رجلاً دخَل يومَ الجمعةِ من بابٍ كان وِجاهَ المنبر ورسولُ اللَّهِ ﷺ قائمٌ يخطب، فاستقبل رسولَ اللَّهِ ﷺ قائماً فقال: يا رسولَ الله هلكتِ المواشي، وانقطعتِ السبُلُ، فادعُ اللَّهَ يغيثُنا. قال: فرفعَ رسولُ اللَّهِ ﷺ يديه. . . الحديث.

(٣) أخرجه البخاري (١/٣٤٩ رقم ٢٤٠) ومسلم (٣/١٤١٩ رقم ١٧٩٤) من حديث عبد الله بن مسعود.

(٤) أخرجه مسلم (٣/١٣٨٣ ـ ١٣٨٤ رقم ٥٨/١٧٦٣).

(٥) أخرجه أحمد (٣/٤١٤). وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦/١٢١، ١٢٢) وقال: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.
وأخرجه الحاكم (١/٥٠٧)، وقال الحاكم: هذا صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.
وقال الذهبي: لم يخرجا لعبيد وهو ثقة، والحديث مع نظافة إسناده منكر أخاف أن يكون موضوعاً رواه عن خلاد بن أبي مسرة.
=

والخندقِ[1] وحُنينٍ[2]، واستغفاره لرفيق أبي موسى[3] يومئذ وغيرُ ذلك.

فكُتب السنةِ مملوءةٌ بهذا النوعِ، وقد ورد في رفع اليدين في الدعاء أكثرُ من مائة حديثٍ في وقائعَ متفرّقة[4]، وذلك معلومٌ بالفِطَر، فكلُ مَن حزَبَه أمرٌ من المؤمنين رفعَ يديه إلى العلو يدعو الله عز وجل.

= **قلت:** أما قول الذهبي لم يخرجا لعبيد فهو كما قال، حيث لم يذكر أحد من أصحاب الكتب التالية أنهما رويا له أو أحدهما: الخلاصة للخزرجي (ص٢٥٤) و «الكاشف» للذهبي (٢/ ٢٣٧) «تهذيب التهذيب» للحافظ ابن حجر (٧/ ٦٠ رقم ١٣٣).

ولكن عبيد بن رفاعة ثقة. وكذلك خلاد بن يحيى ثقة «تهذيب التهذيب» (٣/ ١٥٠ رقم ٣٣١).

وأخيراً ابن أبي مسرة صدوق [الجرح والتعديل (٥/ ٦)].

والخلاصة أن الحديث صحيح لغيره، والله أعلم.

(١) أخرجه البخاري (٧/ ٤٠٦ رقم ٤١١٥) ومسلم (٣/ ١٣٦٣ رقم ٢١/ ١٧٤٢) من حديث ابن أبي أوفى.

(٢) أخرجه مسلم (٣/ ١٤٠١ رقم ٧٩/ ١٧٧٦) من حديث البراء. وقد انفرد مسلم بلفظ الدعاء.
وأما الحديث فقد أخرجه البخاري رقم (٤٣١٥، ٤٣١٦، ٤٣١٧) ومسلم رقم (١٧٧٦) والترمذي رقم (١٦٨٨).

(٣) هو عبيد بن عامر. والقصة في غزوة أوطاس.
أخرجه البخاري في صحيحه (٨/ ٤١ رقم ٤٣٢٣).

(٤) **منها:** ما أخرجه البخاري (١١/ ١٩٦ رقم ٦٣٩٧) ومسلم (٤/ ١٩٥٧ رقم ١٩٧/ ٢٥٢٤) من حديث أبي هريرة. قال: قدم الطفيل وأصحابُهُ فقالوا: يا رسولَ اللّهِ، إنْ دَوْساً قد كفرَتْ وأبَتْ، فادعُ اللّهَ عليها. فقيل: هلكت دوسٌ. فقال: **«اللهم اهدِ دوساً وائتِ بهم»**.

* وأخرجه البخاري في «الأدب المفرد» رقم (٦١١) عن أبي هريرة قال: قدم الطفيل بن عمرو الدوسي على رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله: إن دوساً قد عصت وأبت، فادع الله عليها. فاستقبل رسول الله ﷺ القبلة ورفع يديه، فظن الناس أنَّهُ يدعو عليهم. قال: **«اللهم اهدِ دوساً وائتِ بهم»، وهو حديث صحيح.**

* قال المحدث الألباني في «صحيح الأدب المفرد» (ص٢٢٩): «ليس عندهما قوله: «ورفع يديه»، وقد صرح بذلك الحافظ في المكان المشار إليه آنفاً من الفتح. وإسناده صحيح على شرط الشيخين، وقد عزاه البيهقي في «دلائل النبوة» للبخاري في صحيحه.
وهو من تساهله كما بينته في «الصحيحة» رقم (٢٩٤١).

وفي الحديث فائدة هامة وهي استقبال القبلة بالدعاء، ولذلك قال شيخ الإسلام في بعض كتبه: «لا يستقبل بالدعاء إلا ما يستقبل بالصلاة».
يشير بذلك إلى أنه لا يجوز استقبال القبور بالدعاء كما يفعل بعض الجهلة في المسجد النبوي، فإنهم يستقبلون قبره ﷺ بالدعاء ومن بعيد، ونحوه استقبال الهلال بالدعاء عند=

وكذلك رفعُ البصرِ ثبت في الدعاء بعد الوضوءِ في سنن أبي داود[1] وهو في الصحيح[2] بدون رفع البصر.

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**إنَّ طرْفَ صاحبِ الصُّورِ مذ وكِّل به مستعدٌ ينظُر نحوَ العرشِ مخافةَ أن يُؤمرَ قبل أن يرتدَّ إليه طرفُه كأن عينيه كوكبان دُريَّان**». أخرجه الحاكم وصححه[3].

= إهلاله، فليتنبه لهذا اهـ.

ومنها: أخرج الترمذي (٥/ ٣٢٦ رقم ٣١٧٣) عن عمر بن الخطاب. قال: كانَ رسولُ اللَّهِ ﷺ إذا نزلَ عليه الوحيُ سُمِعَ عندَ وجهِهِ كدَوِيِّ النحلِ، فأُنْزِلَ عليه يوماً، فمكثنا ساعةً فَسُرِّيَ عنه، فاستقبلَ القبلةَ، ورفع يديهِ، وقال: «**اللهُمَّ زِدْنَا ولا تُنْقِصْنا، وأكرِمْنا ولا تُهنَّا، وأعطِنا ولا تحرِمْنا، وآثرنا ولا تؤثِر علينا، وأرضِنا وارضَ عنا**».

وأخرجه الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٣٩٢) وقال **صحيح الإسناد**، وقال الذهبي: سئل عبد الرزاق عن شيخه ذا فقال: أظنه لا شيء.

قلت: يونس بن سليم الصنعاني شيخ عبد الرزاق قال عنه الحافظ ابن حجر في «التقريب» (٢/ ٣٨٤): مجهول. وقال عنه الذهبي في «الكاشف» (٣/ ٣٠٤): واه، ويونس هذا في سند الترمذي والحاكم.

فالحديث بهذا الإسناد ضعيف.

قلت: وارجع إلى «فتح الباري» (١١/ ١٤١) و«فض الوعاء في أحاديث رفع اليدين في الدعاء»، للحافظ السيوطي. تحقيق وتخريج محمد شكور.

(١) في «السنن» (١/ ١١٩ رقم ١٧٠) من حديث عقبة بن عامر الجهني. **وهو حديث ضعيف.**

(٢) في صحيح مسلم (١/ ٢٠٩ - ٢١٠ رقم ٢٣٤).

(٣) في «المستدرك» (٤/ ٥٥٨ - ٥٥٩) وقال: «**هذا حديث صحيح الإسناد** ولم يخرجاه. وقال الذهبي على شرط مسلم.

قلت: إن في سنده مروان بن معاوية الفزاري، وهو ثقة حافظ من رجال الجماعة إلا أنه مدلس من الثالثة، ويدلس أيضاً تدليس الشيوخ، وقد عنعن هنا، وليس هو من شيوخ مسلم.

[الجرح والتعديل (٨/ ٢٧٢ - ٢٧٣ رقم ١٢٤٦) والتقريب (٢/ ٢٣٩ رقم ١٠٢٦)].

وتابع مروان عند ابن أبي الدنيا - كما في النهاية لابن كثير (١/ ٢١٣) - عبد الواحد بن زياد العبدي مولاهم وهو ثقة من رجال الجماعة.

[الجرح والتعديل (٦/ ٢٠ - ٢١ رقم ١٠٨) والتقريب (١/ ٥٢٦ رقم ١٣٨٣)].

وخلاصة القول أن الحديث حسن لغيره بمجموع الطريقين.

وأخرج البغويُّ عن ثابتٍ البنانيِّ قال: كان داودُ عليه السلام: يُطيل الصلاةَ ثم يركع ثم يرفع رأسَه إلى السماء ثم يقول: **«إليك رفعتُ رأسي يا عامرَ السماءِ نظرَ العبيدِ إلى أربابِها يا ساكنَ السماء»**.

قال الذهبي[1]: إسنادُه صالحٌ.

وعن أبي هريرةَ ﷺ قال: يُحشرَ الناسُ حُفاةً عُراةً مُشاة قياماً أربَعِمائة سنةٍ شاخصةً أبصارُهم إلى السماء ينتظرون فصْلَ القضاءِ، قد ألجمهم العرَقُ من شدة الكرب، وينزل اللَّهُ تعالى في ظُلل من الغمام من العرش إلى الكرسي. أخرجه أبو أحمدَ العَسّالُ في كتاب المعرفة[2].

وعن عبد الله بنِ مسعود ﷺ عن النبي ﷺ قال: **«يجمعُ اللَّهُ الأولين والآخرينَ لميقات يوم معلوم أربعين سنةً شاخصةً أبصارُهم إلى السماء ينتظرون فصْلَ القضاءِ، وينزل اللَّهُ في ظلل من الغمام من العرش إلى الكرسي»**. الحديث بطوله قال الذهبي[3]: إسنادُه حسنٌ. وفيه أحاديثُ غيرَ ما ذكرنا.

---

(١) في «العلو» (ص٥٥).
قلت: وأخرجه اللالكائي (٣/٤٤٣ رقم ٦٦٩) وقال محققه: «إذا كان المراد به: داود النبي فهو من الأخبار الغيبية التي لا تعرف إلا بواسطة مأمونة وهي: «الوحي» أو «النقل الصحيح»، وهذا الأثر مجرد من ذلك فلا حجة فيه إذن.
وفي صحيح الآثار الإسلامية ما يكفي لمن أراد الحق اهـ.

(٢) عزاه إليه الذهبي في «العلو» (ص٦٥).

(٣) في «العلو» (ص٧٣).
قلت: أخرجه الحاكم (٤/٥٨٩ ـ ٥٩٢) والدارقطني في «الرؤية» رقم (١٧٨) والطبراني في «الكبير» (٩/٤١٧ ـ ٤٢١ رقم ٩٧٦٣) وعبد الله بن أحمد في «السنة» (٢/٥٢٠ ـ ٥٢٤ رقم ١٢٠٣).
وقال الحاكم: **الحديث صحيح ولم يخرجاه**، وأبو خالد الدالاني ممن يجمع حديثه في أئمة أهل الكوفة.
وقال الذهبي: ما أنكره حديثاً على جودة إسناده وأبو خالد شيعي منحرف.
قلت: أبو خالد الدالاني واسمه يزيد بن عبد الرحمن، وهو صدوق يخطئ كثيراً، ولم أجد من وصفه بالتشيع سوى الذهبي هنا. ولكن لم ينفرد أبو خالد بهذا الحديث بل تابعه زيد بن أبي أنيسة.
وأصل الحديث في صحيح مسلم مختصراً (١/١٧٣، ١٧٤، ١٧٤ ـ ١٧٥ رقم ٣٠٨، ٣٠٩، ٣١٠).
وخلاصة القول أن حديث ابن مسعود حسن، والله أعلم.

ومن ذلك إشارةُ النبيِّ ﷺ إلى العلو في خُطبته في حجة الوداع بأُصبعه وبرأسه، كما في حديث جابر الطويلِ عند مسلمٍ[1] وفيه: «**وقد تركت فيكم ما لن تضلوا إن اعتصمتم به: كتابَ الله، وأنتم تُسألونَ عني فما أنتم قائلون؟** قالوا: نشهد أنك قد بلّغتَ وأدّيتَ ونصحْت، فقال بأصبعه السبابةِ يرفعها إلى السماء وينكُتها إلى الناس: «**اللهم اشهدْ، اللهم اشهدْ**» ثلاث مرات. وذكر الحديث.

وللبخاري[2] من حديث ابن عباسٍ في خُطبته ﷺ يوم النحْر ـ وفيه ـ ثم رفع رأسَه فقال: «اللهم هل بلغت، اللهم هل بلّغتُ» الحديث.

ومن ذلك النصوصُ الواردةُ في ذكر العرشِ وصفتِه وإضافتِه غالباً تبارك وتعالى وأنه تعالى فوقه، قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [النمل: ٢٦]. وقال تعالى: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ﴾ [المؤمنون: ١١٦]. وقال تعالى: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ [هود: ٧]. وقال تعالى: ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ﴾ [غافر: ١٥]. وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [البروج]، إلى غير ذلك.

وفي الصحيح[3] عن ابن عباس رضي الله عنهما: كان النبيُّ ﷺ يقول عند الكرب: «**لا إله إلا الله العليمُ الحليم. لا إله إلا اللَّهُ ربُ العرشِ العظيم، لا إله إلا اللَّهُ ربُ السمواتِ وربُ الأرضِ ربُ العرشِ الكريم**».

وفيه[4] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إن في الجنة مِائةَ درجةٍ أعدها الله للمجاهدين في سبيله كلُ درجتين ما بينهما كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فسلوه الفردوسَ فإنه أوسطُ الجنة وأعلى الجنةِ وفوقه عرشُ الرحمن ومنه تَفجّرُ أنهارُ الجنة**».

وفيه[5] عن أبي سعيد الخُدريِّ رضي الله عنه عن النبي ﷺ، قال النبيُّ ﷺ: «**فإن**

---

(١) (٢/ ٨٩٠ رقم ١٢١٨).
(٢) في صحيحه (٣/ ٥٧٣ رقم ١٧٣٩).
(٣) البخاري (١١/ ١٤٥ رقم ٦٣٤٦) ومسلم (٤/ ٢٠٩٢ ـ ٢٠٩٣ رقم ٢٧٣٠).
(٤) البخاري (٦/ ١١ رقم ٢٧٩٠).
(٥) البخاري (٥/ ٧٠ رقم ٢٤١٢) ومسلم (٤/ ١٨٤٤ رقم ٢٣٧٣).

الناسَ يُصعقون يوم القيامة فأكون أولَ من يُفيق، فإذا بموسى آخذٌ بقائمة من قوائم العرشِ. الحديث.

وفيه[1] عن أبي هريرةَ ﷺ أن رسولَ الله ﷺ قال: «**يدُ اللّهِ ملأى لا يَغيضُها نفقة، سحّاء الليلَ والنهارَ**»، وقال: «**أرأيتم ما أنفق منذ خلق السمواتِ والأرضِ فإنه لم يغِضْ ما في يمينه، وعرشُه على الماء، وبيده الأخرى الفيضُ أو القبض، يرفع ويخفِض**»، وفي رواية: «**وبيده الأخرى الميزانُ يخفِض ويرفع**».

وفيه[2] عنه ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**سبعةٌ يظلهم الله تعالى في ظله يوم لا ظِل إلا ظلُّه**». قال الذهبي: إسنادُه صالحٌ.

وعن جابر بن عبدِ الله ﷺ أن رسولَ الله ﷺ قال: «**أُذِن لي أن أحدّثَ عن ملك من ملائكة اللّهِ تعالى من حملةِ العرشِ أن ما بين شحمةِ أُذِنه إلى عاتقه مسيرةُ سبعِمائةِ عام**». رواه أبو داودَ[3] وابنُ أبي حاتمَ[4] ولفظُه: «**أُذن لي أن أحدِّثكم عن ملك من حَمَلة العرشِ بُعدُ ما بين شحمةِ أُذنِه وعُنقِه مَخفقُ الطيرُ سبعَمائة عام**». وإسناده جيدٌ رجالُه كلُهم ثِقاتٌ، وفيه جملةُ أحاديثَ غيرَ ما ذكرنا وقد تقدم منها جملةٌ وافية.

[تكذيب فرعون لموسى في أن إلهه في السماء]

ومن ذلك ما قصه الله تعالى عن فرعون لعنه الله في تكذيبه موسى عليه

---

(١) البخاري (٨/ ٣٥٢ رقم ٤٦٨٤) ومسلم (٢/ ٦٩٠ ـ ٦٩١ رقم ٩٩٣).

(٢) البخاري (٢/ ١٤٣ رقم ٦٦٠) ومسلم (٢/ ٧١٥ رقم ١٠٣١).

(٣) في «السنن» (٥/ ٩٦ رقم ٤٧٢٧).

(٤) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٣٤٦).

قلت: وأخرجه أبو الشيخ في «العظمة» (٣/ ٩٤٨ ـ ٩٤٩ رقم ١/٤٧٦) والبيهقي في «الأسماء والصفات» (ص٣٩٨) والطبراني في «الأوسط» (٢/ ١٩٩ رقم ١٧٠٩).

وقال الطبراني: لم يَرْوِ هذا الحديث عن موسى إلا إبراهيم.

قلت: وهو ثقة كما في «التقريب» ولهذا قال الذهبي في «العلو» (ص٧٨): **إسناده صحيح**.

وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ٨٠) وقال: رواه الطبراني في «الأوسط» ورجاله رجال الصحيح اهـ.

وانظر: «الصحيحة» رقم (١٥١).

وخلاصة القول أن الحديث صحيح.

السلام في أن إلهه اللهُ عز وجل العليُّ الأعلى خالقُ كلِّ شيءٍ وإلهُه.

قال الله تعالى في سورة القصص: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [القصص: ٣٨].

وقال تعالى في سورة المؤمن: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا ۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ ﴿٣٧﴾﴾ [غافر].

ففرعونُ لعنه اللهُ تعالى كذب موسى في أن ربَّ السمواتِ والأرضِ وربَّ المشرقِ والمغربِ وما بينهما هو اللّهُ الذي في السماء فوق جميع خلقِه مباينٌ لهم لا تخفى عليه منهم خافيةٌ، فكلُ جَهْميٍّ نافٍ لعلو اللّهِ عز وجل فهو فرعونيٌّ وعن فرعونَ أخذ دينه، وكلُ سُنِّيٍّ يصف اللّهَ تعالى بما وصف به نفسَه أنه استوى على عرشه بائنٌ من خلقه فهو موسَوِيٌّ محمّديٌّ متبعٌ لرسل اللّهِ وكُتبِه.

[قصة تكليم الله موسى حين تجلّى للجبل فاندكَّ الجبل]

ومن ذلك ما قصّه اللّهُ تعالى في قصة تكليمه موسى حين تجلّى للجبل فاندكَّ الجبلُ، قال الله عز وجل: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ﴾ [الأعراف: ١٤٣]. الآية.

قال التِرمِذيُّ في جامعه في تفسير سورةِ الأعراف[1]: حدثنا عبدُ اللّهِ بنُ عبدِ الرحمنِ أخبرنا سليمانُ بنُ حَرْب أخبرنا حمّادُ بنُ سَلَمةَ عن ثابت عن أنسٍ ﷺ أن النبيَّ ﷺ قرأ هذه الآية: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾ [الأعراف: ١٤٣].

قال حمّاد: هكذا ـ وأمسك سليمانُ بطرَفِ إبهامِه على أنمَلَة أُصبَعِه ـ قال

(١) في «السنن» (٥/ ٢٦٥ رقم ٣٠٧٤) وقال: هذا حديث حسن صحيح.

فساخ الجبلُ وخرَّ موسى صعِقاً. هذا حديثٌ حسنٌ صحيح غريبٌ لا نعرِفه إلا من حديث حمادِ بن سلمةَ.

ورواه أيضاً[1] من طريق معاذِ بنِ مُعاذِ العنبريِّ عن حماد نحوَه، ومن طريق معاذٍ أيضاً رواه أحمدُ[2] حدثنا حمادُ بنُ سلمةَ حدثنا ثابتٌ البنانيُّ عن أنس بن مالكٍ ﷺ عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ﴾ [الأعراف: ١٤٣]. قال: قال هكذا يعني أنه أخرج طرَفَ الخِنْصَر ـ قال أحمد: أرانا معاذ، فقال له حميدٌ الطويل: ما تريد إلى هذا يا أبا محمد؟ قال: فضرب صدرَه ضربةً شديدة وقال: من أنت يا حميدُ، وما أنت يا حميدُ؟ يحدثني به أنسُ بنُ مالكٍ عن النبي ﷺ وتقول ما تريد إليه؟.

ورواه أبو جعفرِ بنِ جريرِ الطبريُّ في تفسير هذه الآيةِ[3] من طريق هُدبةَ بنِ خالدٍ حدثنا حمادُ بنُ سَلَمَة عن ثابت عن أنس ﷺ قال: قرأ رسولُ الله ﷺ: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾ [الأعراف: ١٤٣]، قال: ووضع الإبهامَ قريباً، من طرف خِنْصِره، قال: فساخ الجبلُ، قال حميدٌ لثابت: يقول هكذا؟ فرفع ثابتٌ يدَه فضرب صدرَ حميدٍ وقال: يقوله رسولُ الله ﷺ ويقول أنسٌ وأنا أكتُمه؟.

ورواه الحاكمُ في مستدركه[4] من طرُق عن حمادِ بنِ سَلَمةَ وقال: هذا حديثٌ صحيحٌ على شرط مسلمٍ ولم يخرّجاه.

ورواه الخلاّلُ[5] من طريق هُدبةَ بنَ خالدٍ عن حمادِ بنِ سلمةَ فذكره وقال: هذا إسنادٌ صحيحٌ لا علة فيه.

---

(١) في «السنن» (٥/ ٢٦٦ رقم ٣٠٧٤) وقال: هذا حديث حسن. وهو كما قال.

(٢) في «المسند» (٣/ ١٢٥).
قلت: وأخرجه ابن خزيمة في «التوحيد» (١/ ٢٥٨ ـ ٢٥٩ رقم ١/ ١٦٢) وعبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/ ٢٦٩ رقم ٥٠٠).
وأخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» رقم (٤٨١) بإسناد ضعيف.

(٣) في «جامع البيان» (٦/ ج٩/ ٥٣).
وأخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» رقم (٤٨٠) وإسناده على شرط مسلم.

(٤) في «المستدرك» (٢/ ٣٢٠) وقال: صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي.

(٥) ذكره ابن كثير في تفسير (٢/ ٢٥٤ ـ ٢٥٥). وقال: «هذا إسناد صحيح لا علة فيه».
وخلاصة القول إن الحديث صحيح، والله أعلم.

ورواه ابنُ خُزيمةَ في كتاب التوحيد[1] من طريق عبدِ الوارثِ بنِ عبدِ الصمدِ، حدثنا أبي حدثنا حمادُ بنُ سلمةَ، ومن طريق عفانَ بنِ مسلم قال: حدثنا حمادُ بنُ سلمةَ، ومن طريق الهيثمِ بنِ جميلٍ قال: حدثنا حمادُ بْنُ سلمةَ، ومن طريق مسلمِ بنِ إبراهيمَ قال: حدثنا حمادٌ، ومن طريق حجاجٍ يعني ابنَ مِنْهالٍ عن حمادِ بنِ سلمةَ، ومن طريق سليمانَ بنِ حربٍ عن حمادِ بنِ سلمةَ، قال أبو بكر بنُ خزيمةَ رحمه الله تعالى على هذه الآيةِ قبل سياقِ الحديثِ بهذه الطرق[2]: «أفليس العلمُ محيطاً - يا ذوي الألبابِ - أن الله - عز وجل - لو كان في كل موضعٍ ومع كل بشرٍ وخلْقٍ كما زعمت المعطِّلةُ، لكان متجلياً لكل شيء، وكذلك جميعُ ما في الأرض، لو كان الله تعالى متجلّياً لجميع أرضِه سَهلِها ووَعْرِها وجبالِها وبراريها ومَفاوِزِها ومُدُنِها وقُراها، وعِماراتِها وخرابِها، وجميع ما فيها من نبات وبناءٍ لجعلها دكاً كما جعل اللَّهُ الجبلَ الذي تجلى له دكاً.

قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾ [الأعراف: ١٤٣][3].

انتهى.

وبالجملة فجميعُ رسلِ الله عليهم الصلاة والسلام وجميعُ كتبه المنزلةِ وجميعُ أهل السموات ومؤمني أهلِ الأرض من الجن والإنسِ أتباعِ رسلِ اللَّهِ وجميعُ الفِطَر

---

(١) (١/ ٢٦٠ - ٢٦١ رقم ٣/ ١٦٤) من طريق عبد الوارث بن عبد الصمد.
و (١/ ٢٦١ رقم ٤/ ١٦٥) من طريق عفان بن مسلم.
و (١/ ٢٦٢ رقم ٥/ ...) من طريق الهيثم بن جميل.
و (١/ ٢٦٢ رقم ٦/ ١٦٦) من طريق مسلم بن إبراهيم.
و (١/ ٢٦٣ رقم ٧/ ...) من طريق حجاج يعني ابن منهال.
و (١/ ٢٦٣ رقم ٨/ ...) من طريق سليمان بن حرب.

(٢) في «التوحيد» (١/ ٢٥٨).

(٣) قال محقق: «كتاب التوحيد»: «كان قدماء الجهمية قبل أن يتفلسفوا يقولون: إن الله في كل مكان، فلزمهم أن يكون سبحانه في الحشوش والأخلية، وحوانيت الخمر ودور البغاء، وأجواف الخنازير، وسائر الأمكنة القذرة، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً - ولما ترجمت الفلسفة العربية: ووجدوا بعض الفلاسفة من العقليين يثبتون نوعاً من الموجودات يسمونه المجردات، وينفون عنها المكان والجهة، والصورة إلى غير ذلك من خصائص الأجسام، جعلوا الله عز وجل واحداً من هذه المجردات التي هي في الحقيقة: معدومات، فقالوا: ليس له مكان...» ابن تيمية.

السليمةِ والقلوبِ المستقيمةِ التي لم تجتَلْها الشياطين عن دينها جميعُها شاهدةٌ حالاً ومقالاً أن خالقَها وفاطرَها ومعبودَها الذي تألهه وتفزَعُ إليه وتدعوه رغَباً ورهَباً هو فوق كلِ شيءٍ عالٍ على جميع خلقِه استوى على عرشِه بائناً من مخلوقاته، وهو يعلم أعمالَهم ويسمع أقوالَهم ويرى حركاتِهم وسكناتِهم وجميعَ تقلباتِهم وأحوالِهم لا يخفى عليه منهم خافية.

ولهذا ترى جميعَ المؤمنين عالِمَهم وعاميَّهم وحُرَّهم ومملوكَهم وذكَرَهم وأنثاهم وصغيرَهم وكبيرَهم كلٌّ منهم إذا دعا الله تبارك وتعالى في جلب خيرٍ أو كشفِ مكروه إنما يرفع يديه ويشخَص ببصرِه إلى السماءِ إلى جهةِ العلوِّ، إلى مَن يعلم سرَّه ونجواه متوجهاً إليه بقلبه وقالَبِه يعلم أن معبودَه فوقَه وأنه إنما يُدعى مِن أعلى، لا من أسفل كما يقوله الجهميةُ قبَّحهم الله تعالى وتنزه عما يقولون علواً كبيراً.

ذكرُ أقوالِ أصحابِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ورضيَ عنهم

روى ابنُ أبي شيبةَ[1] عن ابن عمرَ ﷺ قال: لما قُبض رسولُ اللَّهِ ﷺ قال أبو بكرٍ ﷺ: أيها الناسُ، إنْ كان محمدٌ إلهكم الذي تعبُدونه فإن إلهكم قد مات، وإن كان إلهَكم اللَّهُ الذي في السماء فإن إلهَكم لم يمُت. ثم تلا: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾ [آل عمران: ١٤٤]. حتى ختم الآية.

وللبخاري في تاريخه[2] عنه ﷺ قال: لما قُبض رسولُ الله ﷺ دخل أبو بكرٍ ﷺ عليه فأكبَّ عليه وقبّل جبهته وقال: بأبي أنت وأمي، طِبْتَ حياً وميتاً. وقال: من كان يعبُد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله في السماء حيٌّ لا يموت.

---

(١) في «المصنف» (١٤/ ٥٥٣).
قلت: وأخرجه الدارمي في «الرد على الجهمية» (ص٢٦) والذهبي في «العلو» (ص٦٢).
وهو حديث صحيح.

(٢) (١/ ٢٠١ ـ ٢٠٢ رقم ٦٢٣) تعليقاً.
قلت: وأخرجه ابن قدامة في «العلو» رقم (٥٥). وأصل القصة في صحيح البخاري (٣/ ١١٣ رقم ١٢٤١، ١٢٤٢) و (٨/ ١٤٥ رقم ٣٦٦٨).

ولابن أبي شيبةَ[1] عن قيسِ بنِ أبي حازم قالَ: لما قدِم عمرَ ﷺ الشامَ استقبله الناسُ وهو على بعيره، فقالوا: لو ركبْتَ بِرْذَوناً يلقاك عظماءُ الناسِ ووجوهُهم، فقال عمر ﷺ: ألا أراكم ههنا؛ إنما الأمرُ من ههنا ـ فأشار بيده إلى السماء ـ قال الذهبي[2]: إسنادُه كالشمس.

وروى الزهريُّ عن سالم أن كعباً قال لعمرَ[3]: ويلٌ لسلطان الأرضِ من سلطان السماء، فقال عمرُ: إلاَّ من حاسب نفسَه، فقال كعبٌ: إلاَّ مَن حاسب نفسَه. فكبّر عمرُ ثم خرّ ساجداً.

وعن عبد الرحمن بنِ غُنم قال: سمعتُ عمرَ بنَ الخطابِ يقول: ويلٌ لديّان الأرضِ من ديّان السماءِ يومَ يلْقَوْنه، إلا مَن أمر بالعدل فقضى بالحق ولم يقضِ على هوىً ولا قرابة ولا على رَغبة ولا رَهَبٍ، وجعل كتابَ الله مرآةً بين عينيه، قال ابنُ غُنم: فحدثتُ بهذا عثمانَ ومعاويةَ ويزيدَ وعبدَ الملك. رواه أبو نُعيم[4].

وعن أبي يزيدَ المدنيِّ قال: لقِيَتْ عمرَ امرأةٌ يقال لها: خولةُ بنتُ ثعلبةَ، فقال عمر: هذه امرأةٌ سمع اللّهُ شكواها من فوق سبعِ سمواتٍ.

قال الذهبي[5]: هذا إسنادٌ صالحٌ فيه انقطاعٌ، أبو يزيدَ لم يلحق عمرَ ﷺ.

وفي لفظ عمرَ ﷺ أنه مرّ بعجوز فاستوقفتْه فوقف يحدثها، فقال رجل: يا أمير المؤمنين حبستَ الناسَ على هذه العجوزِ، فقال: ويلك أتدري من هي، هذه امرأةٌ سمع اللّهُ شكواها من فوق سبعِ سمواتٍ، هذه خولةُ التي أنزل اللّه فيها: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ [المجادلة: ١].

---

(١) في «المصنف» (١٣/٢٦٣).
قلت: وأخرجه الذهبي في «العلو» (ص٦٢). وإسناده على شرط الشيخين.

(٢) في «العلو» (ص٦٢). بسند صحيح.

(٣) أخرجه الدارمي في «الرد على المريسي» (ص١٠٤) وفي «الرد على الجهمية» (ص٢٩).
وفي إسناده عبد الله بن صالح كاتب الليث وهو صدوق كثير الغلط وفيه غفلة (التقريب: ٣٣٨٨)، وقد تابعه عبد الله بن بكير عند الخرائطي في «فضيلة الشكر» (٦٨) فهو به صحيح، والله أعلم.

(٤) في «الحلية» (٥/٣٨٩) مرسلاً.
وعزاه الذهبي في «العلو» لسمويه في فوائده، (ص٦٣) وإسناده صحيح.

(٥) في «العلو» (ص٦٣).

وهذا الحديثُ رواه عثمانُ بنُ سعيدِ الدارميّ[1]، وقال ابنُ عبد البر[2]: حُدِّثنا من وجوه عن عمرَ ﷺ عنه: فذكره:

ومن شعر عبدِ الله بن رواحة ﷺ:

(شهدتُ بأن وعدَ اللَّهِ حقٌ ... وأن النارَ مثوى الكافرينا)
(وأن العرشَ فوق الماء طافٍ ... وفوقَ العرش ربُ العالمينا)
(وتحمِلُه ملائكةٌ كرامٌ ... ملائكةُ الإلهِ مُسوَّمينا)

قال ابن عبد البر في الاستيعابِ[3]: رويناه من وجوهٍ صحاحٍ.

وروى الدارمي[4] عن ابن مسعودَ ﷺ قال: «ما بين السماءِ الدنيا والتي تليها خمسمائةُ عام، وبين كلِ سماءٍ مسيرة خمسمائة عامٍ، وبين السماء السابعةِ وبين الكرسيّ خمسمائة عام، وبين الكرسيِّ إلى الماء مسيرةُ خمسمائة عام، والعرشُ على الماء، والله تعالى فوق العرشِ، وهو يعلم ما أنتم عليه».

وروى الأعمشُ عن خيثمةَ عنه: «إن العبدَ لَيَهُمّ بالأمر من التجارة أو الإمارةِ حتى إذا تيسّر له نظر اللَّهُ إليه من فوق سبعِ سمواتٍ فيقول للملائكة: اصرِفوه عنه، فإنه إن يسّرتُه له أدخلتُه النارَ». أخرجه اللالكائي بإسناد قوي[5].

---

(١) في «الرد على الجهمية» (ص٢٦). ومن طريقه أخرجه الذهبي في «العلو» (ص٦٣) بسند منقطع.

(٢) في «الاستيعاب» (٤/٢٩١) معلقاً.

(٣) أخرجه الدارمي في «الرد على الجهمية» (ص٢٧)، بسند ضعيف منقطع.
فيه: قدامة بن إبراهيم: قال عنه الحافظ في (التقريب: ٥٥٢٥): مقبول.
ويحيى بن أيوب المصري: قال عنه الحافظ في (التقريب: ٧٥١١): صدوق ربما أخطأ.
قال الذهبي في «العلو» (ص٤٢): «روي من وجوه مرسلة منها يحيى بن أيوب المصري، حدثنا عمارة بن غزية عن قدامة بن محمد بن إبراهيم الحاطبي فذكره»، **فهو منقطع اهـ.**
وقال ابن عبد البر في «الاستيعاب» (٢/٢٩٦): «وقصته مع زوجته حين وقع على أمته مشهورة رويناها من وجوه صحاح» اهـ.

(٤) في «الرد على الجهمية» (ص٢٦ ـ ٢٧) موقوفاً بسند حسن وقد تقدم.

(٥) في «السنة» (ص٦٥) بسند ضعيف. كما أشار الذهبي في «العلو» (ص٦٤) ومن طريقه ساقه الذهبي. وصحح ابن القيم في «الجيوش الإسلامية» (ص١٠٠) إسناده.
وأخرجه الدارمي في «الرد على الجهمية» (ص٢٦) بنحوه.
انظر: «مختصر العلو» (ص١٠٤) للمحدث الألباني.

وعنه ﷺ قال: «إن الله تعالى يبرُز لأهل جنتِه في كل جُمعةٍ في كثيف من كافور أبيض فيحدُث لهم من الكرامةِ ما لم يرَوا مثلَه ويكونون في الدنوّ منه كمسارعتهم إلى الجُمع»، أخرجه ابنُ بطةَ في الإبانة الكبرى بإسناد جيد[١].

وعن علي بنِ أبي طالب[٢] رضي الله عنه قال: البحرُ المسجور يجري تحتَ العرشِ.

وتقدم حديثُ أبي هريرةَ[٣] رضي الله عنه وفيه: **«وينزل الله تعالى في ظُللٍ من الغمام من العرش إلى الكرسي»**.

وعن أم سلمةَ[٤] رضي الله عنها في قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]، قالت: الكيفُ غيرُ معقول، والاستواءُ غيرُ مجهول، والإقرارُ به إيمان، والجحود به كفرٌ.

قال الذهبي[٥]: «هذا القولُ محفوظٌ عن جماعة كربيعةِ الرأي، ومالكٍ الإمامِ، وأبي جعفر التِرمذيّ، فأما أم سلمةَ فلا يصح لأن أبا كنانةَ ليس بثقة وأبو عميرٍ لا أعرفه».

وعن عبد الله بنِ عمرو[٦] رضي الله عنهما قال: قالت الملائكةُ: يا ربنا منا الملائكةُ

---

(١) أورده الذهبي في «العلو» (ص٦٥) وقال: أخرجه ابن بطة في «الإبانة الكبرى» بإسناد جيد، وقد تقدم هذا ولكن بإسناد آخر.

(٢) أخرجه الطبري في «جامع البيان» (١٣/ج٢٧/ ٢٠) بسند ضعيف.
من طريق ابن حميد، وهو محمد بن حميد الرازي سيء الحفظ.
وفيه مهران العطار: سيء الحفظ.
وليث بن أبي سليم قد اختلط فلم يتميز حديثه فترك.

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) أخرجه اللالكائي رقم (٦٦٣).
وأشار إلى هذه الرواية ابن حجر في «الفتح» (١٣/ ٤٠٦).
وقال ابن تيمية في «الفتاوى» (٥/ ٣٦٥) بعد ذكر قول مالك في الاستواء: «وقد روى هذا الجواب عن أم سلمة رضي الله عنها موقوفاً ومرفوعاً، ولكن ليس إسناده مما يعتمد عليه» اهـ.

(٥) في «العلو» (ص٦٥).

(٦) أخرجه الدارمي في «الرد على المريسي» (ص٣٤).
في إسناده عبد الله بن صالح كاتب الليث: صدوق كثير الغلط، ثبت في كتابه وكانت فيه غفلة (التقريب: ٣٣٨٨). ومع ذلك قال الذهبي: إسناده صالح.
وأورده ابن كثير في تفسيره (٣/ ٥٥) عن الطبراني من طريقين مختصراً عما هنا.

المقربون، ومنا حملةُ العرشِ، ومنا الكرامُ الكاتبون، وذكر الحديثَ. قال الذهبي[1]: إسنادُه صالحٌ.

وعن عائشة ﵂ قالت: «وأيمُ اللّهِ إني لأخشى لو كنت أحبُ قتلَه لقتلتُه - يعني عثمان ﵁ - ولكن علم الله من فوق عرشِه أني لم أحبَّ قتلَه». رواه الدارمي[2].

وعن أسماءَ بنتِ عُميسٍ أن جعفراً ﵁ جاءها إذ هم بالحبشة يبكي فقالت: قال: «رأيت فتى مُترفاً من الحبشة شاباً جسماً مر على امرأة فطرح دقيقاً كان معها فنسفتْه الريحُ فقالت: أكِلُك إلى يومِ يجلِس الملكُ على الكُرسي فيأخذ للمظلوم من الظالم». رواه ابنُ ماجه[3] وغيرُه.

وعن أبي أمامةَ الباهليِّ[4] ﵁ قال: «لما لعن الله إبليسَ وأخرجه من سمواته وأخزاه قال: ربِّ أخزيتني ولعنتني وطردتَني عن سمواتك وجوارك، فوعزَّتِك

---

(١) في «العلو» (ص٦٦).
(٢) في «الرد على الجهمية» (ص٢٧) بإسناد صحيح.
(٣) في «السنن» (٢/١٣٢٩ رقم ٤٠١٠) من حديث جابر.
قال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (٣/٢٤٢ - ٢٤٣ رقم ١٤١٠/٤٠١٠): «هذا إسناد حسن، سويد مختلف فيه» اهـ.
قلت: وفيه عنعنة أبي الزبير فإنه كان مدلساً.
وتابعه في «المرفوع منه» الفضل بن العلاء، حدثنا ابن خيثم به.
أخرجه ابن حبان (١١/٤٤٥ رقم ٥٠٥٩ - الإحسان -) والخطيب في «تاريخه» (٧/٣٩٦).
وأخرج البيهقي في «الأسماء والصفات» رقم (٨٦٠) عن عطاء بن السائب عن محارب بن دثار عن ابن بريدة عن أبيه ﵁ قال: لما قدم جعفر ﵁ من الحبشة، قال له رسول الله ﷺ: «ما أعجب شيء رأيته ثم قال...» فذكره.
وإسناده صحيح لولا أن عطاء بن السائب كان اختلط، ولكنه يستشهد به.
والخلاصة: فالحديث حسن، والله أعلم.
* تنبيه: واللفظ المذكور في الكتاب ذكره الذهبي في «العلو» (ص٦٦) وفيه ضعف، لكنه حسن بشواهده.
(٤) ذكره ابن القيم في «اجتماع الجيوش الإسلامية» (ص٦٦) بغير سند.
ولم أقف على هذا الأثر مسنداً.
وقد وقفت على أثر في معناه منسوب إلى أبي قلابة. أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (١٣/١٨٧) وأبو نعيم في «الحلية» (٢/٢٨٤).

لأغوِيَنّ خلقَك ما دامت الأرواح في أجسادهم، فأجابه الربّ تبارك وتعالى فقال: وعزتي وجلالي وارتفاعي على عرشي لو أن عبدي أذنب حتى ملأ السمواتِ والأرضَ خطايا ثم لم يبْقَ من عمره إلا نفَسٌ واحدٌ فندِم على ذنوبه لغفرتُها وبدّلت سيئاتِه كلَّها حسناتٍ».

وقد رُوي عن أبي سعيد الخدريّ[1] ﷺ أن رسولَ اللّهِ ﷺ قال: **«إن الشيطان قال: وعزتك لا أبرَح أُغوي عبادَك ما دامت أرواحُهم في أجسادِهم، فقال الرب: وعزتي وجلالي وارتفاعِ مكاني، لا أزال أغفِر ما استغفروني»**.

وعن ابن عباس ﷺ قال: «إن الكرسيَّ الذي وسِع السمواتِ والأرضَ لموضع قدميه، وما يقدر قدْرَ العرشِ إلا الذي خلقه، وإن السمواتِ في خلق الرحمن عز وجل مثلُ قبةٍ في صحراء» رواه عبدُ الله بنُ أحمدَ في كتاب السنة[2].

---

(١) أخرجه أحمد (٣/٧٦) وأبو يعلى (٢/ ٥٣٠) من طريق ابن لهيعة به دون قوله: «وارتفاع مكاني».

وأخرجه البغوي في «شرح السنة» (٥/٧٦) من طريق ابن لهيعة به وفيه الزيادة «وارتفاع مكاني»، وهي زيادة منكرة.

وأخرجه الحاكم في «المستدرك» (٤/ ٢٦١). وقال: **صحيح الإسناد** ولم يخرجاه وسكت عليه الذهبي.

قلت: وأورد الذهبي هذا الحديث في كتاب «العلو» (ص٧٢) من طريق ابن لهيعة التي فيها الزيادة وقال عقبه: «فيه دراج وهو واه» اهـ.

وللحديث طرق أخرى عن أبي سعيد أخرجه أحمد (٣/٢٩، ٤١) وأبو يعلى (٢/٤٥٨) كلاهما من طريق ليث عن يزيد بن الهاد عن عمرو عن أبي سعيد مرفوعاً.

وقال المحدث الألباني في «الصحيحة» رقم (١٠٤): «هذا إسناد رجاله كلهم ثقات رجال الشيخين، لكنه منقطع بين عمرو - وهو ابن أبي عمرو مولى المطلب - وبين أبي سعيد الخدري، فإنهم لم يذكروا لعمرو رواية عن أحد من الصحابة غير أنس بن مالك وهو متأخر الوفاة جداً عن أبي سعيد، فإن هذا كانت وفاته سنة (٧٥) على أكثر ما قيل، وهو توفي سنة (٩٢) وقيل (٩٣)، انتهى.

وخلاصة القول أن الحديث حسن بطرقه، والله أعلم.

(٢) رقم (٥٩٠) وفي إسناده إبراهيم بن يوسف بن إسحاق بن أبي إسحاق السبيعي، روى عن أبيه وجده أبي إسحاق، وعنه إسحاق بن منصور السلولي وغيره صدوق يهم [التقريب (١/٤٧)].

وإسحاق بن منصور السلولي روى عن إبراهيم بن يوسف بن أبي إسحاق السبيعي وعنه=

وللدارمي[1] عنه رضي الله عنه أنه استأذن على عائشة رضي الله عنها وهي تموت فقال: «كنتِ أحبَّ نساء النبيِّ ﷺ إليه، ولم يكن رسولُ الله ﷺ يُحب إلا طيباً، وأنزل الله تعالى براءتَك من فوق سبعِ سمواتٍ جاء بها الروحُ الأمينُ، فأصبح ليس مسجدٌ من مساجد اللَّهِ تعالى يُذكر فيها إلا هو يُتلى فيها آناءَ الليلِ وآناءَ النهار».

وذكر الطبراني في شرح السنة[2] عن مجاهد قال: قيل لابن عباس: إن ناساً يكذبون بالقدَر، قال: «يكذّبون بالكتاب، لئن أخذت شعر أحدهم لا ينبتونه، إن الله تعالى كان على عرشه قبل أن يخلُقَ شيئاً فخلق الخلقَ فكتب ما هو كائنٌ إلى يوم القيامة، فإنما يجري الناسُ على أمر قد فُرِغ منه».

ولإسحاق بنِ راهُويه[3] عن عِكرِمةَ في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ﴾ [الأعراف: ١٧]. قال ابن عباس رضي الله عنهما: لم يستطع أن يقولَ مِن فوقِهم، علم أن الله تعالى من فوقِهم.

وليحيى بنِ سعيدٍ الأمويِّ[4] عن عدي بنِ عَميرةَ رضي الله عنه قال: خرجت مهاجراً إلى النبي ﷺ، فذكر قصةً طويلةً وقال فيها: فإذا هو ومن معه يسجُدون على وجوههم ويزعُمون أن إلَههم في السماء، فأسلمتُ وتبعتُه.

= عباس العنبري كان صدوقاً تكلم فيه للتشيع. [التقريب (١/ ٦١)].
يوسف ابن إسحاق بن أبي إسحاق السبيعي ثقة، روى عن عمار الدهني وعنه ابنه إبراهيم. [التقريب (٢/ ٣٧٩)].
وقد قال المحدث الألباني عن هذا الإسناد، في «مختصر العلو» (ص١٠٢): **إسناد صحيح رجاله كلهم ثقات.**

(١) في «الرد على الجهمية» (ص٢٧ ـ ٢٨) بإسناد حسن.
(٢) وأخرجه اللالكائي (٤/ ٧٤١ رقم ١٢٢٣) وقال محققه:
وأخرجه ابن بطة بسند آخر عن أبي هاشم... به في «الإبانة» (٢/ ٨٧).
(٣) أخرجه اللالكائي (٣/ ٤٤٠ رقم ٦٦١).
(٤) في مغازيه من طريق ابن إسحاق كما في «اجتماع الجيوش الإسلامية» (ص٦٦) لابن القيم وفيه يزيد بن سنان وهو ضعيف.
وأورد هذا الخبر ابن حجر في «الإصابة» (٤/ ٣٩٣ ـ ٣٩٤) عند ترجمة عدي بن عميرة.
والذهبي في «العلو» (ص٢٥) وقال: هذا حديث غريب.
وأخرجه ابن قدامة في «العلو» رقم (٧).

وأقوالُ الصحابةِ في هذا البابِ وتفاسيرُهم أكثرُ من أن تُحصَرَ، وفيما ذكرنا كفايةٌ.

ذِكرُ أقوالِ التابعين رحمهم الله تعالى
ومَن بعدَهم من أهل السنةِ والجماعة

عن كعبِ الأحبارِ ﷺ قال: قال الله عز وجل في التوراة: «**أنا اللّهُ فوق عبادي، وعرشي فوق جميع خلقي، وأنا على عرشي أدبر أمورَ عبادي، ولا يخفى عليَّ شيءٌ في السماء ولا في الأرض**». قال الذهبي[1] رواتُه ثقاتٌ.

وعنه رحمه الله قال: إن الله تعالى خلق سبعَ سمواتٍ ومن الأرض مثلَهن، ثم جعل بين كلِ سماءين كما بين السماءِ الدنيا والأرض، وجعل كَثْفَها مثل ذلك، ثم رفع العرشَ فاستوى عليه. وذكر الأثر.

رواه أبو الشيخ في كتابه العظمة[2]، قال الذهبي[3]: إسنادُه نظيفٌ، وأبو صالحٌ ليِّنوه وما هو بمتهم بل سيءُ الإتقان.

وعن مسروق رحمه الله تعالى أنه كان إذا حدث عن عائشةَ ﷺ قال: حدثتني الصدّيقةُ بنتُ الصديقِ حبيبةُ الله المبرأةُ من فوق سبعِ سمواتٍ، قال الذهبي[4]: إسنادُه صحيحٌ.

ويُروى عن عطاءِ بنِ يسار رحمه الله أن موسى عليه السلام قال: يا رب، مَن أهلُك الذين هم أهلُك الذين تُظلّهم في ظل عرشِك؟ قال: هم الذين يأوون إلى مساجدي كما تأوي النسورُ إلى أوكارِها[5].

---

(١) في «العلو» (ص٩٢).
وأخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/٧) عنه بسند صحيح.
(٢) (رقم: ٢٣٦) بإسناد حسن.
(٣) في «العلو» (ص٩٢).
قلت: وأخرجه الدارمي في «الرد على الجهمية» (ص٢٩).
(٤) في «العلو» (ص٩٢).
وانظر: «مختصر العلو» (ص١٢٨).
(٥) ذكره الذهبي في «العلو» (ص٩٣) بصيغة التمريض.

وعن عبيد بنِ عميرٍ قال: ينزل الربُّ عز وجل شطرَ الليلِ إلى سماء الدنيا فيقول: مَن يسألني فأعطيه؟ مَن يستغفرني فأغفرُ له؟ حتى إذا كان الفجرُ صعِد الربُّ عز وجل. أخرجه عبدُ الله بنُ الإمامِ أحمدَ في رده على الجهمية[1].

وعن شريح بن عبيدِ اللَّهِ[2] أنه كان يقول: ارتفع إليك ثُغَاءُ التسبيح، وصعِد إليك وَقارُ التقديس، سبحانك ذا الجبروتِ، بيدك الملكُ والمَلكوتُ والمفاتيحُ والمقاديرُ. إسنادُه صحيحٌ.

وعن أبي قِلابَة[3] رحمه الله تعالى قال: «أهبطَ اللَّهُ تعالى آدمَ؟ قال: يا آدمُ إني مُهبطٌ معك بيتاً يُطاف حولَه كما يُطاف حولَ عرشي ويصلّى عنده كما يُصلّى عند عرشي»، وذكر الأثرَ.

قال الذهبيُّ[4]: هو ثابتٌ عن أبي قِلابةَ.

وعن عمرِو بنِ ميمونَ[5] قال: لما تعجّل موسى إلى ربه رأى في ظل العرشِ رجلاً يغبِطه، فسأل الله تعالى أن يُخبِرَه باسمه فقال: لا ولكني أحدثك بشيء من فعله، كان لا يحسد الناسَ على ما آتاهم اللَّهُ من فضلِه، ولا يعُقّ والديه، ولا يمشي بالنميمة. قال الذهبي[6]: إسنادُه قويٌّ.

---

(١) عزاه إليه الذهبي في «العلو» (ص٩٣) ورجاله ثقات.

(٢) أخرجه أبو الشيخ في «العظمة» رقم (١٠٩) بإسناد حسن.
وأورده الذهبي في «العلو» (ص٩٣) وقال: إسناده صحيح.
* الثغاء: صوت الغنم والظباء وغيرها عند الولادة.
وثغت الشاة: صاحت.
وثغاء التسبيح: أصوات التسبيح.

(٣) أورده الذهبي في «العلو» (ص٩٣ - ٩٤).

(٤) في «العلو» (ص٩٤): وأضاف قائلاً: «وأين مثل أبي قلابة في الفضل والجلالة؟ هرب من توليه القضاء في العراق إلى الشام» اهـ.

(٥) أورده الذهبي في «العلو» (ص٩٤). وبسنده ضعيف.
لأن زهير بن معاوية بن خديج سمع من أبي إسحاق بعد ما اختلط. ومع ذلك قال الذهبي: إسناده قوي.

(٦) في «العلو» (ص٩٤).

وعن مجاهدٍ[1] رحمه الله تعالى قال: ما أخذت السمواتُ والأرضُ من العرش إلا كما تأخذ الحلْقةُ من أرض الفَلاة.

وعنه رحمه الله تعالى في قول اللّهِ عز وجل: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩]. قال: يُجلسُه أو يُقعِده على العرش.

قال الذهبي[2]: «لهذا القولِ طرقٌ خمسةٌ. وأخرجه ابنُ جريرٍ في تفسيره[3]، وعمل المَرْوزيُّ مصنفاً».

وعن نَوفٍ البكالي: «أن موسى عليه السلام لما سمعَ الكلامَ قال: من أنت الذي يكلمني؟ قال: أنا ربُّك الأعلى»، قال الذهبيُّ[4]: إسنادُه صحيحٌ.

وعنه قال: إني أجد في التوراة لو أن السمواتِ والأرضَ كُنّ طبقاً من حديد فقال رجلٌ: لا إله إلا اللّهُ، لخَرَقتْهنّ حتى تنتهيَ إلى الله عز وجل»، رواه حمّادُ بنُ سلمةَ[5].

وعن أبي عيسى يحيى بنِ رافع[6] رحمه الله تعالى أن ملكاً لما استوى الربُّ على كرسيه سجد فلا يرفع رأسَه حتى تقوم الساعةُ فيقول: لم أعبُدْك حقَّ عبادَتك.

---

(١) ذكره الذهبي في «العلو» (ص٩٤) وفيه ليث بن أبي سليم صدوق اختلط جداً ولم يتميز حديثه فترك. [التقريب: (٥٦٨٥)].

(٢) في «العلو» (ص٩٤).

(٣) «جامع البيان» (٩/ج١٥/١٤٥) وفيه ليث بن أبي سليم تقدم الكلام عليه آنفاً.
قال الطبري: وأولى القولين في ذلك بالصواب ما صح به الخبر عن رسول الله ﷺ. عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: **«عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً»**، سُئل عنها، قال: **«هي الشفاعة»**.

(٤) في «العلو» (ص٩٤). وقال: «إسناده صحيح، ونوف من علماء التابعين ووعاظهم» اهـ.

(٥) ذكره الذهبي في «العلو» (ص٩٥). وفيه علي بن زيد بن جدعان. ضعيف. [التقريب: (٤٧٣٤)].

(٦) ذكره الذهبي في «العلو» (ص٩٥). وقال: «أبو عيسى هو يحيى بن رافع أدرك عثمان بن عفان رضي الله عنه» اهـ.
قلت: وفيه نعيم بن حماد: صدوق يخطئ كثيراً، فقيه عارف بالفرائض.
[التقريب: (٧١٦٦)] وقال يحيى بن معين عنه: ليس في الحديث بشيء، ولكنه صاحب سنة» [التهذيب: (٤/ ٢٣٥)].

وعن قتادةَ[1] رحمه الله تعالى قال: قالت بنو إسرائيلَ: «يا ربِّ أنت في السماءِ ونحن في الأرض، فكيف لنا أن نعرِف رضاك وغضبَك؟ قال: **إذا رضيتُ عنكم استعملتُ عليكم خيارَكم، وإذا غضبتُ استعملتُ عليكم شِرارَكم**». قال الذهبي[2]: وهذا ثابتٌ عن قتادةَ.

وعن عِكرِمَةَ[3] رحمه الله تعالى قال: بينما رجلٌ في الجنة اشتهى الزرعَ، فيقول للملائكةِ ابذُروا فيخرج أمثالُ الجبال، فيقول الربُّ عز وجل من فوق عرشه: «كُلْ يا ابنَ آدمَ فإن ابنَ آدمَ لا يشبع». قال الذهبي[4]: إسناده ليس بذاك.

وصحَّ في السنة لِلَّالكائي[5] عن ثابتٍ البنانيِّ قال: كان داودُ عليه السلام يطيل الصلاةَ، ثم يرفع رأسه إلى السماء، ثم يقول: إليك رفعتُ رأسي نظَر العبيدِ إلى أربابها يا ساكنَ السماء.

وفي الحِلية[6] بإسناد صحيح عن مالك بنِ دينارٍ أنه كان يقول: خُذوا، فيقرأ ثم يقول: اسمعوا إلى قول الصادقِ من فوقه عرشِه.

وعن مجاهد في قوله تعالى: ﴿وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا﴾ [مريم: ٥٢] قال: بين السماءِ السابعةِ وبين العرشِ سبعون ألفَ حجاب، فما زال يقرِّب موسى حتى كان بينه

---

(١) أخرجه الدارمي في «الرد على الجهمية» (ص٢٨).

(٢) في «العلو» (ص٩٦) وقال: «هذا ثابت عن قتادة أحد الحفاظ الكبار».

(٣) أخرجه ابن قدامة في «العلو» رقم (٦٩)، وأبو نعيم في «الحلية» (٣/ ٣٣٤) وأورده ابن القيم في «اجتماع الجيوش الإسلامية» (ص٧٢) والذهبي في «العلو» (ص٩٦) **بسند ضعيف**.

(٤) في «العلو» (ص٩٦).

(٥) (٣/٤٤٣ ـ ٤٤٤ رقم ٦٦٩).

قلت: وأخرجه ابن قدامة في «العلو» رقم (٤٤) وأورده الذهبي في «العلو» (ص٩٦) وقال: صح في السنة للالكائي.

وأخرجه الذهبي في «العلو» (ص٥٥) وقال: **إسناده صالح**.

وكذلك أورده الذهبي في «الأربعين» رقم (٣٧) وقال: صح عن ثابت البناني.

(٦) (٢/٣٥٨).

وأورده الذهبي في «العلو» (ص٩٧) وقال: حديث في «الحلية» **بإسناد صحيح**.

قلت: في سند الحلية: سيار بن حاتم العنزي: قال عنه الحافظ في «التقريب» (٢٧١٤): صدوق له أوهام.

وبينه حجابٌ، فلما رأى مكانه وسمع صريفَ القلمِ قال: ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ﴾ [الأعراف: ١٤٣]. هذا ثابتٌ عن مجاهد إمامِ التفسيرِ، أخرجه البيهقي في كتابه الأسماء والصفات[١].

وعن سفيانَ قال: كنت عند ربيعةَ بنِ أبي عبدِ الرحمن فسأله رجل فقال: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه ٥]. كيف استوى؟ فقال: «الاستواءُ غيرُ مجهولٍ والكيفُ غيرُ معقول، ومن الله الرسالةُ وعلى الرسول البلاغ وعلينا التصديقُ[٢].

وعن حسان بنِ عطيةَ[٣] قال: حملةُ العرشِ أقدامُهم ثابتة في الأرض السابعة ورؤوسُهم قد جاوزت السماءَ السابعةَ، وقرونُهم مثلُ طولِهم عليها العرشُ.

وذكر أيوبُ السِخْتيانيُ المعتزلةَ وقال: إنما مدارُ القومِ على أن يقولوا: ليس في السماء شيءٌ. قال الذهبي[٤]: «هذا إسنادٌ كالشمس وضوحاً وكالأُسطوانة ثبوتاً عن سيد أهلِ البصرةِ وعالِمهم رحمه الله تعالى».

وقرأ ابنُ محيصن[٥] رفيقُ ابنِ كثير بمكة: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات: ٢٢].

---

(١) (ص٩٦). وإسناده صحيح.
وأورده الذهبي في «العلو» (ص٩٧ ـ ٩٨).

(٢) أخرجه اللالكائي (٣/ ٤٤١ ـ ٤٤٢ رقم ٦٦٥) وابن قدامة في «العلو» رقم (٧٤). والبيهقي في «الأسماء والصفات» مع اختلاف يسير في اللفظ (ص٤٠٨) والذهبي في «العلو» (ص٩٨).
قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ بعد أن ذكر قولاً مماثلاً لمالك ـ ومثل هذا الجواب ثابت عن ربيعة شيخ مالك. [الفتاوى: (٥/ ٣٦٥)].
وقال في «الحموية» (ص٧٨ ـ ٧٩) وروى الخلال بإسناد كلهم أئمة ثقات عن سفيان بن عيينة، قال: سئل ربيعة بن أبي عبد الرحمن عن قوله: «الرحمن على العرش استوى» وذكر بقية الخبر.

(٣) أورده الذهبي في «العلو» (ص٩٨).
قلت: فيه يحيى بن عبد الله البابلتي. قال عنه الحافظ في «التقريب» (٧٥٨٥) (ضعيف).
* تنبيه في «العلو» البابلي وهو خطأ مطبعي والصواب ما أثبتناه من «التقريب».

(٤) في «العلو» (ص٩٨).

(٥) قال الذهبي في «العلو» (ص٩٨): «وقرأ ابن محيصن رفيق ابن كثير بمكة ﴿وفي السماء=

وعن الضحاك في قوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧]، قال: هو على عرشه وعلمُه معهم أينما كانوا، وفي لفظ: هو فوق العرشِ وعلمه معهم أين ما كانوا. أخرجه العسالُ وابنُ بطةَ وابنُ عبد البرِّ بإسناد جيد[١].

وعن سليمانَ التيْميِّ[٢] رحمه الله تعالى قال: لو سُئلت أين الله لقلتُ في السماء.

وعن حبيبِ بنِ أبي حبيب[٣] قال: شهدتُ خالدَ بنَ عبدِ الله القسريَّ وخطبَهم بواسط فقال: «**أيها الناسُ ضحُّوا تقبَّل الله ضحاياكم، فإني مضحٍّ بالجَعْد بنِ دِرهم، فإنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيمَ خليلاً ولم يكلم موسى تكليماً، سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً**». ثم نزل فذبحه.

قال الذهبي[٤]: والمعتزلةُ تقول هذا وتحرِّف نصَّ التنزيل في ذلك، وزعموا أن الربَّ منزّهٌ عن ذلك.

= **رزقكم وما توعدون﴾** حرف ابن محيصن في كتاب المنهج لأبي محمد سبط الخياط، قال الأستاذ ابن مجاهد: كان عالماً بالأثر والعربية لكن أكثر العلماء على أن قراءة ابن محيصن في عداد الشاذ» اهـ.

(١) أخرجه عبد الله بن أحمد في «السنة» رقم (٥٩٢) وابن جرير الطبري في «جامع البيان» (١٤/ج٢٨/١٢ ـ ١٣) والآجري في «الشريعة» (ص٢٨٩) والبيهقي في «الأسماء والصفات» (ص٤٣٠). **بإسناد حسن**.
وأخرجه ابن عبد البر في «التمهيد» (٧/ ١٣٩) معلقاً، وأورده الذهبي في «العلو» (ص ٩٨ ـ ٩٩). وقال: أخرجه أبو أحمد العسال وأبو عبد الله بن بطة، وأبو عمر ابن عبد البر بإسناد جيد. ومقاتل ثقة إمام» اهـ.

(٢) أخرجه اللالكائي (٣/ ٤٤٤ رقم ٦٧١) وابن قدامة في «العلو» رقم (٧٥) وأورده الذهبي في «العلو» (ص٩٩).

(٣) أخرجه البخاري في «خلق أفعال العباد» رقم (٣): وفي «التاريخ الكبير» (٢/ ٦٤) والدارمي في «الرد على الجهمية» (ص٧ وص١١٣) والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٠/ ٢٠٥ ـ ٢٠٦) وفي «الأسماء والصفات» (ص٢٥٤) والآجري في «الشريعة» (ص٩٧) و (ص٣٢٨) والذهبي في «العلو»، من طريق عبد الرحمن بن محمد به. وفي سنده محمد بن حبيب، وعبد الرحمن بن محمد وهما مجهولان.
وذكره الذهبي في «العلو» (ص١٠٠) عن السري بن يحيى. وإسناده ضعيف لجهالة محمد بن حبيب.

(٤) في «العلو» (ص١٠٠).

وقال أبو عمرَ ابنُ عبدِ البرِّ رحمه الله في التمهيد[1]: وعلماءُ الصحابةِ والتابعين الذين حُمل عنهم التأويلُ قالوا في تأويل قوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧]: هو على العرش وعِلمُه في كل مكان. وما خالفهم أحد في ذلك يحتج به.

طبقةٌ أخرى

عن نُوح الجامع قال: كنت عند أبي حنيفةَ أولَ ما ظهرَ جهمٌ، إذ جاءته امرأةٌ من تِرمِذ كانت تُجالسُ جَهْماً، فدخلت الكوفةَ فأظنُّني أقلُّ ما رأيت عليها عشَرةَ آلافِ نفس، فقيل لها: إن ههنا رجلاً قد نظر في المعقول يقال له أبو حنيفة، فأْتيه. فأتتْه فقالت: أنت الذي تعلم الناسَ المسائلَ وقد تركتَ دينَك، أين إلٰهُك الذي تعبُده؟.

فسكت عنها ثم مكث سبعةَ أيامٍ لا يجيبها، ثم خرج إلينا وقد وضع كتاباً إن الله عز وجل في السماء دون الأرضِ، فقال له رجلٌ: أرأيتَ قولَ اللّٰهِ عز وجل: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ [الحديد: ٤]. قال: هو كما تكتُب إلى الرجل أني معك، وأنت غائبٌ عنه. رواه البيهقي[2].

ثم قال: لقد أصاب أبو حنيفة رحمه الله فيما نفى عن الله عز وجل من الكون في الأرض. وأصاب فيما ذكر من تأويل الآيةِ وتَبع مطلقَ السمع بأن الله تعالى في السماء.

قلت: وإنما أراد بقوله هو كما تكتُب إلى الرجل الخ نفْيَ الحلول، وإلا فربُّنا تبارك وتعالى سواءٌ عنده الغيبُ والشهادةُ والسرُّ والعلانية.

وعن أبي مُطيع الحكَم بنِ عبدِ الله البلْخيِّ قال: سألت أبا حنيفة عمن يقول: لا أعرف ربي في السماء أو في الأرض، قال: «إذا أنكر أنه في السماء أو في

---

(١) في «التمهيد» (٧/١٣٨ ـ ١٣٩).

(٢) في «الأسماء والصفات» (٢/٣٣٧ ـ ٣٣٨ رقم ٩٠٥) وإسناده ضعيف جداً.
وفيه: نوح بن أبي مريم: كذاب وضاع. [التقريب: (٧٢١٠)].
ونعيم بن حماد قد تكلم في حفظه. [التقريب: (٧١٦٦)].
ولذلك قال البيهقي: إن صحت الحكاية عنه.

الأرض فقال: قد كفر؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]. وعرشُه فوق سمواته.

فقلت: إنه يقول: أقول على العرش استوى، ولكن قال: لا يدري العرشَ في السماء أو في الأرض، قال: إذا أنكر أنه في السماء فقد كفر»، رواه شيخُ الإسلامِ الأنصاريُّ في الفاروق[١].

وروى المقدسِيُّ[٢] عنه رحمه الله تعالى أنه قال: من أنكر أن الله عز وجل في السماء فقد كفر.

وعن ابن جريجٍ[٣] رحمه الله تعالى قال: كان عرشُه على الماء قبل أن يخلُق الخلقَ.

وروى الحاكم عن الأوزاعي رحمه الله تعالى قال: «كنا ـ والتابعون متوافرون ـ نقول: إن الله عز وجل فوق عرشِه، ونؤمن بما وردت به السنةُ من صفاته»، وأخرجه البيهقيُّ في الأسماء والصفاتِ[٤].

وللثعلبي[٥] عنه في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤، يونس: ٣، الرعد: ٢، الفرقان: ٥٩، السجدة: ٤، الحديد: ٤]. قال: هو على عرشه كما وصف نفسَه.

وسُئل رحمه الله تعالى عن أحاديثِ الصفاتِ فقال: أمِرُّها كما جاءت[٦].

---

(١) ذكر ذلك الذهبي في «العلو» (ص١٠١).

(٢) ابن قدامة في «إثبات العلو».

(٣) أورده الذهبي في «العلو» (ص١٠٢) وقد قال: روى أبو حاتم الرازي عن الأنصاري عنه ثم ذكره.

(٤) (رقم: ٨٦٥).
والأثر ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في «الحموية» (ص٧٥) وعزاه للبيهقي وصحح إسناده.
وكذلك ذكره الحافظ في «الفتح» (١٣/٤٠٦) وعزاه أيضاً للبيهقي وجود إسناده.
وأيضاً ذكره الذهبي في «تذكرة الحفاظ» (١/١٧٩ ـ ١٨٠) وصحح إسناده.
وأورده الذهبي في «العلو» (ص١٠٢) وعزاه للبيهقي.

(٥) ذكره الذهبي في «العلو» (ص١٠٢).

(٦) أخرجه الآجري في «الشريعة» (ص١٠٢) بإسناد صحيح.
وأورده الذهبي في «العلو» (ص١٠٢).

وعن مقاتل بنِ حيانَ في قوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧]، قال: هو على عرشه وعلمُه معهم. رواه عبدُ اللَّهِ بنُ أحمدَ في السنة[١].

وللبيهقي[٢] عنه قال: بلَغَنا واللَّهُ أعلمُ في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾ [الحديد: ٣]. هو الأولُ قبل كلِ شيءٍ، والآخرُ بعد كلِ شيءٍ، والظاهرُ فوق كلِ شيء، والباطنُ أقربُ من كلِ شيء، وإنما قربُه بعلمِه وهو فوق عرشِه.

وعن سفيان الثوريِّ في قوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤] قال: علمُه[٣].

وقال في جميع أحاديثِ الصفات: أمِرّوها كما جاءت[٤].

وعن الإمام مالكِ بنِ أنسٍ[٥] رحمه الله تعالى قال: الله في السماء وعلمُه في كل مكان لا يخلو منه شيءٌ. وسأله رجلٌ فقال: يا أبا عبد الله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]. كيف استوى؟ فأطرق مالكٌ وأخذتْه الرُّحَضاءُ، ثم رفع رأسَه

---

(١) في «السنة» رقم (٥٩٢) بإسناد لين.
وأورده الذهبي في «العلو» (ص١٠٢) وعزاه لعبد الله بن أحمد في «السنة».

(٢) في «الأسماء والصفات» (ص٤٣٠).
قلت: وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٤/ج٢٨/١٢ ـ ١٣) والآجري في «الشريعة» (ص٢٨٩) بإسناد حسن.
وأورده الذهبي في «العلو» (ص٩٨ ـ ٩٩) وقال: أخرجه أبو أحمد العسال، وأبو عبد الله ابن بطة، وأبو عمر ابن عبد البر بإسناد جيد، ومقاتل ثقة إمام» اهـ.

(٣) أخرجه اللالكائي رقم (٦٧٢). وعبد الله بن أحمد في «السنة» رقم (٥٩٧) والآجري في «الشريعة» (ص٢٨٩) والبيهقي في «الأسماء والصفات» رقم (٩٠٨).
وأورده الذهبي في «العلو» (ص١٠٣). وذكره ابن عبد البر في «التمهيد» (٧/١٣٩).
قال الألباني في «مختصر العلو» (ص١٣٩): «ومعدان هذا لم أعرفه، وقد وقع موصوفاً بـ «العابد» في رواية البيهقي، والله أعلم.
ووقع في «الآجري»: خالد بن معدان! وهو خطأ مطبعي، فإن خالد بن معدان تابعي! وقال المؤلف في «مختصره»: «وهذا الأثر ثابت عن معدان» اهـ.

(٤) أورد ذلك الذهبي في «العلو» (ص١٠٣).

(٥) أخرجه اللالكائي رقم (٦٧٣)، وعبد الله بن أحمد في «السنة» (رقم: ١١). والآجري في «الشريعة» (ص٢٨٩). وإسناده صحيح.

فقال: الرحمنُ على العرش استوى كما وصفَ نفسه، ولا يقال كيف، وكيف عنه مرفوعٌ، وأنت صاحبُ بِدعة، أخرِجوه(١).

وفي رواية قال: الكيفُ غيرُ معقول، والاستواءُ منه غيرُ مجهول، والإيمانُ به واجبٌ، والسؤالُ عنه بِدعةٌ، وإني أخاف أن تكون ضالاً، وأمرَ به فأُخرِج(٢).

وقال سلامُ بنُ مُطيع(٣): ويلكم ما تُنكرون هذا الأمر، والله ما في الحديث شيءٌ إلا وفي القرآن ما هو أثبتُ منه، قولُ اللهِ تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ [الحج: ٧٥، لقمان: ٢٨، المجادلة: ١].

﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ [آل عمران: ٢٨ و ٣٠]. ﴿تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ﴾ [المائد: ١١٦]. ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤، يونس: ٣، الرعد: ٢، الفرقان: ٥٩، السجدة: ٤، الحديد: ٤]. ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر: ٦٧]. ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾ [ص: ٧٥]. ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]. ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ﴾ [القصص: ٣٠]. فما زال في ذلك من العصر إلى المغرب.

وصح عن ابن الماجِشون(٤) أنه سُئل عما جحدت به الجهمية فقال: أما بعد فقد فهمتُ ما سألتَ عنه فيما تتابعته الجهميةُ في صفة الربِّ العظيمِ الذي فاتت عظمتُه الوصفَ والتقديرَ، وكلَّت الألسنُ عن تفسير صفِته، وانحسرت العقولُ دون معرفة قدرِه، فلم تجد العقولُ مساغاً فرجعت خاسئةً حسيرة، وإنما أُمروا بالنظر

---

(١) أخرجه الصابوني في «عقيدة السلف» رقم (٢٥) وأبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٣٢٥ - ٣٢٦). واللالكائي رقم (٦٦٤).
وتابع سلمة عليه بكار بن عبد الله القرشي عند ابن عبد البر في «التمهيد» (٧/ ١٥١).

(٢) أخرجه الدارمي في «الرد على الجهمية» (ص٣٣) والصابوني في «عقيدة السلف» رقم (٢٦).
وأخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» رقم (٨٦٦) و (٨٦٧) من طريقين، وقد جوَّد ابن حجر في «الفتح» (١٣/ ٤٠٦ - ٤٠٧) إسناد الحديث رقم (٨٦٦).
كما صحح الذهبي سنده في «العلو» (ص١٠٣).

(٣) أورده الذهبي في «العلو» (ص١٠٥) معلقاً.
وقال الألباني في «مختصر العلو» (ص١٤٤): **إسناده صحيح**.

(٤) أورده الذهبي في «العلو» (ص١٠٥ - ١٠٦). وقال: صح عن ابن الماجشون...

والتفكيرِ فيما خلق، وإنما يقال: «كيف» لِما لم يكن مرةً ثم كان، أما مَن لا يحول ولا يزول ولم يزل وليس له مِثلٌ فإنه لا يعلم كيف هو إلا هو.

وساق فصلاً طويلاً في هذا المعنى، وذكر جملةً مِنْ نصوص الصفاتِ رحمه الله.

وقال حمادُ بنُ زيدٍ: إنما يدُورون على أن يقولوا: ليس في السماء إلهٌ، يعني الجهميةَ، رواه ابنُ أبي حاتمِ الرازيُّ[1].

وقال محمدُ بنُ إسحاقَ إمامُ أهلِ المغازي[2]: كان اللَّهُ تعالى كما وصف نفسَه إذ ليس إلا الماءُ عليه العرشُ، وعلى العرش ذو الجلال والإكرام، الظاهرُ في علوه على خلقه فليس شيءٌ فوقه، الباطنُ لإحاطته بخلقه فليس شيءٌ دونه، الدائمُ الذي لا يبيد، وكان أولَ ما خلق النورُ والظلمةُ، ثم السمواتُ السبعُ من دُخان، ثم دحى الأرضَ، ثم استوى إلى السماء فحبَكَهن وأكملَ خلْقهن في يومين، ففرَغ من خلق السمواتِ والأرضِ في ستة أيام، ثم استوى على العرش.

طبقةٌ أخرى

روى ابنُ أبي حاتمٍ[3] عن جرير بنِ عبدِ الحميد قال: كلامُ الجَهميةِ أولُه عسلٌ وآخِرُه سُمٌّ، وإنما يحاولون أن يقولوا ليس في السماء إلهٌ.

وصح عن عليِّ بنِ الحسنِ بنِ شقيقٍ[4] قال: قلتُ لعبد الله بنِ المبارك:

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم كما قال الذهبي في «العلو» (ص١٠٦ - ١٠٧)، وعبد الله بن أحمد في «السنة»، رقم (٤١) كلاهما من طريق سليمان بن حرب **بإسناد صحيح**.
وقال الألباني في «مختصر العلو» (ص١٤٧): **فهو إسناد صحيح**، وصححه ابن تيمية أيضاً في «الحموية».

(٢) أورده الذهبي في «العلو» (ص١٠٨). وقال عن محمد بن إسحاق: كان يبالغ في نشر أحاديث الصفات ويأتي بغرائب.
قلت: وذكره الذهبي عن سلمة بن الفضل وهو صدوق كثير الخطأ. [التقريب: (٢٥٠٥)].

(٣) عزاه إليه الذهبي في «العلو» (ص١١٠). **وإسناده صحيح**.

(٤) أخرجه عبد الله بن أحمد في «السنة» رقم (٢٢) والدارمي في «الرد على الجهمية» (ص٢٣). والبيهقي في «الأسماء والصفات» (ص٤٢٧).
وصحح إسناده ابن القيم في «اجتماع الجيوش الإسلامية» (ص٧١).
=

كيف نعرِف ربَّنا عز وجل؟ قال: في السماء السابعةِ على عرشه، ولا نقول: كما تقول الجهميةُ إنه ها هنا في الأرض». فقيل هذا لأحمدَ بنِ حنبل فقال: هكذا هو عندنا.

وعنه رضي الله عنه أن رجلاً قال له: يا أبا عبدِ الرحمن قد خفتُ اللّهَ من كثرة ما أدعو على الجهمية، قال: لا تخفْ فإنهم يزعُمون أن إلهك الذي في السماء ليس بشيء. رواه عبدُ اللّهِ بنُ أحمدَ[1].

وقال نوحٌ الجامعُ وسأله رجلٌ عن الله عز وجل في السماء هو؟ فحدث بحديث النبيِّ ﷺ حين سأل الأَمَة أين الله؟ قالت: في السماء، قال: «**أعتِقْها فإنها مؤمنة**». ثم قال: سمَّاها النبيُّ ﷺ مؤمنةً أن عرفَتْ أن اللّهَ عز وجل في السماء. رواه عبدُ اللّهِ بنُ أحمدَ أيضاً[2].

وقل عبّادُ بنُ العوّام[3]: «كلمْتُ بِشراً المُرَيسيَّ وأصحابَه فرأيتُ آخِرَ كلامِهم ينتهي أن يقولوا ليس في السماء شيءٌ، أرى أن لا يُناكَحوا ولا يُوارثوا».

وثبت عن أبي يوسفَ[4] رحمه الله تعالى قال: «من طلب الدينَ بالكلام

= وقال الألباني في «مختصر العلو» (ص١٥٢): «فهو صحيح كما قال المؤلف رحمه الله تعالى هنا.
وقال في «مختصره»: «هذا صحيح ثابت عن ابن المبارك وأحمد رضي الله عنهما».
وصححه ابن تيمية في «الحموية».

(١) في «السنة» رقم (٢٤) بسند ضعيف.
وأورده الذهبي في «العلو» وعزاه لعبد الله بن أحمد.

(٢) عزاه إليه الذهبي في «العلو» (ص١١١).
ونوح الجامع تقدم أنه متهم بالوضع.
وحديث الجارية صحيح تقدم تخريجه.

(٣) أخرجه عبد الله بن أحمد في «السنة» رقم (٦٥) بسند ضعيف.
وأورده الذهبي في «العلو» (ص١١٢) معلقاً.

(٤) أورده الذهبي في «العلو» (ص١١٢) وصدَّره بقوله: ثبت عن أبي يوسف.
وقال الألباني في «مختصر العلو» (ص١٥٤): «أخرجه الهروي في «ذم الكلام» (٦/ ١٠٤/ ١) من طريقين عن أبي يوسف، وقد جزم بنسبته إليه ابن تيمية في رسالته «الجواب الفاصل» من مخطوطات المكتب الإسلامي».
ثم أخرجه الهروي (٥/ ٩٤/ ٢) عن مالك مثله» اهـ.

تزندق، ومن طلب المالَ بالكيمياء أفلس، ومن تتبع غريبَ الحديث كذَب». وقد ضربَ علياً الأحولَ وطوّف به في شأن الكلامِ وضربَ آخرَ كان معه[1].

وقال محمدُ بنُ الحسن[2]: «اتفق الفقهاءُ كلُهم من المشرق والمغرِب على الإيمان بالقرآن والأحاديثِ التي جاء بها الثقاتُ عن رسولِ الله ﷺ في صفة الربِّ عز وجل من غير تفسيرٍ ولا وصفٍ ولا تشبيهٍ، فمن فسّر شيئاً من ذلك فقد خرج مما كان عليه النبيُّ ﷺ وفارق الجماعةَ لأنه وصفَه بصفةِ لا شيء».

وكتب بشرٌ المريسيُّ[3] قبحه الله تعالى إلى منصور بنِ عمارٍ رحمه الله تعالى يسأله عن قوله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] كيف استوى؟

فكتب إليه: استواؤه غيرُ محدود، والجواب فيه تكلّفٌ، ومسألتُك عن ذلك بدعةٌ، والإيمانُ بجملة ذلك واجبٌ، قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦ﴾ [آل عمران: ٧].

وقيل ليزيدَ بنِ هارونَ: مَن الجهميُّ؟ قال: من زعم أن قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه] على خلاف ما يقِرُّ في قلوب العامة فهو جهميٌّ. رواه عبدُ الله بنُ أحمدَ[4].

---

(١) أورده الذهبي في «العلو» (ص١١٢) من رواية ابن أبي حاتم، وفي سنده بشار الخفاف ضعيف، كثير الغلط، كثير الحديث قاله ابن حجر في «التقريب» (٦٧٤).
* وأخرج عبد الله بن أحمد في «السنة» رقم (٣) بسند حسن عن أبي يوسف القاضي، قال: «جيئوني بشاهدين يشهدان على المريسي، والله لأملأن ظهره وبطنه بالسياط، يقول في القرآن، يعني مخلوق؟».

(٢) أخرجه اللالكائي رقم (٧٤٠).
وأورده الذهبي في «العلو» (ص١١٣) وعزاه للالكائي وابن قدامة.

(٣) أخرجه الخطيب في «تاريخه» (١٣/ ٧٥ ـ ٧٦).
وفي سنده أبو علي الكوكبي قال عنه ابن حجر: إخباري مشهور، رأيت في أخباره مناكير كثيرة بأسانيد جياد.

(٤) في «السنة» رقم (٥٤) بإسناد حسن.
قلت: وأخرجه أبو داود في مسائله (ص٢٦٨ ـ ٢٦٩)، وأورده البخاري في «خلق أفعال العباد» رقم (٤٨) معلقاً بصيغة الجزم.
وانظر: «مختصر العلو» (ص١٦٨).

وقال سعيدُ بن عامرٍ الضبعيُّ[١] وذكر الجهمية فقال: هم شرٌّ قولاً من اليهود والنصارى، قد اجتمع اليهودُ والنصارى وأهلُ الأديانِ مع المسلمين على أن الله عز وجل على العرش، وقالوا هم: ليس على العرش.

وقال أحمدُ بنُ حنبلٍ[٢] رحمه الله: حدثنا وكيعٌ عن إسرائيلَ بحديث: **«إذا جلس الربُّ جل جلالُه على الكرسي»**. فاقشعرّ رجلٌ عند وكيعٍ، فغضب وكيعٌ وقال: أدركْنا الأعمشَ والثوريَّ يحدِّثون بهذه الأحاديثِ ولا يُنكرونَها.

وقال مرة[٣]: نسلِّم هذه الأحاديثَ كما جاءت ولا نقول: كيف كذا ولا لِمَ كذا.

وقالَ عبد الرحمنِ بنُ مَهديٍّ[٤]: إن الجهميةَ أرادوا أن ينفُوا أن يكون اللَّهُ تعالى كلّم موسى وأن يكون على العرش، أرى أن يُستتابوا فإن تابوا وإلا ضُرِبت أعناقُهم.

وقال وهْبُ بنُ جريرٍ[٥]: إياكم ورأيَ جَهْم فإنهم يحاولون أنه ليس شيءٌ في السماء، وما هو إلا وحْي إبليسَ، ما هو إلا الكفْرُ.

وقال الأصمعيُّ[٦]: لما قدِمتْ امرأةُ جهْمٍ فقال رجل عندها: الله على عرشه، فقالت: محدودٌ على محدود. قال الأصمعي: هي كافرةٌ بهذه المقالةِ.

وقال الخليل ابنُ أحمدَ[٧] في قوله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ [البقرة: ٢٧]، يقول: ارتفع.

---

(١) أورده الذهبي في «العلو» (ص١١٧) من رواية ابن أبي حاتم مرسلاً.

(٢) أخرجه عبد الله بن أحمد في «السنة» رقم (٥٨٧) **بإسناد ضعيف**.
فيه عبد الله بن خليفة قال عنه الحافظ في «التقريب» (٣٢٩٤): **مقبول**.
وفي سماع عبد الله بن خليفة من عمر نظر، ومنهم من يرويه عنه عن عمر موقوفاً.
ومنهم من يرويه عنه مرسلاً. تفسير ابن كثير (١/٤٥٨) ن: مطبعة الشعب.

(٣) أخرجه عبد الله بن أحمد في «السنة» رقم (٤٩٥) **بسند صحيح**.

(٤) أخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» (ص٢٤٩) **بإسناد حسن**.
وأخرج عبد الله بن أحمد في «السنة» رقم (٤٦، ٤٨، ١٤٧) **بأسانيد صحيحة نحوه**.

(٥) أخرجه الذهبي في «العلو» (ص١١٨)، وابن قدامة في «العلو» رقم (٨٥) وأورده ابن القيم في «جيوشه» (ص٧٢).

(٦) أورده الذهبي في «العلو» (ص١١٨) معلقاً.

(٧) أخرجه الذهبي في «العلو» (ص١١٨).
وقال الألباني في «مختصر العلو» (ص١٧١) وفيه من لم أعرفهم.

وقال الفرّاء[1]: صعِد. وعن عبد الله بن أبي جعفرٍ الرازيِّ[2] أنه ضرب رأسَ قرابةٍ له كان يرى رأيَ جهْم، وكان يَضرِب بالنعل على رأسه ويقول: لا، حتى تقولَ الرحمنُ على العرش استوى، بائنٌ من خلقه.

طبقةُ الشافعيِّ وأحمدَ رضي الله عنهما

روى الحافظُ المقدسيُّ[3] عن محمد بنِ إدريسَ الشافعيِّ رحمه الله تعالى: «القولُ في السنة التي أنا عليها ورأيتُ عليها الذين رأيتهم مثلُ سفيانَ ومالكٍ وغيرِهما إقرارٌ بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسولُ الله ﷺ، وأن الله تعالى على عرشه في سمائه يقرُب من خلقه كيف شاء، وينزل إلى السماء الدنيا كيف شاء، وذكر سائرَ الاعتقاد».

وقال عبدُ الله بنُ مسلمةَ القعنبيُّ[4]: «من لا يوقن أن الرحمنَ على العرش استوى كما يَقِرّ في قلوب العامةِ فهو جهميٌّ».

وقال عاصمُ بنُ علي[5] شيخُ البخاريِّ رحمهما الله تعالى: «ناظرتُ جهماً فتبين من كلامه أنه لا يؤمن أن في السماء رباً».

---

(١) أخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» (ص٤١٢ ـ ٤١٣) بسند صحيح.
وأورده الذهبي في «العلو» (ص١١٨ ـ ١١٩).

(٢) أورده الذهبي في «العلو» (ص١١٩) معلقاً.
وانظر: مختصر العلو» (ص١٧٢ ـ ١٧٣).

(٣) في «العلو» رقم (٩٢).
وأورده الذهبي في «العلو» (ص١٢٠) وحكم بأن إسناده واه.
والعلة في أبي الحسن الهكاري، وقد قال فيه الذهبي ـ في سير أعلام النبلاء (٦٨/١٩): لم يكن موثقاً في روايته.

(٤) أورده الذهبي في «العلو» (ص١٢١) معلقاً.
وانظر «مختصر العلو» (ص١٧٨).
وقال الذهبي: «المراد بالعامة: عامة أهل العلم... ولقد كان القعنبي من أئمة الهدى، حتى لقد تغالى فيه بعض الحفاظ وفضّله على مالك الإمام.
توفي سنة إحدى وعشرين ومائتين عن بضع وثمانين سنة، وهو أكبر شيخ لمسلم مطلقاً» اهـ.

(٥) أورده الذهبي في «العلو» (ص١٢٢) معلقاً.

وقال عبد اللّه بنُ الزبيرِ الحُميديُّ[1]: نقف على ما وقف عليه القرآنُ والسنة، نقول: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] ومن زعم غيرَ هذا فهو مُبطِلٌ جهميٌّ».

وقال هشامُ بنُ عبيد اللّهِ الرازيّ[2]: «وحبُس رجلٌ في التجهم فجيء به إليه ليمتحِنه فقال له: أتشهد أن الله على عرشه بائنٌ من خلقه؟ فقال: لا أدري ما بائنٌ من خلقه، فقال: رُدّوه فإنه لم يتُب بعدُ».

وقال محمد بن مصعبٍ العابدُ[3]: «مَن زعم أنك لا تتكلم ولا تُرى في الآخرة فهو كافرٌ بوجهك، أشهد أنك فوق العرشِ فوق سبعِ سمواتٍ، ليس كما تقول أعداءُ اللّهِ الزنادقةُ».

وقال أبو عِمرانَ الطَّرَطوسيُّ[4]: قلتُ لسنيدِ بنِ داودَ: هو عز وجل على عرشه بائنٌ من خلقه؟ قال: نعم».

وقال نعيمُ بنُ حمادٍ[5] في قوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ [الحديد: ٤]. قال: معناه أنه لا يخفى عليه خافيةٌ بعلمه، ألا ترى قوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧]، الآية.

---

(١) أخرجه الذهبي في «العلو» (ص١٢٢ ـ ١٢٣).
وانظر: «مختصر العلو» (ص١٨٠).
وقال الألباني: «فقد رأيت ابن تيمية ثبت هذا النص عن الحميدي في كتابه «مفصل الاعتقاد» (ص٦).

(٢) أخرجه الذهبي في «العلو» (ص١٢٣).
وقال الألباني في «مختصر العلو» (ص١٨١): «علي بن الحسن بن يزيد السلمي وأبوه لم أعرفهما. لم يذكرهما ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل». ومن طريقه أخرجه الهروي في ذم الكلام (ق١٢٠/ ١)» اهـ.

(٣) أخرجه عبد الله بن أحمد في «السنة» رقم (٢١٠) بإسناد صحيح.
وانظر: «تاريخ بغداد» (٣/ ٢٨٠) و«مختصر العلو» (ص١٨٣).

(٤) أخرجه الذهبي في «العلو» (ص١٢٦).
وقال الذهبي: «السنيد تفسير كبير رأيته كله بالأسانيد، ومذهبه في الصفات مذهب السلف. توفي سنة ست وعشرين ومائتين» اهـ.

(٥) أخرجه الذهبي في «العلو» (ص١٢٦) بسند صحيح.

وقال رحمه الله تعالى[1]: «من شبَّه اللَّهَ بخلقه فقد كفر، ومن أنكر ما وصفَ به نفسَه فقد كفر، وليس ما وصفَ اللَّهُ به نفسَه ولا رسولُه تشبيهاً».

وقال بشرٌ الحافي[2]: «والإيمانُ بأن اللَّهَ تعالى على عرشه استوى كما شاء وأنه عالمٌ بكل ما كان وأنه يقول ويخلُق، فقوله: كنْ ليس بمخلوق».

ومن دعائه[3]: «اللهم إنك تعلم فوق عرشِك أن الذلَّ أحبُ إليَّ من الشرف، اللهم إنك تعلم فوق عرشِك أن الفقرَ أحبُ إليَّ من الغنى، اللهم إنك تعلم فوق عرشِك أني لا أُوثر على حبك شيئاً».

وقال أبو عبيدٍ القاسمُ بنُ سلاّم[4] ـ في أحاديث الرؤية، والكرسيِّ موضِع القدمين، وضحِكِ ربِنا، وحديثِ أين كان ربنا، فقال: «هذه أحاديث صحاحٌ حملها أصحابُ الحديث بعضُهم عن بعض، وهي عندنا حقٌ لا نشك فيها، ولكن إذا قيل لنا: كيف وضع قدمَه وكيف يضحك؟ قلنا: لا نفسر هذا ولا سمِعنا أحداً يفسره».

وقال أحمدُ بنُ نضرٍ[5] ـ وسُئل عن علم الله فقال ـ: «علمُ اللَّهِ معنا وهو على عرشه».

وقال مكيُّ بنُ إبراهيمَ[6] دخلت امرأةُ جهمٍ على زوجتي فقالت: يا أمَّ

---

(١) أخرجه الذهبي في «العلو» (ص١٢٦) بإسناد صحيح.
(٢) أورده الذهبي في «العلو» (ص١٢٧).
(٣) أخرجه الذهبي في «العلو» (ص١٢٧).
وقال الألباني في «مختصر العلو» (ص١٨٥): «ساقه المصنف بسنده إلى عباس بن دهقان، ولم أجد له ترجمة.
(٤) أخرجه الذهبي في «العلو» (ص١٢٧) بإسناد صحيح.
قلت: وأخرجه ابن منده في «التوحيد» (٣/١١٦ رقم ٥٢٢) والدارقطني في «الصفات» (ص٦٨ ـ ٦٩ رقم ٥٧).
وقال ابن تيمية في «الحموية»: «رواه البيهقي وغيره بأسانيد صحيحة».
وانظر: «مختصر العلو» (ص١٨٦).
(٥) أورده الذهبي في «العلو» (ص١٢٨).
(٦) أخرجه الذهبي في «العلو» (ص١٢٨).
وقال الألباني في «مختصر العلو» (ص١٨٧): «كذا في المطبوعة والمخطوطة، وأظنه خطأ. والصواب محمد بن عمرو البلخي، فإنهم ذكروه في الرواة عن مكي بن إبراهيم، =

إبراهيمَ هذا زوجك الذي يحدث عن العرش مَنْ نَجَره؟ قالت: نجَره الذي نجَر أسنانكِ. قال: وكانت باديةَ الأسنان.

وقال قُتيبةُ بنُ سعيد[1]: قولُ الأئمةِ في الإسلام والسنةِ والجماعة - نعرِف ربَّنا في السماء السابعةِ على عرشه - كما قال جل جلاله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥].

وقال أبو مَعْمر إسماعيلُ بنُ إبراهيمَ القطيعيُّ[2]: «آخِرُ كلامِ الجهميةِ أنه ليس في السماء إلهٌ».

وقال يحيى بنُ معينٍ[3]: إذا قال لك الجهمي: وكيف ينزل؟ فقل: كيف يصعد؟ قلت: الكيفُ في الحالين منفيٌّ عن الله تعالى لا مجالَ للعقل فيه.

وعن ابن المدينيِّ[4] أنه سئل: ما قولُ أهلِ الجماعة؟ قال: يؤمنون بالرؤية وبالكلام، وأن الله عز وجل فوق السمواتِ على عرشه استوى.

فسُئل عن قوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧]. فقال: اقرأ ما قبله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ﴾ [المجادلة: ٧].

وسُئل أبو عبد الله أحمدُ ابنُ حنبلٍ[5] إمامُ أهلِ السنة: الله فوق السماء السابعةِ على عرشه بائنٌ على خلقه، وقدرتُه وعلمُه بكل مكان؟ وقال: نعم هو على عرشه، ولا يخلو شيءٌ من علمه. وقيل له: ما معنى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ [الحديد:

= وهو أبو عبد الله السواق، وهو ثقة من شيوخ البخاري، ومثله مكي بن إبراهيم، والأبار: ثقة حافظ متقن، كما قال الخطيب (٣٠٦/٤)» اهـ.

(١) أخرجه الذهبي في «العلو» (ص١٢٨).

(٢) أخرجه الذهبي في «العلو» (ص١٢٩) بسند صحيح.

(٣) أخرجه الذهبي في «العلو» (ص١٢٩).

(٤) أخرجه الذهبي في «العلو» (ص١٢٩).

(٥) أورده الذهبي في «العلو» (ص١٣٠).
وابن قدامة في «العلو» رقم (٨٠).
وابن القيم في «اجتماع الجيوش» (ص١٢٣) وعزاه إلى كتاب السنة للخلال...
وقد بسط الإمام أحمد، الكلام على معنى المعية في كتابه «الرد على الجهمية» (ص٩٧ - ٩٩).

٤].؟ قال: «علمه محيطٌ بالكل، وربنا على العرش بلا حدٍ ولا صفة».

وقال حرْبُ بنُ إسماعيلَ الكَرمانيُّ(١): قلت لإسحاقَ بنِ راهُويه قوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧]، كيف تقول فيه؟ قال: «حيث ما كنتَ فهو أقربُ إليك من حبل الوريدِ وهو بائنٌ من خلقه، ثم ذكر عن ابن المبارك قولَه: هو على عرشه بائنٌ من خلقه، ثم قال: أعلى شيءٍ في ذلك وأبْيَنُه قولُه تعالى: ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥].

رواه الخلالُ في السنَّة(٢). وقال إسحاقُ بنُ راهُويه(٣): دخلتُ على ابن طاهرٍ فقال: ما هذه الأحاديث يروون أن الله تعالى ينزِل إلى السماء الدنيا؟ قلت: نعم رواها الثقاتُ الذين يَروون الأحكامَ، فقال: ينزِل ويدع عرشه؟ فقلت: يقدر أن ينزِل من غير أن يخلو منه العرش، قال: نعم، قلت: فلم تتكلم في هذا؟.

وروى الخلالُ(٤) عنه قال: قال اللَّهُ تعالى: ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه] إجماعُ أهلِ العلمِ أنه فوق العرشِ استوى ويعلم كلَّ شيءٍ في أسفل الأرضِ السابعة.

وقال رجلٌ لابن الأعرابيِّ(٥) رحمه الله تعالى: يا أبا عبدِ الله ما معنى قولِه: ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه] قال: هو على عرشه كما أخبر. فقال الرجل: ليس كذاك، إنما معناه استولى. فقال: اسكُت ما يُدريك ما هذا، العربُ لا تقول للرجل

---

(١) أورده الذهبي في «العلو» (ص١٣١).

(٢) عزاه إليه الذهبي في «العلو» (ص١٣١). ولم أجده في الأجزاء الخمسة المطبوعة من السنة، ولعله في الأجزاء التي لم تطبع.

(٣) أخرجه الذهبي في «العلو» (ص١٣١ ـ ١٣٢) **بإسناد صحيح**.
وأخرجه البيهقي (ص٤٥١ ـ ٤٥٢) من طريق أخرى عن إسحاق مختصراً.
وعزاه ابن تيمية في «شرح النزول» لابن بطة وصححه.
انظر: «مختصر العلو» (ص١٩٢).

(٤) عزاه إليه الذهبي في «العلو» (ص١٣٢).

(٥) أخرجه الذهبي في «العلو» (ص١٣٣)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (ص٤١٥) واللالكائي رقم (٦٦٦) والخطيب في «تاريخ بغداد» (٥/ ٢٨٣ ـ ٢٨٤) **بسند صحيح**.
وقد أبطل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تأويل الاستواء بالاستيلاء من اثني عشر وجهاً كما في «مجموع الفتاوى» (٥/ ١٤٤ ـ ١٤٩) وابن القيم في «الصواعق» (٢/ ١٢٦ ـ ١٥٢) مختصره من اثنين وأربعين وجهاً. فارجع إليهما لزاماً.

استولى على الشيء حتى يكون له مُضادٌ، فأيُّهما غلب قيل: استولى، واللَّهُ تعالى لا مضادَّ له وهو على عرشه كما أخبر، ثم قال: الاستيلاءُ بعد المغالبة، قال النابغة(*):

إلا لـمِـثْـلـك أو مـا أنـت سـابـقـه سبْقَ الجوادِ إذا استولى على الأمد

وقال ذو النونِ المصريُّ[1] رحمه الله: أشرق لنور وجهِه السمواتُ، وأنار لوجهه الظلماتُ، وحَجب جلالَه عن العيون، وناجاه على عرشه ألسنةُ الصدور.

طبقةٌ أخرى

وقال المُزنيُّ[2] في عقيدته: الحمدُ لله أحقُّ ما بُدي وأولى من شُكر وعليه أُثنيَ، الواحدُ الصمدُ، ليس له صاحبةٌ ولا ولدٌ، جلّ عن المِثْل فلا شبيهَ له ولا عديل، السميعُ البصيرُ العليمُ الخبيرُ المَنيعُ الرفيعُ عالٍ على عرشه فهو دانٍ بعلمه من خلقه، والقرآنُ كلام الله ومن الله، ليس بمخلوق فَيبيدَ، وقدرةُ اللهِ ونعتُه وصفاتُه كلماتٌ غيرُ مخلوقات، دائماتٌ أزلياتٌ، ليست مُحدَثاتٍ فتبيدَ، ولا كان ربُنا ناقصاً فيزيدَ، جلت صفاتُه عن شَبَه المخلوقين، عالٍ على عرشه، بائنٌ من خلقه.

وذكرَ ذلك المعتقَد وقال: لا يصح لأحد توحيدٌ حتى يعلم أن الله على عرشه بصفاتِه، قلت: مثلُ أيِّ شيءٍ؟ قال: سميعٌ بصيرٌ عليمٌ قديرٌ. رواه ابنُ مِنْده[3].

وسُئل محمدُ بنُ يحيى الذُهليُّ رحمه الله تعالى عن حديث عبدِ اللَّهِ بنِ معاويةَ[4] عن النبي ﷺ: **«ليعلم العبدُ أن اللَّهَ معه حيث كان»**. فقال: يريد أن اللَّهَ علمُه محيطٌ بكل ما كان واللَّهُ على العرش.

(*) هو زياد بن معاوية وهو أحد شعراء الجاهلية، انظر: «خزانة الأدب» (٢/ ١٣٥ ـ ١٣٨).

(١) أورده الذهبي في «العلو» (ص١٣٥) وعزاه إلى أبي الشيخ في «العظمة».
وكذلك أورده ابن القيم في «جيوشه» (ص١٧١) وعزاه إلى أبي الشيخ أيضاً، وقد أورده أبو الشيخ في «العظمة» (١/ ٣٩٨).
وقال الألباني في «مختصر العلو» (ص١٩٨): «عمر بن بحر الأسدي لم أعرفه» اهـ.

(٢) أخرجه الذهبي في «العلو» (ص١٣٥).

(٣) عزاه إليه الذهبي في «العلو» (ص١٣٦).

(٤) أخرجه البيهقي في «السنن الكبرى» (٤/ ٩٥ ـ ٩٦) والطبراني في «الصغير» (١/ ٣٣٤ ـ ٣٣٥ رقم ٥٥٥ ـ الروض الداني) بسند صحيح. =

وقال أبو عبد الله محمدُ بنُ إسماعيلُ البخاريُّ رحمه الله تعالى في آخر الجامع الصحيح[1] في كتاب الردِّ على الجهمية: بابُ قولِ اللّهِ تعالى: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ [هود: ٧].

قال أبو العالية[2]: استوى على عرشه ارتفع، وقال مجاهد[3] في استوى: علا على العرش.

وقالت زينبُ أمُّ المؤمنين ﵂: زوّجني اللّهُ من فوق سبعِ سموات[4].

ثم إنه بوّبَ رحمه الله تعالى على أكثرِ ما تُنكره الجهميةُ من الصفات محتجاً بالآيات والأحاديث.

وقال أبو زُرعةَ الرازيُّ وسُئل عن تفسير: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه] فغضِب وقال: «تفسيرُه كما تقرأ، هو على عرشه، وعلمُه في كل مكان، مَن قال غيرَ هذا فعليه لعنةُ الله»[5].

= وقال الطبراني: لا يروى هذا الحديث عن ابن معاوية إلا بهذا الإسناد. ولا يعرف لعبد الله بن معاوية الغاضري حديثاً مسنداً غير هذا.

وقال ابن حجر في «تلخيص الحبير» (٢/ ٣٠٣ رقم ٨١٩/٨): «رواه الطبراني وجوّد إسناده».

وانظر: «الصحيحة» (رقم ١٠٤٦).

قلت: وأصل الحديث عند أبي داود (٢/ ٢٣٩ ـ ٢٤٠ رقم ١٥٨٢) بدون جملة المذكورة. **بسند منقطع.**

وقال الحافظ المنذري في «المختصر» (٢/ ١٩٨ رقم ١٥٢٠): «أخرجه منقطعاً. وذكره أبو القاسم البغوي في «معجم الصحابة» مسنداً، وذكره أيضاً: أبو القاسم الطبراني وغيره مسنداً وعبد الله بن معاوية هذا، له صحبة، وهو معدود في أهل حمص. وقيل: إنه روى عن النبي ﷺ حديثاً واحداً» اهـ.

وهو حديث ضعيف.

(١) (١٣/ ٤٠٣).

(٢) أورده البخاري في صحيحه معلقاً.

وقال ابن حجر في «الفتح» (١٣/ ٤٠٥): أخرجه الطبري من طريق أبي جعفر الرازي عنه.

(٣) أورده البخاري في صحيحه معلقاً.

وقال ابن حجر في «الفتح» (١٣/ ٤٠٥): وصله الفريابي عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عنه.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (١٣/ ٤٠٣ ـ ٤٠٤ رقم ٧٤٢٠) من حديث أنس.

(٥) أورده الذهبي في «العلو» (ص١٣٧).

=

وقال عبدُ الرحمنِ ابنُ أبي حاتم[1]: سألتُ أبي وأبا زُرعةَ رحمهما الله تعالى عن مذهب أهلِ السنةِ والجماعةِ في أصول الدين وما أدركا عليه العلماءَ في الأمصارِ حجازاً وعِراقاً ومصراً وشاماً ويمناً، فكان من مذهبهم أن الله تبارك وتعالى على عرشِه بائنٌ من خلقه كما وصف نفسَه بلا كيف، أحاط بكل شيء علماً.

وقال محمدُ بنُ إدريسَ بنِ المنذرِ الحنظليُّ أبو حاتم الرازيُّ: ونعتقد أن اللّهَ عز وجل على عرشه بائنٌ من خلقه ليس كمثله شيءٌ وهو السميع البصير. رواه أبو القاسم الطبريُّ[2].

وقال يحيى بنُ معاذٍ الرازيُّ: إن اللّهَ على العرش بائنٌ من خلقه أحاط بكل شيءٍ علماً، لا يشِذُّ عن هذه المقالةِ إلا جهْميٌّ يمزُج اللّهَ بخلقه. رواه صاحبُ الفاروق[3].

وعن محمد بنِ أسلمَ الطوسيِّ رحمه الله تعالى قال: قال لي عبدُ الله بنُ طاهرٍ: بلغني أنك لا ترفع رأسَك إلى السماء. فقلت: وهل أرجو الخيرَ إلا ممن هو في السماء. رواه الحاكم في ترجمته[4].

= وعزاه إلى أبي إسماعيل الأنصاري مصنف «ذم الكلام وأهله».
وانظر: «الفتاوى» (٥/ ٥٠) و«تفسير محاسن التأويل» للقاسمي (٧/ ٢٧٩).

(١) أخرجه الذهبي في «العلو» (ص١٣٧ ـ ١٣٨) بأسانيد ثلاثة عن عبد الرحمن بن أبي حاتم. أحدها من طريق هبة الله بن الحسن اللالكائي، وهذا أخرجه في كتابه «شرح أصول السنة».
وقال الألباني في مختصر العلو» (ص٢٠٤): هذا صحيح ثابت عن أبي زرعة وأبي حاتم رحمهما الله.

(٢) أورده الذهبي في «العلو» (ص١٣٩).
وقال الألباني في «مختصر العلو» (ص٢٠٧): «أبو القاسم الطبري ـ هو الإمام اللالكائي مؤلف كتاب «شرح السنن» وما نقله المصنف عنه موافق لما فيه (١/ ٤٨/ ١ ـ ٢) إلا أن فيه اختصاراً، وتقديماً وتأخيراً» اهـ.

(٣) أورده الذهبي في «العلو» (ص١٣٩ ـ ١٤٠).
وقال الألباني في «مختصر العلو» (ص٢٠٧ ـ ٢٠٨): «لم أعرفه، ولم أقف على الإسناد إليه» اهـ.

(٤) أورده الذهبي في «العلو» (ص١٤٠) وجوّد إسناده الألباني في «مختصر العلو» (ص٢١٠).

وقال عبدُ الوهاب الورّاق[1]: من زعم أن اللَّهَ ههنا فهو جهميٌ خبيثٌ، إن اللَّهَ عز وجل فوق العرشِ وعلمُه محيطٌ بالدنيا والآخرة.

وكتب حربٌ الكَرمانيّ[2] إلى عبدِ الرحمنِ بنِ محمد الحنظليّ: «أن الجهميةَ أعداءُ اللَّه، وهم الذين يزعُمون أن القرآنَ مخلوقٌ، وأن اللَّهَ لم يكلم موسى، ولا يُرى في الآخرة، ولا يُعرف لله مكانٌ[3]، وليس على العرش، ولا كرسيٌّ، وهم كفارٌ فاحذرهم.

وقال عثمانُ بنُ سعيد الدارميُّ الإمامُ في كتاب النقض[4]: «قد اتفقت الكلمةُ من المسلمين أن اللَّهَ فوق عرشِه فوق سمواتِه يعلم ويسمع من فوق العرشِ لا تخفى عليه خافيةٌ من خلقه ولا يحجُبهم عنه شيء».

وقال أبو محمدٍ بنُ قُتيبةَ[5] رحمه الله تعالى: كيف يُسوّغ لأحد أن يقولَ إن اللَّهَ سبحانه بكل مكانٍ على الحلول فيه مع قوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [طه: ٥]، مع قولِه: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠]، كيف يصعدُ إليه شيءٌ هو معه، وكيف تعرُج الملائكةُ والروحُ إليه وهو معه، قال: لو أن هؤلاء رجَعوا إلى فِطرتهم وما رُكّبتْ عليه ذواتُهم من معرفة الخالق لعلموا أن اللَّهَ عز وجل هو العليُّ الأعلى وأن الأيديَ تُرفع بالدعاء إليه، والأممُ كلُها عجميُها وعربيُّها تقول إن اللَّهَ في السماء ما تُركت على فِطَرها.

وقال أبو بكر بنُ أبي عاصمٍ الشيبانيُّ[6]: جميعُ ما في كتابنا ـ كتابِ السنةِ

---

(١) ذكره الذهبي في «العلو» (ص١٤٢).

(٢) ذكره الذهبي في «العلو» (ص١٤٣).

(٣) قال الألباني في «مختصر العلو» (ص٢١٣): نسبة المكان إلى الله تعالى مما لم يرد في الكتاب والسنة ولا في أقوال الصحابة وسلف الأمة.
والللائق بنهجهم أن لا ننسبه إليه تعالى خشية أن يوهم ما لا يليق به عز وجل، على أنه مفسر في كلام الكرماني بما بعده» اهـ.

(٤) في «الرد على المريسي» (ص٢٥).
وذكر الذهبي في «العلو» (ص١٤٤).

(٥) في تأويل مختلف الحديث له (ص٢٧١).
وذكره الذهبي في «العلو» (ص١٤٥).

(٦) في كتاب «السنة» له. ومعه «ظلال الجنة في تخريج السنة» للمحدث الألباني. =

الكبيرِ ـ من الأخبار التي ذكرنا أنها توجب العلمَ فنحن نؤمن بها لصِحتها وعدالةِ ناقليها، ويجب التسليمُ لها على ظاهرها، وتركُ تكلّفِ الكلامِ في كيفيتها. فذكرَ من ذلك النزولَ إلى السماء الدنيا والاستواءَ على العرش.

وقال أبو عيسى محمدُ بنُ سَوْرةَ التِرمذيُّ رحمه الله في جامعه[١] لما روى حديث أبي هريرةَ وهو خبرٌ منكرٌ عند أهل الحديثِ: «لو أنّكم أدليتُم بحبلٍ إلى الأرض السفلى لَهَبَط على اللّهِ»، فقال: قال أهلُ العلمِ أراد لهبط على علم اللّهِ وهو على العرش كما وصف نفسَه في كتابه.

وقال أبو داودَ سليمانُ بنُ الأشعثِ السِجْستاني في كتاب السنة من سننه[٢] ـ باب في الجهمية ـ وساق في ذلك حديثَ أبي هريرة قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«لا يزالُ الناس يتساءلون حتى يُقالَ هذا: خَلَقَ اللّهُ الخلقَ، فمنْ خلقَ اللّهَ؟ فمن وجد من ذلك شيئاً فليقل آمنتُ بالله»**.

وفي رواية[٣]: «فإذا قالوا ذلك فقولوا: اللّهُ أحدٌ اللّهُ الصمدُ لم يلدْ ولم يولدْ ولم يكن له كفواً أحد، ثم ليتْفُلْ عن يساره ثلاثاً وليستعِذْ من الشيطان»، وذكر حديثَ الأوعالِ[٤] ....

= وذكر ذلك الذهبي في «العلو» (ص١٤٦).

(١) (٥/ ٤٠٣ ـ ٤٠٤ رقم ٣٢٩٨) وهو جزء من حديث أبي هريرة.
قال الترمذي: **«هذا حديث غريب من هذا الوجه»**.
قال: ويُروى عن أيوب ويونس بن عبيد وعلي بن زيد، قالوا: لم يسمع الحسن من أبي هريرة».
قلت: وأخرجه أحمد (٢/ ٣٧٠) والبيهقي في «الأسماء والصفات» (ص٣٩٩ ـ ٤٠٠) وقال البيهقي: «وفي رواية الحسن عن أبي هريرة انقطاع، ولا يثبت سماعه من أبي هريرة، وروي من وجه آخر منقطع عن أبي ذر مرفوعاً» اهـ.
والخلاصة أن الحديث ضعيف.

(٢) (٥/ ٩١ ـ ٩٢ رقم ٤٧٢١) **وهو حديث صحيح**.
قلت: وأخرجه البخاري (٦/ ٣٣٦ رقم ٣٢٧٦) ومسلم (١/ ١٢٠ رقم ١٣٥).

(٣) (٥/ ٩٢ رقم ٤٧٢٢) من حديث أبي هريرة.

(٤) أبو داود (٥/ ٩٣ ـ ٩٤ رقم ٤٧٢٣) من حديث العباس بن عبد المطلب، قال: كنت في البطحاء في عصابة فيهم رسول الله ﷺ، فمرت بهم سحابة، فنظر إليها، فقال: **«ما تسمون هذه؟»** قالوا: السحاب، قال: **«والمزْنُ»** قالوا: والمزن، قال: **«العَنَان»**، قالوا: =

وحديثَ جبيرِ بنِ مُطعم[1] وحديثَ أُذن لي أن أُحدِّثَ عن ملك الحديث[2] ـ وقد ترجم قبل ذلك وبعده على معتَقَدات أهلِ السنةِ[3] وما ورد فيها من الأحاديث

= والعنان، قال أبو داود: لم أتقن العنان جيداً، قال: «هل تدرون ما بُعْدُ ما بين السماء والأرض»؟ قالوا: لا ندري، قال: «إن بعد ما بينهما إما واحدة أو اثنتان أو ثلاث وسبعون سنة، ثم السماء فوقها كذلك». حتى عدَّ سَبْع سموات: «ثم فوق السابعة بَحْر بين أسفله وأعلاه مثل ما بين سماء إلى سماء، ثم فوق ذلك ثمانية أوعال ـ من الملائكة على صورة الأوعال ـ بين أظلافهم ورُكبهم مثل ما بين سماء إلى سماء، ثم على ظهورهم العرش بين أسفله وأعلاه مثل ما بين سماء إلى سماء، ثم الله تبارك وتعالى فوق ذلك».

قلت: وأخرجه الترمذي (٥/ ٤٢٤ ـ ٤٢٥ رقم ٣٣٢٠) وابن ماجه (١/ ٦٩ رقم ١٩٣).

قال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب».

وروى الوليد بن أبي ثور عن سماك نحوه ورفعه.

وروى شريك عن سماك بعض هذا الحديث وأوقفَهُ ولم يرفَعْهُ» اهـ.

وقال المنذري: (٧/ ٩٣): وفي إسناده الوليد بن أبي ثور ولا يحتج بحديثه.

والخلاصة أن الحديث ضعيف.

(١) أبو داود (٥/ ٩٤ ـ ٩٦ رقم ٤٧٢٦) عنه، قال: أتى رسولَ الله ﷺ أعرابيٌّ فقال: يا رسولَ الله جُهِدَت الأنفس، وضاعت العيال، ونهكت الأموال، وهلكت الأنعام، فاستسق الله لنا، فإنا نستشفع بك على الله، ونستشفع بالله عليك، قال رسول الله ﷺ: «ويحك!! أتدري ما تقول»؟ وسبَّح رسول الله ﷺ فما زال يسبح حتى عُرِفَ ذلك في وجوه أصحابه، ثم قال: «ويحك!! إنه لا يُستشفَعُ بالله على أحد من خلقه، شأن الله أعظم من ذلك، ويحك!! أتدري ما الله، إن عرشه على سمواته لهكذا» وقال بأصبعه مثل القبة عليه: «وإنَّه ليئِطُّ به أطيط الرّحل بالراكب».

قال ابن بشار في حديثه: «إن الله فوق عرشه، وعرشه فوق سمواته» وساق الحديث...

قلت: وأخرجه ابن خزيمة في «التوحيد» ص٩٦، والآجري في «الشريعة» ص٢٩٣ من طرق.

قلت: وفيه «ابن إسحاق» مدلس ولم يصرح بالتحديث.

وخلاصة القول أن الحديث ضعيف.

(٢) أبو داود (٥/ ٩٦ رقم ٤٧٢٧) من حديث جابر. **وهو حديث صحيح.**

(٣) مثل الباب (١٥): باب ردّ الإرجاء (٥/ ٥٥ ـ ٥٩).

الباب (١٦): باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه (٥/ ٥٩ ـ ٦٦).

الباب (١٧): باب في القدر: (٥/ ٦٦ ـ ٨٤).

الباب (١٨): باب في الجهمية: (٥/ ٩١ ـ ٩٧).

الباب (٢٠): باب في الرؤية: (٥/ ٩٧ ـ ١٠٠).

الباب (٢١): باب في الرد على الجهمية (٥/ ١٠٠ ـ ١٠٣).

رحمه الله تعالى كالرؤية والنزولِ وطيِّ السموات والأرض وتكلُّم اللّهِ عز وجل والشفاعةِ والبعثِ وخلقِ الجنةِ والنارِ وفتنةِ القبرِ وعذابِه والحوضِ والميزانِ وغير ذلك، ورد على طوائف الجهميةِ والمُرْجئةِ والخوارجِ والروافضِ رحمه الله تعالى.

وقال ابن ماجَهْ رحمه الله تعالى في سننه: باب ما أنكرت الجهمية[1]، فساق حديث الرؤية[2] وحديثَ أبي رزينٍ[3] وحديثَ جابر[4]: بينا أهلُ الجنة في نعيمهم

= الباب (٢٣): باب في الشفاعة: (٥/١٠٦ ـ ١٠٧).
الباب (٢٤): باب في ذكر البعث والصور (٥/١٠٧ ـ ١٠٨).
الباب (٢٥): باب في خلق الجنة والنار: ٥/١٠٨ ـ ١٠٩).
الباب (٢٦): باب في الحوض: (٥/١٠٩ ـ ١١٢).
الباب (٢٧): باب في المسألة في القبر وعذاب القبر: (٥/١١٢ ـ ١١٦).
الباب (٢٨): باب في ذكر الميزان: (٥/١١٦ ـ ١١٧).
الباب (٢٩): باب في الدَّجّال: (٥/١١٧ ـ ١١٨).
الباب (٣٠): باب في قتل الخوارج: (٥/١١٨ ـ ١٢٠).
الباب (٣١): باب في قتال الخوارج: (٥/١٢٠ ـ ١٢٧).

(١) (١/٦٣ ـ ٧٣).

(٢) * أخرجه ابن ماجه (١/٦٣ رقم ١٧٧) من حديث جرير بن عبد الله.
قلت: وأخرجه أبو داود رقم (٤٧٢٩) والترمذي رقم (٢٥٥١) وأحمد (٤/٣٦٥ ـ ٣٦٦). وابن أبي عاصم في «السنة» رقم (٤٤٦) واللالكائي رقم (٨٢٨) والبيهقي في «الأسماء والصفات» (ص٨٠) والطبراني في «الكبير» رقم (٢٢٢٦) و (٢٢٢٧) والبغوي في «شرح السنة» (٣٧٩) وابن منده في «الإيمان» رقم (٧٩١) و (٧٩٧) من طرق...
وهو حديث صحيح.
* وأخرجه ابن ماجه (١/٦٣ رقم ١٧٨) من حديث أبي هريرة.
قلت: وأخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» رقم (٤٤٤). **وهو حديث صحيح.**
* وأخرجه ابن ماجه (١/٦٣ رقم ١٧٩) من حديث أبي سعيد الخدري.
قلت: وأخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» رقم (٤٥٢) وابن منده في «الإيمان» رقم (٨١٠). **وهو حديث صحيح.**

(٣) أخرجه ابن ماجه (١/٦٤ رقم ١٨٠) من حديث أبي رزين.
قلت: وأخرجه أبو داود رقم (٤٧٣١) وأحمد (٤/١١ ـ ١٢) وابن أبي عاصم في «السنة» رقم (٤٥٩) من طرق...
وهو حديث حسن.

(٤) أخرجه ابن ماجه (١/٦٥ رقم ١٨٤) عنه. **وهو حديث ضعيف.**
انظر: «مختصر العلو» (ص٢١٩ رقم ٢٥١). =

إذ سطع لهم نورٌ ـ الحديثُ تقدم ـ وحديثَ الأوعالِ[1] وغيرَها.

وكذلك مسلمٌ في صحيحه والنَّسائيّ في سننه وغيرُهم من أهل السننِ ساقوا أحاديثَ الصفاتِ وأمرّوها كما جاءت لم يتعرضوا لها بكيف ولا تأويل.

وقال ابن أبي شيبة[2] رحمه الله تعالى: «ذكروا أن الجهميةَ يقولون: ليس بين اللَّهِ وبين خلقه حجابٌ، وأنكروا العرشَ وأن يكون الله فوقه وقالوا: إنه في كل مكان، ففسرت العلماءُ ﴿وهو معكم﴾ يعني علمَه، ثم تواترت الأخبارُ أن اللَّهَ خلق العرشَ فاستوى عليه فهو فوق العرشِ متخلصاً من خلقه بائناً منهم».

وقال سهلُ بنُ عبدِ الله التُسْتَريُّ[3] رحمه الله تعالى: «لا يجوز لمؤمن أن يقول: كيف الاستواءُ، لمن خلق الاستواء، ولنا عليه الرضا والتسليمُ لقول النبي ﷺ: «**إنه تعالى على العرش**»[4]، قال: وإنما سُمِّيَ الزنديقُ زنديقاً لأنه وزن دِقَّ الكلام بمخبول عقلِه وتركَ الأثرَ وتأوَّلَ القرآن بالهوى فعند ذلك لم يؤمن بأن الله تعالى على عرشه».

طبقة أخرى

قال زكريا بنُ يحيى الساجيُّ[5] رحمه الله: «القولُ في السنة التي رأيتُ عليها

= وتخريج الطحاوية (ص١٢٠).

(١) تقدم الكلام عليه.

(٢) ذكره الذهبي في «العلو» (ص١٤٨).

(٣) ذكره الذهبي في «العلو» (ص١٤٨).

قال الألباني في «مختصر العلو» ص٢٢١: « ـ لعله يعني في الاستواء الثاني استواء المخلوق، فإن استواء الله تعالى على عرشه صفة فعل له، وصفته كذاته أزلية، لا يجوز القول بخلقها كما هو ظاهر لا يخفى» اهـ.

(٤) تقدم تخريجه.

(٥) أخرجه ابن بطة العكبري في «الإبانة الكبرى في السنة» ـ وهو أربع مجلدات ـ كما في «العلو» (ص١٥٠).

* والساجي شيخ البصرة وحافظها، وعنه أخذ أبو الحسن الأشعري الحديث ومقالات أهل السنة. رحل إلى المزني والربيع فتفقه بهما.

وله كتاب «علل الحديث» وكتاب اختلاف الفقهاء»، لقي أبا الربيع الزهراني وطبقته، وعاش بضعاً وثمانين سنة. توفي سنة سبع وثلاثمائة.

أصحابَنا أهلَ الحديثِ الذين لقِيناهم إن اللّهَ على عرشه في سمائه يقرُب من خلقه كيف شاء. وساق سائرَ الاعتقاد».

وقال أبو جعفر محمدُ بنُ جريرِ الطبريُّ إمامُ المفسرين[1] رحمه الله في عقيدته: «وحسْبُ امرئٍ أن يعلمَ أن ربَّه هو الذي على العرش استوى، فمن تجاوز ذلك فقد خاب وخسِر».

ونقل في تفسير: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الفرقان: ٥٩]، في المواضع كلِها: أي علا وارتفع[2]، وتفسيرُه مشحون بأقوال للسلفِ على الإثبات.

وقال حمادُ بنُ البوشَنجيُّ[3]: «هذا ما رأينا عليه أهل الأمصارِ وما دلت عليه مذاهبُهم فيه، وإيضاحُ منهاج العلماء وصفةِ السنةِ وأهلِها، أن اللّهَ فوق السماء السابعةِ على عرشه بائنٌ من خلقه، وعلمُه وسلطانُه وقدرتُه بكل مكان».

وقال إمامُ الأئمة محمدُ بنُ إسحاقَ بنِ خُزيمةَ[4]: «من لم يُقِرَّ بأن اللّهَ على عرشه استوى فوق سبعِ سمواتِه بائنٌ من خلقه فهو كافرٌ يستتاب، فإن تاب وإلا ضربت عنقُه وأُلقيَ على مزْبلة لئلا يتأذى برائحتِه أهلُ القبلةِ وأهلُ الذمة».

وقال أبو العباس ابنُ سُريج[5]: قد صح عن جميع أهلِ الديانةِ والسنةِ إلى زماننا أن جميع الآيِ والأخبارِ الصادقةِ عن رسول الله ﷺ يجب على المسلمين الإيمانُ بكل واحدٍ منها كما ورد، وأن السؤالَ عن معانيها بدعةٌ، والجوابَ كفرٌ

---

(١) رواه المصنف بإسناده عن أبي سعيد الدينوري، واسمه عمرو بن محمد بن يحيى كما وقع في إسناد جزء «الاعتقاد» لابن جرير المطبوع في بومباي. ولم أعرفه.
ولكن تابعه أبو بكر أحمد بن كامل قال: قال أبو جعفر محمد بن جرير: فأول ما نبدأ فيه بالقول من ذلك كلام الله عز وجل... فذكر معتقده، وفيه ما روى الدينوري. قاله الألباني في «مختصر العلو» (ص٢٢٤).
قلت: وانظر: «صريح السنة» للطبري (ص٢٧) و «شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي» (١/٢٠٦).

(٢) (جامع البيان) (١١/ج١٩/٢٨).

(٣) أورده الذهبي في «العلو» (ص١٥١).

(٤) أورده الذهبي في «العلو» (ص١٥٢). وابن تيمية في «الحموية» (ص٩١).
وقال: ذكره عنه الحاكم بإسناد صحيح.

(٥) أورده الذهبي في «العلو» (ص١٥٢).

وزندقةٌ، مثلُ قوله: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ﴾ [البقرة: ٢١٠]. وقوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]. وذكر الاعتقادَ.

وقال ثعلب[1] إمامُ العربية: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]: علا.

وقال أبو جعفرٍ الترمذيُّ[2] وسأله سائلٌ عن حديث نزولِ الربِّ: فالنزولُ كيف هو يبقى فوقه علُوٌّ؟ فقال: النزولُ معقولٌ والكيف مجهولٌ والإيمانُ به واجبٌ والسؤالُ عنه بدعة.

وقال الطحاوي الإمامُ في عقيدته[3]: «والعرشُ والكرسيُّ حقٌّ كما بيّن في كتابه، وهو مستغنٍ عن العرش وما دونه، محيطٌ بكل شيءٍ وفوقه».

وقال أبو الحسن الأشعريُّ[4] في ذكر مقالةِ أهلِ السنةِ وأصحابِ الحديث: «وأن الله على عرشه كما قال تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه]، قال: ورأينا المسلمين جميعاً يرفعون أيديَهم إذا دعَوا نحو السماء؛ لأن الله تعالى مستوٍ على العرش الذي هو فوق السموات، فلولا أن الله على العرش لم يرفعوا أيديهم نحو العرش».

وقال أبو محمد البربهاريُّ[5] رحمه الله تعالى: الكلامُ في الرب محدثةٌ وبدعة وضلالة، فلا يتكلم في الله إلا بما وصف به نفسَه، ولا نقول في صفاته لم ولا كيف، يعلم السرَّ وأخفى، وعلى عرشه استوى، وعلمُه بكل مكان.

---

(١) أورده الذهبي في «العلو» واسمه أحمد بن يحيى الشيباني مولاهم ـ ويعرف بثعلب ـ وأثره عند اللالكائي (١/ ٩٢/ ١) كما في «مختصر العلو» (ص٢٣٠ ـ ٢٣١).

(٢) أورده الذهبي في «العلو» (ص١٥٦).
وقال الألباني في «مختصر العلو» (ص٢٣١): «إسناده صحيح، أخرجه المصنف بإسناده إلى أبي بكر الخطيب، وهذا رواه في «التاريخ» (١/ ٣٦٥) بإسناد رجاله ثقات...».

(٣) في كتابه «العقيدة الطحاوية» (٢/ ٣٧٢ ـ مع شرح ابن أبي العز) تحقيق وتخريج وتعليق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي وشعيب الأرناؤوط.

(٤) في مقالات الإسلاميين (ص٢٩٠).

(٥) ذكره الذهبي في «العلو» (ص١٦٤).
قلت: ذكر طرفاً كبيراً نحو ثلاث صفحات ابن العماد في «شذرات الذهب» (٢/ ٣١٩ ـ ٣٢٢).

طبقةٌ أخرى من أئمة الإسلامِ وعلماء السُنة

قال أبو أحمد العسالُ[1] في باب تفسيرِ قولِه تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه]، فساق ما ورد فيه من أقوال السلفِ وأئمتهم وحديثَ ابنِ مسعودٍ وقد مر.

وقال أبو بكر الصبغيُّ[2] في قوله تعالى: ﴿مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك: ١٦، ١٧]: أي من على العرش كما صحت الأخبارُ عن رسول الله ﷺ.

وقال أبو القاسمِ الطبرانيُّ في كتاب السنة[3]: بابُ ما جاء في استواء اللّهِ على عرشه بائناً من خَلقه، فساق في الباب حديثَ أبي رزينٍ العُقيليِّ[4] وحديثَ الأوعالِ[5] وغيرَهما من أحاديث العلوّ.

وقال أبو بكرِ الآجُرّيُّ[6]: «الذي يذهب إليه أهلُ العلمِ أن الله تعالى على عرشه فوق سمواتِه، وعلمُه محيطٌ بكل شيء قد أحاط بجميع ما خلق في السموات العُلى وبجميع ما خلق في سبعِ أرضينَ، يَرفع إليه أعمالَ العباد».

وقال أبو الشيخ في كتاب العظمةِ[7] له: ذكرُ عرشِ الربِّ تبارك وتعالى وكرسيِّه وعِظَم خلقِهما وعلوّ الربِّ فوق عرشِه. وساق جملةَ أحاديثَ في ذلك.

وقال أبو بكرِ الإسماعيليُّ[8]: استوى على العرش بلا كيف وإنه انتهى إلى أنه استوى على العرش ولم يذكر كيف كان استواؤه».

---

(١) في كتابه «المعرفة» كما في «العلو» للذهبي (ص١٦٥).
واسمه محمد بن أحمد بن إبراهيم العنبري، له ترجمة جيدة في «أخبار أصبهان» لأبي نعيم. (٢/ ٢٨٣).

(٢) أورده الذهبي في «العلو» (ص١٦٥).

(٣) عزاه إليه الذهبي في «العلو» (ص١٦٥).

(٤) وهو حديث حسن تقدم تخريجه.

(٥) وهو حديث ضعيف تقدم تخريجه.

(٦) في كتابه «الشريعة» (ص٢٨٥).

(٧) (ص١٠١). وساق جملة أحاديث في ذلك من رقم (١٩٢ ـ ٢٦٤).

(٨) أخرجه الذهبي في «العلو» (ص١٦٧) ورجاله ثقات غير مسعود بن عبد الواحد الهاشمي فلم يجد له الألباني ترجمة. وبهذا الإسناد ساقه في ترجمة أبي بكر الإسماعيلي من «التذكرة» (٣/ ١٥٠ ـ ١٥١).

وقال الأستاذ أبو منصور الأزهريُّ[1]: «اللَّهُ تعالى على العرش».

وقال أبو الحسن بنُ مَهْديٍّ[2] رحمه الله في قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه]: اعلم أن الله تعالى في السماء فوق كلِّ شيءٍ مستوٍ على العرش بمعنى أنه عالٍ عليه، ومعنى الاستواءِ الاعتلاءُ، وإنما أمَرنا الله تعالى برفع أيدينا قاصدين إليه برفعها نحوَ العرشِ الذي هو مستوٍ عليه.

وقال ابنُ بطةَ[3] رحمه الله: «بابُ الإيمانِ بأن الله تعالى على عرشه بائنٌ من خلقه وعلمُه محيطٌ بخلقه، أجمع المسلمون من الصحابة والتابعين أن الله على عرشه فوق سمواتِه بائنٌ من خلقه».

وقال الدارَقُطنيُّ[4] رحمه الله تعالى:

(حديثُ الشفاعةِ في أحمدٍ ... إلى أحمدَ المصطفى نُسنِدُهْ)
(وأما حديثٌ بإقعاده ... على العرش أيضاً فلا نجحده)
(أمِرُّوا الحديثَ على وجهه ... ولا تُدخلوا فيه ما يُفسده)

وقال ابنُ مِنْده[5] رحمه الله تعالى: «فهو تعالى موصوفٌ غيرُ مجهولٍ،

---

(١) أورده الذهبي في «العلو» (ص١٦٧ ـ ١٦٨).

(٢) وهو حديث ضعيف تقدم تخريجه.

(٣) في كتاب «الإبانة» كما في «العلو» للذهبي (ص١٧٠).

(٤) قال الألباني في «الضعيفة» (٢/٢٥٦) ط٥: «... إن مما ينكر في هذا الباب ما رواه أبو محمد الدَّشتي في «إثبات الحد» (١/١٤٤ ـ ٢) من طريق أبي العز أحمد بن عبيد الله بن كادش: أنشدنا أبو طالب محمد بن علي الحربي: أنشدنا الإمام أبو الحسن علي بن عمر الدارقطني رحمه الله ثم ذكر الأبيات وزاد بيتاً:

ولا تنكروا أنه قاعد ... ولا تجحدوا أنه يقعده

فهذا إسناد لا يصح، من أجل أبي العز هذا، فقد أورده ابن العماد في وفيات سنة (٥٢٦) من الشذرات (٤/٧٨) وقال:

«قال عبد الوهاب الأنماطي: كان مخلطاً».

وأما شيخه أبو طالب وهو العشاري فقد أورده في وفيات سنة (٤٥١) وقال: (٣/٢٨٩): «كان صالحاً خيراً عالماً زاهداً».

فاعلم أن إقعاده ﷺ على العرش ليس فيه إلا هذا الحديث الباطل، وأما قعوده تعالى على العرش فليس فيه حديث يصح. ولا تلازم بينه وبين الاستواء عليه كما لا يخفى...».

(٥) ذكره الذهبي في «العلو» (ص١٧١).

وموجودٌ غيرُ مُدرَكٍ، ومَرْئيٌّ غيرُ مُحاطٍ به لقُربه كأنك تراه، وهو يسمع ويرى، وهو بالمنظر الأعلى، وعلى العرش استوى، فالقلوبُ تعرِفه والعقولُ لا تُكيِّفُه، وهو بكل شيءٍ عليم محيط.

وقال محمدُ بنُ أبي زيدٍ المغربيُّ[1]: وأنه تعالى فوق عرشِه المجيدِ بذاتِه، وأنه في كل مكان بعلمِه.

قلت: وقد أطلقَ هذه العبارةَ أعني قولَه: «بذاته» أبو جعفر بنُ أبي شيبةَ، والدارميُّ، ويحيى بنُ عمارٍ، وأبو نصر السّجْزِيّ، وابنُ عبد البرّ، وشيخُ الإسلامِ الأنصاريُّ، وأبو الحسنِ الكرجي، وأحمدُ بنُ ثابتٍ الطرقي، وعبدُ العزيز القحيطي، وعبدُ القادر الجيلي وطائفة.

وقال ابنُ فورَك[2] رحمه الله: استوى بمعنى علا. وقال في قوله: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك: ١٦]. أي مَن فوق السماء.

وقال ابن الباقلاني في إبانته[3]: فإن قيل: فهل تقولون إنه في كل مكان؟ قيل: معاذ اللّهِ بل هو مستوٍ على عرشه كما أخبر في كتابه فقال تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طـــه]، وقـــال: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠]، وقال: ﴿أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك: ١٦]، إلى آخر كلامِه.

وقال أبو أحمد القصّابُ في عقيدته[4]: «كان ربُنا عز وجل وحدَه لا شيء معه ولا مكانَ يَحويه، فخلقَ كلَّ شيءٍ بقدرته وخلق العرشَ لا لحاجة إليه فاستوى عليه استواءَ استقرارٍ كيف شاء وأراد، لا استقرارَ راحةٍ كما يستريح الخلقُ».

= **قلت**: وانظر كتاب «التوحيد» لابن منده (٣/ ١٨٧ ـ ١٩٢).

(١) في الرسالة المشهورة في مذهب مالك (ص٢٠) ط: المغرب.
وأورده الذهبي في «العلو» (ص١٧١ ـ ١٧٢)، «مختصر العلو» (ص٢٥٥ ـ ٢٥٦).

(٢) ذكره الذهبي في «العلو» (ص١٧٣) وأورده البيهقي في «الأسماء والصفات» (ص٤١١).

(٣) أورده الذهبي في «العلو» (ص١٧٣ ـ ١٧٤).

(٤) أورده الذهبي في «العلو» (ص١٧٥).

* والقصاب هو الحافظ الإمام محمد بن علي بن محمد المجاهد. وإنما عرف بالقصاب لكثرة ما أهرق من دماء الكفار في الغزوات كما في «تذكرة الذهبي» (٣/ ١٤١).
وقال: «ولم أظفر بوفاته، وكأنه بقي إلى قريب الستين وثلاثمائة».

قلت: تفسيرُ الاستواء بالاستقرار لم يرد في الكتاب ولا السنة، ونحن لا نصفُ اللَّهَ إلا بما ثبت في الكتاب والسنة، لا نزيد عليه ولا ننقُص منه.

وقال الحافظُ أبو نُعَيم[1] رحمه الله تعالى: «طريقتُنا طريقةُ السلفِ المتبعين للكتاب والسنةِ وإجماعِ الأمة، ومما اعتقدوه أن اللَّهَ لم يزل كاملاً بجميع صفاتِه القديمةِ لا يزول ولا يحول، لم يزل عالماً بعلم بصيراً ببصر سميعاً بسمع متكلماً بكلام.

إلى أن قال: وأن الأحاديثَ التي ثبتت في العرش واستواء اللَّهِ عليه يقولون بها ويُثْبِتونها من غير تكييفٍ ولا تمثيل، وأن اللَّهَ بائنٌ من خلقه والخلقُ بائنون منه لا يحِلّ فيهم ولا يمتزج بهم، وهو مستوٍ على عرشه في سمائه دون أرضِه».

وقال معمر بن زياد في أثناء وصيته[2]: «وأن الله استوى على عرشه بلا كيف ولا تشبيهٍ ولا تمثيلٍ ولا تأويل، والاستواءُ معقولٌ والكيفُ مجهول، وأنه بائنٌ من خلقه والخلقُ بائنون منه». وذكر سائرَ الاعتقاد.

وقال أبو القاسم اللالكائيُّ[3] في قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه]: وأن اللَّهَ على عرشه: قال الله عز وجل: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠]، وقال: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك: ١٦]، وقال: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٨]. فدلَّت هذه الآياتُ أنه في السماء وعلمُه في كل مكانٍ، رُوي ذلك عن عمرَ وابنِ مسعودٍ وابنِ عباس وأمِّ سلمةَ، ومن التابعين ربيعةُ وسليمانُ التيميُّ ومقاتلُ بنُ حيانَ، وبه قال مالكٌ والثوريُّ وأحمد.

وقال يحيي بنُ عمارٍ[4]: هو بذاته على العرش وعلمُه محيطٌ بكل شيء وعلمُه وسمعُه وبصرُه وقدرتُه مُدركةٌ لكل شيء، وذلك معنى قولِه تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤]، فهذا الذي قلناه هو كما قال الله تعالى وقاله رسولُ الله ﷺ، قلت: لفظةُ «بذاته» مستغنىً عنها بصريح النصوصِ الكافيةِ الوافيةِ.

---

(١) في كتاب «الاعتقاد» له كما في «العلو» للذهبي (ص١٧٦).
(٢) أورده الذهبي في «العلو» (ص١٧٧).
(٣) في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٣/ ٤٢٩ - ٤٣١ رقم ٦٤٦).
(٤) ذكره الذهبي في «العلو» (ص١٧٧ - ١٧٨).

وقال القادرُ بالله أميرُ المؤمنين في معتقده المشهور[1]: «وأنه خلق العرشَ لا لحاجة، واستوى عليه كيف شاء لا استواءَ راحةٍ، وكلُّ صفةٍ وصف بها نفسَه أو وصفه بها رسولُه ﷺ فهي صفةٌ حقيقةٌ لا صفةُ مجازٍ.

وقال أبو عمرو الطلمنكيُّ[2] رحمه الله تعالى: أجمع المسلمون من أهلِ السنةِ على أن معنى قولِه تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤]. ونحوَ ذلك من القرآن أنه علمُه، وأن الله تعالى فوق السموات بذاتِه، مستوٍ على عرشه كما نطق به كتابه، وعلماءُ الأمة وأعيانُ الأئمة من السلف لم يختلفوا أن اللَّهَ على عرشه فوق سمواتِه.

وقال أبو نصرٍ السّجْزيُّ[3]: أئمتنا كسفيانَ الثوريِّ ومالكٍ وحمّاد بنِ سلمةَ وحمادِ بنِ زيد وسفيانَ بن عُيينةَ والفضيلِ وابنِ المباركِ وأحمدَ وإسحاقَ متفقون على أن اللَّهَ سبحانه بذاته فوق العرشِ وعلمُه بكل مكان.

وقال أبو عمرٍو الداني[4] في أرجوزته التي في عقود الديانة:

كلامُه وقولُه قديمُ ... وهُو فوق عرشِه العظيمُ

وقال أبو عمرَ ابنُ عبدِ البرِّ في شرح حديثِ النزول[5]: «هذا حديثٌ صحيحٌ لم يختلف أهلُ الحديثِ في صحتِه، وفيه دليلٌ أن الله تعالى في السماء على العرش فوق سبع سمواتٍ كما قالت الجماعة».

وقال أيضاً[6]: «أجمع علماءُ الصحابةِ والتابعين الذين حُمل عنهم التأويلُ قالوا في تأويل قوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة:

---

(١) ذكره الذهبي في «العلو» (ص١٧٨).
(٢) ذكره الذهبي في «العلو» (ص١٧٨).
وانظر: «درء تعارض العقل بالنقل» (٢/ ٣٥) و (٦/ ٢٥٠ ـ ٢٥١) والفتاوى (٥/ ١٨٩) و «شرح حديث النزول» (ص٨٥). الكل لابن تيمية.
(٣) ذكره الذهبي في «العلو» (ص١٨٠).
(٤) ذكره الذهبي في «العلو» (ص١٨١).
(٥)(٦) في «التمهيد» (٧/ ١٢٨ ـ ١٣٩).
وانظر: «الاستذكار» له (٨/ ١٤٦ ـ ١٥٣).

٧]، هو على العرش وعلمُه في كل مكان، وما خالفهم في ذلك أحدٌ يحتج بقوله».

وقال أبو يعلى[1] رحمه الله بعد أن ذكر حديثَ الجارية: «الكلامُ في هذا الخبرِ في فصلين أحدُهما جوازُ السؤال عن الله سبحانه بأين هو؟ والثاني جوازُ الإخبارِ عنه بأنه في السماء.

وقد أخبرنا تعالى أنه في السماء فقال: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك: ١٦] وهو على العرش».

وقال أبو بكرٍ البيهقيُّ[2] رحمه الله تعالى في كتاب المعتقد له: بابُ القولِ في الاستواءِ، قال الله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]. وقال: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [السجدة: ٤]. ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٨]. ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠]. ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠]. ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك: ١٦]. وأراد مَن فوقَ السماء كما قال تعالى: ﴿فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ [طه: ٧١]. وقال: ﴿فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [التوبة: ٢] أي على الأرض، وكلُّ ما علا فهو سماءٌ، والعرشُ أعلى السموات، فمعنى الآية ءَأمِنتم مَن على العرش كما صرح به في سائر الآيات.

طبقةٌ أخرى

قال أبو الفتح نصرٌ المقدسيُّ[3]: «وأن اللَّهَ مستوٍ على عرشه بائنٌ من خلقه كما قال في كتابه».

وقال شيخُ الإسلام الأنصاريّ[4] ـ صاحب منازل السائرين في التصوف ـ في كتاب له: بابُ استواءِ اللَّهِ على عرشه في السماء السابعة بائناً من خلقه من الكتاب

---

(١) في كتابه «إبطال التأويل» كما في «العلو» للذهبي (ص١٨٤).
(٢) في كتابه «الاعتقاد» (ص٥٥).
(٣) في كتاب «الحجة» له كما قال الذهبي في «العلو» (ص١٨٧).
(٤) ذكره ابن القيم في «اجتماع الجيوش الإسلامية» (ص١٧٦) والذهبي في «العلو» (ص١٨٩ ـ ١٩٠).
وانظر: «بيان تلبيس الجهمية» لابن تيمية (ص٤٤٠).

والسنة، فساق الحجةَ من الآيات والأحاديثِ إلى أن قال: «وفي أخبار شتَّى أن الله سبحانه وتعالى في السماء السابعةِ على العرش بنفسه وهو ينظرُ كيف تعملون، وعلمُه وقدرتُه واستماعُه ونظرُه ورحمتُه في كل مكان».

وقال البغويُّ[1] رحمه الله تعالى في قول الله عز وجل: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤، يونس: ٣، الرعد: ٢، السجدة: ٤، الحديد: ٤]: قال الكلبي ومقاتلٌ: استقر.

وقال أبو عبيدةَ: صعِد.

وأوّلت المعتزلةُ الاستواءَ بالاستيلاء، فأما أهلُ السنةِ فإنهم يقولون: الاستواءُ على العرش صفةٌ لله تعالى بلا كيف؛ يجب على الرجل الإيمانُ به، ويكِلُ العلمَ فيه إلى الله عز وجل.

ثم ذكر قول مالكٍ المتقدم، وقال: ورُوي عن سفيانَ الثوريِّ والأوزاعيِّ والليثِ بنِ سعدٍ وسفيانَ بنِ عُيينةَ وعبدِ اللّهِ بنِ المباركِ وغيرِهم من علماء السنةِ في هذه الآياتِ التي جاءت في الصفات المتشابهات: أمِرُّوها كما جاءت بلا كيف».

وقال أبو الحسن الكرجيُّ[2] في بائيته:

عقائدُهم أن الإلهَ بذاته ... على عرشه مع علمه بالغوائب
وأن استواءَ الربِّ يُعقل كونُه ... ويُجهل فيه الكيفُ جَهْلَ الشهارب

وقال الشيخ عبدُ القادرِ الجيليُّ[3] رحمه الله تعالى في كتاب الغُنية: «أما معرفةُ الصانعِ بالآيات والدلائل على وجه الاختصارِ فهو أن يُعرف ويتيقّنَ أن اللّهَ واحدٌ أحدٌ.

إلى أن قال: وهو مستوٍ على العرش، محتوٍ على الملك، محيطٌ بالأشياء، إليه يصعدُ الكلمُ الطيبُ والعمل الصالحُ يرفعه، ولا يجوز وصفُه بأنه في كل مكان بل يقال: إنه في السماء على العرش، كما قال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] وينبغي إطلاقُ ذلك من غير تأويلٍ.

---

(١) في «معالم التنزيل» (٣/ ٢٣٥ ـ ٢٣٦).
(٢) في عقيدته الشهيرة التي تزيد على مائتي بيت.
كما في «العلو» (ص١٩١) للذهبي.
(٣) في كتاب «الغنية» له كما في «العلو» (ص١٩٣).

وكونُه تعالى على العرش مذكورٌ في كل كتابٍ أُنزل، على كل نبيٍّ أُرسل، بلا كيف.

وقال أبو عبد الله القرطبي[1]: «وقد كان السلفُ الأولُ ﷺ لا يقولون بنفي الجهةِ ولا ينطقون بذلك، بل نطقوا هم والكافةُ بإثباتها لله تعالى كما نطق كتابُه وأخبرت رسلُه، ولم يُنكر أحدٌ من السلف الصالحِ أن استواءَه على عرشه حقيقةٌ، وخُصَّ عرشُه بذلك لأنه أعظمُ مخلوقاتِه، وإنما جهِلوا كيفيةَ الاستواءِ فإنه لا يُعلم حقيقةُ كيفيته.

قلت: أراد أبو عبد الله بالجهة إثبات العلوِّ لله تعالى، أما لفظُ الجهةِ فلم يرد في الكتاب ولا السنة، ولا يلزم من إثبات العلوِّ إثباتها، لأن العرشَ سقفُ جميعِ المخلوقات فما فوقه لا يسمى جهة، ولو سلمنا أنه يلزم من إثبات العلوِّ إثباتُ الجهةِ فلازمُ الحقِّ حقٌّ، فما استلزمَه صريحُ الآياتِ والأحاديثِ فهو حقٌّ بلا خلاف عند أهل السنة.

وقال شيخُ الإسلامُ ابنُ تيميةَ رحمه الله تعالى في العقيدة الواسطية[2] بعد سرد الآياتِ والأحاديثِ في الصفات: «فصل: وقد دخل فيما ذكرنا من الإيمان بالله الإيمانُ بما أخبر به في كتابه وتواتر عن رسول الله ﷺ وأجمعَ عليه سلفُ الأمةِ من أنه سبحانه فوق سمواتِه على عرشه، عليٌّ على خلقه، وهو سبحانه معهم أينما كانوا يعلم ما هم عاملون، كما جمع بين ذلك في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: ٤].

وليس معنى قولِه: «وهو معكم» أنه مختلطٌ بالخلق، فإن هذا لا توجبه

---

(١) في «الجامع لأحكام القرآن» (٧/٢١٩ ـ ٢٢٠).
وفي كتابه «الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى وصفاته العلى».
كما في «العلو» للذهبي (ص١٩٤ ـ ١٩٥).

(٢) (ص٤٩ ـ ٥٠) بتحقيقنا.

اللغةُ[1]، وهو خلافُ ما أجمع عليه سلفُ الأمةِ وخلافُ ما فطر اللّهُ عليه الخلقَ، بل القمرُ آيةٌ من آيات الله من أصغر مخلوقاته وهو موضوعٌ في السماء وهو مع المسافر وغيرِ المسافر أينما كان، واللّهُ سبحانه فوقَ العرشِ رقيبٌ على خلقه مهيمنٌ عليهم مطلعٌ عليهم إلى غير ذلك من معاني ربوبيّته.

وكلُ هذا الكلامِ الذي ذكر الله تعالى من أنه فوق العرشِ وأنه معنا حقٌ على حقيقته، لا يحتاج إلى تحريف[2]، ولكن يصان عن الظنون الكاذبةِ مثلُ أن يظنّ أن ظاهرَ قولِه: ﴿فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الزخرف: ٨٤]، أن السماء تُقِلّه أو تُظِلّه، وهذا باطلٌ بإجماع أهلِ العلمِ والإيمان، فإن الله تعالى قد: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وهو الذي: ﴿يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا﴾ [فاطر: ٤١]، ﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ﴾ [الحج: ٦٥]، ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ﴾ [الروم: ٢٥]» اهـ.

ومصنفاتُ هذا الإمامِ وتلميذِه ابنِ القيِّم رحمهما الله تعالى في الانتصار لمعتقد أهلِ السنةِ والجماعةِ قد طبّقتْ المشارقَ والمغاربَ، ولو ذهبنا نذكر أقوالَ أهلِ العلمِ والدينِ من السلف والخلفِ لاحتجْنا إلى عدة أسفارٍ بل إلى عدة أحمال، وفيما ذكرناه كفايةٌ.

ونحن نشهدُ الله تعالى وحملةَ عرشِه وجميعَ ملائكتِه وأنبيائه ورسلَه وجميعَ خلقِه أنا نُثبت لربنا عز وجل ما أثبته لنفسه في كتابه وأثبته رسولُه ﷺ وأجمع عليه أهلُ السنةِ والجماعةِ سلفاً وخلفاً ممن ذكرنا وممن لم نذكر من أن ربَّنا وإلَهنا فوق سمواتِه على عرشه بائنٌ من خلقه، وهو يعلم ما هم عليه لا يخفى عليه منهم خافيةٌ، واستواؤه على عرشه كما أخبر وعلى الوجه الذي عناه وأراده كما يليق بجلالِ ربنا وعظمتِه، لا نتكلف لذلك تأويلاً ولا تكييفاً بل نقول: آمنا بالله وبما جاء عن الله على مراد الله، وآمنا برسول اللّهِ وبما جاء عن رسولِ الله على مراد رسولِ اللّهِ ﷺ، ولا نطلُب إماماً غيرَ الكتابِ والسنة، ولا نتخطّاهما إلى غيرهما ولا نتجاوز ما جاء فيهما، فننطِق بما نطقا به ونسكُت عما سكتا عنه ونسير سيرَهما

(١) انظر: «مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة» (٢/ ٢٦٥) لابن القيم.

(٢) يرد الشيخ هنا على المعطّلة الذين حرّفوا الأدلة وسموا تحريفهم تأويلاً.

حيث سارا ونقف معهما حيث وقفا، ولا حولَ ولا قوةَ إلا بالله العلي العظيم.

(ومعَ ذا مطّلعٌ إليهمو	بعلمه مهيمنٌ عليهمو)
(وذكرُه للقُرب والمعيّة	لم ينفِ للعلوّ والفوقية)
(فإنه العليُّ في دنوّه	وهو القريبُ - جلَّ - في علوه)

(ومع ذا) الاتصافِ بالعلو والاستواءِ على العرش والمباينةِ منه لخلقه تبارك وتعالى فهو (مطلع) سبحانه وتعالى (إليهمو) الواو للإشباع (بعلمه) المحيطُ بجميع المعلوماتِ لا تخفى عليه منهم خافيةٌ، كما جمع تبارك وتعالى بين ذلك في قوله عز وجل: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ۝٦ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ۝٧﴾ [طه].

فجمع تعالى بين استوائه على عرشه وبين علمِه السرَّ وأخفى، وكذلك جمع عز وجل بينهما في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝٣﴾ [الحديد]. وهو الأولُ فليس قبله شيء، والآخِرُ فليس بعده شيءٌ، والظاهرُ فليس فوقه شيءٌ، والباطنُ فليس دونه شيءٌ، هكذا فسره رسولُ الله ﷺ في حديث أبي هريرةَ عند مسلم[1].

وكذلك جمعَ تعالى بينهما في الآية التي تليها فقال عز وجل: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: ٤].

وكذلك جمع النبيُّ ﷺ بين هذين المعنيين في حديث الأوعالِ[2] إذ يقول: «واللّهُ فوق العرشِ وهو يعلم ما أنتم عليه». وغير ذلك من الآيات والأحاديث، وهو إجماعُ المؤمنين.

(مهيمن) رقيب (عليهمو) بواو الإشباع (وذكْره) تبارك وتعالى (للقرب) في قوله عز وجل: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ﴾ [البقرة: ١٨٦]. وقولِه تعالى: ﴿إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾ [سبأ: ٥٠].

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) وهو حديث ضعيف وقد تقدم تخريجه.

وقول النبيِّ ﷺ في حديث الصحيحين[1]: «**إن الذي تدعونه أقربُ إلى أحدكم من عنُق راحلتِه**».

(و) كذلك ذكْره **(المعيّة)** العامة في قوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟﴾ [المجادلة: ٧]. وقوله عز وجل: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤].

وكذا المعيةُ الخاصةُ في قوله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨]. وقوله: ﴿وَٱصْبِرُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦]. وقولِه لموسى وهارونَ: ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦]. وقولِه في قصة نبيِّنا ﷺ مع الصدّيق رضي الله عنه: ﴿إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠].

كلُ ذلك **(لم ينف العلوّ)** المذكورَ في النصوص السابقةِ من الكتاب والسنةِ وإجماع الأمة من أنه تعالى مستوٍ على عرشه بائنٌ من خلقه: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠]. ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٤]. ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ [السجدة: ٥].

(والفوقيةُ) عطفٌ على العلوِّ وهو رديفُه في المعنى، أي ولم ينف قولَه عز وجل: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٨]. وقولَه: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠].

وقول النبيِّ ﷺ: «**واللَّهُ فوق العرشِ وهو يعلم ما أنتم عليه**»[2]، بل كلُ ذلك حقٌ على حقيقته، ولا منافاةَ بين قُربه عز وجل وبين علوِّه.

(فإنه) هو **(العليّ)** المتصفُ بجميع معاني العلوِّ ذاتاً وقَهراً وشأناً **(في دنوه)**، فيدنو تعالى من خلقه كيف شاء، وينزل إلى السماء الدنيا في آخر كلِ ليلةٍ وعشيةَ عَرَفَة وغيرِ ذلك كيف شاء، ويأتي لفصل القضاءِ بين عباده كيف شاء، وليس ذلك منافياً لفوقيته فوق عبادِه واستوائِه على عرشه فإنه ليس كمثله شيءٌ في ذاته ولا صفاته ولا أفعالِه.

---

(١) البخاري (١١/١٨٧ رقم ٦٣٨٤). ومسلم (٤/٢٠٧٦ رقم ٢٧٠٤) من حديث أبي موسى رضي الله عنه.

(٢) تقدم تخريجه. وهو جزء من حديث الأوعال الضعيف.

ومعيّتُه العامةُ في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤]، معناها إحاطتُه بهم علماً وقُدرة كما يدل عليه أولُ السياقِ وآخِرُه، وهو إجماعُ الصحابةِ والتابعين كما تقدم نقلُ إجماعهم على ذلك.

وأما معيتُه الخاصةُ لأحبابه وأوليائِه فتلك غيرُ المعيةِ العامة، فهو معهم بالإعانة والرعاية والكفايةِ والنصرِ والتأييدِ والهدايةِ والتوفيقِ والتسديدِ وغيرِ ذلك مما تجفو عبارةُ المخلوق عنه، ويقصُر تعريفُه دونه، وكفاكَ قولُ الله عز وجل فيما رواه عنه نبيُّه ﷺ إذ يقول: **«ولا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أُحِبَّه، فإذا أحببتُه كنتُ سمعَه الذي يسمعُ به وبصرَه الذي يبصر به ويدَه التي يبطِش بها ورجلَه التي يمشي بها»**[1].

وفي بعض الروايات: **«وقلْبَه الذي يعقِل به، ولسانَه الذي ينطِق به»**[2]. وليس معنى ذلك أن يكون جوارحَ للعبد تعالى اللّهُ عن ذلك علواً كبيراً.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (١١/٣٤٠ ـ ٣٤١ رقم ٦٥٠٢) وابن حبان في صحيحه (٢/٥٨ رقم ٣٤٧) من حديث أبي هريرة.
قلت: أفاض الحافظ ابن حجر في الدفاع عن الحديث في «الفتح» وذكر له طرقاً جزم بأن مجموعها يدل على أن له أصلاً.
كما أطال الألباني أيضاً في بيان صحة هذا الحديث بمجموع طرقه في «الصحيحة» رقم (١٦٤٠) وقدم لبيانه بقوله: «... فإن حديثاً يخرجه الإمام البخاري في المسند الصحيح ليس من السهل الطعن في صحته لمجرد ضعف في إسناده لاحتمال أن يكون له شواهد تأخذ بعضده وتقويه...».

(٢) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (١/٥) والبزار رقم (٣٦٢٧، ٣٦٤٧ ـ كشف) وأحمد (٦/ ٢٥٦) والبيهقي في «الزهد» رقم (٦٩٣) وابن النجار في «ذيل تاريخ بغداد» (٣/١٧٨) والطبراني في «الأوسط» (رقم ٥٥٢ ـ مجمع البحرين).
وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢/٢٤٧) وقال: رواه أحمد وفيه عبد الواحد بن قيس بن عروة وثقه أبو زرعة والعجلي وابن معين في إحدى الروايتين وضعفه غيره، وبقية رجاله رجال الصحيح.
ورواه الطبراني في «الأوسط» وزاد: **«فإذا أحببته كنت عينه التي يبصر بها، وأذنه التي يسمع بها، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها»**، والباقي بنحوه، ورجاله رجال الصحيح خلا شيخه هارون بن كامل، رواه البزار بنحوه.
قلت: وبقية طرقه في كتاب «الزهد» في باب من آذى ولياً ـ (١٠/٢٦٩) ـ اهـ.
وخلاصة القول أن حديث عائشة صحيح، والله أعلم.

وإنما المُراد أن من اجتهد بالتقرب إلى الله عز وجل بالفرائض ثم بالنوافل قرّبه إليه ورقّاه من درجة الإيمانِ إلى درجة الإحسانِ، فيصير يعبُد الله على الحضور والمراقبةِ كأنه يراه، فيمتلئ قلبُه بمعرفة اللّهِ تعالى ومحبتِه وعظمتِه وخوفِه ومهابتِه وإجلالِه والأنسِ به والشوقِ إليه، حتى يصيرَ هذا الذي في قلبه من المعرفةِ مشاهداً له بعين البصيرة.

وإلى هذا المعنى أشار ﷺ بقوله: **«أحبوا الله من كل قلوبكم»**[1] فمتى امتلأ القلبُ بعظمة اللّهِ تعالى محا ذلك من القلب كلَّ ما سواه، ولم يبقَ للعبد شيءٌ من نفسه وهواه، ولا إرادةَ إلا لما يريد منه مولاه.

فحينئذ لا ينطِق العبدُ إلا بذكره ولا يتحرك إلا بأمره، فإن نطق نطق بالله، وإن سمِع سمِع به، وإن نظرَ نظرَ به، وإن بطشَ بطش به، فهذا هو المرادُ بقوله عز وجل: **«كنت سمعَه الذي يسمع به، وبصرَه الذي يُبصر به، ويدَه التي يبطِش بها، ورِجَله التي يمشي بها»**[2].

ومن أشار إلى غير هذا فإنما يشير إلى الإلحاد من الحلول والاتحاد، والله ورسولُه بريئان منه.

(وهو القريبُ ـ جل ـ في علوه) فهو سبحانه وتعالى مستوٍ على عرشه عالٍ على جميع خلقه، وهو قريبٌ يجيب دعوةَ الداعِ إذا دعاه، ويعلم سرَّه ونجواه، وهو أقربُ إلى داعيه من عُنق راحلتِه، ويعلم ما توسوس به نفسُ الإنسان وهو

---

(١) وهو جزء من أول خطبة خطبها النبي ﷺ في المدينة، من حديث أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف.
أخرجها ابن إسحاق معلقة ـ كما في سيرة ابن هشام (٢/ ١٦٧) ـ وأخرجها البيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ٥٢٤ ـ ٥٢٥) من طريق ابن إسحاق وقد صرح بالسماع فزالت شبهة التدليس.
ولكن فيه «المغيرة بن عثمان» سكت عنه البخاري في «التاريخ الكبير» (٧/ ٣١٨ ـ ٣١٩) وابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٨/ ٢٢٦ ـ ٢٢٧).
وأخرجها ابن كثير في «السيرة» (٢/ ٣٠١ ـ ٣٠٢) من طريق البيهقي وقال عقبها: وهذه الطريقة أيضاً مرسلة إلاّ أنها مقوية لما قبلها وإن اختلفت الألفاظ.

(٢) وهو جزء من حديث قدسي صحيح تقدم من حديث أبي هريرة وحديث عائشة.

أقربُ إليه من حبل الوريد؛ فإن الذي عند عُنقِ راحلِته أو عند حبلِ وريدِه لا يعلم ما خفيَ عليه من كلامه.

واللَّهُ عز وجل على عرشه ويعلم السرَّ وأخفى، ويعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرُج فيها وهو مع خلقه بعلمه وقدرتِه لا تخفى عليه منهم خافيةٌ، وما يعزُب عن ربك من مثقال ذرةٍ في الأرض ولا في السماء ولا أصغرَ من ذلك ولا أكبرَ، فهو على كل شيءٍ شهيدٌ وبكل شيءٍ محيطٍ، فهو سبحانه القريبُ في علوه، العليُّ في دُنوّه، وهو الأولُ والآخرُ والظاهرُ والباطنُ وهو بكل شيء عليم.

(حيٌّ وقيومٌ فلا ينام ... وجل أن يُشبِهَه الأنام)

(لا تبلُغ الأوهامُ كُنهَ ذاتهِ ... ولا يكيِّف الحجا صفاتِه)

(حيٌّ) لا يموت، كما قال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨]، وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [غافر: ٦٥]. فهو الحيُّ الذي لم تُسبق حياتُه بالعدم ولم تُعقَّب بالفناء، هو الأولُ فليس قبله شيءٌ والآخرُ فليس بعده شيءٌ.

وفي الصحيحين[١] عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبيَّ ﷺ كان يقول: «**أعوذ بعزتك الذي لا إله إلا أنت، الذي لا يموتُ، والجنُّ والإنسُ يموتون**».

(وقيوم) فهو القيُّومُ بنفسه القيِّم لغيره فجميعُ الموجوداتِ مفتقرةٌ إليه، وهو غنيٌّ عنها ولا قِوامَ لها إلا به ولا قِوام لها بدون أمرِه كما قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ﴾ [الروم: ٢٥]. وهو القائمُ على كل شيءٍ، والقائمُ بجميع أمورِ عبادِه، والقائمُ على كل نفس بما كسبت.

وفي الصحيحين[٢] من دعائه ﷺ في صلاة الليل: «**اللهم لك الحمدُ أنت ربُّ السمواتِ والأرض، ولك الحمدُ أنت قيِّمُ السمواتِ والأرضِ ومَن فيهن، ولك الحمدُ أنت نورُ السمواتِ والأرضِ**» الحديث.

---

(١) البخاري (١٣/٣٦٨ رقم ٧٣٨٣) ومسلم (٤/٢٠٨٦ رقم ٢٧١٧).

(٢) البخاري (١٣/٣٧١ رقم ٧٣٨٥) ومسلم (١/٥٣٢ رقم ٧٦٩).

وقد جمع تعالى بين هذين الاسمين «**الحي القيوم**» في ثلاثةِ مواضِعَ من كتابه:

الأولُ: آيةُ الكرسيِّ من سورة البقرة: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

الثاني: أول سورة آل عمرانَ: ﴿الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ۝٢﴾.

الثالث: في سورة طه: ﴿۞ وَعَنَتِ ٱلۡوُجُوهُ لِلۡحَيِّ ٱلۡقَيُّومِۖ وَقَدۡ خَابَ مَنۡ حَمَلَ ظُلۡمٗا﴾ [طه: ١١١].

وروى ابن مردَويهِ[1] عن أبي أمامةَ مرفوعاً قال: «**اسمُ الله الأعظمُ الذي إذا دُعي به أجاب في ثلاث سورٍ: سورةِ البقرة وآل عمران وطه**».

(فلا ينام) أي لا يعتريه نقصٌ ولا غفلةٌ ولا ذهولٌ عن خلقه، فإن ذلك نقصٌ في حياته وقيّوميّته، ولهذا أردف هذين الاسمينِ بنفي السِّنَةِ والنومِ فقال: ﴿ٱللَّهُ لَآ

---

(١) أخرجه ابن مردويه كما في تفسير ابن كثير (١/ ٣١٥) من حديث أبي أمامة.
وفيه القاسم بن عبد الرحمن الأموي. وثقه ابن معين من وجوه عنه.
وقال الترمذي: ثقة. وقال ابن حبان: كان يروي عن أصحاب رسول الله ﷺ المعضلات.
(الميزان: ٣/ ٣٧٣).
وفيه أيضاً إسحاق بن إبراهيم: مستور الحال، لكنه قد توبع كما عند الطحاوي في «مشكل الآثار» (١/ ٦٣) والطبراني في «الكبير» (٨/ ٢٨٢ رقم ٧٩٢٥) والحاكم (١/ ٥٠٥ - ٥٠٦).
وأخرجه ابن ماجه (٢/ ١٢٦٧ رقم ٣٨٥٦) من طريق أخرى فيه غيلان بن أنس قال عنه الحافظ في «التقريب» (٥٣٦٧) مقبول.
وللحديث شاهد من حديث أسماء بنت يزيد.
أخرجه أحمد (٦/ ٤٦١) والترمذي (٥/ ٥١٧ رقم ٣٤٧٨) وابن ماجه (٢/ ١٢٦٧ رقم ٣٨٥٥) وأبو داود (٢/ ١٦٨ رقم ١٤٩٦).
وفيه عبيد الله أبي زياد القداح وهو ليس بالقوي.
وشهر بن حوشب تكلم فيه غير واحد «الميزان» (٢/ ٢٨٣ رقم ٣٧٥٦).
والخلاصة أن الحديث حسن، والله أعلم.

إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، أي لا تغلبه سنةٌ وهو الوسَنُ والنُعاسُ، ولا نومٌ، ونفيُه من بابِ أولى لأنه أقوى من السِّنَة، بل هو قائمٌ على كل نفسٍ بما كسبت، شهيدٌ على كل شيء ولا يغيب عنه شيءٌ ولا تخفى عليه خافية.

وفي الصحيحين[1] عن أبي موسى ﷺ قال: قام فينا رسولُ الله ﷺ بأربع كلماتٍ فقال: «**إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القِسْطَ ويرفعه، يرفع إليه عملَ الليل قبل عملِ النهارِ وعملَ النهارِ قبلَ عملِ الليل، حجابُه النورُ ـ أو النار ـ لو كشفه لأحرقتْ سُبحاتُ وجهِه ما انتهى إليه بصرُه من خلقه**».

(وجل) عن (**أن يشبهه الأنام**) في ذاته أو أسمائِه أو صفاتِه أو أفعالِه، لأن الصفاتِ تابعةٌ لموصوفها، فكما أن ذاتَه لا تُشبه الذواتِ فكذلك صفاتُه لا تشبه صفاتِ المخلوقات، ولو اهتدى المتكلمون لهذا المعنى الذي هدى اللَّهُ إليه أهلَ السنةِ والجماعةِ لما نفَوا عن الله ما وصف به نفسَه ووصفه به رسولُ الله ﷺ، ولما عطلوه عن صفات كمالِه ونعوتِ جلالِه فراراً بزعمهم من التشبيه فوقعوا في أعظمَ من ذلك، ولزِمهم أضدادُ ما نفوه من الصفاتِ الثابتةِ بالكتاب والسنةِ وإجماعِ سلفِ الأمة.

وسببُ ضلالِهم أنهم تقدموا بين يدي اللَّهِ ورسولِه واتهموا الوَحْيين فيما نطقا به ووزنوهما بعقولهم السخيفةِ وأذهانِهم البعيدة وقوانينِهم الفاسدة التي هي ليست من الله في شيء، ولا من علوم الإسلامِ في ظلٍ ولا فيء، وإنما هي أوضاعٌ مختلفةٌ، أدخلها الأعادي على أهل الإسلام لقصد إظهارِ الفساد، ولغرس شجرةِ الإلحاد، المثمرة... وتعطيلَ الباري عز وجل عن صفاتِ كمالِه وعلوِّه واعتقادِ الحلولِ والاتحاد.

جاءوا بها في قالَب التنزيهِ	**لله كي يغوون كلَّ سفيهِ**
قالوا صفاتُ كمالِه منفيَّةٌ	**عنه مخافةَ موجبِ التشبيه**
تعطيلُهم سمَّوه «تنزيهاً» له	**ليُروِّجوا فاعجبْ لذا التمويهِ**

---

(١) بل أخرجه مسلم (١/١٦١ ـ ١٦٢ رقم ١٧٩).

والوحيُ قالوا نصُّه لا يوجب الـ	علمَ اليقينَ فأيُّ دينٍ فيه
ما الدينُ إلا ما عن اليونان قد	جئنا به طوبى لمن يحويه
نبذوا كتاب الله خلف ظهورهم	وبقُوا حيارى في ضلال التيهِ

فسمُّوا النورَ الذي أنزله الله عز وجل على رسولِه ﷺ تفصيلَ كل شيء وتبياناً لكل شيءٍ ولم يفرّط فيه من شيء وبيان النبي ﷺ من جوامعِ كلمِه التي اختص الله بها، فسمّوا ذلك كلَّه «آحاداً ظنيةً لا تفيد اليقين»[1]، وسموا زخارفَ أذهانهم ووساوسَ شيطانِهم «قواطعَ عقلية».

لا والله ما هي إلا خيالاتٌ وهميةٌ ووساوسُ شيطانيةٌ، هي من الدين بريئةٌ وعن الحق أجنبيةٌ، توجب الحَيرةَ وتُعقبُ الحسرة، كثيرةُ المباني قليلةُ المعاني، كسرابٍ بقيعةٍ يحسبه الظمآن ماءً، ويا ليته إذا جاءه لم يجده شيئاً لكن وجده السُمَّ النقيعَ والداءَ العُضال، فِخاخَ هَلَكةٍ نصبها الأعداءُ لاصطياد الأغبياء، وخُدعةَ ماكرٍ في صورة ناصحٍ فِعلَ عدوِّ اللّهِ اللعين في قصته مع الأبوين عليهما السلام في دلالتها على الشجرة التي نهاهما ربُّهما عنها: ﴿وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ﴾ [الأعراف: ٢١ ـ ٢٢]، إلى آخر الآياتِ.

وكذلك كتبُ الكلام والمنطِقُ اليونانيُّ أدخله الأعداءُ علينا وسمَّوه علمَ التوحيدِ تلبيساً وتمويهاً وما هو إلا سُلَّمُ الإلحادِ والزندقة، وجحدوا صفاتِ الباري عز وجل وسمَّوا ذلك تنزيهاً ليُغروا الجهّال بذلك، وإنما هو محضُ التعطيل.

وسمَّوا أولياءَ الله المؤمنين الذين عرفوه بأسمائه وصفاتِه مُشبِّهةً لينفِّروا الناسَ عنهم مكراً وخَديعة، فأصبح المغرورُ بقولهم المخدوعُ بمكرهم حائراً مخذولاً، لأنهم لما عزلوا كتابَ اللّهِ عن البيان وحكّموا عقولَهم السخيفةَ في نصوص صفاتِ الديّانِ لم يفهموا منها إلا ما يقوم بالمخلوق من الجوارِح والأدواتِ التي منحه الله إياها ومتى شاء سلبه، ولم ينظُروا المتصفَ بها من هو، فلذلك نفَوها عن الله عز وجل لئلا يلزَم من إثباتها التشبيهُ، فشبّهوا أولاً وعطلوا ثانياً، فلما نفوا عن الله

---

(١) انظر: «الحديث حجة بنفسه في العقائد والأحكام» للمحدث الألباني.
وانظر: كتابنا «مدخل إرشاد إلى فقه الكتاب والسنة»، «لزوم اتباع السنة على كل جيل في العقائد والأحكام» (ص٥٩ ـ ٦٢).

صفاتِ كمالِه لزِمهم إثباتُ ضِدِّها وهو النقائصُ، فمن نفى عن الله كونَه سميعاً بصيراً فقد شبَّهه بما لا يسمع ولا يُبصر ولا يغني شيئاً وكذلك سائرُ الصفات.

وماذا عليهم لو أثبتوا لله عز وجل ما أثبته لنفسه وأثبته له رسولُه ﷺ كما شاء الله تعالى وعلى الوجه الذي أراد، فجميعُ صفاتِه صفاتُ كمالٍ وجلالٍ تليقُ بعظمة ذاتِه، ونفيُها ضدُّ ذلك.

ولا يلزم من اتفاق التسميةِ اتفاق المسمَّيات، فإن الله تعالى قد سمَّى نفسه سميعاً بصيراً، وأخبرنا أنه جعل الإنسان سميعاً بصيراً، وسمَّى نفسه الرؤوف الرحيم، وأخبر أن نبيَّه ﷺ بالمؤمنين رؤوفٌ رحيم، وسمى نفسَه الملك فقال: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤]. ﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس: ٢]. وسمَّى بعضَ خلقِه ملكاً فقال: ﴿وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦٓ أَسۡتَخۡلِصۡهُ لِنَفۡسِيۖ﴾ [يوسف: ٥٤]. وهو العزيزُ، وسمَّى بعضَ عبادِه عزيزاً وغيرُ ذلك.

فلا يلزم من اتفاق التسميةِ اتفاقُ الأسماءِ ومقتَضياتِها، فليس السمعُ كالسمع ولا البصرُ كالبصر، ولا الرأفةُ كالرأفة، ولا الرحمة كالرحمة، ولا العِزّةُ كالعزة، كما أنه ليس المخلوقُ كالخالق ولا المحدَثُ الكائنُ بعد أن لم يكن كالأول الآخرِ الظاهرِ الباطنِ، وليس الفقيرُ العاجزُ عن القيام بنفسه كالحي القيوم الغنيِّ عما سواه وكلُ ما سواه فقيرٌ إليه، فصفاتُ الخالق الحيِّ القيومِ قائمةٌ به لائقةٌ بجلاله أزليةٌ بأزليته دائمةٌ بدَيموميته، لم يزل متصفاً بها ولا يزالُ كذلك، لم تُسبَق بضد ولم تُعقَّبْ به، بل له تعالى الكمالُ المطلقُ أولاً وأبداً: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

فمن شبه الله تعالى بخلقه فقد كفر، ومن نفى عنه ما وصف به نفسَه فقد كفَر، وليس فيما وصف اللّهُ به نفسَه ورسولُه تشبيهٌ.

(**لا تبلغ الأوهام كنه ذاته**) أي نهاية حقيقتِها كما قال تعالى: ﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمٗا﴾ [طه: ١١٠]. وقال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وإنما نعرفه تعالى بما وصفَ به نفسَه في كتبه المنزلةِ على رسله بأنه أحدٌ صمدٌ: ﴿لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ٣ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ٤﴾ [الإخلاص].

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. إلى آخر الآية.

﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الحشر: ٢٢]. ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [الحشر: ٢٣]. ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [الحشر: ٢٤]. ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣]، إلى غير ذلك من آيات الأسماءِ والصفات.

(ولا يكيف الحجا) أي العقلُ **(صفاتِه)** لأنه لا يعلم كيف هو إلا هو؛ فالواجبُ علينا أيها العبيدُ الإيمانُ بالله وأسمائِه وصفاتِه وإمرارِها كما جاءت، واعتقادُ أنها حقّ كما أخبر اللّهُ عز وجل وأخبرَ رسوله ﷺ، وعدم التكييفِ والتمثيلِ لأن الله عز وجل أخبرنا بأسمائه وصفاتِه وأفعالِه ولم يبين كيفيتِها فنُصدّق الخبر ونؤمن به ونكِلُ الكيفيةَ إلى الله عز وجل.

فصفاتُ ذاتِه تعالى من الحياة والعلمِ والسمعِ والبصرِ والقدرةِ والإرادةِ وغيرِها، وكذلك صفاتُ أفعالِه من الاستواء على العرش والنزولِ إلى سماء الدنيا والمجيءِ لفصل القضاءِ بين عبادِه وغيرُ ذلك كلُها حقّ على حقيقتها، علِمْنا اتصافَه تعالى بها بما علمنا في كتابه وسنةِ رسولِه ﷺ، وغاب عن جميع المخلوقين كيفيتُها ولم يحيطوا بها علماً، كما قالت أمُّ سلمةَ[1] رضي الله عنها وربيعةُ الرأي[2] ومالكُ بنُ

---

(١) أخرجه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٣/ ٤٤٠ ـ ٤٤١ رقم ٦٦٣).
وعزاه إليه الحافظ في «الفتح» (١٣/ ٤٠٦).
وقال ابن تيمية في «الفتاوى» (٥/ ٣٦٥) بعد ذكر قول مالك في الاستواء: «وقد روي هذا الجواب عن أم سلمة، موقوفاً ومرفوعاً، ولكن ليس إسناده مما يعتمد عليه» اهـ.

(٢) أخرجه اللالكائي (٣/ ٤٤١ ـ ٤٤٢ رقم ٦٦٥).
وذكره الحافظ في «الفتح» (١٣/ ٤٠٦).
وقال ابن تيمية في «الفتاوى» (٥/ ٣٦٥) بعد ذكر قول مالك: «ومثل هذا الجواب ثابت عن ربيعة ـ شيخ مالك ـ» اهـ.
وأخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» (ص٤٠٨) بسند آخر عن ربيعة.

أنسٍ[1] وغيرُهم رحمهم الله تعالى: «الاستواءُ غيرُ مجهولٍ، والكيفُ غيرُ معقول، والإيمانُ به واجبٌ، والسؤالُ عنه بدعةٌ، ومن الله الرسالةُ وعلى الرسولِ البلاغُ، وعلينا التصديقُ والتسليم».

وكذلك القولُ في جميع صفاتِه عز وجل، وإنا والله لكالّون حائرون في كيفية سرايةِ الدمِ في أعضائِنا وجَريانِ الطعامِ والشرابِ فينا، وكيف يدبّر الله تعالى قوتَ كلِ عضوٍ فيه بحسب حاجته، وفي استقرار الروحِ التي هي بين جنبينا وكيف يتوفاها الله في منامها وتعرُج إلى حيث شاء الله عز وجل ويردها إذا شاء، وفي كيفية إقعادِ الميتِ في القبر وعذابِه ونعيمِه، وكيفيةِ قيامِ الأمواتِ من القبور حُفاةً عراةً غُرْلاً، وكيفيةِ الملائكةِ وعِظَمِ خلقِهم.

فكيف العرشُ الذي لا يقدِّر قدْرَه إلا اللّهُ عز وجل، كلُ ذلك نجهل كيفيتَه ونحن مؤمنون به كما أخبرنا الله عز وجل عنه على ألسنة رسلِه عليهم الصلاةُ والسلام إيماناً بالغيب وإن لم نعلم الكيفية، فكيف بالخالق عز وجل وأسمائه الحسنى وصفاتِه العُلى: ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الروم: ٢٧]. ﴿لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: ٧٠]. ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٥٢]. ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: ٧]. ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٥٣].

[انفراده تعالى بالإرادة والمشيئة]

(باقٍ فلا يفنى ولا يبيدُ ... ولا يكون غيرُ ما يريد)

(منفردٌ بالخلق والإرادة ... وحاكمٌ - جلَّ - بما أراده)

(باق) كما أنه الأولُ بلا ابتداءٍ فهو الباقي بلا انتهاءٍ، فكما لا ابتداءَ لأوليته كذلك لا انتهاء لآخريته، (فلا يفنى ولا يبيد) بل هو المُفني المُبيدُ، وهو المُبدِئ

(١) أخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» رقم (٨٦٦) عنه، وقال الحافظ في «الفتح» (١٣/ ٤٠٦ - ٤٠٧): «وأخرج البيهقي بسند جيد عن عبد الله بن وهب، قال: كنا عند مالك، فذكره.
قلت: وهو صحيح عن مالك، وقد تقدم.

المعيد، قال الله عز وجل: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: ٨٨]. وقال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمن].

(ولا يكون) في الكون **(غيرُ ما يريد)** والمُرادُ بالإرادة هنا الإرادة القدريةُ الكونيةُ التي لا بد لكل شيء منها ولا محيصَ ولا محيدَ لأحد عنها وهي مشيئةُ اللّٰهِ الشاملةُ وقدرتُه النافذةُ، فما شاء الله تعالى كان وما لم يشأ لم يكن، فهو سبحانه الفعالُ لما يريد، ولا نفوذَ لإرادة أحدٍ إلا أن يريد، وما من حركة ولا سكونَ في السموات ولا في الأرض إلا بإرادته ومشيئتِه، ولو شاء عدمَ وقوعِها لم تقع، وورودُ ذلك في نصوص الكتابِ والسنة معلومٌ كقوله تبارك تعالى: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [البروج: ١٦]. ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا﴾ [الكهف: ٨٢]. ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا﴾ [الإسراء: ١٦].

وهذا الأمرُ القدريُّ الكونيُّ غيرُ الأمرِ الشرعيِّ، فإن الله لا يأمرُ بالفسق شرعاً ولا يحب الفاسقين وإنما هو أمرُ تكوين، ألا ترى أن الفسقَ علةٌ: ﴿حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ﴾ [القصص: ٦٣]. و ﴿حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ﴾ علةٌ لتدميرهم، وهكذا الأمرُ سببٌ لفسقهم ومقتضٍ له وذلك هو أمرُ التكوين وقال: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]. ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]. ﴿وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ [المائدة: ٤١]. ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ﴾ [المائدة: ٤١].

وقولِ نوح لقومه: ﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [هود: ٣٤]. وقوله تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأنعام: ١٢٥]. وقوله تعالى: ﴿وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ﴾ [الرعد: ١١]. وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يُرِيدُ﴾ [الحج: ١٦].

﴿قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ١٧]. ﴿قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً﴾ [الأحزاب: ١٧]. وقوله تعالى: ﴿قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم

مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًۢا﴾ [الفتح: ١١]. وقوله: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ [آل عمران: ١٧٦].

وقوله: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ﴾ [الإسراء: ١٨]. وقول صاحب يس: ﴿ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ﴾ [يس: ٢٣]. وقال تعالى: ﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ﴾ [الزمر: ٣٨].

وقول النبي ﷺ: «**من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين**»[1]، «**من يرد الله به خيراً يُصِبْ منه**»[2]، «**إذا أراد الله رحمةَ أمةٍ قبض نبيَّها قبلَها، وإذا أراد هَلَكة أمةٍ عذَّبها ونبيُّها حيٌّ فأقر عينَه بهلاكها**»[3]، «**إذا أراد الله بعبد خيراً عجل له العقوبةَ في الدنيا، وإذا أراد بعبد شراً أمسك عنه ذنوبه حتى يُوافيَ به يوم القيامة**»[4].

---

(١) أخرجه البخاري (٦/ ٢١٧ رقم ٣١١٦) ومسلم (٢/ ٧١٨ رقم ١٠٣٧)، من حديث عائشة.

(٢) أخرجه البخاري (١٠/ ١٠٣ رقم ٥٦٤٥). من حديث أبي هريرة.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه (٤/ ١٧٩١ ـ ١٧٩٢ رقم ٢٢٨٨)، من حديث أبي موسى.

(٤) أخرجه الترمذي (٤/ ٦٠١ رقم ٢٣٩٦) وقال: «هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه» اهـ.
وأخرجه أبو يعلى في «المسند» (٧/ ٢٤٧ رقم ٤٢٥٤) وابن عدي في «الكامل» (٣/ ١١٩٣) والبغوي في «شرح السنة» (٥/ ٢٤٥) والحاكم (٤/ ٦٠٨) وسكت عليه الحاكم والذهبي.
وأخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» (ص١٥٤). كلهم من حديث أنس بن مالك.
وفيه سعد بن سنان أو سنان بن سعد قال الحافظ في «التقريب» (٢٢٣٨): «صدوق له أفراد».
وله شاهد من حديث عبد الله بن مغفل مرفوعاً.
أخرجه ابن حبان (رقم ٢٤٥٥ ـ موارد) وأبو نعيم في «أخبار أصبهان» (٢/ ٢٧٤) والبيهقي في «الأسماء والصفات» (ص١٥٣ ـ ١٥٤) وأحمد في «المسند» (٤/ ٨٧) والحاكم (١/ ٣٤٩) و (٤/ ٣٧٦، ٣٧٧) وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه وأقره الذهبي.
ورجاله ثقات: لكن الحسن وهو البصري مدلس، وقد عنعنه.
وله شاهد من حديث ابن عباس بنحوه أخرجه الطبراني في «الكبير» (١١/ ٣١٣ رقم ١١٨٤٢) وقال الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ١٩١ ـ ١٩٢): «وفيه عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله العرزمي وهو ضعيف.
وخلاصة القول أن الحديث حسن بمجموع طرقه.
وقد أورده المحدث الألباني في «الصحيحة» رقم (١٢٢٠).

«إذا أراد الله قبْضَ عبدٍ بأرض جعل له إليها حاجة»[1]، «إذا أراد اللَّهُ بأهل بيت خيراً أدخل عليهم بابَ الرفق»[2]، إذا أراد الله بقوم عذاباً أصابَ من كان فيهم ثم بُعثوا على نياتهم»[3].

والآثارُ النبويةُ في ذلك كثيرةٌ.

وكذلك لفظُ «المشيئة» في الكتاب والسنةِ ورودُه معلومٌ كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

وقال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ [آل عمران: ٤٠].

وقال: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ﴾ [الأنعام: ١١٢]. ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ﴾ [يونس: ٩٩]. ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ﴾ [هود: ١١٨]. ﴿لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۗ﴾ [الرعد: ٣١]. ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ۚ﴾ [الأنعام: ٣٥]. ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا﴾ [السجدة: ١٣]. ﴿وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ﴾ [محمد: ٤]. ﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ [الإسراء: ٨٦]. ﴿فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ ۗ﴾ [الشورى: ٢٤]. ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا﴾ [النساء: ١٣٣]. ﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ [الفتح: ٢٧]. ﴿إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ﴾ [هود: ٣٣].

وقوله عن إمام الحنفاء: ﴿وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا ۗ وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۗ﴾ [الأنعام: ٨٠]. وقوله عن الذبيح: ﴿سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الصافات: ١٠٢]. وقوله عن شعيبٍ عليه السلام: ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن

---

(١) أخرجه الترمذي (٤/ ٤٥٣ رقم ٢١٤٧) وقال: «هذا حديث صحيح».
وأخرجه الحاكم (١/ ٤٢) وصححه، وأخرجه أحمد (٣/ ٤٢٩) والطبراني في «الكبير» (٢٢/ رقم ٧٠٦) وأبو نعيم في «الحلية» (٨/ ٣٧٤).
وهو حديث صحيح.

(٢) أخرجه أحمد في «المسند» (٦/ ٧١) من حديث عائشة.
وأورده الهيثمي في «المجمع» (٨/ ١٩): «رواه أحمد ورجال الثانية - أي المذكورة هنا - رجال الصحيح».

(٣) البخاري (١٣/ ٦٠ رقم ٧١٠٨) ومسلم (٤/ ٢٢٠٦ رقم ٢٨٧٩) من حديث ابن عمر.

نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾ [الأعراف: ٨٩]. وقوله عن يوسف: ﴿ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ [يوسف: ٩٩].

وقوله عن موسى: ﴿سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا﴾ [الكهف: ٦٩]. وقوله عن قوم موسى: ﴿وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ٧]. وقوله لنبيّه ﷺ: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَا۟ىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الكهف: ٢٣ ـ ٢٤]. ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [يونس: ٤٩]. وقال: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ [هود: ١٠٧]. وعن أهلِ النارِ مثلَ ذلك، وقال: ﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ ۖ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ﴾ [الإسراء: ٥٤]. وقال: ﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ﴾[المائدة: ٤٠]. وقال: ﴿وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ﴾ [الشورى: ٢٧].

وقال: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾ [الإسراء: ٣٠]. وقال: ﴿يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ﴾ [الرعد: ٣٩]. وقال: ﴿قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ۖ﴾ [يونس: ١٦]. وقال: ﴿نَّحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ ۖ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ تَبْدِيلًا﴾ [الإنسان: ٢٨]. وقال: ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [المدثر: ٥٦]. وقال: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الإنسان: ٣٠].

فأخبر أن مشيئتَهم وفعلَهم موقوفان على مشيئته لهم هذا وهذا، وقال: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ٢٦]. وقال: ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ [الأحزاب: ٢٤]. وقال: ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ [آل عمران: ٧٤]. وقال: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ﴾ [النور: ٢١]. وقال: ﴿وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ﴾ [البقرة: ٢٦١]. وقال: ﴿نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ ۖ﴾ [يوسف: ٥٦]. وقال: ﴿نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ﴾ [يوسف: ٧٦].

وقال: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ [المائدة: ٥٤]. وقال: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ﴾ [إبراهيم: ١١]. وقال: ﴿فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [يوسف: ١١٠]. وقال: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [الروم: ٤٨]. وقال: ﴿إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ﴾ [يوسف: ١٠٠].

وقال: ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ﴾ [البقرة: ٢٦٩]. وقال: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ﴾ [يس: ٦٦]. ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ﴾ [البقرة: ٢٠]. وقال: ﴿إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ﴾ [الشورى: ٣٣]. وقال: ﴿لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا﴾ [الواقعة: ٦٥]. وقال: ﴿لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا﴾ [الواقعة: ٧٠].

وقال: ﴿فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ﴾ [التوبة: ٢٨]. وقال: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [فاطر: ١٦]. وقال: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ﴾ [الأنعام: ١٣٣]. ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٠]. ﴿ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ﴾ [الشورى: ١٣]. ﴿وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ﴾ [البقرة: ٢٦١]. ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ﴾ [القصص: ٦٨].

﴿لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا﴾ [الشورى: ٤٩ - ٥٠]. ﴿وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ﴾ [الشورى: ٥٢ - ٥٣]. ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [آل عمران: ٦]. ﴿فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾ [الإنفطار: ٨]. ﴿ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ﴾ [الشورى: ٥٢]. ﴿وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ﴾ [القصص: ٨٢]. وغيرُ ذلك من الآيات.

قال العلامةُ ابنُ القيم[1] رحمه الله تعالى بعد أن ساق نحواً من هذه الآياتِ: وهذه الآياتُ ونحوُها تتضمن الردَّ على طائفتي الضلالِ: نُفاةِ المشيئةِ بالكلية، ونُفاة مشيئة أفعالِ العبادِ وحركاتِهم وهُداهم وضلالِهم، وهو سبحانه يخبر تارةً أن كلَّ ما في الكون بمشيئتِه، وتارةً أن ما لم يشأ لم يكن، وتارةً أنه لو شاء لكان خلافَ الواقع وأنه لو شاء لكان خلافَ القدرِ الذي قدره وكتبه وأنه لو شاء ما عُصي وأنه لو شاء لجمع خلقَه على الهدى وجعلهم أمةً واحدة، فتضمن ذلك أن الواقعَ بمشيئته، وأن ما لم يقع فهو لعدم مشيئتِه، وهذا حقيقةُ الربوبية وهو معنى كونِه: ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢].

---

(١) انظر: «طريق الهجرتين وباب السعادتين» له (ص٦٤ - ٨٣).

وكونِه القيومُ القائمُ بتدبير أمورِ عبادِه، فلا خلْقَ ولا رِزقَ ولا عطاءَ ولا منْعَ ولا قبْضَ ولا بسْطَ ولا موتَ ولا حياةَ ولا ضلالَ ولا هدى ولا سعادةَ ولا شقاوةَ إلاّ بعد إذنِه، وكلُ ذلك بمشيئتِه وتكوينِه إذ لا مالكَ غيرُه ولا مُدّبِرَ سواه ولا ربَّ غيرُه. اهـ.

والأحاديثُ من السنة النبويةِ في إثبات المشيئةِ كثيرةٌ جداً، منها قولُه ﷺ في شأن الجنين: **«فيقضي ربُك ما شاء ويكتبُ الملكُ»**[1].

وقوله: **«اشفعوا تُؤجروا، ويقضي اللّهُ على لسان نبيِّه ما يشاء»**[2]، **«إن قبض أرواحَكم حين شاء وردَّها حين شاء»**[3]، **«إن الله لو شاء لم تناموا عنها، ولكنه أراد ليكون لمن بعدكم»**[4]، **«قولوا ما شاء اللّهُ وحده»**[5].

«قلوب العباد بين إصبعين من أصابع الرحمنِ كقلبٍ واحدٍ يُصرِّفها كيف يشاء»[6]، **«ما من قلب إلا بين إصبعين من أصابع الرحمنِ إن شاء أقامه وإن شاء أزاغه»**[7].

وكان ﷺ يقول: **«اللهم يا مقلبَ القلوبِ ثبتْ قلوبنا على دينك»**[8].

---

(١) وهو جزء من حديث ابن مسعود عند مسلم (٤/ ٢٠٣٧ رقم ٢٦٤٥).

(٢) أخرجه البخاري (١٣/ ٤٤٨ رقم ٧٤٧٦) ومسلم (٤/ ٢٠٢٦ رقم ٢٦٢٧)، من حديث أبي موسى.

(٣) أخرجه البخاري (١٣/ ٤٤٧ رقم ٧٤٧١) من حديث عبد الله بن أبي قتادة عن أبيه.

(٤) وهو جزء من حديث أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٤/ ١٥٥) من حديث عبد الله بن مسعود. وأصل الحديث عند البخاري (٨/ ٥٨٢ رقم ٤٨٣٣) دون الجزء المذكور.

(٥) أخرجه أحمد في «مسنده» (١/ ٢١٤، ٢٢٤، ٢٨٣) من حديث ابن عباس بسند صحيح.

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٤٥ رقم ٢٦٥٤) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص.

(٧) أخرجه أحمد (٤/ ١٨٢) وابن ماجه (١/ ٧٢ رقم ١٩٩) من حديث النواس بن سمعان الكلابي.
قال البوصيري في «الزوائد» (١/ ٨٧ رقم ٧١): «هذا إسناد صحيح» اهـ.

(٨) أخرجه الترمذي رقم (٣٥٢٢) وابن أبي شيبة في «الإيمان» رقم (٥٦) وأحمد (٦/ ٣٠٢، ٣١٥).
قال الترمذي: حديث حسن.
قلت: فيه شهر بن حوشب سيء الحفظ، ولكن له شواهد تقويه.

=

وقولُه عن الله عز وجل: «فذلك فضلي أوتيه من أشاء»[1]، وقولُه: «مثلُ الكافرِ كمثل الأرزةِ صماءُ معتدلةٌ حتى يقصِمها الله إذا شاء»[2]، وقولُه: «تعرَّضوا لنفحات رحمةِ الله، فإن للَّهِ عز وجل سحائبَ من رحمته يُصيب بها من يشاء من عباده»[3]، وقولُه في حديث البَيعة: «ومن أصاب من ذلك شيئاً فستره الله فهو إلى الله عز وجل، إن شاء عذبه وإن شاء غفر له»[4].

وفي حديث احتجاجِ الجنةِ والنارِ قولُه تعالى للجنة: «أنت رحمتي أرحمُ بك من أشاء» وللنار: «أنتِ عذابي أعذب بك من أشاء»[5]، وقولُه ﷺ: «لا يقل أحدُكم اللهم اغفِرْ لي إن شئت، اللهم ارحَمني إن شئت، وارزُقني إن شئتَ، لِيعزِمِ المسألة، فإن الله تعالى لا مُكرِهَ له»[6]، وقولُه: «ولكن قل قدَّر الله وما شاء فعل»[7] وقولُه عن الله عز وجل: «ذلك بأني جوادٌ أفعل ما أشاء، عطائي كلامٌ،

= منها: حديث عائشة.

أخرجه أحمد (٦/ ٩١) ورجاله ثقات إلا أن الحسن البصري لم يسمع من عائشة.

لكنه تابعه علي بن زيد عن أم محمد عن عائشة به نحوه.

أخرجه ابن أبي شيبة في «الإيمان» رقم (٥٧).

قلت: علي بن زيد بن جدعان سيء الحفظ أيضاً.

وأم محمد ـ وهي زوجة أبيه ـ لا تعرف.

ومنها: حديث النواس بن سمعان الكلابي المتقدم.

وخلاصة القول أن الحديث حسن بشواهده.

وأورده المحدث الألباني في «الصحيحة» رقم (٢٠٩١).

(١) أخرجه البخاري (٢/ ٣٨ رقم ٥٥٧) من حديث عبد الله بن عمر.

(٢) أخرجه البخاري (١٣/ ٤٤٦ رقم ٧٤٦٦) ومسلم (٤/ ٢١٦٣ رقم ٢٨٠٩) من حديث أبي هريرة.

(٣) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٢/ ٤٢ رقم ١١٢١)، وأورده الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» (ص٢٢٣). من حديث أنس.
وأورده السيوطي في «جمع الجوامع» رقم (٣٣٩٥) وعزاه إلى ابن أبي الدنيا في «الفرج بعد الشدة»، ولأبي نعيم في «الحلية»، والبيهقي، والحكيم الترمذي.

(٤) أخرجه البخاري (٧/ ٢١٩) رقم (٣٨٩٢) من حديث عبادة بن الصامت.

(٥) أخرجه البخاري (٨/ ٥٩٥ رقم ٤٨٥٠) ومسلم (٤/ ٢١٨٦ رقم ٢٨٤٦) من حديث أبي هريرة.

(٦) أخرجه البخاري (١٣/ ٤٤٨ رقم ٧٤٧٧) من حديث أبي هريرة.

(٧) وهو جزء من حديث أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٥٢ رقم ٢٦٦٤) من حديث أبي هريرة.

وعذابي كلامٌ، إنما أمري لشيء إذا أردتُه أن أقولَ له كن فيكون»[1].

وقولُه: «ما أنعم الله على عبد من نعمة من أهل وولدٍ فيقول: ما شاء الله ولا قوةَ إلا بالله فيُرى فيه آيةً دون الموت»[2].

وفي حديث الشفاعة: «فيدعُني ما شاء الله أن يدَعَني»[3].

وفي حديث آخِرُ أهلِ الجنةِ دخولاً الجنةَ: «فيسكت ما شاء الله أن يسكُتَ»[4]، وفيه قولُه تعالى: «لا أهزأ بك ولكني على ما أشاء قديرٌ»[5]، وقال: «فأريد إن شاء اللّهُ أن أختبئ دعوتي شفاعةً لأمتي»[6].

وقال: «لا يدخل النارَ إن شاء الله من أصحاب الشجرةِ الذين بايعوا تحتها أحدٌ»[7]، وقال: «إني لأطمع أن يكون حوضي إن شاء اللّهُ ما بين أيلةَ إلى كذا»[8].

وقال في المدينة: «لا يدخلها الطاعونُ ولا الدَّجالُ إن شاء الله تعالى»[9]،

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ١٥٤، ١٧٧) والترمذي (٤/ ٦٥٦ رقم ٢٤٩٥). وابن ماجه (٢/ ١٤٢٢ رقم ٤٢٥٧) من حديث أبي ذر.
وهو حديث ضعيف.

(٢) أخرجه الطبراني في «الصغير» (١/ ٢١٢) و «الأوسط» ـ كما في «مجمع البحرين» (٧/ ٣٥٩) وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ١٤٠): وفيه عبد الملك بن زرارة وهو ضعيف.
قلت: انظر: «اللسان» (٤/ ٦٣) فقد قال الأزدي: لا يصح حديثه.
فالحديث ضعيف، والله أعلم.

(٣) أخرجه البخاري (١٣/ ٣٩٢ رقم ٧٤١٠) ومسلم (١/ ١٨٠ رقم ١٩٣) من حديث أنس بن مالك.

(٤) أخرجه البخاري (٢/ ٢٩٢ ـ ٢٩٣ رقم ٨٠٦) ومسلم (١/ ١٦٣ ـ ١٦٦ رقم ١٨٢) من حديث أبي هريرة.

(٥) أخرجه مسلم (١/ ١٧٤ ـ ١٧٥ رقم ١٨٧) من حديث عبد الله بن مسعود.

(٦) أخرجه البخاري (١١/ ٩٦ رقم ٦٣٠٤) ومسلم (١/ ١٨٨ رقم ١٩٨) من حديث أبي هريرة.

(٧) أخرجه مسلم (٤/ ١٩٤٢ رقم ٢٤٩٦) من حديث أم مُبشِّر.

(٨) أخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» رقم (٣٥٠) بسند صحيح. من حديث أبي هريرة.

(٩) أخرجه البخاري (١٣/ ٤٤٧ رقم ٧٤٧٣) من حديث أنس بن مالك.

وفي زيارة القبورِ: «وإنا إن شاء الله بكم لاحقون»[1].

وفي حصار الطائفِ: «إنا قافلون غداً إن شاء الله»[2]، وفي قدومِه مكةَ: «مَنزِلُنا غداً إن شاء الله بخيفِ بني كنانة»[3]، وفي قصة بدر: «هذا مصرعُ فلانٍ غداً إن شاء الله، وهذا مصرعُ فلانٍ إن شاء الله»[4].

وفي بعض أسفاره: «إنكم تأتون الماء غداً إن شاء الله»[5]، وقال: «من حلف فقال: إن شاء الله، فإن شاء مضى وإن شاء رجَع غيرَ حَنِثٍ»[6].

---

(1) أخرجه مسلم (٢/٦٦٩ رقم ٩٧٤) من حديث عائشة.

(2) جزء من حديث عبد الله بن عمر.
أخرجه البخاري (١٣/٤٤٨ رقم ٧٤٨٠) ومسلم (٣/١٤٠٢ ـ ١٤٠٣ رقم ١٧٧٨).

(3) أخرجه البخاري (١٣/٤٤٨ رقم ٧٤٧٩) من حديث أبي هريرة.

(4) أخرجه مسلم (٤/٢٢٠٢ ـ ٢٢٠٣ رقم ٢٨٧٣) من حديث أنس بن مالك.

(5) أخرجه مسلم (٤/١٧٨٤ رقم ١٠/٧٠٦) من حديث معاذ بن جبل.

(6) أخرجه أبو داود (٣/٥٧٦ رقم ٣٢٦٢) وابن ماجه (١/ ٦٨٠ رقم ٢١٠٥). والترمذي (٤/١٠٨ رقم ١٥٣١) والنسائي (٧/١٢، ٢٥) والدارمي (٢/ ١٨٥)، وابن الجارود رقم (٩٢٨) وابن حبان (رقم: ١١٨٣، ١١٨٤ ـ موارد) والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٠/٤٦) وفي «الأسماء والصفات» (ص١٦٩) من حديث ابن عمر.
قال الترمذي: «حديث حسن، وقد رواه عبيد الله بن عمر وغيره، عن نافع عن ابن عمر موقوفاً. وهكذا روي عن سالم عن ابن عمر ﷺ موقوفاً، ولا نعلم أحداً رفعه غير أيوب السختياني.
وقال إسماعيل بن إبراهيم: «كان أيوب أحياناً يرفعه وأحياناً لا يرفعه» اهـ. وقال البيهقي عقبه:
«وقد روي عن موسى بن عقبة وعبد الله بن عمر وحسان بن عطية وكثير بن فرقد عن نافع عن ابن عمر ﷺ عن النبي ﷺ، ولا يكاد يصح رفعه إلا من جهة أيوب السختياني، وأيوب شك فيه أيضاً.
ورواية الجماعة من أوجه صحيحة عن نافع عن ابن عمر ﷺ، عن قوله غير مرفوع.، والله أعلم» اهـ.
وقال الألباني في «الإرواء» (٨/١٩٩):
وفي قوله: «لا يكاد يصح رفعه» نظر، فقد أخرجه ابن حبان في «الثقات» (٧/٣٥١) والحاكم (٤/٣٠٣) عن طريقين، عن ابن وهب ثنا عمرو بن الحارث أن كثير بن فرقد حدثه أنّ نافعاً حدثهم به مرفوعاً بلفظ:
«من حلف على يمين ثم قال: إن شاء الله فإن له ثنياه».

وقال: «لأغزُوَنّ قريشاً»، ثم قال في الثانية: «إن شاء الله»[1].

وقال: «ألا مشمِّرٌ للجنة»؟ فقال الصحابة: نحن المشمّرون لها يا رسولَ الله، فقال: «قولوا إن شاء الله»، قالوا: «إن شاء الله»[2]. وغيرُ ذلك من الأحاديث الثابتةِ.

[انفراده تعالى بالخلق]

(منفرد) ربُنا عز وجل (بالخلق) فما من مخلوق في السموات والأرضِ إلا اللّٰهُ خالقُه سبحانه لا خالقَ غيرُه ولا ربَّ سواه، فهو خالقُ كلِ صانعٍ وصنعتَه، وخالقُ الكافرِ وكفرِه، والمؤمنِ وإيمانِه، والمتحركِ وحركتِه، والساكنِ وسكونِه، كما قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر: ٦٢].

= وقال الحاكم:
«صحيح الإسناد». ووافقه الذهبي.
وأقول: بل هو على شرط البخاري، فإن كثير بن فرقد من رجاله، وهو ثقة.
قال أبو حاتم: «كان من أقران الليث» وبقية الرجال من رجال الشيخين.
وتابعه حسان بن عطية عن نافع به نحوه.
أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٣/٧٣) وقال: «تفرد برفعه عمرو بن هاشم البيروتي».
قلت: «وهو صدوق يخطىء» اهـ.
والخلاصة فالحديث صحيح، والله أعلم.

(١) أخرجه أبو داود (٣/٥٨٩ رقم ٣٢٨٥) عن عكرمة مرسلاً.
وقال أبو داود: وقد أسند هذا الحديث غير واحد عن شريك عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس. أسنده عن النبي ﷺ، وقال الوليد بن مسلم عن شريك: ثم لم يغزهم.
وقال أبو حاتم في «العلل» (١/ ٤٤٠) عن هذا الحديث: مرسل. وهو أشبه.
وقد صححه الألباني في صحيح أبي داود.

(٢) أخرجه ابن حبان (رقم ٢٦٢٠ ـ موارد) وابن ماجه (٢/١٤٤٨ ـ ١٤٤٩ رقم ٤٣٣٢) والبخاري في «التاريخ الكبير» (٤/٣٣٦) والفسوي في «المعرفة والتاريخ» (١/ ٣٠٤) والبيهقي في «الأسماء والصفات» (ص١٧٠)، وفي «البعث» رقم (٣٩١) وأبو نعيم في «صفة الجنة» رقم (٢٤).
وأخرجه الطبراني في «الكبير» رقم (٣٨٨) وأبو الشيخ في «العظمة» رقم (٦٠١) وأبو نعيم رقم (٢٤، ٢٥) والبغوي في «شرح السنة» رقم (٤٣٨٦) من طرق...
وهو حديث ضعيف.

وقال تعالى: ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ [فاطر: ٣]. وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [التغابن: ٢]. وقال تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ [التغابن: ٣]. وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦]. وقال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيْءٍ﴾ [الروم: ٤٠].

وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّن بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ (٨٠) وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ﴾ [النحل: ٨٠ ـ ٨١].

وقال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُونَ (٥٨) أَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ (٥٩) نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ (٦٠) عَلَىٰ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ (٦١) وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ (٦٢) أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ (٦٣) أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ (٦٤) لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ (٦٥) إِنَّا لَمُغْرَمُونَ (٦٦) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ (٦٧) أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ (٦٨) أَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ (٦٩) لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ (٧٠) أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ (٧١) أَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ (٧٢) نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِّلْمُقْوِينَ (٧٣) فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ (٧٤)﴾ [الواقعة].

وفي الصحيح[1] من حديث الأشعريين: **«ما أنا أحمِلُكم ولكن الله حملكم»**.

وفيه[2] من حديث المصوّرين: **«ومن أظلم ممن ذهب يخلُق كخلقي، فليخلُقوا ذرةً أو ليخلُقوا حبةً أو ليخلقوا شعيراً»**.

---

(١) البخاري (١١/٥١٧ رقم ٦٦٢٣) ومسلم (٣/١٢٦٨ رقم ١٦٤٩) من حديث أبي بردة.

(٢) البخاري (١٠/٣٨٥ رقم ٥٩٥٣) ورقم (٧٥٥٩) ومسلم (٣/١٦٧١ رقم ٢١١١) من حديث أبي هريرة.

وفيه[1]: «من صوّر صورةً كُلِّفَ أن ينفخَ فيها الروحَ وليس بنافخ».

وغيرُ ذلك من الأحاديث الثابتةِ الصحيحة، فلله الخلقُ والأمرُ وله الملكُ وله الحمدُ وهو على كل شيء قدير.

(والإرادة) أي ومنفردٌ بالإرادة فلا مُراد لأحد معه ولا إرادةَ لأحد إلا بعد إرادتِه عز وجل ومشيئتِه كما قال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ ۝٥٤ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ۝٥٥ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ۝٥٦﴾ [المدثر].

وقال تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ۝٢٧ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ۝٢٨ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢٩﴾ [التكوير].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ۝٢٩ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝٣٠ يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۝٣١﴾ [الإنسان].

فللعباد قدرةٌ على أعمالهم ولهم مشيئةٌ واللَّهُ خالقُهم وخالقُ قدرتِهم ومشيئتِهم، ولا قدرةَ لهم ولا مشيئةَ إلا بإقدار اللَّهِ عز وجل لهم إذا شاء وأراد.

[الله هو الحاكم بما أراد فلا معقب لحكمه ولا رادَّ لقضائه]

(وحاكمٌ جل بما أراده) فلا معقِّبَ لحكمِه ولا رادَّ لإرادته ولا مناقضَ لقضائه وقدرِه: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [فاطر: ٤٤]. بل هو: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [البروج: ١٦، هود: ١٠٧].

﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ﴾ [القصص: ٦٨]. ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [البقرة: ١١٧]. ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ [المائدة: ١]، ويفعل ما يشاء ويخلق ما يشاء، لا ناقضَ لما أبرم ولا مُعارضَ لما حكم، ولا يقال: لِمَ فعل كذا، وهلّا كان كذا، لأنه ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣].

---

(١) البخاري (٤٢٧/١٢ رقم ٧٠٤٢) ومسلم (١٦٧١/٣ رقم ٢١١٠) من حديث ابن عباس.

وفي حديث أبي ذر عند الترمذيّ وغيرِه[1] وفي آخره قال: «ذلك بأني جوادٌ واجدٌ ماجدٌ أفعل ما أريد، عطائي كلامٌ وعذابي كلامٌ، إنما أمري لشيء إذا أردتُه أن أقولَ له كن فيكون».

(فمن يشأْ وفّقه بفضله ومن يشأ أضلّه بعدله)

(فمنهم الشقيُّ والسعيدُ وذا مُقرّبٌ وذا طَريدُ)

قال الله عز وجل: ﴿مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الأنعام: ٣٩].

وقال تعالى: ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٨]. وقال تعالى: ﴿مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِىَ لَهُۥ ۚ وَيَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٦]. وقال تعالى: ﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ ۖ﴾ [الإسراء: ٩٧]. وقال تعالى: ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾ [الكهف: ١٧].

وقال تعالى: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۖ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ۚ﴾ [فاطر: ٨]. وقال تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ﴾ [الأنعام: ١٢٥]. وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ﴾ [الرعد: ٢٧].

وقال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص: ٥٦]. وقال تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۗ﴾ [البقرة: ٢٧٢]. وقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [يونس: ٣٥]. وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ﴾ [البقرة: ١٢٠]. وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٧٣]. وقال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨﴾ [الشمس].

---

(١) تقدم تخريجه. وهو حديث ضعيف.

وقال النبيُّ ﷺ في خطبته: «من يهد الله فلا مُضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له»[1].

وقال ﷺ: «اللهم آتِ نفسي تقواها، زكِّها أنت خيرُ من زكاها، إنك أنت وليُّها ومولاها»[2].

(فمنهم) أي من عباده (الشقيُّ) وهو من أضله بعدله (و) منهم (السعيد) وهو من وفَّقه وهداه بفضله؛ فالسعيدُ من سعِد بقضاء اللَّهِ، والشقيُّ من شقِيَ بقضاء الله، فلله الحمدُ على فضلِه وعدلِه.

(وذا مقرب) بتقريب الله إياه إليه وهو السعيدُ، (وذا طريد) بإبعاد اللَّهِ إياه وهو الشقيُّ البعيد. فبيده تعالى الهدايةُ والإضلالُ والإشقاءُ والإسعادُ؛ فهدايتُه العبدَ وإسعادُه فضلٌ ورحمةٌ، وإضلالُه وإبعادُه عدلٌ منه وحِكمة، وهو أعلمُ بمواقع فضلِه وعدلِه، وهو الحكيمُ العليمُ الذي يضع الأشياءَ مواضعَها، وهو أعلم بمن هو محلُّ الهداية فيهديه، ومن هو محلُّ الإضلالِ فيُضلّه وهو أحكم الحاكمين، وهو عليم بالمتقين، وعليمٌ بالظالمين، وعليمٌ بالمهتدين، وهو أعلمُ بالشاكرين وأعلمُ بما في صدور العالمين، وهو أعلمُ حيث يجعل رسالته، وهو أعلمُ بمن ضلَّ عن سبيله، وهو أعلمُ بمن اهتدى، وله في ذلك الحكمةُ البالغةُ والحجةُ الدامغة، ولذا نقول:

(لحكمة بالغةٍ قضاها ... يستوجب الحمدَ على اقتضاها)

[جميع أفعاله تعالى وتصرفه في خلقه لحكمة يعلمها]

أي أن جميعَ أفعالِه من هدايتِه مَن يشاء وإضلالِه من يشاء، وإسعادِ مَن يشاء وإشقاءِ من يشاء، وجعلِه أئمةَ الهدى يهدون إلى الحق بأمره وأئمةَ الضلالةِ يهدون إلى النار، وإلهامَه كلَّ نفسٍ فجورَها وتقواها، وجعِله المؤمنَ مؤمناً والكافرَ كافراً عاصياً مع قدرته التامةِ الشاملةِ، وأنه لو شاء لجعل الناسَ أمةً واحدةً ولو شاء لجمعهم على الهدى، ولو شاء لآمن من في الأرض كلُهم جميعاً، ولكن هذا الذي فعله بهم من قسمتِهم إلى ضالٍّ ومهتدٍ، وشقيٍّ وسعيدٍ، ومقرَّبٍ وطريدٍ، وطائعٍ وعاصٍ ومؤمنٍ وكافرٍ وغيرِ ذلك، هو مقتضى حكمته وموجبُ ربوبيته.

---

(1) أخرجه مسلم (٢/ ٥٩٣ رقم ٨٦٨) من حديث جابر.

(2) أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٨٨ رقم ٢٧٢٢) من حديث زيد بن أرقم.

وحكمتُه حكمةُ حقٍ وهي صفتُه القائمةُ به كسائر الصفاتِ، وهي متضمِّنٌ اسمه «الحكيم»، وهي الغايةُ المحبوبةُ له ولأجلِها خلق فسوّى، وقدّر فهدى، وأسعدَ وأشقى، ومنع وأعطى، وخلق السمواتِ والأرضَ والآخرةَ والأولى.

فهو سبحانه الحكيمُ في خلقه وتكوينِه، الحكيمُ في قضائِه وقدرِه، الحكيم في أمره ونهْيه وجميعِ شرعِه؛ فإن أسماءَه وصفاتِه صفاتُ كمالٍ وجلال، وأفعاله كلُها عدلٌ وحكمةٌ، والفعلُ لغير حكمة عبثٌ، والعبثُ من صفاتِ النقصِ، واللّٰهُ تعالى منزَّهٌ بجميع أسمائِه وصفاتِه وأفعالِه عن جميع النقائص، فجميعُ ما خلقه وقضاه وقدّره خيرٌ وحكمةٌ من جهة إضافتِه إليه سبحانه وتعالى، وكذلك جميعُ ما شرعه وأمر به كلُه حكمةٌ وعدلٌ، وما كان من شر في قضائه وقدرِه فمن جهة إضافتِه إلى فعل العبدِ لأنها معصيةٌ مذمومةٌ مكروهةٌ للرب غيرُ محبوبة.

وأما من جهة إضافتِه إلى الرب عز وجل فخيرٌ محضٌ، ولحكمة بالغةٍ وعدلٍ تام وغايةٍ محمودةٍ لا شرَّ فيها البتة، ولهذا قال تعالى فيما قصّه عن الجن: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ [الجن: ١٠]. فبنى الفعلِ في إرادة الشرِّ للمفعول لأنه لا شر في حقه تعالى.

وقال النبي ﷺ في دعاء الافتتاحِ من صلاة الليلِ: «**لبيك اللهم وسعدَيك، والخيرُ كلُه في يديك، والشرُّ ليس إليك**»[1].

فنفى أن يُضاف الشرُّ إلى الله بوجه من الوجوه وإن كان هو خالقَه؛ لأنه ليس شراً من جهة إضافتِه إليه عز وجل، وإنما كان شراً من جهة إضافتِه إلى العبد، وذلك لأن الشرَّ ليس إلا السيئاتِ وعقوبتِها، وموجبُ السيئاتِ شرُ النفسِ وجهلُها، ولهذا قال النبي ﷺ: «**الحمدُ لله نحمَده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسِنا وسيئات أعمالنا**»[2].

وقال ﷺ في سيد الاستغفار الذي علّمه أمتَه: «**اللهم أنت ربي، لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدُك، وأنا على عهدك ووعدِك ما استطعتُ، أعوذ بك من شر**

(١) أخرجه مسلم (١/ ٥٣٥ رقم ٧٧١) من حديث علي بن أبي طالب.
(٢) أخرجه مسلم (٢/ ٥٩٣ رقم ٨٦٧) من حديث جابر.

ما صنعتُ، أبوءُ لك بنعمتك عليّ، وأبوء بذنبي، فاغفِر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت»[1].

وقال تعالى في حكايتِه استغفارِ الملائكةِ للمؤمنين: ﴿وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوۡمَئِذٖ فَقَدۡ رَحِمۡتَهُۥۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [غافر: ٩]. ومن وقاه الله السيئاتِ وأعاذه منها فقد وقاه عقوباتِها من باب الاستلزامِ، فإذا علم أن موجبَ السيئاتِ هو الظلمُ والجهلُ، وذلك من نفس العبدِ وهي أمورٌ ذاتيةٌ لها، وأن السيئاتِ هي موجبُ العقوبةِ، والعقوبةُ من الله عدلٌ محضٌ، وإنما تكون شراً في حق العبدِ لِما يلحقه من ألمها، وذلك بما كسبت يداه جزاءً وفاقاً كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ﴾ [الشورى: ٣٠]. وقال تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ وَلَٰكِن كَانُواْ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الزخرف: ٧٦]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ ٱلنَّاسَ شَيۡـٔٗا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾ [يونس: ٤٤].

فأفعالُ اللّهِ عز وجل كلُها خيرٌ بصدورها عن علمه وحكمتِه وعدلِه وغِناه التي هي من صفاتِ ذاتِه، فإذا أراد بعبده الخيرَ أعطاه من فضله علماً وعدلاً وحكمةً، فيصدُر منه الإحسانُ والطاعةُ والبِرُّ والخيرُ، وإذا أراد به شراً أمسكه عنه وخلّاه ودواعيَ نفسِه وطبعِه وموجبَها، فصدر منه موجبُ الجهلِ والظلمِ من كلِّ شرٍّ وقبيح، وليس منعُه لذلك ظلماً منه سبحانه، فإنه فضلَه يؤتيه من يشاء، وليس مَن منَع فضلَه ظالماً ولا سيما إذا منعه عن محل لا يستحقه ولا يليقُ به.

وأيضاً، فإن هذا الفضلَ هو توفيقُه وإرادتُه تعالى أن يلطُفَ بعبده ويُعينَه ويوفقَه ولا يُخلّيَ بينه وبين نفسِه، وهذا محضُ فعلِه وفضلِه وهو أعلمُ بمن يصلُح لذلك، ولهذا قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنۢ بَيۡنِنَآۗ أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَعۡلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الأنعام: ٥٣].

وقال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِيَ فِي ٱللَّهِ جَعَلَ فِتۡنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصۡرٞ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمۡۚ أَوَ لَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَعۡلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ ﴿١١﴾﴾ [العنكبوت].

---

(١) أخرجه البخاري (١١/٩٧ ـ ٩٨ رقم ٦٣٠٦) من حديث شداد بن أوس.

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام: ١٢٤]. وقال تعالى: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾﴾ [الأنعام]. وقال تعالى: ﴿إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ [النحل: ٣٧].

وقال تعالى: ﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿٣٠﴾﴾ [النجم]. وقال تعالى: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [البقرة: ١٠٥]. وقال تعالى: ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ﴿٧﴾ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨﴾﴾ [التين]، بلى ونحن على ذلك من الشاهدين.

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾ [آل عمران: ٧٣ ـ ٧٤]. وقال تعالى: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ ۖ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ [النجم: ٣٢]. وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾ لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾﴾ [الحديد].

اللهم إنا نسألك من فضلك العظيم أن تهدينا الصراطَ المستقيمَ، صراطَ الذين أنعمتَ عليهم غيرِ المغضوبِ عليهم ولا الضالين، آمين.

يا حيُّ يا قيومُ، يا ذا الجلال والإكرام، يا بديعَ السمواتِ والأرض، برحمتك نستغيث. اللهم رحمتَك نرجو فلا تكلِنا إلى أنفسنا ولا إلى أحد من خلقك طرفةَ عين، وأصلِحْ لنا شأننا كلَّه، لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين.

[ما يجب لله على عباده من الحمد على حكمته في خلقه وأمره]

(يستوجب) يستحق **(الحمدَ على اقتضاها)** الضميرُ للحكمة، فله الحمدُ على مقتضى حكمتِه في جميع خلقِه وأمرِه، فجميعُ ما يفعله ويأمرُ به هو موجبُ ربوبيَّتِه ومقتضى أسمائِه وصفاتِه، وله الحمدُ على جميع أفعالِه، وله الحمدُ على خلقه وأمرِه، وهو المحمودُ على طاعةِ العبادِ ومعاصيهم، وإيمانِهم وكفرِهم، وهو المحمودُ على خلقه الأبرارَ والفُجّارَ، وعلى خلقه الملائكةَ والشياطينَ، وعلى خلقِه الرُسلَ وأعداءَهم، وهو المحمودُ على عدله وحكمتِه في أعدائِه، كما هو المحمودُ على فضله ورحمتِه على أوليائِه، وكلُ ذرةٍ من ذرات الكونِ شاهدةٌ بحكمتِه وحمدِه، كما قال تعالى:

﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾ [الإسراء: ٤٤]. وقال: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التغابن: ١]. وقال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [القصص: ٦٨]. ﴿وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٦٩﴾ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [القصص].

وعلّمنا النبيُّ ﷺ في ذكر الاعتدالِ من الركوع: **«ربنا لك الحمدُ ملءَ السمواتِ والأرضِ، وملءَ ما بينهما، وملءَ ما شئت من شيء بعدُ»**[1]، وفي الذكر عقِبَ الصلواتِ: **«لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمدُ وهو على كل شيءٍ قدير»**[2]، وفي التلبية: **«لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريكَ لك لبيك، إن الحمدَ والنعمةَ لك والملكَ لا شريك لك»**[3].

وفي الدعاء المأثور: **«اللهم لك الحمدُ كلُه، ولك الملكُ كلُه، وبيدك الخيرُ**

---

(١) أخرجه مسلم (١/ ٥٣٤ رقم ٧٧١) من حديث علي بن أبي طالب.

(٢) أخرجه البخاري (٢/ ٣٢٥ رقم ٨٤٤) من حديث المغيرة بن شعبة.

(٣) أخرجه البخاري (٣/ ٤٠٨ رقم ١٥٤٩) ومسلم (٢/ ٨٤١ رقم ١١٨٤) من حديث ابن عمر.

كلّه، وإليك يرجع الأمرُ كله، أسألك الخيرَ كلَّه وأعوذ بك من الشر كلّه»[1].

وفي دعاء الافتتاح من صلاة الليل: «اللهم لك الحمدُ، أنتَ ربُّ السمواتِ والأرضِ ومَن فيهن، ولك الحمدُ أنت قيّومُ السمواتِ والأرضِ ومَن فيهن، ولك الحمدُ أنت نورُ السمواتِ والأرضِ ومَن فيهن، ولك الحمدُ أنتَ الحقُ ووعدُك الحقُ، ولقاؤُك حقٌ، والساعةُ حقٌ، والجنةُ حقٌ والنارُ حقٌ، والنبيون حقٌ، ومحمد ﷺ حق»[2]. الحديث.

والآياتُ والأحاديثُ في هذا البابِ كثيرةٌ، والمقصودُ أن الربَّ عز وجل لا يكون إلا محموداً كما لا يكون إلا رباً وإلهاً، فله الحمدُ كلُه وله الملكُ كلُه، لا شريكَ له في حمدِه كما لا شريك له في ملكه، وإن كان بعضُ خلقِه محموداً كالرسل والعلماءِ فمرجِعُ ذلك الحمدِ إليه، كما أن مصدَره وموجبَه منه تعالى وهو الذي جعلهم كذلك.

وهذا كما أنه المَلكُ لا شريكَ له في ملكه، ويرزق بعضَ عباده إذا شاء ملكاً وهو مالِكُه. وكما أنه العليمُ ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء فيعلّم بعضَ عبادِه مِن علمه ما شاء.

وقال في ذكر عبدِه يعقوب: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَـٰهُ﴾ [يوسف: ٦٨].

وكذلك ما من محمود في السموات ولا في الأرض إلا وذلك راجعٌ إلى الله عز وجل في الحقيقة، فحمدُ كلِّ محمودٍ داخلٌ في حمده، كما أن كلَّ مُلكٍ داخلٌ في مُلكه، وكلُ شيء فمنه وله وإليه، فله الحمدُ ربُ السمواتِ والأرضِ رب العالمين، وله الكبرياء في السموات والأرض وهو العزيزُ الحكيم.

---

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (١٦/ ٦٠٢ رقم ٢٣٢٤٨) من حديث حذيفة بن اليمان بسند ضعيف.

وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٩٦) وقال: «رواه أحمد وفيه راوٍ لم يسم، وبقية رجاله ثقات» اهـ.

(٢) أخرجه البخاري (٣/ ٣ رقم ١١٢٠) ومسلم (١/ ٥٣٢ ـ ٥٣٣ رقم ٧٦٩) من حديث ابن عباس.

[التوفيق بين كون الله لا يحب الفساد وكون ذلك بمشيئته وإرادته]

* (مسألة): فإن قيل: قد أخبرنا اللَّهُ عز وجل في كتابه وعلى لسان رسولِه وبما علِمنا من صفاته أنه يُحب المحسنين، ويُحب المتقين، ويُحب الصابرين، ويرضى عن الذين آمنوا وعملوا الصالحات، ولا يُحب الكافرين، ولا يُحب الظالمين، ولا يرضى لعبادِه الكفرَ، ولا يُحب الفسادَ مع كون ذلك بمشيئته وإرادتِه وأنه لو شاء لم يكن ذلك، فإنه لا يكون في ملكه ما لا يريد، فما الجواب؟

قلنا: إن الإرادةَ والقضاءَ والأمرَ كلٌ منها ينقسم إلى كوني وشرعي، ولفظُ المشيئةِ لم يرد إلا في الكونيّ، كقوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الإنسان: ٣٠، التكوير: ٢٩].

ومثالُ الإرادةِ الكونيةِ وقولُه تعالى: ﴿وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ﴾ [الرعد: ١١]. وقولُه تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠].

ومثالُ القضاءِ الكونيِّ قولُه تعالى: ﴿وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [البقرة: ١١٧، آل عمران: ٤٧].

ومثالُ الأمرِ الكونيِّ قولُه تعالى: ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا﴾ [الإسراء: ١٦].

فهذا القسمُ من الإرادة والقضاءِ والأمر هو مشيئتُه الشاملة وقدرتُه النافذةُ، وليس لأحد خروجٌ منها ولا محيدٌ عنها، ولا ملازمةَ بينها وبين المحبةِ والرضا، بل يدخُل فيها الكفرُ والإيمانُ والسيئاتُ والطاعاتُ، والمحبوبُ المَرْضيُّ له والمكروهُ المُبْغَضُ، كلُ ذلك بمشيئته وقدَرِه وخلقِه وتكوينِه، ولا سبيل إلى مخالفتها ولا يخرج عنها مثقالُ ذرة.

ومثالُ الإرادةِ الشرعيةِ قولُه تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]. وقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء: ٢٦]. وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٢٧].

ومثالُ القضاء الشرعيِّ قولُه تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [الإسراء: ٢٣].

ومثالُ الأمرِ الشرعيِّ قولُه تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠].

وهذه الإرادةُ والقضاءُ والأمرُ الكونيُّ القَدَري هو المستلزمُ لمحبة الله تعالى ورضاه، فلا يأمر إلا بما يُحبه ويرضاه، ولا ينهى إلا عما يكرهه ويأباه.

ولا ملازمةَ بين هذا القسمِ وما قبله إلا في حق المؤمنِ المُطيع، وأما الكافرُ فينفرد في حقه الإرادةُ والقضاءُ والأمرُ الكونيُّ القدريُّ، فالله سبحانه وتعالى: يدعو عبادَه إلى طاعتِه ومرضاته وجنَّتِه، ويهدي لذلك من يشاء في الكون والقدَر هدايته، ولهذا قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [يونس: ٢٥].

فعمم الدعوةَ إلى جنته التي هي دارُ السلامِ وأن يدعو إلى ذلك جميعَ عبادِه وهو أعلم بمن يستجيب ممن لا يستجيب، وخصَّ الهدايةَ بمن يشاء هدايتَه، كما قال تعالى: ﴿يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ [النور: ٣٥].

* (مسألة) فإن قيل: أليس بممكن في قدرته تعالى أن يجعلهم كلَّهم طائعين مؤمنين مهتدين؟ قلنا: بلى.

وقد قدَّمنا لك جملةً وافيةً من الآيات والأحاديثِ في ذلك، ولكن قدَّمنا لك أيضاً أن هذا الذي فعله بهم هو مقتضى حكمتِه وأسمائِه وصفاتِه، وموجبُ ربوبيَّتِه وإلهيته، وهو أعلمُ بمواقع فضلِه وعدلِه، فحينئذ قولُ القائل: لمَ كان من عباده الطائعُ والعاصي؟ كقول من قال: لمَ كان من أسمائِه الضارُّ النافعُ والمُعطي المانعُ والخافضُ الرافعُ والمنعمُ والمنتقمُ ونحوُ ذلك، إذ أفعالُه تعالى هي مقتضى أسمائِه وآثارُ صفاتِه، فالاعتراضُ عليه في أفعالِه اعتراضٌ على أسمائِه وصفاتِه بل وعلى إلهيته وربوبيتِه، فسبحان ربِّ العرشِ عما يصفون، لا يُسألُ عما يفعل وهم يسألون.

* (مسألة) واعلم أنه قد يوسوس الشيطانُ لبعض الناس فيقول: ما الحكمةُ

في تقديرِ السيئاتِ مع كراهة اللَّهِ تعالى إياها، وهل يأتي المكروهُ بمحبوب؟

فنقول: الحمدُ لله إيماناً بإلهيته وربوبيتِه وأسمائِه وصفاتِه، واستسلاماً لأقدارِه وإرادتِه، وتسليماً لعدلِه وحكمتِه.

اعلم يا أخي وفَّقنا الله وإياك أن الواجبَ على العبدِ أمرٌ أهمُّ من ذلك البحثِ، وهو الإيمانُ بالله وأسمائِهِ وصفاتِه والتسليمُ لأقدارِه واليقينُ بعدلِه وحكمتِه والفرحُ بفضله ورحمتِه، ونحن لا نعلم من حكمة اللَّهِ وسائر أسمائِه وصفاتِه إلا ما علمناه، ولا يُحيط بكنهه شيء منها ونهايتِه إلا الذي اتصف بها وهو اللَّهُ الذي لا إله إلا هو، ومما علمناه من ذلك بما علّمنا اللَّهُ تبارك وتعالى أن السيئةَ لذاتِها ليست محبوبةً لله ولا مرضيةً كما قال تعالى بعد أن نهى عباده عن الكبائر المذكورة في سورة الإسراء: ﴿كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾ [الإسراء: ٣٨].

ولكن يترتب عليها من مَحابّه ومرضاتِه ما هو أعلمُ به إما في حق فاعلها من التوبة والإنابةِ والإذعانِ والاعترافِ بقُدرة الله عليها والخوفِ من عقابِه، ورجاءِ مغفرتِه، ونفي العُجْبِ المُحبِط للحسنات عنه، ودوامِ الذلِّ والانكسارِ، وتمحُّضِ الافتقار وملازمةِ الاستغفار، وغيرِ ذلك من الفرائضِ والطاعاتِ المحبوبةِ للرب عز وجل التي أثنى في كتابه على المتصفين بها غايةَ الثناء.

وفي الصحيحين[1]: «**اللَّهُ أشدُّ فرحاً بتوبةِ عبدِه حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلتِه بأرض فلاةٍ فانفلتتْ منه وعليها طعامه وشرابُه فأَيِسَ منها فأتى شجرةً فاضطجع في ظلها قد أيس من راحلته، فبينما هو كذلك إذ هو بها قائمةٌ عنده، فأخذ بخطامِها فقال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأن ربُك، أخطأ من شدة الفرح**». أخرجاه عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ.

فالواجب على العبد كراهةُ ما يكرهه ربُّه وإلهه وسيدُه ومولاهُ من السيئات، وعدم محبتِها والنفرة منها، والاجتهادُ في كف النفسِ عنها، وأطْرُها على محابِّ اللَّهِ، وأن لا يصدُرَ عنها شيءٌ يكرهه اللَّهُ عز وجل، فإن غلبتْهُ نفسُه بجهلها

(١) أخرجه البخاري (١١/١٠٢ رقم ٦٣٠٩) ومسلم (٤/٢١٠٥ رقم ٨/٢٧٤٧).
واللفظ المذكور رواية لمسلم في صحيحه (٤/٢١٠٤ رقم ٧/٢٧٤٧).

وشَرارتِها فصدر عنه شيءٌ من ذلك المكروهِ فليُبادِر إلى دواء ذلك وليتَداركْه بمحابِّ الله عز وجل ومرضاتِه من التوبة والإنابةِ والاستغفارِ والاذكار وعدمِ الإصرارِ؛ فإن الله تعالى قد أرشدَ إلى ذلك وأثنى على من اتصف به، قال الله تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾﴾ [آل عمران]، وغيرُ ذلك من الآيات.

وفي الحديث: **«لو لم تُذنبوا لأتى اللَّهُ بقومٍ يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم»**[1]، أو كما قال.

فإن ترتبَ على فعلِ السيئةِ من فاعلِها هذه الأمورُ المحبوبةُ للرب عز وجل فذلك غايةُ مصلحةِ العبدِ وسعادتِه وفلاحِه، وإن لم يقع منه ذلك فلِخَبَث نفسِه وعدمِ صلاحيتِها للملأ الأعلى ومجاورةِ المولى، والله أعلم بالمهتدين.

وحينئذ يترتب عليها فرائضُ اللَّهِ عز وجل على أوليائِه المؤمنين من الدعوة إلى الله عز وجل التي هي من وظائف الرسلِ عليهم السلام، والأمرِ بالمعروفِ والنهي عن المنكر الذي هو أعظمُ فرائضِ اللَّهِ تعالى، والجهادِ في سبيله الذي هو ذُروةُ سنام الإسلام، وعليه يترتب لأوليائِه الفتحُ أو الشهادةُ، ويكفيك في فضل ذلك قولُ الله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾ [التوبة: ١١١ ـ ١١٢].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٤/٢١٠٦ رقم ١١/٢٧٤٩) من حديث أبي هريرة.

ولو سردنا ما في هذا البابِ من الآيات والأحاديث لطال الفصلُ، ونحن نستغفر اللَّهَ العظيمَ من الخوضِ في هذا البابِ، ولسنا من الراسخين في العلم، وسيأتي إن شاء الله مزيدُ بحثٍ في هذا في بابِ الإيمانِ بالقدر، وهناك نذكر مراتِبَه ومذاهبَ مَن خالف فيه أهلَ السنةِ والجماعةِ إن شاء الله تعالى، واللَّهُ المستعانُ وعليه التُكلانُ ولا حولَ ولا قوةَ إلا بالله العلي العظيم.

[إثبات السمع والبصر لله تعالى]

(وهو الذي يرى دبيبَ الذرِّ	في الظلمات فوق صُمِّ الصخر)
(وسامعٌ للجهر والإخفاتِ	بسمعه الواسعِ للأصوات)

في هذين البيتين إثباتُ البصرِ لله تعالى المُحيطِ بجميع المُبصرات، وإثباتُ السمعِ له المُحيط بجميع المسموعات.

وهاتان الصفتان من صفاتِ ذاتِه تعالى وهما مُتضمَّنُ اسمَيه: «السميع البصير». قال الله عز وجل: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [النساء: ٥٨]. وقال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]. وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ [الحج: ٦١]. وقال تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟ ۖ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ﴾ [الكهف: ٢٦].

وقال ابنُ جريرٍ[1]: وذلك في معنى المبالغة في المدح كأنه قيل ما أبصره وأسمَعه، وتأويلُ الكلامِ ما أبصرَ اللَّهَ لكل موجودٍ وأسمَعه لكلِ مسموعٍ لا يخفى عليه من ذلك شيءٌ.

ثم روى قتادةُ[2] في قوله تعالى: ﴿أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ﴾ [الكهف: ٢٦]، فلا أحدَ أبصرُ من اللَّهِ ولا أسمعُ.

---

(١) في تفسيره: «جامع البيان» (٩/ج١٥/ ٢٣٢).

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ج١٥/ ٢٣٢).

وقال ابنُ زيدٍ[1]: ﴿أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ﴾ [الكهف: ٢٦] يرى أعمالهم ويسمع ذلك منهم إنه كان سميعاً بصيراً.

وقال البغوي[2] رحمه الله تعالى: **«أي ما أبصر اللّهَ بكل موجودٍ وأسمَعه لكل مسموعٍ، أي لا يغيب عن سمعه وبصره شيءٌ»**.

وقال تعالى لموسى وهارون عليهما السلام: ﴿قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦].

قال ابن عباس[3] رضي الله عنهما: **«أسمع دعاءكما فأُجيبه وأرى ما يراد بكما فأمنَعُه، لست بغافل عنكما فلا تَهتما»**.

وقال تعالى لهما في موضع آخر: ﴿كَلَّا فَاذْهَبَا بِـَٔايَـٰتِنَآ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ﴾ [الشعراء: ١٥]. وقال تعالى: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الزخرف: ٨٠]. وقال تعالى: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ﴾ [التوبة: ١٠٥]. وقال تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾ [العلق: ١٤]. وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّـٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾﴾ [الشعراء]. وقال تعالى: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟﴾ [آل عمران: ١٨١]. وقال تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَـٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة: ١].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: الحمدُ لله الذي وسعَ سمعُه الأصواتَ، لقد جاءت المجادلةُ إلى النبي ﷺ تكلمه في وأنا في ناحية البيت ما أسمع ما تقول، فأنزل الله عز وجل: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَـٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة: ١].

رواه البخاريُّ في كتاب التوحيد تعليقاً[4]، ....

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ج١٥/٢٣٢).

(٢) في تفسيره: «معالم التنزيل» (٥/١٦٥).

(٣) ذكره البغوي في تفسيره (٥/٢٧٦) عنه.

(٤) (١٣/٣٧٢). ووصل حديثه المذكور أحمد والنسائي وابن ماجه باللفظ المذكور هنا ـ وهو: «الحمدُ لله الذي وسع سمعه الأصواتَ، فأنزلَ الله تعالى على نبيه ﷺ ﴿قد سمع الله=

وأخرجه النسائيُّ[1] وابنُ ماجه[2] وابنُ جرير[3] وابنُ أبي حاتم.

وفي رواية له عنها[4] رضي الله عنها أنها قالت: «تبارك الذي أوعى سمعُه كلَّ شيءٍ، إني لأسمع كلامَ خولةَ بنتِ ثعلبةَ ويخفى عليَّ بعضُه وهي تشتكي زوجَها إلى رسول الله ﷺ وهي تقول: يا رسولَ اللَّهِ أكل مالي وأفنى شبابي ونثرتُ له بطني حتى إذا كبِرَتْ سني وانقطع ولدي ظاهرَ مني، اللهم إني أشكو إليك.

قالت: فما برحت حتى نزل جبريلُ بهذه الآية: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ﴾ [المجادلة: ١].

قالت: وزوجُها أوسُ بن الصامت.

وقال البخاريُّ رحمه الله تعالى في كتاب التوحيد: بابُ قولِ الله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [النساء: ١٣٤]. وذكر خبرَ عائشةَ هذا معلقاً[5].

وروي[6] عن أبي موسى رضي الله عنه قال: كنا مع النبي ﷺ في سفر فكنا إذا علونا كبَّرنا فقال: **«اربَعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصمَّ ولا غائباً، تدعون سميعاً بصيراً قريباً»**. ثم أتى عليَّ وأن أقول في نفسي لا حول ولا قوة إلا بالله، فقال: **«يا عبد الله بنَ قيس، قل لا حول ولا قوة إلا بالله فإنها كنزٌ من كنوز الجنة»**.

= **قول التي تجادلك في زوجها﴾** [المجادلة: ١].
وأخرجه ابن ماجه أيضاً من رواية أبي عبيدة بن معن عن الأعمش بلفظ: «**تبارك**... وسياقه أتم، وليس لتميم المذكور عن عروة في الصحيحين سوى هذا الحديث وآخر عند مسلم». قاله الحافظ في «الفتح» (١٣/ ٣٧٣ ـ ٣٧٤).

(١) في «السنن» (٦/ ١٦٨ رقم ٣٤٦٠).
(٢) لم يخرجه ابن ماجه بهذا اللفظ بل باللفظ الآتي.
(٣) في «جامع البيان» (١٤/ج٢٨/٦).
قلت: وأخرجه سعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن مردويه كما في «الدر المنثور» (٨/ ٦٩) والحاكم (٢/ ٤٨١) وأحمد (٦/ ٤١٠) **وصححه الحاكم ووافقه الذهبي وهو كما قالا**.
(٤) أخرجه ابن ماجه (١/ ٦٦٦ رقم ٢٠٦٣) والحاكم (٢/ ٤٨١).
وصححه ووافقه الذهبي وهو كما قالا.
وابن مردويه وابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور» (٨/ ٧٠).
(٥) البخاري (١٣/ ٣٧٢) معلقاً.
(٦) أخرجه البخاري (١٣/ ٣٧٢ رقم ٧٣٨٦) ومسلم (٤/ ٢٠٧٦ رقم ٢٧٠٤).

وعن عائشة[1] رضي الله عنها قالت: قال النبي ﷺ: **«إن جبريلَ عليه السلام ناداني قال: إن اللَّهَ قد سمعَ قولَ قومِك وما ردُّوا عليك»**.

وروي[2] في باب قول الله تعالى: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [فصلت: ٢٢]: عن عبد الله رضي الله عنه قال: اجتمع عند البيت ثقفيان وقرشيٌّ أو قرشيانِ وثقفيٌّ، كثيرةُ الشحم بطونُهم، قليلةِ الفهمِ قلوبُهم، فقال أحدُهم: أترَون أن اللَّهَ يَسمع ما نقول؟ قال الآخر: يسمع إن جهرنا ولا يسمع إن أخفينا، وقال الآخر: إن كان يسمع إذا جهَرنا فإنه يسمع إذا أخفينا. فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ﴾ [فصلت: ٢٢]. الآية.

وروى أبو داودَ[3] عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قرأ هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ إلى قوله تعالى: ﴿سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [النساء: ٥٨]. قال: رأيت رسولَ الله ﷺ يضع إبهامَه على أذنه والتي تليها على عينه، قال أبو هريرة رضي الله عنه: رأيتُ رسولَ الله ﷺ يقرأها ويضع إصبعيه.

قال ابنُ يونسَ: قال المقرئ يعني: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ [الحج: ٧٥]، يعني أن لله سمعاً وبصراً.

قال أبو داود[4] رحمه الله تعالى: وهذا رد على الجهمية اهـ.

قلت: ـ يعني أبو داود رحمه الله ـ أن الجهميةَ لا يُثبتون لله تعالى اسماً ولا صفةً مما سمَّى ووصف نفسَه تعالى به وأثبته له رسولُ الله ﷺ، فلا يثبتون أن اللَّهَ هو السميعُ البصير، ولا أنه يسمع ويرى بسمعٍ وببصر، فِراراً بزعمهم من التشبيه بالمخلوقين فنزهوه عن صفاتِ كمالِه التي وصف بها نفسَه وهو أعلمُ بنفسه وبغيره، وشبَّهوه بالأصنام التي لا تسمع ولا تبصر، قال الله عز وجل عن خليله إبراهيم

---

(١) أخرجه البخاري (١٣/ ٣٧٢ رقم ٧٣٨٩) ومسلم (٣/ ١٤٢٠ ـ ١٤٢١ رقم ١٧٩٥).

(٢) أخرجه البخاري (١٣/ ٤٩٥ رقم ٧٥٢١) ومسلم (٤/ ٢١٤١ رقم ٢٧٧٥).

(٣) في «السنن» (٥/ ٩٦ ـ ٩٧ رقم ٤٧٢٨) بسند صحيح.

(٤) في سننه (٥/ ٩٧).

عليه السلام في دعوته أباه إلى الله عز وجل: ﴿يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا﴾ [مريم: ٤٢].

وقد أثبت الجهميةُ قبّحهم اللّهُ حجةً لعُبّادِ الأصنامِ وجواباً لإنكار خليلِ اللّهِ وجميع رسلِه عليهم، فكان للكفار أن يقولوا: ومعبودُكم أيضاً لا يسمع ولا يبصر، تعالى الله عما يقول الظالمون والجاحدون علواً كبيراً.

وقالت المعتزلة[1]: سميعٌ بلا سمع، بصيرٌ بلا بصر، واطّردوا جميعَ أسمائِه هكذا فأثبتوا أسماءً ونفَوا ما تتضمنه من صفات الكمال وهو عبارةٌ عن إثبات الألفاظِ دون المعاني، وقولُهم في الحقيقة راجعٌ إلى قول الجهمية، مخالفٌ كلٌ منهما للكتاب والسنة والعقولِ الصحيحةِ والفِطرِ السليمة.

وهدى الله تعالى بفضله أهلَ السنة لفهم كتابه، وآمنوا بما وصف به نفسَه وأقروا بما أخبر ونفَوا عنه التشبيه، كما جمع تعالى بينهما في قوله عز وجل: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]

[العلم الإلهي]

(وعِلمُه بما بدا وما خفي أحاط علماً بالجليّ والخفي)

أي ومما أثبته اللّهُ عز وجل لنفسه وأثبته له رسوله ﷺ أنه عليمٌ بعلم، وأن علمَه محيطٌ بجميع الأشياء من الكليات والجزئياتِ، وهو من صفاتِه الذاتية، وعلمُه أزليٌ بأزليته، وكذلك جميعُ صفاتِه، فقد علم تعالى في الأزل جميعَ ما هو خالقٌ، وعلمَ جميعَ أحوالِ خلقه وأرزاقَهم وآجالَهم وأعمالَهم وشقاوتَهم وسعادتَهم، ومن هو منهم من أهلِ الجنةِ ومن هو منهم من أهلِ النارِ.

---

(١) **المعتزلة**: اسم يطلق على فرقة ضالة منحرفة ظهرت في الإسلام في القرن الثاني الهجري ما بين سنة (١٠٥ ـ ١١٠هـ) بزعامة رجل يسمَّى: «واصل بن عطاء الغزّال».
نشأت هذه الطائفة متأثرة بشتى الاتجاهات الموجودة في ذلك العصر..
وقد تفرقت المعتزلة فرقاً كثيرة، واختلفوا في المبادئ والتعاليم ووصلوا إلى اثنتين وعشرين فرقة ـ [الملل والنحل (١/٥٦ ـ ٩٦) و [الفرق بين الفرق (ص١١٢ ـ ١٨٧].
[المعتزلة وأصولهم الخمسة، وموقف أهل السنة منها، تأليف: عواد بن عبد الله المعتق، وفرق معاصرة. إعداد: غالب بن علي عواجي. (٢/٨٢١ ـ ٨٥١)].

وعلِمَ عدد أنفاسِهم ولحظاتِهم وجميعَ حركاتِهم وسكَناتِهم: أين تقع ومتى تقع وكيف تقع كلُ ذلك بعلمه وبمرأىً منه ومسمع لا تخفى عليه منهم خافيةٌ، سواءٌ في علمه الغيبُ والشهادةُ والسرُ والجهرُ والجليلُ والحقيرُ.

لا يعزبُ عن علمه مثقالُ ذرةٍ في السمواتِ ولا في الأرض، ولا في الدنيا ولا في الآخرة. قال الله تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٣٥]. وقال تعالى: ﴿وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ١٩٧]. وقال تعالى: ﴿وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢١٥].

وقال تعالى: ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٤]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [آل عمران: ٥]. وقال تعالى: ﴿۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩]. وقال تعالى: ﴿عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٧]. وقال تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [يونس: ٦١].

وقال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُواْ مِنْهُ ۚ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [هود: ٥]. وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ﴾ [النساء: ١٧٦]. وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ۖ وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴿٩﴾ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴿١٠﴾﴾ [الرعد].

وقال عن نبيِّه شعيب: ﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾ [الأعراف: ٨٩]. وقال تعالى عن خليله: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِى وَمَا نُعْلِنُ ۗ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [إبراهيم: ٣٨]. وقال تعالى: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ [النحل: ٢٣]. وقال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الإسراء:

٥٥]. وقال تعالى: ﴿وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى﴾ [طه: ٧]. وقال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠]. وقال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّى يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الأنبياء: ٤].

وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ﴾ [الأنبياء: ١١٠]. وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج: ٧٠]. وقال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ﴾ [النور: ٦٤]. وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٤﴾ وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٧٥﴾﴾ [النمل].

وقال تعالى: ﴿إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: ١٦]. وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [السجدة: ٦]. وقال تعالى: ﴿إِن تُبْدُوا۟ شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٤]. وقال تعالى: ﴿عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ: ٣].

وقال تعالى: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [فاطر: ١١]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَٰلِمُ غَيْبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [فاطر: ٣٨]. وقال تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ﴾ [غافر: ١٩]. وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ﴾ [فصلت: ٥٤]. وقال تعالى: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ﴾ [محمد: ٣٠].

وقال تعالى: ﴿قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾﴾ [الحجرات: ١٦]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحجرات: ١٨]. وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦]. وقال تعالى: ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ ۖ﴾ [ق: ٤٥]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ

بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾ [النجم: ٣٠]. وقال تعالى: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ ۖ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ [النجم: ٣٢]. وقال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: ٤].

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة: ٧]. وقال تعالى: ﴿تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ ۚ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ [الممتحنة: ١]. وقال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [التغابن: ٤]. وقال تعالى: ﴿عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ﴾ [سبأ: ٣]. وقال تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [التغابن: ١٨]. وقال تعالى: ﴿لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا﴾ [الطلاق: ١٢].

وقال تعالى: ﴿وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [الملك]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [القلم: ٧]. وقال تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا ﴿٢٨﴾﴾ [الجن]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَىِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ۚ﴾ [المزمل: ٢٠]. الآية. وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ﴾ [الأعلى: ٧]. وقال: ﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ﴾ [النور: ٦٣].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ﴾ [لقمان: ٣٤]. وقال تعالى: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ﴾ [النساء: ١٦٦]. وقال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ۚ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ﴾ [فصلت: ٤٧]. وقال تعالى: ﴿فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ﴾ [هود: ١٤].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٨١]. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٢٨]. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: ٣٤، الحجرات: ١٣]. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الإنسان: ٣٠، الأحزاب: ١]. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾ [النساء: ٣٥]. ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [فاطر: ٣٨، الشورى: ٢٤، الزمر: ٧، الأنفال: ٤٣].

ولو ذهبنا نسوقُ جميعَ الآياتِ في إثبات علمِ اللَّهِ عز وجل لطال الفصلُ وفيما ذكرنا كفايةٌ.

وفي الصحيحين[١] عن جابرٍ ﷺ قال: كان رسولُ الله ﷺ يعلم أصحابه الاستخارةَ في الأمور كلِّها كما يعلم السورة من القرآن، يقول: «**إذا همَّ أحدُكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة، ثم ليقل: اللهم إني أستخيرُك بعلمك، وأستقدرك بقُدرتك، وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدِر ولا أقدِرُ، وتعلمُ ولا أعلم، وأنت علامُ الغيوب.**

اللهم فإن كنت تعلم هذا الأمرَ (ثم يسميه بعينه) خيراً لي في عاجل أمري وآجله ـ أو قال في ديني ومعاشي وعاقبةِ أمري ـ فاقدُرْه لي ويسِّره لي ثم بارك لي فيه.

اللهم وإن كنت تعلم أنه شرٌ لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري ـ أو قال في عاجل أمري وآجِله ـ فاصرفني عنه واقدُر لي الخيرَ حيث كان ثم أرضني به».

وفيهما[٢] من حديث تعاقب الملائكة بأطراف النهار: «**فيسألهم وهو أعلم بهم**».

وفيهما[٣] من دعاء الكرب: «**لا إله إلا اللَّهُ العليمُ الحليم**». وفيهما[٤] من حديث الذي أوصى أن يُحرَقَ ويُذْرى ثم قال: «**لمَ فعلتَ؟ قال: من خشيتك وأنت أعلمُ**».

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) البخاري (٢/ ٣٣ رقم ٥٥٥) ومسلم (١/ ٤٣٩ رقم ٢١٠/ ٦٣٢) من حديث أبي هريرة.

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) البخاري (٦/ ٥١٤ رقم ٣٤٧٨) ومسلم (٤/ ٢١١١ رقم ٢٧٥٧) من حديث أبي سعيد الخدري.

وفيهما[1] من حديث قصة موسى والخِضْر: «أن موسى قام خطيباً في بني إسرائيلَ، فسُئل أيُّ الناسِ أعلمُ؟ فقال: أنا، فعتبَ اللَّهُ عليه إذ لم يردَّ العلمَ إلى الله».

وفي رواية: «إليه»، وفيه قول الخِضرِ عليه السلام: «يا موسى إنك على علم من علم اللَّهِ علّمكه اللَّهُ لا أعلمه، وأنا على علم من علم اللَّهِ علَّمَنيهِ اللهُ لا تعلمه»، إلى أن قال: «فركبا في السفينة قال: ووقع عصفور على حرف السفينة فغمس منقاره في البحر فقال الخضرُ لموسى: ما علمك وعلمي وعلم الخلائق في علمِ اللَّهِ إلا مقدارُ ما غمس هذا العصفورُ منقارَه».

وفي رواية: «إلا مثلُ ما نقص هذا العصفورُ من هذا البحر».

وفيهما[2] عن ابن عمرَ ﷺ أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «مفاتيحُ الغيبِ خمسٌ لا يعلمها إلا اللَّهُ: لا يعلم ما في غد إلا اللَّهُ، ولا يعلم ما تغيضُ الأرحامُ إلا اللَّهُ، ولا يعلم متى يأتي المطرُ أحدٌ إلا اللَّهُ، ولا تدري نفسٌ بأيِّ أرضٍ تموت، ولا يعلم متى تقومُ الساعةُ إلا الله».

وفيهما[3] من حديث أبي موسى الأشعري: «اللهم اغفِرْ لي خطيئتي وجهلي وإسرافي في أمري وما أنت أعلمُ به مني»، إلى غير ذلك من الأحاديث.

وكما أخبر اللَّهُ تعالى عن علمه بما كان وما سيكون، كذلك أخبر عما لم يكن من المُمكِنات والمستحيلات لو كان كيف يكون، فقال تعالى في الممكن على تقدير وقوعِه: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ۝٨ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ۝٩﴾ [الأنعام]. وقال تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ءَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ﴾ [فصلت: ٤٤]. الآية. وقال تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ

---

(١) البخاري (١/٢١٧ ـ ٢١٨ رقم ١٢٢).
ومسلم (٤/١٨٤٧ ـ ١٨٥٣ رقم ١٧٠، ١٧١، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٤/ ٢٣٨٠) من حديث أبي بن كعب.

(٢) البخاري (٨/٥١٣ رقم ٤٧٧٨). ولم يخرجه مسلم.

(٣) البخاري (١١/١٩٦ ـ ١٩٧ رقم ٦٣٩٩) ومسلم (٤/٢٠٨٧ رقم ٢٧١٩).

﴿إِنَّمَا ٱلْأَيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾ وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾﴾ [الأنعام]. وقال تعالى: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ [الشعراء]، إلى غير ذلك.

وقال تعالى في المستحيلات لو قُدِّر إمكانُها: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٢]. وقال تعالى: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [المؤمنون]. وقال تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾﴾ [الإسراء: ٤٢ ـ ٤٣]، إلى غير ذلك.

وأنكرت الجهمية والمعتزلة أن يكون لله علمٌ أضافه إلى نفسه إضافةَ الصفةِ إلى الموصوف، فأنكروا أن يكون أُنزل القرآن بعلمه، وأن أنثى لا تحمل ولا تضع إلا بعلمه، وجحدوا أن يكون قد أحاط بكل شيءٍ علماً، وحاربوا نصوصَ الكتابِ والسنة وجميعِ سلفِ الأمة، فليس معبودُهم هو العليمَ الخبيرَ الذي هو بكل شيء عليم، وإنما يعبدون العدمَ المحضَ الذي لا حقيقةَ له ولا وجودَ، فليصِفوه بما شاءوا فبعداً للقوم الظالمين.

[الله سبحانه غنيّ بذاته، وكل شيء غيره مفتقر إليه]

(وهو الغني بذاته سبحانهُ جل ثناؤُه تعالى شانُه)
(وكلُ شيءٍ رزقُه عليه وكلُنا مفتقرٌ إليه)

(وهو الغني بذاته) فله الغنى المطلقُ فلا يحتاج إلى شيء **(سبحانه)** وبحمده تنزيهاً له وتحميداً **(جل ثناؤُه تعالى شانه)** تعظيماً له وتمجيداً **(وكلُ شيء رزقه عليه)** لا رزاقَ له سواه، ولا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً إلا ما شاء الله **(وكلُنا)** معشرَ المخلوقات **(مفتقرٌ إليه)** لا غِنىَ لنا عنه طرفَةَ عينٍ، فكما أن جميعَ المخلوقاتِ مفتقرةٌ إليه تعالى في وجودِها فلا وجود لها إلا به، فهي مفتقرةٌ إليه في قيامها فلا قِوام لها إلا به، فلا حركَة ولا سكونَ إلا بإذنه.

فهو الحيُّ القيومُ القائمُ بنفسه فلا يحتاج إلى شيء، القيِّم لغيره فلا قِوامَ لشيء إلا به، فللخالق مُطلقُ الغنى وكمالُه، وللمخلوق مطلقُ الفقر إلى الله وكمالُه، قال الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾﴾ [فاطر]. وقال تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوا وَّاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٦﴾﴾ [التغابن].

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾﴾ [الحج]. وقال تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾ [الأنعام: ١٤]. وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ [الذاريات].

وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا﴾ [النساء: ١٣١].

وقال تعالى رداً على اليهود: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا﴾ [آل عمران: ١٨١]. وقال رداً عليهم أيضاً: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [المائدة: ٦٤]. وقال تعالى رداً على المنافقين: ﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا عَلَى مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنفَضُّوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [المنافقون: ٧]. وقال تعالى: ﴿قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنفَاقِ وَكَانَ الْإِنسَانُ قَتُورًا﴾ [الإسراء: ١٠٠]، والآياتُ في هذا الباب كثيرةٌ جداً.

يخبر تعالى بكمال غِناه عن خلقه وأنه لا يزيد في غناه طاعةُ من أطاع ولا ينقُصه معصيةُ من عصى، وأنه لم يخلُق الخلقَ لحاجة إليهم وأنه لو شاء لم يخلُقْهم ولو شاء لذهب بهم وجاء بغيرهم.

ويخبر أنهم كلُّهم فقراءُ إليه، لا غِنىً لهم عنه في نفَس من الأنفاس، وهم يعلمون ذلك من أنفسهم، وأنهم لم يكونوا موجودين حتى أوجدهم، ولا قُدرة لهم على شيء من أنفسهم ولا غيرها إلا بما أقدرهم عليه الغنيُّ الحميدُ الفعّالُ لما يريد.

وقال تعالى فيما رواه عنه رسولُه محمدٌ ﷺ: «يا عبادي إني حرَّمتُ الظلمَ على نفسي وجعلتُه بينكم محرَّماً فلا تظالَموا، يا عبادي كلُّكم ضالٌّ إلا من هديتُه فاستهدوني أهدِكم، يا عبادي كلُّكم جائعٌ إلا من أطعمتُه فاستطعموني أُطعِمْكم، يا عبادي كلُّكم عارٍ إلا من كسوتُه فاستكسوني أكْسُكم، يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفِر الذنوب جميعاً فاستغفروني أغفرْ لكم، يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضُرِّي فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني، يا عبادي لو أن أولكم وآخرَكم إنسَكم وجِنَّكم كانوا على أتقى قلبِ رجلٍ واحدٍ منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئاً، يا عبادي لو أن أوَلكم وآخرَكم وإنسَكم وجنَّكم كانوا على أفجر قلبِ رجلٍ واحدٍ ما نقص ذلك في ملكي شيئاً.

يا عبادي لو أن أولَكم وآخرَكم وإنسَكم وجنَّكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيتُ كلَّ إنسانٍ مسألتَه ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقُص المخْيطُ إذا أُدخل البحر، ولو أن أولكم وآخرَكم وحيَّكم وميتَكم ورطْبكم ويابسَكم اجتمعوا على أتقى قلبِ عبدٍ من عبادي ما زاد في ملكي جناح بعوضة.

يا عبادي إنما هي أعمالُكم أُحصيها لكم ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غيرَ ذلك فلا يلومنَّ إلا نفسَه». رواه مسلم[(١)] عن أبي ذر عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه.

وفي رواية الترمذي[(٢)]: «يقول الله عز وجل: يا عبادي كلُّكم ضالٌّ إلا من هديتُ، فسلوني الهدى أهدِكم. وكلُّكم فقيرٌ إلا من أغنيتُ فسلوني أرزقْكم، وكلُّكم مذنبٌ إلا من عافيتُ، فمن علم منكم أني ذو قدرةٍ على المغفرةِ فاستغفرني غفرتُ له ولا أبالي.

---

(١) في صحيحه (٤/١٩٩٤ - ١٩٩٥ رقم ٢٥٧٧).

(٢) في «السنن» (٤/٦٥٦ رقم ٢٤٩٥) وقد تقدم في التعليقة السابقة.

وانظر: «شرح حديث: يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي» لابن تيمية. بتحقيقنا.

ولو أن أولَكم وآخرَكم وحيَكم وميتَكم ورطبَكم ويابسَكم اجتمعوا على أشقى قلبِ عبدٍ من عبادي ما نقص ذلك من ملكي جناحَ بعوضة، ولو أن أولَكم وآخرَكم وجنكم وإنسَكم وحيَّكم وميتَكم ورطبَكم ويابسَكم اجتمعوا في صعيد واحد فسأل كلُ إنسانٍ منكم ما بلغت أمنيتُه فأعطيتُ كل سائلٍ منكم ما سأل ما نقَص ذلك من ملكي إلا كما لو أن أحدَكم مر بالبحر فغمس فيه إبرةً ثم رفعها إليه، ذلك بأني جوادٌ واجدٌ ماجدٌ أفعل ما أريد، عطائي كلامٌ وعذابي كلام، إنما أمري لشيء إذا أردتُه أن أقول له كن فيكون».

وفي الصحيحين[1] عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «يدُ اللّهِ ملأَى لا تغيضُها نفقةٌ، سحّاءُ الليل والنهار، أفرأيتم ما أنفق ربكم منذ خلق السمواتِ والأرضَ، فإنه لم يغِضْ ما في يمينه».

وروى أبو داودَ[2] بإسناد جيدٍ من حديث عائشةَ ﷺ في الاستسقاء وفيه قولُ رسولِ الله ﷺ: «الحمدُ لله ربّ العالمين، الرحمن الرحيم، مالكِ يومِ الدين، لا إله إلا اللّهُ يفعل ما يريد، اللهم أنت اللّهُ لا إله إلا أنت، أنت الغنيُ ونحن الفقراءُ، أنزل علينا الغيثَ واجعل ما أنزلت علينا قوةً وبلاغاً إلى حين».

وفي بعض الإسرائيليات يقول الله عز وجل: «أيؤمَّل غيري للشدائد، والشدائدُ بيدي وأنا الحيُ القيوم، ويُرجى غيري ويُطرق بابُه بالبُكرات وبيدي مفاتيحُ الخزائنِ وبابي مفتوحٌ لمن دعاني.

من ذا الذي أمّلني لنائبة فقطعتُ به، أو من ذا الذي رجاني لعظيم فقطعت به، أو من ذا الذي طرق بابي فلم أفتحه له، أنا غايةُ الآمالِ فكيف تنقطع الآمال دوني، أبخيلٌ أنا فيبخلني عبدي، أليس الدنيا والآخرةُ والكرمُ والفضلُ كلُه لي، فما يمنع المؤمّلين أن يؤمّلوني، لو جمعتُ أهلَ السمواتِ والأرض ثم أعطيتُ كلَّ واحد منهم ما أعطيتُ الجميعَ وبلّغتُ كلَّ واحد منهم أملَه لم ينقُص ذلك من ملكي عضوَ ذرة.

---

(١) البخاري (٨/ ٣٥٢ رقم ٤٦٨٤) ومسلم (٢/ ٦٩٠ - ٦٩١ رقم ٩٩٣).
ولفظ مسلم: «يمين الله».

(٢) في سننه (١/ ٦٩٢ رقم ١١٧٣) وقال: «هذا حديث غريب، إسناده جيد» وحسّن الألباني الحديث في صحيح أبي داود.

كيف ينقُص مُلكٌ أنا قيِّمه، فيا بؤساً للقانطين من رحمتي، ويا بؤساً لمن عصاني وتوثَّب على محارمي». انتهى.

وجاء في بعض ألفاظِ حديثِ النزولِ[1]: «من يُقرضْ غيرَ عديمٍ ولا ظلوم».

والأحاديث في هذا الباب كثيرةٌ جداً لو أردنا استقصاءَها لطال الفصلُ، وفيما ذكرنا كفايةٌ، فسبحان من وسِع خلقَه بغناه، وافتقر كلُّ شيءٍ إليه وهو الغنيُّ عما سواه: ﴿وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾ [لقمان: ١٢].

[كلام الله تعالى]

(كلَّم موسى عبدَه تكليما ... ولم يزل بخلقه عليما)

أي ومما أثبته ربُّنا عز وجل لنفسه وأثبته له رسولُه ﷺ تكليمُه عبدَه ورسولَه موسى بنَ عِمرانَ بدون واسطةِ رسولٍ بينه وبينه، بل أسمعه كلامَه الذي هو صفتُه اللائقةُ بذاتِه كما شاء وعلى ما أراد.

قال الله عز وجل في سورة البقرة: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣]. وقال في سورة النساء: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]. فأكد بالمصدر مبالغةً في البيان والتوضيح. وقال تعالى في سورة الأعراف: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا سَأُو۟رِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿١٤٥﴾﴾.

وقال في سورة مريم: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾﴾.

---

(١) أخرجه مسلم (١/٥٢٢ رقم ٧٥٨/١٧١) من حديث أبي هريرة.

وقال تعالى في سورة طه: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿٩﴾ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴿١٤﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾﴾ إلى قوله: ﴿أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ﴾ إلى قوله: ﴿قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ ۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴿٢١﴾﴾، إلى آخر الآيات.

وقال في سورة الشعراء: ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۚ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾﴾ الآيات.

وقال تعالى في سورة النمل: ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٧﴾ فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِىَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨﴾ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾ وَأَلْقِ عَصَاكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًۢا بَعْدَ سُوٓءٍ فَإِنِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ۖ فِى تِسْعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ ۚ﴾ الآيات.

وقال تعالى في سورة القصص: ﴿۞ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا ۖ قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ ﴿٣١﴾ ٱسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ ۖ فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٣٢﴾﴾ الآيات.

والقرآن ممتلئ بذلك.

وفي الصحيحين[1] من حديث احتجاج آدمَ وموسى عليهما السلام عند ربِّهما، وفيه قولُ آدمَ لموسى: **«أنت موسى الذي اصطفاك الله تعالى برسالاته وبكلامه»** الحديث.

وفيهما[2] من حديث الشفاعةِ قولُ إبراهيم عليه السلام: **«ولكن عليكم بموسى فإنه كليم الله»**.

وفي رواية[3]: **«ولكن ائتوا موسى عبداً آتاه اللّهُ التوراةَ وكلّمه تكليماً»**. وفي رواية[4]: **«ولكن ائتوا موسى عبداً آتاه الله التوراة وكلمه وقرَّبه نجياً»**.

فقد أخبرنا الله عز وجل أنه اصطفى عبدَه موسى بكلامه واختصه بإسماعه إياه بدون واسطةٍ وأنه ناداه وناجاه وكلمه تكليماً. وأخبرنا تعالى بما كلمه به، وبالموضع الذي كلمه فيه، وبالميقات الذي كلمه فيه، وأخبر عنه رسولُه محمدٌ ﷺ بذلك في أصح الروايات، فأيُّ كلام أفصحُ من كلام الله تعالى وكلام رسولِه ﷺ، وأيُّ بيانٍ أوضحُ من بيان اللّهِ ورسولِه، وبأي برهانٍ يقنع من لم يقنعْ بذلك: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ﴾ [الجاثية: ٦].

[يتكلم سبحانه إذا شاء بما يشاء وكيف يشاء]

وفي هذا أعلى دلالة وأبينُها وأوضحُها على ثبوت صفةِ الكلامِ لربنا عز وجل وأنه يتكلم إذا شاء بما يشاء وكيف يشاء بكلام يُسمعه من يشاء، أسمعه موسى عليه السلام كيف شاء وعلى ما أراد.

وقد ثبت بالكتاب والسنةِ نداؤه الأبوين عليهما السلام إذ يقول: ﴿وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [الأعراف: ٢٢]، وأن الملائكةَ تسمعُ كلامَ اللّهِ بالوحي كما قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [سبأ: ٢٣].

---

(١) سيأتي تخريجه بتمامه.

(٢) سيأتي تخريجه بتمامه وقد تقدم بعضه.

(٣) سيأتي تخريجه بتمامه وقد تقدم بعضه.

(٤) سيأتي تخريجه بتمامه وقد تقدم بعضه.

وفي الصحيحين[1] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: إن نبيَّ الله ﷺ قال: «**إذا قضى الله الأمرَ في السماء ضَربَت الملائكةُ بأجنحتها خُضعاناً لقوله كأنه سلسلةٌ على صفوان، فإذا فُزِّع عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا: الحقَّ وهو العليُّ الكبير**». الحديث.

وفيهما[2] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**إن الله تبارك وتعالى إذا أحب عبداً نادى جبريلَ: إن اللّهَ قد أحب فلاناً فأَحبَّه، فيُحبّه جبريلُ، ثم ينادي جبريلُ في السماء: إن الله قد أحب فلاناً فأحِبّوه، فيُحبُّه أهلُ السماء ويوضع له القَبولُ في الأرض**».

وثبت بالكتاب والسنة كلامُه مع الرسل والملائكةِ وغيرِهم يوم القيامة كما قال تعالى: ﴿۞ يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ قَالُوا۟ لَا عِلْمَ لَنَآ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ [المائدة: ١٠٩]. وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾﴾ [سبأ].

وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو قَالَ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَٰتِى وَلَمْ تُحِيطُوا۟ بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا۟ فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [النمل]. وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [القصص: ٦٢]. وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: ٦٥]. وأنه يقول لأهل الجنةِ سلامٌ عليكم كما قال تعالى: ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ [يس: ٥٨].

وأنه يقول لأهل النار: ﴿ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون: ١٠٨]. والقرآنُ ممتلىءٌ بذلك.

وفي الصحيح[3] عن عدّي بنِ حاتم رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربُه ليس بينه وبينه تَرجُمانٌ**». الحديث.

---

(١) البخاري (١٣/٤٥٣ رقم ٧٤٨١). ولم يخرجه مسلم.

(٢) البخاري (١٣/٤٦٠ رقم ٧٤٨٥) ومسلم (٤/٢٠٣٠ رقم ٢٦٣٧).

(٣) البخاري (١٣/٤٧٤ رقم ٧٥١٢) ومسلم (٢/٧٠٣ ـ ٧٠٤ رقم ١٠١٦).

وفيه(١) عن أبي سعيد الخدريِّ ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «يقول الله تعالى: يا آدمُ، فيقول: لبيّك وسعديك، فينادى بصوت: إن الله يأمرك أن تُخرج من ذريتك بعثاً إلى النار».

وفيه(٢) تعليقاً عن جابر عن عبد الله بنِ أُنيس ﷺ قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**يحشرُ اللّهُ العبادَ، فيناديهم بصوت يسمعه مَن بَعُد كما يسمعه مَن قَرُب: أنا المِلكُ أنا الديان**».

وفيه(٣) عن أبي هريرةَ ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**قال الله تعالى: أعددتُ لعبايَ الصالحين ما لا عينٌ رأت ولا أذنٌ سمعت ولا خطرَ على قلب بشر**».

وفيه(٤) عنه ﷺ قال: «**يقول الله تعالى: ما لعبدي المؤمنِ عندي جزاءَ إذا أنا قبضْتُ صَفيَّه من أهل الدنيا ثم احتسبه إلا الجنة**».

وفيه(٥) من حديث الشفاعةِ: «**يقول الله عز وجل: مَن كان في قلبه مثقالُ حبةٍ من إيمان فأخرجوه**». الحديث.

وفيه(٦) من حديث آخِرُ أهلِ الجنة دخولاً الجنةَ: «**فيقول الله تعالى: اذهب فادخُل الجنةَ فإن لك مثلَ الدنيا وعشرةَ أمثالِها**».

وفيه(٧) من كلامه تعالى مع أهل الموقفِ قولُه تعالى: «**لِتتبعْ كلُّ أمةٍ ما**

---

(١) البخاري (١٣/ ٤٥٣ رقم ٧٤٨٣) ومسلم (١/ ٢٠١ - ٢٠٢ رقم ٢٢٢).

(٢) البخاري تعليقاً (١٣/ ٤٥٣) بصيغة التمريض. و(١/ ١٧٣) تعليقاً بصيغة الجزم.
وذكر له الحافظ في «الفتح» (١/ ١٧٤) طريقين آخرين عن جابر يرتقي بهما إلى مرتبة الحجية.
ووصله البخاري في «خلق أفعال العباد» رقم (٣٦٥) وفي «الأدب المفرد» رقم (٩٧٠) والحاكم (٢/ ٤٣٧ - ٤٣٨) و(٤/ ٥٧٤، ٥٧٥)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (ص٧٨ - ٧٩) كلهم من طريق عبد الله بن محمد بن عقيل، قال عنه الحافظ في «التقريب» رقم (٣٥٩٣): «صدوق في حديثه لينٌ، ويقال: تغير بأخره».
وجزم الحافظ بأن إسناده صالح في «الفتح» (١/ ١٧٤) وقال: (وله طريق آخر أخرجها الطبراني في «مسند الشاميين» - (رقم: ١٥٦) - وتمام في «فوائده»... وإسناده صالح» اهـ.
وخلاصة القول أن الحديث حسن، والله أعلم.

(٣) البخاري (٨/ ٥١٥ - ٥١٦ رقم ٤٧٨٠) ومسلم (٤/ ٢١٧٤ رقم ٢٨٢٤).

(٤) البخاري (١١/ ٢٤١ - ٢٤٢ رقم ٦٤٢٤). (٥) تقدم تخريجه وسيأتي بتمامه.

(٦) البخاري (١١/ ٤١٨ رقم ٦٥٧١) ومسلم (١/ ١٧٣ رقم ١٨٦) من حديث عبد الله بن مسعود.

(٧) البخاري (١٣/ ٤١٩ - ٤٢٠ رقم ٧٤٣٧) ومسلم (١/ ١٦٣ - ١٦٧ رقم ١٨٢) من حديث أبي هريرة.

كانت تعبُد». وقوله عز وجل للمؤمنين: **«أنا ربكم»**.

وفيه[1] في باب كلام الربِّ عز وجل مع أهل الجنةِ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال النبيُّ ﷺ: **«إن الله تعالى يقول لأهل الجنة: يا أهلَ الجنةِ، فيقولون: لبيك ربَّنا وسعدَيك والخيرُ في يديك. فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى يا رب وقد أعطيتنا ما لم تُعطِ أحداً من خلقك؟ فيقول: ألا أعطيكم أفضلَ من ذلك؟ فيقولون: يا رب وأيُّ شيءٍ أفضلُ من ذلك؟ فيقول: أُحِلُّ عليكم رضواني فلا أسخَطُ عليكم بعده أبداً»**.

وفيه[2] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال اللّهُ تعالى: **«أنا مع عبدي حيثما ذكرني وتحركت بي شفتاه»**.

وفيهما[3] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: يقولُ اللّهُ عز وجل: **«إذا أراد عبدي أن يعمَلَ سيئةً فلا تكتبوها عليه حتى يعمَلَها»** الحديث.

وفيهما[4] من حديثه أيضاً أن رسولَ اللّهِ ﷺ قال: **«خلق اللّهُ الخلقَ فلما فرغَ منه قامت الرحِمُ، فقال: مه؟ قالت: هذا مقامُ العائذِ بك من القطيعة، فقال: ألا ترضين أن أصِلَ من وصَلكِ وأقطَعَ من قطعك»**. الحديث.

وفيه[5] من حديثه أن رسولَ الله ﷺ قال: **«قال الله عز وجل: إذا أحبَّ عبدي لقائي أحببتُ لقاءَه، وإذا كرِه لقائي كرِهتُ لقاءَه»**.

---

(١) البخاري (١١/ ٤١٥ رقم ٦٥٤٩) و(١٣/ ٤٨٧ رقم ٧٥١٨). ومسلم (٤/ ٢١٧٦ رقم ٢٨٢٩).

(٢) البخاري تعليقاً (١٣/ ٤٩٩) بصيغة الجزم. ووصله البخاري في «خلق أفعال العباد» رقم (٣٤٤).
وأخرجه أحمد (٢/ ٥٤٠) وابن ماجه رقم (٣٧٩٢) من طريق محمد بن مصعب وأبي المغيرة، والبغوي في «شرح السنة» رقم (١٢٤٢) من طريق يحيى بن عبد الله، والحاكم (١/ ٤٩٦) عن طريق بشر بن بكر. وصححه الحاكم ووافقه الذهبي. كلهم عن الأوزاعي، عن إسماعيل بن عبيد الله، عن أم الدرداء، عن أبي هريرة، **وخلاصة القول أن الحديث صحيح، والله أعلم.**

(٣) البخاري (١٣/ ٤٦٥ رقم ٧٥٠١) ومسلم (١/ ١١٧ رقم ١٢٨).

(٤) البخاري (٨/ ٥٧٩ ـ ٥٨٠ رقم ٤٨٣٠) ومسلم (٤/ ١٩٨٠ ـ ١٩٨١ رقم ٢٥٥٤).

(٥) البخاري (١٣/ ٤٦٦ رقم ٧٥٠٤) ومسلم (٤/ ٢٠٦٦ رقم ٢٦٨٥).

وفيه[1] من حديثه أن رسولَ الله ﷺ قال: «**قال الله تعالى: أنا عند ظنّ عبدي بي**».

وفيه[2] من حديثه أيضاً في قصة المذنبِ المستغفرِ. الحديث. وفيه: «**فقال ربُه: أعلمَ عبدي أن له رباً يغفِر الذنبَ ويأخذُ به، غفرتُ لعبدي**». وذكر الحديث.

وفيه[3] من حديث عبد الله بن زيدٍ رضي الله عنه قال: مُطر النبيُّ ﷺ فقال: «**قال الله عز وجل: أصبح من عبادي كافرٌ بي ومؤمنٌ بي**».

وفيه[4] من حديث عبدِ اللّهِ بنِ مسعودٍ رضي الله عنه في ذكر طيِّ اللّهِ تعالى السمواتِ والأرضِ، وفيه: «**ثم يُهزهِزُ ثم يقول: أنا المِلكُ، أنا المِلك**». الحديث.

وفيه[5] من حديث عبد الله بن عمرَ رضي الله عنهما أن رجلاً سأله كيف سمعتَ النبيَّ ﷺ يقول في النجوى؟ قال: «**يدنو أحدُكم من ربه حتى يضعَ عليه كنفه فيقول تعالى: أعمِلْتَ كذا وكذا؟ فيقول: نعم، ويقول: أعملتَ كذا وكذا؟ فيقول: نعم، فيقرّره ثم يقول: إني سترتُها عليك في الدنيا وأنا أغفِرها لك اليوم**».

وفي صحيح مسلم[6] من حديث أنس بنِ مالكٍ رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**يقول الله تبارك وتعالى لأهونِ أهلِ النارِ عذاباً لو كانت لك الدنيا وما فيها أكنتَ مفتدياً بها؟ فيقول: نعم، فيقول: قد أردتُ منك أهونَ من هذا وأنت في صُلب آدمَ ألا تُشرك ـ أحسبه قال: ولا أُدخلُك النار ـ فأبيتَ إلا الشركَ**».

وعن أبي هريرةَ وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهما قالا: قال رسولُ الله ﷺ: «**يُؤتى بالعبد يومَ القيامةِ فيقول له: ألم أجعل لك سمعاً وبصراً ومالاً وولداً وسخّرت لك الأنعامَ والحرثَ وتركتُك ترأسُ وتربَع، فكنت تظُن أنك ملاقي يومِك هذا؟ فيقول:**

---

(١) تقدم تخريجه.
(٢) البخاري (١٣/٤٦٦ رقم ٧٥٠٧) ومسلم (٤/٢١١٢ رقم ٢٧٥٨).
(٣) البخاري (٢/٣٣٣ رقم ٨٤٦) ومسلم (١/٨٣ رقم ٧١).
(٤) تقدم تخريجه.
(٥) البخاري (١٣/٤٧٥ رقم ٧٥١٤) ومسلم (٤/٢١٢٠ رقم ٢٧٦٨).
(٦) تقدم تخريجه.

لا، فيقول له: **اليومَ أنساكَ كما نسيتَني**». رواه مسلم[1] والتِرمِذي[2] وقال: هذا حديثٌ صحيحٌ غريبٌ، ومعنى قوله: «**اليوم أنساك كما نسِيتَني**». اليوم أتركُك في العذابِ اهـ.

وفي الصحيحين[3] عن عائشة ﷺ في قصة الإفكِ قالت: ولكن واللَّهِ ما كنت أظن أن اللَّهَ يُنزل في براءتي وحْياً يُتلى، ولشأني في نفسي كان أحقرَ من أن يتكلم اللَّهُ فيَّ بأمر يُتلى، ولكني كنت أرجو أن يرى رسولُ اللَّهِ ﷺ في النوم رؤيا يبرّئني الله بها: فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ﴾ [النور: ١١]، العشرَ الآياتِ.

ولو ذهبنا ننقُل الأحاديثَ في قال الله ويقول ويتكلم وينادي ونحوِ ذلك لطال الفصلُ، وفيما ذكرنا كفايةٌ.

وهذه الآياتُ والأحاديثُ مما ذكرنا ومما لم نذكر كلُها شاهدةٌ بأن الله تعالى لم يزل متكلماً بمشيئته وإرادته، يتكلم بما شاء كيف شاء متى شاء بكلام حقيقة يسمعه مَن يشاء من خلقه، وأن كلامَه قولٌ حقيقةً كما أخبر، وعلى ما يليق بعظمته كما قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ﴾ [الأحزاب: ٤]. وقال: ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ [يس: ٥٨]. وقال: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ۝١٣ وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ ۝١٤﴾ [الطارق].

والقرآنُ كلامُه تعالى تكلم به حقيقةً كما شاء، وهو من فاتحته إلى خاتمته شاهد بذلك.

وسيأتي إن شاء اللَّهُ تعالى بحثُه قريباً، وكلامُه تعالى صفةٌ من صفاتِه من لوازم ذاتِه، والصفةُ تابعةٌ لموصوفها، فصفاتُ الباري تبارك وتعالى قائمةٌ به أزليةٌ بأزليته، باقيةٌ ببقائه، لم يزل متصفاً بها ولا يزال كذلك لم تَجَدَّدْ له صفةٌ لم يكن متصفاً بها ولا تنفَدُ صفةٌ كان متصفاً بها، بل هو الأولُ والآخِرُ والظاهرُ والباطنُ وهو بكل شيء عليمٌ.

---

(١) في صحيحه (٤/٢٢٧٩ رقم ٢٩٦٨).

(٢) في «السنن» (٤/٦١٩ رقم ٢٤٢٨) وقال: هذا حديث صحيح غريب.

(٣) البخاري (٥/٢٦٩ ـ ٢٧٢ رقم ٢٦٦١) ومسلم (٤/٢١٢٩ ـ ٢١٣٦ رقم ٢٧٧٠).

[الكلام الإلهي يجلّ عن الإحصاء والحصر والفناء]

(كلامُه جل عن الإحصاء ... والحصرِ والنفادِ والفناءِ)

(لو صار أقلاماً جميعُ الشجرِ ... والبحرُ تُلقى فيه سبعةُ أبحُرِ)

(والخلقُ تكتبُه بكل آنِ ... فنَت وليس القولُ منه فانِ)

قال الله تبارك وتعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾ [الكهف: ١٠٩]. وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [لقمان: ٢٧].

قال ابن كثير[(١)] رحمه الله تعالى: يقولُ الله تعالى مخبِراً عن عظمته وكبريائِه وجلالِه وأسمائِه الحُسنى وصفاتِه العُلى وكلماتِه التامةِ التي لا يحيط بها أحدٌ، ولا اطلاعَ لبشر على كُنهها وإحصائِها، كما قال سيدُ البشر وخاتمُ الرسل: «**لا أحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك**»[(٢)].

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ﴾ [لقمان: ٢٧].

أي ولو أن جميعَ أشجارِ الأرضِ جُعلت أقلاماً وجُعل البحرُ مداداً وأمدَّه سبعةُ أبحر معه فكُتبت بها كلماتُ الله تعالى الدالةُ على عظمته وصفاتِه وجلالِه لتكسّرت الأقلامُ ونفِد ماءُ البحرِ ولو جاء أمثالُها مدداً، وإنما ذُكرت السبعةُ على وجه المبالغة ولم يُرَد الحصرُ، ولا أن ثمّ سبعةَ أبحرٍ موجودةً محيطةً بالعالم كما يقوله مَن تلقاه من الإسرائيليات التي لا تُصدّق ولا تُكذّب، بل كما قال تعالى في الآيات الأخرى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾ [الكهف: ١٠٩].

فليس المرادُ بقوله (بمثله) آخَرَ فقط، بل بمثله ثم بمثله ثم بمثله ثم هلمّ جرًّا، لأنه لا حصرَ لآيات اللّهِ وكلماتِه.

---

(١) في تفسير القرآن العظيم (٣/ ٤٦٠).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (١/ ٣٥٢ رقم ٤٨٦) من حديث عائشة.

قال الحسن البصري[1]: لو جُعل شجرُ الأرض أقلاماً وجُعل البحرُ مداداً وقال الله تعالى: «إن مِن أمري كذا ومن أمري كذا، لنفِد ماءُ البحر وتكسّرت الأقلام».

قال قتادة[1]: قال المشركون إنما هذا كلامٌ يوشك أن ينفَدَ، فقال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ﴾ [لقمان: ٢٧]. أي لو كان شجرُ الأرض أقلاماً ومع البحر سبعةُ أبحرٍ ما كانت لتنفَدَ عجائبُ ربي وحكمتُه وخلقُه وعلمُه.

وقال الربيعُ بنُ أنس[2] رحمه الله: إن مثَلَ علمِ العبادِ كلِّهم في علم اللّهِ كقطرة من ماء البحورِ كلِّها، وقد أنزل اللّهُ ذلك: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ﴾ [لقمان: ٢٧]. الآية.

يقول: لو كان البحرُ مِداداً لكلمات الله، والأشجارُ كلُّها أقلاماً لانكسرت الأقلامُ وفنِيَ ماءُ البحرِ وبقِيَتْ كلماتُ الله قائمةً لا يُفنيها شيءٌ؛ لأن أحداً لا يستطيع أن يقدُرَه قدْرَه، ولا يُثنيَ عليه كما ينبغي حتى يكونَ هو الذي يُثني على نفسه، إن ربَّنا كما يقول وفوق ما نقول.

قال: وقد رُوي أن هذه الآية نزلت جواباً لليهود، قال ابن إسحاقَ رحمه الله تعالى: حدثني محمدُ بنُ أبي محمدٍ عن سعيدِ بنِ جبيرٍ - أو عِكْرِمَةَ - عن ابن عباس[3] رضي الله عنهما أن أحبارَ يهودَ قالوا لرسولِ الله ﷺ بالمدينة: يا محمدُ أرأيتَ قولَك: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥]، إيانا تريد أم قومك؟ فقال رسولُ الله ﷺ: كلاكما. قالوا: ألستَ تتلو فيما جاءك أنا قد أوتينا التوراةَ فيها تبيانٌ لكل شيءٍ؟ فقال رسول الله ﷺ: «إنها في علمِ اللّهِ قليلٌ وعندكم من ذلك ما

---

(١) أخرجه الطبري في «جامع البيان» (١١/ج٢١/٨١) موقوفاً.
(٢) ذكره ابن كثير في تفسيره (٣/١١٤).
(٣) أخرجه الطبري في «جامع البيان» (١١/ج٢١/٨١) بسند ضعيف.
محمد بن أبي محمد الأنصاري، روى عن سعيد بن جبير وعكرمة، وعنه محمد بن إسحاق.
ذكره ابن حبان في «الثقات».
قلت: وقال الذهبي: لا يعرف.
[تهذيب التهذيب (٩/٣٨٤ رقم ٧١١)].

يكفيكم». وأنزل اللَّهُ فيما سألوه عنه من ذلك: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ﴾ [لقمان: ٢٧]. الآية.

وهكذا رُوي عن عكرمة[١] وعطاءَ بنِ يسار[١]، وهذا يقتضي أن هذه الآيةَ مدنيةٌ لا مكيةٌ، والمشهورُ أنها مكيةٌ، والله أعلم.

وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٢٠]، أي عزيزٌ قد عز كلَ شيءٍ وقهَره وغلبه، فلا مانعَ لما أراد ولا مخالفَ لأمره ولا مُعقِّبَ لحكمِه، حكيمٌ في خلقه وأمرِه وأقوالِه وأفعالِه وشرْعِه وجميعِ شؤونِه[٢]. انتهى.

وعن جُويْرِيةَ ﵂ أن النبيَّ ﷺ خرج من عندها ثم رجعَ بعد أن أضحى وهي جالسةٌ، فقال: **«ما زلتِ على الحال التي فارقتُك عليها؟»** قالت: نعم. قال النبي ﷺ: **«لقد قلتُ بعدك أربعَ كلماتٍ ثلاثَ مرات لو وُزِنَتْ بما قلتِ منذ اليوم لوزَنَتْهن: سبحانَ اللَّهِ وبحمده عدد خلقِه، ورضا نفسِه، وزِنةَ عرشِه، ومدادَ كلماته»**. رواه مسلم[٣] والأربعة[٤].

وعن أبي هريرة[٥] ﵁ قال: جاء رجلٌ إلى النبيِّ ﷺ فقال: يا رسولَ الله ما لقِيتُ من عقرب لدغتْني البارحة؟ قال: **«أما لو قلتَ حين أمسيتَ أعوذُ بكلماتِ اللَّهِ التاماتِ التي لا يجاوِزُهن جبارٌ ولا متكبرٌ»**. والأحاديث في الباب كثيرةٌ.

---

(١) أخرجه الطبري في «جامع البيان» (١١/ج٢١/٨١) مرسلاً.

(٢) تفسير ابن كثير (٣/ ٤٦٠ ـ ٤٦١).

(٣) في صحيحه (٤/ ٢٠٩٠ رقم ٢٧٢٦).

(٤) أبو داود (٢/ ١٧١ رقم ١٥٠٣) والترمذي (٥/ ٥٥٦ رقم ٣٥٥٥) وقال: **حديث حسن صحيح**. والنسائي (٣/ ٧٧ رقم ١٣٥٢) وفي «عمل اليوم والليلة» (رقم: ١٦١، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٥) وابن ماجه (٢/ ١٢٥١ رقم ٣٨٠٨).

قلت: وأخرجه البغوي في «شرح السنة» رقم (١٢٩٧) وأحمد في «المسند» (١/ ٢٥٨، ٣٥٣) و(٦/ ٣٢٥، ٤٢٩، ٤٣٠) وابن حبان رقم (٨٢٨) و(٨٣٢) من طرق... **وهو حديث صحيح**.

(٥) لم أجده بهذا اللفظ. بل أخرجه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٨١ رقم ٢٧٠٩). عن أبي هريرة؛ أنه قال: جاءَ رجلٌ إلى النبي ﷺ فقال: يا رسولَ الله! ما لقيتُ من عقربٍ لدغتني البارحة. قال: **«أما لو قلت حينَ أمسيت: أعوذ بكلماتِ الله التامَّات من شرِّ ما خلق، لم تَضُرُّك»**.
وأخرجه النسائي في «عمل اليوم والليلة» رقم (٥٨٥) وأبو داود (٤/ ٢٢١ رقم ٣٨٩٨) والطبراني في «الدعاء» (٢/ ٩٥٧ رقم ٣٤٩/ب) **وهو حديث صحيح**.

والمقصود أن كلماتِ اللّهِ باقيةٌ لا تنفَد أبداً، تامةٌ لا تنقُص أبداً، وذلك لأن كلامَه وصفتَه وليس من صفاتِه شيءٌ ينفدُ، ولذا أخبرنا تعالى أن جميعَ أشجارِ الأرضِ لو كانت أقلاماً، والبحارَ أضعافَها مِداداً يُكتب بها كلماتُه لنفِدت كلُها وكلماتُه باقيةٌ لا تنفد، وذلك لأن الأشجارَ والبحارَ مخلوقةٌ والمخلوقاتُ من لازمها النفادُ والفناءُ، وكلماتُ اللّهِ صفتُه وليس من صفاتِه شيءٌ يفنى، بل هو الباقي بأسمائِه وصفاتِه أزلاً وأبداً: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: ٨٨].

[كلام الله في كتابه عين كلامه ليس بمخلوق]

(والقولُ في كتابه المفصَّلْ — بأنه كلامُه المنزلْ)
(على الرسول المصطفى خيرِ الورى — ليس بمخلوقٍ ولا بمفترى)

(والقولُ) الذي نعتقده ونَدينُ الله به **(في)** شأن **(كتابه المفصل)** بسكون اللام للرَّوِيّ، وهو القرآنُ وصفه اللّهُ تعالى بذلك فقال: ﴿كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: ١]. وقال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ [فصلت: ٣]. وقال تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا﴾ [الأنعام: ١١٤]. وغيرُ ذلك من الآيات.

(بأنه كلامه) حقيقةً، حروفُه ومعانيه، ليس كلامُه الحروفَ دون المعاني ولا المعانيَ دون الحروفِ، قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]. وقال تعالى: ﴿سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ﴾ [الفتح: ١٥].

وعن أبي ذر ﵁ قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«إنكم لا ترجعون إلى الله بشيء أفضلَ مما خرج منه»**، يعني القرآن.

رواه أبو داودَ[١] والحاكمُ وصححه[٢].

---

(١)(٢) أخرجه أبو داود في «المراسيل» رقم (٥٣٨) والترمذي في سننه رقم (٢٩١٢) وأحمد في «الزهد» (ص٦٢ رقم ١٩٠) وعبد الله في «السنة» رقم (٩١) من طريق عبد الرحمٰن بن=

= مهدي عن معاوية عن العلاء بن الحارث، عن زيد بن أرطأة، عن جبير بن نفير. وجُبير بن نفير: تابعي فالحديث مرسل.

* وأخرجه الحاكم (١/ ٥٥٥) وعنه البيهقي في «الأسماء والصفات» (ص٢٣٦)، من طريق سلمة بن شبيب عن أحمد بن حنبل عن عبد الرحمٰن بن مهدي عن معاوية عن العلاء بن الحارث، عن زيد بن أرطأة، عن جُبير بن نفير، عن أبي ذر الغفاري مرفوعاً.

وقال الحاكم: **هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه**، ووافقه الذهبي.

* وأخرجه الحاكم (٢/ ٤٤١) وعنه البيهقي في «الأسماء والصفات» (ص٢٣٦) من طريق صالح كاتب الليث عن العلاء بن الحارث، عن زيد بن أرطأة، عن جُبير بن نفير، عن عقبة بن عامر الجهني. مرفوعاً.

وقال الحاكم **هذا حديث صحيح الإسْناد ولم يخرجاه**، ووافقه الذهبي.

* وللحديث شاهد عند أحمد (٥/ ٢٦٨) والترمذي رقم (٢٩١١) ومحمد بن نصر في «تعظيم الصلاة» (١/ ٢٠٨) وفي «قيام الليل» (ص٤١، ٤٢، ١٢٢) وابن الضريس في «فضائل القرآن» رقم (١٤١) والخطيب في «تاريخ بغداد» (٧/ ٨٨) و(١٢/ ٢٢٠) وابن النجار في «ذيله» (١/ ٣٧٢) كلهم من طريق أبي النضر هاشم بن القاسم، عن بكر بن خنيس، عن ليث بن أبي سليم، عن زيد بن أرطأة، عن أبي أمامة مرفوعاً «... **وما تقرَّب العباد إلى الله بمثل ما خرج منه - يعني القرآن -**» اهـ.

قال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وبكر بن خنيس قد تكلم فيه ابن المبارك، وتركه في آخر أمره، وقد روي هذا الحديث عن زيد بن أرطاة عن جبير بن نفير عن النبي ﷺ مرسلاً.

قلت: بالإضافة لضعف بكر بن خنيس، ضعف ليث بن أبي سليم - كما في «المجروحين» (٢/ ٢٣١ - ٢٣٤) و«الجرح والتعديل» (٧/ ١٧٧ - ١٧٩).

والخلاصة فالحديث ضعيف لإرساله ولاختلاط العلاء بن الحارث - كما في «الكواكب النيرات في معرفة من اختلط من الرواة الثقات» لأبي البركات محمد بن أحمد الذهبي (ص ٦٥ - ٦٦ رقم ٤١).

وقد قال البخاري في «خلق أفعال العباد» (ص١٥٠) رقم (٤٠٤): «إن هذا الخبر لا يصح لإرساله وانقطاعه» اهـ.

وحكم المحدث الألباني على الحديث **بالضعف** كما في «ضعيف الجامع» رقم (٢٠٤١).

قلت: والطرق هذه لا تتقوى ببعضها، **لأن رواية سلمة بن شبيب تعتبر شاذة. ورواية عبد الله بن صالح كاتب الليث تعتبر منكرة. فلا تصلحان** في الشواهد والمتابعات.

ورواية بكر بن خنيس عن ليث بن أبي سليم عن زيد عن أبي أمامة فلا يتقوى بها لضعف بكر وليث. ولأنه روي عن ليث **مرسلاً بسند صحيح**.

والصواب أنه مرسل، والله أعلم.

وعن أبي سعيد الخدريِّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«يقول الربُ تبارك وتعالى: من شغله القرآنُ عن مسألتي أعطيته أفضلَ ما أعطي السائلين، وفضلُ كلامِ اللَّهِ على سائر الكلامِ كفضلِ اللَّهِ على خلقِه»**. رواه الترمذي[1]، وقال حديثٌ حسنٌ غريب.

وروى ابن خزيمةَ[2] عن نيار بنِ مكرم الأسلميِّ صاحبِ رسولِ الله ﷺ رضي الله عنه قال: لما نزلت: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِىٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣﴾ [الروم]، خرج رسول الله ﷺ فجعل يقول: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِىٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِى بِضۡعِ سِنِينَۗ﴾، فقال رؤساء مكةَ مشركي مكةَ: يا ابن أبي قحافةَ، هذا مما أتى به صاحبُك؟ قال: لا، والله، ولكنه كلامُ اللَّهِ وقولُه. وذكر الحديث.

---

(١) في «السنن» (٥/ ١٨٤ رقم ٢٩٢٦) وقال حسن غريب.

قلت: وأخرجه الدارمي في «الرد على الجهمية» (ص٨٥) والبيهقي في «الأسماء والصفات» (ص٢٣٨). وعبد الله بن أحمد في «السنة» رقم (١٢٨) والدارمي (٢/ ٤٤١) ومحمد بن نصر في «قيام الليل» (ص١٢٢).

والطبراني في «الدعاء» رقم (١٨٥١) وابن حبان في «المجروحين» (٢/ ٢٧٧) والعقيلي في «الضعفاء» (٤/ ٤٩) من طرق عن محمد بن الحسن بن أبي يزيد الهمداني عن عمرو بن القيس عن عطية عن أبي سعيد مرفوعاً.

قلت: وفي سنده محمد بن الحسن بن أبي يزيد الهمداني ضعيف. وعطية العوفي يخطئ كثيراً ويرسل، وقد عنعن. وقال ابن أبي حاتم في كتاب «العلل» (٢/ ٨٢): «سألت أبي عن حديث رواه محمد بن الحسن بن أبي يزيد - فذكر هذا الحديث - فقال أبي: هذا حديث منكر ومحمد بن الحسن ليس بالقوي» اهـ. **وخلاصة القول أن الحديث منكر.**

(٢) في «التوحيد» (ص ١٦٦ - ١٦٧) بسند حسن.

قلت: وأخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» (ص ٢٣٩)، وفي «الاعتقاد» (ص ٤٩) وعبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» رقم (١١٦). وعلقه البخاري في «خلق أفعال العباد» رقم (٧٢).

وأخرجه الترمذي (٥/ ٣٤٤ رقم ٣١٩٤) وليس فيه موضع الشاهد عنده.

وقال الترمذي: «هذا حديث صحيح حسن غريب من حديث نيار بن مكرم لا نعرفه إلا من حديث عبد الرحمن بن أبي الزناد» اهـ.

وكان ابن مسعودٍ[1] ﷺ يقبّل المصحفَ ويقول: كلامُ ربي كلامُ ربي.

وعن عمر[2] ﷺ قال: إن هذا القرآنَ كلامُ اللَّهُ فضعوه على مواضعه.

وقال خبابٌ[3] صاحبُ رسولِ الله ﷺ: تقرّبْ إلى الله بما استطعت فإنك لن تقرّب إلى الله بشيء أحبَّ إليه من كلامه.

وقال عبدُ اللَّهِ بن مسعودٍ[4] ﷺ: القرآنُ كلامُ الله، فمن ردَّ شيئاً فإنما يردّ على الله. وعنه[5] ﷺ قال: إن أحسنَ الكلامِ كلامُ الله.

ويروى ذلك عنه[6] مرفوعاً إلى النبي ﷺ وهو صحيحٌ في الصحيح[7].

---

(١) انظر: «السنة» رقم (١١٠) لعبد الله ابن الإمام أحمد.

(٢) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» رقم (١١٨) والآجري في «الشريعة» (ص ٧٧) والبيهقي في «الأسماء والصفات» (ص ٢٤٣) بسند ضعيف.

(٣) أخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» (ص ٢٤١) وابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٠/ ٥١٠) وعبد الله في «السنة» رقم (٩٦) و(١١١) والآجري في «الشريعة» (ص ٧٧) والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٤٤١) وأحمد في «الزهد» (ص ٦٢ رقم ١٩٢). بسند صحيح.

(٤) أخرجه عبد الله في «السنة» رقم (١١٩) والدارمي في «الرد على الجهمية» (ص ٩٠) والبيهقي في «الأسماء والصفات» (ص ٢٤١) بسند ضعيف.

(٥) أخرجه عبد الله في «السنة» رقم (١٢١) والبيهقي في «الأسماء والصفات» (ص ٢٤١) وهو أثر صحيح لغيره.

* وأخرج البخاري في صحيحه موقوفاً (١٠/ ٥٠٩ رقم ٦٠٩٨) عن مخارق قال سمعت طارقاً قال: قال عبد الله: «إنَّ أحسنَ الحديثِ كتابُ الله، وأحسنَ الهدي هدي محمد ﷺ».

* وأخرج البخاري في صحيحه موقوفاً (١٣/ ٢٤٩ رقم ٧٢٧٧).. عن مرة الهمداني، قال: قال عبد الله: «إن أحسنَ الحديث كتابَ الله، وأحسنَ الهدي هديُ محمد ﷺ، وشرَّ الأمور محدثاتها، وإن ما توعدون لآت وما أنتم بمعجزين».

(٦) أخرجه أبو داود (٢/ ٥٩١ رقم ٢١١٨) والترمذي (٣/ ١٣ رقم ١١٠٥) والنسائي (٦/ ٨٩) وابن ماجه (١/ ٦٠٩ رقم ١٨٩٢) وغيرهم، وهو حديث صحيح بطرقه.

وقد تقدم تخريجه في مقدمة المحقق في أول الكتاب.

(٧) قال ابن حجر في «فتح الباري» (١٠/ ٥١١): «هكذا رأيت هذا الحديث في جميع الطرق موقوفاً».

وقد ورد بعضه مرفوعاً من طريق أبي الأحوص عن ابن مسعود أخرجه أصحاب السنن ـ كما تقدم في التعليقة السابقة ـ.

وجاء أكثره مرفوعاً من حديث جابر أخرجه مسلم ـ (٢/ ٥٩٢ رقم ٨٦٧) ـ اهـ.

وقال عثمانُ بنُ عفانَ[1] رضي الله عنه: ما أحبُّ أن يأتي عليّ يومٌ وليلةٌ ولا أنظرَ في كلام الله. يعني القراءةَ في المصحف.

وقال ابن مسعود[2] رضي الله عنه: مَن كان يُحبّ أن يعلمَ أنه يحب اللّهَ فليعرِض نفسَه على القرآن، فإن أحبَّ القرآنَ فهو يُحب الله، فإنما القرآنُ كلامُ الله.

فهذه النصوصُ من الكتابِ والسنةِ وإجماعِ الأمةِ على أن القرآنَ كلامُ الله تكلم به حقيقةً وأنه هو الذي قال تبارك وتعالى: ﴿الم، المص، الر، المر، كهيعص، طه، طس، طسم، حم، عسق﴾ وليس كلامُ الله المعانيَ دون الحروفِ ولا الحروفَ دون المعاني، بل حروفُه ومعانيه عينُ كلامِ الله.

[القرآن منزل من عند الله على رسوله الكريم]

(المنزل) من عند الله عز وجل **(على الرسول المصطفى خيرِ الورى)** محمدٍ ﷺ.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٦].

وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ مِنْهُ ءَايَـٰتٌ مُّحْكَمَـٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَـٰبِهَـٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَـٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ﴾ [آل عمران: ٧].

وقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ﴾ [النساء: ١٠٥]. وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّـٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦ ۖ﴾ [النساء: ٦٠].

وقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ

---

(١) أخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» (ص ٢٤٣) وعبد الله في «السنة» رقم (١٢٢). بسند ضعيف فيه انقطاع.

(٢) أخرجه عبد الله في «السنة» رقم (١٢٥) بسند ضعيف.

وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦]. وقال تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

وقال تعالى: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٩٧].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُوا۟ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ﴾ [النساء: ٤٧]. الآية. وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ﴾ [آل عمران: ١٩٩]. الآية. وقال تعالى: ﴿لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ۚ﴾ [النساء: ١٦٢].

وقال تعالى: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ١٦٦]. وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١٧٤]. وقال تعالى: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ ۚ﴾ [البقرة: ٢٣١].

وقال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ﴾ [المائدة: ٤٨]. وقال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ﴾ [المائدة: ٥٩]. وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ﴾ [المائدة: ٦٧].

وقال تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۚ﴾ [الأنعام: ٩٢].

وقال تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ [الأنعام: ١١٤]. وقال تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ﴾ [الأنعام: ١٥٥]. وقال تعالى: ﴿الٓمٓصٓ ﴿١﴾ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ

وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝٢ اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝٣﴾ [الأعراف: ١ ـ ٣]. وقال تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾ [البقرة: ٢٣].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُو الطَّوْلِ مِنْهُمْ﴾ [التوبة: ٨٦]. وقال تعالى: ﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِ إِيمَانًا ۚ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ [التوبة: ١٢٤]. وقال تعالى: ﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ انصَرَفُوا ۚ﴾ [التوبة: ١٢٧]. وقال تعالى: ﴿فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ﴾ [هود: ١٤]. وقال تعالى: ﴿الر ۚ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [إبراهيم: ١].

وقال تعالى: ﴿الر ۚ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝١ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٢﴾ [يوسف: ١ ـ ٢]. وقال تعالى: ﴿المر ۚ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ ۗ وَالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ﴾. [الرعد: ١]. وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ۚ﴾ [الرعد: ٣٧]. وقال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]. وقال تعالى: ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾ [النحل: ٢]. وقال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل: ٨٩].

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ [النحل: ٦٤]. وقال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤]. وقال تعالى: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ ۙ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مُفْتَرٍ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝١٠١ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ۝١٠٢﴾ [النحل].

وقال تعالى: ﴿وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ ۗ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝١٠٥ وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلًا ۝١٠٦﴾ [الإسراء]. وقال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا ۜ ۝١ قَيِّمًا﴾ [الكهف: ١ ـ ٢]. وقال تعالى: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠]. وقال

تعالى: ﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ ۚ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾ [الأنبياء: ٥٠]. وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يُرِيدُ﴾ [الحج: ١٦].

وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ﴾ [طه: ١١٣]. وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [النور: ٣٤]. وقال تعالى: ﴿لَّقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [النور: ٤٦]. وقال تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١]. وقال تعالى: ﴿قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفرقان: ٦].

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ [الشعراء]. الآيات. وقال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ [النمل: ٦]. وقال تعالى: ﴿طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ نَتْلُوا۟ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾﴾ [القصص].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ﴾ [لقمان: ٢١]. وقال تعالى: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۚ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ [السجدة: ١ ـ ٣]. وقال تعالى: ﴿وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۚ﴾ [الأحزاب: ٢]. وقال تعالى: ﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ﴾ [سبأ: ٦]. وقال تعالى: ﴿تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [يس: ٥].

وقال تعالى: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [الجاثية: ٢]. ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ﴾ [النساء: ١٠٥]. وقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ ۖ﴾ [الزمر: ٤١]. وقال تعالى: ﴿وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم﴾ [الزمر: ٥٥].

وقال تعالى: ﴿حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٢﴾﴾ [غافر]. وقال تعالى: ﴿حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾﴾ [فصلت]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ

لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ [فصلت]. وقال تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ﴾ [الأنعام: ١٥٥]. وقال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩].

وقال تعالى: ﴿حمٓ ﴿١﴾ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ﴾ [الدخان: ١ ـ ٣]. وقال تعالى: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [الزمر: ١]. وقال تعالى: ﴿۞ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾﴾ [الواقعة].

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ﴾ [الحديد: ٢٥]. وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾ [الحديد: ٩]. وقال تعالى: ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا ۚ﴾ [التغابن: ٨]. وقال تعالى: ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ [القلم].

وقال تعالى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [الحاقة]، وقولُه تعالى في هذه الآية: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ [الحاقة: ٤٠]. يعني به محمداً ﷺ، وفي سورة التكوير[1] يعني به جبريلَ.

ومعنى الإضافةِ في كلا الآيتين إنما هو التبليغُ؛ لأن من حق الرسولِ أن يبلّغ عن المرسل. لا أن القرآنَ كلامُ الرسولِ الملكيِّ ولا البشريّ كما بيّن تعالى ذلك بقوله: ﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الحاقة: ٤٣]. وقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ [القدر: ١]. وقال تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴿٢﴾﴾ [الرحمن]. وقال تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ﴾ [يوسف: ٣]. وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ﴾ [الشورى: ٥٢].

والآياتُ في هذا البابِ كثيرة جداً، بل القرآنُ كلُه من فاتحته إلى خاتمته

---

(١) الآية: ١٩.

يشهد بأنه كلامُ اللَّهِ، وتنزيلُه وقصصُه وتعليمُه وألفاظُه ومعانيه وإيجازُه وإعجازُه يرشد إلى أنه كلامُ الخالقِ عز وجل وصفتُه، وأنه لا يستطيع البشرُ الإتيانُ بسورة مِن مِثله، وقد أقر بذلك كل عاقلٍ حتى المشركون كما قال أكفَرُ قريشٍ الوليدُ بنُ المغيرةَ لما قرأ عليه رسولُ الله ﷺ القرآنَ، فرجع إلى قومه فقال أبو جهل: قل فيه قولاً يبلغ قومك أنك منكرٌ له.

قال: وماذا أقول فيه؟ فواللَّهِ ما منكم رجلٌ أعرفُ بالأشعار مني، ولا أعلمُ برجَزه ولا بقصيده مني ولا بأشعار الجن. والله ما يُشبه الذي يقول شيئاً من هذا. ووالله إن لقوله الذي يقوله حلاوةً، وإن عليه لطلاوةً، وإنه لمثمرٌ أعلاه، مُغدِقٌ أسفلُه، وإنه ليعلو ولا يُعلى، وإنه لَيَحطِم ما تحته.

قال: لا يرضى عنك قومُك حتى تقولَ فيه. قال: قف حتى أفكر فيه، فلما فكَّر قال: إن هذا إلا سحرٌ يُؤثر، يأثُره عن غيره؛ فنزلت: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾﴾ [المدثر]. الآيات. رواه البيهقي(١) وغيره.

ويُروى عن عُتبةَ(٢) حين قرأ عليه رسولُ الله ﷺ حم السجدةَ نحوُ ذلك. وكذا أبو جهل قبحهم الله.

---

(١) **وهو حديث ضعيف.**

أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٢/١٩٨ ـ ١٩٩) عن الحاكم أبي عبد الله، عن محمد بن علي الصنعاني بمكة، عن إسحاق بن إبراهيم، قال: أخبرنا عبد الرزاق، عن معمر، عن أيوب السختياني، عن عكرمة، عن ابن عباس، ثم ذكر الخبر.

وأخرجه الحاكم في «المستدرك» (٢/٥٠٦ ـ ٥٠٧) وقال: **صحيح الإسناد على شرط البخاري ولم يخرجاه**، وأقره الذهبي.

وأخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٢/١٩٩) عن حماد بن زيد عن أيوب عن عكرمة **مرسلاً**.

وقال الشيخ مقبل في «الصحيح المسند من أسباب النزول» (ص ٢٦٢): «والظاهر ترجيح المرسل لأن حماد بن زيد أثبت الناس في أيوب، وأيضاً معمر قد اختلف عليه فيه كما في «دلائل النبوة» للبيهقي (٢/١٩٩) فالحديث ضعيف، والله أعلم» اهـ.

(٢) أخرجه أبو يعلى في مسنده (رقم: ٥١/١٨١٨) والبيهقي في «دلائل النبوة» (١/٢٣٠ ـ ٢٣١) وأبو نعيم في «دلائل النبوة» رقم (١٨٢) وابن أبي شيبة في «المصنف» (١٤/٢٩٥ =

فتبين بهذا أن قولَهم فيه: سحرٌ، شعرٌ، كهانةٌ، وغيرُ ذلك من مفترَياتهم إنما قالوه عناداً ومكابرةً، وإلا فقد استيقنوا أنه لا يدخُل تحت طَوق أحدٍ من البشر.

ونحن وجميعُ أهلِ السنةِ والجماعةِ نُشهد اللّهَ الذي أنزله بعلمه وشهد به، ونُشهد ملائكتَه الذين شهدوا بذلك، ونُشهد رسولَه الذي أنزل عليه وبلّغه إلى الأمة، ونُشهد جميعَ المؤمنين الذين صدّقوه وآمنوا به أنا مؤمنون مصدّقون شاهدون بأنه كلامُ الله عز وجل وتنزيلُه وأنه تكلمَ به قولاً وأنزله على رسوله وحياً.

ولا نقول إنه حكايةٌ عن كلامِ اللّهِ عز وجل أو عبارةٌ، بل هو عينُ كلامِ الله حروفه ومعانيه، نزل به من عنده الروح الأمين، على محمد خاتمِ المرسلين، وكلٌّ منهما مبلِّغ عن الله عز وجل.

والكلام إنما يُضاف حقيقةً إلى من قاله مبتدِئاً لا إلى من قاله مبلِّغاً مؤدياً، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ﴾ [المائدة: ٦٧]. وقال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ [التغابن: ١٢].

وقال تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ ۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ [النور: ٥٤]. وقال تعالى: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ۗ﴾ [الشورى: ٤٨]. وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ ۚ﴾ [الجن: ٢٢ - ٢٣]. والآياتُ في هذا كثيرةٌ جداً.

يخبر تعالى عن رسوله أنه مبلِّغ عنه مؤدٍ لما أرسله به، وهذا يعرُفه كلُ أحدٍ

= - ٢٩٦) وعبد بن حميد كما في «المنتخب» رقم (١١٢٣) والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٢٥٣) وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦/ ١٩ - ٢٠) وقال: رواه أبو يعلى، وفيه الأجلح الكندي، وثقه ابن معين وغيره، وضعفه النسائي وغيره، وبقية رجاله ثقات» اهـ.

وذكره ابن حجر في «المطالب العالية» رقم (٤٢٨٥) ونسبه إلى أبي يعلى وعبد بن حميد.

وأورده السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٣٥٨) إلى ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، والحاكم وصححه، وابن مردويه، وأبي نعيم، والبيهقي كلاهما في الدلائل، وابن عساكر.

قلت: وخلاصة القول أن الحديث قابل للتحسين، والله أعلم.

يعقِل لفظةَ «رسول»، فإن الرسولَ لا بد له من مرسِل برسالتِه.

فالمرسِل اللَّهُ عز وجل، والرسالةُ هي القرآنُ، والمرسَلُ هو محمدٌ ﷺ المبلّغُ رسالةَ ربِّه.

وقال أنس[1]: بعث النبيُّ ﷺ خالَه حراماً إلى قومِه وقال: أتؤمِّنوني أبلّغ رسالةَ رسولِ الله ﷺ؟ فجعل يحدثهم.

وقال المغيرةُ[2] رضي الله عنه: أخبرنا نبيُّنا عن رسالة ربِّنا أنه من قُتل منا صار إلى الجنة.

وعن عائشةَ[3] رضي الله عنها قالت: من حدثك أن النبيَّ ﷺ كتم شيئاً من الوحي فلا تصدِّقه، إن الله تعالى يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾ [المائدة: ٦٧].

وفي خطبته في موقف الحجِّ الأكبرِ[4] قال ﷺ: **«وأنتم تُسألون عني فما أنتم قائلون؟ قالوا: نشهد أنك قد بلّغت وأدّيت ونصحت»**.

وفيها إشارتُه ﷺ بيده إلى السماء قائلاً: **اللهم هل بلغت؟ اللهم اشهد»**. قالها مراراً.

وعن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال: قام فينا رسولُ الله ﷺ ذات يوم فذكر الغُلولَ فعظّمه وعظّم أمره، ثم قال: **«لا أُلفِيَنّ أحدَكم يجيء يومَ القيامةِ على رقبته بعيرٌ له رُغاء يقول: يا رسولَ اللَّهِ أغثني، فأقول لا أملِك لك شيئاً قد أبلغتُك.**

لا أُلفِيَنّ أحدَكم يجيء يوم القيامة على رقبته فرسٌ له حمحمةٌ فيقول: يا رسولَ الله أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئاً قد أبلغتُك.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٧/ ٣٨٥ ـ ٣٨٦ رقم ٤٠٩١).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٦/ ٢٥٨ رقم ٣١٥٩) و(١٣/ ٥٠٣ رقم ٧٥٣٠) من حديث جبير بن حية، قال المغيرة...

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (١٣/ ٥٠٣ رقم ٧٥٣١) ومسلم (١/ ١٥٩ رقم ١٧٧).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه (٢/ ٨٨٦ رقم ١٤٧/ ١٢١٨) وأبو داود (٢/ ٤٥٥ رقم ١٩٠٥) وابن ماجه (٢/ ١٠٢٢ رقم ٣٠٧٤) من حديث جابر.
وهو حديث صحيح طويل.

لا أُلفِيَنّ أحدَكم يجيء يوم القيامةِ على رقبته شاةٌ لها ثُغاءٌ يقول: يا رسولَ الله أغثني، فأقول لا أملك لك شيئاً قد أبلغتُك.

لا أُلفِيَنّ أحدَكم يجيء يومَ القيامةِ على رقبته نفسٌ لها صياحٌ فيقول: يا رسولَ الله أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئاً قد أبلغتك.

لا أُلفِيَن أحدكم يجيء يوم القيامةِ على رقبته رقاعٌ تَخفُق فيقول: يا رسولَ الله أغثني، فأقول: لا أملك لك من الله شيئاً قد أبلغتُك.

لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته صامتٌ يقول: يا رسولَ الله أغثني، فأقول: لا أملك لك من الله شيئاً قد أبلغتك». متفق عليه[(١)].

وكان ﷺ يعرِض نفسَه على القبائل في المواسم ويقول: **«إني رسولُ الله وآتيكُم لتمنعوني حتى أبلِّغَ رسالةَ ربي»**[(٢)].

وغيرُ ذلك من الأحاديثُ، يخبر ﷺ أنه مخبرٌ عن الله ومبلّغ رسالَته، وأن ما أمر به ونهى عنه وأخبر به هو تبليغٌ لأمر اللّهِ ونهْيِهِ وخبرِه، وأنه لم يقل شيئاً من عند نفسِه فيقول هو من عند الله، ومن اعتقد ذلك فهو كافرٌ من حزب أبي جهلٍ والوليد بنِ المغيرة وملإهم، قال الله عز وجل: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَـٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾﴾ [الحاقة].

[القرآن ليس بمخلوق كما يقوله الزنادقة]

(ليس بمخلوق) كما يقول الزنادقة من الحلولية والاتحاديةِ والجهميةِ والمعتزلة وغيرِهم تعالى الله عز وجل عن أن يكون شيءٌ من صفاته مخلوقاً، قال الله عز وجل:

---

(١) البخاري (٦/ ١٨٥ رقم ٣٠٧٣) ومسلم (٣/ ١٤٦١ رقم ١٨٣١).

(٢) **وهو حديث صحيح من حديث جابر بن عبد الله.**

أخرجه أحمد (٣/ ٣٢٢، ٣٣٩) وأبو داود رقم (٤٧٣٤) والترمذي رقم (٢٩٢٥) وقال: حديث غريب. وابن ماجه رقم (٢٠١) والحاكم (٢/ ١١٣) وصححه على شرط مسلم، وابن حبان في صحيحه (رقم ١٦٨٦ ـ موارد).

وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦/ ٣٥) وقال: رواه أحمد ورجاله ثقات.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى: ٥٢]. وقال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]. وقال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]. فأخبر تعالى أن الخلقَ غيرُ الأمر وأن القرآنَ من أمره لا من خلقه.

وقال: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠]. فكن من كلامه الذي هو صفتُه ليس بمخلوق، والشيءُ المُراد المَقولُ له «كن» مخلوقٌ. وقال تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٥٩].

فعيسى وآدمُ مخلوقان بكن، و «كن» قولُ الله صفةٌ من صفاته، وليس الشيءُ المخلوقُ هو كن، ولكنه كان بقول اللّهِ له كن.

وقد انعقد إجماعُ سلفِ الأمةِ الذين قضوا بالحق وبه كانوا يعدِلون على تكفير من قال بخلق القرآن، وذلك لأنه لا إن يخلو قولُه من إحدى ثلاث: إما أن يقولَ إنه خلقه في ذاته، أو في غيره، أو منفصلاً مستقلاً وكلُ الثلاثِ كفرٌ صريحٌ.

لأنه إن قال خلقه في ذاته فقد جعل ذاتَه محلاً للمخلوقات، وإن قال إنه خلقه في غيره فهو كلامُ ذلك الغيرِ فيكون القرآنُ على هذا كلامَ كلِّ تالٍ له، وهذا قولُ الوليدِ بنِ المُغيرة فيما حكى اللّهُ عنه حيث قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِى وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾﴾ [المدثر]. الآيات.

وإن قال: إنه خلقه منفصلاً مستقلاً فهذا جحودٌ لوجوده مطلقاً، إذ لا يعقل ولا يتصور كلامٌ يقوم بذاته بدون متكلِّم، كما لا يُعقل سمعٌ بدون سميعٍ، ولا بصرٌ بدون بصيرٍ، ولا علمٌ بدون عالم، ولا إرادةٌ بدون مريدٍ، ولا حياةٌ بدون حي، إلى غير ذلك، تعالى الله عما يقول الظالمون والجاحدون علواً كبيراً.

فهذه الثلاثُ لا خروجَ لزنديق منها ولا جوابَ له عنها، فبُهت الذي كفر واللّهُ لا يهدي القومَ الظالمين، وقُطع دابرُ القوم الذين ظلموا، والحمد لله رب العالمين.

أصلُ القولِ بخلق القرآن

وأولُ ما اشتهرَ القولُ بخلق القرآنِ في آخر عصرِ التابعين لمّا ظهر جَهْمُ بنُ صفوانَ[1] شقيقُ إبليسَ لعنهما الله، وكان مُلحداً عنيداً وزنديقاً زائغاً مبتغياً غيرَ سبيلِ المؤمنين، لم يُثبت أن في السماء رباً، ولا يصف اللّهَ تعالى بشيء مما وصف به نفسَه، وينتهي قولُه إلى جحود الخالقِ عز وجل.

ترك الصلاة أربعين يوماً وهو يزعُم أنه يرتاد ديناً، ولما ناظره بعض السمنية[2] في معبوده قال قبَّحه الله: هو هذا الهواءُ في كل مكان، وافتتح مرةً سورةَ طه، فلما أتى على هذه الآية: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] قال: لو وجدتُ السبيل إلى حكّها لحكَكْتُها، ثم قرأ حتى أتى على آية أخرى فقال: ما كان أظرف محمداً حين قالها، ثم افتتح سورةَ القصص، فلما أتى على ذكر موسى جمع يديه ورجليه ثم رفع المصحفَ ثم قال: أيُ شيءٍ هذا؟ ذكَره ههنا فلم يُتمَّ ذِكْرَه، وذكَره ههنا فلم يُتمَّ ذِكْرَه.

وقد رُوي عنه غير هذا من الكُفريات، وهو أذلُ وأحقرُ من أن نشتغل بترجمتِه.

وقد يسَّر الله تعالى ذبحَه على يد سالم بنِ أحوزَ بأصبهانَ، وقيل بمَرْو، وهو يومئذ نائبُها رحمه الله تعالى وجزاه عن المسلمين خيراً.

---

(١) قال الذهبي في «ميزان الاعتدال» (١/٤٢٦ رقم ١٥٨٤): «جهم بن صفوان، أبو محرز السمرقندي الضال المبتدع، رأس الجهمية، هلك في زمان صغار التابعين، وما علمته روى شيئاً، لكنه زرع شراً عظيماً» اهـ.
وانظر: «المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد بن حنبل» (٢/٣٧٩ ـ ٣٨١). وانظر: «مقالات الإسلاميين» (ص ٦٢٦ ـ ٦٢٧).

(٢) السمنية: نسبة إلى سمني، وهم من القائلين بقدم العالم، وزعموا أن لا معلوم إلا من جهة الحواس الخمس، وأنكر أكثرهم المعاد والبعث، وقال بعضهم بتناسخ الأرواح في الصور المختلفة وقد علمهم زعيمهم يوداسف بأن قول: «لا» من عمل الشيطان وأن مذهبهم دفع الشيطان.
[«الفرق بين الفرق» (ص٢٥٣). ط١،ن: دار الآفاق الجديدة؛ الفهرست لابن النديم (ص٤٨٤)].

وقد تلقى هذا القولَ عن الجعد بنِ دِرْهم[1] لكنه لم يشتهر في أيام الجعْدِ كما اشتهر عن الجهم؛ فإن الجعدَ لما ظهر القولُ بخلق القرآن تطلّبه بنو أمية فهرب منهم فسكنَ الكوفةَ، فلقِيَه فيها الجهمُ بنُ صفوانَ فتقلد هذا القولَ عنه ولم يكن له كثيرُ أتباعٍ غيرُه، ثم يسَّر الله تعالى قتْلَ الجعدِ على يد خالدِ بنِ عبدِ الله القَسريِّ الأمير، قتله يومَ عيد الأضحى بالكوفة، وذلك لأن خالداً خطبَ الناسَ فقال في خطبتِه تلك: أيُها الناسُ ضَحُّوا تقبَّل الله ضحاياكم، فإني مُضحٌ بالجعْدِ بنِ درهم، إنه زعم أن اللّهَ لم يتخذْ إبراهيمَ خليلاً ولم يكلم موسى تكليماً، تعالى الله عما يقول الجعْدُ علواً كبيراً.

ثم نزل فذبحه في أصل المنبر. روى ذلك البخاريُّ في كتابه (خلقُ أفعالِ العباد)[2]، ورواه ابن أبي حاتم في كتاب السنة له وغيرُهما.

وهو مشهورٌ في كتب التواريخ[3]، وذلك سنةَ أربعٍ وعشرين ومائة.

وقد أخذ الجعدُ بدعتَه هذه عن بيان بنِ سمعانَ، وأخذها بيانٌ عن طالوتَ ابنِ أختِ لبيدِ بنِ الأعصمِ، وأخذها طالوتُ عن خاله لبيد بنِ الأعصم اليهوديِّ

---

(١) قال الذهبي في «الميزان» (١/ ٣٩٩ رقم ١٤٨٢): «الجعْد بن درهم، عدادُه في التابعين، مبتدع ضال، زعم أنَّ الله لم يتخِذْ إبراهيم خليلاً، ولم يكلم موسى؛ فقتل على ذلك بالعراق يوم النَّحْرِ، والقصةُ مشهورة» اهـ.
وزاد ابن حجر في «لسان الميزان» (٢/ ١٠٥): «وللجعد أخبار كثيرة في الزندقة.
منها: أنه جعل قارورة تراباً وماءً فاستحال دوداً وهوام، فقال: أنا خلقت هذا لأني كنت سبب كونه فبلغ ذلك جعفر بن محمد، فقال: ليقل كم هو - وكم الذكران منه والإناث - إن كان خلقه، وليأمر الذي يسعى إلى هذا أن يرجع إلى غيره فبلغه ذلك فرجع» اهـ.

(٢) رقم ٣.
قلت: وأخرجه البخاري في «التاريخ الكبير» (١/ ٦٤) والدارمي في «الرد على الجهمية» (ص ٧، ١١٣) وفي «الرد على المريسي» (ص١١٨)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (ص٢٥٤)، وفي «السنن الكبرى» (١٠/ ٢٠٥ - ٢٠٦) والآجري في «الشريعة» (ص٩٧، ٣٢٨).
وإسناده ضعيف لجهالة محمد بن حبيب.
وقال الألباني في تحقيقه لمختصر العلو: لكنه يتقوى بالذي بعده، فإن إسناده خير منه، ولعله لذلك جزم العلماء بهذه القصة.

(٣) مثل: «البداية والنهاية» للحافظ ابن كثير (٩/ ٣٦٤ - ٣٦٥).

الذي سحر النبيَّ ﷺ، وأنزل الله تعالى في ذلك سورةَ المعوذتين[1].

ثم تقلَّد هذا المذهبَ المخذولَ عن الجهم بشرُ بنُ غياث بن أبي كريمة المريسي[2] المتكلم، شيخُ المعتزلة وأحدُ من أضلَّ المأمونَ وجدّد القولَ بخلق القرآن، ويقال إن أباه كان يهودياً صبّاغاً بالكوفة وروي عنه أقوالٌ شنيعةٌ في الدين من التجهُّم وغيره. مات سنةَ ثماني عشرةَ ومائتين.

ثم تقلَّد عن بِشرٍ ذلك المذهبَ الملعونَ قاضي المحنةِ أحمدُ بنُ أبي داودَ[3]

---

(١) سيأتي تخريج حديث سحر النبي ﷺ.

(٢) قال الذهبي في «الميزان» (١/ ٣٢٢ ـ ٣٢٣): «بشر بن غياث المريسي. مبتدع ضال، لا ينبغي أن يُروى عنه ولا كرامة. تفقه على أبي يوسف فبرع وأتقن عِلمَ الكلام، ثم جرد القولَ بخلْقِ القرآن، وناظر عليه، ولم يدرك الجهْمَ بن صفوانَ، إنما أخذ مقالته، واحتج لها، ودعا إليها، وسمع من حماد بن سلمة وغيره.
وقال أبو النضر هاشم بن القاسم: كان والد بِشْر المَرِيسي يهودياً قصّاباً صباغاً في سويقة نصر بن مالك.
قلت: وقد كان بِشْر أُخذ في دولة الرشيد وأوذيَ لأجل مقالته.
قال أحمد بن حنبل: سمعتُ عبد الرحمٰن بن مهدي أيام صُنع ببشر ما صُنع يقول: مَنْ زعمَ أنَّ الله لم يكلم موسى يستتابُ، فإن تاب وإلاّ ضربت عنقه.
فقال المروزي: سمعت أبا عبد الله ذكر بشراً فقال: كان أبوه يهودياً، وكان بشْر يشغُب في مجلس أبي يوسف، فقال له أبو يوسف: لا تنتهي أو تُفسد خشبةً ـ يعني تصلب ـ.
وقال قتيبة بن سعيد: بِشْر المَرِيسي كافر.
وقال يزيد بن هارون: ألا أحدَ من فِتيانكم يفتِك به.
وقال البُوَيْطي: سمعتُ الشافعيَّ يقول: ناظرتُ المريسي في القرعة، فذكرت له فيها حديث عمران بن حصين، فقال: هذا قمار، فأتيتُ أبا البختريّ القاضي فحكيتُ له ذلك، فقال: يا أبا عبد الله، شاهد آخر وأصلبه.
مات سنة ثماني عشرة ومائتين.
قال الخطيب: حكي عنه أقوال شنيعة، أساء أهْلُ العلم قولهم فيه، وكفّره أكثرُهم لأجلها، وأسند من الحديث شيئاً يسيراً.
قال أبو زُرْعة الرازي: بِشْر المَرِيسي زنديق.
وقد سرد أبو الخطيب ترجمة بشر في ست ورقات، فلم أنشط لإيرادها بكمالها؛ وكان من أبناء سبعين سنة» اهـ.
قلت: وإذا رغبت في معرفة المزيد من ضلالاته فانظر: «تاريخ بغداد (٧/ ٥٦ ـ ٦٧ رقم ٣٥١٦).

(٣) قال الذهبي في «الميزان» (١/ ٩٧ رقم ٣٧٤):

وأعلن بمذهب الجهمية وحمل السلطانَ على امتحان الناسِ بالقول بخلق القرآنِ وعلى أن اللَّهَ لا يُرى في الآخرة، وكان بسببه ما كان على أهلِ الحديثِ والسنةِ من الحبس والضربِ والقتلِ وغيرِ ذلك.

وقد ابتلاه اللَّهُ تعالى بالفالج قبل موتِه بأربعِ سنينَ حتى أهلكه اللَّهُ تعالى سنةَ أربعين ومائتين.

ومن أراد الاطلاع على ذلك وتفاصيلِه فليقرأ كتبَ التواريخ يرى العجبَ.

ذكرُ ما قاله أئمةُ السنةِ في مسألة القرآن، وحُكمُ الجهمية

قال إمام أهلِ السنةِ أحمدُ بنُ حنبلٍ رحمه الله تعالى: (من قال القرآنُ مخلوقٌ فهو عندنا كافرٌ، لأن القرآنَ مِن علمِ اللَّهِ وفيه أسماءُ الله)(1).

وقال: (إذا قال الرجلُ: العلمُ مخلوقٌ فهو كافرٌ، لأنه يزعُم أنه لم يكن لله علمٌ حتى خلقه)(2).

وقال رحمه الله تعالى: (من قال القرآنُ مخلوقٌ فهو عندنا كافرٌ، لأن القرآنَ من علم الله، قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ٦١]. وقال تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة: ١٢٠].

وقال تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ١٤٥]. وقال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ﴾ [الأعراف: ٥٤].

= «أحمد بن أبي داود القاضي. جهمي بغيض، هلك سنة أربعين ومائتين قلَّ ما روى» اهـ.
وانظر ما قاله الحافظ ابن حجر في: «لسان الميزان» (١/ ١٧١).
وما قاله الحافظ الذهبي في: «سير أعلام النبلاء» (١١/ ١٦٩ ـ ١٧١ رقم ٧١).
وكذلك ما قاله الخطيب البغدادي في: «تاريخ بغداد» (٤/ ١٤١ ـ ١٥٦ رقم ١٨٢٥).

(١) ذكره عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/ ١٠٢ رقم ١).
(٢) ذكره عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/ ١٠٢ رقم ٢).

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ﴾ [هود: ١٧]. ـ قال أحمدُ: قال سعيدُ بنُ جبير: والأحزابُ المللُ كلُها ـ ﴿فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ﴾ [هود: ١٧].

وقال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ إِلَيْهِ أَدْعُواْ وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ﴾ [الرعد: ٣٦]. وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ﴾ [الرعد: ٣٧][١].

وقال رحمه الله تعالى: (من قال ذاك القولَ لا يُصلّى خلفه الجمعةُ ولا غيرُها، فإن صلى خلفه أعاد الصلاة). يعني من قال القرآنُ مخلوقٌ[٢].

وقال رحمه الله تعالى: (إذا كان القاضي جهمياً فلا تشهَدْ عنده)[٣].

وقال إبراهيمُ بنُ طَهمان[٤]: (الجهميةُ كفارٌ والقدريةُ كفارٌ)[٥]. وقال سليمانُ التيميُّ[٦] رحمه الله تعالى: (ليس قومٌ أشدَّ بغضاً للإسلام من الجهمية والقدَرية؛ فأما الجهميةُ فقد بارزوا الله، وأما القدريةُ فإنهم قالوا في الله)[٧].

وقال سلامُ بنُ أبي مطيع[٨]: (الجهميةُ كفارٌ لا يُصلّى خلفهم)[٩].

---

(١) ذكره عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/ ١٠٣ رقم ٣).

(٢) ذكره عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/ ١٠٣ رقم ٤).

(٣) ذكره عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/ ١٠٣ رقم ٦).

(٤) إبراهيم بن طهمان: أبو سعيد الهروي النيسابوري عالم خراسان ثقة تكلم فيه بالإرجاء، ويقال رجع عنه. مات سنة (١٦٣ هـ) وقيل غير ذلك [التقريب: ١/ ٣٦].
وانظر: ترجمته في: «سير أعلام النبلاء» (٧/ ٣٧٨) و«تذكرة الحفاظ» (١/ ٢١٣) و«الميزان» (١/ ٣٨).

(٥) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/ ١٠٣ ـ ١٠٤ رقم ٧) ورجاله ثقات إلا حماد بن قيراط فعامة ما يرويه فيه نظر.

(٦) هو سليمان بن طَرخان التيمي، أبو المعتمر البصري، نزل في التَّيم، فنسب إليهم، ثقة عابد، مات سنة ثلاث وأربعين، وهو ابن سبع وتسعين. [التقريب: ١/ ٣٢٦].
وانظر ترجمته في: «سير أعلام النبلاء» (٦/ ١٩٥) و«تذكرة الحفاظ» (١/ ١٥٠).

(٧) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/ ١٠٤ ـ ١٠٥ رقم ٨) بسند حسن.

(٨) سلام بن مطيع: أبو سعيد الخزاعي البصري، روى عنه زهير بن نعيم البابي، ثقة صاحب سنة مات سنة (١٦٤هـ) وقيل غير ذلك. [التقريب: ١/ ٣٢٤].
وانظر ترجمته في: «طبقات خليفة بن خياط» (ص٢٢٣) و«تهذيب التهذيب» (٤/ ٢٥٢ ـ ٢٥٣ رقم ٥٠٥).

(٩) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/ ١٠٥ رقم ٩) والدارمي في «الرد على=

وقال خارجةُ[1]: (الجهميةُ كفارٌ بلِّغوا نساءَهم أنهن طوالقُ وأنهن لا يَحلِلنَ لأزواجهن، لا تعودوا مرضاهم ولا تشهدوا جنائزهم. ثم تلا: ﴿طه ۝ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ۝ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ۝﴾ إلى قوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝﴾ [طه][2].

وقال مالكٌ رحمه الله: (من قال: القرآنُ مخلوقٌ يوجَع ضرباً ويُحبَس حتى يتوب)[3]. وقال سفيان الثوريُّ رحمه الله: (من زعم أن قولَ الله: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [النمل: ٩] مخلوقٌ فهو كافرٌ زنديقٌ حلالُ الدم)[4].

وقال أيضاً: (من قال إن: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝﴾ [الإخلاص]. مخلوقٌ فهو كافرٌ)[5].

وقال أبو يوسف القاضي[6]: صنفان ما على وجه الأرضِ شرٌّ منهما: الجهميةُ والمُقاتِلية)[7].

= الجهمية» (ص١١١) وأبو داود في «مسائل أحمد» (ص٢٦٨)، اللالكائي رقم (٥١٧) بسند رجاله ثقات.

(١) خارجة: هو ابن مصعب بن خارجة الضبعي الخراساني السرخسي روى عنه سعيد بن صخر الدارمي، متروك. وكان يدلس عن الكذابين وكذبه ابن معين.
مات سنة (١٦٨هـ) [التقريب: ١/ ٢١٠].
انظر ترجمته في: «التاريخ» لابن معين (٢/ ١٤٢) و«الميزان» (١/ ٦٢٥).

(٢) أخرج الأثر عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/ ١٠٥ ـ ١٠٦ رقم ١٠) وهو أثر ضعيف سنداً ومتناً.

(٣) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/ ١٠٦ ـ ١٠٧ رقم ١١) بسند رجاله ثقات.

(٤) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/ ١٠٧ رقم ١٢) في سنده مجهول وهو الشيخ البصري.
* وقد ثبت عن سفيان الثوري رحمه الله تكفير من قال بخلق القرآن كما ذكر ذلك اللالكائي في «شرح أصول السنة» (١/ ١٤٩، ٢٤٣) والذهبي في «العلو». انظر: مختصره (ص١٣٩).

(٥) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/ ١٠٧ ـ ١٠٨) رقم (١٣) بسند حسن.

(٦) هو يعقوب بن إبراهيم القاضي. قال فيه البخاري: تركوه، وقال عمرو الناقد كان صاحب سنة. وقال أبو حاتم: يكتب حديثه.
وعن ابن معين: ليس في أصحاب الرأي أكثر حديثاً ولا أثبت من أبي يوسف.
وقال ابن عدي: إذا روى عنه ثقة وروى هو عن ثقة فلا بأس به. [الميزان: (٤/ ٤٤٧)].
أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/ ١٠٨ رقم ١٤) بسند حسن.

(٧) أي مقاتل بن سليمان البلخي.

قلت: وأظنه يعني بالمقاتلية أتباع مقاتلِ بنِ سليمانَ البلْخي، فإنه رماه الإمامُ أبو حنيفةَ بالتشبيه، فإنه قال: أفرط جهمٌ في نفي التشبيه حتى قال إنه تعالى ليس بشيء، وأفرط مقاتلٌ في معنى الإثباتِ حتى جعله مثلَ خلقه، وتابع أبا حنيفةَ على ذلك جماعةٌ من أئمة الجرحِ والتعديل من أقرانه كأبي يوسفَ وغيرِه فمن بعدهم، حتى قال ابنُ حبان: كان[1] يأخذ من اليهود والنصارى من علم القرآنِ الذي يوافق كتبَهم، وكان يشبّه الربَّ بمخلوق، وكذبه وكيعٌ وغيرُه والله أعلم بحاله، قال وكيع: مات مقاتلُ بنُ سليمان سنة خمسين ومائة[2] اهـ.

وقال عبد الله بنُ المبارك: (الجهميةُ كفارٌ)[3]. وقال: (ليس تعبُد الجهميةُ شيئاً). وقال: (من قال القرآنُ مخلوقٌ فهو زنديقٌ[4])[5].

وقال: (إنا نستجيز أن نحكيَ كلامَ اليهودِ والنصارى ولا نستجيز أن نحكيَ كلامَ الجهمية)[6].

وقال سفيانُ بنُ عيينةَ: (القرآنُ كلامُ الله، من قال مخلوقٌ فهو كافر، ومن شك في كفره فهو كافرٌ)[7].

وقال: (من قال القرآنُ مخلوقٌ يحتاج أن يُصلبَ على ذُباب، يعني جبل)[8].

---

(١) انظر: «المجروحين» (٣/ ١٤) و«الميزان» (٤/ ١٧٣) و«التقريب» (٢/ ٢٧٢).

(٢) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/ ١٠٩ رقم ١٥).

(٣) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/ ١٠٩ رقم ١٧).

(٤) الزنديق: أصله فارسي معرب، والمشهور على ألسنة الناس أن الزنديق هو الذي لا يتمسك بشريعة، ويقول بدوام الدهر، والعرب تعبر عن هذا بقولهم: ملحد أي طاعن في الأديان.
وفي تهذيب اللغة: وزندقة الزنديق: أنه لا يؤمن بالآخرة ولا بوحدانية الخالق.
انظر: «لسان العرب» مادة زندق (١٠/ ١٤٧) المصباح المنير (١/ ٣٠٤) مادة الزاي مع النون وما يثلثهما.

(٥) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/ ١١١ رقم ٢١).

(٦) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/ ١١١ رقم ٢٣) والدارمي في «الرد على الجهمية» (ص٩) والبخاري في «خلق أفعال العباد» (ص١٠ رقم١١) بسند صحيح.

(٧) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/ ١١٢ رقم ٢٥) بسند حسن.

(٨) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/ ١١٢ رقم ٢٦).

وقال عبدُ الله بن إدريسَ[1] رحمه الله وقد سئل: (ما تقول في الجهمية يُصلى خلفَهم؟ فقال: أمسلمون هؤلاء، أمسلمون هؤلاء؟ لا ولا كرامة، لا يُصلّى خلفَهم)[2].

وقال له رجل: (يا أبا محمد إن قبْلنا ناساً يقولون القرآنُ مخلوقٌ، فقال مِن اليهود؟ قال: لا، قال: فمِن النصارى؟ قال: لا، قال: فمِن المجوس؟ قال: لا، قال: فمن؟ قال من الموحدين، قال: كذبوا ليس هؤلاء بموحّدين هؤلاء زنادقةٌ، هؤلاء زنادقةٌ)[3].

وقرأ ابن إدريس: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾. فقال: اللّهُ مخلوقٌ؟ والرحمنُ مخلوقٌ؟ والرحيمُ مخلوقٌ؟ هؤلاء زنادقة)[4].

(وسئل عن قوم يقولونَ القرآنُ مخلوقٌ، فاستشنع ذلك وقال: سبحان الله، شيءٌ منه مخلوقٌ؟)[5].

وقال وكيع: (فإني أستتيبه، فإن تاب وإلا قتلتُه)[6]. وقال: (من زعم أن القرآنَ مخلوقٌ فقد زعم أنه مُحدثٌ، ومن زعم أنه مُحدثٌ فقد كفر)[7].

---

(١) هو الإمام القدوة أبو محمد الأودي الكوفي أحد الأعلام، حدّث عنه مالك وابن المبارك وخلائق.
قال فيه أحمد بن حنبل: كان ابن إدريس نسيج وحده.
وقال أبو حاتم: هو إمام من أئمة المسلمين حجة. وقيل لم يكن بالكوفة أحد أعبد منه.
وقال النسائي: ثقة ثبت.
وقال ابن حبان في «الثقات»: كان صلباً في السنّة، ولد سنة (١١٠هـ) وتوفي سنة (١٩٢هـ).
انظر: «الجرح والتعديل» (٥/ ٨) و«تاريخ بغداد» (٩/ ٤١٥) و«تذكرة الحفاظ» (١/ ٢٨٢).

(٢) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/ ١١٣ رقم ٢٧) **بسند رجاله ثقات.**

(٣) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/ ١١٣ ـ ١١٤ رقم ٢٩ أ) **بسند رجاله ثقات.**

(٤) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/ ١١٤ رقم ٢٩ ب) والآجري في «الشريعة» (ص٧٨) **بسند فيه مجهول.**

(٥) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/ ١١٤ رقم ٣٠) **بسند حسن.**

(٦) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/ ١١٤ ـ ١١٥ رقم ٣١) **بسند حسن.**

(٧) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/ ١١٥ رقم ٣٢) **بسند صحيح.** =

(وقيل له: إن فلاناً يقول: إن القرآن محدثٌ، فقال سبحانَ الله، هذا الكفرُ.
قال السويدي: وسألتُ وكيعاً عن الصلاة خلفَ الجهمية، فقال: لا تصلّ خلفهم)(١).

وقال: (من زعم أن القرآنَ مخلوقٌ فقد زعم أنه مُحدثٌ، يستتاب فإن تاب وإلا ضُربت عنقه)(٢).

(وقال ابن زهيرُ ابن حربٍ: اختصمتُ أنا ومُثنى، فقال المثنى: القرآنُ مخلوقٌ، وقلتُ أنا: كلامُ الله؛ فقال وكيع وأنا أسمع: هذا كفرٌ، وقال: من قال: القرآنُ مخلوقٌ هذا كفرٌ. فقال مثنى: يا أبا سفيانَ، قال الله: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ [الأنبياء: ٢]. فأيش هذا؟ فقال وكيع: من قال القرآنُ مخلوقٌ هذا كفر)(٣).

وقال: (من قال القرآنُ مخلوقٌ فهو كافر)(٤). وقال رحمه الله: (القرآنُ كلامُ الله أنزله جبريلُ على محمدٍ ﷺ، كلُ صاحبِ هوىً يعرِف اللّهَ ويعرف من يعبُد، إلا الجهميةَ لا يدرون مَن يعبدون، بشرٌ المريسي وأصحابُه)(٥).

(وقيل لوكيع في ذبائح الجهمية، قال: لا تؤكل، هم مرتدون)(٦).

وقال: (من قال إن كلامَه ليس منه فقد كفر. وقال: من قال إن شيئاً مخلوقاً فقد كفر)(٧).

= وأخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» (ص٢٤٩) من طريق آخر واللالكائي في «أصول السنة» رقم (٤٣٤) من طريق آخر.
وورد تكفير وكيع للجهمية في «خلق أفعال العباد» للبخاري (ص١٥).

(١) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/ ١١٥ رقم ٣٣) بسند صحيح.

(٢) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/ ١١٥ رقم ٣٤).
وأخرجه اللالكائي رقم (٥٠٦) من طريق آخر.

(٣) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/١١٦ رقم ٣٥). وزهير بن حرب أبو خيثمة: ثقة ثبت روى عن وكيع ومات سنة (٢٣٤هـ). [التقريب: ١/ ٢٦٤].

(٤) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/١١٦ رقم ٣٦) في إسناده مجهول.
وأخرجه اللالكائي برقم (٤٣٣) من طريق عبد الله بن محمد البغوي عن وهب بن بقية الواسطي قال: سمعت وكيعاً.

(٥) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/١١٦ رقم ٣٧).

(٦) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/١١٧ رقم ٣٨).

(٧) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/١١٧ رقم ٣٩).

وقال فِطرُ بنُ حماد: (سألتُ معتمرَ بنَ سليمانَ فقلت: يا أبا محمد، إمامٌ لقوم يقول القرآنُ مخلوقٌ أصلّي خلفه؟ فقال: ينبغي أن تضرب عُنقَه.

قال فطر: وسألت حمادَ بنَ زيدٍ فقلت: يا أبا إسماعيلَ، إمامٌ لنا يقول القرآنُ مخلوقٌ أصلي خلفه؟ فقال: صلِّ خلف مسلمٍ أحبُّ إليّ.

وسألتُ يزيدَ بنَ زريع فقلت: يا أبا معاويةَ، إمامٌ لقومٍ يقول القرآنُ مخلوقٌ أصلي خلفه؟ قال: لا ولا كَرامة)[1].

وقال عبدُ الرحمن بنُ مهدي: (من زعم أن اللّهَ لم يكلم موسى يستتاب، فإن تاب وإلا ضُربت عنقُه)[2].

وقال مرة: (لا أرى أن أستتيبَ الجهمية)[3]. وقال رحمه الله: (لو كان لي من الأمر شيءٌ لقُمتُ على الجسر فلا يمر بي أحدٌ من الجهمية إلا سألتُه عن القرآن، فإن قال مخلوقٌ ضربتُ رأسَه ورميتُ به في الماء)[4].

وقال أبو بكر بنُ الأسودِ: (لو أن رجلاً جهمياً مات وأنا وارثُه ما استحللتُ أن آخُذَ من ميراثه)[5].

وقال أبو يوسفَ القاضي: (جيئوني بشاهدين يشهدان على المريسي، واللّهِ لأملأنّ ظهرَه وبطنَه بالسياط، يقول في القرآن، يعني مخلوقٌ)[6].

---

(١) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/ ١١٨ رقم ٤٢).

(٢) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/ ١١٩ - ١٢٠ رقم ٤٤) بسند صحيح.
وأخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» (ص ٢٤٩) واللالكائي رقم (٥٠٥) وأبو داود في «مسائل أحمد» (ص١٠٤).

(٣) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/ ١٢٠ رقم ٤٥).

(٤) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/ ١٢٠ رقم ٤٦) بسند رجاله ثقات.
وأخرجه أبو داود في مسائله (ص١٠٨)، والآجري في «الشريعة» (ص٨٠) واللالكائي رقم (٥٠٤).

(٥) أخرجه اللالكائي رقم (٥١٣) وعبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/ ١٢١ رقم ٤٧) بسند صحيح.
قلت: والقول لعبد الرحمٰن بن مهدي وليس لأبي بكر بن الأسود كما في «السنة».

(٦) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/ ١٢٢ - ١٢٣ رقم ٥٣) بسند حسن.

وقال يزيدُ بنُ هارونَ[1] وذكر الجهميةَ فقال: (هم واللَّهِ زنادقةٌ، عليهم لعنةُ الله)[2].

وقال رحمه الله: (واللَّهِ الذي لا إله إلا هو عالمُ الغيبِ والشهادةِ، من قال القرآنُ مخلوقٌ فهو زنديقٌ)[3]. (وسُئل عن الصلاةِ خلفهم قال: لا)[4]. وقال معاذ بن معاذ: (من قال القرآنُ مخلوقٌ فهو كافرٌ)[5].

وقال شبابةُ بنُ سوارٍ[6]: (اجتمع رأيي ورأي أبي النضرِ هاشمِ بن القاسمِ[7] وجماعةٍ من الفقهاء على أن المريسيَّ كافرٌ جاحد نرى أن يُستتاب، فإن تاب وإلا ضربت عنقُه)[8].

---

(١) يزيد بن هارون: شيخ الإسلام، الإمام القدوة أبو خالد السلمي الواسطي الحافظ.
ولد سنة (١١٨هـ) سمع من عاصم الأحول، وسليمان التيمي، وبهز بن حكيم، وغيرهم.
قال ابن المديني: ما رأيت أحفظ من يزيد بن هارون.
وقال أحمد: كان يزيد حافظاً متقناً.
وقال أبو حاتم: يزيد ثقة إمام لا يسأل عن مثله. مات سنة (٢٠٦هـ).
انظر: «سير أعلام النبلاء» (٩/ ٣٥٨).

(٢) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/ ١٢١ ـ ١٢٢ رقم ٤٩) بسند رجاله ثقات.
وأخرجه الآجري في «الشريعة» (ص ٨٠) من طريق عمر بن أيوب عن الحسن بن الصباح.

(٣) أخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» (ص٢٥٠) وعبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/ ١٢٢ رقم ٥٠) بسند حسن.

(٤) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/ ١٢٣ رقم ٥٥) بسند حسن.

(٥) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/ ١٢٣ رقم ٥٦) بسند حسن.

(٦) شبابة بن سوار: المدائني. ثقة حافظ. رمي بالإرجاء، قال أبو زرعة: رجع شبابة عن الإرجاء.
مات سنة (٢٠٦هـ) [التقريب: (١/ ٣٤٥)].
وانظر ترجمته في: «الجرح والتعديل» (٤/ ٣٩٢) و«تاريخ بغداد» (٩/ ٢٩٥) و«سير أعلام النبلاء» (٩/ ٥١٣).

(٧) هاشم بن القاسم الليثي، أبو النضر البغدادي. مشهور بكنيته: ثقة ثبت.
مات سنة (٢٠٧هـ). [التقريب: (٢/ ٣١٤)].
وانظر ترجمته في: «الجرح والتعديل» (٩/ ١٠٥) و«تاريخ بغداد» (١٤/ ٦٥).

(٨) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/ ١٢٤ رقم ٥٧) بسند صحيح.

وكان أبو تُوبةَ الحلبيُّ[1]، ونُعيم بنُ حماد[2]، وإبراهيمُ بنُ مَهديٍّ[3]: يكفِّرون الجهمية.

وقال بشرُ بنُ الحارث: (لا تجالسوهم ولا تكلموهم، وإن مرِضوا فلا تعودوهم، وإن ماتوا فلا تشهدوهم، كيف يرجِعون وأنتم تفعلون بهم هذا؟ قال: يعني الجهمية)[4].

وقال ابنُ أبي مريم[5]: (من زعم أن القرآن مخلوقٌ فهو كافر)[6]. وقال أبو الأسود النضرُ بنُ عبد الجبار[7]: (القرآنُ كلامُ الله، من زعم أنه مخلوقٌ فهو كافرٌ. هذا كلامُ الزنادقة)[8].

وقال عبادُ بنُ العوام[9]: (كلَّمتُ بشراً المريسيَّ وأصحابَه فرأيتُ آخِرَ كلامِهم ينتهي أن يقولوا: ليس في السماء شيءٌ)[10].

---

(١) أبو توبة الحلبي: هو الربيع بن نافع، نزيل طرسوس. ثقة حجة عابد. مات سنة (٢٤١هـ). [التقريب: (١/ ٢٤٦)].
* وأخرج أثر أبي توبة عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/ ١٢٥ رقم ٥٩).

(٢) نعيم بن حماد بن الحارث بن همام بن سلمة بن مالك الخزاعي، أبو عبد الله المروزي صدوق يخطئ كثيراً. فقيه عارف بالفرائض. مات سنة (٢٢٨هـ). [التقريب: (٢/ ٣٠٥)].
* وأخرج أثر أبي نعيم بن حماد. عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/ ١٢٥ رقم ٦٠أ).

(٣) إبراهيم بن مهدي المصيصي بغدادي صاحب حديث، مرابط وثقة أبو حاتم. مات سنة (٢٢٥هـ). انظر ترجمته في: «سير أعلام النبلاء» (١٠/ ٥٥٦).
* وأخرج أثر إبراهيم، عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/ ١٢٥ رقم ٦٠ب) بسند حسن.

(٤) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/ ١٢٥ - ١٢٦ رقم ٦١).

(٥) ابن أبي مريم: هو سعيد بن الحكم بن محمد بن سالم المعروف بابن أبي مريم الجمحي بالولاء المصري، ثقة ثبت. روى عنه محمد بن سهل بن عسكر وغيره. مات سنة (٢٢٤هـ). [التقريب: (١/ ٢٩٣)].
وانظر ترجمته في: «الجرح والتعديل» (٤/ ١٣) و«تهذيب الكمال» (١/ ٤٨٣).

(٦) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/ ١٢٦ رقم ٦٢) بسند رجاله ثقات.

(٧) النضر بن عبد الجبار بن نصير المرادي أبو الأسود المصري. مشهور بكنيته. ثقة. مات سنة (٢١٩هـ). [التقريب: (٢/ ٣٠٢)].
وانظر ترجمته في: «الجرح والتعديل» (٨/ ٤٨) و«سير أعلام النبلاء» (١٠/ ٥٦٧).

(٨) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/ ١٢٦ رقم ٦٤) بسند صحيح.

(٩) عباد بن العوام بن عمر الكلابي، أبو سهل الواسطي. ثقة. مات سنة (١٨٥هـ). [التقريب: (١/ ٣٩٣)].
وانظر ترجمته في: «تاريخ بغداد» (١١/ ١٠٤) و«سير أعلام النبلاء» (٨/ ٥١١).

(١٠) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/ ١٢٦ - ١٢٧ رقم ٦٥) بسند ضعيف.

وقال عمرُو بنُ الربيع بنِ طارقٍ[1]: (القرآنُ كلامُ الله من زعم أنه مخلوقٌ فهو كافر)[2].

وقال هارونُ أميرُ المؤمنين: (بلغني أن بشر المريسيَّ يزعُم أن القرآن مخلوقٌ، لله عليَّ إن أظفرني اللّهُ به إلا قتلتُه قِتلةً ما قتلتُها أحداً قط)[3].

وقال هارونُ بنُ معروف[4]: (من قال القرآنُ مخلوقٌ فهو يعبُد صنماً)[5].

وقال يحيى بنُ معينٍ رحمه الله: (من قال القرآنُ مخلوقٌ فهو كافر)[6].

وقال رجلٌ لِهُشيم[7]: (إن فلاناً يقول: القرآنُ مخلوقٌ. فقال: اذهب إليه [illegible] أولَ الحديد وآخرَ الحشر، فإن زعم أنهما مخلوقان فاضرب عنقه. وقال

وقال إسحاقُ بنُ البهلولِ[1] لأنسِ بنِ عياض أبي ضَمْرة[2]: (أصلّي خلف الجهمية؟ قال: لا، ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥][3].

وسُئِل عيسى بنُ يونسَ[4] رحمه الله عمن يقول: القرآنُ مخلوقٌ، فقال: كافر، أو كفرٌ. فقيل له: تُكفّرهم في هذه الكلمة؟ قال: إن هذا من أيسرِ أو أحسنِ ما يُظهرون[5].

(وكان يحيى بنُ معينٍ رحمه الله يعيد صلاةَ الجمعةِ مذ أظهر عبدُ الله بنُ هارون المأمونُ ما أظهر. يعني القولَ بخلق القرآن)[6].

وقال الحسينُ بنُ إبراهيمَ بنِ إشْكابَ[7]، وعاصمُ بنُ عليِّ بنِ عاصمٍ[8]، وهارونُ الفروي[9]، ....

---

(١) إسحاق بن بهلول بن حسان الأنباري. صدوق. مات سنة (٢٥٢هـ).
انظر ترجمته في: «الجرح والتعديل» (٢/ ٢١٤) و«تاريخ بغداد» (٦/ ٣٦٦) و«سير أعلام النبلاء» (١٢/ ٤٨٩).

(٢) أنس بن عياض بن ضمرة الليثي أبو حمزة المدني. ثقة. حدث عنه إسحاق بن بهلول. مات سنة (٢٠٠هـ). [التقريب: ١/ ٨٤]. و«تذكرة الحفاظ (١/ ٣٢٣).

(٣) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/ ١٢٩ رقم ٧٢) بسند حسن.

(٤) عيسى بن يونس بن إسحاق السبيعي. ثقة. مأمون. مات سنة (١٨٧هـ).
«التقريب»: (٢/ ١٠٣) و«تهذيب الكمال» (٢/ ١٠٨٦).

(٥) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/ ١٣٠ رقم ٧٤).

(٦) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/ ١٣٠ رقم ٧٦) بسند رجاله ثقات.

(٧) الحسن بن إبراهيم بن إشكاب. ثقة. روى عنه ابن محمد. مات سنة (٢١٦هـ). [التقريب: (١/ ١٧٣)].
* والأثر أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/ ١٣٢ رقم ٨١) بسند حسن.

(٨) عاصم بن علي بن عاصم بن صهيب الواسطي أبو الحسن صدوق ربما وهم. مات سنة (٢٢١هـ). [التقريب: (١/ ٣٨٤)].
وانظر ترجمته في: «الجرح والتعديل» (٦/ ٣٤٨) و«تاريخ بغداد» (١٢/ ٢٤٧) و«سير أعلام النبلاء» (٩/ ٢٦٢) و«تذكرة الحفاظ» (١/ ٣٩٧).
* والأثر أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/ ١٣٢ ـ ١٣٣ رقم ٨٢أ).
وهو أثر حسن لغيره.

(٩) هارون الفروي بن موسى المدني، لا بأس به. مات سنة (٢٥٣هـ). [التقريب: (٢/ ٣١٣)].
وانظر ترجمته في: «تهذيب الكمال» (٣٠/ ١١٣).
* والأثر أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/ ١٣٣ رقم ٨٢ب). بسند حسن.

وعبد الوهاب الورّاقُ[1]، وسفيانُ بنُ وكيعٍ[2]: (القرآنُ كلامُ اللّهِ وليس بمخلوق).

وسُئل جعفرُ بنُ محمد رحمه الله عن القرآن فقال: (ليس بخالق ولا مخلوق، ولكنه كلامُ الله)[3].

وروى عن أبيه عليِّ بنِ الحسين: (أنه قال في القرآن: ليس بخالق ولا مخلوق. ولكنه كلامُ الله)[4]. وقال الزهري: (سألتُ عليَّ بنَ الحسينِ عن القرآن فقال: كتابُ اللّهِ وكلامُه)[5].

وعن إبراهيمَ بنِ سعدٍ[6]، وسعيدِ بنِ عبد الرحمن الجُمحيِّ[7]، ووهبِ بنِ جريرٍ[8]، وأبي النضر هاشمِ بنِ القاسمِ[9]، ....

---

(١) عبد الوهاب بن الحكم الوراق: أبو الحسن. ثقة. مات سنة (٢٥١هـ). [التقريب: (١/ ٥٢٨)]. وانظر ترجمته في: «تاريخ بغداد» (١١/ ٢٥).
* والأثر أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/ ١٣٣ رقم ٨٣) بسند رجاله ثقات.

(٢) سفيان بن وكيع بن الجراح، أبو محمد الكوفي، صدوق إلا أنه ابتلي بورّاقه فأدخل عليه ما ليس من حديثه، فنصح فلم يقبل فسقط حديثه. مات سنة (٢٤٧هـ). [التقريب: (١/ ٣١٢)]. انظر ترجمته في: «الميزان» (٢/ ١٧٣).
* والأثر أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/ ١٣٣ رقم ٨٤أ) بسند ضعيف.

(٣) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/ ١٥٢ رقم ١٣٤) بسند حسن.
وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: وقد استفاض هذا القول عن جعفر بن محمد.
انظر: «منهاج السنة النبوية» (٢/ ١٨١) تحقيق رشاد سالم. و«مختصر العلو» (ص١٤٨).

(٤) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/ ١٥٢ ـ ١٥٣ رقم ١٣٥) واللالكائي رقم (٣٨٨).

(٥) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/ ١٥٣ رقم ١٣٦) واللالكائي رقم (٣٨٩).

(٦) إبراهيم بن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمٰن بن عوف الزهري. أبو إسحاق. ثقة. حجة. تكلم فيه بلا قادح. روى عنه الإمام أحمد.
مات سنة (١٨٥هـ). [التقريب: (١/ ٣٥)].
انظر ترجمته: في «الجرح والتعديل» (٢/ ١٠١) و«الميزان» (١/ ٣٣).

(٧) سعيد بن عبد الرحمٰن الجمحي، قاضي بغداد. صدوق له أوهام. مات سنة (١٧٦هـ). [التقريب: (١/ ٣٠٠)].
وانظر ترجمته في: «تهذيب الكمال»: (١/ ٤٩٦).

(٨) وهب بن جرير بن حازم الأزدي البصري. ثقة. روى عنه أحمد بن حنبل وغيره. مات سنة (٢٠٦هـ). [التقريب: (٢/ ٣٣٩)].
وانظر ترجمته في: «الجرح والتعديل»: (٩/ ٢٨) و«سير أعلام النبلاء» (٩/ ٤٤٢).

(٩) تقدم التعريف به قريباً.

وسليمان بنِ حربٍ[1] قالوا: (القرآنُ كلامُ الله ليس بمخلوق)[2].

وقال سفيانُ بنُ عُيينةَ: (لا نُحسن غير هذا، القرآنُ كلامُ الله: ﴿فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]، ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾[3] [الفتح: ١٥].

وقال الإمامُ مالكُ بنُ أنسٍ وجماعةٌ من العلماء بالمدينة وذكروا القرآن فقالوا: (كلامُ الله وهو منه، وليس من الله شيءٌ مخلوقٌ)[4].

وقال حماد بنُ زيدٍ رحمه الله: (القرآنُ كلامُ الله أنزله جبريلُ من عند رب العالمين)[5].

وقال أبو بكرٍ بنُ عياشٍ: (من زعم أن القرآنَ مخلوقٌ فقد افترى على الله)[6].
وقال وكيع: (القرآنُ من الله، منه خرج وإليه يعود)[7].

وقال يحيى بنُ سعيدٍ: (كيف يصنعون بقل هو الله أحدٌ)، كيف يصنعون بهذه الآية: ﴿إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ﴾ [القصص: ٣٠]، يكون مخلوقاً[8].

وقال وهبُ بنُ جريرٍ[9]، ومحمدُ بنُ يزيدَ الواسطيُّ[10] وابنُ أبي

---

(١) سليمان بن حرب بن بجيل الأزدي. ثقة إمام حافظ. روى عن حماد بن يزيد. مات سنة (٢٢٤هـ). [التقريب: (١/ ٣٢٢)].
وانظر ترجمته في: «سير أعلام النبلاء» (١٠/ ٣٣٠).

(٢) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/ ١٥٤ رقم ١٣٨).

(٣) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/ ١٥٥ رقم ١٤١) بسند رجاله ثقات.

(٤) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/ ١٥٦ رقم ١٤٥) بسند رجاله ثقات إلا أحمد بن محمد العمري فلم أعرفه. قاله الألباني في «مختصر العلو» (ص١٤٢).

(٥) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/ ١٥٦ رقم ١٤٦) بسند فيه مجهول.

(٦) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/ ١٥٧ رقم ١٤٨).

(٧) أخرج عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/ ١٥٨ رقم ١٥٣) بسند فيه مجهول.

(٨) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/ ١٥٩ رقم ١٥٧) بسند صحيح.

(٩) تقدم التعريف به قريباً.
* والأثر أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/ ١٥٩ رقم ١٥٨).

(١٠) محمد بن يزيد الواسطي الكلاعي شامي الأصل. ثقة. عابد. مات سنة (١٩٠هـ) أو قبلها [التقريب: «٢/ ٢١٩»].
* والأثر أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/ ١٥٩ رقم ١٦٠) بسند فيه مجهول.

إدريسَ[1]، وأبو بكر بنُ أبي شيبةَ[2]، وأخوه عثمانُ بنُ أبي شيبةَ[3]، وأبو عمرُو الشيبانيُّ[4] ويحيى بنُ أيوبَ[5]، وأبو الوليدَ[6]، وحجّاجٌ الأنماطيُّ[7]، ويحيى بنُ معينٍ، وأبو خيثمةَ[8]، وإسحاقُ ابنُ أبي إسرائيلَ[9]، وأبو معمرٍ[10]: (القرآنُ كلامُ الله ليس بمخلوق).

---

(١) أخرج أثره عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/ ١٦٠ رقم ١٦١) بسند صحيح.

(٢) أخرج أثره عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/ ١٦٠ رقم ١٦٢).

(٣) عثمان بن أبي شيبة: هو عثمان بن محمد بن إبراهيم بن عثمان العبسي أبو الحسن بن أبي شيبة الكوفي. ثقة. حافظ شهير. روى عن جرير بن عبد الحميد، وعنه عبد الله بن أحمد. مات سنة (٢٣٩هـ). [التقريب: (٢/ ١٣)].
وانظر ترجمته في: «الجرح والتعديل» (٦/ ١٦٦) و«تاريخ بغداد» (١١/ ٢٨٣) و«سير أعلام النبلاء» (١١/ ١٥١) و«تذكرة الحفاظ» (٢/ ٤٤٤) و«شذرات الذهب» (٢/ ٩٢).
* والأثر أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/ ١٦٠ رقم ١٦٣).

(٤) أبو عمرو الشيباني النحوي الكوفي. نزيل بغداد اسمه: إسحاق بن مرار. صدوق. مات سنة (٢٠٦هـ). [التقريب: (٢/ ٤٥٥)].

(٥) يحيى بن أيوب أبو زكريا المَقَابري - بفتح الميم والقاف ثم موحدة مكسورة - البغدادي العابد. ثقة. روى عنه الصاغاني، وعبد الله بن أحمد. مات سنة (٢٣٤هـ). [التقريب: (٢/ ٣٤٣)].
وانظر ترجمته في: «سير أعلام النبلاء» (١١/ ٣٨٦) و«تهذيب الكمال» (٣/ ١٤٩).
* والأثر أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/ ١٦١ رقم ١٦٦) بسند رجاله ثقات.

(٦) أخرج أثره عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/ ١٦١ رقم ١٧٠).

(٧) حجاج بن المنهال الأنماطي السلمي. وثقه أحمد وأبو حاتم والعجلي والنسائي وغيرهم. مات سنة (٢١٧هـ). وكان صاحب سنة (تهذيب التهذيب): (٢/ ١٨٢).
* والأثر أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/ ١٦٢ رقم ١٧١).

(٨) أثر يحيى بن معين، وأبي خيثمة أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/ ١٦٢ رقم ١٧٣) بسند رجاله ثقات.

(٩) إسحاق بن أبي إسرائيل: أبو يعقوب المروزي: صدوق تكلم فيه لوقفه في القرآن. مات سنة (٢٤٥هـ). [التقريب: (١/ ٥٥)].
وانظر ترجمته في: «الميزان» (١/ ١٨٢) و«سير أعلام النبلاء» (١١/ ٤٧٦).
* والأثر أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/ ١٦٢ رقم ١٧٤) بسند صحيح.
قلت: وترجمته تخالف ما أورده عبد الله ابن الإمام أحمد، فلعل هذه الرواية كانت في آخر أيام إسحاق بن أبي إسرائيل، والله أعلم.

(١٠) أبو معمر: اسمه إسماعيل بن إبراهيم بن معمر الهلالي. ثقة مأمون. روى عن أبي سفيان=

(وقال أبو عمْرِو الشيباني لإسماعيلَ بنِ حماد بنِ أبي حنيفةَ ـ وقال القرآنُ مخلوقٌ ـ فقال الشيباني: خلقه قبل أن يتكلمَ به أو بعد ما تكلم به؟ قال: فسكت)[1].

وقال حسنُ بنُ موسى الأشيبُ[2]: (أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]. فقال حسنٌ: مخلوقٌ هذا؟)[3].

وقال محمدُ بنُ سليمان لُوَينٌ[4]: (القرآنُ كلامُ الله غيرُ مخلوق، ما رأيتُ أحداً يقول القرآنُ مخلوقٌ، أعوذ بالله)[5] اهـ. من كتاب السنة[6].

وقال الشافعي رحمه الله تعالى في وصيته: (القرآنُ كلامُ الله غيرُ مخلوق)[7].

وقال عفانُ بنُ مسلم: (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [الفتح: ١٥]. ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥، آل عمران: ٢].

= المعمري، وعنه عبد الله بن أحمد. مات سنة (٢٣٦ هـ). [التقريب: (١/ ٦٥)].
انظر ترجمته في: «الجرح والتعديل» (٢/ ١٥٧) و«تاريخ بغداد» (٦/ ٢٦٦) و«تهذيب الكمال» (١/ ٩٥) و«سير أعلام النبلاء» (١١/ ٦٩).
* والأثر أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/ ١٦٣ رقم ١٧٥) بسند صحيح.

(١) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/ ١٦٠ رقم ١٦٥) بسند فيه مجهول.

(٢) حسن بن موسى الأشيب. أبو علي البغدادي. ثقة. روى عنه محمد بن إسحاق الصاغاني. مات سنة (٢٠٩هـ) وقيل (٢١٠هـ). [التقريب: (١/ ١٧١)].
وانظر ترجمته في: «تهذيب الكمال» (١/ ٢٨٠).

(٣) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/ ١٦١ رقم ١٦٧) بسند صحيح.

(٤) محمد بن سليمان بن حبيب الأسدي الكوفي. لقبه: لوين بالتصغير. ثقة. روى عن ابن عيينة. وعنه عبد الله بن أحمد.
مات سنة (٢٤٥ هـ) وقيل غير ذلك. [التقريب: (٢/ ١٦٦)].
وانظر ترجمته في: «سير أعلام النبلاء» (١١/ ٥٠٠) و«تاريخ بغداد» (٥/ ٢٩٢) و«الجرح والتعديل» (٧/ ٢٦٨).

(٥) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/ ١٦١ رقم ١٦٨) بسند صحيح.

(٦) الإمام أبي عبد الرحمٰن، عبد الله ابن إمام أهل السنة أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني. تحقيق ودراسة الدكتور محمد بن سعيد بن سالم القحطاني. ط: دار ابن القيم.

(٧) أخرجه الذهبي في «العلو» (ص ١٢٠) بإسناده واه.

﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١]. أمخلوقٌ هذا؟، أدركتُ شعبةَ وحمادَ بنَ سلمةَ وأصحابَ الحسن يقولون: القرآنُ كلامُ الله ليس مخلوقاً)[١].

وقال يحيى بن يحيى[٢]: (من زعم أن من القرآنَ من أوله إلى آخره آيةً مخلوقةً فهو كافرٌ)[٣].

وقال هشام بنُ عبيد الله[٤]: (القرآنُ كلامُ الله غير مخلوق. فقال له رجل: أليس الله تعالى يقول: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ [الأنبياء: ٢]. ؟ فقال: مُحدثٌ إلينا، وليس عند الله بمُحْدث)[٥].

وقال إسحاقُ بنُ إبراهيمَ الحنظليُّ[٦] رحمه الله: (ليس بين أهل العلمِ اختلافٌ أن القرآنَ كلامُ الله ليس بمخلوق، فكيف يكون شيءٌ خرج من الرب عز وجل مخلوقاً)[٧].

وقال أبو جعفر النفيليُّ[٨]: (من قال إن القرآن مخلوقٌ فهو كافر، فقيل له يا أبا جعفرِ الكفرُ كفران: كفرُ نعمةٍ وكفرٌ بالرب عز وجل؟ قال: بل كفرٌ بالرب عز

---

(١) أخرجه الذهبي في «العلو» (ص١٢٢). والخطيب في ترجمة عفان من «تاريخه» (١٢/ ٢٧٠ ـ ٢٧١) من طريق حنبل بن إسحاق عن عفان به. دون قوله: «أدركت شعبة... ليس مخلوقاً..» وسنده قوي. «مختصر العلو» (ص١٧٩).

(٢) يحيى بن يحيى النيسابوري عالم المشرق. كان إليه المنتهى في الإتقان والورع والجلالة بنيسابور، قلَّ أن ترى العيون مثله، حمل عن مالك وخارجة بن مصعب والكبار.
ومات سنة (٢٢٦هـ). «العلو» (ص١٢٣).

(٣) أخرجه ابن منده كما في «العلو» (ص١٢٣).

(٤) هشام بن عبيد الله الرازي. عالم الري. كان من أئمة الفقه على مذهب أبي حنيفة، تفقه على محمد بن الحسن، كان ذا جلالة عجيبة وحرمة عظيمة ببلده.
توفي سنة (٢٢١هـ). «العلو» (ص١٢٣).

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم كما في «العلو» (ص١٢٤).

(٦) كان إسحاق بن إبراهيم الحنظلي من كبار أئمة الاجتهاد ومن أعلام الحفاظ. توفي سنة (٢٣٣هـ) عن بضع وسبعين سنة. ولم يخلف بخراسان مثله. «العلو» (ص١٣٢).

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم كما في «العلو» (ص١٣٢). بإسناد صحيح.

(٨) أبو جعفر النفيليّ: عالم أهل الجزيرة. كان من أركان الدين، وكان ينظر بأحمد بن حنبل بحيث أن أبا داود السجستاني يقول: ما رأيت أحفظ من النفيليُّ.
مات سنة (٢٣٤هـ) عن سن عالية. «العلو» (ص١٣٣).

وجل، ما تقول فيمن يقول: ﴿ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾ [الإخلاص] مخلوقٌ. أليس كافراً هو؟)[1].

وقال عبدُ الله بنُ محمدٍ العيشيُّ: (يستحيل في صفة الحكيم أن يخلُقَ كلاماً يدعي الربوبية، يعني قولَه تعالى: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ﴾ [طه: ١٤]، وقولَه: ﴿أَنَا۠ رَبُّكَ﴾ [طه: ١٢])[2].

قلت: والمعتزلةُ يقولون إن كلامَ الله لموسى خلقه في الشجرة، فعلى هذا تكون الشجرةُ هي القائلة: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي﴾ [طه: ١٤]، قبحهم الله في الدنيا والآخرة.

وقال محمدُ بنُ يحيى الذُهليُّ: (الإيمانُ قولٌ وعملٌ، يزيد وينقص، والقرآنُ كلامُ الله غيرُ مخلوق بجميع صفاتِه وحيث تصرّف)[3].

وأما كلامُ البخاريِّ رحمه الله تعالى ومتانتُه في هذه المسألةِ فأشهرُ من أن يحتاج إلى تعريف، وله في ذلك (كتاب خلق أفعال العباد)[4]، وقد بوّب في صحيحه على جملة وافية تدل على غزارة علمِه وجلالةِ شأنِه[5].

وقال أبو حاتم وأبو زُرعةَ: (أدركنا العلماءَ في جميع الأمصار فكان من

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم كما في «العلو». (ص١٣٣). بسند صحيح.
(٢) أخرجه الذهبي في «العلو» (ص١٣٤).
(٣) أخرجه الذهبي في «العلو» (ص١٣٦).
(٤) وهو مطبوع.
(٥) مثل: ١٧ ـ باب قوله تعالى ﴿ولتصنع على عيني﴾ [طه: ٣٩]. تغذى. وقوله جلَّ ذكره: ﴿تجري بأعيننا﴾ [القمر: ١٤]. «فتح الباري» (١٣/ ٣٨٩).
١٩ ـ باب قولِ الله تعالى: ﴿لما خلقت بيدي﴾ [ص: ٧٥]. «فتح الباري» (١٣/ ٣٩٢).
٢٤ ـ باب قولِ الله تعالى: ﴿وجوه يومئذ ناضرة * إلى ربها ناظرة﴾ [القيامة: (٢٢ ـ ٢٣)]. «فتح الباري» (١٣/ ٤١٩).
٣٣ ـ باب كلام الربِّ مع جبريل ونداء الله الملائكة. «فتح الباري» (١٣/ ٤٦٠).
٣٦ ـ باب كلام الربِّ عز وجل يوم القيامةِ مع الأنبياء وغيرهم. «فتح الباري» (١٣/ ٤٧٣).
٣٧ ـ باب ما جاء في قوله عز وجلَّ: ﴿وكلَّم الله موسى تكليماً﴾ [النساء: ١٦٤] «فتح الباري» (١٣/ ٤٧٧).
٣٨ ـ باب كلام الرب مع أهلِ الجنةِ. «فتح الباري» (١٣/ ٤٨٧). وغيرها كثير...

مذاهبهم أن الإيمانَ قولٌ وعملٌ، يزيد وينقص، والقرآنُ كلامُ الله غيرُ مخلوقٍ بجميع جهاتِه، والقدَرُ خيرُه وشرُه من الله تعالى، وأن الله تعالى على عرشه بائنٌ من خلقه كما وصف نفسَه في كتابه وعلى لسان رسولِه بلا كيف، أحاط بكل شيءٍ علماً، ليس كمثله شيء وهو السميعُ البصيرُ)[1].

وقال محمدُ بنُ أسلمَ الطوسيُّ: (القرآنُ كلامُ اللَّهِ غيرُ مخلوقٍ أينما تُلي وحيثما كُتب لا يتغير ولا يتحول ولا يتبدل)[2] اهـ. من العلو للذهبي[3].

وقال إمامُ الأئمةِ محمدُ بنُ إسحاقَ بنُ خزيمةَ رحمه الله تعالى في كتاب

---

(١) قال الألباني في «مختصر العلو» (ص٢٠٤ ـ ٢٠٥): «هذا صحيح ثابت عن أبي زرعة وأبي حاتم رحمة الله عليهما. فقد ساقه المصنف ـ الذهبي في «العلو» (ص١٣٧ ـ ١٣٨) ـ بأسانيد ثلاثة عن عبد الرحمٰن بن أبي حاتم رحمه الله.
أحدها من طريق هبة الله بن الحسن اللالكائي، وهذا أخرجه في كتابه العظيم: «شرح أصول السنة» قال: (١/٤٧/١): أخبرنا محمد بن المظفر المقرىء قال: حدثنا الحسين محمد بن حبش المقري. قال: حدثنا أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم.
قلت: وهذا إسناد جيد، محمد بن مظفر هو ابن علي بن حرب أبو بكر المقري الدنيوري، قال الخطيب: (٣/ ٢٦٥): «سكن بغداد، وحدث بها عن أبي إسحاق المزكى النيسابوري و... وأبي علي بن حسن الدينوري، كتبنا عنه، وكان شيخاً صالحاً فاضلاً صدوقاً، مات سنة خمس عشر وأربعمائة».
والحسين بن محمد بن حبش المقري. هو أبو علي الدينوري صاحب موسى بن جرير الرقي، أورده ابن العماد في وفيات سنة (٣٧٣هـ) ولم يزدا!
والظاهر من ترجمة ابن المظفر في «تاريخ بغداد» المتقدمة، أنه ورد بغداد وإن لم يكن من مواليدها لتحديث ابن المظفر عنه بها.
ومع ذلك لم يترجم له الخطيب فيه. والله أعلم.
ولكنه لم يتفرد به، فقد تابعه عند المصنف علي بن عبد العزيز وهو البغوي وهو ثقة ثبت، وعلي بن مردك ولم أعرفه.
ورسالة ابن أبي حاتم هذه محفوظة في «المجموع» (١١) في «الظاهرية» في آخر كتاب «زهد الثمانية من التابعين» من الطريقين الأخيرين عنه، وفيه أن ابن مردك بردعي. والله أعلم» اهـ.

(٢) أخرجه الذهبي في «العلو» (ص١٤٠) بإسناد لا بأس به.

(٣) «العلو للعلي الغفار في صحيح الأخبار وسقيمها» للإمام الحافظ الذهبي. قدم له وصححه وراجع أصوله: عبد الرحمٰن محمد عثمان. ط٢. ن: محمد عبد المحسن. صاحب المكتبة السلفية بالمدينة المنورة.

التوحيد بعد تبويبه على تكليم الله موسى عليه السلام وتكلُم اللّهِ بالوحي، وصفةِ نزول الوحي وتكليم الله عبادَه يوم القيامة وتقريرِ البحث في ذَلك، ثم قال: (بابُ: ذكرُ البيان من كتاب ربِّنا المنزل على نبيه المصطفى ﷺ، ومن سنة نبينا محمدٍ ﷺ على الفرق بين كلامِ الله عز وجل الذي يكون به خلقُه، وبين خلقه الذي يكون بكلامه وقولِه، والدليلُ على نبذ قولِ الجهمية الذين يزعمُون أن كلامَ الله تعالى مخلوقٌ، جلّ ربُنا وعزَ عن ذلك)[1].

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤].

ففرّق اللّهُ تعالى بين الخلقِ والأمرِ الذي به يخلق الخلقَ بواو الاستئناف، وأعلمنا اللّهُ ـ جل وعلا ـ في مُحكم تنزيله أنه يخلق الخلقَ بكلامه، وقوله: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠].

فأعلمنا جل وعلا أنه يكون كلُ مَكُونٍ من خلقه بقوله كن فيكون، وقوله: «كن» هو كلامُه الذي به يكون الخلقُ، وكلامُه ـ عز وجل ـ الذي به يكون الخلقُ غيرُ الخلقِ الذي يكون مَكُوناً بكلامه، فافهم ولا تغلَطْ ولا تُغالط، ومن عقل عن الله خِطابَه علم أن الله سبحانه لما أعلم عبادَه المؤمنين أنه يكون الشيءُ بقوله: «كن» أن القولَ الذي هو كن غيرُ المَكُونِ بـ كن المقولِ له كن، وعقَل عن الله أن قوله «كن» لو كان خلقاً ـ على ما زعمت الجهميةُ المفتريةُ على الله ـ أنه إنما يخلُق الخلقَ ويكونه بخلقٍ لو كان قولُه: «كن» خلقاً.

فيقال لهم: يا جهلةُ، فالقولُ الذي يكون به الخلق على زعمكم لو كان خلقاً بمَ يكونه؟ أليس قولُ مقالتِكم التي تزعمون أن قولَه: «كن» إنما يخلُقه بقول قبله وهو عندكم خلقُه، وذلك القولُ يخلُقه بقول قبله وهو خلقٌ حتى يصير إلى ما لا غايةَ له ولا عددَ ولا أول.

وفي هذا إبطالُ تكوينِ الخلقِ وإنشاءِ البريةِ وإحداثِ ما لم يكن قبلُ،

---

(١) الباب رقم (٤١) من كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل لأبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة. دراسة وتحقيق الدكتور: عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان (١/ ٣٩٠).

بحدث اللّهِ الشيءَ ونشئِه، وهذا قولٌ لا يتوهمه ذو لبٍ لو تفكّر فيه ووُفِّقَ لإدراك الصوابِ والرشاد، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ﴾ [الأعراف: ٥٤].

فهل يتوهم مسلمٌ أن الله تعالى سخر الشمسَ والقمرَ والنجومَ مسخراتٍ بخلقه؟ أليس مفهوماً ـ عند من يعقِل عن الله خطابَه ـ أن الأمرَ الذي سخر به غيرُ المسخَّرِ بالأمر، وأن القولَ غيرُ المقولِ له؟، فتفهموا ـ يا ذوي الحِجا ـ عن الله خطابَه، وعن النبي المصطفى ﷺ بيانَه، لا تصُدوا عن سواء السبيلِ فتضِلوا كما ضلَّت الجهميةُ عليهم لعائنُ الله.

فاسمعوا الآن الدليلَ الواضحَ البيّنَ غيرَ المُشكلِ من سنة النبيِّ ﷺ ـ بنقل العدْل عن العدْل موصولاً إليه ـ على فرق بين خلقِ الله وبين كلامِ الله تعالى)[1].

ثـم ساق الأحـاديثَ فـي ذكـر كـلـماتِ اللّـهِ تعـالـى[2] إلـى حـديـث: «أعـوذ بكلمات اللّهِ التاماتِ من شر ما خلق»[3]، ثم قال[4]: «أفليس العلمُ محيطاً ـ يا ذوي الحِجا ـ أنه غيرُ جائزٍ أن يأمُرَ النبيُّ ﷺ بالتعوذ بخلق اللّهِ من شر خلقِه؟

هل سمعتَ عالماً يُجيز أن يقول: أعوذ بالكعبة من شر خلقِ الله، أو يجيز أن يقولَ: أعوذ بالصفا والمروةِ، أو: أعوذ بعرفاتٍ ومِنىً من شر ما خلق الله، هذا لا يقوله ولا يُجيز القولَ به مسلمٌ يعرِف دين الله، مُحالٌ أن يستعيذ مسلمٌ بخلق اللّهِ من شر خلقِه». ثم ساق بحثاً طويلاً فليُراجَع منه.

وقال أبو معاويةَ بن خازم الضريرُ[5] رحمه الله: (الكلامُ فيه بدعةٌ وضلالةٌ. ما تكلم فيه النبيُّ ﷺ ولا الصحابةُ ﵃ ولا التابعون ولا الصالحون رحمهم الله تعالى. يعني قولَ: القرآنُ مخلوقٌ).

---

(١) من «كتاب التوحيد» لابن خزيمة (١/ ٣٩١ ـ ٣٩٣).

(٢) في «كتاب التوحيد» لابن خزيمة (١/ ٣٩٤ ـ ٤٠١ رقم ١/ ٢٣٣، ٢/ ٢٣٤، ٣/ . . .، ٤/ ٢٣٥، ٥/ . . .).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه رقم (٤/ ٢٠٨٠) وقد تقدم تخريجه.

(٤) أبو بكر بن خزيمة في «كتاب التوحيد» (١/ ٤٠١ ـ ٤٠٢).

(٥) أبو معاوية: محمد بن خازم الضرير الكوفي، من حفاظ الحديث، ولكنه اتهم بالإرجاء، توفي سنة (١٩٥هـ). «تاريخ بغداد» (٥/ ٢٤٢ ـ ٢٤٩).

وذُكر عند أبي نُعيم - هو الفضلُ بنُ دُكين[1] - من يقول القرآنُ مخلوقٌ، فقال: (واللّهِ واللّهِ ما سمعتُ بشيء من هذا حتى خرج ذاك الخبيثُ جهمٌ).

وكلامُ أئمةِ السنةِ في هذا البابِ يطول ذكرُه، ولو أردنا استيعابَه لطال الفصلُ. وقد تكرر نقلُ الإجماع منهم على إثبات ما أثبتَ اللّهُ عز وجل لنفسه وأثبته رسولُه ﷺ والصحابةُ فمن بعدهم، ونفي التكييفَ عنها، لا سيما في مسألةِ العلوِّ وفي هذه المسألةِ مسألةِ القرآنِ وتكليمِ اللّهِ تعالى موسى، لأنها أولُ ما جحده الزنادقةُ قبَّحهم الله تعالى، وفي ذكر مَن سمَّينا كفايةٌ، ومن لم نُسمِّ منهم أضعافُ ذلك، ولم يختلف منهم اثنان في أن القرآنَ كلامُ الله تعالى ليس بمخلوق، من الله بدأ وإليه يعود.

وتقلَّدوا كفرَ من قال بخلق القرآن ومنعوا الصلاةَ خلفه وأفتَوا بضرب عُنقِه وبتحريم ميراثِه على المسلمين وحرموا ذبيحتَه وجزموا بأنها ذبيحةُ مرتدٍّ لا تحِل للمسلمين.

فانظر أيها المنصفُ أقوالَهم ثم اعرِضها على نصوص الكتابِ والسنة: هل تجدهم حادوا عنها قِيدَ شبر، أو قدَّموا عليها قولَ أحدٍ من الناس كائناً من كان؟ حاشا وكلا ومعاذ الله، بل بها اقتَدَوا ومنها تضلَّعوا، وبنورها استضاءوا وإياها اتبعوا، فهداهم الله بذلك لِما اختلف فيه من الحق بإذنه، واللّهُ يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

هذا مقالُ المؤمنين جميعِهم ... وعصابةِ التوحيدِ أعلامِ الهدى
الكاشفين عُوارَ كلِ مشبِّهٍ ... والقامعين لكل من قد ألحدا
زِنْ قولَهم بالوحي وانظر هل ترى ... ميلاً لهم عمَّا إليه أرشدا
حاشاهم عن أن يميلوا خطوةً ... عمَّا إليه اللّهُ إياهم هدى
بل أثبتوا لله ما قد أثبتت ... آيُ الكتابِ وكلُ نصٍ أُسندا
ومن النُفاة تبرّأوا وكذاك مِن ... قول الممثِّل إذ تغالى واعتدى

---

(١) أبو نعيم: الفضل بن دكين، الكوفي. كان ثقة ثبتاً في الرواية مهاباً بين الناس امتحن في خلق القرآن فلم يجب، توفي سنة (٢١٩هـ). «تاريخ بغداد» (١٢/٣٤٦).

جعلوا إمامَهمُ الكتابَ وسنةَ المخـ تـارِ يـا طـوبـى لـمـن بـهـمُ اهـتـدى
ولِذاك أعلى اللّهُ ـ جل ـ منارَهم والـمـلـحـدون بـنـاءَهـم قـد هـدّا
وأتـم نـورَهـم الإلـهُ، وغـيـرُهـم في ظلمةٍ إذ لم يكن بهم اقتدى
يـا ربِّ ألـحِـقْـنـا بـهـم واجـعـل لـنـا نوراً نَـمـيـز بـه الـضـلالَ مـن الـهـدى

وقضى السلفُ الصالحُ رحمهم الله تعالى على الطائفةِ الواقفةِ وهم القائلون: لا نقولُ القرآنُ مخلوقٌ ولا غيرُ مخلوق، بأن من كان منهم يُحسن الكلامَ فهو جهميٌّ، ومن لم يُحسن الكلامَ منهم بل عُلم أنه كان جاهلاً جهلاً بسيطاً فهو تُقام عليه الحجةُ بالبيان والبرهان، فإن تاب وآمن أنه كلامُ الله تعالى وإلا فهو شرٌّ من الجهمية.

وسيأتي إن شاء الله الكلامُ على اللفظية قريباً، وسنذكر إن شاء الله تعالى في آخر الفصلِ سائرَ الفرقِ المخالفين للسنة في القرآن وغيرِه من الصفات، لأننا أحببنا تجريدَ مذهبِ أهلِ السنةِ على حدتِه لقصد التيسيرِ، وبالله التوفيق.

[القرآن ليس بمفترى كما قاله كفار قريش وغيرهم]

(ولا بمفترى) أي وليس القرآنُ بمفترىً كما قاله كفارُ قريشٍ وغيرُهم من أعداء اللّهِ تعالى حيث قالوا فيه: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ﴾ [المدثر: ٢٤]. وقالوا: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ﴾ [الفرقان: ٤]. ﴿وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا﴾ [الفرقان: ٥]. و ﴿يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ﴾ [النحل: ١٠٣].

وقالوا شعرٌ، وقالوا كِهانة، وقالوا: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ﴾ [ص: ٧]. وقالوا: ﴿لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ﴾ [الأنفال: ٣١]. وغيرُ ذلك من مفترياتِهم وإفكِهم، وكلُّ ذلك إنما قالوه عِناداً ومكابرةً: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٤].

وقد كشفَ اللّهُ تعالى شُبَهَهم وأدحض حُججَهم وبَهتهم وقطعَهم وفضَحهم على رؤوس الأشهادِ وبيَّن عجزهم وكشفَ عُوارَهم في جميع ما انتحلوا، فقال تعالى لمن قال: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾﴾ [المدثر]، قال الله تعالى: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾﴾ [المدثر]، إلى آخر الآيات.

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ﴾ [الفرقان: ٤]، فرد الله عليهم بقوله: ﴿فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا﴾ [الفرقان: ٤]. ﴿وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الفرقان: ٥]. فرد الله ذلك عليهم بقوله تعالى: ﴿قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِي يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفرقان: ٦].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍ﴾ [النحل: ١٠١]، فرد الله ذلك عليهم بقوله عز وجل: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ﴿١٠٣﴾﴾ [النحل].

قال المفسرون(١): إن المشركين يشيرون بهذا إلى رجل أعجميٍّ كان بين أظهُرِهم غلام لبعض بطون قريشٍ قيل: اسمُه بَلْعَامُ(٢)، وقيل يعيشُ(٣) وقيل عائشٌ، وقيل جبر(٤) وقيل يسارٌ وقيل غيرُ ذلك، وربما كان رسولُ الله ﷺ يجلِس إليه ويكلمه بعضَ الشيء، فرد الله عز وجل عليهم ذلك الافتراءَ بقوله تعالى: ﴿لِّسَانُ ٱلَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾ [النحل: ١٠٣].

أي فكيف يتعلم من جاء بهذا القرآنِ في فصاحته وبلاغتِه ومعانيه التامةِ الشاملةِ التي هي أكملُ من معاني كلِ كتابٍ نزل على بني إسرائيلَ، كيف يتعلم من رجل أعجمي؟ لا يقول هذا من له أدنى مَسَكةٍ من عقل.

وقال في رد قولِهم شعرٌ وكهانة: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُۥٓ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٠﴾﴾ [يس]. وقال تعالى: ﴿فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ

---

(١) منهم ابن كثير في تفسيره (٢/٦٠٨) و«معالم التنزيل» للبغوي (٥/٤٤).

(٢) أخرجه ابن جرير (٨/ج١٤/١٧٧) بسند ضعيف. وزاد السيوطي نسبته لابن أبي حاتم وابن مردويه «الدر المنثور» (٥/١٦٧) و«زاد المسير» (٤/٤٩٢).

(٣) أخرجه ابن جرير (٨/ج١٤/١٧٨) وانظر: «زاد المسير» (٤/٤٩٢).

(٤) أخرجه ابن جرير(٨/ج١٤/١٧٨).

رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴿٣٠﴾ قُلْ تَرَبَّصُوا۟ فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم بِهَٰذَآ ۚ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الطور] الآيات.

وقال تعالى: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [الحاقة] إلى آخرِ الآيات.

وقال تعالى لمن قال: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ﴿٧﴾ أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا ۚ﴾ [ص: ٧ ـ ٨]. فرد الله تعالى ذلك عليهم بقوله عز وجل: ﴿بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّن ذِكْرِى ۖ بَل لَّمَّا يَذُوقُوا۟ عَذَابِ ﴿٨﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ ﴿٩﴾﴾ [ص: ٨ ـ ٩]. إلى آخر الآيات.

ورد عليهم تعالى في قولهم: ﴿لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ ۙ﴾ [الأنفال: ٣١]، بقوله عز وجل: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨].

وقد تحدّاهم تعالى على أن يأتوا بمثله أو بعشر سور من مثله أو بسورة من مثله فعجَزوا عن ذلك كلّه وبان كذبهم، قال الله عز وجل: ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [الطور]. وقال تعالى وتقدس: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٤﴾﴾ [هود].

وقال تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [البقرة].

فعجَزوا عن ذلك كلّه ولم يطمعوا في شيء منه، مع أنهم فحولُ اللغةِ وفرسانُ الفَصاحةِ وأهلُ البلاغةِ وأعلمُ الناسِ بنثر الكلامِ ونظمِه وهجْزِه ورجْزِه، مع شدة معاندتهم لرسول الله ﷺ وما جاء به، وحرصِهم على معارضته بكل ممكن، ولكن جاءهم ما لا قِبَل لهم به وأتاهم ما لا يُطيقون: كلامُ ذي الملكوت

والجبروت، والعظمةِ والكبرياء والعزةِ والجلالِ والكمالِ، ربُّ الأرض والسماء وربُّ الآخرة والأولى، من له الأسماءُ الحسنى والصفاتُ العُلى والمَثَلُ الأعلى، الذي لا سَمِيَّ له ولا كُفؤَ له، وليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

فلما رأوا وجوهَ إيجازِه وإعجازِه ومبانيه الكاملَة ومعانيه الشاملةَ، وإخبارَه عن الأمم الماضيةِ والغيوبِ المستقبلةِ، والأحكامِ الواقعةِ، ونبأ الوعدِ والوعيدِ، والترغيبِ والترهيبِ والتهديدِ، وغيرِ ذلك على أكمل وجهٍ وأوضحِ بيانٍ وأعلى قصصٍ وأعظمِ برهانٍ، علموا أنه ليس بكلام المخلوقين ولا يشبه كلامَ المخلوقين، وعلموا أنه الحق، وإنما رمَوه بالإفك والبهتانِ بقولهم كاهنٌ شاعرٌ مجنونٌ وغيرُ ذلك، إنما هو مكابرةٌ وعنادٌ مع الاعتراف بذلك فيما بينهم كما تقدم عن الوليد وعُتبةَ وأبي جهلٍ قبحهم الله، وغيرِهم. ولو كان تقوَّله كما زعموا هم لاستطاعوا معارضتِه ولم ينقطعوا عن مقاومته لأنهم عربٌ فُصحاءُ مثلُه، عارفون بوجوه البلاغةِ كلِّها لا يجهلون منها شيئاً.

ولمَا عدلوا إلى المُكابرةِ والتبجُّحِ بالقول دون الفعلِ الذي هو أمقتُ شيءٍ عند العقلاء، ولكنه كلامُ ربِ العالمين، نزل به الروح الأمينُ على قلب محمد خاتمِ المرسلين وسيدِ ولدِ آدمَ أجمعين هدىً وبُشرى للمسلمين، وتبياناً لكل شيءٍ وتفصيلَ كل شيءٍ وذكرى للمؤمنين: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَـٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢].

فلا يأتي مُبطلٌ بشبُهة إلا وفيه إزهاقُ باطلِه وكشفُ شُبهتِه وإدحاضُ حجتِه كما هو معلومٌ عند مَن عرف مواقِعَ النزول، ويكفيك في ذلك قولُ الله عز وجل: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَـٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٣].

[القرآن يحفظ بالقلب، ويتلى باللسان، ويسمع بالآذان، وينظر إليه بالأبصار ويكتب خطه بالأيدي]

(يحفظ بالقلب، وباللسان ... يُتلى كما يُسمع بالآذان)
(كذا بالأبصار إليه يُنظر ... وبالأيادي خطُّه يُسَطَّر)
(وكل ذي مخلوقة حقيقة ... دون كلام بارئ الخليقة)

(جلت صفاتُ ربِّنا الرحمن   عن وصفها بالخلق والحِدْثان)

(فالصوتُ والألحانُ صوتُ القاري   لكنما المتلوُّ قولُ الباري)

(ما قاله لا يقبل التبديلا   كلا ولا أصدقُ منه قيلا)

(**يُحفظ**) بالبناء للمفعول أي القرآنُ (**بالقلب**) كما قال تبارك وتعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ [الشعراء]. وقال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٩]. وقال: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ﴾ [الأعلى: ٦].

وعن ابن عباس[١] رضي الله عنهما قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**إن الذي ليس في جوفه شيءٌ من القرآن كالبيت الخرَاب**». قال الترمذي: هذا حديثٌ حسنٌ صحيح.

وعن أبي هريرة[٢] رضي الله عنه قال: بعث رسولُ الله ﷺ بعثاً وهم ذوو عددٍ فاستقرأهم، فاستقرأ كلَّ رجلٍ منهم - يعني ما معه من القرآن - فأتى على رجل مِن أحدثهم سناً فقال: «**ما معك يا فلان؟**»، فقال: معي كذا وكذا وسورةُ البقرة، فقال: «**أمعك سورة البقرة؟**»، قال: نعم، قال: «**اذهب فأنت أميرُهم**».

فقال رجلٌ من أشرافِهم: واللّهِ ما منعني أن أتعلم البقرةَ إلا خشيةَ أن لا أقومَ بها، فقال رسولُ الله ﷺ: «**تعلَّموا القرآنَ واقرأوه، فإن مثلَ القرآنِ لمن تعلمه فقرأه وقام به كمثل جِرابٍ محشوٍّ مِسْكاً يفوح ريحُه في كل مكان، ومثلُ من تعلمه فيرقُد وهو في جوفه كمثل جِرابٍ أُوكيَ على مسك**». قال الترمذي: هذا حديث حسن.

---

(١) **وهو حديث حسن بشواهده.**
أخرجه الترمذي (٥/ ١٧٧ رقم ٢٩١٣) وقال: **هذا حديث حسن صحيح**. وأخرجه الحاكم (١/ ٥٥٤) وصححه، وتعقبه الذهبي بأن قابوس فيه لين. وأخرجه أحمد في «المسند» (٢/ ٤٥٩ رقم ١٩٤٧ - شاكر) وقال: **إسناده صحيح** وأخرجه الدارمي (٢/ ٤٢٩).

(٢) **وهو حديث ضعيف.**
أخرجه الترمذي (٥/ ١٥٦ رقم ٢٨٧٦) وقال: **هذا حديث حسن**. وأخرجه ابن خزيمة في صحيحه (٣/ ٥ رقم ١٥٠٩) والنسائي في «الكبرى» - كما في تحفة الأشراف (١٠/ ٢٨٠) - وابن ماجه مختصراً (١/ ٧٨ رقم ٢١٧). وفيه عطاء مولى أبي أحمد، ولم يوثقه غير ابن حبان، وقال الحافظ في «التهذيب» قرأت بخط الذهبي: لا يعرف.
وخلاصة القول أن الحديث ضعيف، والله أعلم.

وفي حديث سهل بنِ سعدٍ ﷺ المتفقِ عليه[1] في قصة الواهبة نفسَها وفيه قال: «**ما معك من القرآن؟**»، قال: معي سورةُ كذا وسورة كذا عدَّدها، فقال: «**تقرأهن عن ظهر قلبك؟**». قال: نعم، قال: «**اذهب فقد ملّكتُكَها بما معك من القرآن**».

ولأبي داودَ[2] قال: سورةُ البقرة والتي تليها، قال: «**قم فعلِّمْها عشرين آيةً**».

وفي الصحيحين[3] عن ابن عمرَ ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**مثلُ القرآنِ إذا عاهد عليه صاحبُه فقرأه بالليل والنهارِ، كمثل رجلٍ له إبلٌ فإن عقَلها حفِظها وإن أطلق عِقالَها ذهبت، فكذلك صاحبُ القرآن**».

ولهما[4] عن عائشة ﷺ قالت: سمع رسولُ الله ﷺ رجلاً يقرأ في سورة بالليل فقال: «**يرحمه الله لقد أذكرني كذا وكذا آيةً كنت أُنسِيتُها من سورة كذا وكذا**». والأحاديثُ في هذا كثيرةٌ جداً.

(**وباللسان يتلى**)، قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ [الكهف: ٢٧]. وقال تعالى: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ﴾ [الإسراء: ١٠٦].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾ [الإسراء: ٤٥]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ﴾ [فاطر: ٢٩ ـ ٣٠]. إلى آخر الآية.

وقال تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾﴾ [القيامة]. وقال تعالى: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ

---

(١) البخاري (٩/ ١٣١ رقم ٥٠٨٧) و(٩/ ١٩٨ رقم ١٥٤١) ومسلم (٢/ ١٠٤٠ رقم ١٤٢٥).

(٢) في سننه (٢/ ٥٨٨ رقم ٢١١٢) من حديث أبي هريرة وفي إسناده: عِسْل بن سفيان، وهو ضعيف.
والخلاصة إن الحديث ضعيف، والله أعلم.

(٣) البخاري (٩/ ٧٩ رقم ٥٠٣١) مسلم (١/ ٥٤٣ رقم ٧٨٩).

(٤) البخاري (٩/ ٨٤ رقم ٥٠٣٧) و(٩/ ٨٧ رقم ٥٠٤٢) ومسلم (١/ ٥٤٣ رقم ٧٨٨).

تَرْتِيلًا﴾ [المزمل: ٤]. وقال تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ١١٠]. وغيرُ ذلك من الآيات.

وعن أبي هريرةَ ﷺ أن رسولَ الله ﷺ قال: **«لا حسد إلا في اثنتين: رجلٌ علمه الله القرآنَ فهو يتلوه آناءَ الليل والنهارِ فسمعه جارٌ له»**، إلى آخر الحديث. رواه البخاري[1].

وأخرج أبو عُبيد القاسمُ بنُ سلاَّم[2] عن فَضَالةَ بنِ عبيد عن النبي ﷺ قال: **«للهُ أشدُّ أذناً إلى الرجل الحسنِ الصوتِ بالقرآن من صاحب القينة إلى قَينته»** ورواه ابن ماجه.

وله[3] عن المهاجر بنِ حبيبٍ قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«يا أهلَ القرآنِ لا تَوَسَّدوا القرآنَ، واتلوه حقَّ تلاوتِه آناء الليل والنهارِ، وتغنَّوه وتقنَّوه، واذكروا ما فيه لعلكم تفلحون»**.

---

(١) في صحيحه (٩/ ٧٣ رقم٥٠٢٦) و(١٣/ ٢٢٠ رقم ٧٢٣٢) و(١٣/ ٥٠٢ رقم ٧٥٢٨).

(٢) في كتابه «فضائل القرآن» (ص ١٦١ ـ ١٦٢).
وأخرجه الحاكم في المستدرك (١/ ٥٧١) والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٠/ ٢٣٠) وأحمد (٦/ ١٩).
وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ولم يوافقه الذهبي **بل قال هو منقطع**.
قلت: والانقطاع هو بين إسماعيل بن عبيد الله وفضالة بن عبيد. بسقوط ميسرة مولى فضالة.
وقد وصله أحمد (٦/ ٢٠) وابن ماجه (١/ ٤٢٥ رقم ١٣٤٠) وابن حبان (٣/ ٣١ رقم ٧٥٤) والطبراني في «الكبير» (١٨/ ٣٠١ رقم ٧٧٢) والبخاري في «التاريخ الكبير» (٧/ ١٢٤) والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٠/ ٢٣٠).
وقال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (١/ ٤٣٦ رقم ٤٧٢/ ١٣٤٠): **«هذا إسناد حسن** لقصور درجة ميسرة مولى فضالة وراشد بن سعيد عن درجة أهل الحفظ والضبط...» اهـ.
وقد ضعف الألباني الحديث في «ضعيف الجامع» رقم (٤٦٣٠) و«الضعيفة» رقم (٢٩٥١).
وخلاصة القول أن الحديث ضعيف، والله أعلم.

(٣) أي لأبي عبيد في كتابه «فضائل القرآن» (ص ١٢٦ ـ ١٢٧).
وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢/ ٢٥٢) وقال: «رواه الطبراني في «الكبير» وفيه أبو بكر بن أبي مريم وهو ضعيف» اهـ.
وانظر: «كنز العمال» (١/ ٦١١ رقم ٢٨٠٣).

والأحاديث في هذا كثيرةٌ جداً، سيأتي ما تيسّر منها في ذكر الصوت.

(كما يُسمع بالآذان)، قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]. وقال تبارك وتعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [المائدة: ٨٣]. وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٤]. وقال تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ۝٢٩ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٣٠﴾ [الأحقاف]. الآيات.

وقال تعالى: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ۝٢﴾ - إلى قوله تعالى - ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ [الجن: ١ - ١٣]. الآيات.

وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ﴾ [الزمر: ١٨]، وغير ذلك من الآيات.

وعن عبد الله بنِ مسعودٍ ﷺ قال: قال لي النبيُّ ﷺ: **«اقرأ عليّ القرآن»**. قلت: اقرأ عليك وعليك أُنزل؟ قال: **«إني أُحِبُّ أن أسمعه من غيري»**. الحديث متفق عليه[1].

وعن أبي موسى ﷺ أن رسولَ الله ﷺ قال: **«يا أبا موسى، لو رأيتَني وأنا أستمع لقراءتك البارحة»**، فقال: أما والله لو أعلم أنك تسمع قراءتي لحبَّرتُها لك تحبيراً. رواه مسلم[2].

ولأبي عبيد عن عائشةَ[3] ﷺ قالت: أبطأتُ على رسول الله ﷺ ليلةً بعد

---

(١) البخاري (٩/ ٩٣ رقم ٥٠٤٩) و(٩/ ٩٤ رقم ٥٠٥٠) ومسلم (١/ ٥٥١ رقم ٨٠٠).

(٢) في صحيحه (١/ ٥٤٦ رقم ٢٣٦/ ٧٩٣).

(٣) **وهو حديث صحيح**. أخرجه ابن ماجه في سننه رقم (١٣٣٨). وقال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (١/ ٤٣٥ رقم ٤٧٠/ ١٣٣٧): **«هذا إسناد صحيح رجاله ثقات»**.
وأخرجه الحاكم (٣/ ٢٢٥ - ٢٢٦) وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٣٧١) وقال الحاكم: **«صحيح على شرط الشيخين»** وافقه الذهبي. وليس كما قالا، لأن عبد الرحمن بن سابط =

العشاء ثم جئتُ، فقال: «أين كنت؟»، قلت: كنت أسمع قراءةَ رجلٍ من أصحابك لم أسمع مثلَ قراءتِه وصوتِه من أحد، قالت: فقام رسولُ الله ﷺ وقمت معه حتى استمع له، ثم التفت إليّ فقال: «**هذا سالمٌ مولى أبي حذيفةَ، الحمدُ لله الذي جعل في أمتي مثلَ هذا**». إسناده جيد، والأحاديث في هذا كثيرة.

(**كذا بالأبصار إليه**) متعلقان بـ (**ينظر**) أي إلى القرآن في المصحف وهو من أفضل العباداتِ وأجلّها.

وروى أبو عبيد[1] بإسناد فيه ضعفٌ عن بعض أصحابِ النبيِّ ﷺ قال: قال النبيُّ ﷺ: «**فضلُ قراءةِ القرآنِ نظراً على من يقرأه ظَهراً كفضل الفريضة على النافلة**».

وقال ابن مسعود[2] ﵁: أديموا النظرَ في المصحف.

وعن ابن عباس[3] ﵄ أنه كان إذا دخل نشرَ المصحفَ فقرأ فيه.

وكان ابن مسعود[4] ﵁ إذا اجتمع إليه إخوانه نشروا المصحفَ فقرأوا وفسّر

= لم يخرج له البخاري شيئاً. ولم يحتج الشيخان ولا أحدهما برواية الوليد عن حنظلة، ولا حنظلة عن عبد الرحمٰن، ولا عبد الرحمٰن عن عائشة.

فالصحيح أن السند صحيح مطلقاً.

(١) في «فضائل القرآن» (ص ١٠٤). **بسند ضعيف.**

قلت: وأخرجه ابن كثير في «فضائل القرآن» (ص٢٠٩). وابن شاهين في «الترغيب» (ص ١٩٤).

قال ابن كثير: «وهذا الإسناد فيه ضعف، فإن معاوية بن يحيى هذا هو الصدفي أو الأطرابلسي، وأيّا ما كان فهو ضعيف» اهـ.

(٢) أخرجه أبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص١٠٤) وابن كثير في «فضائل القرآن» (ص٢١٠) وعبد الرزاق (٣/ ٣٦٢ رقم ٥٩٧٩) وابن أبي شيبة (١٠/ ٥٣١) والطبراني في «الكبير» (٩/ ١٥٠، ١٥٢، رقم ٨٦٨٧، ٨٦٩٦) من طرق عن الثوري به، **وسنده حسن.**

(٣) أخرجه أبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص١٠٥)، وابن كثير في «فضائل القرآن» (ص٢١٠) **بسند جيد.**

(٤) أخرجه أبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص١٠٥)، وابن كثير في «فضائل القرآن» (ص٢١٠ - ٢١١).

وقال ابن كثير إسناده صحيح.

لهم. وقال ابنُ عمرَ[1] رضي الله عنهما: إذا رجع أحدُكم من سوقه فلينشُر المُصحفَ وليقرأ.

وذهب كثيرٌ من السلف أن قراءةَ القرآنِ في المصحف أفضلُ من على ظهر قلب؛ لأنه يشتمل على التلاوة والنظرِ في المصحف وكرِهوا أن يمضيَ على الرجل يومان لا ينظر في مصحفه[2].

(وبالأيادي خطُه يسطر)، كما قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَـٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [الواقعة]. وقال تعالى: ﴿رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴿٣﴾﴾ [البينة]. وقال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴿١١﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿١٢﴾ فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍۭ ﴿١٤﴾﴾ [عبس].

وقد كتبه الصحابةُ في عهد النبي ﷺ بأمره، وفي خلافة أبي بكرٍ وعثمانَ، وإلى الآن يكتبه المسلمون.

وقال ابن عباس[3] رضي الله عنهما: ما ترك النبي ﷺ إلا ما بين الدَّفتين[4].

وقال عليُّ بنُ أبي طالب نحوَ ذلك[5]. وقال أبو بكر[6] رضي الله عنه معنى ذلك في محضر الصحابة لم يقل أحدٌ خلافه.

---

(١) أخرجه أبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص١٠٥)، وابن كثير في «فضائل القرآن» (ص٢١١).
إسناده ضعيف. ابن أرطاة، وثوير، ضعيفان.

(٢) قال ابن كثير في «فضائل القرآن» (ص٢١١).
«فهذه الآثار تدلُّ على أن هذا أمرٌ مطلوبٌ؛ لئلا يُعطَّلَ المصحف فلا يقرأ منه، ولعله قد يقع لبعض الحَفَظَة نسيانٌ فيستذكر منه، أو تحريف كلمةٍ أو آيةٍ، أو تقديم أو تأخيرٌ، فالاستثبات أولى، والرجوع إلى المصحف أثبتُ من أفواه الرجال...» اهـ.

(٣) أخرجه البخاري (٩/ ٦٤ ـ ٦٥ رقم ٥٠١٩).

(٤) «أي ما في المصحف، وليس المراد أنه ترك القرآن مجموعاً بين الدفتين لأن ذلك يخالف ما تقدم من جمع أبي بكر ثم عثمان» اهـ. قاله ابن حجر في «الفتح» (٩/ ٦٥).

(٥) أخرجه البخاري (٩/ ٦٥) عن محمد بن الحنفية.
وقال الحافظ ابن حجر في «الفتح»: «وقد تلطف المصنف في الاستدلال على الرافضة بما أخرجه عن أحد أئمتهم الذين يدعون إمامته وهو محمد بن الحنفية وهو ابن علي بن أبي طالب.
فلو كان هناك شيء يتعلق بأبيه لكان هو أحق الناس بالاطلاع عليه. وكذلك ابن عباس فإنه ابن عم علي وأشد الناس له لزوماً واطلاعاً على حاله» اهـ.

(٦) لم أجده.

ولو لم يكن الذي في المصحف كلامَ الله لم يحرُم مسُّه على أحد ولم يكن من شأنه أن: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾ [الواقعة: ٧٩]، بل ولا كان يحرم توسُّده، ولذا أجاز الزنادقةُ ذلك حيث لم يؤمنوا أن فيه كتابَ الله، وهذا من أسفل دركاتِ الكفرِ قبّحهم الله.

(وكلُ ذي) المذكوراتِ من القلب وحافظِته وذاكرتِه، واللسانِ وحركتِه، والآذانِ وأسماعِها، والأبصارِ ونظرها، والأيادي وكتابتِها، وأدواتِ الكتابةِ من أوراق وأقلام ومِداد، كلُها **(مخلوقة حقيقة)** ليس في ذلك توقفٌ، **(دون)** القرآنِ الذي هو **(كلام)** اللّهِ تعالى **(بارئ الخليقة)**،

قال الإمامُ أحمد[1] رحمه الله تعالى: (يتوجه العبدُ لله تعالى بالقرآن بخمسة أوجه وهو فيها غيرُ مخلوق: حفظٌ بقلب، وتلاوةٌ بلسان، وسمعٌ بأذن، ونظرةٌ ببصر، وخطٌ بيد؛ فالقلبُ مخلوقٌ والمحفوظ غيرُ مخلوق، والتلاوةُ مخلوقةٌ والمتلوُ غيرُ مخلوق، والسمعُ مخلوقٌ والمسموعُ غيرُ مخلوق، والنظرُ مخلوقٌ والمنظورُ إليه غيرُ مخلوق، والكتابةُ مخلوقةٌ والمكتوبُ غيرُ مخلوق). انتهى.

فأعمالُ العبادِ مخلوقةٌ والقرآنُ حيثما تصرّف وأين كُتب وحيث تُليَ كلامُ اللّهِ تعالى غيرُ مخلوق.

جلت صفات ربّنا الرحمنِ عن وصفها بالخلق والحِدثان

فليس من صفات اللّهِ تعالى شيءٌ مخلوقٌ، تعالى الله عن ذلك وتعالى عن أن تكونَ ذاتُه محلاً للمخلوقات، بل هو الأولُ بأسمائِه وصفاتِه قبل كلِ شيء، والآخرُ بأسمائه وصفاتِه بعد كل شيء، لم يُسبق شيءٌ من صفاته بالعدم، ولم يُعقّب بالفناء تعالى الله عما يقول الظالمون والجاحدون علواً كبيراً.

(فالصوتُ) من جَهوري وخفيٍّ، **(والألحانُ)** من حَسَن وغيرِه **(صوتُ القاري، لكنما المتلوُ)** والمؤدّى بذلك الصوتِ هو **(قولُ الباري)** جل وعلا.

وفي الصحيحين[2] عن أبي هريرة ﷺ أنه كان يقول: قال رسول الله ﷺ: **«لم يأذن اللّهُ لشيء ما أَذِن للنبي ﷺ يتغنى بالقرآن»**.

---

(١) انظر: «المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة» (١/ ٢٤٤).

(٢) البخاري (٩/ ٦٨ رقم ٥٠٢٣) و(١٣/ ٤٥٣ رقم ٧٤٨٢) ومسلم (١/ ٥٤٥ رقم ٧٩٢).

ولابن ماجة[1] بإسناد جيدٍ عن فضالة بنِ عبيدٍ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لله أشدُّ أذناً إلى الرجل الحَسنِ الصوتِ بالقرآن من صاحب القَينة إلى قَينته**».

وعن سعد بن أبي وقاصٍ رضي الله عنه قال: قال رسولُ ﷺ: «**غنوا بالقرآن. ليس منا من لم يُغنِّ بالقرآن، وابكوا فإن لم تقدروا على البكاء فتباكَوا**».

رواه البغوي[2]، ولأبي داودَ[3] نحوُه.

وله[4] عن أبي أُمامةَ رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**ليس منا من لم يتغنَّ بالقرآن**».

وله[5] وللنَّسائي[6] وابنِ ماجة[7] بإسناد جيدٍ عن البراء بنِ عازبٍ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**زيِّنوا القرآنَ بأصواتكم**».

وفي الصحيحين[8] عن جُبير بن مُطعم رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقرأ في المغرب بالطور، فما سمعتُ أحداً أحسنَ صوتاً - أو قراءةً - منه» الحديث.

---

(1) في «السنن» (١/ ٤٢٥ رقم ١٣٤٠) وقد تقدم تخريجه قريباً. وهو حديث ضعيف.

(2) عزاه إليه ابن كثير في «فضائل القرآن» (ص١٨٥ - ١٨٦) وسنده واه.

(3) في «السنن» (٢/ ١٥٥ - ١٥٦ رقم ١٤٦٩) عن سعيد بن أبي سعيد، قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس منا من لم يتغن بالقرآن».
قلت: وأخرجه أحمد في «المسند» (٢/ ٢٢٥ - ٢٢٦ رقم ١٤٧٦ - شاكر) بسند صحيح.
والحاكم في «المستدرك» (١/ ٥٧٠). وهو حديث صحيح.

(4) أي لأبي داود في «السنن» (٢/ ١٥٦ - ١٥٧ رقم ١٤٧١) بسند حسن.

(5) أي لأبي داود في «السنن» (٢/ ١٥٥ - رقم ١٤٦٨).

(6) في «السنن» (٢/ ١٧٩ - ١٨٠ رقم ١٠١٥ و١٠١٦).

(7) في «السنن» (١/ ٤٢٦ رقم ١٣٤٢).
قلت: وأخرجه الدارمي (٢/ ٤٧٤) وأحمد (٤/ ٢٨٣، ٢٨٥، ٣٠٤)، وابن كثير في «فضائل القرآن» (ص١٨٩ - ١٩٠). والنسائي في «فضائل القرآن» رقم (٧٥). وفي مجلسين من إملائه رقم (٤٦). والبخاري في «خلق أفعال العباد» رقم (١٩٥، ١٩٦، ١٩٧، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠١) والحاكم (١/ ٥٧١، ٥٧٢) والطيالسي رقم (١٨٨٦) وغيرهم من طرق...
وهو حديث صحيح، والله أعلم.

(8) البخاري رقم (٧٣١ - البغا) ومسلم رقم (٤٦٣).

ولابن ماجه[1] عن جابر ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إن من أحسن الناسِ صوتاً بالقرآن الذي إذا سمِعتموه يقرأ حسِبْتموه يخشى الله».

ولأبي عبيدٍ[2] عن حذيفةَ بنِ اليمانِ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «اقرأوا القرآنَ بلحون العرب وأصواتِها، وإياكم ولحونَ أهلِ الفسق وأهلِ الكتابين. وسيجيءُ قومٌ من بعدي يُرجِّعون بالقرآنِ ترجيعَ الغناء والرهبانية والنَّوح، لا يجاوز حناجرَهم، مفتونةٌ قلوبُهم وقلوبُ الذين يُعجبهم شأنُهم».

وفي الصحيحين[3] عن أبي موسى ﷺ أن رسولَ الله ﷺ قال: «يا أبا موسى، لقد أُوتيتَ مِزماراً من مزامير آلِ داودَ».

ففي جميع هذِه الأحاديثِ التصريحُ بإضافةِ الصوتِ والألحانِ والتغنّي إلى

---

(١) في «السنن» رقم (١/ ٤٢٥ رقم ١٣٣٩).
وقال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (١/ ٤٣٦): «هذا إسناد ضعيف، لضعف إبراهيم بن إسماعيل بن مجمع وعبد الله بن جعفر» اهـ.
* وله شاهد من حديث ابن عمر أخرجه الطبراني في «الأوسط» رقم (٢٠٧٤) والبزار (٣/ ٩٨ رقم ٢٣٣٦ - كشف).
وأورده الهيثمي في «المجمع» (٧/ ١٧٠) وفيه: «حميد بن حماد بن خوار، وثقه ابن حبان، وقال: ربما أخطأ، وبقية رجال البزار رجال الصحيح».
قلت: وحميد بن حماد بن خوار لين الحديث فإسناد الحديث ضعيف لأجله.
* وله شاهد آخر مرسل من حديث طاووس. أخرجه أبو عبيد القاسم بن سلام في «فضائل القرآن» (ص١٦٥). وابن أبي شيبة في «المصنف» (١/ ١١٩) والدارمي في «السنن» (١/ ٤٧١، ٤٧٢) وغيرهم.
وخلاصة القول أن حديث جابر حسن لغيره، والله أعلم.

(٢) في «فضائل القرآن» (ص١٦٥).
قلت: وأخرجه الطبراني في «الأوسط» رقم (٧٢٢٣).
وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٦٩) وقال: «وفيه راوٍ لم يسم وبقية يعني مدلس» اهـ.
وأورده الذهبي في «الميزان» (٢/ ٣١٣ رقم ٢٠٩٢/ ٢٨٥١) في ترجمة: حُصين بن مالك الفزاري: تفرد عنه بقية، وليس بمعتمد، والخبر منكر.
وأخرجه ابن الجوزي في «العلل المتناهية» (١/ ١١٨ رقم ١٦٠) وقال: هذا حديث لا يصح، وأبو محمد مجهول، وبقية يروي عن الضعفاء ويدلسهم.
وخلاصة القول أن الحديث منكر، والله أعلم.

(٣) البخاري (٩/ ٩٢ رقم ٥٠٤٨) ومسلم (١/ ٥٤٦ رقم ٧٩٣).

العبد لأنه عملُه، والقرآنُ المؤدّى بذلك الصوتِ هو كلامُ الله حقيقةً، وكذلك المَهارةُ بالقرآن، والتتعْتُعُ فيه هو فعلُ العبدِ وسعيُه، لما في الصحيح[1] عن عائشةَ رضي الله عنها قالت: قال رسولُ الله ﷺ: **«الماهرُ بالقرآنِ مع السفرة الكِرامِ البررَة، والذي يقرأ القرآنَ ويتتعتَعُ فيه وهو عليه شاقٌ له أجران»**.

وهذا الفرقُ واضحٌ ولله الحمد، وعليه أهلُ السنةِ والحديث كأحمدَ بنِ حنبلٍ وأبي عبد الله محمدِ بنِ إسماعيلَ البخاريِّ وغيرهما رحمهم الله تعالى، ولو كان الصوتُ هو نفس المتلوّ المؤدّى به كما يقولُه أهلُ الاتحاد لكان كلُ من سمع القرآن من أي تالٍ وبأي صوت كليمَ الرحمنِ فلا مزيةَ لموسى عليه السلام على غيره.

اللهم لك الحمدُ، ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديْتنا، وهبْ لنا من لدنك رحمةً إنك أنت الوهاب.

[اللفظية جهمية، وهم الذين يقولون: لفظي بالقرآن مخلوق]

(مسألة): اشتهر عن السلفِ الصالحِ كأحمدَ بنِ حنبلٍ وهارونَ الفرويِّ[2] وجماعةِ أئمةِ الحديثِ أن اللفظيةَ جهميةٌ، واللفظيةُ هم من قال: لفظي بالقرآن مخلوقٌ، قال أئمةُ السنة رحمهم الله تعالى: ومن قال لفظي بالقرآنِ غيرُ مخلوقٍ فهو مبتدعٌ، يعنون غيرَ بِدْعيةِ الجهمية، وذلك لأن اللفظ يطلق على معنيين: أحدُهما الملفوظُ به، وهو القرآنُ وهو كلامُ الله ليس فعلاً للعبد ولا مقدوراً له.

والثاني: التلفظُ وهو فعلُ العبدِ وكسبُه وسعيُه؛ فإذا أُطلق لفظُ الخلق على المعنى الثاني شمَل الأولَ وهو قولُ الجهمية، وإذا عكس الأمرَ بأن قال لفظي بالقرآن غير مخلوقٍ شَمَل المعنى الثانيَ، وهي بدعةٌ أخرى من بِدَع الاتحادية.

وهذا ظاهرٌ عند كلِّ عاقلٍ، فإنك إذا سمعتَ رجلاً يقرأ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ

---

(١) البخاري (٨/ ٦٩١ رقم ٤٩٣٧) ومسلم (١/ ٥٤٩ ـ ٥٥٠ رقم ٧٩٨).

(٢) هارون الفروي ابن موسى المدني، لا بأس به. مات سنة (٢٥٣هـ).
[التقريب: (٢/ ٣١٣)]. وانظر ترجمته في: «تهذيب الكمال» (٣/ ١٤٣١).

أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١]، تقول هذا لفظُ سورةِ الإخلاص، وتقول: هذا لفظُ فلانٍ بسورةِ الإخلاص، إذ اللفظُ معنىً مشترك بين التلفظِ الذي هو فعلُ العبدِ، وبين الملفوظِ به الذي هو كلامُ اللّهِ عز وجل.

وهذا بخلاف ما ذكر السلفُ بقولهم: الصوتُ صوتُ القاري، والكلامُ كلامُ الباري، فإن الصوتَ معنىً خاصٌ بفعل العبدِ لا يتناول المتلوّ المؤدّى بالصوت البتةَ، ولا يصلُح أن تقولَ هذا صوتُ قل هو اللّهُ أحدٌ، ولا يقول ذلك عاقلٌ، وإنما تقول هذا صوتُ فلانٍ يقرأ قل هو الله أحد، ونحو ذلك.

نعم إذا سمعَ كلامَ اللّهِ عز وجل منه تعالى بدون واسطة كسماع موسى عليه الصلاةُ والسلامُ، وسماعِ جبريلَ عليه السلام، وسماعِ أهلِ الجنةِ كلامَه منه عز وجل، فحينئذ التلاوةُ والمتلوُ صفةٌ للباري عز وجل ليس منها شيءٌ مخلوق، تعالى الله علواً كبيراً.

(ما قاله لا يقبل التبديلا)، قال الله تعالى: ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ﴾ [ق: ٢٩]. وقال تعالى: ﴿وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ [الكهف: ٢٧]. وقال تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ الأنعام: ١١٥]. وقال تعالى: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ٦٤].

(كلا) أي لا يكون ذلك **(ولا أصدق منه)** أي من الله تعالى **(قيلًا)** أي قولاً وهو تمييزٌ محولٌ عن اسم لا، والتقديرُ لا قيلَ أصدقُ من قيله، قال الله تبارك وتعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٨٧]. وقال تعالى في الآية الأخرى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: ١٢٢].

أي مَن أصدقُ من الله تعالى في حديثِه وخبرِه ووعدِه ووعيدِه؟ الجواب: لا أحدَ.

وفي خُطبة رسولِ الله ﷺ قال: **«إن أصدقَ الحديثِ كلامُ الله، وخيرَ الهديِ هديُ محمدٍ ﷺ»**[1]. الحديث.

---

(١) تقدم تخريجه.

[يجب الإيمان بصفة النزول
لله تعالى وإمراره كما جاء]

(وقد روى الثقاتُ عن خيرِ الملا بأنه عزَّ وجلَّ وعلا)
(في ثلث الليلِ الأخيرِ ينزل يقول هل من تائب فيُقبل)
(هل من مُسيءٍ طالبٍ للمغفرة يجدْ كريماً قابلاً للمعذرة)
(يمنّ بالخيرات والفضائلْ ويستُر العيبَ ويعطي السائلْ)

أي ومما يجب الإيمانُ به وإثباتُه وإمرارُه كما جاء، صفةُ النزولِ للرب عز وجل كما ثبت في الأحاديث الصحيحةِ المشهورةِ عن فُضلاء الصحابةِ كأبي بكر الصديق، وعليِّ بن أبي طالبٍ، وأبي هريرةَ، وأبي سعيدٍ، وجُبيرِ بنِ مُطعمٍ، وجابرِ بنِ عبدِ الله، وعبد الله بن مسعودٍ، وعمْرو بنِ عبسةَ، ورِفاعةَ الجُهنيِّ، وعثمانَ بنِ أبي العاص الثقفيِّ، وأبي الدرداء، وابن عباس، وعُبادةَ بنِ الصامت، وأبي الخطاب، وعمرَ بنِ عامرِ السلمي، وغيرهم ﷺ.

فعن أبي بكر الصديقِ[1] ﷺ عن النبي ﷺ قال: **«ينزل اللَّهُ ليلةَ النصفِ من شعبانَ فيغفِرُ لكل نفسٍ إلا إنسانٍ في قلبه شحناءُ أو شركٌ»**. رواه جماعةٌ عن ابن وهب.

وعن عليِّ بن أبي طالب[2] ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«لولا أن أشقَّ على أمتي لأخَّرتُ العشاءَ الأخيرةَ إلى ثلث الليل، فإنه إذا مضى ثلثُ الليلِ هبط اللَّهُ**

---

(١) أخرجه الدارقطني في «النزول» رقم (٧٥، ٧٦) واللالكائي رقم (٧٥٠) وابن خزيمة في «التوحيد» (ص١٣٦) وابن أبي عاصم في «السنة» رقم (٥٠٩) والدارمي في «الرد» على الجهمية» (ص٤١)، والبزار (٢/ ٤٣٥ رقم ٢٠٤٥ ـ كشف).
وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ٦٥)، وقال: «رواه البزار وفيه عبد الملك بن عبد الملك ذكره ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» ولم يضعفه، وبقية رجاله ثقات» اهـ.
قلت: ومصعب بن أبي ذئب مجهول.
وقال المحدث الألباني في «ظلال الجنة» (١/ ٢٢٣): «حديث صحيح. وإسناده ضعيف... وإنما صححت الحديث لأنه روي عن جمع من الصحابة، بلغ عددهم عندي الثمانية وقد خرجت أحاديثهم في «الصحيحة» رقم (١١٤٤)...» اهـ.

(٢) أخرجه الدارمي في «الرد على الجهمية» (ص٤٠) واللالكائي رقم (٧٤٩) والدارقطني في «النزول» رقم (١) بسند ضعيف لعدم تصريح «محمد بن إسحاق» بالسماع وهو مدلس.

عز وجل إلى سماء الدنيا لم يزَل بها حتى يطلُعَ الفجر فيقول: **ألا سائلٌ يُعطى، ألا داعٍ فيُجاب، ألا مذنبٌ يُستغفر فيُغفر له، ألا سقيمٌ يستشفي فيُشفى**». رواه الطبراني في السنة.

وعن أبي هريرةَ ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**ينزل ربُنا كلَّ ليلةٍ إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل فيقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألُني فأُعطيَهُ، من يستغفرني فأغفِرَ له**». أخرجاه في الصحيحين[1].

وفي رواية[2] عن أبي هريرةَ وأبي سعيد ﷺ أنهما شهدا على رسولِ الله ﷺ أنه قال: «**إن اللَّهَ يُمهل، حتى إذا كان ثلثُ الليل هبطَ إلى السماء الدنيا فنادى: هل من مذنب يتوب؟ هل من مستغفر؟ هل من سائل؟**».

وفي مسند أحمدَ[3] رحمه الله تعالى عن أبي هريرةَ ﷺ عن النبي ﷺ: «**ينزل اللَّهُ كلَّ ليلةٍ إذا مضى ثلثُ الليلِ الأولُ فيقول: أنا المِلكُ، من ذا الذي يستغفرني فأغفر له؟**».

وحديث أبي هريرة ﷺ في النزول قد تعددت طرقه في الصحيحين وسائرِ الأمهات[4]، وقد ساقه إمامُ الأئمةِ أبو بكرٍ محمدُ بنُ إسحاقَ بنُ خزيمةَ في كتاب التوحيد من أكثرَ من ثلاثين طريقاً[5] عن أبي هريرةَ ﷺ إلى النبي ﷺ.

وفي روايةِ عبدِ الرزاقِ عن مَعمرٍ عن الزهري عن سعيد بنِ المسيِّبِ عن أبي

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (١/ ٥٢٣ رقم ٧٥٧).

(٣) في «المسند» (٢/ ٤١٩) بسند صحيح.

(٤) كاللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» رقم (٧٤٢، ٧٤٣، ٧٤٤، ٧٤٥). والدارقطني في «النزول» رقم (١٣) و(١٤) و(١٥) و(١٦) و(١٧) و(١٨) و(١٩) و(٢٠) و(٢١) و(٢٢) و(٢٣) و(٢٤) و(٢٥) و(٢٦).

(٥) انظر: في كتاب «التوحيد» لابن خزيمة رقم (١/ ١٨٨ و(٢/ . . .) و(٣/ ١٨٩) و(٤/ . . .) و(٥/ ١٩٠) و(٦/ ١٩١) و(٧/ . . .) و(٨/ ١٩٢) و(٩/ . . .) و١٠/ . . .) و(١١/ . . .) و(١٢/ . . .) و(١٣/ . . .) و(١٤/ . . .) و(١٥/ . . .) و(١٦/ . . .) و(١٧/ ١٩٣) و(٨/ ١٩٤) و(١٩/ . . .) و(٢٠/ . . .) و(٢١/ . . .) و(٢٢/ ١٩٥) و(٢٣/ . . .) و(٢٤/ . . .) و(٢٥/ . . .) و(٢٦/ . . .) و(٢٧/ . . .) و(٢٨/ . . .) و(٢٩/ . . .) و(٣٠/ . . .) و(٣١/ . . .).

هريرةَ ﷺ عن النبي ﷺ قال: «إن الله ينزل إلى السماء الدنيا وله في كل سماءٍ كرسيّ، فإذا نزل اللّهُ سماءَ الدنيا جلس على كرسيه ثم مد ساعديه فيقول: من ذا الذي يقرض غيرَ عديم ولا ظلوم، من ذا الذي يستغفرني فأغفرُ له؟ من ذا الذي يتوب فأتوبُ عليه؟ فإذا كان عند الصبحِ ارتفع فجلس على كرسيه». رواه ابن منده قال: وله أصل مرسل[1].

وعن جبير بن مطعم ﷺ عن النبي ﷺ قال: «ينزل اللّهُ إلى سماء الدنيا كلَّ ليلةٍ فيقول جل جلاله: هل من سائل فأعطيه، هل من مستغفر فأغفر له». حديث صحيح رواه النسائي[2] وأبو الوليد الطيالسي.

وعن جابر ﷺ، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «إن الله ينزل كل ليلةٍ إلى سماء الدنيا لثلث الليلِ فيقول: ألا عبدٌ من عبيدي يدعوني فأستجيب له؟ أو ظالمٌ لنفسه يدعوني فأغفِرَ له؟ ألا مقترٌ عليه رزقُه؟ ألا مظلومٌ يستنصرني فأنصُرَه؟ ألا عانٍ يدعوني فأُفُكَّ عنه؟ فيكون ذلك مكانه حتى يفيء الفجرُ، ثم يعلو ربنا عز وجل إلى السماء العُليا على كرسيه». رواه الدارقطني[3].

وعن ابن مسعود ﷺ عن النبي ﷺ قال: «إن الله تعالى إذا كان ثلثُ الليلِ الآخِرُ نزل إلى سماء الدنيا ثم بسط يده فقال: من يسألني فأُعطيه، حتى يطلُعَ

---

(١) في «الرد على الجهمية» رقم (٥٦/١٢) بسند ضعيف. لضعف محفوظ بن أبي توبة.
[انظر: «لسان الميزان» (١٩/٥) و «الميزان» (٣/ ٤٤٤)].
وقال ابن منده: وله أصل عند سعيد بن المسيب مرسل.
والخلاصة أن الحديث ضعيف، والله أعلم.

(٢) في «عمل اليوم والليلة» رقم (٤٨٧).
قلت: وأخرجه الدارقطني في «النزول» (رقم ٤)، وأحمد (٤/ ٨١) وابن أبي عاصم في «السنة» (١/ ٢٢١ رقم ٥٠٧) وابن خزيمة في «التوحيد» (١/ ٣١٠ ـ ٣١١ رقم ٣/ . . .) والبيهقي في «الأسماء والصفات» (ص٤٥١) والدارمي (١/ ٣٤٧) وأبو يعلى (١٣/ ٤٠٤ رقم ٧٤٠٨/١٨) والطبراني في «الكبير» (٢/ ١٣٤ رقم ١٥٦٦) والبزار (٤/ ٤٣ رقم ٣١٥٢ ـ كشف).
وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ١٥٣) وقال: «رواه أحمد والبزار وأبو يعلى ورجالهم رجال الصحيح. وورواه الطبراني» اهـ.

(٣) في «النزول» رقم (٧).

الفجر». حديثٌ حسنٌ رواه أحمدُ في مسنده[1]، ورجاله أئمة[2]، ورواه[3] أبو معاويةَ بلفظ: «إن الله تعالى يفتح أبوابَ السماء، ثم يهبط إلى السماء الدنيا، ثم يَبْسط يده فيقول: ألا عبدٌ يسألني فأُعطيه، حتى يطلع الفجر».

وعن رِفاعةَ الجُهني قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إذا مضى نصفُ الليل أو ثلثُ الليل نزل الله إلى سماء الدنيا فقال: لا أسأل عن عبادي غيري، من ذا الذي يستغفرني فأغفِرُ له، من ذا الذي يدعوني فأستجيبُ له؟ من ذا الذي يسألني فأُعطيه؟ حتى ينفجر الفجر». حديث صحيح رواه أحمدُ في مسنده[4].

وعن عثمانَ بن أبي العاص الثقفي ﷺ عن النبي ﷺ: «ينزل الله إلى سماء الدنيا كل ليلة فيقول: هل من داع فأستجيب له؟ هل من سائل فأُعطيه؟ هل من مستغفر فأغفرَ له. وأن داودَ خرج ذاتَ ليلة فقال: لا يُسأل اللهُ شيئاً إلا أعطاه، إلا أن يكون ساحراً أو عشّاراً». رواه الإمامُ أحمدُ بنحوه[5].

---

(١) (١/ ٣٨٨، ٤٠٣) من طريق أبي إسحاق عن أبي الأحوص به، وأبو إسحاق مدلساً وقد عنعن.
قلت: وأخرجه اللالكائي رقم (٧٥٧) والآجري في «الشريعة» (ص٣١٢) والدارمي في «الرد على الجهمية» (ص٤٠) والدارقطني في «النزول» رقم (٨).
كلهم من طريق إبراهيم الهجري عن أبي الأحوص به.
وإبراهيم الهجري، هو ابن مسلم: قال عنه الحافظ في «التقريب» (١/ ٤٣): «لين الحديث رفع موقوفات».
وخلاصة القول أن الحديث صحيح لغيره، والله أعلم.

(٢) قالها ابن القيم في «مختصر الصواعق» (٢/ ٢٣٥) ولكنه لم يصب، فالإسناد ضعيف كما رأيت آنفاً.

(٣) أخرجها الدارقطني في «النزول» رقم (٨) والآجري في «الشريعة» (ص٣١٢).
وهو حديث صحيح لغيره.

(٤) في «المسند» (٤/ ١٦).
قلت: وأخرجه ابن ماجه رقم (١٣٦٧) والدارقطني في «النزول» رقم (٦٨) والآجري في «الشريعة» (ص٣١٠ ـ ٣١١) وابن خزيمة في «التوحيد» (١/ ٣١٢ رقم ٣٧/ . . .) والنسائي في «عمل اليوم والليلة» كما في «تحفة الأشراف» رقم (٣٦١١).
وهو حديث صحيح.

(٥) * أخرج أحمد في «المسند» (٤/ ٢٢) وابن أبي عاصم في «السنة» (١/ ٢٢ رقم ٥٠٨) والدارقطني في «النزول» رقم (٧٢) وابن خزيمة في «التوحيد» (ص١٣٥).
عن عثمان بن أبي العاص، عن النبي ﷺ قال: «ينادي كل ليلةٍ منادٍ هل من داع فأستجيب =

وعن أبي الدرداءِ ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «ينزل اللَّهُ تبارك وتعالى في آخر ثلاثِ ساعاتٍ بقين من الليل ينظر في الساعة الأولى منهن في الكتاب الذي لا ينظُر فيه غيرُه، فيمحو ما يشاء ويُثبت. ثم ينظر في الساعة الثانية في جنة عدْن وهي مسكنُه الذي يسكن، لا يكون معه فيها إلا الأنبياءُ والشهداءُ والصدّيقون، وفيها ما لم يرَ أحدٌ ولم يخطر على قلب بشر.

ثم يهبِط في آخر ساعةٍ من الليل يقول: ألا مستغفرٌ فأغفر له؟، ألا سائلٌ فأعطيه؟، ألا داعٍ فأستجيب له؟». رواه عثمان بن سعيد الدارمي[(١)].

وروى موسى بنُ عقبةَ عن إسحاقَ بنِ يحيى بنِ الوليدِ عن عبادةَ بنِ الصامتِ[(٢)] ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «ينزل اللَّهُ كلَّ ليلة إلى سماء الدنيا

= له، هل من سائل فأعطه، هل من مستغفر فأغفر له».

وسنده ضعيف، لعنعنة الحسن البصري، ولسوء حفظ ابن جدعان. لكن يشهد لهذا الحديث الأحاديث الأخرى المتقدمة واللاحقة.

والخلاصة أن الحديث صحيح بشواهده.

* وأخرج أحمد في «المسند» (٢١٨/٤) عن عثمان بن أبي العاص، مرفوعاً بلفظ: «إنَّ في الليل ساعة تفتح فيها أبواب السماء ينادي منادٍ هل من سائل فأعطيه؟ هل من داعٍ فأستجيب له؟ هل من مستغفر فأغفر له؟...

وإن داود خرج ذات ليلة فقال: لا يسأل الله عز وجل أحد شيئاً إلاَّ أعطاه إلا أن يكون ساحراً أو عشاراً...»،

وسنده ضعيف أيضاً.

(١) في «الرد على الجهمية» (ص٣٩).

قلت: وأخرجه اللالكائي رقم (٧٥٦) والدارقطني في «النزول» رقم (٧٣) وابن خزيمة في «التوحيد» (ص١٣٥ ـ ١٣٦)، وابن الجوزي في «العلل المتناهية» (٣٨/١ رقم ٢١).

قلت: والحديث بهذا السياق منكر، وآفته (زياد بن محمد). فقد قال البخاري والنسائي: «متروك الحديث». وقال ابن حبان: «منكر الحديث جداً، يروي المناكير عن المشاهير فاستحق الترك».

وقال الذهبي بعد أن ساق حديثه هذا: «فهذه ألفاظ منكرة، لم يأت بها غير زياد، وقد انفرد بحديث الرقية: ربنا الله الذي في السماء ـ بالإسناد» اهـ.

[«الميزان» (٩٨/٢) و «لسان الميزان» (٤٩٦/٢) و «التقريب» (١٧١/١)].

وخلاصة القول أن الحديث منكر بهذا السياق، والله أعلم.

(٢) أخرجه الآجري في «الشريعة» (ص٣١٢) وعزاه ابن حجر في «الفتح» (٣٠/٣) إلى الطبراني.

=

حين يبقى ثلثُ الليل الآخِرُ فيقول: ألا عبدٌ يدعوني فأستجيب له؟ ألا ظالمٌ لنفسه يدعوني فأقبَلَه؟. فيكون كذلك إلى مطلع الصبح، ويعلو على كرسيه».

وعن أبي الخطاب ﷺ أنه قال وقد سئل عن الوتر: أُحِب أُوتِرُ نصف الليل، فإن الله يهبط من السماء السابعة إلى السماء الدنيا فيقول: هل من مذنب؟ هل من مستغفر؟ هل من داعٍ؟ حتى إذا طلع الفجرُ ارتفع». رواه محمد بن سعيد في طبقاته[1].

وعن عمْرو بن عامر السلمي ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إذا ذهب ثلثُ الليل - أو قال نصفُ الليل - ينزلُ اللّهُ إلى سماء الدنيا فيقول: هل من عان فأفُكّه؟ هل من سائل فأعطيه؟ هل من داع فأستجيب له؟ هل من مستغفر فأغفِر له؟». رواه ابنُ مِنده[2].

وعن عبيد بنِ السبّاقِ أنه بلغه أن رسولَ الله ﷺ قال: «ينزل ربُنا من آخر الليلِ فينادي منادٍ في السماء العليا: ألا نزل الخالقُ العليم. فيخرج أهلُ السماء

= وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ١٥٤) وعزاه إلى الطبراني في «الكبير» و «الأوسط» وقال: «يحيى بن إسحاق لم يسمع من عبادة، ولم يرو عنه غير موسى بن عقبة، وبقية رجال الكبير رجال الصحيح». وفي آخره لفظة منكرة وهي «ويعلو على كرسيه».

وقال الحافظ: إسحاق بن يحيى بن الوليد بن عبادة بن الصامت، أرسل عن عبادة: وهو مجهول الحال. [التقريب: رقم (٣٩٢)].

وخلاصة القول أن الحديث حسن لغيره ما عدا اللفظة المنكرة.

(١) (٦/٥٧).

قلت: وأخرجه الطبراني في «الكبير» (٢٢/ ٣٧٠ رقم ٩٢٧).

وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢/ ٢٤٥) وقال: «رواه الطبراني في «الكبير» وثُوَيْرة ضعيف».

وقال الحافظ في «التقريب» رقم (٨٦٢): ثوير، مصغر، ابن أبي فاخِتة، أبو الجَهْم: ضعيف رُميَ بالرّفض» اهـ.

(٢) لم أجده في «التوحيد»، ولا في «الرد على الجهمية»، ولا في الإيمان.

وقد عزاه ابن حجر في «الفتح» (٣/ ٣٠) إلى الدارقطني في كتاب «السنة».

وقال الدارقطني: عبد الحميد وأبوه لا يعرفان كما في «تهذيب التهذيب» (٦/ ١٠٥).

والخلاصة أن الحديث حسن بشواهده، والله أعلم.

ويناديَ فيهم منادٍ بذلك، فلا يَمُرّ بأهل سماءٍ إلا وهم سجودٌ». رواه أبو داودَ[1].

وروى أبو اليمانِ ويحيى بنُ أبي بكيرٍ وعبدُ الصمد بنُ النعمان ويزيدُ بنُ هارونَ ـ وهذا سياق حديثِه ـ أخبرَنا جريرُ بنُ عثمانٍ حدثنا سليمانُ[2] بنُ عامرٍ عن عمْرو بنِ عبسةَ قال: أتيتُ النبيَّ ﷺ فقلت: يا رسولَ الله جعلني الله فداك، شيءٌ تعْلمُه وأجهَلُه ينفعني ولا يضرُّك، ما ساعةٌ أقربُ من ساعة وما ساعةٌ تبقى فيها؟ يعني الصلاةَ؛ فقال: **«يا عمْرو بنَ عبسةَ، لقد سألتني عن شيء ما سألني عنه أحدٌ قبلك. إن الربَّ تعالى يتدلى من جوف الليل فيغفر، إلا ما كان من الشرك والبغي، والصلاةُ مشهودةٌ حتى تطْلعَ الشمس فإنها تطلُع على قَرن الشيطان وهي صلاةُ الكفار، فأقصرِ عن الصلاةِ حتى ترتفع الشمس، فإذا استعلت الشمسُ فالصلاةُ مشهودةٌ حتى يعتدل النهار، فإذا اعتدل النهارُ فأخِر الصلاةَ فإنها حينئذ تُسْجر جهنمُ، فإذا فاء الفيءُ فالصلاةُ مشهودةٌ حتى تدلي للغروب فإنها تغيب بين قرني الشيطان فأقصِرْ عن الصلاةِ حتى تطلع الشمس»**[3]. وهو في مسلم[4] مطولاً.

---

(١) في «المراسيل» رقم (٧٤).
قلت: وأخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» رقم (٥٠٦).
وقال المحدث الألباني: «إسناده ضعيف لإرساله، فإن ابن عبيد بن السبّاق اسمه: سعيد وهو تابعي ثقة وسائر رجاله ثقات رجال الشيخين غير حجاج يوسف وهو الثقفي البغدادي المعروف بابن الشاعر فهو من رجال مسلم، إلا أن ابن أخي الزهري، واسمه: محمد بن عبد الله بن مسلم ـ قد تكلموا فيه من قبل حفظه ـ.
وقال الحافظ في «التقريب»: «صدوق له أوهام».
قلت: والحديث بهذا السياق منكر، فيه زيادات منكرة لم ترد في شيء من الطرق المتقدمة والآتية.
فإن لم يكن الوهم فيها من ابن أخي الزهري، فالعلة الإرسال» اهـ.

(٢) الصواب: سليم بن عامر. فقد قال ابن أبي حاتم في «المراسيل» (ص٨٥) رقم (٣١٠): «سليم بن عامر لم يدرك عمرو بن عَبْسة، ولا المقداد بن الأسود» اهـ.

(٣) أخرجه اللالكائي رقم (٧٦١) وأحمد (٤/ ٣٨٥) والدارقطني في «النزول» رقم (٦٦) بسند منقطع.
فسليم بن عامر لم يسمع من عمرو بن عبسة.
* وقد أخرج الحديث من طرق أخرى وليس فيها ذكر التدلي. الترمذي رقم (٣٥٧٩) وابن ماجه رقم (١٣٦٤) وأحمد (٤/ ٣٨٥).
قال الترمذي: **هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه.**

(٤) ليس في أصل الحديث عند مسلم حتى يرد عنده مطولاً.

قلت: وهذا معنى قوله تبارك وتعالى: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾﴾ [الإسراء: ٧٨ ـ ٧٩].

وفي كتاب السنة للخلال[1] عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: **«ينزل اللّهُ كلَّ ليلة إلى سماء الدنيا ثلثَ الليل الأوسط فيقول: من يدعوني فأستجيب له؟ ومن يسألني فأُعطيَه؟ ويترك أهلَ الحِقد لحقدهم»**.

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: **«إن الله عز وجل ينزِل في ثلاث ساعاتٍ بقين من الليل يفتح الذكرَ في الساعةِ الأولى لم يره أحدٌ غيرُه، فيمحو ما يشاء ويُثبت ما شاء، ثم ينزل في الساعة الثانيةِ إلى جنةِ عدْنٍ التي لم ترها عينٌ ولم تخطرْ على قلب بشر ولا يسكُنُها من بين آدم غيرُ ثلاثةٍ: النبيين والصديقين والشهداء، ثم يقول: طوبىٰ لمن دخلكِ.**

ثم ينزل في الساعة الثالثة إلى سماء الدنيا بروحه وملائكتِه فتنتفض[2] فيقول: قومي بعزتي. ثم يطلُع إلى عباده فيقول هل من مستغفر أغفرُ له؟ هل من داعٍ أجيبه؟، حتى تكون صلاةُ الفجر، وكذلك يقول: ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء: ٧٨]. **فيشهَده اللّهُ وملائكةُ الليلِ والنهار»**. رواه ابنُ خزيمةَ في كتاب التوحيد[3] وقد تقدم قريباً بغير هذا اللفظ.

وله[4] عن القاسم بن محمدٍ عن أبيه ـ أو عمّه ـ عن جده عن رسول الله ﷺ

---

(١) لم أجده في الأجزاء الخمسة المطبوعة من «السنة» للخلال. ولعله في الأجزاء التي لم تُطبع بعد من الكتاب.
وقد أخرج الحديث الدارمي في «الرد على الجهمية» (ص٤١) واللالكائي رقم (٧٦٦) وابن أبي عاصم في «السنة» رقم (٥١٣).
قال الألباني: إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين، غير الوزان وهو أبو محمد الرقي وهو ثقة كما قال النسائي وغيره. مات سنة (٢٤٩هـ).
وخلاصة القول أن الحديث صحيح، والله أعلم.

(٢) في الأصل: «فينتفض» وهو تصحيف فاحش. والصواب ما أثبتناه.

(٣) (ص١٣٥ ـ ١٣٦).
وهو حديث منكر بهذا السياق. وقد تقدم تخريجه قريباً.

(٤) أي لابن خزيمة في «التوحيد» (ص١٣٦).

أنه قال: «**ينزِلُ الله عز وجل ليلةَ النصفِ فيغفر للمؤمنين**» الحديث رواه ابنُ زِنجَويه.

وعن أبي أمامةَ[1] رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**إذا كان ليلةُ النصفِ من شعبانَ هبط الله تعالى إلى سماء الدنيا فيغفر لأهل الأرضِ إلا لكافر أو مشاحن**». رواه محمد بنُ الفضل البخاريُّ.

وعن أبي موسى الأشعري[2] رضي الله عنه سمعتُ النبيَّ ﷺ يقول: **ينزِل ربنا إلى سماء الدنيا في النصف من شعبانَ فيغفر لأهلِ الأرضِ إلا لكافر أو مشاحن**».

قلت: ولا منافاةَ بين أحاديثِ تخصيصِ النزولِ بليلةِ النصفِ من شعبان وبين الأحاديثِ القاضيةِ أنه في كل ليلة، فإن النزولَ في ليلةَ النصفِ من شعبانِ مطلقٌ، والنزولَ في كل ليلة مقيدٌ بالنصف في لفظ وبالثلث في آخر، على أنه ليس في تخصيص النزولِ بنصف شعبانَ نفيٌ له فيما عداهما، والأحاديثُ التي فيها النزولُ كلَّ ليلةِ أكثرُ وأشهرُ وأصحُ بلا شك ولا مرية.

وقد ثبت النزولُ أيضاً في عشيةِ عرفةَ كما روى ابن أبي حاتم من حديث أبي الزبيرِ عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عن النبي ﷺ: «**إذا كان يومُ عرفةَ فإن اللّهَ ينزِل إلى سماء الدنيا فيباهي بهم الملائكةَ فيقول: «انظروا إلى عبادي، أتوني شُعْثاً غُبراً، أُشهدكم أني قد غفرتُ لهم**»[3].

= **وهو حديث صحيح وإسناده ضعيف وقد تقدم تخريجه قريباً.**

(١) قال ابن القيم في «مختصر الصواعق» (٢/ ٢٤٧) عقب الحديث: رواه محمد بن الفضل البخاري عن مكي بن إبراهيم عن جعفر بن الزبير عن القاسم عن أبي أمامة مرفوعاً ثم ذكر الحديث.
قلت: سنده هالك.

(٢) أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» رقم (٥١٠) واللالكائي رقم (٧٦٣) والدارقطني في «النزول» رقم (٩٤) بسند ضعيف لجهالة «عبد الرحمن بن عزوب» وضعف «ابن لهيعة».
والحديث أخرجه ابن ماجه (١٣٩٠) من طريقين آخرين عن ابن لهيعة به، إلا أن أحدهما لم يقل في إسناده: «عن أبيه».
وخلاصة القول أن الحديث صحيح لغيره، والله أعلم.

(٣) أخرجه اللالكائي رقم (٧٥١) من طريق ابن أبي حاتم بسند ضعيف.
وعزاه الحافظ ابن حجر في «الفتح» (٣/ ٣٠) إلى الدارقطني في كتاب «السنة».

ورواه الخلالُ في السنة[1] من حديث أبي النضر عن أيوبَ عن أبي الزبير عنه يرفعه: **«أفضلُ أيامِ الدنيا أيامُ العشر»**. قالوا: يا رسول الله ولا مثلُهن في سبيل الله؟ قال: **«إلا من عفَّر وجهه في التراب، إن عشيةَ عرفةَ ينزلُ اللّهُ إلى سماء الدنيا فيقول للملائكة: انظروا إلى عبادي هؤلاء شعثاً غبراً، جاءوا من كل فج عميق ضاحين يسألوني رحمتي. فلا يرى يوم أكثرَ عتيقاً ولا عتيقةً»**.

وروى خلادُ بنُ يحيى[2] حدثنا عبدُ الوهاب عن مجاهد عن ابن عمرَ ﷺ قال: كنت جالساً عند النبي ﷺ فجاء رجلان أحدُهما أنصاريٌّ والآخرُ ثقفيٌّ فذكر الحديث وفيه: **«إن الله ينزل إلى السماء الدنيا فيقول للملائكة هؤلاء عبادي جاءوني شعثاً غبراً من كل فج عميق، اشهدوا أني قد غفرتُ لهم ذنوبَهم»**. رواه طلحةُ عن مجاهد به[3].

وقد رُوي النزولُ في رمضان، وليس هو نافياً له في غيره. فروى عليُّ بنُ معبد عن عبيد الله بنِ عمرَ عن زيد بن أبي أنيسةَ عن طارق عن سعيد بن جبير سمعتُ ابنَ عباس ﷺ يقول: **«إن الله تبارك وتعالى ينزِل في شهر رمضانَ، إذا ذهب الثلثُ الأولُ من الليل هبط إلى السماء الدنيا ثم قال: هل من سائل يُعطى؟ هل من مستغفر يُغفر له؟ هل من تائب يتاب عليه؟»**[4].

وروى عبيدُ الله بن موسى قال ابنُ أبي ليلى عن المنهال عن سعيد بنِ جبيرٍ عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

قال: **«ينزل الله إلى السماء الدنيا في شهر رمضان يدبر أمرَ السنة فيمحو ما**

---

(١) لم أجده في الأجزاء الخمسة المطبوعة من «السنة» للخلال. ولعله في الأجزاء التي لم تطبع بعد من الكتاب.
وعزاه إلى الخلال ابن القيم في «مختصر الصواعق» (٢/ ٢٣٥).

(٢) عزاه إليه ابن القيم في «مختصر الصواعق» (٢/ ٢٤٤ ـ ٢٤٥).

(٣) عزاه إليه ابن القيم في «مختصر الصواعق» (٢/ ٢٤٤ ـ ٢٤٥).

(٤) أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة رقم (٥١٣) واللالكائي رقم (٧٦٦) والدارمي في «الرد على الجهمية» (ص٤١).
وقال الألباني: إسناده صحيح... وقد تقدم الكلام عليه قريباً.

يشاء غيرَ الشقاوةِ والسعادةِ والموتِ والحياة»[1]. وإسناده حسن.

وهذا الموقوفُ له حكمُ المرفوعِ عند المحدثين لأنه لا يُقال من قِبَل الرأي.
وقد ثبت النزولُ لفصل القضاء وللتجلي لأهل الجنةِ كما ستأتي الأحاديثُ إن شاء الله تعالى.

ونحن نشهد شهادةَ مُقِرٍّ بلسانه مصدِّقٍ بقلبه مستيقن بما في هذه الأخبار من ذكر نزولِ الربِّ جل وعلا من غير أن نصف الكيفيةَ، لأن نبينا المصطفى ﷺ لم يصف كيفيةَ نزولِ خالِقنا إلى سماء الدنيا، وأعلمنا أنه ينزل، والله جل وعلا لم يترك ولا نبيُّه ﷺ بيانَ ما بالمسلمين إليه الحاجةُ من أمر دينهم، فنحن القائلون مصدقون بما في هذه الأخبارِ من ذكر النزولِ كما يشاء ربُنا وعلى ما يليق بجلاله وعظمتِه عز وجل غيرَ متكلِّفين القولَ بصفتِه أو بصفة الكيفية.

إذ النبيُّ ﷺ لم يصف لنا كيفية النزولِ، فنسير بسير النصوصِ حيث سارت، ونقف معها حيث وقفت، لا نعدوها إن شاء الله تعالى ولا نقصّر عنها.

وقد تكلفت جماعة من مُثبتي المتكلمين فخاضوا في معنى ذلك وفي ذلك الانتقال وعدمِه، وفي خلو العرشِ منه وعدمِه نفياً وإثباتاً وذلك تكلفٌ منهم، ودخولٌ فيما لا يعنيهم، وهو ضربٌ من التكييف لم يأت في لفظ النصوصِ ولم يسأل الصحابةُ النبيَّ ﷺ عن شيء من ذلك حين حدثهم بالنزول، فنحن نؤمن بذلك ونصدق به كما آمنوا وصدقوا، فإن قال لنا مُتعنِّتٌ أو متنطِّع: يلزم من إثبات كذا كيت وكيت في أي شيء من صفات الله، قلنا له: أنت لا تُلزمنا نحن فيما تدّعيه وإنما تُلزم قائلَ ذلك وهو رسولُ الله ﷺ، فإن كان ذلك لازماً لِما قاله حقيقةً وجب الإيمانُ به، إذ لازمُ الحقِّ حقٌّ، وإن لم يكن ذلك لازماً له فأنت معترِض على النبيِّ ﷺ كاذبٌ عليه متقدِّمٌ بين يديه.

---

(١) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٣/ ٣٢٢ ـ ٣٢٣ رقم ٣٦٦٦).
وأورده السيوطي في «الدر المنثور» (٤/ ٦٥٩) وعزاه إلى عبد الرزاق والفريابي، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم. والبيهقي في «الشعب».
وأورده ابن القيم في «مختصر الصواعق» (٢/ ٢٤٥) وحسن إسناده.

وروى البيهقيُّ[1] عن الحاكم عن محمد بنِ صالحِ بنِ هانئٍ سمع أحمدَ بنَ سلمةَ سمعتُ إسحاقَ بنَ راهُويه يقول: (جمعني وهذا المبتدعَ - يعني إبراهيمَ بنَ صالحٍ - مجلسُ الأميرِ عبدِ الله بنِ طاهرٍ، فسألني الأميرُ عن أخبارِ النزولِ فسردتُها، فقال ابنُ أبي صالحٍ: كفرتُ بربٍ ينزل من سماء إلى سماء، فقلت: آمنتُ بربٍ يفعل ما يشاء).

وقال إسحاق[2] رحمه الله تعالى: (دخلتُ على ابن طاهرٍ فقال: ما هذه الأحاديثُ يروون أن اللَّهَ ينزل إلى السماء الدنيا؟ قلت: نعم، رواها الثقاتُ الذين يروون الأحكامَ، فقال: ينزل ويدع عرشه؟ فقلت: يقدر أن ينزِلَ من غير أن يخلُوَ منه العرشُ؟ قال: نعم. قلت: فلِمَ تتكلم في هذا؟).

---

(١) في «الأسماء والصفات» (ص٤٥٢) بإسناد صحيح.
قلت: وأخرجه الذهبي في «العلو» (ص١٣١). وقال عقبها: «فكأن إسحاق الإمام يخاطبك بها».
وقال الألباني في «مختصر العلو» (ص١٩٢): «يعني أن الإسناد في غاية الصحة، حتى لكأنك تسمع ذلك من الإمام إسحاق مباشرة. فإن أحمد بن سلمة هو الحافظ أبو الفضل النيسابوري رفيق مسلم في الرحلة، كان حافظاً ماهراً. مات سنة (٢٨٦هـ).
ومحمد بن صالح بن هانئ من شيوخ الحاكم الذين أكثر عنهم في كتابه «المستدرك على الصحيحين».
ويبدو من كلام المصنف - أي الذهبي - المذكور أعلاه أنه من الثقات الأثبات... وهذا الأثر عند البيهقي في «الأسماء والصفات» (ص٤٥٢) من طريق الحاكم، وصححه المؤلف كما سبق» اهـ.

(٢) أخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» (ص٤٥١ - ٤٥٢) من طريق أخرى عن إسحاق مختصراً وعزاه ابن تيمية في «شرح حديث النزول» لابن بطة وصححه.
وأخرجه الذهبي في «العلو» (ص١٣١ - ١٣٢): بإسناد صحيح رجاله كلهم ثقات.
قال الألباني في «مختصر العلو» (ص١٩٢ - ١٩٣): «فائدة»: في قول إسحاق رحمه الله تعالى: «يقدر أن ينزل من غير أن يخلو منه العرش» إشارة منه إلى تحقيق أن نزوله تعالى ليس كنزول المخلوق، وأنه ينزل إلى السماء الدنيا دون أن يخلو منه العرش ويصير العرش فوقه، وهذا مستحيل بالنسبة لنزول المخلوق الذي يستلزم تفريغ مكان وشغل آخر. وهذا الذي أشار إليه إسحاق هو المأثور عن سلف الأمة وأئمتها، أنه تعالى لا يزال فوق العرش، ولا يخلو العرش منه، مع دنوه ونزوله إلى السماء.
قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وهو الصواب. فراجع بسط ذلك في كتابه «شرح حديث النزول» (ص٤٢ - ٥٩)» اهـ.

وقال إسحاقُ[1] أيضاً: (قال لي ابنُ طاهرٍ: يا أبا يعقوبَ هذا الذي تروونه: «ينزل ربُنا كلَّ ليلةٍ». كيف ينزل؟ قلت: أعز اللَّهُ الأميرَ، لا كيفَ، إنما ينزِلُ بلا كيف).

وقال أحمدُ بنُ سعيدٍ الرباطيُّ: (حضَرتُ مجلسَ ابنِ طاهرٍ وحضر إسحاقُ، فسئلَ عن حديث النزولِ أصحيحٌ هو؟ قال: نعم، فقال له بعضُ القواد: كيف ينزل؟ فقال: أثبتْه فوق حتى أصفَ لك النزولَ، فقال الرجل: أُثبتُه فوق، فقال إسحاقُ: قال الله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢].

فقال ابنُ طاهر: هذا يا أبا يعقوب يوم القيامة، فقال: ومن يجيء يوم القيامة من يمنعه اليوم؟)[2] اهـ. من كتاب العلوّ[3].

وهذا الذي قاله إسحاقُ رحمه الله تعالى الذي عليه عامةُ أهلِ السنةِ والجماعةِ كما قدمنا عنهم في جميع نصوصِ الصفاتِ، وأن مذهبهم إمرارُها كما جاءت والإيمانُ بها بلا كيف.

[مجيء الله تعالى يوم الفصل كما يشاء للقضاء بين الخلائق]

(وأنه يجيء يومَ الفصلِ كما يشاء للقضاء العدل)

قال الله تبارك وتعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ [البقرة: ٢١٠]. وقال تبارك وتعالى:

---

(١) أخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» (ص٤٥٢) بإسناد صحيح.
وأخرجه الذهبي في «العلو» (ص١٣٢).
وقال الألباني في «مختصر العلو» (ص١٩٣): «أبو حامد بن الشرقي اسمه أحمد بن محمد، وهو ثقة حافظ توفي سنة (٣٢٥هـ).
لكن شيخه حمدان السلمي لم أعرفه، ومثله قرينه أبو داود الخفاف...» اهـ.

(٢) أخرجه الصابوني في «عقيدة السلف أصحاب الحديث» رقم (٤٤) بسند صحيح.
وذكره الذهبي في: «العلو» (ص١٣٢) معلقاً عن إبراهيم بن أبي طالب به.
وقال الألباني في «مختصر العلو» (ص١٩٣ ـ ١٩٤): «هذا إسناد صحيح، الرباطي ثقة من شيوخ البخاري مات سنة (٢٤٦هـ). وإبراهيم بن أبي طالب ثقة حافظ مات سنة (٢٩٥هـ)...» اهـ.

(٣) (ص١٣١ ـ ١٣٢).

﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ [الأنعام: ١٥٨]. وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٥]. وقال تعالى: ﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾ [الفجر]. وقال تعالى: ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ [الزمر: ٦٩].

وفي حديث الصور المشهورِ[(١)] الذي ساقهُ غيرُ واحدٍ من أصحابِ المسانيدِ وغيرِهم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ وفيه: **«إن الناسَ إذا اهتموا لموقفهم في العَرَصات تشفعوا إلى ربهم بالأنبياء واحداً واحداً من آدمَ فمن بعده، فكلُهم يحيد عنها حتى ينتهوا إلى محمد ﷺ، فإذا جاءوا إليه قال: أنا لها، أنا لها، فيذهب فيسجد لله تعالى تحت العرشِ ويشفع عند الله في أن يأتيَ لفصلِ القضاءِ بين العباد فيشفِّعه اللهُ ويأتي في ظلل من الغمام بعد ما تنشق السماءُ الدنيا وينزل مَن فيها من الملائكة ثم الثانية ثم الثالثة ثم السابعة، وينزِل حملةُ العرش والكروبيون. قال: وينزِل الجبار عز وجل في ظلل من الغمام ولهم زجَلٌ من تسبيحهم يقولون: سبحان ذي المُلكِ والملكوت، سبحان ذي العزة والجبروت، سبحان الحيِّ الذي لا يموت، سبحان الذي يُميت الخلائقَ ولا يموت، سبُوحٌ قدوسٌ ربُ الملائكةِ والروح، سبوحٌ قدوسٌ سبحان ربِّنا الأعلى، سبحان ذي السلطانِ والعظمةِ، سبحانه سبحانه أبداً أبداً»**.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«يجمعُ اللّهُ الأولين والآخرين لميقات يوم معلوم أربعين سنةً شاخصةً أبصارُهم إلى السماء ينتظرون فصلَ القضاء، وينزل الله في ظلل من الغَمام من العرش إلى الكرسي»** رواه ابن منده[(٢)] وقال الذهبي[(٣)]: إسناده حسن.

وعن أبي هريرةَ رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«إذا كان يوم القيامة نزل الربُ إلى العباد»**. رواه مسلم[(٤)].

---

(١) سيأتي تخريجه والكلام عليه في كتابنا هذا، عندما يذكره المؤلف بطوله.

(٢) في كتاب «التوحيد» (٣/ ١١٩ - ١٢٢ رقم ٥٣١) و (٣/ ١٢٣ رقم ٥٣٢) بسند حسن.

(٣) في «العلو» (ص٧٣).

(٤) لم يخرجه مسلم بهذا اللفظ. والذي يظهر أن المؤلف رحمه الله أخذ الحديث وتخريجه من «العلو» للذهبي. (ص٧٣).
وقد أخرج الترمذي (٤/ ٥٩٢ رقم ٢٣٨٢) من حديث أبي هريرة مرفوعاً بلفظ: «... إذا كان=

وعن أسماءَ بنتِ يزيدَ رضي الله عنها قالت: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «يهبط الربُّ تعالى من السماء السابعة إلى المقام الذي هو قائمُه، ثم يخرج عنق من النار فيُظِل الخلائقَ كلَّهم فيقول: أمرتُ بكل جبارٍ عنيد، ومن زعم أنه عزيزٌ كريم، ومن دعا مع الله إلهاً آخر». رواه أبو أحمدَ العسالُ في كتاب السنة[1].

وفي الصحيحين[2] من حديث الشفاعةِ عن أبي هريرة رضي الله عنه وفيه: «يجمعُ الله الناسَ يوم القيامة فيقول: من كان يعبد شيئاً فليتْبعه، فيتبع من كان يعبد الشمسَ الشمسَ، ويتبع من كان يعبد القمرَ القمرَ، ويتبع من كان يتبع الطواغيتَ الطواغيتَ، وتبقى هذه الأمةُ فيها شافعوها ـ أو منافقوها، شك إبراهيم، يعني ابنَ سعدٍ الراوي عن ابن شهاب ـ فيأتيهم اللَّهُ تعالى فيقول: أنا ربكم. فيقولون: هذا مكانُنا حتى يأتينا ربُّنا فإذا جاء ربُّنا عرفناه، فيأتيهم اللَّهُ في صورته التي يعرِفون فيقول: أنا ربُّكم، فيقولون: أنت ربُّنا فيتبعونه، ويُضرب الصراطُ بين ظهرَيْ جهنم». وذكر الحديث بطوله.

ولهما[3] نحوه من حديث أبي سعيد، وفيه: «حتى يبقى من كان يعبد الله من بَر أو فاجر، فيقال لهم: ما يحبسكم وقد ذهب الناسُ؟ فيقولون: فارقناهم ونحن أحوجُ منا إليهم اليوم، وإنا سمعنا منادياً ينادي: ليلْحقْ كلُ قوم بما كانوا يعبدون وإنما ننتظر ربَّنا، قال: فيأتيهم الجبارُ في صورة غير صورتِه التي رأوه فيها أولَ مرة فيقول: أنا ربُّكم فيقولون: أنت ربُّنا. فلا يكلمه إلا الأنبياءُ، فيقول: هل بينكم وبينه آيةٌ تعرِفونه؟ فيقولون: الساقُ، فيكشف عن ساقه فيسجد له كلُ مؤمن، ويبقى مَنْ كان يسجد لله رياءً وسُمعةً فيذهب كيما يسجدَ فيعود ظهرُه طبقاً واحداً». وذكر الحديث. والأحاديث في هذا كثيرةٌ.

قال الذهبيُّ[4] رحمه الله تعالى: (أحاديثُ نزولِ الباري متواترةٌ، قد سُقت طرقَها وتكلمتُ عليها بما أُسأل عنه يوم القيامة).

= يوم القيامة ينزل إلى العباد ليقضي بينهم....» وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

(١) عزاه إليه ابن القيم في «مختصر الصواعق» (٢/ ٢٤٦) بسند ضعيف جداً.
شهر بن حوشب ضعيف، وأبان بن عياش متروك.

(٢) البخاري (٢/ ٢٩٢ ـ ٢٩٣ رقم ٨٠٦) ومسلم (١/ ١٦٣ ـ ١٦٦ رقم ١٨٢).

(٣) أي للبخاري (١٣/ ٤٢٠ ـ ٤٢٢ رقم ٧٤٣٩) ومسلم (١/ ١٦٧ ـ ١٧١ رقم ١٨٣).

(٤) في «العلو» (ص٧٣).

[رؤية الله يوم القيامة]

(وأنــه يُــرى بــلا إنــكــارِ   في جنّة الفردوسِ بالأبصار)
(كــلٌّ يــراه رؤيــةَ الـعِـيـانِ   كما أتى في محكم القرآن)
(وفــي حــديــث سـيـدِ الأنــام   من غير ما شك ولا إيهام)
(رؤيــةَ حــقّ لـيـس يـمـتـرونـهـا   كالشمس صحواً لا سحابَ دونها)
(وخُـصّ بـالـرؤيـة أولـيـاؤه   فضيلةً، وحُجبوا أعداؤهُ)

قال الله تبارك وتعالىٰ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة]، وقال تعالىٰ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، وقال تعالىٰ: ﴿لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [قٓ: ٣٥]، وقال تعالىٰ في شأن الكفار: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥]، فإذا حُجب أولياؤه فأيُّ فضيلةٍ لهم على أعدائه.

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَامٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾﴾ [يسٓ]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [المطففين]. وهذه الآياتُ صريحةُ الدلالة على رؤية المؤمنين ربَّهم تبارك وتعالىٰ لا تقبل تحريفاً ولا تأويلاً، ولا يردها إلاّ مكابرٌ قد ختم الله على سمعه وقلبهِ وجعل على بصره غشاوةً، فمن يهديه من بعد الله.

وقد تواترت الأحاديثُ بمعنى ما تضمنتْه هذه الآياتُ، رواها أئمّةُ السنة والحديث في دواوين الإسلامِ عن فضلاءِ الصحابةِ وأجلاّئهم: كأبي بكر الصدّيق، وأبي هريرة، وأبي سعيد، وجريرِ بنِ عبد اللّهِ، وصهيبٍ، وابنِ مسعودٍ، وعليِّ بن أبي طالب، وأبي موسى، وأنس، وبُريدةَ بن الحصيب، وأبي رزين، وجابر بن عبد الله، وأبي أمامةَ، وزيدِ بن ثابت، وعمّار بن ياسر، وعائشةَ، وعبدِ الله بن عمرَ، وعمارِ بنِ رويبة، وسلمانَ الفارسيِّ، وحذيفةَ بنِ اليمان، وعبدِ الله بن عباس، وعبدِ الله بن عَمْرو بن العاصِ، وعبادةَ بنِ الصامت، وأُبيِّ بن كعب، وكعبِ بن عُجرةَ، وأبي الدرداء، وفضالةَ بنِ عبيد، وعدي بن أرطاة، وأبي موسى الأشعري، وغيرهم رضي الله عنهم.

وهذا أوانُ سردِها فألقِ سمعَك وأحضِرْ قلبَك، وتأمّلها تأمُّل طالب للحق لا

نافرٍ عنه، وكُنْ من الذين يستمعون القولَ فيتَّبعون أحسنَه، وإياك وسوءَ الظن بكلام الله وكلامِ رسولِهِ فذلك الهلَكَةُ، وما ضلّ من ضلّ وهلك من هلك إلاّ لسوء ظنّه بالكتاب والسنّة، والله المُستعانُ وعليه التكلانُ ولا حول ولا قوّة إلاّ به[1].

فعن أبي بكر الصدّيق ﷺ قال: أصبح رسولُ الله ﷺ ذاتَ يوم فصلّى الغَداةَ فجلس حتى إذا كان من الضّحى ضحِك رسولُ الله ﷺ ثم جلس مكانه حتى صلّى الأولى، والعصرَ والمغرِبَ، كلُّ ذلك لا يتكلم حتى صلّى العشاءَ الأخيرةَ، ثم قام إلى أهله، فقال الناسُ لأبي بكر ﷺ: ألا تسأل رسولَ الله ﷺ ما شأنُه؟ صنع اليومَ شيئاً لم يصنعْه قَطُّ، قال: فسأله، فقال: «**نعم عُرِض عليَّ ما هو كائنٌ من أمر الدنيا والآخرةِ، فجُمع الأوّلون والآخرون في صعيد واحد، فقُطع الناسُ بذلك حتى انطلقوا إلى آدمَ ﷺ والعَرقُ يكادُ يُلجمُهم فقالوا: يا آدمُ أنت أبو البشرِ وأنت اصطفاك الله عزّ وجلّ، اشفع لنا إلى ربّك عزّ وجلّ، قال: لقد لقِيت مثلَ الذي لَقِيتم، انطلقوا إلى أبيكم بعد أبيكم، إلى نوح** ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٣٣]».

«**قال: فينطلقون إلى نوحٍ ﷺ فيقولون: اشفع لنا إلى ربّك فأنت اصطفاك الله واستجاب لك في دعائك، ولم يدع على الأرض من الكافرين ديّاراً، فيقول: ليس ذلكم عندي، انطلقوا إلى إبراهيمَ ﷺ فإن الله اتّخذه خليلاً، فينطلقون إلى إبراهيمَ ﷺ فيقول: ليس ذلكم عندي، انطلقوا إلى موسى ﷺ فإنّ الله عزّ وجلّ كلّمه تكليماً، فيقول موسى ﷺ: ليس ذلكم عندي، انطلقوا إلى عيسى ابنِ مريمَ ﷺ فإنه كان يُبرئ الأكمهَ والأبرصَ ويحيي الموتى، فيقول عيسى: ليس ذلكم عندي انطلقوا إلى سيد ولدِ آدمَ، انطلقوا إلى محمد ﷺ فليشفعْ لكم إلى ربكم عزّ وجلّ، قال: فينطلق، فيأتي جبريلُ ربَّه تبارك وتعالىٰ، فيقول الله عزّ وجلّ: ائذن له وبشِّره بالجنّة، فينطلق به جبريلُ ﷺ فيخِرّ ساجداً قَدْر جُمعة ويقول الله عزّ وجلّ: ارفعْ رأسَك وقل يُسمع واشفع تُشفَّع، قال: فيرفع رأسَه فإذا نظر إلى وجه ربِّه عزّ وجلّ خرَّ ساجداً قَدْرَ جُمعةٍ أخرى، فيقول الله عزّ وجلّ: ارفع**

---

(١) انظر رسالة الإمام الشوكاني «البغية في مسألة الرؤية»، وتحقيقنا لها وتعليقنا عليها.

رأسَك وقل تُسمع واشفَع تُشفَّع، قال: فيذهب ليَضَعَ ساجداً فيأخذ جبريلُ بضَبْعيه فيفتح اللّهُ عليه من الدعاء شيئاً لم يفتحه على بشر قطّ، فيقول: أي ربّ خلقتني سيّدَ ولدِ آدمَ ولا فخر، وأوّلَ من تنشقّ عنه الأرضُ يوم القيامة ولا فخر، حتى إنه يرد على الحوض أكثرُ مما بين صنعاءَ وأيْلَة».

«ثم يقال: ادعوا الصدِّيقين فيشفعون، ثم يقال: ادعوا الأنبياءَ، قال: فيجيء النبيُّ ومعه العِصابةُ، والنبيُّ ومعه الخمسةُ والستةُ، والنبيُّ وليس معه أحدٌ، ثم يقال: ادعوا الشهداءَ فيشفعون لمن أرادوا».

«قال: فإذا فعلت الشهداءُ ذلك، قال: فيقول الله عزّ وجلّ: أنا أرحمُ الراحمين، أدخِلوا جنتي من كان لا يشرك بي شيئاً. قال: فيدخلون الجنّةَ. قال: ثم يقول الله عزّ وجلّ: انظُروا في أهل النار هل تلقَوْن مَنْ عَمِل خيراً قط؟ قال: فيجدون في النار رجلاً فيقولون له: هل عمِلت خيراً قط؟ فيقول: لا، غير أني كنت أسامح الناسَ في البيع. فيقول الله عزّ وجلّ: اسمحوا لعبدي بسماحته إلى عبيدي».

«ثم يُخرجون من النار رجلاً فيقولون له: هل عمِلت خيراً قط؟ فيقول: لا، غيرَ أني أمرتُ ولدي: إذا متُّ فأحرقوني في النار ثم اطحَنوني حتى إذا كنت مثلَ الكُحل فاذهبوا بي إلى البحر فاذْرُوني في الريح فوالله لا يقدِر عليَّ ربّ العالمين أبداً. فقال الله عزّ وجلّ له: لم فعل ذلك؟ قال: من مخافتك، قال: فيقول الله عزّ وجلّ: انظر إلى مُلك أعظم ملكٍ فإن لك مثلَه وعشرةَ أمثالِه. قال: فيقول: أتسخر بي وأنت المَلِكُ؟ قال ﷺ: وذلك الذي ضَحِكْتُ منه الضحى»، رواه الإمامُ أحمد[1] رحمه الله تعالى.

---

(١) في المسند (١/ ٤ ـ ٥).
قلت: وأخرجه ابن حبان في صحيحه رقم (٢٥٨٩ ـ موارد)، وأبو يعلى في «المسند» رقم (٥٦)، وابن أبي عاصم في «السنة» رقم (٧٥١) و(٨١٢)، وابن خزيمة في «التوحيد» (ص٣١٠ ـ ٣١٢)، والبزار (٤/ ١٦٨ ـ ١٧٠ رقم ٣٤٦٥ ـ كشف)، وأبو عوانة (١/ ١٧٥ ـ ١٧٨)، وابن الجوزي في «العلل المتناهية» (٢/ ٩٢٠ ـ ٩٢٣ رقم ١٥٣٩) من طرق عن النضر بن شميل، عن أبي نعامة العدوي، عن أبي هنيدة البراء بن نوفل، عن والان العدوي، عن حذيفة بن اليمان عن أبي بكر الصديق.
قال البزار: أبو هنيدة ووالان لا نعلم رويا إلاّ هذا الحديث، وهو على ما فيه رواه أهل العلم.
=

وفي الصحيحين[1] من حديث أبي هريرة ﷺ أن أناساً قالوا: يا رسولَ الله هل نرى ربَّنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ: «**هل تُضارّون في رؤية القمرِ ليلةَ البدر؟**»، قالوا: لا يا رسولَ الله، قال: «**هل تضارون في رؤية الشمسِ ليس دونها سحاب؟**»، قالوا: لا، قال: «**فإنكم تَرَونه كذلك، يجمع اللّٰهُ الناسَ يوم القيامة، فيقول: من كان يعبُد شيئاً فليتبعْه، فيتبع مَن كان يعبد الشمسَ الشمسَ، ومن كان يعبد القمرَ القمرَ، ويتبع من كان يعبد الطواغيتَ، وتبقى هذه الأمةُ فيها منافقوها، فيأتيهم اللّٰهُ تعالىٰ في صورة غيرِ صورتِه التي يعرفون فيقول: أنا ربّكم، فيقولون: نعوذ بالله منك، هذا مكانُنا حتى يأتينا ربُّنا عزّ وجلّ، فإذا جاء ربُّنا عرَفناه.**

فيأتيهم الله عزّ وجلّ في صورته التي يعرِفون فيقول: أنا ربُّكم، فيقولون: أنت ربُّنا، فيتبعونه ويُضرب الصراطُ بين ظَهرانِي جهنمَ فأكونُ أنا وأمتي أوّلَ من يخيُر، ولا يتكلم يومئذ إلاّ الرسلُ، ودعوى الرسلِ يومئذ: اللّهمّ سلِّم سلِّم، وفي جهنمَ كلاليبُ مثلُ شَوك السَّعْدان، هل رأيتم شوكَ السعدان؟ قالوا: نعم يا رسول الله، قال: فإنها مثلُ شوكِ السعدانِ غيرَ أنه لا يعلم قَدْرَ عِظَمِها إلاّ الله عزّ وجلّ تخطَف الناسَ بأعمالهم، فمنهم الموبَقُ بعمله ومنهم المجازَى، فإذا فرَغ اللّٰهُ تعالىٰ من القضاء بين العبادِ وأراد أن يُخرج برحمته من أراد من أهل النارِ أمر الملائكةَ أن يُخرجوا من النار من كان لا يشرك بالله شيئاً ممن أراد الله أن يرحَمَه ممن يقول لا إله إلاّ الله، فيعرفونهم بأثر السجودِ، وتأكل النارُ من ابن آدمَ إلاّ أثرَ السجود، حرَّم الله على النار أن تأكلَ أثرَ السجود، فيخرجون من النار قد امتحشوا،

= قلت: أبو هنيدة البراء بن نوفل: روى عنه جمع، ووثقه ابن معين كما في «الجرح والتعديل» (٢/ ٤٠)، وقال ابن سعد في «الطبقات» (٧/ ٢٦٦): «كان معروفاً قليل الحديث».

وأما والان العدوي: هو والان بن بهيس أو ابن قرفة، وثّقه ابن معين، كما في «الجرح والتعديل» (١/ ٤٠٠).

وأورد الحديث الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٣٧٤) وقال: «رواه أحمد وأبو يعلى بنحوه والبزار ورجالهم ثقات» اهـ.

وقال الألباني في «ظلال الجنة» (٢/ ٣٤٩): «إسناده حسن ورجاله ثقات».

(١) البخاري (٢/ ٢٩٢ ـ ٢٩٣ رقم ٨٠٦)، ومسلم (١/ ١٦٣ ـ ١٦٦ رقم ١٨٢)، وقد تقدم.

فيُصبّ عليهم ماءُ الحياة فينبتُون كما تنبتُ الحِبةُ في حميل السيل، ثم يفرُغ الله تعالىٰ من القضاء بين العباد ويبقى رجلٌ مقبلٌ بوجهه على النار وهو آخِرُ أهلِ الجنّة دخولاً الجنّةَ، فيقول: أي ربِّ اصرِف وجهي عن النار، فإنه قد قشّبني ريحُها وأحدقني ذكاؤها، فيدعو اللّهَ ما شاءَ أن يدعُوَه.

ثم يقول الله تبارك وتعالىٰ: هل عسيتَ إن فعلتُ ذلك أن تسأل غيرَه؟ فيقول: لا أسألك غيرَه، فيعطي ربَّه من عهود ومواثيقَ ما شاء الله فيصرف وجهَه عن النار، فإذا أقبل على الجنّة ورآها سكت ما شاء الله أن يسكُت، ثم يقول: أي ربِّ قدِّمني إلى باب الجنّة، فيقول الله تعالىٰ: أليس قد أعطيتَ عهودَك ومواثيقَك لا تسألني غيرَ الذي أعطيتُك، ويلَك يا ابنَ آدمَ ما أغدرَك، فيقول: أي رب، فيدعو الله حتى يقول له: فهل عسيتَ إن أعطيتُك ذلك أن تسألَني غيرَه؟ فيقول: لا وعزّتك، فيعطي ربَّه ما شاء من عهود ومواثيقَ، فيقدمه إلى باب الجنّة، فإذا قام على باب الجنّة انفهقت له الجنةُ فيرى ما فيها من الخير والسرور، فسكت ما شاء الله أن يسكُت ثم يقول: أي ربِّ أدخلني الجنةَ، فيقول الله تبارك وتعالىٰ: أليس قد أعطيتَ عهودَك ومواثيقَك أن لا تسألني غيرَ ما أعطيتُ، ويلك يا ابنَ آدمَ ما أغدرَك، فيقول: أي ربّ لا أكونُ أشقى خلقك. فلا يزال يدعو الله حتى يضحَكَ الله منه، فإذا ضَحِك اللّهُ منه، قال: ادخُل الجنّة، فإذا دخلها قال الله له: تمنَّ. فيسأل ربَّه ويتمنّى حتى إن اللّه ليُذكّره فيقول له: تمنَّ كذا وكذا، حتى إذا انقطعت به الأماني، قال الله عزّ وجلّ: ذلك لك ومثلُه معه».

قال أبو سعيد: وعشرةُ أمثالِهِ معه. قال عطاءُ بنُ يزيدَ: وأبو سعيد مع أبي هريرةَ لا يَرُد عليه من حديثه شيئاً، حتى إذا حدث أبو هريرة قال: إن الله عزّ وجلّ قال لذلك الرجل ومِثلُه، قال أبو سعيد: وعشرةُ أمثالِهِ معه يا أبا هريرة. قال أبو هريرة: ما حفِظتُ إلاّ قولَه: **«ذلك لك ومثلُه معه»**. قال أبو سعيد: أشهد أني حفظتُ من رسول الله ﷺ قوله: **«ذلك لك وعشرَةُ أمثالِه»**. **قال أبو هريرة: وذلك آخرُ أهل الجنةِ دخولاً الجنّة.**

ولهما[1] عن أبي سعيد الخدريِّ ﷺ أن ناساً في زمن رسولِ الله ﷺ قالوا:

---

(١) أي البخاري (١٣/ ٤٢٠ ـ ٤٢٢ رقم ٧٤٣٩)، ومسلم (١/ ١٦٧ ـ ١٧١ رقم ١٨٣)، وقد تقدم.

يا رسولَ الله هل نرى ربَّنا يوم القيامة؟ قال رسولُ الله ﷺ: «نعم، هل تُضارُّون في رؤية الشمسِ بالظهيرة صحواً ليس معها سحابٌ؟ وهل تُضارّون في رؤية القمرِ ليلةَ البدرِ صحواً ليس فيها سحابٌ»؟ قالوا: لا يا رسولَ الله. قال: «ما تضارّون في رؤيته تبارك وتعالىٰ يوم القيامة إلاّ كما تُضارّون في رؤية أحدِهما، إذا كان يومُ القيامةِ أذّن مؤذنٌ: لتتبعْ كلُّ أمةٍ ما كانت تعبُد، فلا يبقى أحدٌ كان يعبُد غيرَ الله من الأصنام والأنصابِ إلا يتساقطون في النار، حتى إذا لم يبقَ إلاّ من كان يعبد اللّهَ من بَرّ وفاجر وغُبرَاتٌ من أهل الكتاب فتُدعى اليهودُ فيقال لهم: ما كنتم تعبدون؟ قالوا: كنّا نعبُد عزيرَ ابنَ الله. فيقال: كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد، فماذا تبغون؟ قالوا: عَطِشنا يا ربنا فاسقِنا. فيُشار إليهم ألا تَرِدون. فيُحشرون إلى النار كأنها سرابٌ يحطِم بعضُها بعضاً فيتساقطون في النار. ثم يقال للنصارى: ما كنتم تعبُدون؟ فيقولون: كنا نعبد المسيحَ ابنَ الله. فيقال لهم: كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد. فيقال لهم: ماذا تبغون؟ فيقولون: عطِشنا يا ربنا فاسقِنا. فيشار إليهم ألا تَرِدون. فيحشرون إلى جهنمَ كأنها سرابٌ يحطم بعضُها بعضاً فيتساقطون في النار.

حتى إذا لم يبقَ إلاّ من كان يعبد اللّهَ من بَرٍّ وفاجر أتاهم ربُّ العالمين سبحانه وتعالىٰ في أدنى صورةٍ من التي رأَوْه فيها. قال: فما تنتظرون؟ لتتبعْ كلُّ أمة ما كانت تعبد. قالوا: يا ربنا فارقنا الناسَ في الدنيا أفقرَ ما كنا إليهم ولم نصاحبْهم. فيقول: أنا ربُّكم. فيقولون: نعوذ بالله منك ولا نشكّ بالله شيئاً (مرتين أو ثلاثاً) حتى إن بعضَهم ليكاد أن ينقلب. فيقول: هل بينكم وبينه آيةٌ تعرِفونه بها؟ فيقولون: نعم، فيكشف عن ساق فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاءِ نفسِه إلاّ أذِن اللّهُ له بالسجود، ولا يبقى من كان يسجد اتقاءً ورياء إلاّ جعل الله ظهرَه طبقةً واحدةً كلما أراد أن يسجُد خرّ على قفاه، ثم يرفعون رؤوسَهم وقد تحوّل في صورته التي رأَوه فيها أوّل مرة، فيقول: أنا ربُّكم، فيقولون: أنت ربنا. ثم يُضرب لهم الجسرُ على جهنمَ وتحِلُّ الشفاعةُ. قيل: يا رسولَ الله وما الجسرُ؟ قال: دَحْضٌ مَزَلّة وخطاطيف وكلاليبُ وحسَكةٌ، تكون بنجد فيها شُويكةٌ يقال لها السَّعْدان، فيمرّ المؤمنون كطرف العين وكالبرق وكالريح وكالطير وكأجاويد الخيل والرِّكاب،

فناجٍ مسلّمٌ ومخدوشٌ مُرسلٌ ومكدوس في نار جهنمَ. حتى إذا خلص المؤمنون من النارِ فوالذي نفسي بيده ما من أحد منكم بأشدّ مناشدةً في استيفاء الحق من المؤمنين لله تعالىٰ يوم القيامة لإخوانهم الذين في النار يقولون: ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون معنا ويحجون؟ فيقال لهم: أخرِجوا من عرَفتم، فيُحرَّم صورَهم على النار، فيُخرِجون خلقاً كثيراً قد أخذت النارُ إلى أنصاف ساقيه وإلى ركبتيه. فيقولون: ربنا ما بقيَ فيها أحدٌ ممن أمرتنا. فيقول: أرجِعوا فمن وجدتم في قلبه مثقالَ نصفِ دينارٍ من خير فأخرجوه، فيُخرِجون خلقاً كثيراً. ثم يقولون: ربنا لم نذرْ فيها أحداً ممن أمرتنا. ثم يقال: ارجِعوا فمن وجدتم في قلبه مثقالَ ذرةٍ من خير فأخرجوه، فيُخرجون خلقاً كثيراً. ثم يقولون: ربنا لم نذر فيها أحداً ممن أمرتنا، ثم يقال: ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقالَ ذرةٍ من خير فأخرجوه، فيخرجون خلقاً كثيراً، ثم يقولون: ربنا لم نذر فيها خيراً قط».

«وكان أبو سعيد ﷺ يقول: إن لم تصدقوني بهذا الحديثِ، فاقرؤوا إن شئتم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾ [النساء: ٤٠]. فيقول الله عزّ وجلّ: شفعت الملائكةُ وشفع النبيّون وشفع المؤمنون ولم يبقَ إلاّ أرحمُ الراحمين، فيقبِض قبضةً من النار فيُخرج منها قوماً لم يعملوا خيراً قط قد عادوا حُمَماً فيلقيهم في نهر في أفواه الجنةِ يقال له نهرُ الحياة، فيَخرجُون كما تخرُجُ الحِبّةُ في حَميل السيل، ألا ترَونها تكون إلى الحجر أو الشجر، ما يكون منها إلى الشمس أُصيفِرُ وأُخيضِرُ، وما يكون منها إلى الظل أبيضُ؟ فقالوا: يا رسولَ الله كأنك ترعى بالبادية. قال: فيخرُجون كاللؤلؤ في رقابهم الخواتيمُ يعرفهم أهلُ الجنّة. فيقول أهلُ الجنة: هؤلاء عُتقاءُ الله الذين أدخلهم الله الجنةَ بغير عملٍ عَمِلوه ولا خيرٍ قدّموه، ثم يقول: ادخُلُوا الجنّة فما رأيتموه فهو لكم، فيقولون: ربنا أعطيتَنا ما لم تُعطِ أحداً من العالمين، فيقول: لكم عندي أفضلُ من هذا، فيقولون: يا ربنا وأيُّ شيءٍ أفضلُ من هذا؟ فيقول تعالىٰ: رِضائي فلا أسخَطُ عليكم بعده أبداً».

وفيهما[١] عن جرير بنِ عبدِ الله ﷺ قال: كنّا جلوساً مع النبيّ ﷺ، فنظر

(١) أي البخاري (١٣/٤١٩ رقم ٧٤٣٤)، ومسلم (١/٤٣٩ رقم ٦٣٣).

إلى القمر ليلةَ أربعَ عشْرَة فقال: «إنكم ستَرون ربّكم عِياناً كما ترَون هذا لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تُغلبوا على صلاة قبل طلوعِ الشمس وصلاةٍ قبل غروب الشمس، فافعلوا».

وفي صحيح مسلم(١) عن صهيبٍ ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إذا دخل أهلُ الجنةِ الجنةَ يقول الله عزّ وجلّ: تريدون شيئاً أزيدُكم؟ يقولون: ألم تُبيِّضْ وجوهَنا، ألم تُدخلنا الجنةَ وتُنجِّنا من النار؟ قال: فيكشِفُ الحجابَ، فما أُعطوا شيئاً أحبَّ إليهم من النظر إلى ربهم»، ثمّ تلا هذه الآية: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦].

وللطبراني(٢) عن عبد الله بنِ مسعودٍ ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: «يجمع

---

(١) (١/١٦٣ رقم ١٨١).

(٢) في الكبير (٩/٤١٦ ـ ٤٢١ رقم ٩٧٦٣).

وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/٣٤٣) وقال: «رواه كله الطبراني من طرق رجال أحدها رجال الصحيح غير أبي خالد الدالاني وهو ثقة» اهـ.

قلت: وأخرجه عبد الله بن الإمام أحمد في «السنة» رقم (١٢٠٣)، والحاكم في «المستدرك» (٤/٥٨٩)، والدارقطني في «الرؤية» رقم (١٧٥).

قال الحاكم: «... والحديث صحيح ولم يخرجاه، وأبو خالد الدالاني ممن يجمع حديثه في أئمة أهل الكوفة» اهـ.

وتعقّبه الذهبي بقوله: «ما أنكره حديثاً على جودة إسناده، وأبو خالد شيعي منحرف» اهـ.

قلت: وأخرجه الطبراني في الكبير في الموضع نفسه من طريق محمد بن النضر الأزدي، وعبد الله بن أحمد بن حنبل، ومحمد بن عبد الله الحضرمي، ثلاثتهم عن إسماعيل بن عبيد بن أبي كريمة الحراني، ثنا محمد بن سلمة الحراني عن أبي عبد الرحيم، عن زيد بن أبي أنيسة، عن المنهال بن عمرو فذكره بنحوه.

وأخرجه الطبراني في الكبير أيضاً (٩/٤٢١ رقم ٩٧٦٤) من طريق نعيم بن أبي هند عن أبي عبيدة بن عبد الله بن مسعود، عن أبيه، فذكره بنحوه هكذا، ولم يذكر مسروقاً في سنده.

وأخرجه البيهقي في «البعث والنشور» رقم (٤٣٤) من طريق محمد بن إسحاق، به نحوه.

وساقه الحافظ ابن حجر في «المطالب العالية» (٤/٣٦٥ ـ ٣٦٧) بطوله إلى قوله: «وكبدها مرآته»، وعزاه لإسحاق بن راهويه في مسنده، وقال: «هذا إسناد صحيح متصل، رجاله ثقات».

وخلاصة القول أن الحديث من طريق الحاكم ضعيف، لضعف أبي خالد الدالاني، غير =

اللَّهُ الأوّلين والآخِرين لميقات يوم معلومٍ أربعين سنةً شاخصةً أبصارُهم إلى السماء ينتظرون فصلَ القضاء، وينزل اللَّهُ عزَّ وجلّ في ظلل من الغمام من العرش إلى الكرسي، ثم ينادي منادٍ: أيها الناسُ ألم ترضَوا من ربكم الذي خلقكم ورزقكم وأمركم أن تعبُدوه ولا تشركوا به شيئاً أن يُوليَ كلَّ أناسٍ منكم ما كانوا يتولَّون ويعبُدون في الدنيا، أليس ذلك عدلاً من ربكم؟ قالوا: بلى».

«قال: فينطلق كلُّ قومٍ إلى ما كانوا يعبدون ويتولَّون في الدنيا. قال: فينطلقون ويُمثَّل لهم أشباهُ ما كانوا يعبدون، فمنهم من ينطلق إلى الشمس، ومنهم من ينطلق إلى القمر، وإلى الأوثان من الحجارة وأشباهِ ما كانوا يعبدون. قال: ويُمثَّل لمن كان يعبد عيسى شيطانُ عيسى، ويمثل لمن كان يعبُد عزيراً شيطانُ عزيرٍ، ويبقى محمدٌ ﷺ وأمتُه فيأتيهم الربُّ عزّ وجلّ فيقول: ما بالُكم لا تنطلقون كما انطلق الناس؟ قال: فيقولون: إن لنا إلهاً ما رأيناه بعد. فيقول: هل تعرِفونه إن رأيتموه؟ فيقولون: إن بيننا وبينه علامةً إذا رأيناها عرَفناه».

«قال: فيقول: ما هي؟ فيقولون: يكشف عن ساق، فعند ذلك يكشف عن ساق فيخِرّون له سجَداً، ويبقى قوم ظهورهم كصيَاصي البقر، يريدون السجودَ فلا يستطيعون، وقد كانوا يُدْعَون إلى السجود وهم سالمون، ثم يقول: ارفعوا رؤوسَكم، فيرفعون رؤوسَهم فيُعطيهم نورَهم على قدر أعمالِهم، فمنهم من يُعطى نورَه على قَدْر الجبلِ العظيم يسعى بين أيديهم، ومنهم من يعطى نوراً أصغرَ من ذلك، ومنهم من يعطى نوراً مثلَ النخلة بيمينه، ومنهم من يعطى نوراً أصغرَ من ذلك، حتى يكونُ آخرُهم رجلاً يعطى نورَه على إبهام قدمِه، يُضيء مرةً ويطفأ مرة، فإذا أضاء قدّم قدمَه ومشى، وإذا طِفئَ قام، والربُّ تبارك وتعالىٰ أمامَهم حتى يُمرّ في النار فيبقى أثرُه كحدّ السيف».

«قال: ويقول: مُرّوا، فيمرّون على قَدْر نورهم، منهم من يمر كطرف العينِ، ومنهم من يمر كالبرق، ومنهم من يمر كالسحاب، ومنهم من يمر كانقضاض

= أنه لم ينفرد به بل تابعه زيد بن أبي أنيسة، والحديث من طريقه حسن لذاته.
وأصل الحديث في صحيح مسلم مختصراً (١/ ١٧٣، ١٧٤، ١٧٤ ـ ١٧٥ رقم ٣٠٨، ٣٠٩، ٣١٠).

الكوكب، ومنهم من يمر كالريح، ومنهم من يمر كشَدّ الفرسِ، ومنهم من يمرُّ كشد الرجل، حتى يمرّ الذي أُعطي نورَه على قَدْر إبهام قدمِه يحبو على وجهه ويديه ورجليه، تجرّ يدٌ وتعلَقُ يدٌ وتجرّ رجلٌ وتعلق رِجلٌ، وتُصيب جوانبَه النارُ، فلا يزال كذلك حتى يخلُصَ، فإذا خلَصَ وقف عليها ثم قال: الحمدُ لله لقد أعطاني الله ما لم يعط أحداً إذ نجاني منها بعد أن رأيتُها».

«قال: فينطلق به إلى غدير عند باب الجنة فيغتسل فيعود إليه ريحُ أهلِ الجنة وألوانُهم، فيرى ما في الجنة من خلال الباب، فيقول: ربِّ أدخلني الجنة. فيقول الله تبارك وتعالىٰ له: أتسأل الجنةَ وقد نجّيتُك من النار؟ فيقول: يا رب اجعلْ بيني وبينها حجاباً لا أسمع حسيسَها. قال: فيدخل الجنة».

«قال: ويرى أو يُرفع له منزلٌ أمام ذلك كأنما الذي هو فيه إليه حُلمٌ لِيدخُله فيقول: رب أعطِني ذلك المنزلَ، فيقول: فلعلّك إن أعطيتُكه تسأل غيرَه؟ فيقول: لا وعزّتك لا أسأل غيرَه، وأيُّ منزلٍ يكون أحسنَ منه. قال: فيُعطاه فينزِله، قال: ويرى أو يُرفع له أمامَ ذلك منزلٌ آخرُ ليدخُلَه فيقول: أي رب أعطِني ذلك المنزل، فيقول الله عزّ وجلّ: فلعلّك إن أعطيتُكه تسأل غيرَه؟ قال: لا وعزتِك لا أسأل غيرَه، وأيُّ منزلٍ يكون أحسنَ منه. قال: فيُعطاه فينزله».

«قال: ويرَى أو يرفع له أمامَ ذلك منزلٌ آخرُ، كأنما الذي هو فيه إليه حلُمٌ فيقول: رب أعطِني ذلك المنزلَ؟ فيقول الله جلّ جلاله: فلعلّك إن أعطيتُكه تسأل غيرَه. قال: لا وعزّتِك لا أسألَ غيره، وأي منزلٍ يكون أحسن منه؟ قال: فيُعطاه فينزله ثم يسكت. فيقول الله عزّ وجلّ: ما لك لا تسأل؟ فيقول: رب قد سألتُك حتى استحييتُك، وأقسمتُ لك حتى استحييتُك. فيقول الله عزّ وجلّ: ألا ترضى أن أُعطيكَ مثل الدنيا منذ خلقتُها إلى يوم أفنيتُها وعشرةَ أضعافِه؟ فيقول: أتستهزئ بي وأنت ربُّ العزّة؟ فيضحك الربُّ عزّ وجلّ من قوله».

قال: فرأيتُ عبدَ الله بنَ مسعودٍ ﷺ إذا بلغ هذا المكانَ من هذا الحديثِ ضَحِك. فقال له رجلٌ: يا أبا عبد الرحمٰنِ قد سمعتُك تحدّث بهذا الحديثِ مراراً كلما بلغتَ هذا المكانَ من هذا الحديثِ ضحكت. فقال: إنّي سمعتُ رسولَ الله ﷺ يحدث بهذا الحديثِ مراراً، كلما بلغ هذا المكانَ من هذا الحديثِ ضَحِك حتى تبدُوَ أضراسُه.

«قال: فيقول الربُّ عزّ وجلّ: لا ولكني على ذلك قادرٌ، سل؟ فيقول: ألحِقني بالناس. فيقول: الحقْ بالناس. قال: فينطلق يرمُل في الجنّة حتى إذا دنا من الناس رُفع له قصرٌ من دُرّة فيخر ساجداً، فيقال له: ارفع رأسَك ما لك؟ فيقول: رأيتُ ربّي، أو تراءى لي ربي. فيقال: إنما هو منزلٌ من منازلك. قال: ثم يَلقى فيها رجلاً فيتهيأ للسجود فيقال له: مَهْ. فيقول: رأيتُ أنك مِلكٌ من الملائكة، فيقول له: إنما أنا خازِنٌ من خُزّانك، عبدٌ من عبيدك، تحت يدي ألفُ قَهرمان على مثل ما أنا عليه. قال: فينطلق أمامَه حتى يُفْتَحَ له القصرُ».

«قال: وهو في دُرة مجوّفة سقائفُها وأبوابُها وأغلاقُها ومفاتيحُها منها، تستقبله جوهرةٌ خضراءُ مُبطّنةٌ بحمراءَ، كلُّ جوهرةٍ تُفضي إلى جوهرة على غير لون الأخرى، في كل جوهرةٍ سُررٌ وأزواجٌ ووصائفُ أدناهنّ حَوراءُ عيناءُ عليها سبعون حُلةً، يُرى مُخّ ساقِها من وراء حُلَلِها، كبِدُها مِرآته وكبدُه مرآتُها، إذا أعرض عنها إعراضةً ازدادات في عينه سبعين ضعفاً عمّا كانت قبل ذلك، فيقول لها: والله لقد ازددتِ في عيني سبعين ضِعفاً، فتقول له: والله والله وأنت لقد ازددتَ في عيني سبعين ضعفاً. فيقال له: أشرِفْ، قال: فيُشرف، فيقال له: مُلكُك مسيرةُ مائةِ عامٍ ينفُذه بصرُه».

قال: فقال عمر ﷺ: ألا تسمع إلى ما يحدثنا ابنُ أم عبدٍ يا كعبُ عن أدنى أهل الجنّة منزلاً، فكيف أعلاهم؟ قال كعب: يا أميرَ المؤمنين فيها ما لا عينٌ رأيت ولا أُذُنٌ سَمِعت، إنّ اللّهَ عزّ وجلّ جعل داراً فيها ما شاء من الأزواج والثمراتِ والأشربةِ، ثم أطبقها فلم يرَها من خلقه لا جبريلُ ولا غيرُه من الملائكة. ثم قرأ كعب: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءً بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧].

قال: وخلق دون ذلك جنتين وزيّنهما بما شاء وأراهما مَن شاء مِن خلقه، ثم قال: من كان كتابُه في علّيين نزل تلك الدارَ التي لم يرَها أحدٌ، حتى إن الرجلَ من أهل عِلّيّين ليَخرُج فيسيرُ في مُلكه فلا تبقى خَيمةٌ من خيام الجنّة إلاّ دخلها من ضوء وجهِ، فيستبشرون بريحه فيقولون: واهاً لهذه الريحِ، هذا رجلٌ من أهل علّيّين قد خرج يسير في مُلكه.

فقال: ويحك يا كعبُ، هذه القلوبُ قد استرسلتْ فاقبِضْها. فقال كعب:

والذي نفسي بيده إن لجهنّمَ يوم القيامة لزفرةً ما يبقى من ملك مقرّب ولا نبيٍّ مُرسل إلاّ يخرُّ لركبتيه، حتى إن إبراهيمَ خليلَ الله يقول: «**رب نفسي نفسي، حتى لو كان لك عملُ سبعين نبياً إلى عملك لظننتَ أنك لا تنجو**».

قال ابنُ القيم رحمه الله تعالىٰ: هذا حديثٌ كبيرٌ حسنٌ[1] رواه المصنّفون في السنة كعبد الله بن أحمَد[2] والطبراني[3] والدارَقُطنيّ[4] رحمهم الله تعالىٰ.

وروى يعقوبُ بن سفيانَ عن عليِّ بن أبي طالب[5] ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**يزور أهلُ الجنةِ الربَّ تبارك وتعالىٰ في كل جمعة**»، وذكر ما يُعطَون قال: «**ثم يقول الله تبارك وتعالىٰ: اكشِفوا حجاباً، فيُكشف حجابٌ ثم حجابٌ، ثم يتجلّى لهم تبارك وتعالىٰ عن وجهه فكأنهم لم يرَوْا نعمةً قبل ذلك، وهو قولُه تبارك وتعالىٰ: ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق: ٣٥]**».

وفي الصحيحين[6] عن **أبي موسى** ﷺ عن النبيّ ﷺ قال: «**جنّتان من فضة آنيتُهما وما فيهما، وجنّتان من ذهب آنيتُهما وما فيهما، وما بين القومِ وبين أن ينظُروا إلى ربّهم إلاّ رداءُ الكبرياءِ على وجهه في جنة عذن**».

ولأحمَدَ[7] عنه ﷺ قال رسولُ الله ﷺ: «**يجمع اللّهُ عزّ وجلّ الأممَ في**

---

(١) وهو حديث حسن كما قال ابن القيم في «حادي الأرواح» (ص٣٨٥).

(٢) رقم (١٢٠٣) كما تقدم آنفاً.

(٣) في الكبير (رقم ٩٧٦٣ و٩٧٦٤) كما تقدم آنفاً.

(٤) في الرؤية رقم (١٧٥) كما تقدم آنفاً.

(٥) أخرجه اللالكائي رقم (٨٥٢) بسند واه.
فيه راويان ضعيفان:
الأول: عمرو بن خالد: وهو أبو خالد القرشي ـ كذبه أحمد وابن معين وأبو حفص الأبار ووكيع، وزاد أحمد: يروي عن زيد بن علي عن آبائه أحاديث موضوعة يكذب. انظر: «تهذيب التهذيب» (٨/ ٢٤ ـ ٢٥).
الثاني: سويد بن عبد العزيز ـ السلمي ـ ضعف حديثه أحمد وابن معين والنسائي والخلال وابن حبان وغيرهم، وأنكر حديثه أحمد والبخاري وابن سعد وغيرهم. انظر: «تهذيب التهذيب» (٤/ ٢٤٢ ـ ٢٤٣).

(٦) البخاري: (٨/ ٦٢٣ ـ ٦٢٤ رقم ٤٨٧٨)، ومسلم (١/ ١٦٣ رقم ١٨٠).

(٧) في المسند (٤/ ٤٠٧ ـ ٤٠٨).

=

صعيدٍ واحدٍ يوم القيامة، فإذا بدا لله عزّ وجلّ أن يصدَعَ بين خلقِه مثّل لكل قومٍ ما كانوا يعبُدون فيتبعونهم حتى يُقحموهم النارَ، ثم يأتينا ربُّنا عزّ وجلّ ونحن على ما كان رفيع فيقول: من أنتم؟ فنقول: نحن المسلمون، فيقول: ما تنتظرون؟ فنقول: ننتظر ربَّنا عزّ وجلّ، فيقول: وهل تعرفونه إن رأيتموه؟ فنقول: نعم إنه لا عِدْلَ له، فيتجلّى لنا ضاحكاً فيقول: أبشروا يا معشر المسلمين، فإنه ليس منكم أحدٌ إلاّ جعلتُ في النار يهودياً أو نصرانياً مكانه». وفي رواية: «يتجلّى لنا ربُّنا عزّ وجلّ ضاحكاً يوم القيامة».

وللدارَقُطني[1] عنه ﷺ عن النبيّ ﷺ قال: «يبعث الله يوم القيامة منادياً بصوت يسمعه أوّلُهم وآخرُهم: إن الله عزّ وجلّ وعدكم الحسنى وزيادةً، فالحسنى الجنةُ والزيادةُ النظرُ إلى وجهه عزّ وجلّ»، رواه الإمام أحمدُ وابن وَهْب.

وفي صحيح البخاريّ[2] عن عدي بنِ حاتم ﷺ قال: بينا أنا عند النبيّ ﷺ إذ أتى إليه رجلٌ فشكا إليه الفاقةَ، ثم أتى إليه آخرُ فشكا إليه قطعَ السبيل. فقال: يا عديُّ هل رأيت الحِيرة؟ قلت: لم أرها وقد أُنبئتُ عنها؟ قال: فإن طالت بك حياةٌ لَتَرَيَنّ الظعينةَ ترتحل من الحِيرة حتى تطوفَ بالكعبة لا تخاف أحداً إلاّ الله عزّ وجلّ - قلت فيما بيني وبين نفسي: فأين دُعّارُ طيِّءٍ الذين سعّروا البلاد - ولئن طالت بك حياةٌ لتفتَحَن كنوزَ كسرى، قلت: كسرى بنُ هرمز؟ قال: كسرى بنُ هُرمز. ولئن طالت بك حياةٌ لترين الرجلَ يُخرج ملءَ كفِّه من ذهب أو فضة يطلب مَن يقبله منه، فلا يجد أحداً يقبله منه.

ولَيلقَيَنّ اللّهُ أحدَكم يوم يلقاه وليس بينه وبينه حجابٌ ولا تَرجُمانٌ يترجم له،

= قلت: وأخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» رقم (٤٦٣) ورجاله ثقات. وأخرجه الدارمي في «الرد على الجهمية» (ص٥٦ - ٥٧)، والآجري في الشريعة (ص٢٦٣).
وخلاصة القول أن الحديث صحيح لغيره ما عدا جملة: «فإذا بدا له أن يصدع بين خلقه»، فهي منكرة. كما قال المحدث الألباني في «الصحيحة» (٢/ ٣٨٤).

(١) في الرؤية رقم (٥٣).
قلت: وأخرجه اللالكائي رقم (٧٨٢)، والطبري في «جامع البيان» (٧/ج١١/ ١٠٥)، ومدار الحديث على أبان بن أبي عياش وهو متروك.

(٢) (٦/ ٦١٠ رقم ٣٥٩٥).

فيقولن: ألم أبعَث إليك رسولاً فيبلّغك؟ فيقول: بلى يا رب. فيقول: ألم أُعطِك مالاً وأفضل عليك؟ فيقول: بلى. فينظر عن يمينه فلا يرى إلاّ جهنمَ، وينظر عن يساره فلا يرى إلاّ جهنمَ.

قال عدي بن حاتم: سمعت رسولَ الله ﷺ يقول: اتّقوا النار ولو بشقّ تمرةٍ، فمن لم يجد شِقّ تمرةٍ فبكلمة طيبة. قال عديٌّ: فرأيت الظعينةَ ترتحل من الحِيرة حتى تطوفَ بالكعبة لا تخاف إلّا الله، وكنت فيمن افتتح كنوزَ كسرى بن هرمز، ولئن طالت بكم حياةٌ لترَوُنّ ما قال النبيّ ﷺ.

وفي الصحيحين(١) عن أنس بنِ مالكٍ ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «يجمع اللّهُ الناس يوم القيامة فيهتمّون لذلك ـ وفي لفظ: فيُلهَمون لذلك ـ فيقولون: لو استشفعنا إلى ربّنا عزّ وجلّ حتى يُريحَنا من مكاننا هذا».

«فيأتون آدمَ فيقولون: أنت آدمُ أبو الخلق خلقك اللّهُ بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكةَ فسجدوا لك، اشفع لنا عند ربّنا حتى يُريحَنا من مكاننا هذا. فيقول: لست هناكم، فيذكر خطيئتَه التي أصاب، فيستحي ربّه منها، ولكن ائتوا نوحاً أولَ رسولٍ بعثه اللّهُ عزّ وجلّ».

«قال: فيأتون نوحاً فيقول: لست هناكم، فيذكر خطيئتَه التي أصاب، فيستحي ربّه منها، ولكن ائتوا إبراهيمَ الذي اتخذه الله خليلاً».

«فيأتون إبراهيمَ فيقول: لست هناكم، ويذكر خطيئتَه التي أصاب، فيستحي ربّه منها، ولكن ائتوا موسى الذي كلّمه الله تكليماً وأعطاه التوراة».

«فيأتون موسى فيقول: لست هناكم، ويذكر خطيئتَه التي أصاب، فيستحي ربّه منها، ولكن ائتوا عيسى روحَ الله وكلمتَه، فيقول: لست هناكم، ولكن ائتوا محمداً ﷺ عبداً غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر».

«قال: قال رسولُ الله ﷺ: فيأتوني فأستأذِن على ربّي فيأذن لي، فإذا أنا رأيتُه فأقع له ساجداً فيدعني ما شاء الله أن يدعَني، فيقال: يا محمد إرفَع رأسَك وقل تُسمع وسل تُعطَ واشفع تُشفَّع، فأرفع رأسي فأحمد ربّي بتحميد يُعلِّمُنيه ربي، ثم

(١) البخاري (١٣/٤٧٣ ـ ٤٧٤ رقم ٧٥١٠)، ومسلم (١/ ١٨٠ ـ ١٨١ رقم ١٩٣).

أشفع، فيحدّ لي حداً فأُخرِجُهم من النار وأُدخلهم الجنة. ثم أعود فأقع ساجداً فيدعُني ما شاء الله أن يدعَني، ثم يقال: ارفع رأسَك يا محمد، قل تُسمع وسل تُعط واشفع تُشفّع، فأرفع رأسي فأحمَدُ ربي بتحميد يُعلمُنيه ربي ثم أشفع، فيحُدّ لي حداً فأُخرِجُهم من النار وأُدخلهم الجنّة. قال: فلا أدري في الثالثة أو الرابعة، قال: فأقول: يا رب ما بقيَ في النار إلاّ من حبسه القرآن»، أي: وجب عليه الخلود.

وفي رواية لابن خزيمة[1]: «يَلقى الناسُ يوم القيامة ما شاء الله أن يلقَوْه من الحبس، فيقولون: انطلقوا بنا إلى آدمَ فيشفعَ لنا إلى ربنا ـ فذكر الحديث إلى أن قال ـ فينطلقون إلى محمد ﷺ فأقول: أنا لها، فأنطلق حتى أستفتحَ بابَ الجنة فيُفتح لي فأدخل وربّي على عرشه فأخِرّ ساجداً» وذكر الحديث.

وفي رواية[2]: «فأستأذن على ربّي، فإذا رأيته وقعت ساجداً».

وفي رواية[3]: «فآتي ربي وهو على سريره ـ أو كرسيه ـ فأخرّ له ساجداً». وساقه ابنُ خزيمةَ بسياق طويل[4]، وقال فيه: «فأستفتح، فإذا نظرتُ إلى الرحمٰن وقعت له ساجداً».

وفي حديث أبي هريرة[5]: «آخُذ بحلقة بابِ الجنة فيؤذن لي فيستقبلني وجهُ الجبار جلّ جلاله فأخِرّ له ساجداً».

وللدارَقطني[6] عنه ﷺ عن النبيّ ﷺ في قول الله عزّ وجلّ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُوا

---

(١) في «التوحيد» (٢/٧١٦ ـ ٧١٩ رقم ٤٥٨/١٠) بسند صحيح.
قلت: وأخرجه ابن أبي عاصم في السنة (٢/٣٨٧ ـ ٣٨٨ رقم ٨١٦) بسند صحيح على شرط الشيخين، وله طرق، انظر: «ظلال الجنة» (٢/٣٨٨).

(٢) هي رواية البخاري ومسلم المتقدمة آنفاً.

(٣) أخرجه ابن خزيمة في «التوحيد» (٢/٦١٤ ـ ٦١٦ رقم ٣٥٨/٨) بسند صحيح.

(٤) أخرجه ابن خزيمة في «التوحيد» (٢/٧١٩ ـ ٧٢٣ رقم ٤٥٩/١١) بسند صحيح.

(٥) أخرجه ابن خزيمة في «التوحيد» (٢/٥٩٣ ـ ٥٩٦ رقم ٣٤٧/٣) بسند صحيح.

(٦) في «الرؤية» رقم (٦٧) من حديث أنس بن مالك.
قلت: وأخرجه ابن منده في «الرد على الجهمية» رقم (٨٥)، واللالكائي رقم (٧٧٩) بسند ضعيف جداً لضعف «سلم بن سالم البلخي» و«نوح بن أبي مريم» كذاب.

ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ﴾ [يونس: ٢٦]. قال: «النظرُ إلى وجه الله عزّ وجلّ».

وله[1] عنه ﷺ قال: سمعت رسولَ الله ﷺ يقول: «أتاني جبريلُ عليه السلام وفي كفه كالمرآة البيضاءِ يحملها، فيها كالنُّكتة السوداءِ. فقلت: ما هذه التي في يدك يا جبريل؟ قال: هذه الجمعةُ. قلت: وما الجمعةُ؟ قال: لكم فيها خيرٌ كثير. قلت: وما يكون لنا فيها؟ قال: يكون عيداً لك ولقومك من بعدك، ويكون اليهودُ والنصارى تبَعاً لكم».

«قلت: وما لنا فيها؟ قال: لكم فيها ساعةٌ لا يسأل الله عبدٌ فيها شيئاً هو له قسْمٌ إلا أعطاه إياه، أو ليس له بقِسْم إلا ذَخر له في آخرته ما هو أعظمُ منه».

«قلت: ما هذه النكتةُ التي فيها؟ قال: هي الساعة، ونحن ندعوه يومَ المزيد».

«قلت: وما ذاك يا جبريلُ؟ قال: إن ربَّك اتخذ في الجنة وادياً فيه كُثبانٌ من مِسك أبيضَ، فإذا كان يومُ الجمعة هبط من عليين على كرسيه فيحِفّ الكُرسيّ بكراسيَّ من نور فيجيء النبيّون حتى يجلِسوا على تلك الكراسيّ، ويحف الكراسيَّ بمنابرَ من نورٍ ومن ذهب مُكلّلة بالجواهر، ثم يجيء الصدّيقون والشهداءُ حتى يجلِسوا على تلك المنابرِ، ثم ينزل أهلُ الغُرفِ من غرفهم حتى يجلِسوا على تلك الكثبانِ».

«ثم يتجلّى لهم عزّ وجلّ فيقول: أنا الذي صدقتُكم وعدي، وأتممتُ عليكم نعمتي، وهذا مَحلُّ كرامتي، فسَلوني، فيسألونه حتى تنتهيَ رغبتُهم فيفتح لهم في ذلك ما لا عينٌ رأت ولا أُذن سمِعت ولا خطَر على قلْب بشر، وذلك بمقدار مُنصرَفِكم من الجمعة».

«ثم يرتفع على كرسيه عزّ وجلّ ويرتفع معه النبيّون والصدّيقون ويرجع أهلُ الغُرف إلى غرفهم، وهي لؤلؤةٌ بيضاءُ وزَبَرْجدةٌ خضراءُ وياقوتةٌ حمراءُ، غرفُها وأبوابُها وأنهارُها مطّردةٌ فيها، وأزواجُها وخُدّامُها وثمارُها متدلّياتٌ فيها، فليسوا إلى شيء أحوجَ منهم إلى يوم الجمعة ليزدادوا نظراً إلى ربهم ويزدادوا منه كرامة». (هذا

---

(١) أي للدارقطني في «الرؤية» رقم (٦٩) من حديث أنس بن مالك بسند ضعيف.

حديثٌ كبيرٌ عظيمُ الشأن رواه أئمةُ السُّنةِ وتلقَوه بالقَبول، وجَمل به الشافعيُّ مُسندَه[1])[2]. ورواه محمدُ بنُ إسحاقَ[3] وعمرو بنُ أبي قيس[4].

وفيه: «**فإذا كان يومُ الجمعةِ نزل على كرسيه ثم حف الكراسيَّ بمنابرَ من نور، فيجيء النبيون حتى يجلِسوا عليها، ويجيء أهلُ الغرفِ حتى يجلِسوا على الكُثُبِ. قال: ثم يتجلّى لهم ربُّهم تبارك وتعالىٰ فينظرون إليه فيقول: أنا الذي صدقتُكم وعدي، وأتمَمْتُ عليكم نعمتي، وهذا محلُّ كرامتي، سَلوني. فيسألونه الرِّضا. قال: رضايَ أَنزَلَكم داري وأنالَكم كرامتي. سلوني؟ فيسألونه الرضا، قال: فيُشهدهم بالرضا. ثم يسألونه حتى تنتهيَ رغبتُهم**»، وذكر الحديث.

ورواه عليُّ بنُ حربٍ[5]، والحسنُ بنُ عرَفَةَ[6]، وفي روايته: «**ثم يرتفع على كرسيه ويرتفع معه النبيون والصدّيقون والشهداءُ، ويرجع أهلُ الغُرف إلى غرفهم**».

ورواه الدارقطنيُّ[7] أيضاً من طريق آخرَ عن أنس ﷺ قال: بينا نحن حولَ رسول الله ﷺ إذ قال: «**أتاني جبريلُ في يده كالمرآة البيضاءِ في وسطها كالنُّكتة السوداءِ، قلت: يا جبريلُ ما هذا؟ قال: هذا يومُ الجمعة يعرِضه عليك ربُّك ليكون عيداً ولأمتك من بعدك**».

---

(١) (١/١٢٦ ـ ١٢٧ رقم ٣٧٤) بسند ضعيف جداً.
وفيه: إبراهيم بن محمد: متروك، وموسى بن عبيدة الربذي: ضعيف.
(٢) هذا كلام ابن القيم في كتابه «حادي الأرواح» (ص٣٩١).
(٣) عزاه ابن القيم في «حادي الأرواح» (ص٣٩١) له من طريق ليث بن أبي سليم، عن عثمان بن عمير، عن أنس.
قلت: إسناده ضعيف.
(٤) عزاه ابن القيم في «حادي الأرواح» (ص٣٩٢) له من طريق أبي ظبية، عن عاصم، عن عثمان بن عمير أبي اليقظان، عن أنس.
قلت: إسناده ضعيف.
(٥) عزاه ابن القيم في «حادي الأرواح» (ص٣٩٢) له، من طريق إسحاق بن سليمان، عن عنبسة بن سعيد، عن عثمان بن عمير به.
قلت: إسناده ضعيف.
(٦) عزاه ابن القيم في «حادي الأرواح» (ص٣٩٢) له، من طريق عمّار بن محمد ابن أخت سفيان الثوري، عن ليث بن أبي سليم، عن عثمان به.
(٧) في «الرؤية» رقم (٧٥) بسند ضعيف.

«قال: قلت: يا جبريلُ ما هذه النكتةُ السوداءُ؟ قال: هي الساعةُ، وهي تقوم يومَ الجمعة وهو سيّدُ أيام الدنيا ونحن ندعوه في الجنة يومَ المزيد».

«قال: قلت: يا جبريلُ ولِمَ تدعونه يومَ المزيد؟ قال: إن اللّهَ اتّخذ في الجنّة وادياً أفيحَ من مسكٍ أبيض، فإذا كان يومُ الجمعةِ نزل ربُّنا عز وجلّ على كرسيّه أعلى ذلك الوادي، وقد حفّ الكرسيَّ بمنابرَ من ذهب مكلّلةٍ بالجوهر، وقد حُفّت تلك المنابرُ بكراسيَّ من نور».

«ثم يُؤذن لأهل الغرفِ فيُقبلون يخوضون كُثبانَ المسكِ إلى الرُّكَب عليهم أسورةُ الذهبِ والفضةِ وثيابُ السندُسِ والحريرِ، حتى ينتهوا إلى ذلك الوادي، فإذا اطمأنوا فيه جُلوساً بعث الله عزّ وجلّ عليهم ريحاً يقال لها المثيرةُ، فأثارت ينابيعَ المِسكِ الأبيضِ في وجوههم وثيابهم، وهم يومئذ جُرْدٌ مُرْدٌ مكحّلون أبناءُ ثلاثٍ وثلاثين سنةً على صورة آدمَ يوم خلقه الله عزّ وجلّ، فينادي ربُّ العِزّة تبارك وتعالىٰ رَضواناً وهو خازنُ الجنة ـ فيقول: يا رضوانُ ارفع الحجبَ بيني وبين عبادي وزوّاري».

«فإذا رَفع الحجبَ بينه وبينهم فرأوا بهاءَه ونوره همّوا له بالسجود، فيناديهم تبارك وتعالىٰ بصوته: ارفعوا رؤوسَكم فإنما كانت العبادةُ في الدنيا وأنتم اليوم في دار الجزاء، سلوني ما شئتم، فأنا ربُّكم الذي صدقتُكم وعدي، وأتممتُ عليكم نعمتي، فهذا محلُّ كرامتي، فسلوني ما شئتم؟ فيقولون: ربَّنا وأيُّ خيرٍ لم تفعله بنا، ألستَ أعَنتنا على سكراتِ الموتِ، وآنستَ منّا الوَحشةَ في ظلمات القبور، وآمنتَ وحشتَنا عند النفخةِ في الصور؟ ألستَ أقلتَ عثراتِنا، وسترتَ علينا القبيحَ من فعلنا، وثبّتَّ على جسرِ جهنّم أقدامَنا؟ ألست الذي أدنيتَنا من جِوارك، وأسمعتَنا لذاذةَ منطقِك، وتجلّيتَ لنا بنورك؟ فأيُّ خيرٍ لم تفعله بنا؟ فنعوذ بالله عزّ وجلّ. فيناديهم بصوته: أنا ربُّكم الذي صدقتُكم وعدي وأتممتُ عليكم نعمتي، فسلوني فيقولون: نسألك رضاك. فيقول تعالىٰ: برضائي عنكم أقلتُكم عثراتِكم وسترت عليكم القبيحَ من أموركم وأدنيتُ مني جوارَكم، وأسمعتُكم لَذاذةَ منطقي وتجلّيتُ لكم بنوري، فهذا محلُّ كرامتي، فسلوني. فيسألونه حتى تنتهيَ رغبتُهم».

«ثم يقول عزّ وجلّ: سلوني؟ فيقولون: رضِينا ربَّنا وسلّمْنا، فيزيدهم من

مزيد فَضله وكرامتهِ ما لا عينٌ رأتْ ولا أذُنٌ سمعت ولا خطَر على قلب بشر، ويكون ذلك مقدارَ تفرُّقِهم من الجمعة».

«قال أنسٌ رضي الله عنه فقلت: بأبي وأمي يا رسولَ الله، وما مقدارُ تفرُّقِهم؟ قال: كقَدْرِ الجمعةِ إلى الجمعة. قال: ثم يُحمل عرشُ ربِّنا تبارك وتعالىٰ معهم الملائكةُ والنبيّون، ثم يُؤذن لأهل الغرفِ فيعودون إلى غرفهم وهما غرفتان من زُمُرّدتين خَضراوين وليسوا إلى شيء أشوقَ منهم إلى الجمعة لينظروا إلى ربهم تبارك وتعالىٰ وليزيدَهم من مزيد فضلِه وكرامتِه».

قال أنس رضي الله عنه: سمعتُه من رسول الله ﷺ وليس بيني وبينه أحدٌ.

ورواه أيضاً من طريق آخرَ(١)، ورواه أبو بكر بنُ أبي شيبةَ(٢)، وأبو بكر بنُ

---

(١) أخرجه الدارقطني في «الرؤية» رقم (٧٦) بسند ضعيف منقطع.

(٢) في «المصنف» (٢/ ١٥٠) عن عبد الرحمٰن المحاربي عن ليث عن عثمان به.
وعبد الرحمٰن المحاربي مدلس من الثالثة كما في «طبقات المدلسين» (ص٩٣)، وهو هنا قد عنعن فلا تقبل روايته.
قلت: إلا أن عبد الرحمٰن المحاربي لم يتفرّد بالرواية عن ليث بل تابعه عليه جماعة منهم:
أ): جرير بن عبد الحميد الضبي ـ ثقة إمام ـ عن عثمان به.
أخرجه أبو يعلى في «طبقات الحنابلة» (٢/ ٩)، ومحمد بن عثمان بن أبي شيبة في «العرش» رقم (٨٨).
ب): شعبة بن الحجاج وإسرائيل وورقاء كلهم عن عثمان به.
أخرجه الدارقطني في «الرؤية رقم (٦٩)»، والخطيب في «موضح أوهام الجمع والتفريق» (٢/ ٢٦٤).
ج): محمد بن إسحاق المطلبي عنه به.
أخرجه الدارقطني في «الرواية» رقم (٧٠)، والخطيب في «الموضح» (٢/ ٢٦٦).
د): إبراهيم بن طهمان ـ وهو ثقة ـ عنه به.
أخرجه ابن طهمان في مشيخته رقم (١١٢).
هـ): عمّار بن محمد ابن أخت سفيان الثوري عنه به.
أخرجه الدارقطني في «الرؤية» رقم (٧٣).
* وكذلك لم يتفرد ليث بن أبي سليم بل تابعه جماعة عن عثمان بن عمير منهم:
أ): عاصم عن عثمان به.
أخرجه الدارقطني في «الرؤية» (٧١)، والخطيب في «الموضح» (٢/ ٢٦٨)، وعبد الله ابن=

= الإمام أحمد في «السنة» رقم (٤٦٠)، والآجري في «الشريعة» (٢/ ٣١ رقم ٦٥٤/ ٣٠٥).
ب): عنبسة بن سعيد الرازي ـ قاضي الري، ثقة ـ عنه به.
أخرجه الدارقطني رقم (٧٢).
ج): زياد بن أبي خيثمة عنه به.
أخرجه الخطيب في «الموضح» (٢/ ٢٦٨).
* وكذلك أيضاً لم يتفرّد عثمان بن عمير بالحديث عن أنس بل تابعه عليه جماعة، منهم:
أ): قتادة بن دعامة السدوسي عن أنس مرفوعاً.
أخرجه الدارقطني في «الرواية» رقم (٧٥).
قال العقيلي في «الضعفاء الكبير» (١/ ٢٩٢ ـ ٢٩٣): «ليس له أصل من حديث قتادة ـ بن دعامة ـ بل هو من حديث أبي اليقظان عثمان بن عمير عن أنس بأنقص من هذا...» اهـ.
وأورد الذهبي الحديث في «الميزان» (١/ ٦٠٨ ـ ٦٠٩) في ترجمة حمزة بن واصل، وكلام العقيلي.
ب): عبيد الله بن عبيد بن عمير عن أنس مرفوعاً:
أخرجه الشافعي في «المسند» (١/ ١٢٦ ـ ١٢٧) بسند ضعيف جداً.
ج): عمر مولى غفرة عن أنس مرفوعاً:
أخرجه الدارقطني في «الرؤية» رقم (٧٦) بسند ضعيف منقطع.
أما الضعف فبسبب عمر مولى غفرة، وهو عمر بن عبد الله المدني أبو حفص.
وأمّا الانقطاع فهو بين عمر هذا وأنس. انظر: «المراسيل» لابن أبي حاتم رقم (٢٣٨).
د): علي بن الحكم البناني عن أنس مرفوعاً:
أخرجه أبو يعلى في «المسند» رقم (٤٢٢٨).
قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٤٢١)، رواه البزار رقم (٣٥١٩ ـ كشف)، والطبراني في الأوسط رقم (٦٧١٧) بنحوه، وأبو يعلى باختصار، ورجال أبي يعلى رجال الصحيح، وأحد إسنادي الطبراني رجاله رجال الصحيح، غير عبد الرحمٰن بن ثابت بن ثوبان، وقد وثّقه غير واحد، وضعّفه غيرهم وإسناد البزار فيه خلاف» اهـ.
هـ): عبد الله بن بريدة عن أنس مرفوعاً:
أخرجه الطبراني في «الأحاديث الطوال» (٢٥/ ٢٦٤ رقم ٣٥)، وابن عدي في الكامل (٤/ ١٣٧٣)، وابن النحاس في «رؤية الله» (رقم ٨) بسند ضعيف لضعف صالح بن حيان القرشي.
و): يزيد الرقاشي عن أنس مرفوعاً:
أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢/ ١٥١)، وأبو يعلى في المسند مختصراً رقم (٤٠٨٩) بسند ضعيف، فيه الأعمش وهو مدلس وقد عنعن، وكذلك يزيد الرقاشي.
وخلاصة القول أن الحديث حسن لغيره، والله أعلم.

خزيمة[1]، وابنُ بطةَ في الإبانة[2] وغيرهم، وقد جمع ابنُ أبي داودَ طُرقَه[3].

ولإمام الأئمةِ محمدِ بنِ إسحاقَ بنِ خزيمةَ[4] عن بُريدةَ بنِ الحصيب ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«ما منكم من أحد إلاّ سيخلو اللّهُ به يوم القيامة ليس بينه وبينه تَرجمانٌ»**.

وللإمام أحمدَ[5] وأبي داودَ[6] عن أبي رزينٍ ﷺ قال: قلنا: يا رسولَ الله أكُلُّنا يرى ربَّه عزّ وجلّ يوم القيامة؟ قال: **«نعم»**، قلت: وما آيةُ ذلك في خلقه؟

---

(١) عزاه إليه ابن القيم في «حادي الأرواح» (ص٣٩٤) من طريق زهير بن حرب عن جرير، عن ليث، عن عثمان بن أبي أحمد، عن أنس، **بسند ضعيف**.

(٢) عزاه إليه ابن القيم في «حادي الأرواح» (ص٣٩٤) من طريق الأعمش، عن أبي وائل، عن حذيفة **بسند ضعيف**.

(٣) أوردت طريق الحديث قريباً، فانظرها.

(٤) في «كتاب التوحيد» (١/ ٣٦٣ رقم ٧/ ٢١٦) **بسند حسن**.
* وأصله عند البخاري (١٣/ ٤٢٣ رقم ٧٤٤٣)، ومسلم (٢/ ٧٠٣ - ٧٠٤ رقم ١٠١٦) من حديث عدي بن حاتم.

(٥)(٦) أخرجه أحمد في «المسند» (٤/ ١١ و١٢) وابنه عبد الله في «السنّة» رقم (٤٥٠)، والآجري في «الشريعة» رقم (٢٩٨ و٢٩٩)، والترمذي رقم (٣١٠٩)، وابن ماجه رقم (١٨٢)، والطبراني في «الكبير» (١٩/ ٢٠٧ رقم ٤٦٨) من طرق عن حماد بن سلمة عن يعلى بن عطاء عن وكيع بن حدس عن عمّه أبي رزين.
وأخرج القسم الأوّل منه الطيالسي رقم (١٠٩٤)، وأحمد (٤/ ١١ و١٢) وابنه عبد الله في «السنة» رقم (٤٤٨ و٤٥٤ و٤٥٥)، وابن أبي عاصم في «السنة» رقم (٤٥٩)، وابن خزيمة في التوحيد (ص١٧٩)، والدارمي في «الرد على الجهمية» (ص٥٥)، والطبراني في «الكبير» (١٩/ ٢٠٦ رقم ٤٦٥)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٥٦٠) من طرق عن حماد بن سلمة به.
قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.
وأخرج القسم الأول أيضاً أبو داود رقم (٤٧٣١)، وابن خزيمة (ص١٧٨ - ١٧٩)، وابن أبي عاصم رقم (٤٦٠)، وعبد الله بن أحمد في «السنة» رقم (٤٤٧)، والطبراني في «الكبير» (١٩/ ٢٠٦ رقم ٤٦٦) من طريقين عن يعلى بن عطاء، به.
قال البيهقي في «الأسماء والصفات»: هذا حديث تفرّد به يعلى بن عطاء عن وكيع بن حدس، ولا نعلم لوكيع بن حدس هذا راوياً غير يعلى بن عطاء. وحسن الألباني الحديث في «ظلال الجنّة» (١/ ٢٠٠)، ووكيع بن حدس، ويقال «عُدُس» قال الذهبي: لا يعرف.
وقال الحافظ: «مقبول»، يعني عند المتابعة، وقد توبع، **فهو بها حسن**.
وخلاصة القول: أن الحديث حسن كما قال المحدث الألباني، والله أعلم.

قال: «أليس كلُّكم ينظر إلى القمر ليلةَ البدر»؟ قلنا: نعم. قال: «الله أكبرُ وأعظمُ».

وللإمام أحمدَ[1] عن جابر رضي الله عنه وقد سُئل عن الورود فقال: «نحن يوم القيامة على كذا وكذا ـ أي فوق الناسِ ـ فتُدعى الأُمم بأوثانها وما كانت تعبُد الأولَ فالأولَ، ثم يأتينا ربُّنا بعد ذلك فيقول: ومَن تنتظرون؟ فيقولون: ننتظر ربّنا عزّ وجلّ، فيقول: أنا ربُّكم، فيقولون: حتى ننظُرَ إليك، فيتجلّى لهم تبارك وتعالىٰ يضحك».

«قال: فينطلق بهم ويتّبعونه ويُعطي كل إنسانٍ منهم منافقٍ أو مؤمن نوراً، ثم يتبعونه على جسر جهنمَ وعليه كلاليبُ وحسَكٌ تأخذ مَن شاء الله، ثم يطفأُ نورُ المنافق، ثم ينجو المؤمنون فينجو أولُ زمرةٍ وجوهُهم كالقمر ليلة البدر، وسبعون ألفاً لا يحاسَبون، ثم الذين يلونهم كأضوءِ نجم في السماء، ثم كذلك، ثم تحِلُّ الشفاعةُ حتى يخرُجَ من النار من قال لا إله إلاّ اَلله وكان في قلبه من الخير ما يَزِن شعيرة، فيُجعلون بفناء الجنّة، ويَجعل أهلُ الجنة يَرشّون عليهم الماء حتى ينبُتون نباتَ الشيءِ في السيل ويذهبَ حِراقُه، ثم يَسأل حتى يجعل اللّهُ له الدنيا وعشرةَ أمثالِها معها» ورواه مسلم في صحيحه[2].

وفي رواية: «نحن يوم القيامة على تل مشرِفين على الخلائق»، ذكرها عبدُ الحق في الجمع بين الصحيحين[3].

ولعبد الرزاق[4] عنه رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «يتجلّى لهم الربُّ تبارك وتعالىٰ ينظُرون إلى وجهه فيخِرُّون له سُجّداً فيقول: ارفعوا رؤوسَكم فليس هذا بيوم عبادة».

---

(١) في «المسند» (٣/ ٣٤٥) من طريق ابن لهيعة عن أبي الزبير عن جابر به، وتابع ابن لهيعة روح بن عبادة عند أحمد (٣/ ٣٨٣).

(٢) في صحيحه (١/ ١٧٧ ـ ١٧٨ رقم ١٩١).

(٣) عزاه إليه ابن القيم في «حادي الأرواح» (ص٣٩٦).

(٤) عزاه إليه ابن القيم في «حادي الأرواح» (ص٣٩٦)، ولم أجده في «المصنف» المطبوع.

وللدارَقُطني[1] عنه ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**يتجلّى لنا ربُنا عزّ وجلّ يوم القيامة ضاحكاً**».

ولأبي قُرّة عنه ﷺ أنه سمع النبيَّ ﷺ يقول: «**إذا كان يومُ القيامة جُمعت الأمم**»، فذكر الحديثَ وفيه: «**فيقول: أتعرِفون اللّهَ عزّ وجلّ إن رأيتموه؟ فيقولون: نعم. فيقول: وكيف تعرِفونه ولم ترَوه؟ فيقولون: نعلم أنه لا عِدْلَ له. قال: فيتجلّى تبارك وتعالىٰ فيخِرّون له سُجّداً**»[2].

وفي سنن ابنِ ماجه[3] عنه ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**بينا أهلُ الجنةِ في نعيمهم إذ سطع لهم نورٌ فرفعوا رؤوسَهم فإذا الربُّ جلّ جلالُه قد أشرف عليهم من فوقهم، فقال تعالىٰ: السلامُ عليكم يا أهلَ الجنّة، وهو قوله عزّ وجلّ: ﴿سَلَٰمٞ قَوۡلٗا مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ﴾ [يسٓ: ٥٨]، فلا يلتفتون إلى شيء مما هم فيه من النعيم ما داموا ينظُرون إليه حتى يحتجب عنهم، وتبقى فيهم بركتُه ونورُه**».

وللبيهقي[4] عنه ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**بينا أهلُ الجنةِ في مجلس لهم إذ سطع لهم نورٌ على باب الجنّة، فرفعوا رؤوسَهم فإذا الربُّ تبارك وتعالىٰ قد أشرف، فقال تعالىٰ: يا أهلَ الجنة سلوني. قالوا: نسألك الرّضا عنا. قال تعالىٰ: رضائي أحلّكم داري وأنا لكم كرامتي، هذا أوانُها فسَلوني. قالوا: نسألك الزيادة، قال: فيُؤتون بنجائبَ من ياقوتٍ أحمرَ أزِمّتُها زُمُرّدٌ أخضرُ وياقوت أحمر فجاءوا**

---

(١) في «الصفات» رقم (٣٣)، وفي سنده ابن لهيعة وهو سيء الحفظ، ويغني عنه ما ورد في الصحيحين.

(٢) ذكره ابن القيم في «حادي الأرواح» (ص٣٩٧) من حديث جابر بسند رجاله ثقات.

(٣) في السنن رقم (١٨٤).
قلت: وأخرجه اللالكائي رقم (٨٣٦)، وأبو القاسم الأصبهاني في «الحجة في بيان المحجة» (٢/ ٢٤١ رقم ٢١٦)، وأبو نعيم في «صفة الجنّة» رقم (٩١)، والحلية (٦/ ٢٠٨)، والبيهقي في «البعث» (ص٢٦٢ رقم ٤٤٨)، والعقيلي في «الضعفاء» (٢/ ٢٧٤) في ترجمة أبي عاصم العباداني وقال عنه: «لا يتابع عليه، ولا يعرف إلاّ به»، وعدّه ابن عدي في مناكير الفضل الرقاشي (٦/ ٢٠٣٩)، وحكم عليه ابن الجوزي بالوضع في الموضوعات (٣/ ٢٦١).
وخلاصة القول: إن الحديث ضعيف جداً، والله أعلم.

(٤) في «البعث والنشور» (ص٢٦٢ ـ ٢٦٣ رقم ٤٤٨) وهو حديث ضعيف جداً، وانظر تخريج الحديث السابق.

عليها تضع حوافرَها عند منتهى طرفِها، فيأمر اللّهُ بأشجار عليها الثمارُ، فتجيء جواري الحورِ العِينِ وهن يقلن: نحن الناعماتُ فلا نَبأسُ، ونحن الخالداتُ فلا نموت، أزواجُ قومٍ مؤمنين كرامٍ، ويأمر اللّهُ عزّ وجلّ بكثبان من مسك أبيضَ أذْفَرَ فتُثير عليهم ريحاً يقال لها المُثيرةُ حتى تنتهيَ بهم إلى جنة عَدْنٍ وهي قَصَبةُ الجنة، فتقول الملائكةُ: يا ربنا قد جاء القومُ».

«فيقول: مرحباً بالصادقين ومرحباً بالطائعين، قال: فيكشِف لهم الحجابَ فينظرون إلى الله تبارك وتعالىٰ ويتمتّعون بنور الرحمٰنِ حتى لا يُبصر بعضُهم بعضاً، ثم يقول: أرجِعوهم إلى القصور بالتُّحَف، فيرجِعون وقد أبصر بعضُهم بعضاً». فقال رسولُ الله ﷺ: فذلك قولُه تعالىٰ: ﴿نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٢]، رواه في كتاب البعث والنشور[1]، وفي كتاب الرؤية[2].

وللدارَقُطني[3] عنه رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إن الله عزّ وجلّ يتجلّى للناس عامةً ويتجلّى لأبي بكرٍ خاصة».

ولابن وَهْب والدارَقُطني[4] عن أبي أُمامةَ رضي الله عنه قالَ: خطبَنا رسولُ الله ﷺ

---

(١) رقم (٤٤٨)، وهو حديث ضعيف جداً، وقد تقدم.

(٢) للدارقطني رقم (٦١) عن جابر، وهو حديث ضعيف جداً.

(٣) في «الرؤية» رقم (٥٨).
قلت: وأخرجه الخطيب البغدادي في تاريخه (١٢/ ١٩) من نفس طريق الدارقطني.
وقال: رواه أبو حامد الحضرمي أيضاً عن علي بن عبدة وذكر الحديث، وقال: هذا باطل والحمل فيه على أبي حامد بن حسنويه، فإنه لم يكن ثقة. وأخرجه ابن حبان في «المجروحين» (٢/ ١١٥) من طريق الدارقطني أيضاً.
وقال ابن حبان: علي بن عبدة بن شريك أبو الحسن التميمي: كان ببغداد يسرق الحديث، ويعمد إلى كل حديث رواه ثقة، يرويه عن شيخ ذلك الشيخ ويروي عن الأثبات ما ليس من حديث الثقات، لا يحلّ الاحتجاج به.
وخلاصة القول: أن الحديث ضعيف جداً، والله أعلم.

(٤) في «الرؤية» رقم (٧٩).
قلت: وأخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» رقم (٣٩١) مطولاً، وابن ماجه رقم (٤٠٧٧) مطولاً أيضاً، والآجري في «الشريعة» رقم (٩٣٧/ ٥٣٣) من طرق، بسند ضعيف.
وقال الألباني في «ظلال الجنة» (١/ ١٧٣): «ولي رسالة في تخريج هذا الحديث، وتحقيق الكلام على فقراته التي وجدت لأكثرها شواهد تقويها» اهـ.

يوماً فكان أكثرُ خُطبتِه ذكرَ الدجالِ يحذّرنا منه ويحدثنا عنه، حتى فرَغ من خُطبته، فكان فيما قال لنا يومئذ: «إن اللّهَ عزّ وجلّ لم يبعث نبياً إلاّ حذّره أمّتَه، وإني آخرُ الأنبياءِ وأنتم آخرُ الأمم، وهو خارجٌ فيكم لا محالة».

«فإن يخرجْ وأنا بين أظهُركم فأنا حجيجُ كلِّ مسلم، وإن يخرُجْ فيكم بعدي فكلُ امرئٍ حجيجُ نفسه، واللّهُ خليفتي على كلِّ مسلم، إنه يخرج من خلّة بين العراقِ والشامِ عاث يميناً وعاث شمالاً: يا عبادَ اللّهِ اثبُتوا».

«وإنه يبدأ فيقول: أنا نبيٌّ، ولا نبيّ بعدي. ثم يُثني فيقول: أنا ربُّكم، ولن تَرَوْا ربَّكم حتى تموتوا، وإنه مكتوبٌ بين عينيه «كافر» يقرأه كلُّ مؤمن، فمن لَقِيَه منكم فليتفُلْ في وجهه وليقرأ فواتحَ سورةِ الكهف، وإنه يُسلّط على نفس من بني آدمَ فيقتُلها ثم يُحييها، وإنه لا يعدو ذلك، ولا يُسلّط على نفس غيرِها. وإن من فتنته أن معه جنّةً وناراً، فنارُه جنةٌ وجنّتهُ نارٌ، فمن ابتُلي بناره فليُغمِضْ عينيه، وليستغثْ بالله تكنْ بَرداً وسلاماً كما كانت برداً وسلاماً على إبراهيم، وإن أيامَه أربعون يوماً: يوماً كسنة ويوماً كشهر ويوماً كجمعة ويوماً كالأيام، وآخرُ أيّامِه كالسراب، يصبح الرجلُ عند بابِ المدينة فيمسي قبل أن يبلُغ بابَها الآخرَ». قالوا: فكيف نصلّي يا رسولَ الله في تلك الأيام؟ قال: «تقدِرون كما تقدرون في الأيامِ الطّوال».

وللإمام أحمَد[1] وأبي داودَ[2] عن زيد بنِ ثابت ﷺ أن رسولَ الله ﷺ علّمه دعاءً وأمره أن يتعاهدَ به أهلَه كلَّ يوم، قال: «قل حين تصبح: لبّيك اللّهمّ لبّيك وسعديك، والخيرُ في يديك، ومنك وإليك، اللّهمّ وما قلتُ من قول أو نذرتُ من نذر أو حلفتُ من حِلفٍ فمشيئتُك بين يديه، ما شئتَ كان وما لم تشأ لم يكن، ولا حولَ ولا قوةَ إلاّ بك إنك على كل شيء قدير».

---

(١) في المسند (١٩١/٥) من طريق أبي بكر بن أبي مريم عن ضمرة بن حبيب بن صهيب عن زيد بن ثابت.

(٢) لم يخرجه أبو داود.

قلت: وأخرجه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» رقم (٨٤٦) من طريق أبي بكر بن أبي مريم عن حبيب بن عبيد بن صهيب عن زيد بن ثابت.

وسنده ضعيف عند أحمد واللالكائي، لضعف أبي بكر بن أبي مريم.

انظر: «تهذيب التهذيب» «٤/ ٤٩٠» ط: الرسالة.

«اللّهمّ وما صلّيتُ من صلاة فعلى من صلّيتَ، وما لعنتُ من لعنة فعلى من لعنتَ، أنت وليّي في الدنيا والآخرة، توفني مسلماً وألحقني بالصالحين».

«أسألك اللّهمّ الرّضا بعد القضاءِ وبردَ العيش بعد الموتِ، ولذّةَ النظرِ إلى وجهك، والشوقَ إلى لقائك من غير ضرّاءَ مُضِرة ولا فتنةٍ مُضلّة. أعوذُ بك اللّهمّ أن أظلم أو أُظلَم أو أعتَدي أو يُعتدى عليّ أو أكسِب خطيئةً محبطةً أو ذنباً لا تغفره».

«اللّهمّ فاطرَ السمٰواتِ والأرض، عالمَ الغيبِ والشهادة، ذا الجلالِ والإكرام، فإني أعهَد إليك في هذه الحياة الدنيا وأُشهدك وكفى بكَ شهيداً، أني أشهد أن لا إلٰه إلاّ أنت وحدك لا شريك لك، لك الملكُ ولك الحمدُ وأنت على كل شيءٍ قدير، وأشهد أن محمداً عبدُك ورسولُك، وأشهد أن وعدَك حقٌّ، وأن لقاءَك حقٌّ، والجنّةُ حقٌّ، والساعةُ آتيةٌ لا ريب فيها، وأنت تبعث مَن في القبور، وأشهد أنك إنْ تكِلني إلى نفسي تكِلْني إلى ضَيعة وعَورةٍ وذنبٍ وخطيئة، وإني لا أثق إلاّ برحمتك، فاغفِر لي ذنبي إنه لا يغفر الذنوبَ إلاّ أنت، وتُبْ عليّ إنك أنت التوّابُ الرحيم».

وللإمام أحمدَ[1] وابنِ حِبان[2] والحاكِم[3] في صحيحيهما عن أبي مِجْلَز قال: صلّى بنا عمّارٌ ﷺ صلاةً فأوجز فيها، فأنكروا ذلك، فقال: ألم أُتِمّ الركوعَ والسجود؟ قالوا: بلى. قال: أما إني قد دعوتُ فيها بدعاء كان رسولُ الله ﷺ يدعو به: «اللّهمّ بعلمك الغيبَ وقدرتك على الخلق، أحيني ما علمتَ الحياةَ خيراً لي، وتوفّني إذا علمتَ الوفاةَ خيراً لي، وأسألك خشيتَك في الغيب والشهادة، وكلمةَ الحقّ في الغضب والرّضا، والقصدَ في الفقر والغنى، ولذّةَ النظرِ إلى وجهك، والشوقَ إلى لقائك في غير ضرّاءَ مضِرّةٍ ولا فتنةٍ مُضِلّة. اللّهمّ زيّنا بزينة

---

(١) في «المسند» (٤/ ٢٦٤).

(٢) في صحيحه (٥/ ٣٠٤ ـ ٣٠٥ رقم ١٩٧١).

(٣) في «المستدرك»(١/ ٥٢٤ ـ ٥٢٥) وصححه ووافقه الذهبي.

قلت: وأخرجه النسائي (٣/ ٥٤ ـ ٥٥)، وابن منده في «الرد على الجهمية» رقم (٨٦)، والدارمي في «الرد على الجهمية» (ص٦٠)، واللالكائي رقم (٨٤٥)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (١٠/ ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٦٥ ـ ٢٦٦) من طرق. . .

الإيمان واجعلنا هداةً مهتدين»، وأخرجه ابن خزيمة في كتاب التوحيد[1].

وفي صحيح الحاكم[2] عن عائشة ﵂ قالت: قال رسولُ الله ﷺ لجابر: **«يا جابرُ، ألا أبشِّرُكَ؟ قال: بلى بشَّرك اللَّهُ بخير. قال: شعَرتُ أن اللّهَ أحيا أباك. قال: فأقعده بين يديه، فقال: تمنَّ عليَّ عبدي ما شئتَ أُعطِكَه. قال: يا ربِّ ما عبدتُك حقَّ عبادتك، أتمنى عليك أن تردَّني إلى الدنيا فأقاتلَ مع نبيّك فأُقتَلَ فيك مرة أخرى. قال تعالىٰ: إنه قد سلف مني أنك إليها لا ترجِع»**، وهو في المسند[3] من حديث جابر.

وللترمذي[4] عنه ﵁ قال: لما قُتل عبدُ الله بنُ عَمْرِو بنِ حَرامٍ يوم أُحد قال رسولُ الله ﷺ: **«يا جابرُ ألا أُخبرك ما قال اللّهُ عزّ وجلّ لأبيك؟ قال: بلى، قال: ما كلم اللّهُ عزّ وجلّ أحداً إلاّ من وراء حجاب وكلّم أباك كِفاحاً، فقال: يا عبدي تمنَّ عليَّ أُعطِك؟ قال: يا ربِّ تُحييني فأُقْتَلَ فيك ثانية، قال: إنه قد سبق مني أنهم إليها لا يرجعون، قال: يا ربِّ فأبلغْ مَن ورائي. فأنزل الله تعالىٰ هذه الآية:**

---

(١) في «التوحيد» (ص١٢).
حديث عمّار صحيح، والله أعلم.

(٢) في «المستدرك» (٣/٢٠٣)، وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، واعترض عليه الذهبي في «التلخيص» بقوله: «فيض ابن وثيق» كذاب.
وقال الذهبي في «الميزان» (٥/ ٤٤٤ رقم ٦٧٩٣/ ٦٦٧٠): «روى عنه أبو زرعة، وأبو حاتم، وهو مقارب الحال إن شاء الله» اهـ.
وقال ابن حجر في «لسان الميزان» (٤/٤٥٦): «وقد ذكره ابن أبي حاتم ولم يجرحه، وأخرج له الحاكم في المستدرك محتجاً به، وذكره ابن حبان في الثقات...» اهـ.
وأخرج أحمد (٣/ ٣٦١) حديث جابر برجال ثقات ما عدا عبد الله بن محمد بن عقيل، وهو ليِّن الحديث.
وخلاصة القول: أن الحديث حسن لغيره، والله أعلم.

(٣) ٣/ ٣٦١، وقد تقدم الكلام عليه في التعليقة السابقة.

(٤) في السنن (٥/ ٢٣٠ ـ ٢٣١ رقم ٣٠١٠) وقال: هذا حديث حسن غريب.
قلت: وأخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» رقم (٦٠٢)، وابن ماجه رقم (١٩٠ و٢٨٠٠)، والحاكم في «المستدرك» (٣/ ٢٠٤) وصححه ووافقه الذهبي، وحسن الألباني الحديث.
وخلاصة القول: أن الحديث حسن، والله أعلم.

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا﴾ [آل عمران: ١٦٩]» الآية. قال الترمذيُّ: هذا حديثٌ حسنٌ غريب. قلت[1]: وإسنادُهُ صحيحٌ.

وللترمذي[2] والطبرانيِّ[3] عن ابن عمرَ ﵄ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**إن أدنى أهلِ الجنةِ منزلةً لَرجلٌ ينظر في ملكه ألفَيْ سنةٍ يرى أقصاه كما يرى أدناه ينظر إلى أزواجه وسُرُره وخدمِه، وإن أفضلَهم منزلةً من ينظر إلى وجه اللّهِ تبارك وتعالىٰ كلَّ يوم مرتين**».

وفي رواية ابن عرفة[4]: ثم قرأ رسولُ الله ﷺ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة].

وفي رواية سعيدِ بن هُشيم عن ابن عمرَ ﵄ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**يومُ**

---

(١) القائل ابن القيم في «حادي الأرواح» (ص٤٠١).

(٢) في السنن (٤/٦٨٨ رقم ٢٥٥٣) و(٥/٤٣١ رقم ٣٣٣٠) وقال الترمذي: هذا حديث غريب.

(٣) عزاه إليه الهيثمي في «المجمع» (١٠/٤٠١).
قلت: وأخرجه أبو يعلى (١٠/٧٦ رقم ٥٧١٢)، والطبري في جامع البيان (٢٩/١٩٣)، والحاكم (٢/٥٠٩)، وصححه وتعقبه الذهبي بقوله: «بل هو ـ أي ثوير ـ واهي الحديث»، وأبو القاسم الأصبهاني في «الحجة في بيان المحجة» (٢/٢٤٣) رقم ٢١٨، والآجري في «الشريعة» (٣/٣٨ رقم ٦٦٣/٣١٤)، والدارقطني في «الرؤية» رقم (١٨٨ و١٩٠ و١٩١)، واللالكائي رقم (٨٤٠ و٨٤١)، وأحمد (٢/١٣، ٦٤)، والخطيب في «الموضح» (٢/٩) من طرق.
وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/٤٠١) وقال: «رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني، وفي أسانيدهم ثوير بن أبي فاختة، وهو مجمع على ضعفه» اهـ.
وأورده السيوطي في «الدر المنثور» (٦/٢٩٠) وعزاه لابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، والترمذي، وابن جرير، وابن المنذر والآجري في الشريعة، والدارقطني في «الرؤية»، والحاكم وابن مردويه، واللالكائي في السنة والبيهقي» اهـ.
وحكم المحدث الألباني على الحديث بالضعف في «الضعيفة» رقم (١٩٨٥)، وهو كما قال حفظه الله.

(٤) عزاه إليه ابن القيم في «حادي الأرواح» (ص٤٠٢) من طريق شبابة، عن إسرائيل، عن ثوير، عن ابن عمر مرفوعاً.
قلت: ثوير متفق على ضعفه، والزيادة هذه عند الترمذي أيضاً.

القيامة أولُ يومٍ نظرتْ فيه عينٌ إلى الله تبارك وتعالىٰ»، رواه الدارقطني[1].

وله[2] عنه ﷺ قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «ألا أُخبركم بأسفلِ أهلِ الجنة؟»، قالوا: بلى يا رسولَ الله، فذكر الحديثَ إلى أن قال: «حتى إذا بلغ النعيمُ منهم كلَّ مبلغٍ وظنّوا أن لا نعيمَ أفضلُ منه أشرف الربُّ تبارك وتعالىٰ عليهم فينظرون إلى وجه الرحمٰن عزّ وجلّ فيقول: يا أهلَ الجنّة، هلّلوني وكبّروني وسبّحوني بما كنتم تهلّلوني وتكبّروني وتسبّحوني في دار الدنيا، فيتجاوبون بتهليل الرحمٰن، فيقول تبارك وتعالىٰ لداودَ: يا داودُ قم فمجّدني فيقوم فيمجّد ربّه عزّ وجلّ».

وروى عثمانُ بنُ سعيدٍ الدارميُّ ـ في ردّه على المُريسي[3] ـ عن ابن عمرَ ﷺ يرفعه إلى النبيّ ﷺ: «إن أهلَ الجنة إذا بلغ النعيمُ منهم كلَّ مبلغٍ وظنوا أن لا نعيمَ أفضلُ منه تجلّى لهم الربُّ تبارك وتعالىٰ فنظروا إلى وجه الرحمٰنِ عزّ وجلّ فنسُوا كلَّ نعيمٍ عاينوه حين نظروا إلى وجه الرحمٰنِ عزّ وجلّ».

وقال الترمذيُّ[4] رحمه الله: حدّثنا محمدُ بنُ إسماعيلَ أخبرنا هشامُ بنُ عمارٍ

---

(١) في «الرؤية» رقم (١٩٢).
قلت: وأخرجه الخطيب في «تاريخ بغداد» (١٠/ ٣٥٢) وسنده ضعيف جداً.
كوثر بن حكيم: منكر الحديث كما قال الإمام البخاري في «التاريخ الكبير» (٧/ ٢٤٥)، وهيثم بن حكيم: متروك الحديث.
وخلاصة القول: أن الحديث ضعيف.

(٢) في «الرؤية» للدارقطني رقم (١٩٣) بإسناد ضعيف منقطع، فهو من رواية حماد بن جعفر عن ابن عمر وبينهما مفاوز، وحماد بن جعفر منكر الحديث.
والخلاصة أن الحديث ضعيف.

(٣) (ص١٦١)، بإسناد ضعيف منقطع، انظر التعليقة السابقة.

(٤) في السنن (٤/ ٦٨٥ رقم ٢٥٤٩)، وقال الترمذي: هذا حديث غريب، لا نعرفه إلاّ من هذا الوجه.
وقد روى سويد بن عمرو عن الأوزاعي شيئاً من هذا الحديث.
قلت: وأخرجه ابن ماجه (٢/ ١٤٥٠ ـ ١٤٥١ رقم ٤٣٣٦)، وتمام في فوائده رقم (١٥٨٦) وقد ضعف الألباني الحديث في ضعيف الترمذي وابن ماجه، وضعيف الجامع الصغير رقم (١٨٣١)، وفي مشكاة المصابيح رقم (٥٦٤٧).

أخبرنا عبدُ الحميد بنُ حبيبِ بنِ أبي العشرين أخبرنا الأوزاعيُّ حدثنا حسانُ بنُ عطيةَ عن سعيدِ بنِ المسيِّبِ أنه لقي أبا هريرة ﷺ فقال أبو هريرة: أتسأل الله تعالىٰ أن يجمعَ بيني وبينك في سوق الجنّة. فقال سعيد: أفيها سوقٌ؟ قال: نعم، أخبرني رسولُ الله ﷺ: «أن أهلَ الجنة إذا دخلوها نزلوا فيها بفضل أعمالِهم، ثم يُؤذَن في مقدار يومِ الجمعةِ من أيام الدنيا فيزورون ربَّهم ويبرُز لهم عرشُه ويتبدّى لهم في روضة من رياض الجنّة، فتوضع لهم منابرُ من نور ومنابرُ من لؤلؤ ومنابرُ من ياقوت ومنابرُ من زَبَرجَدٍ ومنابرُ من ذهب ومنابرُ من فضة، ويجلِس أدناهم ـ وما فيهم من دنيء ـ على كُثبان المِسك والكافور. وما يَرَوْن أن أصحابَ الكراسي بأفضل منهم مجلساً.

قال أبو هريرة: قلت: يا رسولَ الله، وهل نرى ربَّنا؟ قال: نعم، هل تتمارون في رؤية الشمسِ والقمرِ ليلةَ البدر؟ قلنا: لا. قال: كذلك لا تتمارون في رؤية ربِّكم، ولا يبقى في ذلكَ المجلسِ رجلٌ إلا حاضره اللّهُ تعالىٰ محاضَرةً حتى يقولَ للرجل منهم: يا فلانُ بنَ فلان أتذكرُ يوم قلت كذا وكذا؟ فيذكّره ببعض غَدَرَاته في الدنيا. فيقول: يا ربِّ أفلم تغفرْ لي؟ فيقول: بلى، فبِسعة مغفرتي بلغتَ منزلَتك هذه. فبينما هم على ذلك غَشِيَتْهم سحابةٌ من فوقهم فأمطرَتْ عليهم طِيباً لم يجدوا مثلَ رِيحِه شيئاً قطُّ.

ويقول ربُّنا عزّ وجلّ: قوموا إلى ما أعددتُ لكم من الكرامة فخذوا ما اشتهيتم. فنأتي سوقاً قد حفّت به الملائكةُ فيه ما لم تنظُر العيونُ إلى مثله ولم تسمع الآذانُ ولم يخطُر على القلوب، فيُحمل إلينا ما اشتهينا ليس يباع فيها ولا يُشترى.

وفي ذلك السوقِ يلقى أهلُ الجنةِ بعضُهم بعضاً. قال: فيُقبل الرجلُ ذو المنزلة المرتفعةِ فيلقى مَن هو دونه، وما فيهم دنيء، فيَرُوعه ما يرى عليه من اللباس، فما ينقضي آخرُ حديثهِ حتى يتخيّلَ إليه ما هو أحسنُ منه، وذلك أنه لا ينبغي لأحد أن يحزَنَ فيها.

ثم ننصرف إلى منازلنا فتتلقّانا أزواجُنا فيقُلْن: مرحباً وأهلاً، لقد جئتَ وإن لك من الجمال أفضلَ مما فارقْتَنا عليه. فنقول: إن جالسْنا اليومَ ربَّنا الجبارَ،

ويحِقّنا أن ننقلبَ بمثل ما انقلبنا». هذا حديثٌ غريبٌ لا نعرفه إلاّ من هذا الوجه.

قلت: ابنُ أبي العشرين كاتبُ الأوزاعي. قال أحمدُ[1] وأبو حاتمٍ[2]: ثقةٌ. وقال النسائي[3]: ليس بذاك القوي، وقال البخاري[4]: ربما يخالف في حديثه، وفي التقريب[5]: صَدوقٌ ربما أخطأ، وأما بقيةُ رجالِهِ فلا يُسأل عنهم. ورواه ابنُ ماجه[6] وابن أبي الدنيا[7] وابنُ أبي عاصم[8].

ولابنِ بطةَ[9] عن عمار بنِ رُويبةَ ﷺ قال: نظر النبيّ ﷺ إلى القمر ليلةَ البدر، فقال: **«إنكم ستَرَون ربّكم كما تَرَوْن هذا القمرَ، لا تُضارّون في رؤيته، فإن استطعتم على أن لا تُغلَبوا على صلاة قبل طلوعِ الشمس وصلاةٍ قبل غروبِها فافعلوا»**.

وفي رواية له[10] عنه قال: نظر رسولُ الله ﷺ إلى القمر ليلةَ البدر، فقال: **«إنكم سترونَ ربّكم تبارك وتعالىٰ كما تَرَوْن هذا القمرَ لا تُضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تُغْلَبوا على ركعتين قبل طلوعِ الشمسِ وركعتين بعد غروبِها فافعلوا»**.

---

(١) العلل رواية عبد الله (٢٦١٠)، وعنه في الجرح (٣/١/١١).
(٢) في «الجرح والتعديل» (٣/١/١١).
(٣) في «الضعفاء والمتروكين» رقم (٤١٩).
(٤) في «التاريخ الكبير» (٦/٤٥).
(٥) ١/٤٦٧.
(٦) رقم (٤٣٣٦) كما تقدم.
(٧) عزاه إليه المنذري في «الترغيب والترهيب» (٤/٤٥١) عن هقل بن زياد كاتب الأوزاعي أيضاً ـ وهو ثقة احتجّ به مسلم وغيره.
(٨) في «السنة» رقم (٥٨٥) إسناده ضعيف لضعف هشام بن عمار وعبد الحميد. والحديث ضعيف كما تقدم، وانظر: «الضعيفة» للألباني رقم (١٧٢٢).
(٩) عزاه إليه ابن القيم في «حادي الأرواح» (ص٤٠٣)، وفي إسناده أبو بكر بن عمارة بن رويبة، قال عنه الحافظ في «التقريب» رقم (٧٩٨٣): مقبول.
وأخرجه البخاري رقم ٥٥٤، ومسلم رقم (٦٣٣) من حديث جابر بن عبد الله.
(١٠) عزاه إلى ابن بطة ابن القيم في «حادي الأرواح» (ص٤٠٤)، وفي إسناده المسعودي صدوق وقد اختلط. وأبو بكر بن عمارة بن رويبة تقدم الكلام عليه في التعليقة السابقة.
والحديث في الصحيحين من حديث جرير بن عبد الله كما تقدم في التعليقة السابقة.

ولأبي معاويةَ عن سلمانَ الفارسيِّ[1] رضي الله عنه قال: «يأتون النبيَّ ﷺ فيقولون: يا نبيَّ الله، إنَّ الله فتح بك وختم بك وغفرَ لك، قم فاشفعْ لنا إلى ربك، فيقولون: نعم أنا صاحبُكم، فيخرُج يحوش الناسَ حتى ينتهيَ إلى باب الجنة فيأخذ بحلقة البابِ فيقرَع، فيُقال: من هذا؟ فيقول: محمدٌ ﷺ. قال: فيُفتح له فيجيء حتى يقومَ بين يدي اللهِ عزّ وجلّ فيستأذن في السجود فيُؤذن له»، الحديث.

ولابنِ بطةَ[2] والبزارِ[3] عن حذيفةَ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «أتاني جبريلُ فإذا في كفِّه مرآةٌ كأصفى المرايا وأحسنِها، وإذا في وسطها نُكتة سوداءُ. قال: قلتُ: يا جبريلُ ما هذه؟ قال: هذه الدنيا صفاؤها وحسنُها. قال: قلت: وما هذه اللمعةُ في وسطها؟ قال: هذه الجمعةُ. قال: قلت: وما الجمعةُ؟ قال: يومٌ من أيام ربِّك عظيمٌ، وسأخبرك بشرفه وفضلِه واسمِهِ في الآخرة.

أمّا شرفُه وفضلُه في الدنيا، فإن الله تعالىٰ جمع فيه أمرَ الخلق، وأمّا ما يُرجى فيه فإن فيه ساعةً لا يوافقها عبدٌ مسلمٌ أو أمةٌ مسلمةٌ يسألان الله فيها خيراً إلاّ أعطاهما إياه.

وأمّا شرفُه وفضلُه واسمُه في الآخرة، فإنّ الله تبارك وتعالىٰ إذا صيّر أهلَ الجنّة إلى الجنّة وأهلَ النارِ إلى النار، وجرت عليهم أيامُها وساعاتُها ليس بها ليلٌ ولا نهارٌ إلاّ قد علم الله مقدارَ ذلك وساعاتِهِ، فإذا كان يومُ الجمعة في الحين الذي يبرُز ـ أو يخرج ـ فيه أهلُ الجنة إلى جُمُعتهم نادى منادٍ: يا أهلَ الجنّة اخرُجوا إلى دار المزيدِ لا يعلم سعتَه وعَرضَه وطولَه إلاّ اللّهُ تعالىٰ في كُثبانٍ من المسك.

---

(١) عزاه إليه ابن القيم في «حادي الأرواح» (ص٤٠٤).
وحديث الشفاعة معروف أخرجه البخاري في مواضع من «صحيحه» منها رقم (١٤٧٥) من حديث ابن عمر.

(٢) عزاه إليه ابن القيم في «حادي الأرواح» (ص٤٠٤).
وسنده ضعيف، فإن القاسم بن مطيب قال عنه ابن حبان: يستحق الترك، انظر: «الميزان» (٣/ ٣٨٠).

(٣) في «المسند» (٤/ ١٩٣ ـ ١٩٤ رقم ٣٥١٨ ـ كشف).
وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٤٢٢) وقال: رواه البزار وفيه القاسم بن مطيب، وهو متروك.

قال: فيخرُج غلمانُ الأنبياءِ بمنابرَ من نورٍ، ويخرُج غلمانُ المؤمنين بكراسيَّ من ياقوتٍ. قال: فإذا وُضعتْ لهم وأخذ القومُ مجالسَهم بعث الله تبارك وتعالىٰ ريحاً تدعى المُثيرةُ، تُثير عليهم آثارَ المسك الأبيضِ تُدخِله من تحت ثيابهم وتُخرِجه في وجوهِهم وأشعارِهم، فتلك الريحُ أعلمُ كيف تصنع بذلك المسكِ من امرأة أحدِكم لو دفَع إليها ذلك الطيبَ بإذن الله تعالىٰ.

قال: ثم يوحي اللّهُ سبحانه وتعالىٰ إلى حَمَلة العرشِ فيوضَع بين ظَهرانَي الجنَّة وبينه وبينهم الحجبُ، فيكون أولَ ما يسمعون منه أن يقول: أين عبادي الذين أطاعوني في الغيب ولم يَرَوْني وصدّقوا رسلي واتّبعوا أمري؟ فسلوني فهذا يومُ المزيد. قال: فيجتمعون على كلمة واحدة: ربَّنا رضِينا عنك فارضَ عنّا.

قالَ: فيرجِع اللّهُ تعالىٰ في قولهم أن يا أهل الجنة لو لم أرضَ عنكم لما أسكنتُكم جنتي، فهذا يومُ المزيد فسلوني، قال: فيجتمعون على كلمة واحدة: ربُّ وجهَك، ربُّ وجهَك، أرِنا ننظرْ إليه. قال: فيكشف اللّهُ تبارك وتعالىٰ الحجبَ ويتجلّى لهم فيغشاهم من نوره شيءٌ لولا أنّه قضى عليهم أن لا يحترقوا لاحترقوا مما غَشِيَهم من نوره. قال: ثم يقال: ارجِعوا إلى منازلكم، قال: فيرجعون إلى منازلهم وقد خَفُوا على أزواجهم وخَفِين عليهم ممّا غَشِيهم من نوره.

فإذا صاروا إلى منازلهم يزاد النور وأمكن، ويزاد وأمكن، حتى يرجِعوا إلى صورهم التي كانوا عليها. قال: فيقول لهم أزواجُهم: لقد خرجتم من عندنا على صورة ورجَعتم على غيرها، قال: فيقولون: ذلك بأنّ الله تجلّى لنا فنظرنا منه إلى ما خَفِينا به عليكن. قال: فلهم في كل سبعةِ أيام الضعفُ على ما كانوا فيه. قال: وذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءً بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧]».

ولابن مهدي عنه[1] ﷺ في قوله عزّ وجلّ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾

(١) أخرجه اللالكائي رقم (٧٨٣)، وابن أبي عاصم في «السنة» رقم (٤٧٣)، وابن خزيمة في «التوحيد» (ص١٨٣)، والدارقطني في «الرؤية» رقم (٢٢٤ و٢٢٦)، والآجري في «الشريعة» (ص٢٥٧)، والطبري في «جامع البيان» (١١/١٠٤ ـ ١٠٥).
وقال الألباني في «ظلال الجنة» (١/٢٠٦): «حديث موقوف صحيح... ولكن يشهد له =

[يونس: ٢٦]، قال: النظرُ إلى وجه اللّهِ عزّ وجلّ. قال الحاكم[1] رحمه الله تعالىٰ: وتفسيرُ الصحابيِّ عندنا في حكم المرفوعِ.

ولابن خزيمةَ[2] عن أبي نَضْرَة قال: خطبَنا ابنُ عباس ﷺ فقال: قال رسولُ الله ﷺ: **«ما من نبيٍّ إلاّ وله دعوةٌ تعجَّلَها في الدنيا، وإني اختبأتُ دعوتي شفاعةً لأُمّتي يوم القيامة، فآتي بابَ الجنة فآخُذ بحلقة البابِ فأقرع البابَ، فيقال: من أنت؟ فأقول: أنا محمّدٌ. فآتي ربي وهو على كرسيّه ـ أو على سريره ـ فيتجلّى لي ربي فأخِرّ له ساجداً».**

ولأبي بكر بنِ أبي داودَ عن ابن عباس[3] ﷺ أيضاً عن النبيِّ ﷺ قال: **«إنّ أهلَ الجنةِ يَرَوْن ربَّهم تبارك وتعالىٰ في كل جمعةٍ في رمال الكافور، وأقربُهم منه مجلساً أسرعُهم إليه يوم الجمعة وأبكرُهم غُدوّاً».**

= الحديث المرفوع قبله ـ وهو حديث صهيب الذي أخرجه مسلم رقم (١٨١) وغيره، وهو حديث صحيح ـ.

(١) في «معرفة علوم الحديث» (ص٢٠):
«هذا الحديث وأشباهه مسندة عن آخرها وليست بموقوفة، فإن الصحابي الذي شهد الوحي والتنزيل، فأخبر عن آية من القرآن أنها نزلت في كذا وكذا، فإنه حديث مسند» اهـ.

(٢) لم أعثر عليه عند ابن خزيمة، وقد عزاه إليه ابن القيم في «حادي الأرواح» (ص٤٠٦)، وأخرجه أحمد في «المسند» (١/ ٢٨١ ـ ٢٨٢) مطوّلاً بألفاظ متقاربة. وفي سنده علي بن زيد بن جدعان وهو ضعيف. وقد اضطرب فيه فمرّة رواه عن ابن عباس، ومرّة عن أبي موسى.
والحديث قد ورد في الصحيحين من حديث أنس وأبي هريرة.
وخلاصة القول: أن الحديث حسن لغيره.

(٣) * أخرجه الآجري في «الشريعة» (٣/ ٣١ رقم ٦٥٣/ ٣٠٤) من حديث ابن عباس بسند ضعيف، الحسن البصري: مدلس وقد عنعن.
* وأخرجه ابن ماجه رقم (١٠٩٤) مرفوعاً من حديث ابن مسعود: «إن الناس يجلسون من الله يوم القيامة على قدر رواحهم إلى الجمعات...» بسند ضعيف. والأعمش: مدلس وقد عنعن.
* وأخرج الطبراني في «المعجم الكبير» (٩/ ٢٧٣ رقم ٩١٦٩) بنحو حديث ابن عباس موقوفاً من قول ابن مسعود.
وفيه أبو عبيدة بن عبد الله: لم يسمع من أبيه، قاله الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢/ ١٧٨)، أي فالسند منقطع. وما ورد موقوفاً في حكم المرفوع عن ابن مسعود، ولكن لهذا الحديث ما يشهد له.
وخلاصة القول أن الحديث حسن لغيره، والله أعلم.

وللصغاني عن عبد الله بن عَمْرو بنِ العاص[1] رضي الله عنهما قال: خلق اللَّهُ الملائكةَ لعبادته أصنافاً، فإن منهم لَمَلائكةً قياماً صافّين من يوم خلقَهم إلى يوم القيامة، وملائكةً ركوعاً خشوعاً من يوم خلقَهم إلى يوم القيامة، وملائكةً سجوداً منذ خلقَهم إلى يوم القيامة، فإذا كان يومُ القيامة وتجلّى لهم تعالىٰ ونظروا إلى وجهه الكريم قالوا: «سبحانك ما عبدناك حقَّ عبادتِك».

وللدارمي[2] عن أبي الدرداءِ رضي الله عنه أن فضالةَ - يعني ابنَ عُبيد رضي الله عنه - كان يقول: اللّهمّ إني أسألك الرّضا بعد القضاء، وبَرْدَ العيشِ بعد الموت، ولذةَ النظرِ إلى وجهك، والشوقَ إلى لقائك في غير ضرّاءَ مضرّةٍ ولا فتنةٍ مُضلّة.

وللإمام أحمدَ[3] عن عُبادة بن الصامت رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ أنه قال: **«قد حدّثتُكم عن الدجّال حتى خَشِيتُ أن لا تعقِلوا، إن المسيحَ الدجالَ رجلٌ قصيرٌ أفحجُ، جعدٌ أعورُ، مطموسُ العينِ ليست بناتئة ولا حَجْراءَ، فإن التبس عليكم فاعلموا أن ربّكم ليس بأعورَ، وإنكم لن ترَوْا ربّكم حتى تموتوا»**.

وقال الصغاني: حدثنا روحُ بنُ عبادة حدثنا عبّادُ بن منصور قال: سمعتُ عديَّ بنَ أرطاةَ يخطُب على المنبر بالمدائن، فجعل يعِظ حتى بكى وأبكى ثم قال: كونوا كرجل قال لابنه وهو يعظه: يا بنيَّ أوصيك أن لا تصلّيَ صلاةً إلاّ ظننتَ أنك لا تصلّي بعدها غيرَها حتى تموتَ، وتعالى يا بنيّ نعمل عملَ رجلين كأنّهما قد وقفا على النار ثم سألا الكرةَ، ولقد سمعتُ فلاناً - نسيَ عبّادٌ اسمه - ما بيني

---

(١) أخرجه البخاري في «التاريخ الكبير» (١/٢/٨).

(٢) أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٨/٣١٩ رقم ٨٢٥)، وفي الأوسط رقم (٦٠٩١)، وفي الدعاء رقم (١٤٢٣).
وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/١٧٧) وقال: رواه الطبراني في الكبير والأوسط ورجالهما ثقات.
وأخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» رقم (٤٢٧)، والدارقطني في «الرؤية» رقم (٢٢٩)، بسند صحيح.

(٣) في «المسند» (٥/٣٢٤) فيه بقية مدلس، ولكنه صرّح بالتحديث عند أحمد، وشيخه شامي.
قلت: وأخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» رقم (٤٢٨)، وأبو داود في «السنن» مختصراً (٤٣٢٠)، والآجري في «الشريعة» (٣/١٩٨ رقم ٩٣٦/٥٣٢) وللحديث شواهد.
وخلاصة القول: أن الحديث صحيح، والله أعلم.

وبين رسولِ الله ﷺ غيرُه، فقال: إنّ رسولَ الله ﷺ قال: **«إنّ لله ملائكةً ترعُد فرائصُهم من مخافته، ما منهم مَلَكٌ تقطُر دمعتُه من عينه إلاّ وقعت مَلَكاً يسبّح اللّهَ تعالىٰ. قال: وملائكةٌ سجودٌ منذ خلق السمٰواتِ والأرضَ لم يرفعوا رؤوسَهم ولا يرفعونها إلى يوم القيامة، وصفوفٌ لم ينصرفوا عن مَصافِّهم ولا ينصرفون إلى يوم القيامة، فإذا كان يومُ القيامة وتجلّى لهم ربُّهم فنظروا إليه قالوا: سبحانك ما عبدناك كما ينبغي لنا أن نعبُدَك»**[1].

فثبت بهذه الأحاديثِ المتواترةِ الصحيحة الصريحةِ أن اللّهَ عزّ وجلّ يُرى في الآخرة كما يشاء، وأن الشهداءَ بعد موتِهم يَرَونه، وأن الملائكةَ يرونه، وأن النبيَّ ﷺ يراه عند استئذانهِ في الشفاعة، وأن أمةَ محمّدٍ ﷺ بَرَّهم وفاجرَهم يرَوْنه في عَرَصات القيامة، وهي للفاجر والمنافقِ ابتلاءٌ وامتحانٌ ونوعٌ من العقوبة، وأما رؤيةُ الفرحُ والسرورِ والتلذّذ بالنظر إلى وجه اللّهِ عزّ وجلّ، فهي خاصّة لأوليائه المؤمنين يُؤْذَن لهم في السجود ويُعطَوْن النورَ التامَّ على الصراط فيتبعونه. ثم يتجلّى لهم في الجنة فيرَوْنه كما يشاء، وهي الزيادةُ في يوم المزيدِ كما في الآيات السابقة وما في معناها من الأحاديث التي سردناها، وقد جاءت أحاديثُ صحيحةٌ في تفسير الزيادةِ بالنظر إلى وجه الله عزّ وجلّ، منها حديثُ أبي موسى وحديثُ أنسٍ وحديثُ حذيفةَ وحديثُ صُهيب، وقد تقدّم ذكرُها قريباً.

وللدارقطني[2] عن أُبيّ بن كعبٍ رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ في قوله تعالىٰ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، قال: النظرُ إلى وجه الله عزّ وجلّ.

---

(١) أخرجه الخطيب في «تاريخ بغداد» (١٢/٣٠٦ ـ ٣٠٧) من طريق الصاغاني عنه به. وأشار إلى خطبة عدي بن أرطاة ابن حجر في «تهذيب التهذيب» (٣/٨٥)، وكذلك الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (٥/٥٣).

(٢) في «الرؤية» رقم (٢٠٠).

قلت: وأخرجه اللالكائي رقم (٨٤٩) بسند الدارقطني، وفيه مجاهيل.

وأخرجه اللالكائي رقم (٧٨٠) من طريق آخر عن أبي العالية. . . به، **بسند ضعيف لجهالة الراوي عن أبي العالية.**

ولابن جرير[1] عنه ﷺ قال: سألتُ رسولَ الله ﷺ عن «الزيادة» في كتابِ الله عزّ وجلّ، قوله تعالىٰ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، قال ﷺ: **«الحُسنى: الجنّةُ، والزيادةُ: النظرُ إلى الله عزّ وجلّ»**.

ولابن جرير[2] عن كعب بن عُجْرَة ﷺ عن النبيّ ﷺ في قوله تعالىٰ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، قال: **«الزيادةُ النظرُ إلى وجه الرحمٰنِ عزّ وجلّ جلالُه»**.

ورواهُ ابنُ حميدٍ[3] عنه بلفظ: **«الزيادةُ النظرُ إلى وجه الله تبارك وتعالىٰ»**.

وللحسن بنِ عَرفةَ[4] عن أنس ﷺ قال: سُئل رسولُ الله ﷺ عن هذه الآية: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، قال: **«للذين أحسنوا العملَ في الدنيا، والحسنى وهي الجنةُ، والزيادةُ وهي النظرُ إلى وجه الله عزّ وجلّ»**.

وقد رُوي تفسيرُ «الزيادة» بالنظر إلى وجه الله عزّ وجلّ عن أبي بكر ﷺ، وعليِّ بنِ أبي طالب، وحُذيفةَ بنِ اليمانِ، وعبدِ الله بنِ عباسٍ، وأبي موسى، وعن عُبادةَ بنِ الصامت، وغيرِهم من الصحابة ﷺ[5]، وعن التابعين عن سعيد بنِ المسيِّب، وعبدِ الرحمٰنِ بن أبي ليلى، وعبدِ الرحمٰن بنِ السابط، ومجاهدٍ، وعِكْرِمَةَ، وعامِر بن سعدٍ، وعطاءٍ، والضحاكِ، والحسنِ، وقَتادةَ، والسُّدّيِّ، ومحمدِ بنِ إسحاقَ، ومقاتلٍ وغيرِهم[6]، رحمهم الله من السلف والخلف، ولولا خشيةُ الإطالةِ لنقلنا أقوالَهم بأسانيدها، وفيما ذكرنا من المرفوع كفايةٌ، وبالله التوفيق.

---

(١) في «جامع البيان» (١٥/ ٦٩ رقم ١٧٦٣٣ ـ شاكر) بسند ضعيف لجهالة الراوي عن أبي العالية.

(٢) في «جامع البيان» (١٥/ ٦٨ رقم ١٧٦٣١ ـ شاكر) بسند ضعيف لضعف إبراهيم بن المختار؛ ولأنه من مرسل عطاء عن كعب بن عجرة قاله الشيخ أحمد شاكر.
قلت: وأخرجه اللالكائي رقم (٧٨١).

(٣) لم أجده عند ابن حميد، وانظر الذي قبله.

(٤) في جزئه رقم (٢٣).
قلت: وأخرجه اللالكائي رقم (٧٧٩) بسند ضعيف، سلم بن سالم البلخي ضعيف، ونوح بن أبي مريم: منكر الحديث، قاله البخاري.
قلت: إن الأحاديث المتقدمة يقوّي بعضها بعضاً، فتكون صحيحة لغيرها إن شاء الله.

(٥) سيأتي تخريج هذه الآثار قريباً، عند ذكر المنقول عن أصحاب رسول الله ﷺ في هذا الباب.

(٦) سيأتي تخريج هذه الآثار قريباً، عند ذكر أقوال التابعين رحمهم الله تعالىٰ في ذلك.

ذكرُ المنقولِ عن أصحاب رسولِ الله ﷺ في هذا البابِ

قـال أبـو بكـر[1] رضي الله عنه وقـرأ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يـونـس: ٢٦]، فقالوا: ما الزيادةُ يا خليفةَ رسولِ الله ﷺ؟ قال: النظرُ إلى وجه الله تبارك وتعالىٰ.

وقال عليّ[2] رضي الله عنه: من تمام النعمةِ دخولُ الجنة والنظرُ إلى وجه الله تبارك وتعالىٰ في جنّته.

وقال حذيفةُ[3] رضي الله عنه: الزيادةُ النظرُ إلى وجه الله تبارك وتعالىٰ.

---

(١) أخرجه ابن أبي عاصم رقم (٤٧٣)، وعبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» رقم (٤٧٠ و٤٧١)، واللالكائي رقم (٧٨٣، ٧٨٤)، والطبري في «جامع البيان» (١١/ ١٠٤)، وابن منده في «الرد على الجهمية» رقم (٨٤)، وابن خزيمة في «التوحيد» (٢/ ٤٥٠ رقم ٢٦٤)، والدارقطني في «الرؤية» رقم (٢٢١ و٢٢٢)، والآجري في «الشريعة» (٣/ ٦٣٠، ٦٣١، ٦٣٢، [٣٤٧، ٣٤٨، ٣٤٩]) - والدارمي في «الرد على الجهمية» (ص٦٠ - ٦١)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» رقم (٦٦٦) وفي «الاعتقاد» (ص٦٢).

وزاد السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٣٠٦) نسبته لابن أبي شيبة، وابن المنذر، وأبي الشيخ، وابن مردويه.

وعلّته تدليس أبي إسحاق السبيعي وقد عنعنه.

ومسلم بن نذير: لا بأس به، تابعي روى عنه جماعة، وذكره ابن حبان في «الثقات»، وقال عنه أبو حاتم: «لا بأس به».

وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١١/ ١٠٥) بإسناده إلى شعبة، عن أبي إسحاق عن عامر بن سعد موقوفاً عليه، وهو على شرط مسلم.

وقال أبو الأشبال في «جامع البيان» (١٥/ ٦٣): رواه الآجري في «الشريعة» مرسلاً، وقال عن الأثر: في إسناده نظر.

وقال المحدث الألباني في «ظلال الجنة» (١/ ٢٠٦): حديث موقوف صحيح... ويشهد له الحديث المرفوع قبله - وهو حديث صهيب الذي أخرجه مسلم رقم (١٨١) وغيره وهو حديث صحيح.

وخلاصة القول: أن أثر أبي بكر رجاله ثقات وفي إسناده انقطاع، وهو صحيح لغيره.

(٢) أخرجه اللالكائي رقم (٨٥٩)، وابن أبي حاتم - كما في «حادي الأرواح» (ص٤٠٩) - وسنده ضعيف: عمارة بن عبد قال عنه الحافظ في «التقريب» رقم (٤٨٥٣): مقبول. وصالح بن أبي خالد ذكره في «الجرح والتعديل» وسكت عنه.

والأثر صحيح لغيره.

(٣) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» رقم (٤٧٣)، والآجري في «الشريعة» (٢/ ١٤) رقم ٦٣٢/ ٣٤٩، وابن أبي عاصم في «السنة» رقم (٤٧٣)، والطبري في «جامع=

وقال عبدُ الله بنُ مسعودٍ[1] ﷺ: والله ما منكم من إنسان إلاّ أن ربَّه سيخلو به يومَ القيامة كما يخلو أحدُكم بالقمر ليلةَ البدر، قال: فيقول: ما غرّك بي يا ابنَ آدمَ (ثلاث مرات)، ماذا أجبتَ المرسلين (ثلاث مرات)، ماذا عَمِلتَ فيما عَلِمْتَ؟

وقال ﷺ[2]: الزيادةُ النظرُ إلى وجه الله عزّ وجلّ.

وقيل لابن عباسٍ[3] ﷺ: كلُّ من دخل الجنّةَ يرى ربَّه عزّ وجلّ؟ قال: نعم.

وقال معاذُ بنُ جبل[4] ﷺ: يُحشر الناسُ يوم القيامةِ في صعيدٍ واحد، فينادَى: أين المتّقون؟ فيقومون في كنفٍ واحدٍ من الرحمٰن تعالىٰ، لا يحتجب اللّهُ منهم ولا يَسْتتر. قال أبو عفيفٍ - وهو الراوي عنه -: مَن المتّقون؟ قال: قومٌ اتّقَوا الشِّركَ وعبادةَ الأوثانِ وأخلصوا لله في العبادة، فيمرّون إلى الجنّة.

وكان أبو هريرة[5] ﷺ يقول: لن تَرَوْا ربّكم حتى تذوقوا الموتَ.

= البيان» (١١/ ١٠٥)، والدارمي في «الرد على الجهمية» (ص٦١)، واللالكائي رقم (٧٨٣، ٧٨٤)، وابن خزيمة (٢/ ٤٥٢ رقم ٩/ ٢٦٥)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» رقم (٦٦٦) بسند ضعيف، فيه عنعنة أبي إسحاق. وانظر الكلام على أثر أبي بكر الصديق المتقدم آنفاً وهو أثر صحيح لغيره.

(١) أخرجه اللالكائي رقم (٨٦٠).
وأبو عوانة - كما في «حادي الأرواح» (ص٤١٠) بسند صحيح.

(٢) أخرجه اللالكائي رقم (٧٨٧).
وأخرجه أبو بكر بن أبي داود - كما في «حادي الأرواح» (ص٤١٠) بسند ضعيف وهو أثر صحيح لغيره.

(٣) أخرجه الآجري في «الشريعة» (٢/ ١٣ رقم ٦٢٩/ ٣٤٦) بسند ضعيف.
إبراهيم بن الحكم بن أبان العَدَنيُّ: ضعفه الحافظ في «التقريب» (١٦٦)، وأثر ابن عباس حسن لغيره.

(٤) أخرجه اللالكائي رقم (٨٦٤).
وابن أبي حاتم - كما في «حادي الأرواح» (ص٤١٠)، بسند ضعيف.
ميمون (أبو حمزة): ضعيف، قاله الحافظ في «التقريب» رقم (٧٠٥٧).
وأبو عفيف: لا يعرف.

(٥) أخرجه اللالكائي رقم (٨٦٥) بسند ضعيف.
وهو حديث صحيح لغيره.

وقال ابنُ عمرَ[1] رضي الله عنهما: إن أدنى أهلِ الجنّةِ منزلةً من ينظرُ إلى ملكه ألفي عام يرى أقصاه كما يَرَى أدناه، وإن أفضلَهم منزلةً لَمن ينظرُ إلى وجه الله جلّ جلالُهُ في كل يوم مرّتين. وكان فَضالةُ بنُ عبيدٍ[2] رضي الله عنه يقول: اللّهمّ إني أسألك الرّضا بعد القضاء، وبَرْدَ العيشِ بعد الموتِ، ولذةَ النظرِ إلى وجهك. وقد تقدم هذا الدعاءُ عنه، وتقدّم مرفوعاً من حديث زيدِ بن ثابتٍ وعُبادةَ بنِ الصامتِ رضي الله عنهما.

وقال أبو موسى[3] رضي الله عنه: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، قال: الجنّة، و«الزيادة» هي النظرُ إلى وجه الله عزّ وجلّ. وكان رضي الله عنه[4] يحدّث الناسَ فشَخَصوا بأبصارهم، فقال: ما صرف أبصارَكم عني؟ قالوا: الهلالُ. قال: فكيف بكم إذا رأيتم وجهَ اللّهِ تعالىٰ جهرةً؟

وقال أنسُ بنُ مالكٍ[5] رضي الله عنه في قوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق: ٣٥]،

---

(١) أخرجه اللالكائي رقم (٨٦٦) بسند ضعيف.
ثوير بن أبي فاختة: ضعيف.
وقد أخرجه اللالكائي مرفوعاً وموقوفاً رقم (٨٤٠، ٨٤١).
كما تقدم تخريج الحديث المرفوع في كتابنا هذا.

(٢) تقدم تخريجه قريباً.

(٣) أخرجه اللالكائي رقم (٧٨٦)، والدارمي في «الرد على الجهمية» (ص٦١)، والطبري في «جامع البيان» (١١/ ١٠٥)، وابن خزيمة في «التوحيد» (٢/ ٤٥٦ رقم ٢٦٧/١٠)، والدارقطني في «الرؤية» رقم (٥٦).
ومدار الأثر عند الجميع على أبي بكر الهذلي، وهو ضعيف. **ولكن الأثر ثبت من طرق صحيحة فهو بها حسن، والله أعلم.**

(٤) أخرجه اللالكائي رقم (٨٦٢)، وعبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» رقم (٤٦٥)، والدارمي في «الرد على الجهمية» (ص٦١)، وابن خزيمة (٢/ ٤٤٢ رقم ٢٥٧/٥) كلهم موقوفاً على أبي موسى.
وأخرجه الآجري في «الشريعة» (٢/ ٢٦ رقم ٦٥١/ ٣٠٢)، وابن خزيمة (٢/ ٤٤١ رقم ٤/ ٢٥٦) مرفوعاً.
ورجح ابن خزيمة الوقف بقوله: «ذكر النبيّ ﷺ في هذا الخبر بهذا الإسناد علمي وهم، هذا من قبل أبي موسى الأشعري، في هذا الإسناد لا من قول النبيّ ﷺ».
قلت: على كل الأحوال إن هذا الموقوف له حكم الرفع.
وهو صحيح لغيره، والله أعلم.

(٥) أخرجه الدارمي في «الرد على الجهمية» (ص٦٢) بسند ضعيف جداً، وانظر الكلام على الأثر الآتي.

يظهر لهم الربُّ تبارك وتعالىٰ يوم القيامة[1].

وعن جابر[2] ﷺ قال: إذا دخل أهلُ الجنةِ الجنةَ وأُديمَ عليهم بالكرامة جاءتْهم خيولٌ من ياقوت أحمرَ لا تبول ولا تَرُوث، لها أجنحةٌ، فيقعُدون عليها ثم يأتون الجبارَ جلّ وعلا، فإذا تجلّى لهم خرّوا له سُجّداً فيقول: يا أهلَ الجنةِ ارفعوا رؤوسَكم، فقد رَضِيتُ عنكم رضاءً لا سخَطَ بعده.

ذكرُ أقوالِ التابعين رحمهم الله تعالىٰ في ذلك

قال سعيدُ بنُ المسيِّب[2] والحسنُ[3] وعبدُ الرحمٰنِ بنُ أبي ليلى[4] وعبدُ الرحمٰنِ بنُ سابطٍ[5] وعِكرِمةُ[6] ومجاهدٌ[7] وقَتادةُ[8] والسُّدي[9] وكعبٌ[10] رحمهم الله تعالىٰ: (الزيادةُ النظرُ إلى وجه الله عزّ وجلّ).

وكتب عمرُ بنُ عبدِ العزيز[11] رحمه الله إلى بعض عُمّالِهِ: (أما بعدُ، فإني أوصيك بتقوى الله عزّ وجلّ ولزومِ طاعتهِ، والتمسكِ بأمرِهِ، والمعاهدةِ على ما حمَّلك الله من دينه واستحفظك من كتابه، فإن بتقوى الله عزّ وجلّ ولزوم طاعتهِ

---

(١) أخرجه الآجري في «الشريعة» (٢/ ٣٥،٣٦ رقم ٦٥٨، ٦٥٩ [٣٠٩، ٣١٠]) بإسناد ضعيف جداً.
الحكم بن أبي خالد هو ابن ظهير: «متروك الحديث» كما قال النسائي وابن حجر وغيرهما، وقال البخاري عنه: منكر الحديث. [الميزان (١/ ٥٧١)، والكامل (٢/ ٦٢٦)]، والحسن مدلس وقد عنعن.

(٢) أخرجه اللالكائي رقم (٧٨٩).

(٣) أخرجه اللالكائي رقم (٧٩٠) وفي سنده: أبو بشر الحلبي. قال ابن حجر في «التقريب» (٢/ ٣٩٥): مجهول.

(٤) أخرجه الدارقطني في «الرؤية» رقم (٢٣٥ و٢٣٦).

(٥) أخرجه الدارقطني في «الرؤية» رقم (٢٤٥)، واللالكائي رقم (٧٩٥).

(٦) أخرجه اللالكائي رقم (٧٩٦).

(٧) أخرجه اللالكائي رقم (٧٩٧).

(٨) أخرجه اللالكائي (٧٩٨)، وأخرجه ابن خزيمة بسند آخر، ولفظ مقارب في «التوحيد» (ص١٢١)، وكذلك الطبري في «جامع البيان» (١١/ ١٠٦).

(٩) أخرجه الدارقطني في «الرؤية» رقم (٢٤٠)، بسند ضعيف.

(١٠) لم أعثر على مخرجه.

(١١) أخرجه الدارمي في «الرد على الجهمية» (ص٦٢).

نجا أولياؤه من سخطه، وبها وافقوا أنبياءه، وبها نُضرت وجوهُهم ونظروا إلى خالقهم، وهي عصمةٌ في الدنيا من الفتن ومن كُرَب يومِ القيامة).

وقال الحسنُ[1] رحمه الله تعالىٰ: (لو علم العابدون في الدين أنهم لا يَرون ربَّهم في الآخرة لذابت أنفسُهم في الدنيا).

وقال الأعمشُ وسعيدُ بن جبيرٍ[2] رحمهما الله: إن أشرفَ أهلِ الجنةِ لَمن ينظُر إلى الله تبارك وتعالىٰ غُدوةً وعشيّة.

وقال كعبٌ[3] رحمه الله تعالىٰ: ما نظر الله عزّ وجلّ إلى الجنة قطُّ إلاّ قال طِيبي لأهلك، فزادت ضعفاً على ما كانت، حتى يأتيَها أهلُها. وما من يوم كان لهم عيداً في الدنيا إلاّ ويخرُجون في مقداره في رياض الجنّة، فيبرُز لهم الربُّ تبارك وتعالىٰ فينظُرون إليه وتَسْفي عليهم الريحُ المِسْكَ، ولا يسألون الربَّ تبارك وتعالىٰ شيئاً إلاّ أعطاهم حتى يرجعوا وقد ازدادوا على ما كانوا من الحُسن والجمالِ سبعين ضعفاً، ثم يرجِعون إلى أزواجهم وقد ازدَدْن مثلَ ذلك.

وقال هشامُ بنُ حسان[4]: إن الله سبحانه وتعالىٰ يتجلّى لأهل الجنةِ، فإذا رآهُ أهلُ الجنة نَسُوا نعيمَ الجنّة.

وقال طاوسُ[5]: (أصحابُ المِراء والمقاييسِ لا يزال بهم المِراءُ والمقاييسُ حتى يجحَدوا الرؤيةَ ويخالفوا أهلَ السنّة).

وقال شَريكٌ عن أبي إسحاقَ السَّبيعيّ[6]: الزيادةُ: النظرُ إلى وجه الرحمٰنِ تبارك وتعالىٰ.

---

(١) أخرجه اللالكائي رقم (٨٦٩).

(٢) ذكره ابن القيم في «حادي الأرواح» (ص٤١٣).

(٣) أخرجه الآجري في «الشريعة» رقم (٦١٤/ ٣٣١) بسند ضعيف، ولعلّه من الإسرائيليات.

(٤) أخرجه الآجري في «الشريعة» رقم (٦١٣/ ٣٣٠).

(٥) أخرجه اللالكائي رقم (٨٦٨).

(٦) أخرجه اللالكائي رقم (٧٩٤)، والطبري في «جامع البيان» (١١/ ١٠٥)، والدارقطني في «الرؤية» رقم (٢٤٧).

وعن عبد الرحمٰن بن أبي ليلى[1] أنه تلا هذه الآية: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، قال: (إذا دخل أهلُ الجنةِ الجنةَ أُعطوا فيها ما سألوا وما شاءوا، فيقول الله عزّ وجلّ لهم: إنه قد بقيَ من حقّكم شيءٌ لم تُعطَوه، فيتجلّى لهم تبارك وتعالىٰ فلا يكون ما أُعطُوه عند ذلك بشيء، فالحسنى الجنةُ، والزيادةُ النظرُ إلى وجه ربِّهم تبارك وتعالىٰ: ﴿وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، بعد نظرِهم إلى ربِّهم تبارك وتعالىٰ).

وقال عليُّ بنُ المديني: سألت عبدَ الله بنَ المبارك[2] عن قوله تعالىٰ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ [الكهف: ١١٠]، قال عبد الله: (من أراد النظرَ إلى وجه الله خالقِه فليعمل عملاً صالحاً ولا يُخبر به أحداً).

وقال نعيمُ بن حمّاد: سمعتُ ابنَ المبارك[3] يقول: (ما حجب الله عزّ وجلّ أحداً عنه إلاّ عذّبه)، ثم قرأ: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ۝١٥ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ ۝١٦ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ۝١٧﴾ [المطففين]، قال: (بالرؤية).

وقال عبادُ بنُ العوام[4]: قدِم علينا شريكُ بنُ عبد الله منذ خمسين سنةً فقلت: يا أبا عبد الله، إن عندنا قوماً من المعتزلة يُنكرون هذه الأحاديثَ: **«إن الله ينزل إلى سماء الدنيا»**، و**«إن أهلَ الجنة يرَوْن ربّهم»**، فحدَّثني بنحو عشرةِ أحاديثَ في هذا، وقال: (أما نحن، فقد أخذنا دينَنا هذا عن التابعين عن أصحاب رسولِ الله ﷺ، فهم عمّن أخذوا؟).

وقال عُقبةُ بن قُبيصةَ[5]: أتينا أبا نعيم[6] يوماً فنزل إلينا من الدرجة التي في داره فجلس وسطَها كأنه مُغضَبٌ فقال: حدّثنا سفيانُ بنُ سعيدٍ ومنذرٌ الثوريُّ وزهيرُ بن معاويةَ، وحدثنا حسنُ بنُ صالحِ بنِ حيّ، وحدثنا شريكُ بنُ عبد الله النخعي، هؤلاء أبناءُ المهاجرين يحدّثوننا عن رسول الله ﷺ أن الله تبارك وتعالىٰ

---

(١) أخرجه الدارقطني في «الرؤية» رقم (٢٣٢).
(٢) أخرجه اللالكائي رقم (٨٩٥).
(٣) أخرجه اللالكائي رقم (٨٩٤).
(٤) أخرجه اللالكائي رقم (٨٧٩)، والآجري في «الشريعة» رقم (٣٦٩/٧٣٩) بسند صحيح.
(٥) أخرجه اللالكائي رقم (٨٨٧).
(٦) وهو الفضل بن دكين.

يُرى في الآخرة، حتى جاء ابنُ يهوديٍّ صباغٍ يزعمُ أن الله تعالىٰ لا يُرى (يعني بشر المريسي[1] قبّحه الله).

ذكرُ أقوالِ الأئمةِ الأربعةِ وطبقاتِهم ومشايخِهم رحمهم الله تعالىٰ

قال مالكُ بنُ أنس[2] الإمام رحمه الله تعالىٰ: (الناسُ ينظُرون إلى ربّهم عز وجلّ يوم القيامة بأعينهم).

وسئل رحمه الله[3] عن قوله عزّ وجلّ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة]، أتنظُر إلى الله عزّ وجلّ؟ قال: نعم. قال أشهب: فقلت إن أقواماً يقولون تنظُر ما عنده. قال: بل تنظُر إليه نظراً، وقد قال موسى: ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرْ إِلَيْكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي﴾ [الأعراف: ١٤٣]. وقال تعالىٰ: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥].

---

(١) هو بشر بن غياث المريسي، مبتدع ضال، لا ينبغي أن يروى عنه ولا كرامة. تفقّه على أبي يوسف، فبرع وأتقن علم الكلام ثم جرّد القول بخلق القرآن، وناظر عليه، ولم يدرك الجهم بن صفوان، إنما أخذ مقالته واحتجّ لها ودعا إليها، . . .
وقال أبو النضر هاشم بن القاسم: كان والد بشر المريسي يهودياً قصاراً صباغاً في سويقة النضر بن مالك.
وقال قتيبة بن سعد: بشر المريسي كافر، مات سنة ثمان عشرة ومائتين.
وقال الخطيب حكى عنه أقوال شنيعة أساء أهل العلم قولهم فيه وكفّره أكثرهم لأجلها، وأسند من الحديث شيئاً يسيراً.
وأسند عبد الله بن أحمد في كتاب «السنة» عن هارون الرشيد أنّه قال: بلغني أن بشراً يقول: القرآن مخلوق، عليّ إن أظفرني الله به أن أقتله. ونقل عنه أنه كان ينكر عذاب القبر وسؤال الملكين والصراط والميزان.
[لسان الميزان (٢/ ٢٩ ـ ٣١)].

(٢) أخرجه اللالكائي رقم (٧٨٠)، وأبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٣٢٦)، والآجري في «الشريعة» (ص٢٥٤) بسند صحيح.
وذكره الذهبي في «السير» (٨/ ٩٩).

(٣) أي الإمام مالك رحمه الله.
ذكره القاضي عياض في «ترتيب المدارك» (٢/ ٤٢)، والذهبي في «السير» (٨/ ١٠٢)، وابن عبد الهادي في «إرشاد السالك» (ص٥١).

وذكر الطبري وغيرُه[1] أنه قيل لمالك: إنهم يزعُمون أن الله لا يُرى، فقال مالك: (السيفَ السيفَ).

وقال أبو صالح كاتبُ الليث: أملى عليَّ عبدُ العزيز بنُ أبي سلمةَ الماجُشون[2]، وسألتُه عما جحدت الجهمية؟ فقال: (لم يزل يُملي لهم الشيطانُ حتى جحدوا قولَه تعالىٰ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝﴾ [القيامة]، فقالوا: لا يراه أحدٌ يوم القيامة، فجحدوا والله أفضلَ كرامةِ الله التي أكرم بها أولياءَه يوم القيامة من النظر إلى وجههِ ونُضرتِه إياهم: ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [القمر: ٥٥]، فوربِّ السماءِ والأرض ليجعلَنّ رؤيتَه يوم القيامة للمخلِصين له ثواباً لِيَنضُر بها وجوهَهم دون المجرمين وتُفلجَ بها حجّتُهم على الجاحدين وهم ﴿عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥]، لا يرونَه، كما يزعُمون أنه لا يُرى، ولا يكلّمهم ولا ينظر إليهم ولهم عذابٌ أليم).

وقال الأوزاعيُّ[3] رحمه الله تعالىٰ: (إني لأرجو أن يحجُبَ الله عزّ وجلّ جهماً وأصحابَه عن أفضل ثوابِه الذي وعده الله أولياءَه حين يقول: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝﴾ [القيامة]، فجحد جهمٌ وأصحابُه أفضلَ ثوابِه الذي وعده الله تعالىٰ أولياءَه).

وقال الوليدُ بنُ مسلم: سألتُ الأوزاعيَّ وسفيانَ الثوريَّ ومالكَ بنَ أنسٍ والليثَ بنَ سعد عن هذه الأحاديثِ التي فيها الرؤيةُ، فقالوا: تُمرُّ بلا كيف.

وقال سفيانُ بنُ عيينةَ: من لم يقل إن القرآنَ كلامُ الله، وأن الله يُرى في الجنّة فهو جهْميٌّ، ذكره الطبري[4].

وذكر عنه ابنُ أبي حاتم[5] أنه قال: لا يُصلّى خلفَ الجهمي، والجهميُّ الذي يقول لا يَرى ربَّه يوم القيامة.

---

(١) أخرجه اللالكائي رقم (٨٧٢).
(٢) أخرجه اللالكائي رقم (٨٧٣). أبو صالح كاتب الليث: ضعيف.
(٣) أخرجه اللالكائي رقم (٨٧٤).
(٤) أخرجه ابن أبي حاتم كما في «حادي الأرواح» (ص٤١٥).
(٥) كما في «حادي الأرواح» (ص٤١٦).

وذكر ابنُ أبي حاتم عن جرير بنِ عبدِ الحميدِ[1] أنه ذكر حديثَ ابن سابطٍ في الزيادة أنها النظرُ إلى وجه الله عزّ وجلّ، فأنكره رجلٌ، فصاح به وأخرجه من مجلسه.

وذكرَ أيضاً عن ابن المباركِ[2] أن رجلاً من الجهمية قال له: يا أبا عبدِ الرحمٰن: «خُدا را بآن جهان جون بيند»[3]، ومعناه: كيف يُرى الله يوم القيامة؟ فقال: بالعين.

وقال وكيعُ بنُ الجراح[4] رحمه الله: (يراه تبارك وتعالىٰ المؤمنون في الجنّة ولا يراه إلاّ المؤمنون).

وقال قتيبةُ بنُ سعيد[5] رحمه الله تعالىٰ: قولُ الأئمّة المأخوذُ به في الإسلام والسنّة: الإيمانُ بالرؤية، والتصديقُ بالأحاديث التي جاءت عن رسول الله ﷺ في الرؤية.

وقال أبو عبيد القاسمُ بنُ سلّام[6]، وقد ذُكرت عنده هذه الأحاديثُ التي في الرؤية: (هي عندنا حقٌّ، رواها الثقاتُ عن الثقات إلى أن صارت إلينا. إلاّ أنّا إذا قيل لنا فسّروها لنا، قلنا: لا نفسّر منها شيئاً ولكن نُمضيها كما جاءت).

وقال عبدُ الوهاب الورّاق[7]: سألتُ أسودَ بنَ سالمٍ[8] عن أحاديث الرؤيةِ فقال: أحلِف عليها أنها حقٌّ.

وقال محمد بنُ إدريسَ الشافعيُّ[9] رحمه الله تعالىٰ وقد جاءته رقعةٌ من

---

(١) أخرجه اللالكائي رقم (٨٨٠).

(٢) أخرجه اللالكائي رقم (٨٨١).

(٣) هذه لغة فارسية.

(٤) أخرجه اللالكائي رقم (٨٨٢).

(٥) أخرجه اللالكائي رقم (٨٨٦).

(٦) ذكره ابن بطة وغيره كما في «حادي الأرواح» (ص٤١٦)، وأخرجه الآجري في «الشريعة» رقم (٣٣٩/٦٢٢) بسند صحيح.

(٧) أخرجه الآجري في «الشريعة» رقم (٣٣٣/٦١٦) بسند صحيح.

(٨) شيخ الإمام أحمد.

(٩) أخرجه ابن كثير في «مناقب الشافعي» (ص١٩٠ ـ ١٩١ رقم ٢١٥)، والبيهقي في «مناقب الشافعي» (٤٢٠/١)، وأحكام القرآن (٤٠/١)، واللالكائي رقم (٨٨٣).

الصعيد فيها: ما تقول في قول الله عزّ وجلّ: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥]؟، فقال الشافعيُّ رحمه الله تعالىٰ: لما أنْ حُجب هؤلاء في السُّخْط كان في هذا دليلٌ على أن أولياءَه يرَوْنه في الرِّضا. قال الربيع فقلت: يا أبا عبد الله وبه تقول؟ قال: نعم، وبه أدينُ الله عزّ وجلّ، ولو لم يوقن محمدُ بنُ إدريس أنه يرى الله لما عبدَ الله عزّ وجلّ، رواه الحاكم عن الربيع عنه.

وروى الطبرانيُّ وغيرُه[1] عن المُزَني قال: سمعتُ الشافعيَّ رحمه الله تعالىٰ يقول في قوله عزّ وجلّ: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥]: فيها دليلٌ على أن أولياءَ الله يرَوْن ربَّهم تبارك وتعالىٰ يوم القيامة.

وقال محمدُ بنُ عبدِ الله بنِ الحَكَم[2]: سئل الشافعيُّ رحمه الله تعالىٰ عن الرؤية، فقال: يقول الله تعالىٰ: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥]، ففي هذا دليلٌ على أن المؤمنين لا يُحجبون عن الله عزّ وجلّ. رواه أبو زُرعةَ الرازيُّ.

ولابن بطّةَ عنه[3] رحمه الله تعالىٰ قال: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥] دلالةٌ على أن أولياءَ الله يرَوْنه يوم القيامة بأبصارهم ووجوهِهم.

وقال إسحاقُ بنُ منصورٍ[4] قلت لأحمَد: أليس ربّنا تبارك وتعالىٰ يراه أهلُ الجنّة؟ أليس تقول بهذه الأحاديثِ؟ قال أحمدُ: صحيحٌ.

وقال الفضلُ بن زياد[5]: سمعتُ أبا عبد الله ـ وقيل له: تقول بالرؤية ـ فقال: من لم يقل بالرؤية فهو جهميٌّ.

وقال: سمعتُ أبا عبد الله وبلَغه عن رجل أنّه قال: إن اللّٰهَ لا يُرى في الآخرة، فغضِب غضباً شديداً ثم قال: من قال إن اللّٰهَ لا يُرى في الآخرة فقد كفر، عليه لعنةُ الله وغضبُه من كان من الناس، أليس يقول الله عزّ وجلّ: ﴿وُجُوهٌ

---

(١) أخرجه اللالكائي رقم (٨٠٩).
(٢) أخرجه اللالكائي رقم (٨١٠).
(٣) عزاه إليه ابن القيم في «حادي الأرواح» (ص٤١٧).
(٤) ذكره ابن القيم في «حادي الأرواح» (ص٤١٧).
(٥) أخرجه الآجري في «الشريعة» رقم (٦١٨/ ٣٣٥) بسند صحيح.

يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة]، وقال: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥].

وقال أبو داود[١]: سمعتُ أحمدَ رحمه الله تعالىٰ وذُكر له عن رجل شيءٌ في الرؤية فغضب، وقال: (من قال إن الله لا يُرى فهو كافر).

وقال أيضاً[٢]: سمعتُ أحمدَ بنَ حنبل رحمه الله تعالىٰ، وقيل له في رجل يحدّث بحديث عن رجل عن أبي العَطوفِ أن الله لا يُرى في الآخرة، فقال: (لعن الله من يحدّث بهذا الحديثِ اليوم، ثم قال: أخزى الله هذا).

وقال أبو بكر المَرْوَزي[٣]: قيل لأبي عبد الله: تعرِفُ عن يزيدَ بنِ هارونَ عن أبي العطوفِ عن أبي الزبير عن جابر: إن استقرّ الجبلُ فسوف تراني وإن لم يستقرّ فلا تراني في الدنيا ولا في الآخرة؟ فغضِب أبو عبد الله غضباً شديداً حتى تبيّن في وجهه، وكان قاعداً والناسُ حوله فأخذ نعلَه وانتعل وقال: أخزى الله هذا، هذا لا ينبغي أن يُكْتَب. ودفع أن يكون يزيدُ بنُ هارونَ رواه أو حدّث به وقال: هذا جهميٌّ كافرٌ خالف ما قال الله عزّ وجلّ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة]، وقال: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥]، أخزى الله هذا الخبيثَ.

قال أبو عبد الله[٤]: ومن زعم أن الله لا يُرى في الآخرة فقد كفر.

وقال أبو طالب[٥]: قال أبو عبد الله: قولُ الله عزّ وجلّ: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [البقرة: ٢١٠]، وقوله: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢]، فمن قال إن الله لا يُرى فقد كفر.

وقال إسحاقُ بن إبراهيمَ بنِ هانئٍ[٦]: سمعت أبا عبدِ الله يقول: من لم يؤمن بالرؤية فهو جهميٌّ، والجهميٌّ كافرٌ.

---

(١) أخرجه الآجري في «الشريعة» رقم (٦٢١/ ٣٣٨) بسند صحيح.
(٢) أخرجه الآجري في «الشريعة» رقم (٦٧١/ ٣٥١) بسند صحيح.
(٣) ذكره ابن القيم في «حادي الأرواح» (ص٤١٧ ـ ٤١٨).
(٤) ذكره ابن القيم في «حادي الأرواح» (ص٤١٨).
(٥) ذكره ابن القيم في «حادي الأرواح» (ص٤١٨).
(٦) ذكره ابن القيم في «حادي الأرواح» (ص٤١٨).

وقال يوسفُ بنُ موسى بنِ محمدٍ القطّانُ[1]: قيلَ لأبي عبد الله: أهلُ الجنة ينظرون إلى ربّهم تبارك وتعالىٰ ويكلّمونه ويكلّمهم؟ قال: نعم، ينظر إليهم وينظرون إليه ويكلّمهم ويكلّمونه كيف شاءوا إذا شاءوا.

وقال حنبلُ بنُ إسحاق[2]: سمعتُ أبا عبد الله يقول: القومُ يرجِعون إلى التعطيل في أقوالهم، يُنكرون الرؤيةَ والآثارَ كلَّها، وما ظننتُهم على هذا حتى سمعت مقالاتِهم.

قال حنبلٌ: وسمعتُ أبا عبدِ الله يقول: من زعم أن الله لا يُرى في الآخرة فهو جهميٌّ، فقد كفر وردَّ على الله وعلى الرّسول. ومن زعم أن الله لم يتّخذ إبراهيمَ خليلاً فقد كفر وردَّ على الله قوله.

قال أبو عبد الله: فنحن نؤمن بهذه الأحاديثِ ونُقرُّ بها ونُمِرُّها كما جاءت.

وقال الأثرمُ[3]: سمعتُ أبا عبد الله رحمه الله يقول: فأمّا من يقول: إن الله لا يُرى في الآخرة فهو جهميٌّ.

قال أبو عبد الله: وإنما تكلّم مَن تكلم في رؤية الدنيا.

وقال إبراهيمُ بنُ زيادٍ الصائغُ[4]: سمعت أحمدَ بنَ حنبلٍ يقول: الرؤيةُ: من كذَّب بها فهو زنديقٌ.

وقال حنبلٌ: سمعتُ أبا عبد الله يقول: أدركْنا الناسَ وما يُنكرون من هذه الأحاديثِ شيئاً، أحاديثِ الرؤية، وكانوا يحدّثون بها على الجملة، يُمِرّونها على حالها غيرَ مُنْكِرين لذلك ولا مُرتابين.

وقال أبو عبد الله رحمه الله تعالىٰ: قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا﴾ [الشورى: ٥١]، وكلّم الله موسى من وراء حجابٍ، فقال: ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ

---

(١) ذكره ابن القيم في «حادي الأرواح» (ص٤١٨).
(٢) ذكره ابن القيم في «حادي الأرواح» (ص٤١٨).
(٣) ذكره ابن القيم في «حادي الأرواح» (ص٤١٨).
(٤) ذكره ابن القيم في «حادي الأرواح» (ص٤١٨).

﴿ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى﴾ [الأعراف: ١٤٣]، فأخبر الله عزّ وجلّ أن موسى يراه في الآخرة، وقال: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥]، ولا يكون حجابٌ إلاّ لرؤية، أخبر الله سبحانه وتعالىٰ أن مَن شاء الله ومن أراد يراه، والكفارَ لا يرونه.

قال حنبلٌ: وسمعتُ أبا عبد الله يقول: قال الله تعالىٰ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢ ـ ٢٣]، والأحاديثُ التي تروى في النظر إلى الله تعالىٰ حديثُ جابرِ بنِ عبدِ الله[1] ....

---

(١) الصحيح الذي أخرجه مسلم في صحيحه (١/ ١٧٧ ـ ١٧٨ رقم ٣١٦/ ١٩١) عن جابر أنه سئل عن الورود، فقال: «نجيءُ يوم القيامة على كوم، فتُدعى الأُمَمُ بأوثانِها وما كانت تَعبُدُ، الأولُ فالأولُ، ثم يأتينا ربُّنا بعدَ ذلكَ فيقولُ: من تنظرون؟ فيقولونَ: ننظر ربَّنا. فيقول: أنا ربكم. فيقولون: حتى ننظُرَ إليكَ فيتجلّى لهم يضحكُ...» الحديث.

* أما الأحاديث الآتية عن جابر فهي موضوعة:

١) أخرج ابن ماجه رقم (١٨٤)، واللالكائي رقم (٨٣٦)، والعقيلي في «الضعفاء الكبير» (٢/ ٢٧٤ ـ ٢٧٥)، وابن عدي في «الكامل» (٦/ ٢٠٣٩ ـ ٢٠٤٠)، وابن الجوزي في «الموضوعات» (٣/ ٢٦٠ ـ ٢٦١)، والآجري في «التصديق بالنظر إلى الله في الآخرة» رقم (٤٨)، وفي «الشريعة» رقم (٦٥٧/ ٣٠٨)، وأبو القاسم الأصبهاني في «الحجة في بيان المحجة» (٢/ ٢٤١ رقم ٢١٦)، وأبو نعيم في «صفة الجنة» رقم (٩١)، وفي «الحلية» (٦/ ٢٠٨)، والبيهقي في «البعث والنشور» رقم (٤٤٨)، والدارقطني في «الرؤية» رقم (٦١) كلّهم من طريق أبي عاصم عُبيد الله بن عبد الله العَبّاداني، عن الفضل الرقاشي، عن محمد بن المنكدر عن جابر، قال النبيّ ﷺ: «بينا أهلُ الجنةِ في نعيمِهم إذا طلعَ لهم نورٌ فرفعوا رؤوسَهم، فإذا الربُّ تبارك وتعالىٰ قد أشرف عليهم من فوقهم، فقال: السلامُ عليكم يا أهلَ الجنةِ، فذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿سلام قولاً من رب رحيم﴾ [يسۤ: ٥٨]، قال: فينظر إليهم، وينظرون إليه، فلا يلتفتونَ إلى شيءٍ من النَّعيم ما داموا ينظرونَ إليهِ حتى يحتجبَ عنهم تبارك وتعالىٰ، ويبقى نورهُ وبركتُهُ عليهم وفي ديارهم»، بسند ضعيف جداً.

فيه أبو عاصم العَبّاداني: قال عنه الحافظ في «التقريب» (٢/ ٤٤٣): ليّن الحديث، وقال العقيلي: منكر الحديث.

وفيه الفضل الرقاشي، وهو ابن عيسى بن أبان قال عنه الحافظ في «التقريب»: منكر الحديث. وعدّ ابن عدي الحديث من مناكير الفضل الرقاشي هذا.

وخلاصة القول: أن الحديث موضوع.

٢) أخرج الآجري في «التصديق بالنظر إلى الله في الآخرة» رقم (٤٩)، وفي «الشريعة» رقم (٦٥٨/ ٣٠٩):

=

وغيرِه[1]: «تنظرون إلى ربكم» أحاديثُ صحاحٌ.

وقال تعالىٰ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، النظرُ إلى وجه الله عزّ وجلّ.

قال أبو عبد الله: نؤمن بها ونعلم أنّها حقٌّ أحاديثَ الرؤية، ونؤمن بأن الله يُرى، نرى ربَّنا يوم القيامة لا نشكّ فيه ولا نرتاب.

قال: وسمعت أبا عبد الله يقول: من زعم أن الله لا يُرى في الآخرة فقد كفر بالله وكذّب بالقرآن، ورد على الله أمرَه، يُستتاب فإن تاب وإلاّ قُتل.

قال حنبلٌ: قلت لأبي عبد الله في أحاديث الرؤية، قال: هذه صحاحٌ نؤمن بها ونُقِرّ بها، وكلُّ ما رُوي عن النبيّ ﷺ أقرَرْنا به.

= من طريق سويد بن سعيد، عن مروان بن معاوية، عن الحكم بن أبي خالد، عن الحسن عن جابر بن عبد الله، عن النبيّ ﷺ قال: «**إذا دخلَ أهلُ الجنةِ الجنةَ، جاءتهم خيولٌ من ياقوتٍ أحمر لها أجنحةٌ، لا تروث ولا تبول، فيقعدونَ عليها، ثم طارت بهم في الجنة، فيتجلّى لهم الجبّارِ عزّ وجلّ، فإذا رأوه خرّوا سُجّداً فيقول لهم الجبار عزّ وجلّ: ارفعوا رؤوسكم ليس هذا يوم عملٍ، إنما هو يوم نعيم وكرامةٍ، فيرفعونَ رؤوسهم، فيمطر الله عزّ وجلّ عليهم طِيباً، فيرجعونَ إلى أهليهم، فيمرّونَ بكثبان المسكِ، فيبعث الله عزّ وجلّ على تلك الكثبان ريحاً فتهيجها حتى أنهم ليرجعون إلى أهليهم، وأنهم شعثٌ غبرٌ من المسك**»، بسند ضعيف جداً.

فيه الحكم بن أبي خالد وهو ابن ظهير: متروك الحديث، قاله النسائي وابن حجر وغيرهما.

وقال عنه البخاري: «منكر الحديث»، انظر: الميزان (١/ ٥٧١)، والكامل (٢/ ٦٢٦).

وفيه عنعنة الحسن.

وخلاصة القول: أن الحديث موضوع.

٣) أخرج الآجري في «التصديق بالنظر إلى الله في الآخرة» رقم (٥٠)، وفي «الشريعة» رقم (٣١٠/٦٥٩).

من طريق الحسين بن الحسن المروزي، عن مروان بن معاوية، عن الحكم بن أبي خالد، عن الحسن عن جابر بن عبد الله قال: «**إذا دخل أهل الجنةِ الجنةَ، وأديم عليهم بالكرامةِ جاءتهم خيولٌ من ياقوتٍ أحمر...**»، الحديث بسند ضعيف جداً.

والكلام على سند هذا الحديث كسابقه، إلاّ أن «سويد بن سعيد»، قد تابعه هنا «الحسين بن الحسن المروزي» وهو ثقة.

وخلاصة القول: أن الحديث موضوع.

(١) كحديث صهيب رضي الله عنه الذي أخرجه مسلم (١/ ١٦٣ رقم ١٨١/٢٩٧) وغيره.

قال أبو عبد الله: إذا لم نُقِرّ بما جاء عن النبيّ ﷺ ودفعناه رددْنا على الله أمرَه، قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾[1] [الحشر: ٧].

وقال عبدُ الله بنُ طاهرٍ أميرُ خُراسانَ لإسحاقَ بنِ راهُويَهْ: يا أبا يعقوبَ، هذه الأحاديثُ التي يروونها في النزول والرؤيةِ ما هنّ؟ فقال: رواها مَن روى الطهارةَ والغسلَ والصلاةَ والأحكام ـ وذكر أشياءَ ـ فإن يكونوا في هذه عُدولاً وإلاّ فقد ارتفعت الأحكامُ وبطَل الشرعُ. فقال: شفاكَ الله كما شفيتَني، أو كما قال. ذكره الحاكم[2].

وقال إمامُ الأئمّةِ محمدُ بنُ إسحاقَ بنِ خُزيمةَ في كتابه[3]: «إن المؤمنين لم يختلفوا أن المؤمنين يرَوْن خالقَهم يوم القيامة، ومن أنكر ذلك فليس بمؤمن عند المؤمنين».

وقال نعيم بنُ حمّادٍ للمزني[4]: (ما تقول في القرآن؟ فقال: أقول إنه كلامُ الله. فقال: غيرُ مخلوق؟ فقال: غيرُ مخلوق. قال: وتقول إن الله يُرى يوم القيامة؟ قال: نعم. فلما افترق الناسُ قام إليه المزني فقال: يا أبا عبدِ الله شهّرتَني على رؤوس الناسِ. فقال: إن الناسَ قد أكثروا فيك، فأردتُ أن أُبرِّئك).

وقال أبو العباس أحمدُ بنُ يحيى ثعلبٌ[5] في قوله تعالىٰ: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ۝٤٣ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَـٰمٌ﴾ [الأحزاب: ٤٣ ـ ٤٤]، أجمع أهلُ اللغة على أن

---

(١) انظر هذه الأقوال في «حادي الأرواح» (ص٤١٩).
(٢) قال ذلك ابن القيم في «حادي الأرواح» (ص٤١٩).
(٣) في «التوحيد» (٢/٥٤٨).
(٤) أخرجه اللالكائي رقم (٨٩١).
(٥) هو أحمد بن يحيى بن يسار الشيباني مولاهم الإمام البغدادي، أبو العباس ثعلب، إمام الكوفيين في النحو واللغة ولد سنة (٢٠٠هـ)، وابتدأ النظر في العربية والشعر واللغة سنة ست وعشرة، وحفظ كتب الفرّاء فلم يشذ منها حرف، وعني بالنحو أكثر من غيره، فلما أتقنه أكبّ على الشعر والمعاني والغريب. صنّف: المصون في النحو، واختلاف النحويين، ومعاني القرآن... وغيرها. وثقل سمعه بأخره، ثم صُمّ. وتوفي يوم السبت لعشر خلون من جمادى الأولى سنة (٢٩١هـ).
[بغية الوعاة: للسيوطي (١/٣٩٦ رقم ٧٨٧)].

اللقاءَ هٰهنا لا يكون إلاّ معاينةً ونظراً بالأبصار[1]. قلت: واللقاءُ ثابتٌ بنصّ القرآنِ هذه الآيةِ وغيرِها، وبالتواتر عن النبيّ ﷺ، وكلُّ أحاديثِ اللقاءِ صحيحةٌ:

كحديث أنس[2] في قصة بئر مَعونةَ: **«إنّا قد لَقِينا ربَّنا فرضِيَ عنا وأرضانا»**.

وحديثِ عُبادةَ[3] وعائشةَ[4] وأبي هريرةَ[5] وابنِ مسعودٍ[6] رضي الله عنهم: **«من أحبَّ لقاءَ الله أحبَّ الله لقاءَه»**.

وحديثِ أنس[7]: **«إنكم ستلقَون بعدي أثرةً، فاصبِروا حتى تلقَوا الله تعالىٰ ورسولَه ﷺ»**.

وحديثِ أبي ذر[8] رضي الله عنه: **«لو لَقِيتَني بقُراب الأرضِ خطايا ثم لقيتَني لا تُشرك بي شيئاً لأتيتُك بقُرابها مغفرةً»**.

وحديثِ أبي موسى[9]: **«من لقيَ الله لا يشرك به شيئاً دخَل الجنّة»**، وغيرُ ذلك من أحاديث اللقاءِ التي اطّردت كلُّها بلفظ واحد.

فهذا كتابُ الله عزّ وجلّ وسنّةُ رسولِ الله ﷺ الصحيحةُ الصريحةُ، وهذه

---

(١) ذكر ذلك ابن القيم في «حادي الأرواح» (ص٤٢٠).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (١٥١١/٣ رقم ٦٧٧/١٤٧) من حديث أنس.

(٣) أخرجه البخاري (٣٥٧/١١ رقم ٦٥٠٧)، ومسلم (٢٠٦٥/٤ - رقم ٢٦٨٣) من حديث عبادة بن الصامت.

(٤) أخرجه البخاري (٣٥٧/١١ رقم ٦٥٠٩)، ومسلم (٢٠٦٥/٤ - ٢٠٦٦ رقم ٢٦٨٤) من حديث عائشة.

(٥) أخرجه البخاري (٤٦٦/١٣ رقم ٧٥٠٤)، ومسلم (٢٠٦٦/٤ رقم ٢٦٨٥) من حديث أبي هريرة.

(٦) لم أجده بهذا اللفظ من حديث ابن مسعود.

(٧) أخرجه البخاري (١١٧/٧ رقم ٣٧٩٣)، ومسلم (١٤٧٤/٣ رقم ١٨٤٥/٤٨) من حديث أنس.

(٨) أخرجه مسلم (٢٠٦٨/٤ رقم ٢٦٨٧/٢٢).

(٩) أخرجه الطبراني كما في «مجمع الزوائد» (٣٦٩/١٠) من حديث أبي موسى، وقال الهيثمي: رجاله ثقات.

* وأخرج مسلم في صحيحه (٩٤/١ رقم ٩٣/١٥١) عن جابر، قال: أتى النبيّ ﷺ رجُلٌ فقال: يا رسولَ الله ما الموجبتان؟ فقال: **«من مات لا يشركُ بالله شيئاً دخلَ الجنةَ، ومن لقيَهُ يشرِكُ به دخل النّارَ»**.

أقوالُ الصحابة والتابعين فمن بعدهم من أئمّة الهدى، كلُّها مجتمعةٌ على أن المؤمنين يرَوْن ربَّهم تبارك وتعالىٰ في الجنّة، ويتلذّذون بالنظر إلى وجهه الكريم، وذلك غايةُ النعيم وأعلى الكراماتِ وأفضلُ فضيلةٍ، ولذا يَذهَلون بالنظر إليه عن كلِّ ما هم فيه من النعيم.

فنحن نؤمن بذلك كلِّه ونُشهِد الله تعالىٰ وملائكتَه وأنبياءَه ورسلَه والمؤمنين على ذلك، ونضرَع إلى الله تعالىٰ وندعوه بأسمائه الحسنى أن يرزُقَنا لذّةَ النظرِ إلى وجهه تعالىٰ في جنّة عدْن، وأن لا يحجُبَنا عنه، فنكونَ من الذين أخبر عنهم أنهم عنه يومئذ لمحجوبون، نعوذ بالله من ذلك.

ومن جحد الرؤية فهو كاذبٌ على الله تعالىٰ مكذِّبٌ بالصدق إذْ جاءه، رادٌّ لكتاب الله وسنّةِ رسولِه ﷺ مخالفٌ لجماعة المؤمنين، كافرٌ بلقاء الله عزّ وجلّ متّبعٌ غيرَ سبيل المؤمنين، وسيوليه الله ما تولّى ويُصليه جهنّمَ إن مات مُصِراً على جحوده، أليس في جهنمَ مثوى للكافرين؟ وقد وعد الله عزّ وجلّ أن المكذبين محجوبون عنه يوم القيامة، فقال تعالىٰ: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾﴾ [المطففين]، وتقدم تفسيرُ ابنِ المبارك قولَه: «تكذبون» بالرؤية.

وقد ورد حديثٌ في وعيد مُنكري اللقاء وهو متناولٌ مُنكِرَ الرؤية بلا شكٍّ ولا مِرية.

روى مسلمٌ في صحيحه(١) من حديث أبي هريرةَ ﷺ: **«إن ناساً قالوا: يا رسولَ الله هل نرى ربَّنا يوم القيامة؟ قال: هل تُضارّون في رؤية الشمسِ في الظهيرة ليست فيها سحابةٌ؟ قالوا: لا، قال: هل تضارّون في رؤية القمر ليلةَ البدر ليس فيه سحابة؟ قالوا: لا، قال: فوالذي نفسُ محمدٍ بيده لا تُضارّون في رؤية ربِّكم إلاّ كما تُضارّون في رؤية أحدِهما، فيلقى العبدَ فيقول: أي فُل ألم أكرمك وأسوّدْك وأزوِّجْك وأسخّر لك الخيلَ والإبلَ، وأذَرْك ترأسُ وترفع؟ فيقول: بلى، فيقول: أفظننتَ أنك مُلاقِيَّ؟ فيقول: لا، فيقول: فإني أنساك كما نَسِيتني. ثم يلقى الثانيَ**

(١) (٢٢٧٩/٤ رقم ٢٩٦٨).

فيقول: أي فُل ألم أكرمك وأسوّدك وأزوّجك وأسخرْ لك الخيلَ والإبلَ وأذرْك ترأس وترفع؟ فيقول: بلى أي ربِّ، فيقول: أفظننت أنك ملاقيّ؟ فيقول: لا، فيقول: إني أنساك كما نَسِيتَني. ثم يلقى الثالثَ فيقول له مثلَ ذلك فيقول: يا ربِّ آمنتُ بك وبكتابك ورسلِك وصلّيتُ وصُمتُ وتصدّقتُ ويثني بخير ما استطاع. فيقول: ها هنا إذاً، ثم يقال: الآن نبعث شاهداً عليك. فيتفكّر في نفسه مَن الذي يشهد عليّ، فيُختم على فيه ويقال لفخذه انطِقي فينطق فخذُه ولحمُه وعظامُه بعمله، وذلك لِيُعذَرَ من نفسه، وذلك المنافقُ وذلك الذي يسخط الله عليه».

ومن تراجم أئمّة السنة على هذا الحديثِ: بابُ وعيدِ مُنكري الرؤية[1]، والدلالةُ منه واضحةٌ منطوقاً ومفهوماً ولله الحمد. ولا خلاف في ثبوت رؤيةِ المؤمنين ربَّهم تبارك وتعالىٰ في دار الآخرة، وكذا لا خلاف بينهم في أنّه لا يراه أحدٌ قبل الموت، وإنما وقع الخلافُ بين الصحابة والتابعين فمن بعدهم في ثبوت رؤيةِ النبيِّ ﷺ ربَّه ليلةَ المِعراج، كما سيأتي إن شاء الله بحثُ ذلك في موضعه، وبالله التوفيق.

[الإيمان بالصفات الواردة في القرآن والسنة الصحيحة وإقرارها كما جاءت]

(وكـلُّ مـا لـه مـن الـصـفـات ... أثـبـتـهـا فـي مُـحـكـم الآيـاتِ)

(أو صـحّ فـيـمـا قـالـه الـرسـولُ ... فـحـقُّـه الـتـسـلـيـمُ والـقـبـولُ)

(وكلُّ ما) ثبت **(له)** أي لله عزّ وجلّ **(من الصّفات)** الثابتةِ التي **(أثبتها)** هو سبحانه وتعالىٰ لنفسه وأخبرنا باتّصافه بها **(في محكم الآياتِ)** من كتابه العزيزِ مما ذكرناه فيما تقدم ومما لم نذكُر؛ كقوله تعالىٰ: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥]، وقوله: ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨]، وقوله تعالىٰ: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَـٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمٰن]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ﴾ [الروم: ٣٩]، وقوله: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾

(١) كالعلامة ابن قيم الجوزية في كتابه «حادي الأرواح» (ص٤٢١)..

إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾﴾ [الليل]، وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾ [الإنسان: ٩]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ [الكهف: ٢٨]، وقوله تبارك وتعالىٰ: ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى﴾ [طه: ٤١]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ [آل عمران: ٢٨]، وقوله عن عيسى عليه السلام: ﴿تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ [المائدة: ١١٦]، وكقوله تعالىٰ: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ﴾ [طه: ٣٩].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: ٤٨]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر: ١٣ ـ ١٤]، وقوله تعالىٰ: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾ [ص: ٧٥]، وقوله تعالىٰ: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر: ٦٧]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ [الأعراف: ١٤٥]، وكقوله تعالىٰ: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤]، وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٧]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥، المائدة: ١٣]، ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [الصف: ٤].

وقوله: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٠]، ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴾ [البقرة: ٢٠٥]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [لقمان: ١٨]، وكقوله تعالىٰ: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الفتح: ١٨]، ﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [البينة: ٨]، وقوله: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [التوبة: ٩٦]، ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾ [الزمر: ٧]، وكقوله تعالىٰ: ﴿سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ [المائدة: ٨٠]، وكقوله: ﴿كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٦]، وقوله في اليهود: ﴿غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ [الممتحنة: ١٣]، وفي قاتل النفس المحرمة: ﴿فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ﴾ [النساء: ٩٣]، وقوله: ﴿كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ﴾ [طه: ٨١]، وكقوله تعالىٰ: ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦]، وكقوله: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ

﴿كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر: ٧]، وكقوله: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ٥٤]، وقوله: ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [يونس: ١٠٧، الأحقاف: ٨]. وقوله: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وكقوله: ﴿وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ [الشورى: ١٩]، وقوله عن إبليس: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص: ٨٢].

وقوله: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾ [الصافات]، وكقوله: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [النور: ٣٥] الآية. وكقوله: ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ﴾ [المائدة: ٩٥]، وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ [السجدة: ٢٢]، وقوله: ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ [الزخرف: ٥٥]، وقوله تعالىٰ: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الحشر: ٢٣]، وقوله تعالىٰ: ﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾ [الناس: ٢]، وقوله: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ ۖ بِيَدِكَ الْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾﴾ [آل عمران]، وقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً ۖ قُلِ اللَّهُ ۖ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام: ١٩].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ [هود: ٧]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ۖ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ ۚ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾ رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾ [مريم]، وقوله تعالىٰ: ﴿۞ نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾﴾ [الحجر]، وقوله: ﴿غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ [غافر: ٣]، وقوله: ﴿وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ﴾ [البقرة: ٢٤٥]، وقوله: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الأنعام: ١١٠]، وقوله: ﴿وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾ [الرعد: ١٣]، وغيرِ ذلك من آيات الأسماءِ والصفاتِ، صفاتِ ذاتِه تعالىٰ وأفعالِه عزّ وجلّ

(أو صحّ فيما قاله الرسولُ) من الأحاديث النبويّةِ الصحيحةِ؛ كقوله ﷺ عن

ربّه عزّ وجلّ: «يقول الله تعالى: (أنا مع عبدي حين يذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرتُه في نفسي، وإن ذكرني في ملإٍ ذكرته في ملإٍ خيرٍ منهم)»، متفق عليه[1] من حديث أبي هريرة.

وقوله ﷺ: «سبحان الله العظيم وبحمده عددَ خلقِه ورضاءَ نفسهِ وزِنةَ عرشِه»، رواه مسلم[2] والأربعةُ[3] من حديث ابن عباس ﷺ.

وقوله ﷺ: «لما قضى الله الخلقَ كتب في كتابه على نفسه فهو موضوعٌ عنده على العرش: إن رحمتي تغلِب غضبي»، متفق عليه[4] من حديث أبي هريرة ﷺ.

وعن جابر ﷺ قال: لما نزلت هذه الآيةُ: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾ [الأنعام: ٦٥]، قال النبيّ ﷺ: «أعوذ بوجهك»، قال: ﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ [الأنعام: ٦٥]، فقال النبيُّ ﷺ: «أعوذ بوجهك»، قال: ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا﴾ [الأنعام: ٦٥]، فقال النبيُّ ﷺ: «هذا أيسر»، رواه البخاري[5] وغيرُه[6].

وقولِه ﷺ: «أعوذ بنور وجهِك الذي أشرقتْ له الظلماتُ، وصلح عليه أمرُ الدنيا والآخرة، أن يحِلَّ بي غضبُك أو ينزِلَ بي سَخطُك، لك العُتبى حتى ترضى، ولا حولَ لا قوّةَ إلاّ بك»، رواه محمد بنُ إسحاقَ في سيرته[7].

---

(١) البخاري (١٣/ ٣٨٤ رقم ٧٤٠٥)، ومسلم (٤/ ٢٠٦١ رقم ٢٦٧٥).
(٢) في صحيحه (٤/ ٢٠٩٠ رقم ٢٧٢٦).
(٣) أبو داود (٢/ ١٧١ رقم ١٥٠٣)، والترمذي (٥/ ٥٥٦ رقم ٣٥٥٥)، والنسائي (٢/ ٧٧)، وابن ماجه (٢/ ١٢٥١ رقم ٣٨٠٨)، وهو حديث صحيح.
(٤) البخاري (٦/ ٢٨٧ رقم ٣١٩٤)، ومسلم (٤/ ٢١٠٧ رقم ٢٧٥١).
(٥) في صحيحه (٨/ ٢٩١ رقم ٤٦٢٨).
(٦) كالترمذي في السنن (٥/ ٢٦١ ـ ٢٦٢ رقم ٢٠٦٧).
(٧) حديث ذهاب النبيّ ﷺ إلى الطائف وفيها الدعاء المذكور.
أخرجه ابن إسحاق (١/ ٢٦٠ ـ ٢٦٢) بسند صحيح عن محمد بن كعب القرظي مرسلاً، لكن قوله: «إن أبيتم فاكتموا عليّ ذلك»، وقوله: «اللّهمّ إليك أشكو...» الخ الدعاء، ذكرهما بدون سند، وكذلك رواه ابن جرير (٢/ ٨٠ ـ ٨١) من طريق ابن إسحاق، قاله الألباني في تخريج فقه السيرة للغزالي (ص١٢٦).
وأخرجه ابن سعد في «الطبقات» (١/ ٢١١ ـ ٢١٢) باختصار، وفي سنده الواقدي وهو ضعيف.
وأخرجه الطبري في «تاريخه» (٢/ ٣٤٤ ـ ٣٤٦) ط. دار المعارف، من طريق ابن إسحاق. =

وقوله ﷺ: «وأسألك لذّة النظرِ إلى وجهك»[1] الحديث تقدم في الرؤية.

وقوله ﷺ: «مثلُ المجاهدِ في سبيل الله ابتغاءَ وجهِ الله مثَلُ القائمِ المصلّي حتى يرجِع المجاهدُ»، متفق عليه[2] من حديث أبي هريرة ﷺ.

وقوله ﷺ: «من استعاذ بالله فأعيذوه، ومن سألكم بالله فأعطُوه»، رواهُ أحمدُ[3] وأبو داودَ[4] وابنُ خزيمةَ[5] من حديث ابن عباس ﷺ.

وقوله ﷺ لسعدِ بنِ أبي وقّاصٍ: «إنك لن تخلفَ بعدي فتعملَ عملاً تريد وجهَ الله تعالىٰ إلاّ ازددتَ به رفعةً ودرجةً»، رواه البخاري[6] وغيرُه[7] من حديثه.

وقوله ﷺ: «وإذا قمتم إلى الصلاة فلا تلتفتوا، فإن الله يُقبل بوجهه إلى وجه

= وأخرجه الطبراني كما في «مجمع الزوائد» (٦/ ٣٥) باختصار، وفيه ابن إسحاق وهو مدلس ثقة، وبقية رجاله ثقات، قاله الهيثمي في «المجمع».

وأخرجه البيهقي في «دلائل النبوّة» (٢/ ٤١٥ ـ ٤١٧) من غير طريق ابن إسحاق بالسماع مرسلاً عن الزهري.

وخلاصة القول: أن الحديث ضعيف، والله أعلم.

(١) تقدم تخريجه.

(٢) البخاري (٦/ ٦ رقم ٢٧٨٧)، ومسلم (٣/ ١٤٩٨ رقم ١٨٧٨).

(٣) في المسند (١/ ٢٤٩ ـ ٢٥٠).

(٤) في «السنن» (٥/ ٣٣٤ رقم ٥١٠٨).

(٥) في «التوحيد» (١/ ٣١ رقم ١٤).

قلت: وأخرجه الخطيب في «تاريخه» (٤/ ٢٥٨)، كلّهم من حديث ابن عباس بسند حسن.

ولحديث ابن عباس شاهد من حديث ابن عمر.

أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» رقم (٢١٦)، وأبو داود (٥/ ٣٣٤ ـ ٣٣٥ رقم ٥١٠٩)، والنسائي (٥/ ٨٢ رقم ٢٥٦٧)، وابن حبان (رقم ٢٠٧١ ـ موارد)، والحاكم (١/ ٤١٢)، والبيهقي (٤/ ١٩٩)، وأحمد (٢/ ٦٨، ٩٩)، وأبو نعيم في «الحلية» (٩/ ٥٦) من طرق. . .

قال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، ووافقهما الألباني في «الصحيحة» رقم (٢٥٤).

وخلاصة القول: أن حديث ابن عباس صحيح لغيره، والله أعلم.

(٦) في صحيحه (٣/ ١٦٤ رقم ١٢٩٥).

(٧) كمسلم (٣/ ١٢٥٠ رقم ١٦٢٨).

عبده»، رواه ابنُ خزيمةَ[1] والبيهقيُّ[2] من حديث الحارثِ الأشعري.

وقوله ﷺ في صفة الدجالِ: **«ألا إنه أعورُ، وإن ربَّكم ليس بأعور»**، الحديثُ متفقٌ عليه من حديث أنسٍ[3] وابنِ عمرَ[4] وغيرِهما.

وقولِه ﷺ في حديث الشفاعة: **«يقول الناسُ لآدم: أنت آدمُ أبو الناس، خلقك الله بيده»**، الحديثُ متفقٌ عليه[5] عن أنس ﷺ.

وقولِه ﷺ: **«يدُ الله مَلأى لا تَغيضها نفقةٌ، سحاءُ الليلَ والنهارَ، وقال: أرأيتم ما أنفق منذ خلق السمٰوات والأرضَ فإنه لم يَغِضْ ما في يمينه. قال: وعرشُه على الماء وبيده الأخرى الميزانُ يخفِضُ ويرفع»**، متفقٌ عليه[6] من حديث أبي هريرة ﷺ.

وقولِه ﷺ: **«إن الله تعالىٰ يقبِض يوم القيامة الأرضَ وتكون السمٰوات بيمينه، ثم يقول: أنا المَلِكُ»**، متفقٌ عليه[7] من حديث ابنِ عمرَ ﷺ واللفظُ للبخاري. وتصديقِه ﷺ اليهودي الذي قال له: يا محمدُ إن الله تعالىٰ يمسك السمواتِ على إصبَع والأرضين على إصبَع والجبالَ على إصبع والشجرَ على إصبع والخلائقَ على إصبع، ثم يقول: أنا الملك، فضحك رسولُ الله ﷺ تعجّباً وتصديقاً له، متفق عليه[8] من حديث ابنِ مسعود ﷺ.

---

(١) في «التوحيد» (١/ ٣٦ ـ ٣٧ رقم ١٠)، وفي صحيحه (٢/ ٦٤).

(٢) في «الأسماء والصفات» رقم (٦٥٤)، وفي «السنن الكبرى» (٨/ ١٥٧).
قلت: وأخرجه الحاكم في «المستدرك» (١/ ٢٣٦)، والطبراني في «الكبير» (٣/ ٢٨٧ رقم ٣٤٣٠) وغيرهم.
وانظر كلام الأخ عبد الله الحاشدي عليه في تخريج الأسماء والصفات للبيهقي.
والخلاصة: أن الحديث صحيح، والله أعلم.

(٣) البخاري (١٣/ ٩١ رقم ٧١٣١)، ومسلم (٤/ ٢٢٤٨ رقم ٢٩٣٣).

(٤) البخاري (١٣/ ٩٠ رقم ٧١٢٧)، ومسلم (٤/ ٢٢٤٧ رقم ١٦٩).

(٥) تقدم تخريجه.

(٦) تقدم تخريجه.

(٧) تقدم تخريجه.

(٨) البخاري (١٣/ ٣٩٣ رقم ٧٤١٤)، ومسلم (٤/ ٢١٧٤ رقم ٢٧٨٦).

وقولِه ﷺ: «لما خلق الله الخلقَ كتب بيده على نفسه: إن رحمتي تغلِب غضبي»، متفقٌ عليه[1] من حديث أبي هريرة.

وقولِه ﷺ: «إن الله تعالىٰ يفتح أبوابَ السماءِ في ثلث الليل الباقي فيبسُط يديه فيقول: ألا عبدٌ يسألني فأُعطِيَه»، الحديث تقدّمت ألفاظُه في إثبات النزولِ[2].

وقوله ﷺ: «من تصدّق بعِدْل تمرةٍ من كسب طيّب ـ ولا يصعد إلى الله إلاّ الطيبُ ـ فإن الله يتقبّلها بيمينه ثم يربّيها لصاحبه كما يربي أحدُكم فلُوّه حتى تكون مثلَ الجبل»، متفق عليه[3] من حديث أبي هريرة.

وقولِه ﷺ في حديث احتجاجِ آدمَ وموسى: «فقال آدمُ: يا موسى اصطفاك الله بكلامه وخط لك التوراةَ بيده»، الحديثُ متفقٌ عليه[4] من حديث أبي هريرة.

وقولِهْ ﷺ: «إن يدَ الله هي العليا، ويدُ المعطي التي تليها، ويدُ السائلِ أسفلُ منْ ذلك»، رواه ابنُ خزيمةَ[5] من حديث حكيم بنِ حزامٍ وأصلُه في الصحيح[6].

وقولِه ﷺ في قصة خَلْق آدمَ: «فقال الله تبارك وتعالىٰ ويداه مقبوضتان: اختر أيّهما شِئت، قال: اخترت يمينَ ربي، وكلتا يدَيْ ربي يمينٌ مباركةٌ، ثم بسطها فإذا فيها آدمُ وذريّتُه»، الحديث أخرجه ابن خُزيمةَ[7] والبيهقيُّ[8] من حديث أبي هريرة.

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه وبيان ألفاظه.

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) سيأتي بطوله.

(٥) في «التوحيد» (١/ ١٥٤ ـ ١٥٥ رقم ١/ ٨٥) بسند صحيح.

(٦) البخاري (٣/ ٣٣٥ رقم ١٤٧٢)، ومسلم (٢/ ٧١٧ رقم ٩٦/ ١٠٣٥).

(٧) في «التوحيد» (١/ ١٦٠ ـ ١٦١ رقم ١/ ٨٩).

(٨) في «الأسماء والصفات» (ص٣٢٤ ـ ٣٢٥).
قلت: وأخرجه ابن حبان (رقم ٢٠٨٢ ـ موارد)، وابن أبي عاصم في «السنة» رقم (٢٠٦)، والترمذي رقم (٣٣٦٨) وقال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه. وأخرجه الحاكم (١/ ٦٤) وقال: صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي. ثم قال الحاكم: وله شاهد صحيح، ثم ساقه من طريق أبي خالد الأحمر عن داود بن أبي هند عن الشعبي عن أبي هريرة عن النبيّ ﷺ نحوه.
قال الألباني في «ظلال الجنّة» (١/ ٩١) عقبه: وهذا إسناد حسن، وهو الثالث عن أبي هريرة. وله رابع من طريق هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن أبي صالح عنه به. أخرجه ابن=

وقولِه ﷺ في قصة سؤالِ موسى عليه السلام ربَّه عزّ وجلّ عن منازل أهلِ الجنّة: «**قال: يا ربِّ فأخبرني بأعلاهم منزلةً، قال: هذا أردت فسوف أخبرك، قال: غرستُ كرامتَهم بيدي وختمت عليها**»، الحديث رواه البيهقي[(١)] وابنُ خزيمةَ[(٢)] من حديث المغيرةِ بن شعبةَ.

وقولِه ﷺ: «**تكون الأرضُ يوم القيامة خبزةً واحدةً يكفأها الجبارُ بيده**»، الحديث متفق عليه[(٣)] من حديث أبي سعيد رضي الله عنه.

وقولِه ﷺ: «**إن الله عزّ وجلّ يبسُط يدَه بالليل ليتوبَ مُسيءُ النهار، ويبسُط يدَه بالنهار ليتوبَ مسيءُ الليل حتى تطلُعَ الشمسُ من مغربها**»، رواه مسلمٌ[(٤)] من حديث أبي موسى رضي الله عنه.

وقولِه ﷺ: «**ولا يزال عبدي يتقرّب إليّ بالنوافل حتى أُحِبَّه، فإذا أحببتُه كنت سمعَه الذي يسمع به، وبصَرَه الذي يُبصِر به**»، الحديث أخرجه البخاريُّ[(٥)] عن أبي هريرةَ رضي الله عنه.

وقولِه ﷺ: «**إذا أحب الله العبدَ نادى جبريلَ: إن الله يحب فلاناً فأحِبَّه فيُحِبه جبريلُ، فينادي جبريلُ في أهل السماء: إن الله يحب فلاناً فأحِبّوه**»، الحديثُ في البخاري[(٦)] عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وقولِه ﷺ: «**وما أحدٌ أصبرُ على أذىً يسمعه من الله، يدّعون له الولدَ ثم يعافيهم ويرزُقُهم**»، رواه البخاريُّ[(٧)] عن أبي موسى رضي الله عنه.

= سعد في «الطبقات» (١/ ٢٧ ـ ٢٨)، والترمذي رقم (٣٠٧٦)، والحاكم (٢/ ٣٢٥) وقال: صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي. وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.
وخلاصة القول أن الحديث صحيح، والله أعلم.

(١) في «الأسماء والصفات» رقم (٦٩٠).

(٢) في «التوحيد» (١/ ١٦٤ ـ ١٦٥ رقم ١/ ٩١).
قلت: وأخرجه مسلم رقم (١٨٩)، والترمذي رقم (٣١٩٨)، وقال الترمذي: «حسن صحيح، وروى بعضهم هذا الحديث عن الشعبي عن المغيرة، ولم يرفعه والمرفوع أصح» اهـ.
وخلاصة القول أن الحديث صحيح.

(٣) البخاري (١١/ ٣٧٢ رقم ٦٥٢٠)، ومسلم (٤/ ٢١٥١ رقم ٢٧٩٢).

(٤) في صحيحه (٤/ ٢١١٣ رقم ٢٧٦٩).

(٥) تقدم تخريجه.

(٦) تقدم تخريجه.

(٧) في صحيحه (١٣/ ٣٦٠ رقم ٨٣٧٨).

=

وقولِه ﷺ: «**عجب ربُنا من قنوط عبادِه وقُربِ خيرِه**»[1]، الحديث.

وقولِه ﷺ: «**عجب ربُنا من قوم يُقادون إلى الجنّة بالسلاسل**»، رواه أحمدُ[2] والبخاريُ[3] من حديث ابن مسعودٍ.

وقولِه ﷺ: «**يضحك الله إلى رجلين يقتُل أحدُهما الآخرَ كلاهما يدخُل الجنةَ**»، متفقٌ عليه[4] من حديث أبي هريرة.

وقولِه ﷺ في حديث الشفاعةِ: «**إن ربي قد غضبَ اليوم غضباً لم يغضب قبلَه مثلَه ولا بعده مثلَه**»[5].

وقولِه ﷺ: «**من أعان على خصومة في باطل فقد باء بغضب من الله**»، رواه أبو داودُ[6] بسندٍ صحيحٍ عن ابن عمرَ رضي الله عنهما، وفي رواية[7]: «**من خاصم في باطل لم يزلْ في سخط الله حتى ينزِعَ**».

= قلت: وأخرجه مسلم (٤/ ٢١٦٠ رقم ٢٨٠٤).

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (٤/ ١١)، والدارقطني في «النزول» رقم (٣٠)، وابن ماجه رقم (١٨١)، بسند ضعيف لأن وكيع بن عدس مقبول، ولم يتابع.
وقد أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» رقم (٥٥٤) بسند ضعيف، قاله الألباني.
وخلاصة القول أن الحديث ضعيف، والله أعلم.

(٢) في «المسند» (٢/ ٣٠٢، ٤٠٦، ٤٤٨، ٤٥٧).

(٣) في صحيحه (٦/ ١٤٥ رقم ٣٠١٠).
قلت: وأخرجه أبو داود (٣/ ١٢٧ رقم ٢٦٧٧)، وابن حبان في الإحسان (١/ ٣٤٣ رقم ١٣٤)، والنسائي في «الكبرى» كما في «تحفة الأشراف» (١٠/ ٩١) كلّهم من حديث أبي هريرة.
ولم أجده من حديث ابن مسعود، والله أعلم.

(٤) البخاري (٦/ ٣٩ رقم ٢٨٢٦)، ومسلم (٣/ ١٥٠٤ رقم ١٨٩٠).

(٥) تقدم تخريجه.

(٦) في «السنن» (٤/ ٢٣ رقم ٣٥٩٨) من طريق المثنى بن يزيد، عن مطر الوراق عنه.
وفيه مطر الوراق: ضعيف. والمثنى بن يزيد: مجهول، لكن تابع المثنى بن يزيد، حسين المعلم عن مطر الوراق به عند ابن ماجه (٢/ ٧٧٨ رقم ٢٣٢٠). وحسين المعلم ثقة، فالعلّة في ضعف مطر الورّاق.
وانظر: «الإرواء» (٧/ ٣٥٠).
والخلاصة أن الحديث ضعيف.

(٧) لأبي داود في السنن (٤/ ٢٣ رقم ٣٥٩٧)، ولأحمد (٢/ ٧٠) من حديث ابن عمر، وانظر: الإرواء (٧/ ٣٤٩). =

وقولِه ﷺ: «والذي نفسي بيده ما من رجل يدعو امرأته إلى فراشه فتأبى عليه إلاّ كان الذي في السماء ساخطاً عليها حتى يرضى عنها زوجُها»[1].

وقولِه ﷺ: «وإذا أبغض عبداً دعا جبرائيلَ فيقول: إني أبغض فلاناً فأبغِضه، قال: فيُبغضه جبريلُ. ثم ينادي جبريلُ في أهل السماء: إن الله يبغض فلاناً فأبغضوه، قال: فيُبغضونه، ثم يوضع له البغضاءُ في الأرض»، رواه مسلم[2].

وقولِه ﷺ: «إن الله ليرضى عن العبد يأكل الأَكْلةَ فيحمَدُه عليها ويشرب الشَّرْبَةَ فيحمَده عليها»، رواه مسلمٌ[3] عن أنس ﷺ.

وقولِه ﷺ في قصة أصحاب بئرِ مَعونةَ: «بلّغوا قومَنا عنّا أنا قد لَقِينا ربَّنا فرضي عنا وأرضانا»، وهو في الصحيح[4] من حديث أنسٍ ﷺ، وهو من التنزيل المنسوخِ تلاوةً.

وقولِه ﷺ في قصة سَبْيِ هَوازِنَ: «الله أرحمُ بعباده من هذه بولدها»، أخرجاه[5] من حديث عمرَ ﷺ.

وقولِه ﷺ: «جعل الله الرحمةَ مائةَ جزءٍ، فأمسك عنده تسعةً وتسعين جزءاً ونزّل في الأرض جزءاً واحداً، فمن ذلك الجزء تتراحم الخلائقُ حتى ترفعُ الدابةُ حافرَها عن ولدها خشيةَ أن تُصيبَه»، أخرجاه[6] من حديث أبي هريرة ﷺ.

ولمسلم[7] معناه من حديث سلمانَ ﷺ، وفيه: «كلُّ رحمةٍ طباقُ ما بين السماء والأرض، فإذا كان يومُ القيامة كمّلها بهذه الرحمةِ».

وقولِه ﷺ: «أعوذ بعزّتك الذي لا إله إلاّ أنت الذي لا يموت والجنُّ والإنسُ

= وهو حديث صحيح.

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) تقدم تخريجه.

(٥) البخاري (١٠/ ٤٢٦ ـ ٤٢٧ رقم ٥٩٩٩)، ومسلم (٤/ ٢١٠٩ رقم ٢٧٥٤).

(٦) البخاري (١٠/ ٤٣١ رقم ٦٠٠٠)، ومسلم (٤/ ٢١٠٨ رقم ٢٧٥٢).

(٧) في صحيحه (٤/ ٢١٠٩ رقم ٢٧٥٣).

يموتون»، أخرجه البخاري[1] من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

وقوله ﷺ عن أيوب عليه السلام: **«وعِزّتك لا غِنَىٰ بي عن بركتك»**، أخرجه البخاريُّ[2] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وقوله ﷺ: **«اللّهمّ لك الحمدُ أنت نورُ السمٰواتِ والأرضِ ومن فيهن»**، أخرجاه[3] من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

وقوله ﷺ: **«اللّهمّ إني أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وبك منك»**، لمسلم[4] والأربعةِ[5] عن عائشةَ.

وقوله: **«إن الله لَيُملي للظالم حتى إذا أخذه لم يُفلِته»**، قال ثم قرأ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢]، أخرجاه[6] من حديث أبي موسى رضي الله عنه.

وقوله ﷺ: **«فإن الله لم يكُ لينسى شيئاً، وما كان ربُّك نسيّاً»**، رواه البزار[7] وابنُ أبي حاتم[8] والطبرانيُّ[9] من حديث أبي الدرداءِ رضي الله عنه.

وقوله ﷺ في حلفه: **«لا ومُقلِّبِ القلوب»**، أخرجاه[10] من حديث عبدِ الله بنِ عمر رضي الله عنهما.

---

(١) البخاري (١٣/٣٦٨ ـ ٣٦٩ رقم ٧٣٨٣)، ومسلم (٤/٢٠٨٦ رقم ٢٧١٧).

(٢) في صحيحه (١٣/٤٦٤ رقم ٧٤٩٣).

(٣) البخاري (١٣/٤٦٥ رقم ٧٤٩٩)، ومسلم (١/٥٣٢ ـ ٥٣٣ رقم ٧٦٩).

(٤) في صحيحه (١/٣٥٢ رقم ٤٨٦).

(٥) أبو داود (١/٥٤٧ رقم ٨٧٩)، والترمذي (٥/٥٢٤ رقم ٣٤٩٣)، والنسائي (٢/٢٢٣، ٢٢٥)، وابن ماجه (٢/١٢٦٢ ـ ١٢٦٣ رقم ٣٨٤١).
وهو حديث صحيح.

(٦) البخاري (٨/٣٥٤ رقم ٤٦٨٦)، ومسلم (٤/١٩٩٧ ـ ١٩٩٨ رقم ٢٥٨٣).

(٧) في مسنده (٣/٥٨ رقم ٢٢٣١ ـ كشف).
وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/٥٥) وقال: «رواه البزار رجاله ثقات» اهـ.

(٨)و(٩) عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٥/٥٣١) ط. دار الفكر، إليهما.
وزاد نسبته إلى ابن المنذر، وابن مردويه والبيهقي في «سننه» (١٠/١٢) ـ والحاكم ـ (٢/٣٧٥) ـ وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(١٠) تقدم تخريجه.

وقولِه ﷺ: «ما من قلب إلاّ وهو بين إصبَعين من أصابع الرحمٰن، فإذا شاء أن يُقيمه أقامه، وإذا شاء أن يُزيغَه أزاغه». رواه أحمدُ والشيخان وغيرُهما[1] من حديث عائشةَ رضي الله عنها، وفي صدره: «يا مقلّبَ القلوبِ ثبّتْ قلبي على دينك».

وقولِه ﷺ في صفة الجنّةِ والنارِ: «لا يزال يُلقى فيها ـ يعني النارَ ـ وتقول: هل من مزيد؟ حتى يضعَ فيها ربُّ العالمين قدمَه فينزوي بعضُها إلى بعض، وتقول: قدِ قدِ بعزّتك وكرمِك».

وفي رواية: «قطِ قطِ» بالطاء، أخرجاه[2] من حديث أنس.

وقولِه ﷺ: «لا شَخْصَ أغيرُ من الله»، علقها البخاريُّ[3] بلفظ الترجمةِ ووصلها الدارميُّ في مسنده.

وقولِه ﷺ: «أتعجبون من غَيرة سعدٍ، والله لأنا أغيرُ منه، والله أغيرُ مني، ومن أجل غَيرةِ الله حرّم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ولا أحدَ أحبُّ إليه العذرُ من الله، ومن أجل ذلك بعث المبشرين والمنذرين، ولا أحدَ أحبُّ إليه المدحُ من الله، ومن أجل ذلك وعدَ الجنّة»، رواه البخاريُّ[4] من حديث المُغيرةِ بن شُعبةَ في الترجمة السابقة. والآياتُ والأحاديثُ في هذا الباب كثيرةٌ جداً، يحتاج استقصاؤها إلى بسطٍ طويلٍ وفيما ذكرنا كفايةٌ، وما أشبهه فسبيلُه سبيلُه.

(فحقّه التسليمُ) له (والقَبولُ) الفاءُ واقعةٌ في جواب «كلُّ ما»، فنقول في ذلك: ما ذكره الله تعالىٰ عن الراسخين في العلم؛ حيث قال: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) البخاري (١١/٥٤٥ رقم ٦٦٦١)، ومسلم (٤/٢١٨٧ رقم ٢٨٤٨).

(٣) (١٣/٣٩٩) رقم الباب (٢٠).
وأخرجه البخاري موصولاً (٩/٣١٩ رقم ٥٢٢٠)، ومسلم (٤/٢١١٣ رقم ٢٧٦٠) من حديث عبد الله بن مسعود.

(٤) في صحيحه (١٣/٣٩٩ رقم ٧٤١٦).
قلت: وأخرجه مسلم (٢/١١٣٦ رقم ١٤٩٩).

﴿يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ۞ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ۞﴾ [آل عمران]، ولا نضربُ كتابَ الله بعضَه ببعض فنتبع ما تشابه منه ابتغاءَ الفتنة وابتغاءَ تأويلِه كما يفعله الذين في قلوبهم زيغٌ، أعاذنا الله وعصمنا من ذلك بمنّه وكرمِهِ وفضلِهِ، إنه سميعٌ مجيب.

[اجتناب التحريف والتعطيل والتكييف والتمثيل في آيات الأسماء والصفات وأحاديثها]

(نُمِرُّها صريحةً كما أتَتْ	مع اعتقادِنا لِما له اقتضت)
(من غير تحريفٍ ولا تعطيل	وغيرِ تكييفٍ ولا تمثيل)
(بل قولُنا قولُ أئمّةِ الهدى	طوبى لمن بهديهم قد اهتدى)

أي جميعُ آياتِ الأسماءِ والصفاتِ وأحاديثِها (**نُمِرُّها صريحةً**) أي على ظواهرها (**كما أتت**) عن الله تعالىٰ وعن رسوله ﷺ، بنقل العدلِ عن العدلِ متّصلاً إلينا كالشمس في وقتِ الظهيرةِ صحواً ليس دونها سحابٌ، (**مع اعتقادنا**) إيماناً وتسليماً (**لما له اقتضت**) من أسماءِ ربِّنا تبارك وتعالىٰ وصفاتِ كمالِهِ ونعوتِ جلالِهِ كما يليق بعظمته، وعلى الوجه الذي ذكره وأراده، (**من غير تحريف**) لألفاظها؛ كمن قال في قوله تعالىٰ: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]، أن التكليمَ من موسى، وأن لفظَ الجلالةِ منصوبٌ على المفعولية فراراً من إثبات الكلام كما فعله بعضُ الجهمية والمعتزلة، وقد عُرض ذلك على أبي بكر بنِ عيّاشٍ، فقال أبو بكر: ما قرأ هذا إلاّ كافرٌ، قرأتُ على الأعمش وقرأ الأعمش على يحيى بنِ وثّابٍ، وقرأ يحيى بنُ وثابٍ على أبي عبد الرحمٰن السّلَميُّ، وقرأ أبو عبد الرحمٰن السّلمي على عليِّ بنِ أبي طالبٍ، وقرأ عليُّ بنُ أبي طالب على رسول الله ﷺ: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]، يعني برفع لفظِ الجلالةِ على الفاعلية، وهو مُجمعٌ عليه بين القرّاء، روى ذلك ابنُ مردَوَيْه[1] عن عبد الجبار بن عبد الله عن ابن عيّاشٍ رحمه الله تعالىٰ.

---

(١) عزاه إليه ابن كثير في تفسيره (١/٦٠١).

وروى ابنُ كثير[1] أن بعضَ المعتزلة قرأ على بعض المشايخ (وَكَلَّمَ اللَّهَ مُوسَى تكليماً)، فقال له: يا ابنَ اللخْناءِ كيف تصنع بقوله تعالىٰ: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، يعني أن هذا لا يقبل التحريفَ ولا التأويلَ.

وكما قال جهمُ بنُ صفوان[2] لعنه الله في قوله تعالىٰ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]، حيث قال: لو وجدتُ سبيلاً إلى حكِّها لحكَكْتُها ولأبدلتُها استولى. وله في ذلك سلفُ اليهودِ في تحريف الكَلم عن مواضعه، حيث قال الله تعالىٰ لهم: ﴿وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ﴾ [البقرة: ٥٨]، فدخلوا يزحفون على

---

(١) في تفسيره (١/ ٦٠١).

* اللخن: النتن.

* قال أبو حيان في «البحر المحيط في التفسير» (٤/ ١٣٩): ﴿وكلم الله موسى تكليماً﴾ هذا إخبار بأن الله شرف موسى بكلامه، وأكّد بالمصدر دلالة على وقوع الفعل على حقيقته لا على مجازه، هذا هو الغالب. وقد جاء التأكيد بالمصدر في المجاز، إلاّ أنه قليل، فمن ذلك قول (هند بنت النعمان بن بشير الأنصاري):

بكى الخز من عوف وأنكر جلده وعجت عجيجاً من جذام المطارف

وقال ثعلب: لولا التأكيد بالمصدر لجاز أن تقول: قد كلمت لك فلاناً بمعنى كتبت إليه رقعة وبعثت إليه رسولاً، فلما قال «تكليماً» لم يكن إلاّ كلاماً مسموعاً من الله»اهـ.

* وقال النحاس في إعراب القرآن (١/ ٥٠٧): «﴿وكلم الله موسى تكليماً﴾ مصدر مؤكد، وأجمع النحويون على أنك إذا أكّدتَ الفعلَ بالمصدر لم يكن مجازاً، وأنه لا يجوز في قول الشاعر: امتَلأَ الحَوْضُ وقال قَطنِي

أن يقول: قال قولاً، فكذا لمّا قال: تكليماً وجب أن يكون كلاماً على الحقيقة من الكلام الذي يعقل»اهـ.

وانظر أيضاً: «معاني القرآن الكريم» للنحاس (٢/ ٢٤٠).

(٢) جهم بن صفوان الضال المبتدع، تلميذ الجعد بن درهم أوّل من صدر عنه القول بخلق القرآن.

قال عبد القاهر البغدادي في كتابه «الفرق بين الفرق» (ص٢١١)، عن جهم هذا: «الذي قال بالإجبار والاضطرار إلى الأعمال وأنكر الاستطاعات كلّها، وزعم أن الجنّة والنار تبيدَانِ وتفنيانِ، وزعم أيضاً أن الإيمان هو المعرفة بالله تعالىٰ فقط، وأن الكفر هو الجهل به فقط، وقال: لا فِعْلَ ولا عمل لأحدٍ غير الله تعالىٰ، وإنما تنسب الأعمال إلى المخلوقين على المجاز...»اهـ.

أستاهم، وقالوا «حنطة»[1]، فخالفوا ما أمرهم الله به من الدخول سجداً وبدّلوا قولاً غيرَ الذي قيل لهم، فكان جزاؤهم ما ذكره الله تعالىٰ حيث يقول: ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾ [البقرة: ٥٩]، وجعلهم الله عبرةً لمن بعدهم، فمن فعل كما فعلوا فسبيلُه سبيلُهم كما مضت سنّةُ الله بذلك: ﴿أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُو۟لَٰٓئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ فِى ٱلزُّبُرِ﴾ [القمر: ٤٣].

و(من غير تحريف) لمعانيها كما فعله الزنادقةُ أيضاً كتأويلهم «نفسَه» تعالىٰ بالغير، وأن إضافتَها إليه كإضافة بيتِ الله وناقةَ الله، فعلى هذا التأويلِ يكون قولُه تعالىٰ: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ [آل عمران: ٢٨]، أي غيرَه، وقوله: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ٥٤]، أي على غيره، ويكون قولُه تعالىٰ عن عيسى: ﴿تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ﴾ [المائدة: ١١٦]، أي: ولا أعلم ما في غيرك، ويكون قولُه تعالىٰ لموسى: ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى﴾ [طٰه: ٤١]، أراد واصطنعتك لغيري، وهذا لا يقوله عاقلٌ، بل ولا يتوهمه ولا يقولُه إلاّ كافرٌ، وكتأويلهم «وجهه» تعالىٰ بالنفس مع جحودهم لها كما تقدم، فانظر لتناقضهم البيِّن، وهذا يكفي حكايتُه عن ردِّه.

أمّا من أثبت النفسَ وأوّل الوجهَ بذلك، فيقال له: إن الله تعالىٰ قال: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمٰن: ٢٧]، فذكر الوجهَ مرفوعاً على الفاعلية، ولفظُ (رب) مجروراً بالإضافة، وذكر ذو مرفوعاً بالتبعية نعتاً لوجه، فلو كان الوجهُ هو الذاتَ لكانت القراءة: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذِي ٱلْجَلَٰلِ وَٱلإِكْرَامِ﴾ فخفضه بالياء لا بالواو؛ كما قال تعالىٰ: ﴿تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمٰن: ٧٨]، فخفضَه لما كان صفةً للرب، فلما كانت القراءةُ في الآية الأولى بالرفع إجماعاً تبيّن أن الوجهَ صفةٌ للذات ليس هو الذات، ولما رأى آخرون منهم فسادَ تأويلِهم بالذات أو

---

(١) أخرجه ابن إسحاق كما في تفسير ابن كثير (١/ ١٠٣) بسند ضعيف؛ لأنه من طريق صالح مولى التوأمة، وهو صالح بن نبهان مختلط، والطريقة الثانية فيها مبهم.
لكن الحديث أخرجه البخاري في صحيحه (٨/ ١٦٤ رقم ٤٤٧٩) من حديث أبي هريرة، عن النبيّ ﷺ قال: «قيل لبني إسرائيل ﴿وأدخلوا الباب سجداً وقولوا حطة﴾ [البقرة: ٥٨]، فدخلوا يزحفون على أستاههم، فبدّلوا، وقالوا: حِطّة حَبّةٌ في شَعرة».

الغيرِ لجأوا إلى طاغوت المجازِ، فعدلوا إلى أن تأويلَه به أولى، وأنه كما يقال «وجهُ الكلام» و«وجهُ الدار» و«وجهُ الثوب» ونحو ذلك، فتكلّفوا الكذبَ على الله تعالىٰ وعلى رسوله ﷺ كلَّ التكلّفِ ثم نُكِسوا على رؤوسهم فوقعوا فيما فرُّوا منه، فيقال لهم: أليس الثوبُ والدارُ والكلامُ مخلوقاتٍ كلُّها وقد شبّهتم وجهَ الله تعالىٰ بذلك؟ فأين الفِكاكُ والخلاصُ ولاتَ حين مناص: ﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾ [فصلت: ٢٣].

وكما أوّلوا اليدَ بالنعمة واستشهدوا بقول العرب: «لك يد عندي» أي نعمةٌ، فعلى هذا التأويلِ يكون قولُه تعالىٰ: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤]، يعني: نعمتاه فلم يثبتوا لله إلاّ نعمتين والله تعالىٰ يقول: ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَـٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان: ٢٠]، ويكون قوله تعالىٰ: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾ [ص: ٧٥]، أراد بنعمتيّ، فأيُّ فضيلةٍ لآدمَ على غيره على هذا التأويل، وهل من أحد لم يخلقه الله بنعمته؟ ويكون قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر: ٦٧]، أراد مطوياتٌ بنعمته فهل يقول هذا عاقل؟

وقال آخرون منهم «بقوته» استشهاداً بقوله تعالىٰ: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَـٰهَا بِأَيْي۟دٍ﴾ [الذاريات: ٤٧]، أي بقوة، فيقال لهم: أليس كلُّ مخلوقٍ خلقه الله بقوة؟ فعلى هذا ما معنى قولِه عزّ وجلّ: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾ [ص: ٧٥]، وأيُّ فضلٍ لآدمَ على إبليسَ إذ كلٌّ منهما خلقه الله بقوّته؟ وما معنى قولِه تعالىٰ للملائكة: لا أجعلُ صالحَ ذريةِ مَن خلقتُ بيديّ كمن قلتُ له: كن فكان، أفلم يخلُق الملائكةَ بقوّته؟ وأيُّ فضلٍ لآدمَ عليهم إن لم يكن خلقه الله بيده التي هي صفتُه، نبّئوني بعلم إن كنتم صادقين. وكما تأوّلوا الاستواءَ بالاستيلاء واستشهدوا ببيت مجهولٍ مرويٍّ على خلاف وجهِه وهو ما يُنسب إلى الأخطل النصرانيّ:

قد استوى بشرٌ على العراقِ ... من غير سيفٍ ودمٍ مُهراقِ

[عدول أهل التأويل عن ألف دليل وتمسّكهم بما ينسب إلى الأخطل النصراني في الاستواء]

فعدَلوا عن أكثرَ من ألف دليل من التنزيل إلى بيت ينسب إلى بعض العُلوج

ليس على دين الإسلام ولا على لغة العربِ، فطفِق أهلُ الأهواءِ يفسّرون به كلام اللَّهِ عزّ وجلّ ويحمِلونه عليه، مع إنكار عامةِ أهلِ اللغةِ لذلك، وأن الاستواءَ لا يكون بمعنى الاستيلاءِ بوجهٍ من الوجوه البتّة.

وقد سُئِل ابنُ الأعرابيّ وهو إمامُ أهلِ اللغة في زمانه، فقال: «العربُ لا تقول للرجل استولى على الشيء حتى يكون له فيه مُضادّ، فأيُّهما غلب قيل استولى، والله سبحانه وتعالىٰ لا مغالِبَ له»[1] اهـ.

وقد فسّر السلفُ الاستواءَ بعدة معانٍ بحسب أداتِه المقترنةِ به، وبحسب تجريدِه عن الأداة، ولم يذكر أحدٌ منهم أنه يأتي بمعنى الاستيلاء حتى انتحل ذلك أهلُ الأهواءِ والبِدع، لا باشتقاقٍ صغيرٍ ولا كبير، بل باستنباطٍ مختلَقٍ وافق الهوى المتَّبَع.

وقد بسط القولَ في ردّ ذلك ابنُ قيِّم الجوزيّةِ رحمه الله في كتابه الصواعق[2]، وبيّن بُطلانَه من نيِّف وأربعين وجهاً، فليراجع. وكما أوّلوا أحاديثَ النزولِ إلى سماء الدنيا بأنه ينزل أمرُه، فيقال لهم: أليس أمرُ الله تعالىٰ نازلاً في كل وقتٍ وحين؟ فماذا يخصّ السحَرَ بذلك؟ وقال آخرون: ينزل ملكٌ بأمره، فنَسبَ النزولَ إليه تعالىٰ مجازاً. فيقال لهم: فهل يجوز على الله تعالىٰ أن يُرسلَ من يدّعي

---

(١) أخرج اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (رقم ٦٦٦)، والذهبي في «العلوّ» (ص١٣٣)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٥/ ٢٨٤) عن أبي عبد الله نفطويه قال: حدّثني أبو سليمان داود بن علي قال: كنّا عند ابن الأعرابي فأتاه رجل فقال له: ما معنى قول الله عزّ وجلّ: ﴿الرحمٰن على العرش استوى﴾ فقال: هو على عرشه كما أخبر عزّ وجلّ.
فقال: يا أبا عبد الله ليس هذا معناه، إنما معناه استولى. قال: اسكت ما أنت، وهذا لا يقال: استولى على الشيء إلاّ أن يكون له مضاد فإذا غلب أحدهما قيل: استولى.
أما سمعت النابغة:
إلاّ لِمثلِكَ أو مَنْ أنت سابقهُ سبقَ الجواد إذا استولى على الأمد
وأورده الحافظ ابن حجر في «الفتح» (١٣/ ٤٠٦)، وعزاه إلى الهروي في كتابه «الفاروق»، وإسناده صحيح.
وانظر ما قاله ابن الجوزي في «زاد المسير» (٣/ ٣١٣).

(٢) في «مختصر الصواعق» (٢/ ١٢٦ ـ ١٥٢) فقد أجاد وأفاد.

ربوبيتَه؟ وهل يمكن للملك أن يقول: «لا أسأل عن عبادي غيري، من ذا الذي يسألني فأُعطِيَه، من ذا الذي يستغفرني فأغفرَ له»[1]، وهل قصرت عبارةُ النبيِّ ﷺ عن أن يقول ينزِل ملكٌ بأمر الله فيقول: إن الله تعالىٰ يقول لكم كذا، أو أمرني أن أقولَ لكم كذا حتى جاء بلفظ مُجملٍ يوهم بزعمكم ربوبيةَ الملَك، لقد ظننتم بالله تعالىٰ ورسولِه ﷺ ظنَّ السَّوء وكنتم قوماً بوراً.

وكما أوَّلوا المجيء لفصل القضاءِ بالمجاز، فقالوا: يجيء أمرُه واستدلّوا بقوله تعالىٰ: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ [النحل: ٣٣]، فقالوا في قوله تعالىٰ: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ٢١٠]، فقالوا: هو من مجاز الحذفِ، والتقديرُ يأتي أمرُ الله. فيقال لهم: أليس قد اتّضح ذلك غايةَ الاتضاحِ أن مجيءَ ربِّنا عزّ وجلّ غيرُ مجيءِ أمرِه وملائكته، وأنه يجيء حقيقةً، ومجيءُ أمرِه حقيقةٌ، ومجيءُ ملائكتِه حقيقةٌ، وقد فصَّل تعالىٰ ذلك وقسمه ونوّعه تنويعاً يمتنع معه الحملَ على المجاز، فذكر تعالىٰ في آية البقرة مجيئَه ومجيءَ الملائكةِ، وكذا في آية الفجر، وذكر في النحل مجيءَ ملائكتِهِ ومجيءَ أمره، وذكر في آية الأنعامِ إتيانَه وإتيانَ ملائكتِهِ وإتيانَ بعضِ آياتِه التي هي من أمره، ثم يقال: ما الذي يخصّ إتيانَ أمرِه بيوم القيامة؟ أليس أمرُه آتياً في كل وقت، متنزّلاً بين السماءِ والأرضِ بتدبير أمورِ خلقِهِ في كل نفسٍ ولحظة: ﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾ [الرحمٰن: ٢٩].

وتأوّلوا النظرَ إلى الله عزّ وجلّ في الدار الآخرة بالانتظار، قالوا: إنه كقوله: ﴿ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾ [الحديد: ١٣]، فيقال لهم: أليس إذا كان بمعنى الانتظارِ تعدّى بنفسه لا يحتاج إلى أداة كما في قوله: ﴿ٱنظُرُونَا﴾، ألم يُضِف الله تعالىٰ النظرَ إلى الوجوه التي فيها الإبصارُ، ويُعَدِّه بإلى التي تُفيد المعاينةَ بالبصر عند جميع أهلِ اللغة، ﴿قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ١٤٠]، أوَ لم يفسّره النبيّ ﷺ بالرؤية الجليةِ عِياناً بالأبصار في أكثرَ من خمسين حديثاً صحيحاً، حتى شبَّه تلك الرؤيةَ برؤيتنا الشمسَ صحواً ليسَ دونها سحابٌ، تشبيهاً للرؤية بالرؤية، لا للمَرئيّ بالمَرئي، ولم

---

(١) تقدم تخريجه وبيان رواياته.

يزل الصحابةُ مؤمنين بذلك، ويحدّثون به مَن بعدهم من التابعين، وينقُله التابعون إلى مَن بعدَهم وهلُمّ جرّا، فنحن أخذنا دينَنا عن حملةِ الشريعةِ، عن الصحابة، عن النبيّ ﷺ، فأنتم عمّن أخذتم؟

ومِن شُبُهاتهم في نفي الرؤيةِ استدلالُهم بقوله عزّ وجلّ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، وهذه الآيةُ فيها عن الصحابة تفسيران:

(أوّلهما): لا يُرى في الدنيا، وهو مَرويٌّ عن عائشةَ[1] ﵂، وبذلك نفت أن يكون رسولُ الله ﷺ رأى ربّه ليلةَ المِعراج.

---

(١) أخرج البخاري (٨/٦٠٦ رقم ٤٨٥٥).
عن مسروق قال: قلتُ لعائشة رضي الله عنها: يا أُمّتاهُ، هل رأى محمدٌ ﷺ ربّه؟ فقالت: لقد قفَّ شعري مما قُلتَ، أينَ أنت من ثلاثٍ من حدّثكهنّ فقد كذَب: من حدّثك أنّ محمداً ﷺ رأى ربّه فقد كذب، ثم قرأت: ﴿لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير﴾ [الأنعام: ١٠٣]، ﴿وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب﴾ [الشورى: ٥١].
ومن حدّثك أنّهُ يعلم ما في غدٍ فقد كذَب، ثم قرأت: ﴿وما تدري نفس ماذا تكسب غداً﴾ [لقمان: ٣٤].
ومن حدثك أنّه كَتَمَ فقد كذَب، ثم قرأت: ﴿يأيها الرسول بلِّغ ما أنزل إليك من ربك﴾ [المائدة: ٦٧].
ولكن رأى جبريلَ عليه السلام في صورته مرتين.
* وأخرج مسلم (١/١٥٩ رقم ٢٨٧/١٧٧): من طريق داود بن أبي هند، عن الشعبي عن مسروق، قال: كنتُ متّكئاً عندَ عائشةَ فقالت: يا أبا عائِشةَ! ثلاثٌ من تكلّمَ بواحدةٍ منهنّ فقد أعظمَ على الله الفرية. قلت: ما هُنّ؟ قالتْ: من زعمَ أن محمداً ﷺ رأى ربَّهُ فقد أعظم على الله الفرية. قالَ: وكنتُ متكئاً فجلستُ، فقلت: يا أمّ المؤمنين أنْظِريني، ولا تعجليني، ألم يَقُلِ الله عزّ وجلّ: ﴿ولقد رآه بالأفق المبين﴾ [التكوير: ٢٣]، ﴿ولقد رآه نزلة أخرى﴾ [النجم: ١٣]، فقالت: أنا أوّلُ هذه الأمّة سألَ عن ذلكَ رسولَ الله ﷺ، فقال: **«إنما هو جبريلُ، لم أرَهُ على صورتِهِ التي خُلِقَ عليها غيرَ هاتين المرتين، رأيتُهُ منهبطاً من السماءِ، ساداً عِظَمَ خلقِهِ ما بين السماءِ إلى الأرض»**، فقالت: أوَلَمْ تسمع أن الله يقولُ: ﴿لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير﴾ [الأنعام: ١٠٣]، أوَ لم تسمع أن الله يقول: ﴿وما كان لبشر أن يكلمه الله إلاّ وحياً أو مِن وراءِ حجابٍ أو يرسل رسولاً فيوحي بإذنه ما يشاء إنه علي حكيم﴾ [الشورى: ٥١].
قالت: ومن زعَم أن رسولَ الله ﷺ كتم شيئاً من كتاب الله فقد أعظمَ على الله الفرية، والله يقول: ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته﴾ =

(ثانيهما): تفسيرُ ابنِ عباس[1] رضي الله عنهما: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ﴾ أي لا تُحيط به، فالنفيُ

= [المائدة: ٦٧]. قالت: ومن زعمَ أنه يخبرُ بما يكونُ في غدٍ فقد أعظمَ على الله الفرية، واللّهُ يقول: ﴿قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلاّ الله﴾ [النمل: ٦٥].

قال ابن حجر في «فتح الباري» (٨/ ٦٠٧ ـ ٦٠٨): «... قال النووي ـ في شرح مسلم (٣/ ٥) ـ تبعاً لغيره: «لم تنف عائشة وقوع الرؤية بحديث مرفوع ولو كان معها لذكرته، وإنما اعتمدت الاستنباط على ما ذكرته من ظاهر الآية، وقد خالفها غيرها من الصحابة، والصحابي إذا قال قولاً وخالفه غيره منهم لم يكن ذلك القول حجّة اتفاقاً. والمراد بالإدراك في الآية الإحاطة، وذلك لا ينافي الرؤية» اهـ.

وجزمه بأن عائشة لم تنف الرؤية بحديث مرفوع تبع فيه ابن خزيمة، فإنه قال في كتاب «التوحيد» (٢/ ٥٥٦/ ٥٥٧): «النفي لا يوجب علماً، ولم تحك عائشة أن النبيّ ﷺ أخبرها أنه لم يرَ ربه، وإنما تأوّلت الآية» اهـ.

وهو عجيب، فقد ثبت ذلك عنها في صحيح مسلم الذي شرحه الشيخ ـ أي النووي ـ فعنده من طريق داود بن أبي هند عن الشعبي عن مسروق ـ وقد تقدم آنفاً ـ... وقال عياض: «رؤية الله سبحانه وتعالىٰ جائزة عقلاً، وثبتت الأخبار الصحيحة المشهورة بوقوعها للمؤمنين في الآخرة»، وأمّا في الدنيا فقال مالك: «إنما لم ير سبحانه في الدنيا لأنه باق، والباقي لا يرى بالفاني، فإذا كان في الآخرة ورزقوا أبصاراً باقية رأوا الباقي بالباقي».

قال عياض: «وليس في هذا الكلام استحالة الرؤية إلاّ من حيث القدرة، فإذا قدر الله من شاء من عباده عليها لم يمتنع».

قلت: ووقع في صحيح مسلم ما يؤيّد هذه التفرقة في حديث مرفوع فيه: «واعلموا أنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا»، وأخرجه ابن خزيمة أيضاً من حديث أبي أمامة، ومن حديث عبادة بن الصامت، فإن جازت الرؤية في الدنيا عقلاً فقد امتنعت سمعاً» انتهى.

(١) * أخرج الترمذي (٥/ ٣٩٥ رقم ٣٢٧٩)، وابن أبي عاصم في «السنة» (١/ ١٩٠ رقم ٤٣٧) عن ابن عباس قال: رأى محمدٌ ربَّه قلتُ: «أليس الله يقول: ﴿لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار﴾ [الأنعام: ١٠٣] قال: ويحكَ ذاكَ إذا تجلّى بنورِه الذي هو نورُهُ وقالَ أُريَهُ مرتين».

قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه.

وقال ابن أبي عاصم: وفيه كلام.

قلت: الحكم بن أبان فيه ضعف من قبل حفظه.

وخلاصة القول: أن الحديث ضعيف، والله أعلم.

* وأخرج ابن حبان رقم (٣٨ ـ موارد) وابن خزيمة في «التوحيد» (ص٢٠٠)، والترمذي (٥/ ٣٩٥ رقم ٣٢٨٠)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (ص٤٤٢ ـ ٤٤٣)، والطبري في «جامع البيان» (١٣/ ج٢٧/ ٥٢)، وابن أبي عاصم في «السنة» رقم (٤٣٩) عن ابن عباس في قول الله: ﴿ولقد رآه نزلة أخرى * عند سدرة المنتهى﴾ [النجم: ١٣ ـ ١٤]، ﴿فأوحى=

للإحاطة لا للرؤية، وهذا عامٌّ في الدنيا والآخرة. ولم يُنقل عن أحد من الصحابة من طريق صحيحٍ ولا ضعيفٍ أنه أراد بذلك نفيَ الرؤيةِ في الآخرة، فهذا تفسيرُ الراسخين في العلم الذين يعلمون تأويلَ الكتاب هل بينهم مِن أحد فسّر الآيةَ بما افتريتموه؟

ومن إفكهم ادّعاؤُهم معنى التأبيدِ في نفي ﴿لَن تَرَىٰنِى﴾ حتى كذبوا على رسول الله ﷺ حديثاً مختلَقاً لفظُه: (لن تراني في الدنيا ولا في الآخرة)[1]، وهو موضوعٌ مكذوبٌ على النبيّ ﷺ باتفاق أئمّة الحديثِ والسنةِ، ولم يَقل أحدٌ من أئمّة اللغةِ العربيةِ أن نفيَ «لن» للتأبيد مطلقاً إلاّ الزمخشريُّ من المتأخّرين[2]، قال ذلك ترويجاً لمذهبه في الاعتزال، وجحودِ صفاتِ الخالق جلّ وعلا، وقد ردَّه عليه أئمّةُ التفسيرِ كابن كثير[3] وغيرِه، وردّه ابنُ مالك في الكافية حيث قال:

ومن يرى النفيَ بلن مؤبّدا ... فقولَه اردُدْ وسِواه فاعضُدا

= إلى عبده ما أوحى﴾ [النجم: ١٠]، ﴿فكان قاب قوسين أو أدنى﴾ [النجم: ٩]، قال ابن عباس: «قد رآه»، قال الترمذي: هذا حديث حسن.

وقال الألباني في «ظلال الجنة» (١/ ١٩١): «إسناده حسن موقوف، رجاله ثقات رجال الشيخين، إلاّ أنهما لم يحتجا بمحمد بن عمرو، وإنما أخرجا له متابعة» اهـ.

وخلاصة القول أن الحديث حسن كما قال الترمذي، والله أعلم.

قال المحدث الألباني في «ظلال الجنة» (١/ ١٩١): «وبالجملة فتفسير الآية من ابن عباس برؤية الله تبارك وتعالى ثابت عنه، لكن الأخذ بالتفسير الذي ذكرناه عنه ﷺ - من حديث عائشة المتقدم - مرفوعاً أولى منه. والأخذ واجب دون الموقوف، لا سيما وقد اضطرب الرواة عنه في هذه الرؤية، فمنهم من أطلقها كما في حديث الترجمة وغيره. ومنهم من قيّدها بالفؤاد، كما في رواية مسلم (١/ ١٥٨ رقم ٢٨٤/ ١٧٦) عن ابن عباس؛ قال: «رآه بقلبه» و(١/ ١٥٨ رقم ٢٨٥/ ١٧٦) عن ابن عباس قال: ﴿ما كذب الفؤاد ما رأى﴾ [النجم: ١١]، ﴿ولقد رآه نزلة أخرى﴾ [النجم: ١٣]، قال: «رآهُ بفؤادِهِ مرتين»، وهي أصح الروايات عنه، والله أعلم» اهـ.

(١) وهو حديث موضوع.

(٢) قال ابن هشام في «مغني اللبيب عن كتب الأعاريب» (١/ ٢٨٤): «... ولا تفيد لن توكيدَ النفي خلافاً للزمخشري في كشافه «ولا تأبيدَه خلافاً له في «أنموذجه» وكلاهما دعوى بلا دليل، قيل: ولو كانت للتأبيد لم يقيد منفيها باليوم في ﴿فلن أكلم اليوم إنسياً﴾، ولكان ذكر الأبد في ﴿ولن يتمنوه أبداً﴾ تكراراً، والأصل عدمه...» اهـ.

(٣) في تفسيره (٢/ ٢٥٤) ومعالم التنزيل للبغوي (٣/ ٢٧٥)...

والقائلُ لموسى ﴿لَن تَرَىٰنِى﴾ [الأعراف: ١٤٣]، هو المتجلّ للجبل حتى اندكّ، وهو الذي وعد المؤمنين ﴿ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، وهو الذي قال: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة]، فاتّضح بذلك أن قولَه لموسى ﷺ ﴿لَن تَرَىٰنِى﴾ [الأعراف: ١٤٣] إنما أراد عدمَ استطاعتهِ رؤيةَ الله تعالىٰ في هذه الدار لضَعف القُوى البشريةِ فيها عن ذلك؛ كما قرّر تعالىٰ ذلك بقوله جلّ جلاله: ﴿وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ [الأعراف: ١٤٣] الآية، فإذا لم يَثبُت الجبلُ لتجلّي الله تعالىٰ، فكيف يثبُت موسى لذلك وهو بشرٌ خُلق من ضَعف؟ وأمّا في الآخرة فيخلُق الله تعالىٰ في أوليائه قوّةً مستعدّةً للنظر إلى وجهه عزّ وجلّ، وبهذا تجتمع نصوصُ الكتابِ والسنةِ وتأتلف كما هو مذهبُ أهلِ السنّةِ والجماعةِ.

وأمّا من اتّبع هواه بغير هدىً من الله، ونصَب الخِصامَ أو الجدالَ والمعارضةَ بين نصوصِ الكتاب والسنّة، واتّبع ما تشابه منه ابتغاءَ الفتنةِ وابتغاءَ تأويلِه، وما يعلم تأويلَه إلا الله، وضربَ كتابَ الله بعضَه ببعض، وآمن ببعض وكفر ببعض، وشاقّ الرسولَ من بعد ما تبيّن له الهدى، واتّبع غيرَ سبيلِ المؤمنين، وأضلَّه الله على علم وختم على سمعه وقلبِه وجعل على بصره غِشاوةً، فمن يهديه من بعد الله؟ أعاذنا الله وجميعَ المؤمنين من ذلك.

ولا يأتي لأحد من أهل التأويلِ مرادُه ولا يستقيم له تأويلُه إلاّ بدفع النصوصِ بعضِها ببعض لا محالة ولا بدّ، فإنّ كتابَ الله تعالىٰ يصدّق بعضُه بعضاً لا يكذبه كما هو مصدِّقٌ لما بين يديه من الكتاب ومهيمِنٌ عليه. وكذلك سنّةُ النبيِّ ﷺ، تبيِّن الكتابَ وتوضّحه وتفسّره وتدُلّ عليه وتُرشِد إليه، ولا يشكّ في ذلك ولا يرتاب فيه إلاّ من اتّخذ إلٰهه هواه، وأدلى بشُبهاته لغرض شهواتِه: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ﴿٢٠﴾﴾ [البروج]، وهذا دأبُهم في جميع نصوصِ الأسماءِ والصفات. وإنما ذكرنا هذه الجملةَ مثالاً وتنبيهاً على ما وراء ذلك، فمن عُوفيَ فليحمَد الله، فالحمدُ لله الذي هدانا لهذا وما كنّا لنهتديَ لولا أن هدانا الله.

(ولا تعطيل) أي للنصوص بنَفْي ما اقتضتْه من صفات كمالِ الله تعالىٰ ونعوتِ جلالِه، فإن نفيَ ذلك من لازمه نَفْيُ الذاتِ ووصفُه بالعدم المَحْض، إذ ما

لا يوصف بصفة هو العدمُ، تعالىٰ الله عمّا يقول الظالمون والجاحدون علوّاً كبيراً.

ولهذا قال السلفُ الصالحُ رحمهم الله تعالىٰ في الجهمية: إنهم يحاولون أن يقولوا ليس في السماء إلٰهٌ يُعبد، وذلك لجحودهم صفاتِ كمالِهِ ونعوتِ جلالِهِ التي وصف بها نفسَه ووصفه بها رسولُه ﷺ، وذلك يتضمّن التكذيبَ بالكتاب والسنّة، والافتراءَ على الله كذباً: ﴿۞ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الزمر].

- (وغير تكييف) تفسيرٌ لكُنه شيءٍ من صفات ربِّنا تعالىٰ، كأن يقال استوى على هيئة كذا، أو ينزلَ إلى السماء بصفة كذا، أو تكلّم بالقرآن على كيفية كذا، ونحوِ ذلك من الغلوّ في الدين والافتراءِ على الله عزّ وجلّ واعتقادِ ما لم يأذن به الله ولا يليق بجلاله وعظمتِه ولم ينطِقْ به كتابٌ ولا سنّةٌ، ولو كان لك مطلوباً من العباد في الشريعة لبيَّنه الله تعالىٰ ورسولُه ﷺ، ولم يدَعْ ما بالمسلمين إليه حاجةٌ إلاّ بيَّنه ووضحه، والعبادُ لا يعلمون عن الله تعالىٰ إلاّ ما علّمهم؛ كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقال تعالىٰ: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠]، فليُؤمِن العبدُ بما علمه الله تعالىٰ وليقِفْ معه كهذه الصفاتِ الثابتةِ في الكتاب والسنّة، وليُمْسِكْ عما جهله، ولْيَكِلْ معناه إلى عالمه ككيفيتها: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧].

(ولا تمثيلٍ) أي ومن غير تشبيهٍ لشيء من صفات الله بصفات خلقهِ، فكما أنّا نُثبت له ذاتاً لا تُشبه الذواتِ، فكذلك نثبت له ما أثبتَ لنفسه من الأسماء والصفاتِ ونعتقد تنزُّهه وتقدُّسَه عن مماثلة المخلوقاتِ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، وإذا كان القولُ على الله بلا علم في أحكام الشريعةِ هو أقبحَ المحرماتِ؛ كما قال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣].

فكيف بالقول على الله بلا علم في إلٰهيته وربوبيتِهِ وأسمائِه وصفاتِه من تشبيه

خلقِهِ به أو تشبيههِ بخلقه في اتخاذ الأندادِ معه وصرفِ العبادة لهم، وإن اعتقادَ تصرُّفهم في شيء من ملكوته تشبيهٌ للمخلوق بالخالق، كما أن تمثيلَ صفاتِه تعالىٰ بصفات خلقِهِ تشبيهٌ للخالق بالمخلوق، وكلا التشبيهين كفرٌ بالله عزّ وجلّ أقبحُ الكفر، وقد نزّه الله تعالىٰ نفسَه عن ذلك كلِّه في كتابه؛ كما قال تعالىٰ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [سورة الإخلاص]، وقال تعالىٰ: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]، وقال تعالىٰ: ﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا ۖ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، وقال تعالىٰ: ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [النحل: ٦٠]، وقال تعالىٰ: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٧٤]، وغيرُ ذلك من الآيات، بل جميعُ القرآن من أوّله إلى خاتمته في هذا المعنى، بل لم يُرسل الله تعالىٰ رسلَه ولم ينزل كتبَه إلاّ بذلك: ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ﴾ [الأحزاب: ٤].

[القول الصحيح قول أئمة الهدى من الصحابة والتابعين]

(**بل قولُنا**) الذي نقول ونعتقده ونَدينُ الله به هو (**قولُ أئمة الهدى**) من الصحابة والتابعين فمن بعدهم من الأئمّة، كأبي حنيفةَ ومالكٍ والأوزاعيِّ والثوريِّ وابنِ عُيَيْنةَ والليثِ بن سعدٍ وحمّادِ بنِ زيدٍ وحمادِ بن سلَمة والشافعيِّ وأحمدَ وإسحاقَ بن راهويه وأصحابِ الأمهاتِ الستِّ وغيرِهم من أئمّة المسلمين قديماً وحديثاً الذين قضَوْا بالحقّ وبه كانوا يعدِلون، وهو إمرارُها كما جاءت من غير تكييفٍ ولا تشبيهٍ ولا تعطيل. والظاهرُ المتبادرُ إلى أذهان المشبّهين منفيٌّ عن الله عزّ وجلّ، فإن الله تعالىٰ لا يُشبهه شيءٌ من خلقه وليس كمثله شيءٌ وهو السميعُ البصير، بل الأمرُ كما قال الأئمة: تفسيرُها قراءتُها.

وقال نعيم بنُ حمادٍ الخزاعيُّ شيخُ البخاريِّ رحمهما الله تعالىٰ[1]: (من شبَّه

(١) انظر: «مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية» (٥/١٩٦)، و«العلو» للذهبي (ص١٢٦)، =

الله بخلقه فقد كفر، ومن جحدَ ما وصف الله به نفسَه فقد كفر، وليس فيما وصف الله به نفسَه ولا رسولُه تشبيهٌ، فمن أثبت لله تعالىٰ ما أثبته لنفسه مما وردت به الآياتُ الصريحةُ ووصفه به رسولُه ﷺ مما ورد في الأخبار الصحيحةِ على الوجهِ الذي يليق بجلال الله وعظمتِهِ، ونفَى عن الله النقائصَ فقد سلك سبيلَ الهدى).

وقال الإمام الشافعي[١] رحمه الله تعالىٰ: (آمنّا بالله وبما جاء عن الله على مراد الله، وآمنّا برسول الله وبما جاء عن رسول الله على مراد رسولِ الله ﷺ).

وقال أيضاً رحمه الله[١]: (لله تعالىٰ أسماءٌ وصفاتٌ جاء بها كتابهُ وأخبر بها نبيُّه ﷺ أمتَه لا يسع أحداً من خلق الله قامت عليه الحجةُ ردُّها، لأن القرآنَ نزل بها وصحّ عن رسول الله ﷺ القولُ بها فيما روى عنه العدولُ، فإن خالف ذلك بعد ثبوت الحجةِ عليه فهو كافرٌ، أما قبل ثبوتِ الحجةِ عليه فمعذورٌ بالجهل؛ لأن علمَ ذلك لا يُدرك بالعقل ولا بالرؤية والفِكرِ، ولا يُكفّر بالجهل بها أحدٌ إلاّ بعد انتهاء الخبرِ إليه بها، وتُثْبَتُ هذه الصفاتُ ويُنفي عنها التشبيهُ كما نفى التشبيهَ عن نفسه تعالىٰ، فقال سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]).

وقال الإمامُ أحمدُ رحمه الله[٢]: (ليس كمثله شيءٌ في ذاته كما وصف نفسَه، قد أجمل الله الصفةَ فحدّ لنفسه صفةً: ليس يُشبهه شيء، وصفاتُه غيرُ محدودةٍ ولا معلومةٍ إلاّ بما وصف به نفسَه. قال: فهو سميعٌ بصيرٌ بلا حدّ ولا تقدير، ولا يبلُغ الواصفون صفتَه، ولا نتعدّى القرآنَ والحديثَ، فنقول كما قال ونصفه بما وصف به نفسَه ولا نتعدّى ذلك، ولا يبلُغ صفتَه الواصفون، نؤمن بالقرآن كلّه مُحْكَمِه ومُتشابِهِه، ولا نُزيل عنه صفةً من صفاته بشناعة شنَعتْ، وما وصف به نفسه من كلامٍ ونزولٍ وخَلوةٍ بعبده يوم القيامة ووضعِه كنفَه عليه، فهذا كُلّه يدلّ على أن الله سبحانه وتعالىٰ يُرى في الآخرة، والتحديدُ في هذا كلّه بدعةٌ، والتسليمُ فيه بغير صفةٍ ولا حدّ إلاّ ما وصف به نفسه: سميع، بصير، لم يزل

= و«اجتماع الجيوش الإسلامية» (ص٢٢١).

(١) انظر: «اجتماع الجيوش الإسلامية» (ص١٦٥).

(٢) انظر: «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» للالكائي (١/ ١٧٥ ـ ١٨٥)، وطبقات الحنابلة (١/ ٢٤١ ـ ٢٤٦).

متكلماً، عالماً، غفوراً، عالمُ الغيب والشهادة، علاّمُ الغيوب. فهذه صفاتٌ وصف بها نفسَه لا تُدفع ولا تُرد، وهو على العرش بلا حدّ؛ كما قال تعالىٰ: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الفرقان: ٥٩] كيف شاء، المشيئةُ إليه والاستطاعةُ إليه ليس كمثله شيءٌ وهو خالقُ كل شيءٍ وهو سميعٌ بصير بلا حدٍّ ولا تقدير، لا نتعدّى القرآنَ والحديثَ، تعالىٰ الله عمّا يقول الجهميةُ والمشبّهة. قلت له: والمشبّهُ ما يقول؟ قال: من قال بصرٌ كبصري، ويدٌ كيدي، وقدمٌ كقدمي فقد شبَّه الله تعالىٰ بخلقه) انتهى.

وكلامُ أئمّةِ السنّة في هذا الباب يطول، وقد تقدم كثيرٌ منه في الاستواء والكلامِ والنزولِ والرؤيةِ وغير ذلك.

(طوبى لمن بهديهم قد اهتدى)، إذ هم خيرُ القرون وأعلمُ الأمةِ بشريعةِ الإسلامِ وأولاهم باتّباع الكتابِ والسنّة واقتفاءِ آثار رسولِ الله ﷺ، وبهم حفِظ الله الدين على من بعدهم، فرحمهم الله ورضيَ عنهم وأرضاهم وألحقَنا بهم سالمين غيرَ مفتونين إنه سميعُ الدعاء.

[توحيد الإثبات]

(وسمّ ذا النوعَ من التوحيد	**توحيدَ إثباتٍ بلا ترديد)**
(قد أفصح الوحيُ المبينُ عنه	**فالتمس الهدى المنيرَ منه)**

(وسم ذا النوع) والإشارةُ بذا إلى يوم ما تقدم من قوله «إثباتُ ذاتِ الربّ» إلى هنا وما يدخل في ذلك من معاني الربوبيةِ والأسماءِ والصفات **(من)** نوعي **(التوحيد)** المشار إليهما بقول: وهو نوعان **(توحيدَ إثبات)** لاشتماله على إثبات ما أثبته الله تعالىٰ لنفسه في كتابه وأثبته له رسولُه ﷺ ومن قبله من الأنبياء والمرسلين من معاني ربوبيّتِه ومقتضى أسمائِه وصفاتِه ونَفْيِ ما يناقض ذلك، كما نفاه عن نفسه تبارك وتعالىٰ، فيؤمن بالله تعالىٰ وبما أخبر به عن نفسه سبحانه على ألسنةِ رُسُلِه من صفات كمالِه ونعوتِ جلالِه بلا تكييفٍ ولا تمثيل، وننفي عنه ما نفاه عن نفسه مما لا يليق بجلاله وعظمتِه، فإنه أعلمُ بنفسه وبغيره وأصدقُ قيلاً وأبينُ دليلاً من غيره، وقد عكسَ الزنادقةُ الأمرَ فنفَوْا عنه ما أثبته تعالىٰ لنفسه من الأسماء الحسنى والصفاتُ العُلى، وأثبتوا له ما نزّه نفسَه عنه من أضداد ما تقتضي أسماؤه وصفاتُه،

وكذّبوه بالكتاب وبما أرسل الله به رسلَه، وبدّلوا قولاً غيرَ الذي قيل لهم فبعداً لقوم لا يؤمنون.

(فائدة)

[زيادة المتأخرين على الصفات «أن ظاهرها غير مراد»]

قال الحافظُ الذهبيُّ رحمه الله تعالىٰ: (المتأخّرون من أهل النظر قالوا مقالةً مولّدةً ما علمْتُ أحداً سبقهم بها، قالوا: هذه الصفاتُ تُمرُّ كما جاءت ولا تُؤوَّل مع اعتقاد أن ظاهرَها غيرُ مرادٍ، فتفرَّع من هذا أن الظاهرَ يُعنى به أمران:

أحدُهما: أنه لا تأويلَ لها غيرَ دلالةِ الخطاب، كما قال السلف الصالح: الاستواءُ معلومٌ[1]، وكما قال سفيانُ[2] وغيرُه: قراءتُها تفسيرُها، يعني أنها بينةٌ واضحةٌ في اللغة لا يُبتغى بها مضايقُ التأويلِ والتحريف، وهذا هو مذهبُ السلفِ، مع اتفاقِهم أيضاً أنها لا تشبه صفاتِ البشر بوجهٍ، إذ الباري لا مثلَ له لا في ذاته ولا في صفاته.

الثاني: أن ظاهرَها هو الذي يتشكّل في الخيال من الصفة كما يتشكّل في الذهن من وصف البشر، فهذا غيرُ مرادٍ، فإن الله تعالىٰ فردٌ صمَدٌ ليس له نظيرٌ، وإن تعدّدت صفاتُه فإنها حقٌّ، ولكن ما لها مِثلٌ ولا نظير، فمن ذا الذي عايَنه ونعتَه لنا، ومن ذا الذي يستطيع أن ينعَتَ لنا كيف سمع موسى كلامَه؟ والله إنا لعاجزون كالّون حائرون باهتون في حدّ الروحِ التي فينا وكيف تعرُج كلَّ ليلةٍ إلى بارئها، وكيف يُرسِلها، وكيف تستقل بعد الموتِ، وكيف حياةُ الشهيدِ المرزوقِ عند ربه بعد قتلِه، وكيف حياةُ النبيين الآن، وكيف شاهد النبيُّ ﷺ أخاه موسى يصلّي في قبره قائماً[3]، ثم رآه في السماء السادسة وحاوره وأشار إليه بمراجعة ربِّ

---

(١) كما صح عن الإمام مالك وربيعة الرأي وغيره. أخرج هذه الآثار البيهقي في «الأسماء والصفات» رقم (٨٦٦ و٨٦٧) عن مالك، ورقم (٨٦٨) عن ربيعة الرأي، وقد تقدم ذلك.

(٢) أخرج أثر سفيان بن عيينة البيهقي في «الأسماء والصفات» رقم (٨٦٩)، وهو أثر صحيح.

(٣) يشير المؤلف رحمه الله إلى الحديث الذي أخرجه مسلم (٤/ ١٨٤٥ رقم ٢٣٧٥) من حديث أنس.

العالمين وطلب التخفيفَ منه على أمّته[1]، وكيف ناظر موسى أباه آدم وحجّهُ آدمُ بالقدَر السابقِ، وبأن اللَّومَ بعد التوبةَ وقبولِها لا فائدةَ فيه[2]، وكذلك نعجز عن وصف هيئتِنا في الجنة ووصفِ الحُورِ العِينِ، فكيف بنا إذا انتقلنا إلى الملائكة وذواتِهم وكيفيّتِها وأن بعضَهم يمكنه أن يلتقمَ الدنيا في لقمة، مع رونقهم وحُسْنِهم وصفاءِ جوهرهم النورانيِّ، فالله أعلى وأعظمُ، وله المثلُ الأعلى والكمالُ المطلقُ ولا مثْلَ له أصلاً ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٥٢]، انتهى كلامُه بحروفه.

قلت: قولُه من ذا الذي عاينه فنعَته؟ هذا لا معنى له، فإن المؤمنين يَرَوْنه تعالىٰ في الجنة عِياناً بأبصارهم ولا يستطيع أحدٌ منهم نعتَه تعالىٰ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠]، وكان حقُّه أن يقول: من ذا الذي أحاط به علماً فنعتَه، وقولُه الثاني أن ظاهرَها الذي يتشكّل في الخيال. . . الخ، قد قدّمنا أن هذا التصوّرَ الفاسدَ هو الذي يعمل جهلَةُ النُّفاةِ على ما صنعوا من النفي حين لم يفهموا من ظاهرها إلاّ ما يقوم بالمخلوق ولم يتدبروا مَنْ هو الموصوفُ فأساءوا الظنَّ بالوحي، ثم قاسوا وشبّهوا بعد أن فكروا وقدّروا ثم نفَوا وعطلوا، فسُحقاً لأصحاب السعير.

(قد أفصح الوحيُ المبينُ) من الكتابِ والسنةِ وكذلك الصحفُ الأولى **(عنه)** غايةَ الإفصاحِ، وشرحه الله تبارك وتعالىٰ أكثرَ من شرح بقيةِ الأحكام لعِظَم شأن مُتعلَّقهِ، **(فالتمس)** اطلب **(الهديَ المنيرَ منه)** أي من الوحي المبين؛ لأنه لا سبيلَ إلى معرفة ذلك إلاّ منه، ومن خرج عن الوحي مثقال ذرةٍ ضلّ وغوى ولا بد، فإنّا لا نعلم من علم الله سبحانه إلاّ ما علِمنا هو، فنصدّق بما أخبر به عن نفسه وأخبرت به رسلُه عنه كما ننقاد ونسلّم ونمتثل لِما أمرَ، ونجتنب ما نهى عنه وزجرَ، بل إن تأويلَ الأمرِ والنهيِ أخفُّ جرماً من تأويل معاني الربوبيةِ والأسماءِ والصفاتِ، والتكذيبُ بالبعث والنشورِ والوعدِ والوعيدِ دون التكذيب بما أخبر اللَّهُ به عن نفسه من الأسماء الحسنى والصفاتِ العُلى وأخبرتْ عنه به رسلُه من ذلك

(١) يشير المؤلف رحمه الله إلى الحديث الذي أخرجه البخاري في صحيحه (١/٤٥٨ ـ ٤٥٩ رقم ٣٤٩)، ومسلم (١/١٤٨ ـ ١٤٩ رقم ١٦٣) من حديث أنس.

(٢) سيأتي بتمامه في هذا الكتاب، وهو متفق عليه.

مع أن جُرمَ كلٍّ منهما عظيم. أعاذنا الله وجميعَ المسلمين من الزيغ والضلال، آمنا بالله واشهد بأنّا مسلمون.

[وجوب مخالفة أقوال كل مارد مضل زنديق]

(لا تـتـبـع أقـوالَ كـلِّ مـاردِ غـاوٍ مُـضـلٍّ مـارقٍ مـعـانـد)
(فـلـيـس بـعـد ردِّ ذا الـتّـبـيـانِ مـثـقـالُ ذرةٍ مـن الإيـمـان)

(لا تتبع) أيها العبدُ (أقوالَ كلِّ مارد) على بدعته وزندقته واتّباعِ هواه، (غاوٍ) زائغ في دينه مفتونٍ في عقيدته (مُضل) لغيره (مارق) من الإسلام (معاند) لنصوص الكتابِ والسنة وما دلّت عليه، مكذّبٍ بالكتاب وبما أرسل إليه به رسله، (فليس) يبقى (بعد ردِّ ذا التبيانِ) الذي جاء في الكتاب والسنةِ من الآيات المحكمةِ الصريحةِ والأحاديثِ الثابتةِ الصحيحةِ (مثقالُ ذرة من الإيمان) في قلب مَن ردّ ذلك؛ لأن الله تعالىٰ هو الحقُّ وقولَه الحقُّ ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ﴾ [يونس: ٣٢]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَمَآ أُنذِرُوا۟ هُزُوًا﴾ [الكهف: ٥٦]، وقال تعالىٰ: ﴿مَا يُجَٰدِلُ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِى ٱلْبِلَٰدِ﴾ [غافر: ٤]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ﴾ [فصلت: ٤٠]، وقال تعالىٰ: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو قَالَ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَٰتِى وَلَمْ تُحِيطُوا۟ بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا۟ فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [النمل].

وهذه الآياتُ يدخل فيها كلُّ مكذبٍ بأي شيءٍ من الكتاب، فكيف إذا كذب بصفات مُنزِّل الكتاب، بل جحد أن يكون اللّهُ تعالىٰ تكلم بالكتاب، ألا لعنةُ الله على الظالمين.

فصل

والملاحدةُ في توحيد المعرفةِ والإثباتِ فرقٌ كثيرة وأشياع متفرقةٌ، ولكن رؤوسَهم خمسُ طوائفَ:

(الأولى): سلبيةٌ محضاً يُثبتون إثباتاً هو عينُ النفي، ويصفون الباري تعالىٰ

بصفات العدمِ المحضِ الذي ليس هو بشيء البتةَ، وليس له عندهم حقيقةٌ غيرَ أنهم يقولون هو موجودٌ لا داخلَ العالمِ ولا خارجاً عنه ولا مُبايناً له ولا محايثاً، وليس على العرش ولا غيره، ولا يُثبتون له ذاتاً ولا اسماً ولا صفةً ولا فعلاً، بل ذلك عندهم هو عينُ الشِّرْك، وهذا هو الذي صرّح به غلاةُ الجهمية[1]، وقد كان قدماؤهم يتحاشَون عنه ويتستّرون منه، وكان السلفُ من أئمة الحديثِ يتفرّسون فيهم ذلك، وأنهم يُبطنونه ولا يبوحون به، وقد قدمنا عن جماعة من السلف قولَهم في الجهمية: إنما يحاولون أن يقولوا ليس في السماء إلهٌ يُعبد، ويقول بعضُهم: إنهم يزعُمون أن إلهك الذي في السماء ليس بشيء، ولكنه لم يصرح بذلك ويُظْهره إلاّ ابنُ سينا[2] صاحبُ «الإشارات» تلميذُ الفارابي[3]، وهو منسوبٌ إلى أرسطو اليوناني[4]، وهو يرجِع إلى مذهب الدهرية الطبائعية في المعنى، وهو الذي نصره الملحدُ الكبيرُ نصيرُ الشركِ الطُوسيُّ[5] وأشباهُه، قبّحهم الله تعالىٰ.

(الطائفة الثانية): الحُلولية[6] الذين يزعُمون أن معبودَهم في كل مكان بذاته

---

(١) تقدم في هذا الجزء ترجمة مستفيضة للجهمية، فانظره فإنه مفيد.

(٢) هو أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا الحكيم المشهور، ولد سنة (٣٧٠هـ)، اشتغل بالعلوم وحصَّل الفنون، وبدأ حياة الإنتاج في سن مبكرة، فترك التصانيف في «الطب» و«المنطق» و«الطبيعيات» و«الإلٰهيات»، وأشهر كتبه «القانون» في الطب، ومن مصنفاته: «الشفاء» في الحكمة، و«النجاة» و«الإشارات»... توفي سنة (٤٢٨هـ).
قلت: عامله الله بما يستحق.
[وفيات الأعيان (٢/ ١٥٧ ـ ١٦٢)].

(٣) هو أبو نصر الفارابي، محمد بن محمد بن طرخان بن أوزلغ، ولد في فاراب، وانتقل إلى بغداد فنشأ فيها، وألّف بها أكثر كتبه، رحل إلى مصر والشام واتّصل بسيف الدولة، وكان يحسن اللغات الشرقية المعروفة في عصره، ومن كتبه: «الفصوص» و«إحصاء العلوم»... توفي سنة (٣٣٩هـ).
قلت: عامله الله بما يستحق.
[وفيات الأعيان (٥/ ١٥٣ ـ ١٥٧)].

(٤) أرسطوطاليس: هو أوّل واضع لعلم المنطق كله تقريباً، ويعتبر أكبر فيلسوف يوناني دهري طبائعي.

(٥) إمام أهل الرفض وزير التتار، مدمر بغداد وقاتل المسلمين، عامله الله بما يستحق.

(٦) الحلولية في الجملة عَشْرُ فرقٍ كلُّها كانت في دولة الإسلام، وغرضُ جميعها القصد إلى إفساد القول بتوحيد الله، وتفصيلُ فرقها في الأكثر يرجع إلى غُلاةَ الروافض...»، انظر: «الفَرْقُ بين الفِرَق» تأليف: عبد القاهر بن طاهر البغدادي (ص٢٢٨ ـ ٢٣٩).

وينزّهونه عن استوائه على عرش وعُلوّه على خلقه، ولم يصونوه عن أقبح الأماكن وأقذرها، وهؤلاء هم قدماءُ الجهميةِ الذين تصدّى للرد عليهم أئمّةُ الحديثِ كأحمدَ بن حنبل وغيرِه، ولهذا قال جهمُ بنُ صفوان[1] لما ناظره السمنية[2] في ربّه، وحار في ذلك ففكّر وقدّر فقُتل كيف قدّر ثم قتل كيف قدّر، فقال: هو هذا الهواءُ الذي هو في كل مكان، وكذلك كان يقول كثيرٌ من أتباعه، ولم يكن هو ولا هُم يريدون ذلك، وإنما كانوا يتوسّلون به إلى السلب المحضِ والتعطيلِ الصِّرْفِ كما فهمه منهم أئمةُ الإسلام رحمهم الله كلما أفصحوا به من نفي أسماءِ الباري وصفاتِه وكلامِه ورؤيتِهِ في الدنيا والآخرة، وأفعالِه وحكمته وغيرِ ذلك كما تقدم حكايتُه عنهم قريباً وردُّ شبهاتِهم الداحضة.

(الطائفة الثالثة): الاتحاديةُ[3]، وهم القائلون: إن الوجودَ بأسره هو الحقُّ، وأن الكثرةَ وهمٌ، بل جميعُ الأضدادِ المتقابلةِ والأشياءِ المتعارضةِ الكلُّ شيءٌ واحدٌ هو معبودُهم في زعمهم، وهم طائفةُ ابنِ عربيٍّ الطائيِّ[4] صاحبِ الفتوحاتِ المكيةِ

---

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) تقدم التعريف بها.

(٣) وحدة الوجود عقيدة إلحادية تأتي بعد التشبّع بفكرة الحلول في بعض الموجودات ومفادها أنه لا شيء إلاّ الله وكل ما في الوجود يمثل الله عزّ وجلّ، لا انفصال بين الخالق والمخلوق، وأن وجود الكائنات هو عين وجود الله تعالىٰ ليس وجودها غيره، ولا شيء سواه البتّة، وهي فكرة هندية بوذية مجوسية.
[انظر: «فرق معاصرة» للدكتور: غالب بن علي عواجي (٢/ ٦٨٢ ـ وما بعدها)].

(٤) هو أبو بكر محيي الدين: محمد بن علي بن محمد الحاتمي الطائي الأندلسي، ولد في (مرسية) سنة (٥٦٠هـ)، ونشأ فيها ثم ارتحل وطاف البلدان فجاء بلاد الشام والروم والمشرق ودخل بغداد، وكان يكتب الإنشاء لبعض الملوك في المغرب، اختلف الناس في شأنه فذهبت طائفة إلى أنه زنديق، وقال آخرون: إنه ولي، ولكن يحرم النظر في كتبه. والصحيح أنه اتحادي خبيث، ولم يشتهر أمره وكتبه إلاّ بعد موته لأنه كان منقطعاً عن الناس، إنما يجتمع به آحاد الاتحادية، ولهذا تمادى في أمره ثم فضح وهتك. توفي سنة (٦٣٨هـ).
[انظر: «شذرات الذهب» (٥/ ١٩٠ ـ ٢٠٢)، و«الميزان» (٣/ ٦٥٩ ـ ٦٦٠)، و«طبقات المفسّرين» للداوودي (٢/ ٢٠٤ ـ ٢١٠)، و«نفح الطيب» (٢/ ١٦١ ـ ١٨٤)، و«طبقات المفسرين» للسيوطي (ص٩٨ ـ ٩٩)].

وفصوصِ الحِكَم وغيرهما مما حرّف فيه الكَلم عن مواضعه وتلاعب فيه بمعاني الآياتِ وأتى بكفر لا يُشبه كفرَ اليهودِ الذين قالوا عزيرٌ ابنُ الله، ولا النصارى الذين قالوا المسيحُ ابنُ الله، وقالوا هو الله وقالوا ثالثُ ثلاثةٍ، فإن النصارى وأشباهَهم خصوا الحلولَ والاتحادَ بشخص معين، وهؤلاء جعلوا الوجودَ بأسره على اختلاف أنواعِه وتقابُلِ أضدادِه مما لا يسوّغُ التلفظُ بحكايته هو المعبودَ، فلم يكفرْ هذا الكفرَ أحدٌ من الناس، وكان هذا المذهبُ الذي انتحله ابنُ عربيٍّ ونظمه ابنُ الفارضِ[1] في تائيته[2] (نظم السلوك)، وأصلُ هذا المذهبِ الملعونِ انتحله ابنُ سبعين[3] عبدُ الحقّ بنُ إبراهيمَ بنِ محمد بن نصر بنِ محمدِ بنِ نصرِ بنِ محمدِ بنِ قُطبِ الدين أبو محمدٍ المقدسيُّ الرقوطيُّ نسبةً إلى رقوطةَ بلدة قريبةٌ من مُرسيةَ، ولد سنةَ أربعَ عشرةَ وستمائة، واشتغل بعلم الأوائلِ والفلسفةِ فتولد له الإلحادُ من ذلك وصنّف فيه، وكان يعرف السيمياءَ ويلبّس بذلك على الأغبياء من الأمراء والأغنياء، ويزعُم أنه حالٌ من أحوال القوم. وله من المصنفات كتابُ البدو، وكتابُ اللهو.

وقد أقام بمكةَ واستحوذ على عقل صاحبها أبي نُميّ، وجاور في بعض الأوقات بغار حِراءَ يرتجي فيه الوَحْيَ أن ينزِل عليه كما أتى النبيَّ ﷺ، بناءً على ما يعتقده من العقيدة الفاسدةِ من أن النبوّةَ مكتسبةٌ وأنها فيضٌ يفيض على العقل إذا صفا، فما حصل له إلاّ الخزيُ في الدنيا والآخرةِ إن كان مات على ذلك، وكان

---

(١) هو عمر بن علي المعروف بابن الفارض، حدّث عن القاسم بن عساكر، ينعق بالاتحاد الصريح في شعره، وهذه بلية عظيمة فتدبّر نظمه ولا تستعجل. ولد سنة (٥٧٦هـ)، وتوفي سنة (٦٣٢هـ).
وله ديوان شعر، وأشهر قصائده (التائية) التي تدور حول نظرية وحدة الوجود الإلحادية التي كان يعتنقها.
[الميزان (٣/ ٢١٤ رقم ٦١٧٣)، و«معجم المؤلفين» (٧/ ٣٠١ ـ ٣٠٢)، و«شذرات الذهب» (٥/ ١٤٩ ـ ١٥٤)، و«لسان الميزان» (٤//٣١٧ ـ ٣١٩).

(٢) هذه التائية تدور حول نظرية وحدة الوجود الإلحادية التي كان يعتنقها ابن الفارض، وانظر الكلام عليها في «كتب ليست من الإسلام» لمحمود مهدي الإستانبولي (ص٦٧ ـ ٧١).

(٣) انظر ترجمته في: «لسان الميزان» (٣/ ٣٩٢)، و«معجم المؤلفين» (٥/ ٩٠ ـ ٩١)، و«شذرات الذهب» (٥/ ٣٢٩ ـ ٣٣٠).

إذا رأى الطائفين حولَ البيت يقول عنهم كأنهم الحميرُ حول المدارِ، وأنهم لو طافوا به كان أفضلَ من طوافهم بالبيت، فالله يحكم فيه وفي أمثاله، وقد نقلت عنه عظائمُ من الأقوال والأفعال. توفي يوم ثمانيةٍ وعشرين من شوالٍ سنة تسعٍ وستين وستمائة.

(الطائفة الرابعة): نُفاة القدر، وهم فِرقتان[1]: فِرقةٌ نفت تقديرَ الخيرِ والشر بالكلية، وجعلت العبادَ هم الخالقين لأفعالهم خيرِها وشرِّها، ولازمُ هذا القولِ أنهم هم الخالقون لأنفسهم؛ لأن في قولهم نَفْيَ تصرّفِ الله في عباده، وإخراجَ أفعالِهم عن خلقه وتقديرِه، فيكون تكونُهم من التراب ثم من نطفة ثم من علقةٍ ثم من مضغة إلى آخر أطوار التخليقِ هم بأنفسهم تطوّروا، وبطبيعتهم تخلّقوا، وهذا راجعٌ إلى مذهب الطبائعيةِ الدهريةِ الذين لم يُثبتوا خالقاً أصلاً كما قدمنا مناظرةَ أبي حنيفةَ لبعضهم فأسلموا على يديه.

وفرقة نفت تقديرَ الشرِّ دون الخيرِ، فجعلوا الخيرَ من الله وجعلوا الشرَّ من العبد.

ثم منهم من ينفي تقديرَ الشرِّ من أعمال العبادِ دون تقديرِه في المصائب، ومنهم من غلا فنفى تقديرَ الشرِّ من المصائب والمعايب. وعلى كل حال فقد أثبتوا مع الله تعالىٰ خالقاً، بل جعلوا العبادَ معه خالقين كلَّهم، ونفَوْا أن يكون الله هو المتفردُ بالتصرّف في ملكوته، وهذا راجعٌ إلى مذهب المجوسِ الثَّنْويةِ الذين أثبتوا خالقين: خالقاً للخير وخالقاً للشر، قبّحهم الله تعالىٰ.

(الطائفة الخامسة): الجبرية[2]، الذين يعتقدون أن العبدَ مجبورٌ على أفعاله قسراً ولا فعلَ له أصلاً بل إثباتُ الفعلِ للعبد هو عينُ الشرك عندهم، بل هو كالهاوي من أعلى إلى أسفلَ، وكالسَّعْفة تحرّكها الريحُ، لم يعمل باختياره طاعةً ولا معصية، ولم يكلفه الله وسْعَه، بل حَمّله ما لا طاقةَ له به، ولم يخلُق فيه

---

(١) وهم من المعتزلة، انظر: «فرق معاصرة» (٢/ ٨٢٤)، و«المذاهب الإسلامية» لأبي زهرة (ص١١١ ـ ١١٧)، و«مجموع فتاوى شيخ الإسلام» (٨/ ٢٥٦ ـ ٢٦٢).

(٢) انظر: «الملل والنحل» للشهرستاني (١/ ٩٧) وقد تقدم الكلام عليهم أيضاً في تعريف الجهمية في أوّل هذا الجزء.

اختياراً لأفعاله ولا قدرةَ له عليها، بل الطاعةُ والعصيانُ من الأقوال والأعمالِ هي عندهم عينُ فعلِ الله عزّ وجلّ، فرفعوا اللومَ عن كل كافرٍ وفاسقٍ وعاصٍ، وأنه يعذبهم على نفس فعلِه لا على أعمالهم القبيحة، ثم اعتقدوا أن المعاصيَ التي نهى الله عنها في كتبه وعلى ألسنة رسلِه إذا عَمِلوها صارت طاعاتٍ لأنهم يقولون أطعنا مشيئةَ الله الكونيةَ فينا، بل لم يُثبتوا الإرادةَ الشرعية البتّة، ومن يُثبتُها منهم يقول في الطاعات أطَعْنا الإرادةَ الشرعيةَ، وفي المعاصي التي سماها الله معاصيَ أطعنا الإرادةَ الكونية، وأما هم فلم يُثبتوا معصيةً أصلاً بل أفعالُهم جميعُها حَسَنُها وقبيحُها كلُّها عندهم طاعاتٌ على أصلهم هذا الفاسدِ، وفي ذلك ردٌّ منهم على الله تعالىٰ أمرَه ونَهْيَه ووعدَه ووعيدَه وفرضَه على عباده جهادَ الكفارِ وإقامةَ الحدود، بل في إرساله الرسلَ وإنزاله الكتبَ، فيجب عندهم تعطيلُ الشرائع بالكلية والاحتجاجُ على نفيها بالقدر الكونيِّ، ومحاربتُها به وإثباتُ الحجةِ على الله لكل كافرٍ وفاسقٍ وعاصٍ، وهذا كفرٌ لم يسبِقْهم إليه غيرُ إمامِهم إبليسَ اللعينِ؛ إذ يحتج على الله تعالىٰ بحجّتهم هذه فقال: ﴿فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى﴾ [الأعراف: ١٦].

والعجبُ أن هذا المذهبَ المخذولَ موروثٌ عن جهم بنِ صفوانَ[١] مع تناقضه في إثبات أفعالِ الله عزّ وجلّ، فإنه لا يُثْبت لله تعالىٰ فعلاً يقوم بذاته أصلاً، بل أفعالُه خارجةٌ عنه، قائمةٌ بغيره من المخلوقات، ثم ينقض ذلك بجعله أفعالَ العبادِ أفعالَ الله، وهذا تناقضٌ بيِّنٌ لكل عاقل، فإن الفعلَ إنما يضاف إلى مَن قام به، والقولَ إلى من قاله، وكذا السمعُ والبصرُ والقدرةُ وغيرُها مُحالٌ أن تضافَ إلى غير مَن قامت به، ومحالٌ أن يسمى فاعلاً بدون فعلٍ يقوم به، ولو ذهبنا نعدّ تشعُّبَ الفِرَق من هذه الطوائفِ ولوازمِ كل قولٍ مما انتحلوه لاحتاج إلى كتاب مفرد، وقد أفرد ذلك بالتصنيف غيرُ واحدٍ من الأئمة، وقد قدمنا البعضَ من ذلك وذكرنا أمثلةً من تحريفهم النصوصَ، وسيأتي الكلامُ على الدهرية في الإيمان بالبعث، وعلى نُفاة القدر والغلاةِ فيه في باب القدر، والكلامُ على الخوارج والمُرْجئة والمعتزلة وأشباهِهم في باب الإيمانِ والدين، والكلامُ على الروافض والنواصبِ في باب ذكر الصحابة.

---

(١) تقدم التعريف بهذا الضال مراراً.

وهذه الطوائفُ التي خالفت في توحيد المعرفة والإثباتِ مرجعُها إلى ثلاث: فالحلوليةُ والاتّحاديةُ والسلبيةُ ومَن في معناهم مرجعُهم إلى الطبائعية الدهرية، والقدَريةُ النفاةُ بجميع فِرَقِهم مرجعُهم إلى المجوسِ الثنوية، والجبريةُ الغلاةُ مرجعُهم إلى النزعة الجهميةِ الإبليسية، وقد قدمنا قولَ المؤمنين أتباعِ الرسلِ مبسوطاً بما فيه كفاية.

(فصل) والمخالفون لأهل السنةِ في القرآن سبعُ طوائفَ ذكرهم شيخُ الإسلام ابنُ تيميةَ في المنهاج[1]، وابنُ القيم في الصواعق[2]، وهذا نصُّه، قال رحمه الله تعالىٰ:

(فصل) اختلف أهلُ الأرض في كلام الله تعالىٰ، فذهب **(الاتحادية)** القائلون بوحدة الوجود، أن كلَّ كلامٍ في الوجود كلامُ الله نظمُه ونثرُه وحقُّه وباطلُه سحرُه وكفرُه، والسبُّ والشتمُ والهُجْرُ والفُحْشُ وأضدادُه، كلُّه عينُ كلامِ الله تعالىٰ القائمِ به؛ كما قال عارفُهم:

وكلُّ كلامٍ في الوجود كلامُه … سواءٌ علينا نثرُه ونظامُه

وهذا المذهبُ مبنيٌّ على أصلهم الذي أصّلوه، وهو أن الله سبحانه هو عينُ هذا الوجودِ، فصفاتُه هي صفاتُ الله وكلامُه هو كلامُ الله، وأصلُ هذا المذهبِ إنكارُ مسألةِ المباينة والعلوِّ، فإنهم لما أصّلوا أن الله تعالىٰ غيرُ مباينٍ لهذا العالمِ المحسوس صاروا بين أمرين لا ثالثَ لهما إلاّ المكابرةَ.

(أحدُهما): أنه معدومٌ لا وجودَ له، إذ لو كان موجوداً لكان إما داخلَ العالم وإما خارجاً عنه، وهذ معلومٌ بالضرورة، فإنه إذا كان قائماً بنفسه فإمّا أن يكون مبايناً للعالم أو محايثاً له، إما داخلاً فيه وإما خارجاً عنه.

(الأمر الثاني): أن يكون هو عينَ هذا العالم، فإنه يصح أن يُقالَ فيه حينئذ أنه لا داخل العالم ولا خارجَه ولا مبايناً له ولا حالاً فيه، إذ هو عينُه، والشيءُ لا يباين نفسَه ولا يحايثُها، فرأَوْا أن هذا خيرٌ من إنكار وجودِه والحكمِ عليه بأنه

---

(١) في «منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية».

(٢) في «مختصر الصواعق» (٢/ ٢٨٦ ـ ٢٩٣).

معدوم، ورأَوْا أن الفِرارَ من هذا إلى إثبات موجودٍ قائمٍ بنفسه لا داخلَ العالم ولا خارجَه ولا متّصلٍ به ولا منفصلٍ عنه ولا مباينٍ له ولاَ محايثٍ ولا فوقه ولا عن يمينه ولا عن يساره ولا خلفه ولا أمامَه، فراراً إلى ما لا يُسيغه عقلٌ ولا تقبله فِطرة ولا تأتي به شريعة. ولا يمكن أن يُقرّ بربٍّ هذا شأنُه إلاّ على أحد وجهين لا ثالثَ لهما.

(أحدُهما): أن يكون سارياً فيه حالاً فيه، فهو في كل مكان بذاته، وهو قولُ جميعِ الجهْميةِ الأقدَمين.

(الوجهُ الثاني): أن يكون وجودُه في الذهن لا في الخارج فيكون وجودُه سبحانه وجوداً عقلياً إذ لو كان موجوداً في الأعيان لكان إما عينَ هذا العالمِ أو غيرَه، ولو كان غيرَه لكان إما بائناً عنه أو حالاً فيه وكلاهما باطلٌ، فثبت أنه عينُ هذا العالمِ فله حينئذٍ كلُّ اسم حسنٍ وقبيحٍ، وكلُّ صفةِ كمالٍ ونقص، وكلُّ كلامِ حقٍّ وباطلٍ، نعوذ بالله من ذلك.

المذهب الثاني مذهبُ (الفلاسفة) المتأخرين أتباعِ أرسطو، وهم الذين يحكي ابنُ سينا والفارابي والطوسيُّ[1] قولَهم: إن كلامَ الله فيضٌ فاض من العقل الفعّالِ على النفوس الفاضلةِ الزكيةِ بحسب استعدادِها، فأوجب لها ذلك الفيضُ تصوّراتٍ وتصديقاتٍ بحسب ما قبِلَتْه منه. ولهذه النفوسِ عندهم ثلاثُ قُوىً: قوةُ التصور، وقوةُ التخيل، وقوةُ التعبير. فتُدرك بقوة تصوّرِها من المعاني ما يعجَز عنه غيرُها، وتُدرك بقوة تخيلها شكلَ المعقولِ في صورة المحسوسِ، فتتصوّر المعقولَ صوراً نورانيةً تخاطبها وتكلمها بكلام تسمعه الآذانُ، وهو عندهم كلامُ الله، ولا حقيقةَ له في الخارج، وإنما ذلك كلُّه من القوة الخياليةِ الوهميةِ. قالوا: وربما قَوِيَتْ هذه القوةُ على إسماع ذلك الخطابِ لغيرها، وتشكيلِ تلك الصورِ العقلية لعين الرائي، فيرى الملائكةَ ويسمع خطابَهم، وكلُّ ذلك من الوهم والخيالِ لا في الخارج. فهذا أصلُ هؤلاء في إثبات كلامِ الربِّ وملائكتهِ ورسلِه وأنبيائِه، والأصلُ الذي قادهم إلى هذا عدمُ الإقرارِ بالربِّ الذي عرّفتْ به الرسلُ ودعتْ إليه وهو القائمُ بنفسه

---

(١) تقدم التعريف بهم قريباً.

المباينُ لخلقه العالي فوق سمواتِه فوق عرشِه، الفعّال لما يريد بقُدرته ومشيئتِهِ، العالمُ بجميع المعلوماتِ، القادرُ على كل شيء، فهم أنكروا ذلك كلَّه.

المذهب الثالث: مذهبُ (الجهمية) النُّفاةِ لصفات الربِّ تعالىٰ القائلين: إن كلامَه مخلوقٌ ومن بعض مخلوقاتِه فلم يقُم بذاته سبحانه، فاتفقوا على هذا الأصلِ واختلفوا في فروعه.

قال الأشعريُّ في كتاب المقالات[1]: اختلفت المعتزلةُ في كلام الله تعالىٰ هل هو جسمٌ أو ليس بجسم، وفي خلقه، على ستة أقاويلَ:

فالفِرْقةُ الأولى منهم يزعُمون أن كلامَ الله جسمٌ وأنه مخلوقٌ وأنه لا شيءَ إلاّ جسمٌ.

والفرقةُ الثانيةُ زعموا أن كلامَ الخلق عرَضٌ وهو حركةٌ لأنه لا عرَضَ عندهم إلاّ الحركةُ، وأن كلامَ الخالِق جسمٌ وأن ذلك الجسمَ صوتٌ منقطعٌ مؤلفٌ مسموعٌ، وهو فعلُ الله وخلقُه وهذا قول أبي الهذيل وأصحابِه. وأحال النظّامُ أن يكون كلامُ الله في أماكنَ كثيرةٍ أو مكانين في وقت واحد وزعم أنه في المكان الذي خُلق فيه.

والفرقة الثالثة من المعتزلة تزعُم أن القرآنَ مخلوقٌ لله وأنه عرَضٌ وأنه يوجد في أماكنَ كثيرةٍ في وقت واحدٍ إذا تلاه تالٍ فهو يوجد مع تلاوته، وإذا كتبه وُجد مع كتابته، وإذا حَفِظه وُجد مع حِفظه، وهو يوجد في الأماكن بالتلاوة والحفظِ والكتابةِ ولا يجوز عليه الانتقالُ والزوال.

والفرقةُ الرابعةُ يزعمون أن كلامَ الله عزّ وجلّ عرَضٌ وأنه مخلوق، وأحالوا أن يوجد في مكانين في وقتٍ واحدٍ، وزعموا أن المكانَ الذي خلقه الله تعالىٰ فيه مُحالٌ انتقالُه وزوالُه منه ووجودُه في غيره، وهذا قولُ جعفرِ بنِ حربٍ وأكثرِ البغداديين.

الفرقةُ الخامسة أصحابُ مَعْمر[2]، يزعُمون أن القرآنَ عرَضٌ، والأعراضُ

---

(١) مقالات الإسلاميين واختلاف المصلّين؛ لأبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري (ص١٩١ ـ ١٩٣) وما بعدها.

(٢) هو معمر بن عباد السلمي أبو عمرو، وعدّه أحمد بن يحيى بن المرتضى في كتابه «طبقات المعتزلة» (ص٥٤) من الطبقة السادسة.

عندهم قسمان: قسمٌ منهما يفعله الأحياءُ، وقسم منهما يفعله الأموات، ومُحالٌ أن يكون ما يفعله الأمواتُ فعلاً للأحياء. والقرآنُ مفعولٌ وهو عرَضٌ، ومُحالٌ أن يكون الله فعله في الحقيقة؛ لأنهم يُحيلون أن تكون الأعراضُ فعلاً لله، وزعموا أن القرآنَ فعلٌ للمحلِّ الذي يُسمع منه، إذا سُمع من الشجرة فهو فعلٌ لها، وحيث سُمع فهو فعلُ المحلِّ الذي حلّ فيه.

الفرقةُ السادسةُ يزعمُون أن كلامَ الله عرَضٌ مخلوقٌ وأنه يوجد في أماكنَ كثيرةٍ في وقت واحد، وهذا قولُ الإسكافي[1].

واختلفت المعتزلةُ في كلام الله هل يبقى؟ فقالت فِرقةٌ منهم: يبقى بعد خلْقِه، وقالت فرقةٌ أخرى: لا يبقى، وإنما يوجد في الوقت الذي خلقه الله ثم يُعدم بعد ذلك. وهذا المذهبُ هو من فروع ذلك الأصلِ الباطلِ المخالفِ لجميع كتبِ الله ورسلِه ولصريح المعقولِ والفِطَر من جَحْدِ صفاتِ الربِّ وتعطيلِ حقائقِ أسمائهِ وصفاتِه ونَفْيِ قيامِ الأفعالِ به، فلما أصّلوا أنه لا يقوم به وصفٌ ولا فعلٌ كان من فروع هذا الأصلِ أنه لم يتكلم بالقرآن ولا بغيره، وأن القرآنَ مخلوقٌ، وطَرْدُ ذلك إنكارُ ربوبيّتِهِ، وإلٰهيّته، فإن ربوبيتَه سبحانه إنما تتحقّق بكونه فعالاً مدبّراً متصرّفاً في خلقه، يعلم ويقرّر ويريد ويسمع ويبصر، فإذا انتفت عنه صفةُ الكلام انتفى الأمرُ والنهيُ ولوازمُهما، وذلك ينفي حقيقةَ الإلٰهية، فطَرْدُ ما أصّلوه أن الله سبحانه ليس بربِّ العالمين ولا إلٰهٍ، فضلاً عن أن يكون لا ربَّ غيرُه ولا إلٰه سواه.

المذهب الرابع: مذهبُ (الكُلاّبية): أتباعُ عبدِ الله بنِ سعيدِ بنِ كُلاّب[2]، أن القرآن معنىً قائمٌ بالنفس لا يتعلق بالقُدرة والمشيئة، وأنه لازمٌ لذات الربِّ كلزوم

---

(١) هو محمد بن عبد الله الإسكافي أبو جعفر، أحد المتكلمين من معتزلة البغداديين، له تصانيف معروفة... ومات سنة أربعين ومائتين، «الأنساب للسمعاني» (١/ ١٥٠).

(٢) عبد الله بن سعيد بن كُلاّب، الفقيه أبو محمد البصري، كان يرد على المعتزلة وربما وافقهم.
روى أبو طاهر الذُّهلي أنّ داود بن علي الأصبهاني أخذ الجدل والكلام عنه، وهو وأصحابه كُلاّبيّة لأنه يَجُرّ الخصوم إلى نفسه بفضل بيانه كالكُلاّب.
توفي في حدود الأربعين ومائتين.
[«الوافي بالوفيات» (١٧/ ١٩٨)، و«لسان الميزان» (٣/ ٢٩٠ ـ ٢٩١)].

الحياةِ والعلمِ، وأنه لا يُسمع على الحقيقة، والحروفُ والأصواتُ حكايةٌ له دالّةٌ عليه، وهي مخلوقةٌ، وهو أربعةُ معانيَ في نفسه: الأمرُ، والنهيُ، والخبرُ، والاستفهامُ، فهي أنواعٌ لذلك المعنى القديمِ الذي لا يُسمع، وذلك المعنى هو المتلوُّ والمقروءُ، وهو غيرُ مخلوقٍ، والأصواتُ والحروفُ هي تلاوةُ العبادِ وهي مخلوقةٌ، وهذا المذهبُ أولُ من يُعرف أنه قال به ابنُ كلّاب وبناه على أن الكلامَ لا بدّ أن يقوم بالمتكلّم، والحروفُ والأصواتُ حادثةٌ فلا يمكن أن تقومَ بذات الربِّ تعالىٰ؛ لأنه ليس محلاً للحوادث، فهي مخلوقةٌ منفصلةٌ عن الربِّ، والقرآنُ اسم لذلك المعنى وهو غيرُ مخلوق.

المذهب الخامس: مذهبُ (الأشعري) ومن وافقه أنه معنىً واحدٌ قائمٌ بذات الربِّ تعالىٰ، لأنه ليس بحرفٍ ولا صوتٍ، ولا ينقسم، ولا له أبعاضٌ، ولا له أجزاءٌ، وهو عينُ الأمر وعينُ النهي وعينُ الخبر وعينُ الاستخبار، الكلُّ واحدٌ، وهو عينُ التوراةِ وعينُ الإنجيلِ والقرآنِ والزبورِ، وكونُه أمراً ونهياً وخبراً واستخباراً صفاتٌ لذلك المعنى الواحدِ لا أنواعَ له، فإنه لا ينقسم بنوع ولا جُزء، وكونُه قرآناً وتوراةً وإنجيلاً تقسيمٌ للعبارات عنه لا لذاته، بل إذا عبر عن ذلك المعنى بالعربية كان قرآناً، وإذا عبّر عنه بالعبرانية كان توراةً، وإن عبّر عنه بالسريانية كان إنجيلاً، والمعنى واحدٌ، وهذه الألفاظُ عبارةٌ عنه ولا يسمّيها حكايةً، وهي خلقٌ من المخلوقات، وعنده لم يتكلم الله بهذا الكلامِ العربيِّ ولا سُمع من الله، وعنده ذلك المعنى سُمع من الله حقيقةً، ويجوز أن يُرى ويُشَم ويُذاقَ ويُلْمَسَ ويُدْرَكَ بالحواس الخمسِ، إذ المصحِّحُ عنده لإدراك الحواسِّ هو الوجودُ، فكلُّ وجودٍ يصح تعلقُ الإدراكاتِ كلِّها به كما قرّره في مسألة رؤيةِ مَن ليس في جهة الرائي، وأنه يُرى حقيقةً، وليس مقابلاً للرائي، هذا قولُهم في الرؤية وذلك قولُهم في الكلام.

والبليةُ العظمى نسبةُ ذلك إلى الرسول ﷺ، وأنه جاء بهذا ودعا إليه الأمة، وأنهم أهلُ الحقِّ ومن عداهم أهلُ الباطل. وجمهورُ العقلاءِ يقولون: إن تصوّرَ هذا المذهبِ كافٍ في الجزم ببطلانه، وهو لا يُتصوّر إلاّ كما تُتصوَّرُ المستحيلاتُ الممتنِعاتُ. وهذا المذهبُ مبنيٌّ على مسألة إنكارِ قيامِ الأفعالِ والأمورِ الاختياريةِ بالربّ تعالىٰ، ويسمّونها مسألةَ حلولِ الحوادثِ، وحقيقتُها إنكارُ أفعالِه وربوبيتِه وإرادتهِ ومشيئتِهِ.

[التنبيه على أن الأشعري غير الأشعرية]

وأقول ـ والحقُّ يقال ـ لا نشكّ أن ابنَ القيمِ هذا وشيخَه ابنَ تيميةَ رحمهما الله تعالىٰ مِن أعلم من صنف في المقالات والمِلل والنِّحَل، وأدراهم بمواردها ومصادرِها، وأبصرِهم بردِّ الباطِلِ منها وإدحاضِه، وأوفاهم تقريراً لمذهب السلفِ أهلِ السنة والجماعة، وأشدِّهم تمسكاً به ونُصرةً له، وأكملِهم تحريراً لبراهينه عقلاً ونقلاً، وأكثرهم اشتغالاً بهذا البابِ، وتنقيباً عن عامل البِدَعِ فيه، واجتثاثاً لأصولها، ولكن هذا الذي ذكره رحمه الله تعالىٰ عن الأشعري في مسألة القرآنِ، هو الذي وجدناه عمّن ينتسب إلى الأشعري، ويسمّون أنفسَهم أهلَ الحق، ويُقِرّون ذلك ويكرّرونه في كتبهم ويناظرون عليه.

وأما أبو الحسنِ الأشعريُّ نفسُه رحمه الله تعالىٰ، فالذي قرّره في كتابه (الإبانة)[1] الذي هو من آخر ما صَنف، هو قولُ أهلِ الحديث، ساقه بحروفه، وجاء به برُمّته، واحتجّ فيه ببراهينهم العقليةِ والنقلية، ثم نقل أقوالَ الأئمة في ذلك كأحمدَ بنِ حنبل، ومالكِ بن أنسٍ، والشافعيِّ وأصحابِه، والحمّادَين والسفيانين، وعبدِ العزيز بنِ الماجشون، والليثِ بن سعدٍ، وهشام، وعيسى بن يونسَ وحفْص بنِ غيّاث، وسعدِ بن عامرٍ، وعبدِ الرحمٰنِ بن مهدي، وأبي بكرِ بنِ عياش، ووكيع وأبي عاصمِ النبيلِ، ويَعلى بنِ عُبيد، ومحمدَ بنِ يوسفَ، وبِشر بنِ المفضل، وعبدِ الله بنِ داود، وسلامِ بن أبي مُطيع، وابنِ المبارك، وعليِّ بن عاصمٍ، وأحمدَ بنِ يونسَ، وأبي نعيم، وقبيصةَ بن عُقبةَ، وسليمانَ بن داودَ، وأبي عبيدٍ القاسمِ بنِ سلّام وغيرِهم، ولولا خوفُ الإطالة لسُقنا فصولَ كلامِه بحروفه، فإنه وإن أخطأ في تأويل بعضِ الآياتِ، وأجمل في بعض المواضِع، فكلامُه يدل على أنه مخالفٌ لِلمنتسبين إليه من المتكلمين في مسألة القرآنِ كما هو مخالفٌ لهم في إثباته الاستواءَ والنزولَ والرؤيةَ، والوجهَ واليدين، والغضبَ والرِّضا وغير ذلك، وقد صرّح في مقالاته بأنه قائلٌ بما قال الإمامُ أحمدُ بن حنبلٍ وأئمةُ الحديث معتقدٌ ما هم عليه، مُثبتٌ لما أثبتوه، مُحرِّم ما أحدث المتكلّمون من تحريف الكَلِمِ عن

---

(١) الإبانة عن أصول الديانة، حققه وخرّج أحاديثه: العلامة عبد القادر الأرنؤوط.

مواضعه، وصَرْفِ اللفظِ عن ظاهره وإخراجِه عن حقيقته، وبالجملة فبينه وبين المنتسبين إليه بونٌ بعيد. بل هو بريءٌ منهم، وهم منه بَراءٌ، والموعدُ الله وكفى بالله حسيباً، وهو حسبُنا ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله(١).

قال ابنُ القيم رحمه الله تعالىٰ:

المذهبُ السادسُ: مذهبُ (الكرّامية): وهو أنه متعلقٌ بالمشيئة والقدرة، قائمٌ بذات الربِّ تعالىٰ، وهو حروفٌ وأصواتٌ مسموعةٌ، وهو حادثٌ بعد أن لم يكن، فهو عندهم متكلمٌ بقدرته ومشيئتهِ بعد أن لم يكن متكلماً، كما يقول سائرُ فِرَقِ المتكلمين أنه فعلٌ بقدرته ومشيئتهِ بعد أن لم يكن فاعلاً، كما ألزموا به الكرامية في مسألة الكلام، فهو لازمٌ لهم في مسألة الفعل، والكراميةُ أقربُ إلى الصواب منهم، فإنهم أثبتوا كلاماً وفعلاً حقيقةً قائمين بذات المتكلمِ الفاعل، وجعلوا لها أولاً فِراراً من القول بحوادثَ لا أوّلَ لها، ومُنازِعوهم أبطلوا حقيقةَ الكلامِ والفعل، وقالوا لم يقم به فعلٌ ولا كلامٌ البتّة، وأمّا من أثبت منهم معنى قائماً بنفسه سبحانه، فلو كان ما أثبته مفعولاً لكان من جنس الإرادة، والعلمُ لم يكن شيئاً خارجاً عنهما، فهم لم يُثبتوا لله كلاماً ولا فعلاً، وأما الكراميةُ فإنهم جعلوه متكلّماً بعد أن لم يكن متكلماً، كما فعله خصومُهم فاعلاً بعد أن لم يكن فاعلاً.

---

(١) المعروف من حياة أبي الحسن الأشعري أنه مرّت به ثلاثة أدوار:
(الأول) أنه كان مع المعتزلة في البصرة.
(الثاني): يقظته لفساد مذهبهم، لكنه دخل معهم في جدل طويل بأساليبهم وأقيستهم، وقد استمر على ذلك نحو عشرين سنة ألف فيها أكثر كتبه. ومن هذا الجدل مع المعتزلة ومن هذه الكتب نشأ المذهب المنسوب إليه، وهو الذي اضطر شيخ الإسلام وتلميذه ابن القيم إلى إدحاضه والتنبيه على ما يخالف منه مذهب السلف.
(أما الدور الثالث) من حياة الأشعري فهو الذي ختم الله به حياته بالحسنى بعد انتقاله من البصرة إلى بغداد واتّصاله بأهل الحديث وأتباع الإمام أحمد. وفي هذه الحقبة ألف (مقالات الإسلاميين) و(الإبانة)، ولا شكّ أن (الإبانة) من آخر مصنّفاته إن لم تكن آخرها كما نصّ عليه مترجموه. ففي هذين الكتابين مذهبه الذي أراد أن يلقى الله عليه. والذي كان عليه في البصرة هو الذي اشتهر عنه وبقي منسوباً إليه وهو بريء منه كبراءته من الاعتزال الذي كان من رجاله في صدر حياته. (محب الدين الخطيب).
قلت: وانظر مزيداً من ذلك البيان في ترجمته المتقدمة في هذا الجزء.

المذهب السابع: مذهب (السالمية) ومن وافقهم من أتباع الأئمةِ الأربعة وأهلِ الحديث أنه صفةٌ قديمةٌ قائمة بذات الربِّ تعالىٰ، لم يزل ولا يزال لا يتعلق بقدرته ومشيئتهِ، ومع ذلك هو حروفٌ وأصواتٌ وسورٌ وآياتٌ، سمعه جبريلُ منه، وسمعه موسى بلا واسطة، ويُسمِعه سبحانه من يشاء.

وإسماعُه نوعان: بواسطة وبلا واسطة، ومع ذلك فحروفُه وكلماتُه لا يسبِق بعضُها بعضاً، بل هي مقترنةٌ الباءُ مع السين مع الميم في آن واحد، ثم لم تكن معدومةً في وقت من الأوقات، ولا تُعدم، بل لم تزل قائمةً بذاته سبحانه قيامَ صفةِ الحياةِ والسمعِ والبصرِ، وجمهورُ العقلاءِ قالوا إن تصورَ هذا المذهبِ كان في الجزم ببطلانه، والبراهينُ العَقلية والأدلةُ القطعيةُ شاهدةٌ ببطلان هذه المذاهبِ كلها، وأنها مخالفةٌ لصريح العقلِ والنقل.

والعجبُ أنها هي الدائرةُ بين فُضَلاء العالم، لا يكادون يعرفون غيرَها». ثم ذكر رحمه الله تعالىٰ قولَ أتباعِ الرسلِ وأطال على ذلك. ثم مسألةَ تكلُّم العبادِ بالقرآن، وساق فيه كثيراً من كلام البخاري رحمه الله تعالىٰ في (صحيحه)، وفي كتاب (خلق أفعالِ العباد) لأنه من أحسن الأئمةِ توضيحاً وتفصيلاً في هذه المسألةِ لما جرى عليه من المحنة في شأنها. ثم ذكر الكلامَ على حروف المُعجم، وساقَ فيه أقوالَ الأئمة، ثم ذكر اللفظيةَ في أثناء ذلك والواقفة. ثم ذكر فصلاً في الكتابة له في الرق وغيرِه، ثم فصلاً في السماع، ثم فصلاً من كلام شيخ الإسلام ابنِ تيميةَ في أول مَن أظهر إنكارَ أن الله سبحانه يتكلم بصوت في أثناء المئة الثالثة ابنُ كلّاب وأنكر عليه ذلك أئمةُ الحديثِ كأحمدَ والبخاريِّ وغيرِهما. وفي غضون هذه الفصولِ أبحاثٌ نفيسةٌ لا يُستغنى عنها، فلتراجَع منه[1].

ثم قال رحمه الله تعالىٰ: «فصل. منشأ النزاع بين الطوائف أن الربَّ تعالىٰ هل يتكلم بمشيئته أم كلامُه بغير مشيئته؟ على قولَين، فقالت طائفةٌ كلامُه بغير مشيئتِه واختياره. ثم انقسم هؤلاء أربعَ فِرَقٍ:

قالت فِرقةٌ: هو فيضٌ فاض منه بواسطة العقلِ الفعّال على نفسٍ شريفة، فتكلمت به كما يقول ابنُ سينا وأتباعُه وينسُبونه إلى أرسطو.

---

(١) «مختصر الصواعق» (٢/ ٢٩٣ ـ ٣٢٩).

وفِرقةٌ قالت: بل هو معنىً قائمٌ بذات الربِّ تعالىٰ هو به متكلمٌ وهو قول الكلّابية ومن تبعهم. وانقسم هؤلاء فرقتين: فرقةٌ قالت هو معانٍ متعددةٌ في أنفسها أمرٌ ونهيٌ وخبرٌ واستخبار، ومعنىً جامعٌ لهذه الأربعة، وفِرقةٌ قالت بل هو معنىً واحدٌ بالعين لا ينقسم ولا يتبعّض.

وفرقةٌ قالت كلامُه هو هذه الحروفُ والأصواتُ خلقها خارجةً عن ذاته فصار بها متكلماً، وهذا قولُ المعتزلة، وهو في الأصل قولُ الجهميةِ تلقّاه عنهم أهلُ الاعتزالِ، فنُسب إليهم.

وفرقةٌ قالت يتكلم بقدرته ومشيئتِه كلاماً قائماً بذاته سبحانه كما يقوم به سائرُ أفعالِه لكنه حادثُ النوع، وعندهم أنه صار متكلماً بعد أن لم يكن متكلماً كما قاله من لم نَصِفْهم من المتكلمين أنه صار فاعلاً بعد أن لم يكن فاعلاً. فقولُ هؤلاء في الفعل المتصلِ كقول أولئك في الفعل المنفصل، وهذا قولُ الكرامية.

وفرقةٌ قالت: يتكلم بمشيئته، وكلامُه سبحانه هو الذي يتكلم به الناسُ كلُّه حقُّه وباطلِه وصدقِه وكَذِبه؛ كما يقوله طوائفُ الاتحادية.

وقال أهلُ الحديثِ والسنة أنه لم يزل سبحانه متكلماً إذا شاء يتكلم بمشيئته، ولم تتحدد له هذه الصفةُ، بل كونُه متكلماً بمشيئته هو من لوازم ذاتِه المقدسة، وهو بائنٌ عن خلقه بذاته وصفاتِه، وكلامُه ليس متّحداً بهم ولا حالاً فيهم.

واختلفت الفِرقُ هل يُسمع كلامُ الله على الحقيقة؟ فقالت فرقةٌ: لا يُسمع كلامُه على الحقيقة إنما تسمع حكايتُه والعبارةُ عنه، وهذا قولُ الكلّابية ومن تَبِعهم، وقالت بقيةُ الطوائفِ بل يُسمع كلامُه حقيقةً.

ثم اختلفوا، فقالت فرقةٌ: يسمعه كلُّ أحدٍ من الله تعالىٰ، وهذا قولُ الاتحادية. وقالت فرقةٌ: بل لا يُسمع إلا من غيره، وعندهم أن موسى لم يسمع كلامَ الله منه، فهذا قولُ الجهمية والمعتزلة.

وقال أهلُ السنةِ والحديثِ: يُسمع كلامُه سبحانه منه تارةً بلا واسطةٍ كما سَمِعه موسى وجبريلُ وغيرُهما وكما يكلم عبادَه يوم القيامة، ويكلِّم أهلَ الجنة، ويكلِّم الأنبياءَ في الموقف، ويُسمع مِن المبلِّغ عنه كما سمع الأنبياءُ الوَحْيَ من جبريلَ تبليغاً عنه، وكما سمع الصحابةُ القرآن من الرسول ﷺ عن الله فسمعوا

كلامَ الله بواسطة المبلغ، وكذلك نسمع نحن بواسطة التالي.

فإذا قيل المسموعُ مخلوقٌ أو غير مخلوق؟ قيل: إن أردت المسموعَ عن الله تعالىٰ فهو كلامُه غيرُ مخلوق، وإن أردت المسموعَ من المبلغ ففيه تفصيلٌ إن سألت عن الصوت الذي رُوِيَ به كلامُ الله فهو مخلوق. وإن سألت عن الكلام المؤدّى بذلك الصوتِ فهو غيرُ مخلوق.

والذين قالوا إن الله يتكلم بصوت أربعُ فِرَق: فرقةٌ قالت يتكلم بصوت مخلوقٍ منفصلٍ عنه وهم المعتزلة. وفرقةٌ قالت: يتكلّم بصوت قديم لم يزل ولا يزال وهم السالميةُ والاقترانية. وفرقةٌ قالت يتكلم بصوت حادثٍ في ذاته بعد أن لم يكن وهم الكرّامية.

وقال أهلُ السنة والحديثِ لم يزل الله تعالىٰ متكلماً بصوت إذا شاء. والذين قالوا لا يتكلم بصوت فرقتان: أصحابُ الفيض، والقائلون إن الكلامَ معنىً قائمٌ بالنفس»[1]. انتهى ما أردنا إيرادَه من كلامه رحمه الله تعالىٰ، وقد أودع هذه الأقوالَ وغيرَها في مسألة القرآنِ وغيرِها في نونيّته الشافية الكافية.

وأمّا مذهبُ أتباعِ الرسلِ، فقد قدمنا فيه الشفاءَ الكافيَ من نصوص الكتابِ والسنةِ وأقوالِ سلفِ الأمة بما لا يُحتاج معه إلى غيره، وبالله التوفيق.

تم الجزء الأول ولله الحمد
من كتاب معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول
ويليه الجزء الثاني وأوله
[الفصل الثاني في بيان النوع الثاني من نوعي التوحيد
وهو توحيد الطلب والقصد، وأنه معنى لا إله إلا الله]

---

(١) «مختصر الصواعق» (٢/٣٢٩ ـ ٣٣١).

الفهارس

أولاً: فهرس الأعلام المترجم لهم.

ثانياً: فهرس الفرق والطوائف المعرَّف بهم.

ثالثاً: فهرس الموضوعات.

أولاً: فهرس الأعلام المترجم لهم
في الجزء الأول
من كتاب «معارج القبول»

ثانياً: فهرس الفرق والطوائف المعرّف بهم في الجزء الأول من كتاب «معارج القبول»

ثالثاً: فهرس موضوعات الجزء الأول
من كتاب «معارج القبول»

الموضوع	الجزء الأول	الصفحة

الفصل الأول:

الموضوع	الجزء الأول	الصفحة

الموضوع	الجزء الأول	الصفحة

❋ ❋ ❋